NURUOSMANIYE
2627
3066

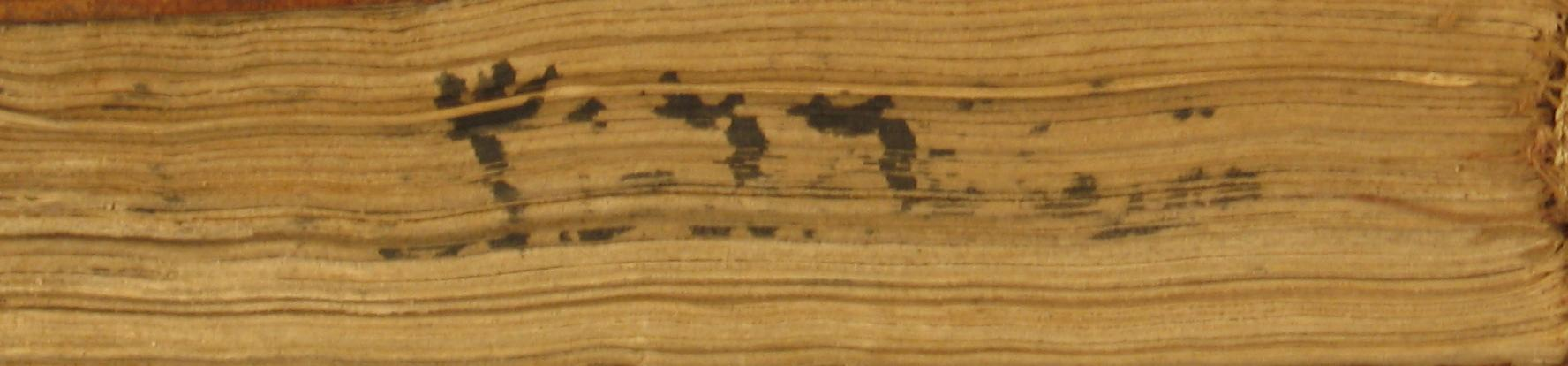

٢٨٠ نجی صحیفه ده

رسم واردر.

NURUOSMANİYE KÜTÜPHANESİ

| | |
|---|---|
| Kısmı | N. O. |
| Yeni Kayıt No | 2626 |
| Eski Kayıt No | 3066 |
| Tasnif No. | |

٤٠٦٦

وقف اكرم السلاطين من اعاظم الملوك وابهى الخواقين المحسن السنن والسلوك
السلطان بن السلطان السلطان ابو المواهب عثمان خان ابن السلطان
مصطفى خان ادام الله ايام دولته وانام صفقته في تواريخ حسنته
وانا الداعي الفقير الحاج ابراهيم حنيف
المفتش باوقاف الحرمين
المحترمين عفي عنه

No.
293
Nur…

## فهرست ما تضمنه سفر من المقدمة من الابواب والفصول

المقدمة في فضل علم التاريخ
الخطبة وفيها تقسيم الكتاب الي المقدمة وثلثة كتب
والكتاب الاول في العمران وما يعرض فيه من الملك والمعاش والصنايع والعلوم
وهذا الكتاب الاول ذهب باسم المقدمة حتي صار علما عليها وهو الذي تضمنه
هذا السفر الكتاب الثاني في اخبار العرب منذ مبداء الخليقة والي هذا العهد
في اربع طبقات المعاربة والمستعربة والتابعة للعرب والمستعجمة المتاخرة
ودول المعاصرين لهم في كل طبقة من النبط والسريانيين والفرس وبني اسرايل والقبط
ويونان والروم ثم في الدولة الاسلاميه دول الكرد والترك والتركمان والفرنج لها
الكتاب الثالث في اخبار البربر وزناته بديار المغرب المقدمة في فضل
التاريخ وشي من اغلاط المورخين الكتاب الاول في طبيعة العمران وما يعرض
فيها من البدو والحضر والتغلب والمعاش والعلوم والصنايع وعلل ذلك
واسبابه وانحصر الكلام عن ذلك في ستة فصول الاول في العمران البشري علي
الجملة واصنافه وقسطه من الارض الثاني في العمران البدوي والامم الوحشية الثالث في
الدول والخلافة والملك ومراتبها الرابع في العمران الحضري والبلدان والامصار
الخامس في الصنايع والمعاش والكسب السادس في العلوم واكتسابها الفصل
الاول في العمران البشري وفيه مقدمات الاول في ان الاجتماع للبشر ضروري الثاني في
قسط العمران من الارض وفيها شرح الجغرافيا الثالثة في المعتدل من الاقاليم والمنحرف
وتاثير الهواء في الوان البشر واحواله الرابعة في تاثير الهواء في اخلاق البشر الخامسة
في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع وتاثير ذلك في ابدان البشر واخلاقهم
السادسة في اصناف المدركين للغيب من البشر وفيه الكلام في النبوة وحقيقتها والكهانة
والرويا والكلام في العرافين والناظرين في الاجسام الشفافة وفي ضرب الحيوان وغيرها

واهل

واهل الزجر واهل الطرق بالحصي والحبوب وحال الادراك عند التباس اليقظة بالنوم
وحال الكشف والرياضة السحرية وانارها ومدارك البها ليل من المتصوفة ومدارك
المنجمين واصحاب خط الرمل واصحاب النيم والكلام في زايرجة العالم والكشف عن حقيقتها
الفصل الثاني في العمران البدوي وفيه فصول ٥ في ان اجيال البدو والحضر طبيعية ٥ في ان
اهل البدو اقرب الي الخير من اهل الحضر ٥ في ان معانات اهل الحضر للاحكام مذهبة للباس
منهم ٥ في ان سكني البدو انما يكون للقبايل اهل العصبية ٥ في ان العصبية انما تكون
من الالتحام بنسب او ولاء ٥ في ان صريح النسب انما يوجد للمتوحشين في البدو من العرب
والترك ومن في معناهم ٥ في كيف تختلط الانساب ٥ في ان الرياسة علي اهل العصبية
لا تكون في غير نسبهم ٥ في ان البيت والشرف بالاصالة لاهل العصبية وبالمجاز والشبه لغيرهم
٥ في ان البيت والشرف للموالي واهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم ٥ في ان نهاية الحسب
في العقب الواحد اربعة اباء ٥ في ان الامم الوحشية اقدر علي التغلب من سواها ٥ في ان الغاية
التي تجري اليها العصبية هي الملك ٥ في ان من عوايق الملك حصول الترف والنعيم للقبيلة
٥ في ان من عوايق الملك حصول المذلة لهم والانقياد لغيرهم وفرض المغارم عليهم ٥ في
ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس ٥ في ان الامة الوحشية يكون ملكها
اوسع ٥ في ان الملك اذا ذهب من امة فقد يعود في شعب اخر منها ان بقي ويكونون اولي به
بذلك الترتيب ٥ في ان المغلوب مولع بالاقتدا بالغالب في شعاره وزيه وساير نحلة وعوايده
٥ في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملكة غيرها اسرع اليها الفناء ٥ في ان العرب لا يتغلبون
الا علي البسايط ٥ في ان العرب اذا تغلبوا علي اوطان اسرع اليها الخراب ٥ في ان العرب
لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين ٥ في ان العرب ابعد
الامم عن سياسة الملك ٥ في ان البادية من القبايل والعصايب مغلوبون لاهل الامصار

**الفصل الثالث** في الدول والخلافة والملك ومراتبها ٥ في ان الملك والدول العامة انما تحصل
بالعصبية والشوكة ٥ في ان الدولة اذا استقرت وتمهدت فقد تستغني عن العصبية ٥ في انه
قد يحدث لاهل النصاب الملكي دولة بغير عصبية وتستغني عنه ٥ في ان الدول العامة البعيدة
الاستيلا اصلها الدين ودعوة الحق ٥ في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة قوة على قوة العصبية
التي لها في الاصل ٥ في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم ٥ في ان كل دولة لها حصة من الممالك
والاوطان لا تزيد عليها ٥ في ان عظم الدولة على نسبة القايمين بها في عددهم ٥ في ان الاوطان
الكثيرة القبايل لا تستحكم فيها دولة ٥ في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد [redacted] ٥
والترف [redacted] وايثار الدعة والسكون ٥ في انه اذا استحكمت طبيعة الملك من حصول
اقبلت الدولة على الهرم ٥ في ان الدول لها اعمار طبيعية كما للاشخاص ٥ في انتقال الدولة من
البداوة الى الحضارة ٥ في ان الترف يزيد الدولة قوة ٥ في اطوار الدولة من البداوة
وما بعدها ٥ في ان اثار الدولة على نسبة قوتها في الاصل ٥ في استظهار صاحب الدولة
بالموالي والمصطنعين على قومه ٥ في احوال الموالي والمصطنعين في الدول ٥ فيما يعرض في
الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه ٥ في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في
اللقب الخاص بالسلطان ٥ في حقيقة الملك واصنافه ٥ في ان ارهاف الحد مضر بالملك
مفسد له ٥ في معنى الخلافة والامامة ٥ في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه
٥ في مذاهب الشيعة في الامامة ٥ في انقلاب الخلافة الى الملك ٥ في معنى البيعة ٥ في ولاية العهد
وفيها الكلام في شان يزيد ووصية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي وايضاح الحق في الحروب
الاسلامية وتنزيه الصحابة والتابعين عما يظن فيهم ٥ في الخطط الدينية الخلافية من الامامة
والفتيا والقضا والعدالة والحسبة والسكة ٥ في اللقب بامير المومنين ٥ في شرح اسم البابا
والبترك عند النصارى والكوهن عند اليهود ٥ في مراتب الملك والسلطان والقابه من الوزارة
والحجابة والجباية والكتابة والشرطة وقيادة الاساطيل ٥ في التفاوت بين مراتب السيف
والقلم في شارات الملك الخاصة به من الالة والسرير والسكة والخاتم والطراز
والفساطيط

١٠٩
والفساطيط والسياج والمقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة ٥ في الحروب وترتيبها عند
الامم ٥ في الجباية وسبب وفورها ونقصها ٥ في ضرب المكوس اواخر الدول ٥ في ان تجارة السلطان
مضرة بالرعايا مفسدة للجباية ٥ في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون وسط الدولة
٥ في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية ٥ في ان الظلم موذن بخراب العمران
٥ في الحجاب كيف يقع في الدول وانه يعظم عند الهرم ٥ في انقسام الدولة بدولتين
٥ في ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع ٥ في ان الدولة المستجدة انما تستولي على الدولة
المستقرة بالمطاولة لا بالمناجزة ٥ [redacted] ٥ في ان وفور العمران اخر الدولة
وكثرة الموتان والمجاعات ٥ في ان العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها امره ٥ في
امر الفاطمي واختلاف الناس في شانه ٥ في حدثان الدول والملاحم والجفر **الفصل الرابع**
في العمران الحضري في البلدان والامصار والمدن ٥ في ان الدول اقدم من الامصار ٥ في
ان الملك يدعو الى الامصار ٥ في ان المدن العظيمة والهياكل انما يشيدها الملك الكبير ٥ في
ان الهياكل العظيمة والمباني لا تستقل الدولة الواحدة بها ٥ في ما يجب مراعاته في
اوضاع المدن ٥ في المساجد والبيوت المعظمة في العالم ٥ في ان الامصار والمدن بافريقية
والمغرب قليلة ٥ في ان المباني والمصانع في الملة قليلة بالنسبة الى من قبلها ٥ في ان المباني التي
تختطها العرب يسرع اليها الخراب ٥ في مبادي الخراب في الامصار ٥ في ان تفاضل الامصار
في الرفه بتفاضل العمران ٥ في الغلاء والرخص في اسعار المدن ٥ في قصور اهل البدو عن سكنى
الامصار ٥ في ان الاقطار تختلف في الرفه كالامصار ٥ في تاثل العقار في الامصار ونمو
قيمته ٥ في حاجة المتمولين من اهل الامصار الى الجاه ٥ في ان الحضارة في الامصار من قبل الدول
وانها ترسخ باتصالها ٥ في ان الحضارة غاية للعمران ونهاية لعمره وموذنة بفساده ٥ في ان الامصار
التي هي كراسي الملك تخرب بخراب الدولة ٥ في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنايع ٥ في وجود العصبية
لاهل الامصار ٥ في لغات اهل الامصار **الفصل الخامس** في المعاش ووجوهه من الكسب والصنايع ٥

١١٩ فصل في كيفية طروق الخلل للدول
١٢١ فصل في اتساع نطاق الدولة اولا الى نهايته ثم تضايقه طورا بعد طور الى فنا الدولة واضمحلالها
١٢٢ فصل في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع
١٤٣ فصل وما يراعى في البلاد الساحلية

في حقيقة الرزق والكسب وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية في وجوه المعاش واصنافه

ه في ان الخدمة للناس ليست من المعاش الطبيعي ه في ان ابتغا الاموال من الدخاير والكنوز

ليس بمعاش طبيعي ه في ان الجاه مفيد للمال ه في ان السعاده والكسب لاهل الخضوع والملق وانها من

اسباب السعادة ه في ان القايمين بوظايف الدين لا ثروة لهم ه في ان الفلاحة من معاش المستضعفين

واهل الخير ه في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها ه في اي اصناف الناس ينتفع بالتجاره وايهم

ينبغي له تركه ه في ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف ه [redacted]

ه في ان الصنايع لابد لها من المعلم ه في ان

الصنايع انما تكمل في العمران الحضري ه في ان رسوخ الصنايع في الامصار برسوخ الحضارة وقدمها

ه في ان الصنايع انما تستجاد وتكثر بكثرة طالبها ه في ان الامصار اذا قاربت الخراب

انتقصت منها الصنايع ه في ان العرب ابعد الناس عن الصنايع ه في ان من حصل له ملكة

في صناعة فقل ان يجيد ملكة في اخرى ه في امهات الصنايع الفلاحة البنا النجارة الحياكة والخياطة

التوليد صناعة الطب وانها ضرورية في الامصار دون البدو ه في ان الخط والكتابة من عداد

الصنايع صناعة الوراقة صناعة الغنا ه في ان الصنايع تكسب صاحبها عقلا وخصوصا

الكتابة والحساب الفصل السادس في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه ه في ان العلم

والتعليم طبيعي للبشر ه في ان تعليم العلم من جملة الصنايع ه في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران والحضارة

ه في اصناف العلوم الواقعة في العمران ه علوم القران القراات الرسم التفسير علوم الحديث

الفقه وما يتبعه من الفرايض ه اصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافيات ه علم الكلام

علم التصوف علم التعبير العلوم العقلية علوم العدد صناعة الحساب الجبر والمقابلة المعاملات

الفرايض الحسابية علوم الهندسة [illegible] المخروطات المساحة المناظر علم الهيئة الازياج

علم المنطق الطبيعيات الطب الفلاحة علم الالهيات علوم السحر والطلسمات علم اسرار الحروف

والكلام على زايرجة العالم المنسوب علم الكيميا ه في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها ه في انكار

ثمرة الكيميا واستحالة وجودها والمفاسد الناشية عنها ه في ان كثرة التواليف عايقة عن التحصيل

في العلوم ه في ان كثرة الاختصارات في العلوم مخلة بالتعليم ه في وجه تعليم العلوم وافادته ه في ان

العلم

العلوم الالية لا توسع فيها المسايل والانظار ه في تعليم الولدان واختلاف طرقه في الامصار

ه في ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم ه في ان الرحلة ولقاء المشيخة مفيد في التعليم

ه في ان العلما من بين البشر ابعد عن السياسة ه في ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم

ه في ان العجمة اذا سبقت الى اللسان قصرت بصاحبها في تحصيل العلوم عن اهل اللسان

العربي ه في علوم اللسان العربي النحو اللغة البيان الادب ه في ان اللغة ملكة

صناعية ه في ان لغة العرب لهذا العهد لغة بنفسها مغايرة للغة مضر وحمير ه في ان

لغة اهل الحضر والامصار لغة بنفسها كذلك ه في تعليم اللسان المضري ه في ان ملكة اللسان

المضري غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم ه في تفسير لفظة الذوق

عند اهل البيان وانه لا يحصل لمن سبقت له عجمة ه في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون

في تحصيل الملكة اللسانية المستفادة بالتعليم ه في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر

ه في انه لا تتفق الاجادة في النظم والنثر الا للاقل ه في صناعة الشعر ووجه تعليمه

ه في ان صناعة النظم والنثر في الالفاظ لا في المعاني ه في ان حصول هذه الملكة بكثرة

الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ ه في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع وكيف جودة المصنوع

او قصوره ه في ترفع اهل المراتب عن انتحال الشعر ه في اشعار العرب واهل الامصار

لهذا العهد ه شعر الجيل العربي ه الموشحات والازجال للاندلسيين ه وصل البلد

المغاربة الموالي ودوبيت لاهل المشرق ه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي وعليه التكلان وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

**يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الغني بلطفه عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي وفقه الله تعالى**

**الحمد لله** الذي له العزة والجبروت • وبيده الملك والملكوت • وله الاسماء الحسنى والنعوت • العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوى او تخفيه السكوت • القادر فلا يعجزه شي في السموات والارض ولا يفوت • انشانا من الارض نسما • واستعمرنا فيها اجيالا وامما • ويسر لنا منها ارزاقا وقسما • تكنفنا الارحام والبيوت • ويكفلنا الرزق والقوت • وتبلينا الايام والوقوت • وتتعاورنا الاجال التي خط علينا كتابها الموقوت وله البقا والثبوت وهو الحي الذي لا يموت **والصلاة** والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي العربي المكتوب في التورية والانجيل المنعوت • الذي تمخض لفصاله الكون قبل ان تتعاقب الاحاد والسبوت • ويتباين زحل والبهموت • وشهد بصدقه الحمام والعنكبوت • وعلى اله واصحابه الذين لهم في محبته واتباعه الاثر البعيد والصيت • والشمل الجميع في مظاهرته ولعدوهم الشمل الشتيت • صلى الله عليه وعليهم ما اتصل للاسلام جده المبخوت • وانقطع بالكفر حبله المبتوت • وسلم كثيرا **اما بعد** فان فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الامم والاجيال • وتشد اليه الركايب والرحال • وتسمو الى معرفته السوقة والاغفال • وتتنافس فيه الملوك والاقيال • وتتساوى في فهمه العلما والجهال • اذ هو في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول • والسوابق من القرون الاول • تنمو فيها الاقوال • وتضرب فيها الامثال • وتطرف بها الاندية اذا غصها الاحتفال • وتودي لنا شان الخليقة كيف تقلبت بها الاحوال • واتسع للدول فيها النطاق والمجال • وعمروا الارض حتى نادى بهم الارتحال • وحان منهم الزوال • وفي باطنه نظر وتحقيق • وتعليل للكاينات ومباديها دقيق • وعلم بكيفيات الوقايع واسبابها عميق • فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق • وجدير بان يعد في علومها وخليق **وان** فحول المورخين في الاسلام قد استوعبوا اخبار الايام وجمعوها • وسطروها في صفحات الدفاتر واودعوها • وخلطها المتطفلون بدسايس من الباطل وهموا فيها او ابتدعوها • وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها • واقتفى تلك الاثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها • وادوها الينا كما سمعوها • ولم يلاحظوا اسباب الوقايع والاحوال ولم يراعوها • ولا رفضوا

ترهات

ترهات الاحاديث ولا دفعوها • فالتحقيق قليل • وطرف التنقيح في الغالب كليل • والغلط والوهم نسيب للاخبار وخليل • والتقليد عريق في الادميين وسليل • والتطفل على الفنون عريض طويل • ومرعى الجهل بين الانام وبيل • والحق لا يقاوم سلطانه • والباطل تقذف بشهاب النظر شيطانه • والناقل انما هو يملي وينقل • والبصيرة تنقد الصحيح اذا تمقل • والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل **هذا** وقد دون الناس في الاخبار واكثروا • وجمعوا تواريخ الامم والدول في العالم وسطروا • والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامانة المعتبرة • واستفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتاخرة • هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الانامل • ولا حركات العوامل • مثل ابن اسحق والطبري وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر الاسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير • المتميزين عن الجماهير • وان كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الاثبات • ومشهور بين الحفظة الثقات • الا ان الكافة اختصوهم بقبول اخبارهم • واقتفاء سننهم في التصنيف واتباع اثارهم • والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون او اعتبارهم • فللعمران طبايع في احواله ترجع اليها الاخبار • وتحمل عليها الروايات والاثار • ثم ان اكثر التواريخ لهولاء عامة المناهج والمسالك • لعموم الدولتين صدر الاسلام في الافاق والممالك • وتناولها البعيد من الغايات في الماخذ والمتارك • ومن هولاء من استوعب ما قبل الملة من الدول والامم • والامر العمم • كالمسعودي ومن نحا منحاه • وجاء من بعدهم من عدل عن الاطلاق الى التقييد • ووقف في العموم والاحاطة عن الشاو البعيد • فقيد شوارد عصره • واستوعب اخبار افقه وقطره • واقتصر على احاديث دولته ومصره • كما فعل ابن حيان مورخ الاندلس والدولة الاموية بها وابن الرقيق مورخ افريقية والدولة التي كانت بالقيروان • ثم لم يات من بعد هولاء الا مقلد • وبليد الطبع والعقل او متبلد • ينسج على ذلك المنوال • ويحتذي منه بالمثال • ويذهل عما احالته الايام من الاحوال • واستبدلت به من عوايد الامم والاجيال • فيجلبون الاخبار عن الدول وحكايات الوقايع في العصور الاول • صورا قد تجردت من موادها • وصفاحا انتضيت من اغمادها • ومعارف تستنكر للجهل طارفها وتلادها • انما هي حوادث لم تعلم اصولها • وانواع لم تعتبر اجناسها ولا تحققت فصولها • يكررون في موضوعاتها الاخبار المتداولة باعيانها • اتباعا لمن عني من المتقدمين بشانها • ويغفلون امر الاجيال الناشية في ديوانها • بما اعوز عليهم من ترجمانها • فتستعجم صحفهم عن بيانها • ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا اخبارها نسقا محافظين على

نقلها وهمًا او صدقًا لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايتها واظهر من آيتها ولا علة الوقوف عند غايتها فيبقى الناظر متطلعًا بعدُ الى مبادي الاحوال ومراتبها مفتشًا عن اسباب تزاحمها او تعاقبها باحثًا عن المقنع في تباينها او تناسبها حسبما نذكر ذلك كله في مقدمة الكتاب ثم جاء اخرون بافراط الاختصار وذهبوا الى الاكتفاء باسماء الملوك والاقتصار مقطوعة عن الانساب والاخبار موضوعة عليها اعداد ايامهم بحروف الغبار كما فعله ابن رشيق في ميزان العمل ومن اقتفى هذا الاثر من الهمل وليس يعتبر لهولاء مقال ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال لما ذهبوا بالفوايد واخلوا بالمذاهب المعروفة والعوايد

ولما طالعت كتب القوم وسبرت غور الامس واليوم نبهت عين القريحة من سنة الغفلة او النوم وسمت التصنيف من نفسي وانا المفلس احسن السوم فانشات في التاريخ كتابا رفعت فيه عن احوال الناشية من الاجيال حجابا وفصلته في الاخبار والاعتبار بابا بابا وابديت فيه لاولية الدول والعمران عللًا واسبابا وبنيته على اخبار الجيلين الذين عمروا المغرب في هذه الاعصار وملؤا اكناف الضواحي منه والامصار وما كان لهم من الدول الطوال او القصار ومن سلف لهم من الملوك والانصار وهما العرب والبربر اذ هما الجيلان اللذان عرف بالمغرب مأواهما وطال فيه على الاحقاب مثواهما حتى لا يكاد يتصور عنه منتواهما ولا يعرف اهله من اجيال الادميين سواهما فهذبت مناحيه تهذيبا وقربته لافهام العلما والخاصة تقريبا وسلكت في تبويبه وترتيبه مسلكا غريبا واخترعته من بين المناحي مذهبا عجيبا وطريقة مبتدعة واسلوبا وشرحت فيه من احوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية ما يمتعك بعلل الكواين واسبابها ويعرفك كيف دخل اهل الدول من ابوابها حتى تنزع من التقليد يدك وتقف على احوال ما قبلك من الايام والاجيال وما بعدك ورتبته على مقدمة وثلاثة كتب

المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالماع بمغالط المورخين

الكتاب الاول في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنايع والعلوم وما لذلك من العلل والاسباب

الكتاب الثاني في اخبار العرب واجيالهم ودولهم منذ مبدا الخليقة الى هذا العهد وفيه الالمام ببعض من عاصرهم من الامم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين والفرس وبني اسرايل والقبط ويونان والترك والروم

الكتاب الثالث في اخبار البربر ومواليهم من زناتة وذكر اوليتهم واجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة

من

من الملك والدول ثم كانت الرحلة الى المشرق لاجتلاء انواره وقضاء الفرض والسنة في مطافه ومزاره والوقوف على اثاره في دواوينه واسفاره فافدت ما نقصني من اخبار ملوك العجم بتلك الديار ودول الترك فيما ملكوه من الاقطار واتبعت بها ما كتبته في تلك الاسطار وادرجتها في ذكر المعاصرين لتلك الاجيال من امم النواحي وملوك الامصار منهم والضواحي سالكا سبيل الاختصار والتلخيص مقتديا بالمرام السهل من العويص داخلا من باب الاسباب على العموم الى الاخبار على الخصوص فاستوعبت اخبار الخليقة استيعابا وذللت من الحكم النافرة صعابا واعطيت لحوادث الدول عللا واسبابا واصبح للحكمة صوانا وللتاريخ جرابا ولما كان مشتملا على اخبار العرب والبربر من اهل المدر والوبر والالمام بمن عاصرهم من الدول الكبر وافصح بالذكرى والعبر في مبتدا الاحوال وما بعدها من الخبر سميته كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ولم اترك شيا في اولية الاجيال والدول وتعاصر الامم الاول واسباب التصرف والحول في القرون الخالية والملل وما يعرض في العمران من دولة وملة ومدينة وحلة وعزة وذلة وكثرة وقلة وعلم وصناعة وكسب واضاعة واحوال متقلبة مشاعة وبدو وحضر وواقع ومنتظر الا واستوعبت جمله واوضحت براهينه وعلله فجاء هذا الكتاب فذا بما ضمنته من العلوم الغريبة والحكم المحجوبة القريبة وانا من بعدها موقن بالقصور بين اهل العصور معترف بالعجز عن المضاء في مثل هذا القضاء راغب من اهل اليد البيضاء والمعارف المتسعة الفضاء النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء والتغمد لما يعثرون عليه بالاصلاح والاغضاء فالبضاعة بين اهل العلم مزجاة والاعتراف من اللوم منجاة والحسنى من الاخوان مرتجاة والله اسال ان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه وهو حسبي ونعم الوكيل

للمورخين صح

الانساب

صح

في صح

## المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالماع بما يعرض للمورخين من المغالط والاوهام وذكر شيء من اسبابها

اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوايد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على احوال الماضين من الامم في اخلاقهم والانبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في احوال الدين والدنيا فهو محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمورخين والمفسرين وائمة النقل المغالط في الحكايات والوقايع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا او سمينا لم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها باشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبايع الكاينات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيدا الوهم والغلط سيما في احصا الاعداد من الاموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات اذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها الى الاصول وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المورخين في جيوش بني اسرائيل وان موسى عليه السلام احصاهم في التيه بعد ان اجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستماية الف او يزيدون ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش لكل مملكة من الممالك حصة من الحامية تتسع لها وتقوم بوظايفها وتضيق عما فوقها تشهد بذلك العوايد المعروفة والاحوال المالوفة ثم ان مثل هذه الجيوش البالغة الى مثل هذا العدد يبعد ان يقع بينها زحف او قتال لضيق ساحة الارض عنها وبعدها اذا اصطفت عن مدى البصر مرتين او ثلاثا او ازيد فكيف يقتتل هذان الفريقان او تكون غلبة احد الصفين وشي من جوانبه لا يشعر بالجانب الاخر والحاضر يشهد لذلك فالماضي اشبه بالآتي من الما بالما ولقد كان ملك الفرس ودولتهم اعظم من ملك بني اسرائيل بكثير يشهد لذلك ما كان من غلب بختنصر لهم والتهامه بلادهم واستيلايه على امرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض عمال مملكة فارس يقال انه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت ممالكهم بالعراقين وخراسان وما ورا النهر والابواب اوسع من ممالك بني

اسرائيل

اسرائيل بكثير ومع ذلك فلم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريبا منه واعظم ما كانت جموعهم بالقادسية ماية الف وعشرين الفا كلهم متبوع على ما نقله سيف قال وكانوا في اتباعهم اكثر من مايتي الف وعن عايشة والزهري ان جموع رستم التي زحف بها لسعد بالقادسية انما كانوا ستين الفا كلهم متبوع وايضا فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لاتسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم فان العمالات والممالك في الدول على نسبة الحامية والقبيل القايمين بها في قلتها وكثرتها حسبما نبين في فصل الممالك من الكتاب الاول والقوم لم تتسع ممالكهم الى غير الاردن وفلسطين من الشام وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف وايضا فالذي بين موسى واسرائيل انما هو ثلاثة ابا على ما ذكره المحققون فان موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بفتح الها وكسرها ابن لاوي بكسر الواو وفتحها ابن يعقوب وهو اسرائيل الله هكذا نسبه في التورية والمدة بينهما على ما نقله المسعودي قال دخل اسرائيل مصر مع ولده الاسباط واولادهم حين اتوا الى يوسف سبعين نفسا وكان مقامهم بمصر الى ان خرجوا مع موسى عليه السلام الى التيه مايتين وعشرين سنة تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة ويبعد ان يتشعب النسل في اربعة اجيال الى مثل ذلك العدد وان زعموا ان عدد تلك الجيوش انما كان في زمن سليمان عليه السلام ومن بعده فيبعد ايضا اذ ليس بين سليمان واسرائيل الا احد عشر ابا فان سليمان بن داود بن ايشا بن عوبذ ويقال عوفذ بن باعز ويقال بوعز بن سلمون بن نحشون بن عميناذاب ويقال حميناذب بن رام بن حصرون ويقال حسرون بن بارس ويقال بيرص بن يهوذا بن يعقوب ولا يتشعب النسل في احد عشر من الولد الى مثل هذا العدد الذي زعموه اللهم الى المئين والالاف فربما يكون واما ان يتجاوز الى ما بعدهما من عقود الاعداد فبعيد واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا والذي ثبت في الاسراييليات ان جنود سليمان كانت اثني عشر الفا خاصة وان مقرباته كانت الفا واربعماية فرس مرتبطة على ابوابه هذا هو الصحيح من اخبارهم ولا يلتفت الى خرافات العامة منهم وفي ايام سليمن عليه السلام كان عنفوان دولتهم واتساع ملكهم هذا وقد نجد الكافة من اهل العصر اذا افاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم او قريبا منه وتفاوضوا في الاخبار عن جيوش المسلمين او النصارى او اخذوا في احصا اموال الجبايات وخراج السلطان ونفقات المترفين وبضايع الاغنيا الموسرين توغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوايد وطاوعوا وساوس الاغراب فاذا استكشف اصحاب الدواوين عن عساكرهم واستنبطت احوال اهل الثروة في بضايعهم وفوايدهم واستجليت عوايد المترفين في

تنقلاتهم لم تجد معشار ما يعدونه وما ذلك الا لولوع النفس بالغرائب وسهولة
التجاوز على اللسان والغفلة عن المتعقب والمنتقد حتى لا يحاسب نفسه على خطا ولا عمد
ولا يطالبها في الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها الى بحث وتفتيش فيرسل عنانه
ويسيم في مراتع الكذب لسانه ويشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الحق وحسبك
بها صفقة خاسرة وقد يقال ان العوائد انما تمنع من نمو الذرية الى مثل هذا
العدد في غير بني اسرائيل لان ذلك كان معجزة على ما نقل انه كان فيما اوحى
الى ابائهم من الانبيا ابرهيم واسحق ويعقوب صلوات الله عليهم ان الله يكثر ذريتهم
حتى يكاثر بنجوم السما وحصى الارض فانجز الله لهم هذا الوعد كرامة لهم ومعجزة
خارقة للعادة في حقهم فلا تعترضه العوايد ولا يطعن فيه احد وان عارض احد بالطعن
على خبر ذلك وانه انما ورد في التورية واليهود قد بدلوها على ما هو معروف فالمعول
بهذا التبديل مرجوح عند المحققين وليس على ظاهره لان العادة مانعة من ح
اعتماد اهل الاديان ذلك في كتبهم الالهية كما ذكره البخاري في صحيحه فيكون هذا النمو
الكثير في بني اسرائيل معجزة خارقة للعادة وتبقى العادة مانعة من ذلك في
غيرهم على حكم دلالتها واما استبعاد الزحف بينهم فصحيح لكنه لم يقع ولم تدع اليه
حاجة والاختصاص كل مملكة بجندها من الحامية صحيح وبنو اسرائيل لم يكونوا اولا
حامية ولم يكن لهم دولة وانما نموا هذا النمو ليستولوا على ارض كنعان التي وعدهم
الله بها وطهر لهم بقعتها وكل هذه معجزات والله الهادي الى الحق ومن الحكايات
المدخولة للمورخين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامكة من قصة
العباسة اخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وانه لكلفه بمكانهما من معاقرته اياهما
الخمر اذن لهما في عقد النكاح دون الخلوة حرصا على اجتماعهما في مجلسه وان العباسة
تحيلت عليه في التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى واقعها في حالة سكر فحملت
ووشي بذلك للرشيد فاستغضب وهيهات ذلك من منصب العباسة
في دينها وابويها وجلالها وانها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه الا
اربعة رجال هم اشراف الدين وعظما الملة من بعده العباسة بنت محمد المهدي
ابن عبد الله ابي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن علي ابي الخلفا بن عبد الله ترجمان
القران بن العباس عم النبي عليه الصلاة والسلام بنت خليفة اخت خليفة محفوفة
بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته وامامة الملة ونور الوحي
ومهبط الملائكة من سائر جهاتها قريبة عهد ببداوة العروبية وسذاجة الدين
البعيدة عن عوايد الترف ومراتع الفواحش فاين يطلب الصون والعفاف
اذا ذهب عنها او اين توجد الطهارة والزكا اذا فقد من بيتها وكيف تلحم نسبها
بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولى من موالي العجم بملك جده من الفرس





يتصل بالتخريج في الصفح الايمن في السطر السابع عشر بعد قوله

ومن الاخبار الواهية للمورخين ما ينقلونه كافة في اخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب
انهم كانوا يغزون من قرارهم باليمن الى افريقية والبربر من بلاد المغرب وان افريقش بن قيس بن صيفي
من اعاظم ملوكهم الاول وكان لعهد موسى عليه السلام او قبله بقليل غزا افريقية واثخن في البربر وانه الذي
سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال ما هذه البربرة فاخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ وانه لما
انصرف عن المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فاقاموا بها واختلطوا باهلها ومنهم صنهاجة وكتامة
ومن هذا ذهب الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والبيهقي الى ان صنهاجة وكتامة من حمير
ويأباه نسابة البربر وهو الصحيح وذكر المسعودي ايضا ان ذا الاذعار من ملوكهم بعد افريقش وكان
على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب ودوخه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وانه بلغ وادي الرمل
من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل فرجع وكذلك يقولون في تبع الاخر وهو اسعد ابو كرب
وكان على عهد يستاسب من ملوك الفرس الكينية انه ملك الموصل واذربيجان ولقي الترك فهزمهم واثخن
فيهم ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك وانه بعد ذلك اغزى ثلاثة من بنيه الى بلاد فارس والى بلاد
الصغد من امم الترك وراء النهر والى بلاد الروم فملك الاول البلاد الى سمرقند وقطع المفازة الى
الصين فوجد اخاه الثاني الذي غزا الى الصغد قد سبقه اليها فاثخنا في بلاد الصين ورجعا
جميعا بالغنائم وتركوا ببلاد التبت قبائل من حمير فهم بها لهذا العهد وبلغ الثالث الى قسطنطينية
فحاصرها ودوخ بلاد الروم ورجع وهذه الاخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة في الوهم والغلط
واشبه باحاديث القصاص الموضوعة وذلك ان ملك التبابعة انما كان بجزيرة العرب وقرارهم
وكرسيهم بصنعاء اليمن وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلث جهاتها فبحر الهند من الجنوب
وبحر فارس الهابط منه الى البصرة من المشرق وبحر السويس الهابط منه ايضا الى السويس من
اعمال مصر من جهة المغرب كما تراه في مصور الجغرافيا فلا يجد السالك من اليمن الى المغرب طريقا من غير
السويس والمسلك هنالك ما بين بحر السويس والبحر الشامي قدر مرحلتين فما دونهما ويبعد ان يمر
بهذا المسلك ملك عظيم في عساكر موفورة من غير ان تصير من اعماله هذا ممتنع في العادة وقد كان بتلك
الاعمال العمالقة وكنعان بالشام والقبط بمصر ثم ملك العمالقة مصر وملك بنو اسرائيل الشام ولم ينقل
قط ان التبابعة حاربوا احدا من هولاء الامم ولا ملكوا شيئا من تلك الاعمال وايضا فالشقة
من اليمن الى المغرب بعيدة والازودة والعلوفة للعساكر كثيرة فاذا ساروا في غير اعمالهم احتاجوا الى
انتساف الزرع والنعم وانتهاب البلاد فيما يمرون عليه ولا يكفي ذلك للازودة والعلوفة عادة وان نقلوا
كفايتهم من ذلك من اعمالهم فلا تفي لهم الرواحل بنقله فلا بد وان يمروا في طريقهم كلها باعمال قد ملكوها
ودوخوها لتكون الميرة منها وان قلنا ان تلك العساكر تمر بهولاء الامم من غير ان تهيجهم فتحصل لهم الميرة
بالمسالمة فذلك ابعد واشد امتناعا فدل على ان هذه الاخبار واهية او موضوعة واما وادي
الرمل الذي يعجز السالك فلم يسمع قط ذكره في المغرب على كثرة سالكه ومن يقص طرقه من الركاب
والقرى في كل عصر وكل جهة وهو على ما ذكروه من الغرابة مما تتوفر الدواعي على نقله واما غزوهم
بلاد المشرق وارض الترك وان كانت طريقه اوسع من مسلك السويس الا ان الشقة هنا ابعد

... فارس والروم والترك ... يغزون ويعترضون فيما دون [illegible] ولم ينقل قط ان التبابعة ملكوا بلاد فارس [illegible] وانما كانوا يحاربون اهل فارس على حدود ارض العراق والحيرة [illegible] الناحية بينها وبين [illegible] الاصغر [illegible] ملوك الطوائف بعد الكيانية [illegible] بلاد الترك والتبت [illegible] ومثل ما ينقلونه في تفسير سورة الفجر في قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد فيجعلون لفظة ارم اسما لمدينة وصفت بانها ذات العماد اي الاساطين وينقلون انه كان لعاد بن عوص بن ارم ابنان هما شديد وشداد ملكا من بعده وهلك شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع وصف الجنة فقال لابنين مثلها فبنى مدينة ارم في صحاري عدن في مدة ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الشجر والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته حتى اذا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم ذكر ذلك الطبري والثعالبي والزمخشري وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه وبلغ خبره معاوية فاحضره وقص عليه فبحث عن كعب الاحبار وساله عن ذلك فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الارض وصحاري عدن التي زعموا انها بنيت فيها هي في وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا والادلاء تقص طرقه من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها احد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست فيما درس من الاثار لكان اشبه الا ان ظاهر كلامهم انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملكوها وقد ينتهي الهذيان ببعضهم الى انها غائبة وانما يعثر عليها اهل الرياضة والسحر مزاعم كلها اشبه بالخرافات والذي حمل المفسرين على ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب في لفظة ذات العماد انها صفة ارم وحملوا العماد على الاساطين فتعين ان يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات التي هي اشبه بالاقاصيص الموضوعة التي هي اقرب الى الكذب المنقولة في عداد المضحكات [illegible]

او تولاه جدهما من عمومة الرسول واشراف قريش وكتابه ان جذبت اولئهم بضبع وضبع ابيه واستخلصهم ورقاهم الى منازل التشريف وكيف يسوغ من الرشيد ان يصهر الى موالي الاعاجم على بعد همته وعظم ابايه ولو نظر المتامل في ذلك نظر المنصف وقاس العباسة بابنة ملك من اعاظم ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالي دولتها وفي سلطان قومها واستنكره ولج في تكذيبه واين قدر العباسة والرشيد من الناس وانما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجانهم اموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره وشركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في امور ملكه فعظمت اثارهم وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤسا من ولدهم وصنايعهم واحتازوها عمن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم يقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها اهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لمكان ابيهم يحيى من كفالة هرون ولي عهد وخليفة حتى شب في حجره ودرج من عشه وغلبه على امره وكان يدعوه يا ابت فتوجه الايثار من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانبسط الجاه عندهم وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الامال وتخطت اليهم من اقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الامرا وتسربت الى خزاينهم في سبيل التزلف والاستمالة اموال الجباية وافاضوا في رجال الشيعة وعظما القرابة العطاء وطوقوهم المنن وكسبوا من بيوتات الاشراف المعدم وفكوا العاني ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم واسنوا لعفاتهم الجوايز والصلات واستولوا على القرى والضياع من الضواحي والامصار في ساير الممالك حتى اسفوا البطانة واحقدوا الخاصة واغصوا اهل الولاية فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد ودبت الى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان بنو قحطبة اخوال جعفر من اعظم الساعين عليهم لم تعطفهم لما وقر في نفوسهم من الحسد عواطف الرحم ولا وزعتهم اواصر القرابة وقارن ذلك عند مخدومهم نواشي الغيرة والاستنكاف من الحجر والانفة وكامن الحقود التي بعثتها منهم صغاير الدالة وانتهى بها الاصرار على شانهم الى كباير المخالفة كقصتهم في يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب اخي محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخارج على المنصور ويحيى هذا هو الذي استنزله الفضل بن يحيى من بلاد الديلم على امان الرشيد بخطه وبذل لهم فيه الف الف درهم على ما ذكره الطبري ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بداره والى نظره فحبسه مدة ثم حملته الدالة

على تخلية سبيله والاستبداد بحل عقاله حرماً لدماء اهل البيت بزعمه ودالة على
السلطان في حكمه وساله الرشيد عنه لما وشي به اليه فتفطن وقال اطلقته فابدى
لوجه الاستحسان واسرها في نفسه فاوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى ثل
عرشهم وانكفت عليهم سماؤهم وخسفت الارض بهم وبدارهم وذهبت سلفاً
ومثلاً للآخرين ايامهم ومن تامل اخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم
وجد ذلك محقق الاثر ممهد الاسباب وانظر ما نقله ابن عبد ربه في مفاوضة
الرشيد عم جده داود بن علي في شان نكبتهم وما ذكره في باب الشعراء من كتاب
العقد في محاورة الاصمعي للرشيد وللفضل بن يحيى في سمرهم تتفهم انه انما
قتلهم الغيرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة فمن دونه وكذلك ما تحيل به
اعداؤهم من البطانة فيما دسوه للمغنين من الشعر احتيالاً على اسماعه للخليفة وتحريك
حفائظه لهم وهو قوله

ليت هنداً انجزتنا ما تعد … وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة … انما العاجز من لا يستبد

وان الرشيد لما سمعها قال اي والله عاجز حتى بعثوا بامثال هذه كامن غيرته
وسلطوا عليهم باس انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال واما
ما تموه به الحكاية من معاقرة الرشيد للخمر واقتران سكره بسكر الندمان
فحاش لله ما علمنا عليه من سوء واين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب
لمنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء
ومحاورته للفضيل بن عياض وابن السماك والعمري ومكاتبته سفيان
وبكائه من مواعظهم ودعائه بمكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظة
على اوقات الصلوات وشهود الصبح لاول وقتها حكى الطبري وغيره انه
كان يصلي كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاماً ويحج عاماً ولقد
زجر ابن ابي مريم مضحكه في سمره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه
يقرا ومالي لا اعبد الذي فطرني فقال والله لا ادري لم فما تمالك الرشيد
ان ضحك ثم التفت اليه مغضباً وقال يا ابن ابي مريم في الصلاة ايضاً اياك
اياك والقرآن والدين ولك ما شئت بعدهما وايضاً فقد كان من العلم والسذاجة
بمكان لقرب عهده من سلفه المنتحلين لذلك ولم يكن بينه وبين جده ابي جعفر
بعيد زمن انما خلفه غلاماً وقد كان ابو جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافة
وبعدها وهو القائل لمالك حين اشار عليه بتاليف الموطا يا ابا عبد الله
انه لم يبق على وجه الارض اعلم مني ومنك واني قد شغلتني الخلافة فضع
انت للناس كتاباً ينتفعون به تجنب فيه رخص ابن عباس وشدائد ابن عمر ووطئه

للناس

للناس توطئة قال مالك فوالله لقد علمني التصنيف يومئذ ولقد ادركه ابنه المهدي
ابو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال ودخل
عليه يوماً وهو بمجلسه يباشر الخياطين في ارقاع الخلقان من ثياب عياله فاستنكف
المهدي من ذلك وقال يا امير المؤمنين علي كسوة هذا العيال عامنا هذا من عطائي فقال
لك ذلك ولم يصده عنه ولا سمح بالانفاق من اموال المسلمين فكيف يليق بالرشيد
على قرب العهد من هذا الخليفة وابوته وما ربي عليه من امثال هذه السير في اهل بيته
والتخلق بها ان يعاقر الخمر او يجاهر بها وقد كانت حال الاشراف من العرب
الجاهلية في اجتناب الخمر معلومة ولم يكن الكرم شجرتهم وكان شربها مذمة عند
الكثير منهم والرشيد وآباؤه كانوا على ثبج من اجتناب المذمومات في دينهم ودنياهم
والتخلق بالمحامد واوصاف الكمال ونزعات العرب وانظر ما نقله الطبري
والمسعودي في قصة جبريل بن بختيشوع الطبيب حين احضر له السمك في مائدته
فحماه عنه ثم امر صاحب المائدة بحمله الى منزله وفطن الرشيد وارتاب به
ودس خادمه حتى عاينه يتناوله فاعد ابن بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك
في ثلاثة اقداح خلط احداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلواء
وصب على الثانية ماء مثلجاً وعلى الثالثة خمراً صرفاً وقال في الاول والثاني
هذا طعام امير المؤمنين ان خلط السمك بغيره او لم يخلط وقال في الثالثة هذا
طعام ابن بختيشوع ودفعها الى صاحب المائدة حتى اذا انتبه الرشيد واحضره
للتوبيخ احضر الاقداح فوجد صاحب الخمر قد اختلط وامّاع وتفتت ووجد الاخريين
قد فسدا وتغيرت رائحتهما فكانت له في ذلك معذرة وتبين من ذلك ان حال
الرشيد في اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطانته واهل مائدته ولقد ثبت عنه انه عهد
بحبس ابي نواس لما بلغه من انهماكه في المعاقرة حتى تاب واقلع وانما كان الرشيد
يشرب نبيذ التمر على مذهب اهل العراق وفتاويهم فيها معروفة واما الخمر الصرف من العنب
فلا سبيل الى اتهامه به ولا تقليد الاخبار الواهية فيها فلم يكن الرجل بحيث
يواقع محرماً من اكبر الكبائر عند اهل الملة ولقد كان اولئك القوم كلهم بمنجاة من خلق
السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة
البداوة وسذاجة الدين التي لم يفارقوها بعد فما ظنك بما يخرج عن الاباحة الى الحظر
وعن الحلية الى الحرمة ولقد اتفق المؤرخون الطبري والمسعودي وغيرهما على ان جميع من
سلف من خلفاء بني امية وبني العباس انما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة
من الفضة في المناطق والسيوف واللجم والسروج وان اول خليفة احدث
الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم ايضاً
في ملابسهم فما ظنك بمشاربهم ويتبين ذلك باتم من هذا اذا فهمت طبيعة الدولة

الى اول احوال البداوة والخصاصة كما نشرح في مسايل الكتاب الاول ان شا الله تعالى
**ويناسب هذا** او قريب منه ما ينقلونه كافة عن يحيى بن اكثم قاضي المامون
وصاحبه وانه كان يعاقر المامون الخمر وانه سكر ليلة مع شربه فدفن في الريحان حتى افاق وينشدون
على لسانه  يا سيدي وامير الناس كلهم  قد جار في حكمه من كان يسقيني
اني غفلت عن الساقي فصيرني  كما تراني سليب العقل والدين
وحال ابن اكثم والمامون في ذلك من حال الرشيد وشرب هولاء انما كان النبيذ ولم يكن محظورا
عندهم واما السكر فليس من شانهم وصحابته للمامون انما كانت خلة في الدين ولقد ثبت
انه كان ينام معه في البيت ونقل من فضايل المامون وحسن عشرته انه انتبه ذات ليلة
فقام يتحسس ويتلمس الانا مخافة ان يوقظ يحيى بن اكثم وثبت انهما كانا يصليان الصبح
جميعا فاين هذا من المعاقرة وايضا فيحيى بن اكثم كان من اهل الحديث وقد اثنى عليه الامام
احمد بن حنبل والقاضي اسمعيل وخرج عنه الترمذي كتابه الجامع وذكر الحافظ المزي
ان البخاري روى عنه في غير الجامع فالقدح فيه قدح في جميعهم وكذلك ينبزه المجان
بالميل الى الغلمان بهتانا على الله وفرية على العلما ويستندون في ذلك الى اخبار
القصاص الواهية التي لعلها من افترا اعدايه فانه كان محسدا في كماله وخلته
للسلطان وكان مقامه من العلم والدين منزها عن مثل ذلك وقد ذكر لابن حنبل
ما يرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله من يقول هذا وانكر ذلك انكارا شديدا
واثنى عليه اسمعيل القاضي فقيل له ما كان يقال فيه فقال معاذ الله ان تزول
عدالة مثله بتكذيب باغ وحاسد وقال ايضا يحيى بن اكثم ابرا الى الله من ان يكون فيه شي
مما كان يرمى به من امر الغلمان ولقد كنت اقف على سرايره فاجده شديد الخوف لله
لكنه كانت فيه دعابة وحسن خلق فرمي بما رمي به وذكره ابن حبان في الثقات
وقال لا يشتغل بما يحكى عنه لان اكثرها لا يصح عنه **ومن امثال هذه الحكايات**
ما نقله ابن عبد ربه صاحب العقد من حديث الزنبيل في سبب اصهار المامون
الى الحسن بن سهل في بنته بوران وانه عثر في بعض الليالي في تطوافه بسكك بغداد
بزنبيل مدلى من بعض السطوح بمعالق وجدل مغارة الفتل من الحرير فاقتعده
وتناول المعالق فاهتزت وذهب به صعدا الى مجلس شانه كذا ووصف
من زينة فرشه وتنضيد انيته وجمال رواه ما يستوقف الطرف ويملك
النفس وان امراة برزت له من خلل الستور في ذلك المجلس رايعة الجمال فتانة
المحاسن فحيته ودعته الى المنادمة فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع
الى اصحابه بمكانهم من انتظاره وقد شغفته حبا بعثه على الاصهار الى ابيها
واين هذا كله من حال المامون المعروفة في دينه وعلمه واقتفايه سنن الخلفا
الراشدين من اباه واخذه بسيرة الخلفا الاربعة اركان الملة ومناظرته للعلما

وحفظه

وحفظه لحدود الله في صلواته واحكامه فكيف تصح عنه احوال الفساق المستهترين
في التطواف بالليل وطروق المنازل وغشيان السمر سبيل عشاق الاعراب
واين ذلك من منصب ابنة الحسن بن سهل وشرفها وما كان بدار ابيها من الصون
والعفاف وامثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المورخين معروفة وانما
يبعث على وضعها والحديث بها الانهماك في اللذات المحرمة وهتك قناع المخدرات
ويتعللون بالتاسي بالقوم فيما ياتونه من طاعة لذاتهم فلذلك تراهم كثيرا ما يلهجون باشباه
هذه الاخبار وينقرون عنها عند تصفحهم لاوراق الدواوين ولو ايتسوا بهم في غير
هذا من احوالهم وصفات الكمال اللايقة بهم المشهورة عنهم لكان خيرا لهم لو كانوا
يعلمون **ولقد** عذلت يوما بعض الامرا من ابنا الملوك في كلفه
بتعلم الغنا وولوعه بالاوتار وقلت له ليس هذا من شانك ولا يليق بمنصبك
فقال لي افلا ترى الى ابرهيم بن المهدي كيف كان امام هذه الصناعة ورييس
المغنين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلا تاسيت بابيه او اخيه او ما
رايت كيف قعد ذلك بابرهيم عن مناصبهم فصم عن عذلي واعرض **ومن**
الاخبار الواهية ما يذهب اليه الكثير من المورخين في العبيديين خلفا الشيعة
بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن اهل البيت صلوات الله عليهم والطعن في نسبهم
الى اسمعيل الامام بن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك على احاديث لفقت
للمستضعفين من خلفا بني العباس تزلفا اليهم بالقدح فيمن ناصبهم وتفننا
في الشمات بعدوهم حسبما نذكر في بعض الاحاديث في اخبارهم ويغفلون
عن التفطن لشواهد الواقعات وادلة الاحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب
دعواهم والرد عليهم فانهم متفقون في حديثهم عن مبدا دولة الشيعة ان ابا عبد الله
المحتسب لما دعا بكتامة للرضى من ال محمد واشتهر خبره وعلم تحويمه على عبيد الله
المهدي وابنه ابي القسم خشيا على انفسهما فهربا من المشرق محل الخلافة واجتازا
بمصر وانهما خرجا من الاسكندرية في زي التجار ونمي خبرهما الى عيسى النوشري عامل
مصر والاسكندرية فسرح في طلبهما الخيالة حتى اذا ادركا خفي حالهما على تابعهما
بما لبسوا به من الشارة والزي فافلتوا الى المغرب وان المعتضد اوعز الى
الاغالبة امرا افريقية بالقيروان وبني مدرار امرا سجلماسة باخذ الافاق عليهما واذكا
العيون في طلبهما فعثر اليسع صاحب سجلماسة من ال مدرار على خفي مكانهما ببلده
واعتقلهما مرضاة للخليفة هذا قبل ان تظهر الشيعة على الاغالبة بالقيروان ثم
كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بافريقية والمغرب ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم
بمصر والشام والحجاز وقاسموا بني العباس في ممالك الاسلام شق الابلمة وكادوا
يلجون عليهم مواطنهم ويديلون من امرهم ولقد اظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الامير

امر آخر

البسسري من موالي الديلم المتغلبين على خلفاء بني العباس في مغاضبة جرت بينه
وبين العجم وخطب لهم على منابرها حولا كريتا ومازال بنو العباس يغصون بمكانهم
ودولتهم وملوك بني امية وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم وكيف يقع هذا
كله لدعي في النسب مكذب في انتحال الامر واعتبر حال القرمطي اذ كان دعيا في
انتسابه كيف تلاشت دعوته وتفرق اتباعه وظهر سريعا على خبثهم ومكرهم
فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال امرهم ولو كان امر العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة

ومهما تكن عند امرئ من خليقة    وان خالها تخفى على الناس تعلم

فقد اتصلت دولتهم نحوا من مايتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم ومصلاه
وموطن الرسول ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ثم انقرض امرهم وشيعتهم
في ذلك كله على اتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والحب فيهم واعتقادهم
بنسب الامام اسمعيل بن جعفر الصادق ولقد خرجوا مرارا بعد ذهاب الدولة
ودروس اثرها داعين الى بدعتهم هاتفين باسماء صبيان من اعقابهم يزعمون
استحقاقهم للخلافة ويذهبون الى تعيينهم بالوصية ممن سلف قبلهم الائمة ولو ارتابوا
في نسبهم لما ركبوا اعناق الاخطار في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلبس
في امره ولا يشبه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما ينتحله والعجب من القاضي ابي بكر
الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين يجنح الى هذه المقالة المرجوحة ويرى هذا الراي
الضعيف فان كان ذلك لما كانوا عليه من الالحاد في الدين والتعمق في الرافضية
فليس ذلك بدافع في صدر بدعتهم وليس اثبات منتسبهم بالذي يغني عنهم من
الله شيئا في كفرهم فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شان ابنه انه ليس من اهلك
انه عمل غير صالح فلا تسالن ما ليس لك به علم وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة يعظها
يا فاطمة اعملي فلن اغني عنك من الله شيئا ومتى عرف امرؤ قضية او استيقن
امرا وجب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقوم كانوا في
مجال لظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعتهم وانتشارهم في القاصية
بدعوتهم وتكرر خروجهم مرة بعد اخرى فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل

فلو تسأل الايام ما اسمي ما درت    واين مكاني ما عرفن مكاني

حتى لقد سمي محمد بن اسمعيل الامام جد عبيد الله المهدي بالمكتوم سمته بذلك شيعتهم
لما اتفقوا عليه من اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم فتوصل شيعة آل العباس
بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدلفوا بهذا الراي الفائل الى
المستضعفين من خلفائهم واعجب به اولياؤهم وامراء دولتهم المتولون لحروبهم
مع الاعداء يدفعون به عن انفسهم وسلطانهم معرة العجز عن المقاومة
والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتاميين شيعة العبيديين

واهل

واهل دعوتهم حتى لقد اسجل القضاة ببغداد بنفيهم عن هذا النسب وشهد بذلك
عندهم من اعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضي واخوه المرتضى وابن البطحاوي
ومن العلماء ابو حامد الاسفرايني والقدوري والصيمري وابن الاكفاني والابيوردي
وابو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من اعلام الامة ببغداد في يوم مشهود
وذلك سنة اثنتين واربعمائة في ايام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما
اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بني العباس الطاعنون في هذا
النسب فنقله الاخباريون كما سمعوه ورووه حسبما وعوه والحق من ورائه وفي كتاب
المعتضد في شان عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة اصدق شاهد
واوضح دليل على صحة نسبهم فالمعتضد اقعد بنسب اهل البيت من كل احد والدولة والسلطان
سوق للعالم تجلب اليه بضائع العلوم والصنائع وتلتمس فيه ضوال الحكم وتحدى اليه
ركائب الروايات والاخبار وما نفق فيها نفق عند الكافة فان تنزهت الدولة عن
التعسف والميل والافن والسفسفة وسلكت النهج الامم ولم تجر عن قصد السبيل
نفق في سوقها الابريز الخالص واللجين المصفى وان ذهبت مع الاغراض والحقود
وماجت بسماسرة البغي والباطل نفق البهرج والزائف والناقد البصير قسطاس
نظره وميزان بحثه وملتمسه **ومثل** هذا او ابعد منه كثيرا ما يتناجى به
الطاعنون في نسب ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي
ابن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين الامام بعد ابيه بالمغرب الاقصى ويعرضون
تعريض الحد بالتظني في الحمل المخلف عن ادريس الاكبر انه لراشد مولاهم قبحهم
الله وابعدهم ما اجهلهم اما يعلمون ان ادريس الاكبر كان اصهاره في البربر وانه
منذ دخل المغرب الى ان توفاه الله عز وجل عريق في البدو وان حال البادية في كل
ذلك غير خافية اذ لا مكامن لهم يتاتى فيها الريب واحوال حرمهم اجمعين بمرأى من
جاراتهن ومسمع من جيرانهن لتلاصق الجدران وتطامن البناء وعدم الفواصل
بين المساكن وقد كان راشد يتولى خدمة الحرم اجمع من بعد مولاه بمشهد من
اوليائهم وشيعتهم ومراقبة من كافتهم وقد اتفق برابرة المغرب الاقصى عامة
على بيعة ادريس الاصغر من بعد ابيه واتوه طاعتهم عن رضى واصفاق
وبايعوه على الموت الاحمر وخاضوا دونه بحار المنايا في حروبه وغزواته ولو حدثوا
انفسهم بمثل هذه الريبة او قرعت اسماعهم ولو من عدو كاشح او منافق مرتاب
لتخلف عن ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه الكلمات من بني العباس
اقتالهم ومن بني الاغلب عمالهم كانوا بافريقية وولاتهم وذلك انه لما فر
ادريس الاكبر الى المغرب من وقعة فخ اوعز الهادي الى الاغالبة ان يقعدوا
له بالمرصاد ويذكوا عليه العيون فلم يظفروا به وخلص الى المغرب فتم امره وظهرت

دعوته وظهر الرشيد من بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الاسكندرية
من دسيسة التشيع للعلوية وادهانه في نجاة ادريس الى المغرب فقتله ودس الشماخ
من موالي ابيه للتحيل على قتل ادريس فاظهر اللحاق به والبراة من بني العباس مواليه
فاشتمل عليه ادريس وخلطه بنفسه وناوله الشماخ في بعض خلواته سما استهلكه
به ووقع خبر مهلكه من بني العباس احسن المواقع لما رجوه من قطع اسباب الدعوة العلوية
بالمغرب واقتلاع جرثومتها ولما تادى اليهم خبر الحمل المخلف لادريس فلم يكن الا كلا ولا
واذا بالدعوة قد عادت والشيعة بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادريس بن ادريس تجددت
فكان ذلك عليهم انكى من وقع السهام وكان الفشل والهرم قد نزل بدولة العرب
عن ان يسموا الى القاصية فلم يكن منتهى قدرة الرشيد على ادريس الاكبر بمكانه من
قاصية المغرب واشتمال البربر عليه الا التحيل في اهلاكه بالسموم فعند ذلك
فزعوا الى اوليائهم من الاغالبة بافريقية في سد تلك الفرجة من ناحيتهم وحسم
الدا المتوقع بالدولة من قبلهم واقتلاع تلك العروق قبل ان تشج منهم يخاطبهم
بذلك المامون ومن بعده من خلفائهم فكان الاغالبة عن برابرة المغرب الاقصى
اعجز ولمثلها من الزبون على ملوكهم احوج لما طرق الخلافة من انتزاء المماليك
العجم على سدتها وامتطاهم صهوة التغلب عليها وتصريفهم احكامها طوع اغراضهم
في رجالها وجبايتها واهل خططها وسائر نقضها وابرامها كما قال شاعر عصرهم

خليفة في قفص بين وصيف وبغا يقول ما قالا له كما تقول الببغا

فخشي هولا الامرا الاغالبة بوادر السعايات وتلوذوا بالمعاذير فطورا باحتقار
المغرب واهله وطورا بالارهاب بشان ادريس الخارج به ومن قام من اعقابه يخاطبونهم
بتجاوزه حدود التخوم من عمله وينفذون سكته في تحفهم وهداياهم ومرتفع جباياتهم
تعريضا باستفحاله وتهويلا باشتداد شوكته وتعظيما لما دفعوا اليه من مطالبته
ومراسه وتهديدا بقلب الدعوة ان الجيوا اليه وطورا يطعنون في نسب ادريس
بمثل ذلك الطعن الكاذب تخفيضا لشانه لا يبالون بصدقه من كذبه لبعد المسافة
وافن عقول من خلف من صبية بني العباس ومماليكهم العجم في القبول من كل قايل والسمع
لكل ناعق ولم يزل هذا دابهم حتى انقضى امر الاغالبة فقرعت هذه الكلمة الشنعا
اسماع الغوغا وصر عليها بعض الطاعنين اذنه واعتدها ذريعة الى النيل من خلفهم
عند المنافسة وما لهم قبحهم الله والعدول عن مقاصد الشريعة ولا تعارض
فيها بين المقطوع والمظنون وادريس ولد على فراش ابيه والولد للفراش على ان
تنزيه اهل البيت عن مثل هذا من عقايد الايمان فالله سبحانه قد اذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا ففراش ادريس طاهر من الدنس ومنزه عن الرجس
بحكم القران ومن اعتقد خلاف هذا فقد باء باثمه وولج الكفر من بابه وانما اطنبت

في هذا الرد سد الابواب الريب ودفعا في صدر الحاسد لما سمعته اذناي من قايله
المعتدي عليهم القادح في نسبهم بفريته وينقله بزعمه عن بعض مورخي المغرب
ممن انحرف عن اهل البيت وارتاب في الايمان بسلفهم والا فالمحل منزه عن ذلك
معصوم منه ونفي العيب حيث يستحيل العيب عيب لكني جادلت عنهم في
الحياة الدنيا وارجوا ان يجادلوا عني يوم القيمة **وليعلم** ان اكثر
الطاعنين في نسبهم انما هم الحسدة لاعقاب ادريس هذا من منتم الى اهل البيت
او دخيل فيهم فان ادعا هذا النسب دعوى شرف عريضة على الامم والاجيال
من اهل الافاق فتعرض التهمة فيه ولما كان نسب بني ادريس هولا بمواطنهم
من فاس وساير ديار المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغا لا يكاد
يلحق ولا يطمع احد في دركه اذ هو نقل الامة والجيل من الخلف عن الامة والجيل
من السلف وبيت جدهم ادريس مختط فاس وموسسها بين بيوتهم ومسجده
لصق محلتهم ودروبهم وسيفه منتضى براس المئذنة العظمى من قرار بلدهم
وغير ذلك من اثاره التي جاوزت اخبارها حدود التواتر مرات وكادت
تلحق بالعيان فاذا نظر غيرهم من اهل هذا النسب الى ما اتاهم الله من امثالها
وما عضد شرفهم النبوي من جلال الملك الذي كان لسلفهم بالمغرب
واستيقن انه بمعزل عن ذلك وانه لا يبلغ مد احدهم ولا نصيفه وان
غاية امر المنتمين الى البيت الكريم ممن لم تحصل له امثال هذه الشواهد ان
يسلم لهم حالهم لان الناس مصدقون في انسابهم وبون ما بين العلم
والظن واليقين والتسليم فاذا علم ذلك من نفسه غص بريقه وود كثير
منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعا حسدا من عند انفسهم
فيرجعون الى العناد وارتكاب اللجاج والبهت بمثل هذا الطعن الفايل والقول
المكذوب تعللا بالمساواة في الظنة والمشابهة في تطرق الاحتمال وهيهات
لهم ذلك فليس في المغرب فيما نعلمه من اهل هذا البيت الكريم من يبلغ في صراحة
نسبه ووضوحه مبالغ اعقاب ادريس هذا من ال الحسن وكبراوهم لهذا العهد
بنو عمران بفاس من ولد يحيى الجوطي بن محمد بن يحيى العوام بن القاسم بن ادريس بن ادريس
وهم نقبا اهل البيت هناك والساكنون ببيت جدهم ادريس ولهم السيادة
على اهل المغرب كافة حسبما نذكرهم عند ذكر الادارسة ان شا الله تعالى
**ويلحق** بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب الفايلة ما يتناوله ضعفة
الراي من فقها المغرب من القدح في الامام المهدي صاحب دولة الموحدين
ونسبته الى الشعوذة والتلبيس فيما اتاه من القيام بالتوحيد الحق والنعي على
اهل البغي قبله وتكذيبهم لجميع مدعياته في ذلك حتى فيما يزعم الموحدون اتباعه من

وهم بنو عمران بن [illegible] بن محمد بن [illegible] الحسن بن يحيى بن عبد الله [illegible] الجوطي [illegible] النقيب لهذا العهد [illegible]

انتسابه في اهل البيت وانما حمل الفقهاء على تكذيبه ما كمن في نفوسهم من حسد
على شانه فانهم لما راوا من انفسهم مناهضة في العلم والفتيا وفي الدين بزعمهم
ثم امتاز عنهم بانه متبوع الراي مسموع القول موطوء العقب نفسوا ذلك عليه وغضوا
منه بالقدح في مذاهبه والتكذيب لمدعياته وايضا فكانوا يونسون من ملوك لمتونة
اعدائه تجلة وكرامة لم تكن لهم من غيرهم لما كانوا عليه من السذاجة وانتحال الديانة
فكان لحملة العلم بدولتهم مكان من الوجاهة والانتصاب للشورى كل في بلده وعلى
قدره في قومه فاصبحوا بذلك شيعة لهم وحربا لعدوهم ونقموا على المهدي ما جاء
به من خلافهم والتثريب عليهم والمناصبة لهم تشيعا للمتونة وتعصبا لدولتهم ومكان
الرجل غير مكانهم وحاله على غير معتقداتهم وما ظنك برجل نقم على الدولة ما نقم
من احوالهم وخالف اجتهاده فقهاءهم فنادى في قومه ودعا الى جهادهم
بنفسه فاقتلع الدولة من اصولها وجعل عاليها سافلها اعظم ما كانت قوة
واشد شوكة واعز انصارا وحامية وتساقطت في ذلك من اتباعه نفوس
لا يحصيها الا خالقها قد بايعوه على الموت ووقوه بانفسهم من الهلكة وتقربوا الى الله
باتلاف مهجهم في اظهار تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلم
وادالت بالعدوتين من الدول وهو بحاله من التقشف والحصر والصبر على المكاره
والتقلل من الدنيا حتى قبضه الله وليس على شي من الحظ والمتاع في دنياه
حتى الولد الذي ربما تجنح اليه النفوس وتخادع عن تمنيه فليت شعري ما الذي قصد
بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من الدنيا في عاجله ومع هذا فلو
كان قصده غير صالح لما تم امره وانفسحت دعوته سنة الله التي قد خلت في عباده
واما انكارهم نسبه في اهل البيت فلا يعضده حجة لهم مع انه ان ثبت انه ادعاه وانتسب
اليه فلا دليل يقوم على بطلانه لان الناس مصدقون في انسابهم وان قالوا ان
الرياسة لا تكون على قوم في غير اهل جلدتهم كما هو الصحيح حسبما ياتي في الفصل
الاول من هذا الكتاب والرجل قد راس سائر المصامدة ودانوا باتباعه والانقياد
اليه والى عصابته من هرغة حتى تم امر الله في دعوته فاعلم ان هذا النسب
الفاطمي لم يكن امر المهدي يتوقف عليه ولا اتبعه الناس بسببه وانما كان اتباعهم
له بعصبية الهرغية والمصمودية ومكانه منها ورسوخ شجرته فيها وكان ذلك النسب
الفاطمي خفيا قد درس عند الناس وبقي عنده وعند عشيرته يتناقلونه بينهم فيكون
النسب الاول كانه انسلخ منه ولبس جلدة هولاء وظهر فيها فلا يضره الانتساب
الاول في عصبيته اذ هو مجهول عند اهل العصابة ومثل هذا واقع كثيرا اذا كان
النسب الاول خفيا وانظر قصة عرفجة وجرير في رياسة بجيلة وكيف كان
عرفجة من الازد ولبس جلدة بجيلة حتى تنازع مع جرير رياستهم عند عمر رضي الله عنه كما هو

مذكور



مذكور فتفهم منه وجه الحق والله الهادي للصواب **وقد** كدنا ان نخرج عن غرض
الكتاب بالاطناب في هذه المغالط فقد زلت اقدام كثير من الاثبات والمورخين
الحفاظ في مثل هذه الاحاديث والاراء وعلقت بافكارهم ونقلها عنهم الكافة
من ضعفة النظر والغفلة عن القياس وتلقوها هم ايضا كذلك من غير بحث
ولا روية واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهيا مختلطا وناظره
مرتبكا وعد من مناحي العامة فاذن يحتاج صاحب هذا الفن الى العلم
بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الامم والبقاع والاعصار في
السير والاخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الاحوال والاحاطة بالحاضر
من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق او بون ما بينهما من الخلاف
وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على اصول الدول والملل ومبادي
ظهورها واسباب حدوثها ودواعي كونها واحوال القائمين بها واخبارهم
حتى يكون مستوعبا لاسباب واقفا على اصل كل خبر وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده
من القواعد والاصول فان وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا والا زيفه
واستغنى عنه وما استكبر القدماء علم التاريخ الا لذلك حتى انتحله الطبري
والبخاري وابن اسحاق من قبلهما وامثالهم من علماء الامة وقد ذهل الكثير عن هذا
السر فيه حتى صار انتحاله مجهلة واستخف العوام ومن لا رسوخ له في المعارف
مطالعته وحمله والخوض فيه والتطفل عليه فاختلط المرعي بالهمل واللباب
بالقشر والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور **ومن الغلط الخفي في**
التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال في الامم والاجيال بتبدل الاعصار
ومرور الايام وهو داء دوي شديد الخفاء اذ لا يقع الا بعد احقاب
متطاولة فلا يكاد يتفطن له الا الاحاد من اهل الخليقة وذلك ان احوال العالم
والامم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف
على الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك في الاشخاص
والاوقات والامصار فكذلك يقع في الافاق والاقطار والازمنة والدول سنة
الله التي قد خلت في عباده وقد كانت في العالم امم الفرس الاولى
والسريانيون والنبط والتبابعة وبنو اسرائيل والقبط وكانوا على احوال
خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياستهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم
وسائر مشاركاتهم مع ابناء جنسهم واحوال اعتمارهم للعالم تشهد بها اثارهم
ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب فتبدلت تلك الاحوال وانقلبت
بها العوائد الى ما يجانسها ويشابهها والى ما يباينها ويباعدها ثم جاء
الاسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الاحوال اجمع انقلابة اخرى وصارت الى ما اكثره

متعارف لهذا العهد يأخذه الخلف عن السلف ثم درست دولة العرب وأيامهم وذهب الأسلاف الذين شيدوا عزهم ومهدوا ملكهم وصار الأمر في أيدي سواهم من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر بالمغرب والفرنجة بالشمال فذهبت بذهابهم أمم وانقلبت أحوال وعوائد نسي شأنها وأغفل أمرها والسبب الشائع في تبدل الأحوال والعوائد أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه كما يقال في الأمثال الحكمية الناس على دين الملك وأهل الملك والسلطان إذا استولوا على الدولة والأمر فلا بد وأن ينزعوا إلى عوائد من قبلهم ويأخذون الكثير منها ولا يغفلون عوائد جيلهم مع ذلك فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الأول فإذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومزجت من عوائدهم وعوائدها خالفت أيضا بعض الشيء وكانت للأولى أشد مخالفة ثم لا يزال التدريج في المخالفة حتى ينتهي إلى المباينة بالجملة فما دامت الأمم والأجيال تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة والقياس والمحاكاة للإنسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير مأمونة تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده وتعوج به عن مرامه فربما يسمع السامع كثيرا من أخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها فيجريها لأول وهلة على ما عرف ويقيسها بما شهد وقد يكون الفرق بينهما كثيرا فيقع في مهواة من الغلط فمن هذا الباب ما ينقله المؤرخون من أحوال الحجاج وأن أباه كان من المعلمين مع أن التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع المعاشية البعيدة من اعتزاز أهل العصبية والمعلم مستضعف مسكين منقطع الجذم فيتشوف الكثير من المستضعفين أهل الحرف والصنائع المعاشية إلى نيل الرتب التي ليسوا لها بأهل ويعدونها من الممكنات لهم فتذهب بهم وساوس المطامع وربما انقطع حبلها من أيديهم فسقطوا في مهواة الهلكة والتلف ولا يعلمون استحالتها في حقهم وأنهم أهل حرف وصنائع للمعاش وأن التعليم صدر الإسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة إنما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعليما لما جهل من الدين على جهة البلاغ فكان أهل الأنساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ الخبري لا على وجه التعليم الصناعي إذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه هدايتهم والإسلام دينهم قاتلوا عليه وقتلوا واختصوا به من بين الأمم وشرفوا فيحرصون على تبليغ ذلك وتفهيمه للأمة لا تصدهم عنه لائمة الكبر ولا يزعهم عاذل الأنفة ويشهد لذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم كبار أصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الإسلام وما جاء به من شرائع الدين بعث في ذلك من أصحابه العشرة فمن بعدهم فلما



استقر الإسلام ووشجت عروق الملة حتى تناولها الأمم البعيدة من أيدي أهلها واستحالت بمرور الأيام أحوالها وكثر استنباط الأحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاحقها فاحتاج إلى قانون يحفظه من الخطأ وصار العلم ملكة يحتاج إلى التعلم فأصبح من جملة الصنائع والحرف كما يأتي ذكره في فصل العلم والتعليم واشتغل أهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان فدفع للعلم من قام به من سواهم وأصبح حرفة للمعاش وشمخت أنوف المترفين وأهل السلطان عن التصدي للتعليم واختص انتحاله بالمستضعفين وصار منتحله محتقرا عند أهل العصبية والملك والحجاج بن يوسف كان أبوه من سادات ثقيف وأشرافهم ومكانهم من عصبية العرب ومناهضة قريش في الشرف ما علمت ولم يكن تعليمه للقرآن على ما هو الأمر عليه لهذا العهد من أنه حرفة للمعاش وإنما كان على ما وصفناه من الأمر الأول في الإسلام

ومن هذا الباب ما يتوهمه المتصفحون لكتب التاريخ إذا سمعوا أحوال القضاة وما كانوا عليه من الرياسة في الحروب وقود العساكر فتترامى بهم وساوس الهمم إلى مثل تلك الرتب يحسبون أن الشأن في خطة القضاء لهذا العهد على ما كان عليه من قبل ويظنون بابن أبي عامر حاجب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك الطوائف بإشبيلية إذا سمعوا أن آباءهم كانوا قضاة أنهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون لما وقع في رتبة القضاء من مخالفة العوائد كما نبينه في فصل القضاء من الكتاب الأول وابن أبي عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القائمين بالدولة الأموية بالأندلس وأهل عصبيتها وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرياسة والملك بخطة القضاء كما هي لهذا العهد بل إنما كان القضاء في الأمر القديم لأهل العصبية من قبيل الدولة ومواليها كما هي الوزارة لعهدنا بالمغرب وانظر خروجهم بالعساكر في الصوائف وتقليدهم عظائم الأمور التي لا تقلد إلا لمن له الغناء فيها بالعصبية فيغلط السامع في ذلك ويحمل الأحوال على غير ما هي وأكثر ما يقع في هذا الغلط ضعفاء البصائر من أهل الأندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في مواطنهم منذ أعصار بعيدة لفناء العرب ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة أهل العصبيات من البربر فبقيت أنسابهم العربية محفوظة والذريعة إلى العز من العصبية والتناصر مفقودة بل صاروا من جملة الرعايا المتخاذلين الذين تعبدهم القهر ورئموا للمذلة يحسبون أن أنسابهم مع مخالطة الدولة هي التي يكون بها الغلب والتحكم فتجد أهل الحرف منهم والصنائع متصدين لذلك ساعين في نيله فأما من باشر أحوال القبائل والعصبية ودولهم بالعدوة المغربية وكيف يكون التغلب بين الأمم والعشائر فقلما يغلطون في ذلك أو يخطئون في اعتباره

ومن هذا الباب أيضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسق ملوكها فيذكرون اسمه ونسبه وأمه

وآباءه ونساءه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليد لمؤرخي الدولتين
من غير تفطن لمقاصدهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون تواريخهم لاهل الدولة
وابناؤها متشوفون الى سير سلفهم ومعرفة احوالهم ليقتفوا آثارهم وينسجوا على
منوالهم حتى في اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الخطط والمراتب لابناء
صنائعهم وذويهم والقضاة ايضا كانوا من اهل عصبة الدولة وفي عداد الوزراء
كما ذكرناه لك فيحتاجون الى ذكر ذلك كله واما حين تباينت الدول وتباعد ما بين العصور
ووقف الغرض على معرفة الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول بعضها من بعض في
قوتها وغلبها ومن كان يناهضها من الامم او يقصر عنها فما الغاية للمصنف لهذا
العهد في ذكر الابناء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب من دولة
قديمة لا يعرف فيها اصولهم ولا انسابهم ولا مقاماتهم انما حملهم على ذلك التقليد
والغفلة عن مقاصد المؤلفين الاقدمين والذهول عن تحري الاغراض من التاريخ اللهم
الا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعفت على الملوك اخبارهم كالحجاج وبني المهلب
والبرامكة وبني سهل بن نوبخت وكافور الاخشيدي وابن ابي عامر وامثالهم فغير نكير
الالماع بآبائهم والاشارة الى احوالهم لانتظامهم في عداد الملوك ولنذكر هنا
فائدة نختم كلامنا في هذا الفصل بها وهي ان التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة
بعصر او جيل فاما ذكر الاحوال العامة للآفاق والاجيال والاعصار فهو اس
للمؤرخ ينبني عليه اكثر مقاصده وتتبين به اخباره وقد كان الناس يفردونه بالتاليف
كما فعله المسعودي في كتاب مروج الذهب شرح فيه احوال الامم والآفاق لعهده في
عصر الثلثين والثلثمائة غربا وشرقا وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف البلدان والجبال
والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار اماما للمؤرخين يرجعون
اليه واصلا يعولون في تحقيق الكثير من اخبارهم عليه ثم جاء البكري من بعده
ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة دون غيرها من الاحوال لان الامم والاجيال
لعهده لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير واما لهذا العهد وهو آخر المائة
الثامنة فقد انقلبت احوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة واعتاض
من اجيال البربر اهله على القدم بما طرا فيه من لدن المائة الخامسة من اجيال
العرب بما كثروهم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فيما بقي من
البلدان لملكهم هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة
من الطاعون الجارف الذي تحيف الامم وذهب باهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن
العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها
وفل من حدها واوهن من سلطانها وتداعت الى التلاشي والاضمحلال احوالها
وانتقض عمران الارض بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست

السبل

السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل
الساكن وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبته ومقدار عمرانه
وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالاجابة والله وارث
الارض ومن عليها واذا تبدلت الاحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من اصله
وتحول العالم باجمعه وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث
فاحتاج لهذا العهد من يدون احوال الخليقة والآفاق واجيالها والعوائد والنحل
التي تبدلت لاهلها ويقفو مسلك المسعودي لعصره ليكون اصلا يقتدي به من يأتي
من المؤرخين من بعده وانا ذاكر في كتابي هذا ما امكنني منه في هذا القطر المغربي
اما صريحا او مندرجا في اخباره وتلويحا لاختصاص قصدي في التاليف بالمغرب
واحوال اجياله وامه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الاقطار لعدم اطلاعي
على احوال المشرق وامه وان الاخبار المتناقلة لا توفي كنه ما اريده منه والمسعودي
انما استوفى ذلك لبعد رحلته وتقلبه في البلاد كما ذكره في كتابه مع انه لما ذكر المغرب
قصر في استيفاء احواله وفوق كل ذي علم عليم ومرد العلم كله الى الله والبشر
عاجز قاصر والاعتراف متعين واجب ومن كان الله في عونه تيسرت عليه المذاهب
وانجحت له المساعي والمطالب ونحن آخذون بعون الله فيما رمناه من اغراض التاليف
والله المسدد والمعين وعليه التكلان وقد بقي علينا ان نقدم مقدمة في كيفية
وضع الحروف التي ليست من لغة العرب اذا عرضت في كتابنا هذا واعلم
ان الحروف في النطق كما يأتي شرحه بعد هي كيفيات للاصوات الخارجة من
الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة واطراف اللسان مع الحلق
او الحنك او الاضراس او بقرع الشفتين ايضا فتتغاير كيفيات الاصوات
بتغاير ذلك القرع وتجيء الحروف متمايزة في السمع وتتركب منها الكلمات
الدالة على ما في الضمائر وليست الامم كلها متساوية في النطق بتلك
الحروف فقد تكون لامة من الحروف ما ليس لامة اخرى والحروف التي
نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفا كما علمت ونجد للعبرانيين حروفا
ليست في لغتنا وفي لغتنا ايضا حروفا ليست في لغتهم وكذلك الافرنج والترك
والبربر وغيرها واما من العجم ثم ان اهل الكتاب من العرب اصطلحوا في
الدلالة على حروفهم المسموعة باوضاع حروف مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع
الف وباء وجيم وراء وطاء الى آخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم الحرف الذي
ليس من حروف لغتهم بقي مهملا عن الدلالة الكتابية مغفلا عن البيان وربما يرسمه
بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يكتنفه من لغتنا قبله او بعده وليس ذلك بكاف
في الدلالة بل هو تغيير للحرف من اصله ولما كان كتابنا مشتملا على اخبار

البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في اسمائهم او بعض كلماتهم حروف
ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا الى بيانه ولم نكتف
برسم الحرف الذي يليه كما قلناه لانه عندنا غير واف بالدلالة عليه فاصطلحت في
كتابي هذا على ان اضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين اللذين يكتنفانه ليتوسط
القارئ بالنطق به بين مخرجي ذينك الحرفين فتحصل تاديته وانما اقتبست ذلك
من رسم اهل المصحف حروف الاشمام كالصراط في قراءة خلف فان النطق بصاده فيها
معجم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي ودل
ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين فكذلك رسمت انا كل حرف يتوسط بين حرفين
من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم او بنقطة
القاف من فوق واحدة او ثنتين فيدل ذلك على انه متوسط بين الكاف والجيم
او القاف وهذا الحرف اكثر ما يجي في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى هذا
القياس اضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معا ليعلم القارئ
انه متوسط فينطق به كذلك فنكون قد دللنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف
الواحد عن جانبيه لكنا قد صرفناه من مخرجه الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا
لغة القوم فاعلم ذلك والله الموفق

او القاف مثل اسم بلكين فاضعها
كافا وانقطها بنقطة الجيم واحدة
من اسفل

بلغ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

# الكتاب الاول في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر

والتغلب والكسب والمعاش والعلوم والصنائع ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب

**اعلم** انه لما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو
عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتانس
والعصبيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشا عن ذلك من
الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر باعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش
والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال
ولما كان الكذب متطرقا للخبر بطبيعته وله اسباب تقتضيه **فمنها**
التشيعات للاراء والمذاهب فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول
الخبر اعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشيع لراي
او نحلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على
عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله **ومن** الاسباب
المقتضية للكذب في الاخبار ايضا الثقة بالناقلين وتمحيص ذلك يرجع الى
التعديل والتجريح **ومنها** الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف
القصد بما عاين او سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب
**ومنها** توهم الصدق وهو كثير وانما يجي في الاكثر من جهة الثقة بالناقلين
**ومنها** الجهل بتطبيق الاحوال على الواقع لاجل ما يداخلها من التلبيس
والتصنع فينقلها المخبر كما راها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه **ومنها**
تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين
الاحوال واشاعة الذكر بذلك فتستفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالنفوس
مولعة بحب الثناء والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة
وليسوا في الاكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في اهلها **ومن**
الاسباب المقتضية له ايضا وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبائع
الاحوال في العمران فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان او فعلا لا بد له
من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من احواله فاذا كان السامع عارفا
بطبائع الحوادث والاحوال في الوجود ومقتضياتها اعانه ذلك في تمحيص الخبر
على تمييز الصدق من الكذب وهذا ابلغ في التمحيص من كل وجه يعرض وكثيرا

ما يعرض للسامعين قبول الاخبار المستحيلة وينقلونها وتوثر عنهم كما نقله
المسعودي عن الاسكندر لما صدته دواب البحر عن بنا الاسكندرية وكيف
اتخذ تابوت الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه الي قعر البحر
حتي كتب صور تلك الدواب الشيطانية التي راها وعمل تماثيلها من اجساد
معدنية ونصبها حذا البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت وعاينتها
وتم له بناوه في حكاية طويلة من احاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذ التابوت
الزجاج ومصادمة البحر وامواجه بجرمه ومن قبل ان الملوك لا تحمل انفسها على
مثل هذا الغرر ومن اعتمده منهم فقد عرض نفسه للهلكة وانتقاض العقدة
واجتماع الناس الي غيره وفي ذلك تلافه لا ينتظرون به رجوعه من غرره ذلك
طرفة عين ومن قبل ان الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تختص بها انما هي قادرة
على التشكل وما يذكر من كثرة الروس لها فانما المراد به البشاعة والتهويل
لا انه حقيقة وهذه كلها قادحة في تلك الحكاية والقادح المحيل لها من طريق
الوجود ابين من هذا كله ان المنغمس في الما ولو كان في الصندوق يضيق
عليه الهوا للتنفس الطبيعي وتسخن بسرعة لقلته فيفقد صاحبه الهوا البارد روحه
المعدل لمزاج الريه والروح القلبي ويهلك مكانه وهذا هو السبب في هلاك
اهل الحمامات اذا اطبقت عليهم عن الهوا البارد والمتدلين في الابار والمطامير
العميقة المهوى اذا سخن هواها بالعفونة ولم تداخلها الرياح فتخلخلها
فان المتدلي فيها يهلك لحينه وبهذا السبب يكون موت الحوت اذا فارق البحر
فان الهوا لا يكفيه في تعديل ريته اذ هو حار بافراط والما الذي يعدله
بارد والهوا الذي خرج اليه حار فيستولي الحار على روحه الحيواني ويهلك
دفعة ومنه هلاك المصعوقين وامثال ذلك ومن الاخبار المستحيلة ما نقله
المسعودي ايضا في تمثال الزرزور الذي برومة تجتمع اليه الزرازير في يوم معلوم تجتمع
من السنة حاملة الزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما ابعد ذلك عن المجرا
الطبيعي في اتخاذ الزيت **ومنها** ما نقله البكري في بنا المدينة
المسماة ذات الابواب تحيط باكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة الاف باب
والمدن انما اتخذت للتحصن والاعتصام كما ياتي وهذه خرجت عن ان يحاط
بها فلا يكون فيها حصن ولا معتصم وكما نقله المسعودي ايضا في حديث مدينة
النحاس وانها مدينة كلها من نحاس بصحرا سجلماسة ظفر بها موسي بن نصير
في غزاته الي المغرب وانها مغلقة الابواب وان الصاعد اليها من اسوارها
اذا اشرف على الحائط صفق ورمي بنفسه فلا يرجع اخر الدهر في حديث مستحيل
من خرافات القصاص وصحرا سجلماسة قد نفضها الركاب والادلا ولم يقفوا

لهذه

لهذه المدينة على خبر ثم ان هذه الاحوال التي ذكروا عنها كلها مستحيل عادة مناف
للامور الطبيعية في بنا المدن واختطاطها وان المعادن غاية الموجود منها
ان يصرف في الانية والخرثي واما تشييد مدينة منها فكما تراه من الاستحالة والبعد
وامثال ذلك كثير وتمحيصه انما هو بمعرفة طبايع العمران وهو احسن الوجوه
واوثقها في تمحيص الاخبار وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على التمحيص بتعديل
الرواة ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى نعلم هل ذلك الخبر في نفسه ممكن او ممتنع
واما اذا كان مستحيلا فلا فايدة للنظر في التعديل او التجريح ولقد عد اهل
النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتاويله بما لا يقبله
العقل وانما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحة الاخبار الشرعية لان
معظمها تكاليف انشايية اوجب الشارع العمل بها متى حصل الظن بصدقها
وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط واما الاخبار عن الواقعات
فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب ان ننظر في امكان
وقوعه وصار ذلك فيها اهم من التعديل ومقدما عليه اذ فايدة الانشا
مقتبسة منه فقط وفايدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة واذا كان ذلك
فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان والاستحالة ان ننظر في
الاجتماع البشري الذي هو العمران ونميز ما يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى
طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن ان يعرض له واذا فعلنا ذلك
كان لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق من الكذب
بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه وحينيذ فاذا سمعنا عن شي من الاحوال
الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه وكان لنا ذلك
معيارا صحيحا يتحرى به المورخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه
وهذا هو غرض هذا الكتاب الاول من تاليفنا وكان هذا علم مستقل بنفسه
فانه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الانساني وذو مسايل وهي بيان
ما يلحقه من الاحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا شان كل علم من العلوم
وضعيا كان او عقليا **واعلم** ان الكلام في هذا الغرض مستحدث
الصنعة غريب النزعة غزير الفايدة اعثر عليه البحث وادى اليه الغوص وليس
من علم الخطابة الذي هو احد الكتب المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو الاقوال
المقنعة النافعة في استمالة الجمهور الى راي او صدهم عنه ولا هو ايضا من
علم السياسة المدنية اذ السياسة المدنية هي تدبير المنزل او المدينة بما يجب
بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع
وبقاوه فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفنين اللذين ربما يشبهانه وكانه

علم مستنبط النشاة ولعمري لم اقف على الكلام في منحاه لاحد من الخليقة ما ادري
لغفلتهم عن ذلك وليس الظن بهم او لعلهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل
الينا فالعلوم كثيرة والحكما في امم النوع الانساني متعددون وما لم يصل الينا
من العلوم اكثر مما وصل فاين علوم الفرس التي امر عمر رضي الله عنه بمحوها عند الفتح
واين علوم الكلدانيين والسريانيين واهل بابل وما ظهر عليهم من اثارها ونتايجها
واين علوم القبط من قبلهم وانما وصل الينا علوم امة واحدة وهم يونان خاصة
لكلف المامون باخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين وبذل الاموال
فيها ولم نقف على شي من علوم غيرهم واذا كانت كل حقيقة متعقلة طبيعية
يصلح ان يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها وجب ان يكون باعتبار كل مفهوم
وحقيقة علم من العلوم يخصه لكن الحكما لعلهم انما لاحظوا في ذلك العناية بالثمرات
وهذا انما ثمرته كما رايت في الاخبار فقط وان كانت مسايله في ذاتها وباختصاصها
شريفة لكن ثمرته تصحيح الاخبار وهي ضعيفة فلهذا هجروه والله اعلم وما اوتيتم من
العلم الا قليلا **وهذا** الفن الذي لاح لنا النظر فيه نجد منه مسايل
تجري بالعرض لاهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس مسايله بالموضوع
والمطلب مثل ما يذكره الحكما في اثبات النبوة من ان البشر متعاونون في وجودهم
فيحتاجون فيه الى الحاكم والوازع ومثل ما يذكر في اصول الفقه في باب اثبات
اللغات ان الناس محتاجون للعبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع
وتبيان العبارات اخف ومثل ما يذكره الفقها في تعليل الاحكام الشرعية بالمقاصد
في ان الزنا مخلط للانساب مفسد للنوع وان القتل ايضا مفسد للنوع وان
الظلم موذن بخراب العمران المفضي لفساد النوع وغير ذلك من ساير المقاصد
الشرعية في الاحكام فانها كلها مبنية على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما
يعرض له وهو ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسايل الممثلة وكذلك يقع الينا القليل
من مسايله في كلمات متفرقة لحكما الخليقة لكنهم لم يستوفوه **فمن كلام**
الموبذان لبهرام بن بهرام في حكاية البوم التي نقلها المسعودي ايها
الملك ان الملك لا يتم عزه الا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف
تحت امره ونهيه ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا
قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل الى العمارة
الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب وجعل له
قيما وهو الملك **ومن كلام انوشروان** في هذا المعنى بعينه
الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل
والعدل باصلاح العمال واصلاح العمال باستقامة الوزرا وراس الكل بافتقاد

الملك



الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على تاديبها حتى يملكها ولا تملكه **وفي الكتاب**
المنسوب لارسطو في السياسة المتداول بين الناس جز صالح منه الا انه غير مستوفي
ولا معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره وقد اشار في ذلك الكتاب الى هذه الكلمات
التي نقلناها عن الموبذان وانوشروان وجعلها في الدائرة الغريبة التي اعظم
القول فيها وهو قوله

العالم بستان سياجه الدولة الدولة سلطان تحيا به السنة السنة سياسة
يسوسها الملك الملك نظام يعضده الجند الجند اعوان يكفلهم المال المال
رزق تجمعه الرعية الرعية عبيد يكنفهم العدل العدل مالوف وبه قوام العالم
العالم بستان ثم ترجع الى اول الكلام

فمنها ثمان كلمات حكمية سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت اعجازها
على صدورها واتصلت في دايرة لا يتعين طرفها فخر بعثوره عليها وعظم من
فوايدها وانت اذا تاملت كلامنا في فصل الملك والدولة واعطيته حقه من
التصفح والتفهم عثرت في اثنايه على تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجمالها
مستوفي مبينا باوعب بيان واوضح دليل وبرهان اطلعنا الله عليه من غير
تعليم ارسطو ولا افادة الموبذان وكذلك تجد في كلام ابن المقفع وما يستطرد
في رسايله من ذكر السياسات الكثير من مسايل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهناه
انما يجليها في الذكر على منحى الخطابة في اسلوب الترسيل وبلاغة الكلام وكذلك
حوم القاضي ابو بكر الطرطوشي في كتاب سراج الملوك وبوبه على ابواب تقرب من ابواب

ضبطه ... بزرجمهر

كتابنا ومسايله لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا اصاب الشاكلة ولا استوفى المسايل
ولا اوضح الادلة انما يبوب الباب للمسيلة ثم يستكثر من الاحاديث والاثار وينقل
كلمات متفرقة لحكما الفرس مثل بزرجمهر والموبذان وحكما الهند والماثور عن دانيال
وهرمس وغيرهم من اكابر الخليقة ولا يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين
الطبيعية حجابا انما هو نقل وترغيب شبيه بالمواعظ وكانه حوم على الغرض ولم يصادفه
ولا تحقق قصده ولا استوفى مسايله ونحن الهمنا الله الى ذلك الهاما واعثرنا على علم
جعلنا سن بكره وجهينة خبره فان كنت قد استوفيت مسايله وميزت
عن ساير الصنايع انظاره وانحاءه فتوفيق من الله وهداية وان فاتني شي
في احصايه او اشتبهت بغيره مسايله فللناظر المحقق اصلاحه ولي الفضل اني
نهجت له السبيل واوضحت الطريق والله يهدي بنوره من يشا **ونحن**
الان نبين في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم من احوال العمران في الملك
والكسب والعلوم والصنايع بوجوه برهانية يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة
والعامة وتندفع بها الاوهام وترتفع الشكوك **ونقول** لما كان الانسان
متميزا عن ساير الحيوانات بخواص اختص بها فمنها العلوم والصنايع التي هي
نتيجة الفكر الذي تميز به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة
الى الحكم الوازع والسلطان القاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها
الا ما يقال عن النحل والجراد وهذه وان كان لها مثل ذلك فبطريق الهامي
لا بفكر وروية ومنها السعي في المعاش والاعتمال في تحصيله من وجوهه واكتساب
اسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار الى الغذا في حياته وبقايه وهداه الى التماسه
وطلبه قال تعالى اعطى كل شي خلقه ثم هدى ومنها العمران وهو التساكن
والتنازل في مصر او حلة للانس بالعشير واقتضا الحاجات لما في طباعهم
من التعاون على المعاش كما نبينه ومن هذا العمران ما يكون بدويا وهو الذي
يكون في الضواحي والجبال وفي الحلل المنتجعة للقفار واطراف الرمال ومنه
ما يكون حضريا وهو الذي بالامصار والقرى والمدن والمداشر للاعتصام بها
والتحصن بجدرانها وله في كل هذه الاحوال امور تعرض من حيث الاجتماع عروضا
ذاتيا له فلا جرم انحصر هذا الكتاب في ستة فصول الاول في العمران
البشري على الجملة واصنافه وقسطه من الارض الثاني في العمران البدوي وذكر
القبايل والامم الوحشية الثالث في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب
السلطانية الرابع في العمران الحضري والبلدان والامصار الخامس في
الصنايع والمعاش والكسب ووجوهه السادس في العلوم واكتسابها وتعلمها
وقدمت العمران البدوي لانه سابق على جميعها كما يتبين لك بعد وكذا تقديم الملك

الكلام في صح

على

على البلدان والامصار واما تقديم المعاش فلان المعاش ضروري طبيعي وتعلم
العلم كمالي او حاجي والطبيعي اقدم من الكمالي وجعلت الصنايع مع الكسب
لانها منه ببعض الوجوه ومن حيث العمران كما يتبين لك بعد والله الموفق والمعين

## الفصل الاول من الكتاب الاول في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات

**الاولى** في ان الاجتماع الانساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الانسان
مدني بالطبع اي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى
العمران وبيانه ان الله سبحانه خلق الانسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاوها
الا بالغذا وهداه الى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله الا ان
قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذا غير موفية له بمادة
حياته منه ولو فرضنا منه اقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل
الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى
مواعين والات لا تتم الا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفخار هب انه
ياكله حبا من غير علاج فهو ايضا يحتاج في تحصيله حبا الى اعمال اخرى اكثر من
هذه من الزراعة والحصاد والدرس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل ويحتاج
كل واحد من هذه الى الات متعددة وصنايع كثيرة اكثر من الاولى بكثير ويستحيل
ان توفي بذلك كله او ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من ابنا
جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم
باضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا في الدفاع عن نفسه الى الاستعانة
بابنا جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطباع في الحيوانات كلها وقسم القدر بينها
جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة اكمل من حظ الانسان فقدرة الفرس
مثلا اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدرة الاسد والفيل
اضعاف من قدرته ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد منها
عضوا يختص بمدافعته ما يصل اليه من عادية غيره وجعل للانسان عوضا من ذلك
كله الفكر واليد فاليد مهيئة للصنايع بخدمة الفكر والصنايع تحصل له الالات
التي تنوب له عن الجوارح المعدة في ساير الحيوانات للدفاع مثل الرماح التي تنوب
عن القرون الناطحة والسيوف النايبة عن المخالب الجارحة والتراس النايبة
عن البشرات الجاسية الى غير ذلك وغيره مما ذكر جالينوس في كتاب منافع الاعضا
فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة
فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته ايضا باستعمال الالات

وما لخزار

المعدة لمدافعة الكثير منها وكثرة الصنايع والمواعين المعدة لها فلا بد في ذلك كله من التعاون
عليه بابنا جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذا ولا تتم حياته لما ركبه
الله عليه من الحاجة الى الغذا في حياته ولا يحصل له ايضا دفاع عن نفسه لفقدان
السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر
واذا كان التعاون حصل له القوت للغذا والسلاح للمدافعة وتمت حكمة الله
في بقايه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الانساني والا لم يكمل
وجودهم وما اراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه اياهم وهذا هو معنى
العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات للموضوع
في فنه الذي هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تقرر
في الصناعة المنطقية انه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم
فليس ايضا من الممنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بفضله
ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد
من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم
وليست السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية
في دفع العدوان عنهم لانها موجودة لجميعهم فلا بد من شي اخر يدفع عدوان
بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم
والهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان
واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك وقد
تبين لك بهذا انه خاصة للانسان طبيعية لا بد لهم منها وقد توجد في بعض الحيوانات
العجم على ما ذكره الحكما كما في النحل والجراد لما استقري فيها من الحكم والانقياد
والاتباع لهم
لرييس من اشخاصها متميز عنهم في خلقه وجثمانه الا ان ذلك موجود لغير الانسان
بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة اعطى كل شي خلقه ثم هدى
ويزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلي
وانها خاصة طبيعية للانسان فيقررون هذا البرهان الى غايته وانه لا بد للبشر
من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله
ياتي به واحد من البشر يكون متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته
ليقع التسليم له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزييف
وهذه القضية للحكما غير برهانية كما تراه اذ الوجود وحياة البشر قد تتم من
دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه او بالعصبية التي يقتدر بها على قهرهم
وحملهم على جادته واهل الكتاب والمتبعون للانبيا قليلون بالنسبة الى
المجوس الذين ليس لهم كتاب فانهم اكثر اهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول

والاثار

١

والاثار فضلا عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاقاليم المنحرفة في الشمال
والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع لهم البتة فانه يمتنع وبهذا يتبين
لك غلطهم في وجوب النبوات وانه ليس بعقلي وانما مدركه الشرع
كما هو مذهب السلف من الامة والله ولي التوفيق والهداية

## المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض

والاشارة الى بعض ما فيه من البحار والانهار والاقاليم انه قد تبين في كتب الحكما
الناظرين في احوال العالم ان شكل الارض كروي وانها محفوفة بعنصر الما كانها
عنبة طافية عليه فانحسر الما عن بعض جوانبها لما اراده الله تعالى من تكوين
الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشري الذي له الخلافة على سايرها وقد يتوهم
من ذلك ان الما تحت الارض وليس بصحيح وانما التحت الطبيعي قلب الارض
ووسط كرتها الذي هو مركزها والكل يطلبه بما فيه من الثقل وما عدا ذلك من جوانبها
والما المحيط بها فهو فوق وان قيل في شي منها انه تحت فبالاضافة الى جهة
اخرى عنه وهذا الذي انحسر عنه الما من الارض هو النصف من سطح كرتها في شكل
دايرة احاط العنصر المايي بها من جميع جهاتها بحرا يسمى البحر المحيط ويسمى
ايضا لبلاية بتفخيم اللام الثانية ويسمى اوقيانوس اسما اعجمية ويقال له
البحر الاخضر والاسود ثم ان هذا المنكشف من الارض للعمران فيه القفار
والخلا اكثر من عمرانه والخالي من جهة الجنوب منه اكثر من جهة الشمال
وانما المعمور منه قطعة اميل الى جانب الشمال على شكل مسطح كروي ينتهي من جهة
الجنوب الى خط الاستوا ومن جهة الشمال الى خط كروي ووراه الجبال
الفاصلة بينه وبين الما العنصري التي بينهما سد ياجوج وماجوج وهذه الجبال
مايلة الى جهة المشرق وينتهي من المشرق والمغرب الى عنصر الما ايضا بقطعتين من
الدايرة المحيطة وهذا المنكشف من الارض قالوا هو مقدار النصف من الكرة او اقل
والمعمور منه مقدار ربعه وهو المنقسم بالاقاليم السبعة وخط الاستوا
يقسم الارض بنصفين من المغرب الى المشرق وهو طول الارض واكبر خط في كرتها كما ان
منطقة البروج ودايرة معدل النهار اكبر خط في الفلك ومنطقة البروج منقسمة
بثلثماية وستين درجة والدرجة من مسافة الارض خمسة وعشرون فرسخا
والفرسخ اثنا عشر الف ذراع في ثلثة اميال لان الميل اربعة الاف ذراع
والذراع اربعة وعشرون اصبعا والاصبع ست حبات شعير مصفوفة ملصق
بعضها الى بعض ظهرا لبطن وبين دايرة معدل النهار التي تقسم الفلك بنصفين

الذي عليه الحكما ان الارض ... مسافة الارض ... اثنان وعشرون ... كما هنا واعتمد ... بسلم السما ...

وتسامت خط الاستوا من الارض وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة لكن
العمارة في الجهة الشمالية من خط الاستوا اربعة وستون درجة والباقي منها خلا
لا عمارة فيه لشدة البرد والجمود كما كانت الجهة الجنوبية خلا كلها لشدة الحر كما نبين
ذلك كله ان شا الله تعالى ثم ان المخبرين عن هذا المعمور وحدوده وما فيه من الامصار
والمدن والجبال والانهار والقفار والرمال مثل بطليموس في كتاب الجغرافيا
وصاحب كتاب رجار من بعده قسموا هذا المعمور بسبعة اقسام يسمونها السبع
الاقاليم بحدود وهمية بين المشرق والمغرب متساوية في العرض مختلفة في الطول
فالاقليم الاول اطول مما بعده وكذا الثاني الى اخرها فيكون السابع اقصر لما
اقتضاه وضع الدائرة الناشية من انحساد الما عن كرة الارض وكل واحد من
هذه الاقاليم عندهم منقسم بعشرة اجزا من المغرب الى المشرق على التوالي وفي كل
جز الخبر عن احواله واحوال عمرانه وذكروا ان هذا البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب
في الاقليم الرابع البحر الرومي المعروف يبدا في خليج متضايق في عرض اثني عشر
ميلا او نحوها ما بين طنجة وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقا وينفسح
الى عرض ستماية ميل ونهايته في اخر الجزء الرابع من الاقليم الرابع على الف فرسخ
ومايه وستين فرسخا من مبدايه وعليه هناك سواحل الشام وعليه من جهة الجنوب
سواحل المغرب اولها طنجة عند الخليج ثم افريقية ثم برقة الى الاسكندرية ومن جهة
الشمال سواحل القسطنطينية ثم البنادقة ثم رومة ثم الافرنجة ثم الاندلس الى
طريف عند الزقاق قبالة طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة
عامرة مثل اقريطش وقبرص وصقلية وميورقة وسردانية ودانية قالوا ويخرج منه
في جهة الشمال بحران اخران من خليجين احدهما مسامت للقسطنطينية يبدا
من هذا البحر متضايقا في عرض رمية السهم ويمر ثلاثة بحار فيتصل بالقسطنطينية
ثم ينفسح في عرض اربعة اميال ويمر في جريه ستين ميلا ويسمى خليج القسطنطينية
ثم يخرج من فوهة عرضها ستة اميال فيمد بحر نيطش وهو بحر ينحرف من
هنالك في مذهبه الى ناحية الشرق فيمر بارض هريقلية وينتهي الى بلاد الخزرية على
الف وثلثماية ميل من فوهته وعليه من الجانبين امم من الروم والترك وبرجان
والروس والبحر الثاني من خليجي هذا البحر الرومي وهو بحر البنادقة يخرج في بلاد الروم
على سمت الشمال فاذا انتهى الى سمت الجبل انحرف في سمت المغرب الى بلاد
البنادقة وينتهي الى بلاد انكلايه على الف ومايه ميل من مبدايه وعلى حافتيه من البنادقة
والروم وغيرهم امم ويسمى خليج البنادقة قالوا وينساح من هذا البحر المحيط ايضا
من الشرق وعلى ثلاث عشرة درجة في الشمال من خط الاستوا بحر عظيم متسع يمر الى

بكارباعه

الجنوب

الجنوب قليلا حتى ينتهي الى الاقليم الاول ثم يمر فيه مغربا الى ان ينتهي في الجز الخامس
منه الى بلاد الحبشة والزنج والى باب المندب منه على اربعة الاف فرسخ وخمسماية
فرسخ من مبدايه ويسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه من جهة الجنوب بلاد الزنج
وبلاد بربرا التي ذكرها امرؤ القيس في شعره وليسوا من البربر الذين هم قبايل المغرب
ثم بلد مقدشو ثم بلد سفالة وارض الواق واق وامم اخر ليس بعدهم الا القفار والخلا
وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبدايه ثم الهند ثم السند ثم سواحل اليمن من
الاحقاف وزبيد وغيرها ثم بلاد الزنج عند نهايته وبعدهم البجة قالوا ويخرج من هذا
البحر الحبشي بحران اخران يخرج احدهما من نهايته عند باب المندب فيبدا متضايقا
ثم يمر مستبحرا الى ناحية الشمال ومغربا قليلا الى ان ينتهي الى مدينة القلزم في الجز الخامس
من الاقليم الثاني على الف واربعماية ميل من مبدايه وهو بحر القلزم وبحر السويس
وبينه وبين فسطاط مصر من هنالك ثلاث مراحل وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن ثم
الحجاز وجدة ثم مدين وايلة وفاران عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل الصعيد وعيذاب
وسواكن وزيلع ثم بلاد البجة عند مبدايه واخره عند القلزم يسامت البحر الرومي عند العريش
وبينهما نحو ست مراحل وما زال الملوك في الاسلام وقبله يرومون خرق ما بينهما ولم يتم
ذلك والبحر الثاني من هذا البحر الحبشي ويسمى الخليج الاخضر يخرج ما بين بلاد السند
والاحقاف من اليمن ويمر الى ناحية الشمال مغربا قليلا الى ان ينتهي الى الابلة من
سواحل البصرة في الجز السادس من الاقليم الثاني وعلى اربع ماية فرسخ واربعين فرسخا من
مبدايه ويسمى بحر فارس وعليه من جهة الشرق سواحل السند ومكران وكرمان وفارس
والابلة عند نهايته ومن جهة المغرب سواحل البحرين واليمامة وعمان والشحر والاحقاف عند
مبدايه وفيما بين بحر فارس والقلزم هي جزيرة العرب كانها داخلة من البر في البحر يحيط
بها البحر الحبشي من الجنوب وبحر القلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق وتفضي الى
العراق فيما بين الشام والبصرة على الف وخمسماية ميل بينهما وهناك الكوفة والقادسية
وبغداد وايوان كسرى والحيرة ووراء ذلك امم الاعاجم من الترك والخزر وغيرهم
وفي جزيرة العرب بلاد الحجاز في جهة الغرب منها وبلاد اليمامة والبحرين وعمان في
جهة الشرق منها وبلاد اليمن في جهة الجنوب منها وسواحله على البحر الحبشي قالوا
وفي هذا المعمور بحر اخر منقطع عن ساير البحار في ناحية الشمال وبارض الديلم
يسمى بحر جرجان طوله الف ميل في عرض ستماية ميل في غربيه اذربيجان والديلم وفي
شرقيه ارض الترك وخوارزم وفي جنوبيه طبرستان وفي شماليه ارض الخزر واللان
هذه جملة البحار المشهورة التي ذكرها اهل الجغرافيا **قالوا** وفي هذا
الجز المعمور انهار كثيرة اعظمها اربعة انهار وهي النيل والفرات ودجلة
ونهر بلخ المسمى جيحون **فاما النيل** فمبداوه من جبل عظيم وراء خط الاستوا

وطبرستان صح

ست عشرة درجة وعلى سمت الجزء الرابع من الاقليم الاول ويسمى جبل القمر ولا يعلم
في الارض جبل اعلى منه تخرج منه عيون كثيرة فيصب بعضها في بحيرة هناك وبعضها
في اخرى ثم تخرج انهار من البحيرتين فتنصب كلها في بحيرة واحدة عند خط الاستواء وعلى
عشرة مراحل من الجبل ويخرج من هذه البحيرة نهران يذهب احدهما الى ناحية الشمال وعلى
سمته ويمر ببلاد النوبة ثم بلاد مصر فاذا جاوزها تشعب في شعب متقاربة يسمى
كل واحد منها خليجا وتنصب كلها في البحر الرومي عند الاسكندرية ويسمى نيل مصر وعليه
الصعيد من شرقيه والواحات من غربيه ويذهب الاخر منعطفا الى المغرب
ثم يمر على سمته الى ان يصب في البحر المحيط وهو نيل السودان واممهم كلهم على ضفتيه
**واما الفرات** فمبداه من بلاد ارمينية في الجزء السادس من
الاقليم الخامس ويمر جنوبا في ارض الروم وملطية الى منبج ثم يمر بصفين ثم
بالرقة ثم بالكوفة الى ان ينتهي الى البطحاء التي بين البصرة وواسط ومن هنالك
يصب في البحر الحبشي وتنجلب اليه في طريقه انهار كثيرة وتخرج منه انهار اخرى
تصب في دجلة **واما دجلة** فمبداها عين ببلاد خلاط من ارمينية ايضا ويمر
على سمت الجنوب بالموصل واذربيجان وبغداد الى واسط فيتفرق في خلجان تصب
كلها في بحيرة البصرة وتفضي الى بحر فارس وهو في الشرق عن نهر الفرات وتنجلب
اليه انهار كثيرة عظيمة من كل جانب وفيما بين الفرات ودجلة من اوله جزيرة
الموصل قبالة الشام من عدوتي الفرات وقبالة اذربيجان من عدوتي دجلة
**واما نهر جيحون** فمبداه من بلخ في الجزء الثامن من الاقليم الثالث
من عيون هناك كثيرة وتنجلب اليه انهار عظام ويذهب من الجنوب الى الشمال
فيمر ببلاد خراسان ويخرج منها الى بلاد خوارزم في الجزء الثامن من الاقليم الخامس
فيصب في بحيرة الجرجانية التي باسفل مدينتها وهي مسيرة شهر في مثله واليها
ينصب نهر فرغانة والشاش الاتي من بلاد الترك وعلى غربي نهر جيحون بلاد خراسان
وخوارزم وعلى شرقيه بلاد بخارا والترمذ وسمرقند ومن هنالك الى ما وراءه بلاد الترك
وفرغانة والخزلجية وامم الاعاجم وقد ذكر ذلك كله بطليموس في كتابه والشريف في كتاب
رجار وصوروا في الجغرافيا جميع ما في المعمور من الجبال والبحار والاودية واستوفوا
من ذلك ما لا حاجة لنا به لطوله ولان عنايتنا في الاكثر انما هي بالمغرب الذي هو وطن البربر
وبالاوطان التي للعرب من المشرق والله واهب المعونة

## تكملة لهذه المقدمة الثانية

في ان الربع الشمالي من الارض اكثر عمرانا من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك نحن
نرى بالمشاهدة والاخبار المتواترة ان الاول والثاني من الاقاليم المعمورة اقل عمرانا مما
بعدهما وما وجد من عمرانه فمتخلله الخلاء والقفار والرمال والبحر الهندي الذي في الشرق

منها

بلغ مقابلة

منها وامم هذين الاقليمين واناسيهما ليست لهم الكثرة البالغة وامصاره ومدنه كذلك
والثالث والرابع وما بعدهما بخلاف ذلك فالقفار فيها قليلة والرمال كذلك او معدومة
وامهما واناسيها تجوز الحد من الكثرة وامصارها ومدنها تجاوز الحد عددا والعمران فيها
مندرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلاء كله وقد ذكر كثير من الحكماء ان ذلك لافراط
الحر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت الرؤوس **فلنوضح** ذلك ببرهانه ونبين منه
سبب كثرة العمارة فيما بين الثالث والرابع من جانب الشمال الى الخامس والسابع
فنقول ان قطبي الفلك الجنوبي والشمالي اذا كانا على الافق فهنالك دائرة عظيمة تقسم
الفلك بنصفين هي اعظم الدوائر المارة من المغرب الى المشرق وتسمى دائرة معدل النهار
وقد تبين في موضعه من الهيئة ان الفلك الاعلى متحرك من المشرق الى المغرب حركة يومية
يحرك بها سائر الافلاك التي في جوفه قسرا وهذه الحركة محسوسة وكذلك تبين ان
للكواكب في افلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة وهي من المغرب الى المشرق وتختلف
اماداها باختلاف حركات الكواكب في السرعة والبطء وممرات هذه الكواكب في افلاكها
توازيها كلها دائرة عظيمة من الفلك الاعلى تقسمه بنصفين وهي دائرة فلك البروج منقسمة
باثني عشر برجا وهي على ما تبين في موضعه مقاطعة لدائرة معدل النهار على نقطتين متقابلتين
من البروج هما اول الحمل واول الميزان فتقسمها دائرة معدل النهار بنصفين نصف
مائل عن معدل النهار الى الشمال وهو من اول الحمل الى اخر السنبلة ونصف مائل عنه الى
الجنوب وهو من اول الميزان الى اخر الحوت واذا وقع القطبان على الافق في جميع نواحي
الارض كان على سطح الارض خط واحد يسامت دائرة معدل النهار يمر من المغرب
الى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا في مبدأ الاقليم الاول
من الاقاليم السبعة والعمران كله في الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالي يرتفع على
افاق هذا المعمور بالتدريج الى ان ينتهي ارتفاعه الى اربع وستين درجة وهنالك ينقطع
العمران وهو اخر الاقليم السابع واذا ارتفع على الافق تسعين درجة وهي التي بين القطب
ودائرة معدل النهار صار القطب على سمت الرؤوس وصارت دائرة معدل النهار على
الافق وبقيت ستة من البروج فوق الافق وهي الشمالية وستة تحت الافق وهي
الجنوبية والعمارة فيما بين الاربعة والستين الى التسعين ممتنعة لان الحر والبرد حينئذ
لا يحصلان ممتزجين لبعد الزمان بينهما فلا يحصل تكون فاذن الشمس تسامت الرؤوس
على خط الاستواء في راس الحمل والميزان ثم تميل عن المسامتة الى راس السرطان والى
راس الجدي ويكون نهاية ميلها عن دائرة معدل النهار اربعا وعشرين درجة ثم اذا ارتفع
القطب الشمالي عن الافق مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرؤوس بمقدار ارتفاعه
وانخفض القطب الجنوبي كذلك بمقدار متساو في الثلاثة وهو المسمى عند اهل المواقيت
عرض البلد واذا مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرؤوس علت عليها البروج الشمالية

متدرجة في مقدار علوها الى راس السرطان وانخفضت البروج الجنوبية عن الافق لذلك
الى راس الجدي لانحرافها الى الجانبين في افق الاستوا كما قلناه فلا يزال الافق الشمالي
يرتفع حتى يصير ابعد الشمالية وهو راس السرطان في سمت الروس وذلك حيث يكون عرض
البلد اربعا وعشرين في الحجاز وما يليه وهذا هو الميل الذي مال راس السرطان عن معدل النهار
في افق الاستوا ارتفع بارتفاع القطب الشمالي حتى صار مسامتا فاذا ارتفع القطب
اكثر من اربع وعشرين نزلت الشمس عن المسامتة ولا تزال في انخفاض الى ان يكون
ارتفاع القطب اربعا وستين ويكون انخفاض الشمس عن المسامتة كذلك وانخفاض القطب
الجنوبي عن الافق مثلها فينقطع التكوين لافراط البرد والجمد وطول زمانه غير ممتزج بالحر ثم
ان الشمس عند المسامتة وما يقاربها تبعث الاشعة على الارض على زوايا قائمة وفيما
دون المسامتة على زوايا منفرجة وحادة واذا كانت زوايا الاشعة قائمة عظم الضوء وانتشر
بخلافه في المنفرجة والحادة فلهذا يكون الحر عند المسامتة وما قرب منها اكثر منه فيما بعد
لان الضوء سبب الحر والتسخين ثم ان المسامتة في خط الاستوا تكون مرتين في السنة
عند نقطتي الحمل والميزان واذا مالت فغير بعيد ولا يكاد الحر يعتدل في اخر ميلها عند
راس السرطان والجدي الا وقد صعدت الى المسامتة فتبقى الاشعة القائمة الزوايا تلح على
ذلك الافق ويطول مكثها او يدوم فيشتعل الهوا حرارة ويفرط في شدتها وكذا
مادامت الشمس تسامت مرتين فيما بعد خط الاستوا الى عرض اربعة وعشرين فان الاشعة
ملحة على الافق في ذلك الالحاح بقريب من الحاحها في خط الاستوا وافراط الحر يفعل في
الهوا تجفيفا ويبسا يمنع من التكوين في المعدن والنبات والحيوان اذ التكوين لا يكون
الا بالرطوبة ثم اذا مال راس السرطان عن سمت الروس في عرض خمسة وعشرين فما بعده
نزلت الشمس عن المسامتة فيصير الحر الى الاعتدال او يميل عنه قليلا فيكون التكوين ويتزيد على
التدريج الى ان يفرط البرد في شدته بقلة الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص
التكوين ويتفسد الا ان فساد التكوين من جهة شدة الحر اعظم منه من جهة شدة البرد
لان الحر اسرع تاثيرا في التجفيف من تاثير البرد في الجمد فلذلك كان العمران في الاقليم
الاول والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لاعتدال الحر بنقصان الضوء
وفي السادس والسابع كثيرا لنقصان الحر وان كيفية البرد لا تؤثر عند اولها في فساد التكوين
كما يفعل الحر اذ لا تجفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ من اليبس كما بعد
السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي اكثر واوفر والله اعلم ومن هنا
اخذ الحكماء خلاء خط الاستوا وما وراءه واورد عليهم انه معمور بالمشاهدة والاخبار المتواترة فكيف
يتم البرهان على ذلك والظاهر انهم لم يريدوا امتناع العمران فيه بالكلية انما اداهم
البرهان الى ان فساد التكوين فيه قوي بافراط الحر فالعمران فيه اما ممتنع او ممكن اقلي وهو
كذلك فان خط الاستوا والذي وراءه وان كان فيه عمران كما نقل فهو قليل جدا وقد زعم ابن

لانه اذا افرط الحر جفت المياه والرطوبات وفسد التكوين صح

رشد

رشد ان خط الاستوا معتدل وان ما وراءه في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال فيعمر منه
ما عمر من هذا والذي قاله غير ممتنع من جهة فساد التكوين وانما امتنع فيما وراء خط
الاستوا في الجنوب من جهة ان العنصر المائي غمر وجه الارض هنالك الى الحد الذي كان
مقابله من الجهة الشمالية قابلا للتكوين ولما امتنع المعتدل لغلبة الماء تبعه
ما سواه لان العمران متدرج ويأخذ في التدريج من جهة الوجود لا من جهة الامتناع واما
القول بامتناعه في خط الاستوا فيرده النقل المتواتر والله اعلم ولنرسم بعد هذا الكلام
صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب رجار ثم ناخذ في تفصيل الكلام عليها الى اخره

## تفصيل الكلام على هيئة الجغرافيا

وهو على نوعين مفصل ومجمل فالمفصل هو الكلام في بلدان هذا المعمور وجباله وبحاره وانهاره واحوا
لها وسيأتي في الفصل بعد هذا واما المجمل فالكلام في انقسام المعمور بالاقاليم
السبعة وذكر عروضها وساعات نهارها وهو الذي تضمنه هذا الفصل فلنأخذ في بيانه
وقد تقدم لنا ان الارض طافية على الماء العنصري كالعنبة فانكشف بعضها لما اراد الله من حكمه
اعني العمران والتكون العنصري فيقال ان هذا المنكشف انما هو النصف
من سطح الارض فالمعمور منه ربعه والباقي خراب وقيل المعمور سدسه فقط فالخلاء
من هذا المنكشف في جهتي الجنوب والشمال والعمران بينهما متصل من الغرب الى المشرق
وليس بينه وبين البحر من الجهتين خلاء قالوا وفيه خط وهمي يمر من المغرب الى المشرق
مسامتا لدائرة معدل النهار حيث يكون قطبا الفلك على الافق وهو اول العمران الى
ما بعده من الشمال وقال بطليموس بل بعده في جهة الجنوب عمران وقدره بعرض البلد
كما يأتي وعند اسحق بن الحسن الخازني ان وراء الاقليم السابع عمرانا اخر وقدره بعرض بلد
كما نذكر وهو من ائمة هذه الصناعة ثم ان الحكماء قد قسموا هذا المعمور في جهة
الشمال بالاقاليم السبعة بخطوط وهمية اخذ من المغرب الى المشرق وعروضها مختلفة عندهم
كما يأتي تفصيله فالاقليم الاول منها مار مع خط الاستواء من جهة شماليه وليس
في جنوبه الا تلك العمارة التي اشار اليها بطليموس وبعدها القفار والرمال الى دائرة
الماء المسماة بالبحر المحيط ويليه من جهة شماليه الاقليم الثاني كذلك ثم الثالث ثم الرابع
والخامس والسادس والسابع وهو اخر العمران في جهة الشمال وليس وراءه
الا الخلاء والقفار الى البحر المحيط ايضا الا ان الخلاء في جهة الجنوب اكثر منه في جهة
الشمال بكثير واما عروض هذه الاقاليم وساعات نهارها فاعلم ان قطبي الفلك
يكونان في خط الاستواء على الافق من مغربه الى مشرقه والشمس مسامتة رؤوس اهله
فاذا بعد العمران الى جهة الشمال ارتفع القطب الشمالي قليلا وانخفض الجنوبي مثله
وبعدت الشمس عن دائرة معدل النهار التي تسامته بمثل ذلك وصارت هذه الابعاد
الثلاثة متساوية يسمى كل واحد منها عرض البلد كما هو معروف عند اهل المواقيت
وقد اختلف الناس في مقدار هذه العروض ومقدار هذه الاقاليم فالذي عليه
بطليموس ان عرض المعمور كله سبع وستون درجة ونصف فعرض المعمور خلف
خط الاستواء الى الجنوب منها احدى عشرة درجة والثاني عشرون والثالث سبع
وعشرون وستة وستون درجة ونصف هي عروض الاقاليم الشمالية الى اخرها
فعرض الاقليم الاول منها عنده ست عشرة درجة والثاني عشرون والثالث
سبع وعشرون والرابع ثلاث وثلاثون والخامس ثمان وثلاثون درجة
والسادس ثلاث واربعون والسابع ثمان واربعون ثم قدر الاميال لكل

وستين ميلا وثلثي ميل من مسافة الارض فيكون اميال الاقليم الاول ما بين الجنوب
والشمال الف ميل وسبعة وستون ميلا واميال الاقليم الثاني معه الفا ميل
وثلثمائة ميل وثلاثة وثلاثون ميلا واميال الثالث معها الفا ميل وسبعمائة وتسعين
والرابع معها الفين ومائة وخمسة وثمانين والخامس الفين وخمسمائة وعشرين
والسادس الفين وثمان مائة واربعين والسابع ثلاثة الاف ومائة وخمسين ثم
ان ازمنة الليل والنهار تتفاوت في هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة
معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن افاقها فيتفاوت قوس النهار والليل
لذلك وينتهي اطول الليل والنهار في اخر الاقليم الاول عند حلول الشمس برأس الجدي
وبرأس السرطان للنهار كل واحد منهما عند بطليموس الى اثنتي عشرة ساعة ونصف
وينتهيان في اخر الاقليم الثاني الى ثلاث عشرة ساعة وفي اخر الاقليم الثالث
الى ثلاث عشرة ساعة ونصف وفي اخر الرابع الى اربع عشرة ساعة وفي اخر الخامس
بزيادة نصف ساعة وفي اخر السادس الى خمس عشرة ساعة وفي اخر السابع
بزيادة نصف ساعة ويبقى لاقصر النهار والليل ما يبقى بعد هذه الاعداد من
جملة اربعة وعشرين الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك
الكاملة فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الاطول من ليلها ونهارها بنصف ساعة
لكل اقليم تتزيد من اوله في ناحية الجنوب الى اخره في ناحية الشمال موزعة
على اجزاء هذا البعد وعند اسحق بن الحسن الخازني ان عرض العمران
الذي وراء خط الاستواء ست عشرة درجة وخمس وعشرون دقيقة واطول ليله ونهاره
ثلاث عشرة ساعة وعرض الاقليم الاول وساعاته مثل الذي وراء خط الاستواء
وعرض الاقليم الثاني اربع وعشرون درجة وساعاته عند اخره ثلاث عشرة ساعة ونصف
وعرض الثالث ثلاثون درجة وساعاته عند اخره اربع عشرة ساعة وعرض الرابع
ست وثلاثون درجة وساعاته اربع عشرة ساعة ونصف وعرض الخامس
احدى واربعون درجة وساعاته خمس عشرة ساعة وعرض السادس خمس واربعون
درجة وساعاته خمس عشرة ساعة ونصف وعرض السابع ثمان واربعون درجة
ونصف وساعاته ست عشرة ساعة ثم ينتهي عرض العمران وراء السابع
من عند اخره الى ثلث وستين درجة وساعاته الى عشرين ساعة وعند غير اسحق
الخازني من ائمة هذا الشان ان عرض الذي وراء خط الاستواء ست عشرة درجة
وسبع وعشرون دقيقة وعرض الاقليم الاول عشرون درجة وخمس عشرة دقيقة
والثاني سبع وعشرون درجة وثلاث عشرة دقيقة والثالث ثلاث وثلاثون
درجة وعشرون دقيقة والرابع ثمان وثلاثون درجة ونصف درجة
والخامس ثلث واربعون درجة والسادس سبع واربعون درجة وثلاث وخمسون

دقيقة وقيل فيه ست واربعون درجة وخمسون دقيقة والسابع احد وخمسون درجة وثلث وخمسون دقيقة والعمران وراء السابع سبع وسبعون درجة وعند ابي جعفر الخازني من المنجمين ايضا ان عرض الاقليم الاول من درجة الي عشرين وثلث عشرة دقيقة والثاني الي سبع وعشرين وثلث عشرة دقيقة والثالث الي ثلث وثلثين وتسع وثلثين دقيقة والرابع الي ثمان وثلاثين وثلاث وعشرين دقيقة والخامس الي ثنتين واربعين وثمان وخمسين دقيقة والسادس الي سبع واربعين ودقيقتين والسابع الي الخمسين وخمس واربعين دقيقة هذا ما حضرني من اختلافهم في العروض والساعات والاميال لهذه الاقاليم والله خلق كل شي فقدره تقديرا

**فصل** والمتكلمون علي هذه الجغرافيا قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة في طوله من المغرب الي المشرق بعشرة اجزا متساوية ويذكرون ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والجبال والانهار والمسافات بينها في المسالك ونحن الآن نوجز القول في ذلك باختصار ونذكر مشاهير البلدان والانهار والبحار في كل جزء منها ونحاذي بذلك ما وقع في كتاب نزهة المشتاق الذي الفه العلوي الادريسي الحمودي لملك صقلية من الفرنج وهو رجار بن رجار عندما كان نازلا عليه بصقلية بعد خروج صقلية من امارة مالقة وكان تاليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة وجمع له كتبا جمة للمسعودي وابن خرداذبه والحوقلي والعذري واسحق المنجم وبطليموس وغيرهم ونبدأ بالاقليم الاول منها الي اخرها

## الاقليم الاول

وفيه من جهة غربيه الجزاير الخالدات التي منها بدا بطليموس باخذ اطوال البلاد وليست في بسيط الاقليم وانما هي في البحر المحيط جزر متكثرة اكبرها واشهرها ثلاثة ويقال انها معمورة وقد بلغنا ان سفاين من الافرنج مرت بها في اواسط هذه المائة وقاتلوهم فغنموا منهم وسبوا وباعوا بعض اسراهم بسواحل المغرب الاقصى وصاروا الي خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربي اخبروا عن حال جزائرهم وانهم يحتفرون الارض للزراعة بالقرون وان الحديد مفقود بارضهم وعيشهم من الشعير وماشيتهم المعز وقتالهم بالحجارة يرمونها الي خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طلعت ولا يعرفون دينا ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف علي مكان هذه الجزاير الا بالعثور لا بالقصد اليها لان سفر السفن في البحر انما هو بالرياح ومعرفة جهات مهابها والي اين توصل اذا مرت علي الاستقامة من البلاد التي في ممر ذلك المهب واذا اختلف المهب وعلم حيث يوصل علي الاستقامة حوذي به القلع محاذاة تحمل السفينة بها علي قوانين في ذلك محصلة عند النواتية والملاحين الذين هم روسا السفن في البحر والبلاد

التي



التي حفا في البحر الرومي وفي عدوتيه مكتوبة كلها في صحيفة علي شكل ما هي عليه في الوجود وفي وضعها في سواحل البحر علي ترتيبها ومهاب الرياح وممراتها علي اختلافها مرسوم معها في تلك الصحيفة ويسمونها الكنباص وعليها يعتمدون في اسفارهم وهذا كله مفقود في البحر المحيط فلذلك لا يلج فيه السفن لانها ان غابت عن مراي السواحل فقل ان تهتدي الي الرجوع اليها مع ما ينعقد في جو هذا البحر وعلي سطح مائه من الابخرة المانعة للسفن في مسيرها وهي لبعدها لا تدركها اضواء الشمس المنعكسة من سطح الارض فتحللها فلذلك عسر الاهتداء اليها وصعب الوقوف علي خبرها **واما الجزء الاول** من هذا الاقليم ففيه مصب النيل الاتي من مبدايه عند جبل القمر كما ذكرناه ويسمي نيل السودان ويذهب الي البحر المحيط فيصب فيه عند جزيرة اوليل وعلي هذا النيل مدينة سلي وتكرور وغانة وكلها لهذا العهد في مملكة اهل مالي من امم السودان والي بلادهم يسافر تجار المغرب الاقصي وبالقرب منها من شمالها بلاد لمتونة وساير طوايف الملثمين ومفاوز يجولون فيها وفي جنوبي هذا النيل قوم من السودان يقال لهم لملم وهم كفار ويكتوون في وجوههم واصداغهم واهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم الي المغرب ومنهم عامة رقيقهم وليس وراءهم في الجنوب عمران يعتبر الا اناسي اقرب الي الحيوان العجم من الناطق يسكنون الفيافي والكهوف وياكلون العشب والحبوب غير مهياة وربما ياكل بعضهم بعضا وليسوا في عداد البشر وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتيكورارين ووارکلان فی غانة فیما یقال ملك ودولة لقوم من العلوية يعرفون ببني صالح وقال صاحب كتاب رجار انه صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة لسلطان مالي وفي شرقي هذه البلاد في الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو علي نهر ينبع من بعض الجبال هنالك ويمر مغربا فيغوص في رمال الجزء الثاني وكان ملك كوكو قايما بنفسه ثم استولي عليها سلطان مالي واصبحت في مملكته وخربت لهذا العهد من اجل فتنة وقعت هنالك نذكرها عند ذكر دولة اهل مالي في محلها من تاريخ البربر وفي جنوبي بلاد كوكو بلاد كانم من امم السودان وبعدهم ونكارة علي ضفة النيل من شماليه **وفي** شرقي بلاد ونكارة وكانم بلاد زغاي وتاجرة المتصلة بارض النوبة في الجزء الرابع من هذا الاقليم **وفيها** يمر نيل مصر ذاهبا من مبدايه عند خط الاستوا الي البحر الرومي في الشمال **ومخرج** هذا النيل من جبل القمر الذي فوق خط الاستوا بست عشرة درجة واختلفوا في ضبط هذه اللفظة فضبطه بعضهم بفتح القاف والميم نسبة

وكان صح

الى قمر السالف ذكره بياضه وكثرة ضوئه وفي كتاب المشترك لياقوت بضم القاف
وسكون الميم نسبة الى قوم من اهل الهند وكذا ضبطه ابن سعيد فيخرج من هذا
الجبل عشر عيون تجتمع كل خمسة منها في بحيرة وبينهما ستة اميال ويخرج من كل واحدة
من البحيرتين ثلاثة انهار تجتمع كلها في بطيحة واحدة في اسفلها جبل معترض
يشق البحيرة من ناحية الشمال وينقسم ماوها بقسمين فيمر الغربي منه الى بلاد
السودان مغربا حتى يصب في البحر المحيط ويخرج الشرقي منه ذاهبا الى الشمال
على بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينهما وينقسم في اعلا ارض مصر فيصب ثلاثة
من جداوله في البحر الرومي عند الاسكندرية ورشيد ودمياط ويصب واحد في بحيرة
ملحة قبل ان يتصل بالبحر **وفي** وسط هذا الاقليم الاول وعلى هذا النيل بلاد النوبة
والحبشة وبعض بلاد الواحات الى اسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة
وهي في غربي هذا النيل وبعدها علوه وبلاق **و**بعدهما جبل الجنادل على ستة
مراحل من بلاق في الشمال وهو جبل عالي من جهة مصر ومنخفض من جهة النوبة
فينفذ فيه النيل ويصب في مهوى بعيد صبا مهولا فلا يمكن ان تسلكه المراكب
بل يحول الوسق من مراكب السودان فيحمل على الظهر الى بلد اسوان قاعدة الصعيد
وكذا وسق مراكب الصعيد الى فوق الجنادل وبين الجنادل واسوان اثنتي
عشر مرحلة والواحات في غربيها عدوة النيل وهي الان خراب وبها اثار العمارة القديمة
**وفي** وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس منه بلاد الحبشة على واد ياتي من وراء خط
الاستوا ويمر قبالة مقدشو التي في جنوب البحر الهندي ذاهبا الى ارض النوبة
فيصب هنالك في النيل الهابط الى مصر وقد وهم فيه كثير من الناس وزعموا انه
من نيل القمر وبطليموس ذكره في كتاب الجغرافيا وذكر انه ليس من هذا النيل
**والى** وسط هذا الاقليم في هذا الجزء الخامس ينتهي بحر الهند الذي يدخل
من ناحية الصين ويغمر عامة هذا الاقليم الى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه
عمران الا ما كان في الجزاير التي في داخله وهي متعددة يقال تنتهي الى الف
جزيرة او فيما على سواحله الجنوبية وهي اخر المعمور في الجنوب او فيما على سواحله
من جهة الشمال وليس منها في الاقليم الاول الا طرف من بلاد الصين في بذاحي
جهة الشرق وبلاد اليمن في الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين
الهابطين من هذا البحر الهندي الى جهة الشمال وهما بحر القلزم وبحر فارس
وفيما بينهما جزيرة العرب وتشتمل على بلاد اليمن وبلاد الشحر في شرقيها
على ساحل هذا البحر الهندي وعلى بلاد الحجاز واليمامة وما اليهما كما نذكر في
الاقليم الثاني وما بعده **فاما** الذي على ساحل هذا البحر من غربيه
فبلد زالع من اطراف بلاد الحبشة ومجالات البجه في شمال الحبشة ما بين جبل العلاقي

الذي

الذي في اعالي الصعيد وبين بحر القلزم الهابط من البحر الهندي الى ارض مصر
وتحت بلد زالع من جهة الشمال في هذا الجزء خليج باب المندب يضيق البحر الهابط
هنالك بمزاحمة جبل المندب الماثل في وسط البحر الهندي ممتدا مع ساحل اليمن الغربي
من الجنوب الى الشمال في طول اثني عشر ميلا فيضيق البحر بسبب ذلك الى ان
يصير في عرض ثلاثة اميال او نحوها ويسمى باب المندب وعليه تمر مراكب اليمن الى ساحل
السويس قريبا من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن ودهلك وقبالته من
غربيه مجالات البجه من امم السودان كما ذكرناه ومن شرقيه تهايم اليمن على ساحله
ومنها بلد علي بن يعقوب وفي جهة الجنوب من بلد زالع وعلى ساحل هذا البحر من غربيه
قرا بربر يتلو بعضها بعضا وتنعطف مع جنوبيه الى اخر الجزء السادس ويليها
هنالك من جهة شرقيها بلاد الزنج وبعدها مدينة مقدشو وهي مدينة مستبحرة
العمارة بدوية الاحوال كثيرة التجار على ساحل البحر الهندي من جنوبيه ثم يليها شرقا
بلاد سفالة على ساحله الجنوبي في الجزء السابع من هذا الاقليم وفي شرقي بلاد سفالة
من ساحله الجنوبي بلاد الواق واق متصلة الى اخر الجزء العاشر من هذا الاقليم وعند
مدخل هذا البحر من البحر المحيط **واما** جزاير هذا البحر فكثيرة ومن اعظمها جزيرة
سرنديب مدورة الشكل وبها الجبل المشهور يقال ليس في الارض اعلا منه وهي
قبالة سفالة ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيلة تبدا من قبالة ارض سفالة
وتذهب الى الشرق منحرفة بكثير الى الشمال الى ان تقرب من سواحل اعالي الصين
ويحتف بها في هذا البحر من جنوبها جزاير الواق واق ومن شرقيها جزاير السيلا
الى جزاير اخرى في هذا البحر كثيرة العدد وفيها انواع الطيوب والافاوه وفيها
يقال معادن الذهب والزمرد وعامة اهلها على دين المجوسية وفيهم ملوك متعددون
وبهذه الجزاير من احوال العمران عجايب ذكرها اهل الجغرافيا وعلى الضفة الشمالية
من هذا البحر في الجزء السادس من هذا الاقليم بلاد اليمن كلها فمن جهة بحر القلزم
بلد زبيد والمهجم وتهامة اليمن وبعدها بلد صعدة مقر الايمة الزيدية وهي بعيدة
عن البحر الجنوبي وعن البحر الشرقي وفيما بعد ذلك مدينة عدن وفي شمالها صنعا
وبعدهما الى الشرق ارض الاحقاف وظفار وبعدها ارض حضرموت ثم بلاد الشحر
ما بين البحر الجنوبي وبحر فارس وهذه القطعة من الجزء السادس هي التي انكشف
عنها البحر من اجزا هذا الاقليم الوسطى وينكشف بعدها قليل من التاسع واكثر
منه في العاشر فيه اعالي بلاد الصين ومن مدنه الشهيرة مدينة خانكو وقبالتها من
جهة المشرق جزاير السيلا وقد تقدم ذكرها وهذا اخر الكلام في الاقليم الاول

## الاقليم الثاني

وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من
الجزاير الخالدات التي مر ذكرها وفي الجزء الاول والثاني منه في الجانب الاعلا
منهما ارض قمنورية وبعدها في جهة الشرق اعالي ارض غانة ثم مجالات زغاي من
السودان وفي الجانب الاسفل منهما صحرا نيسر متصلة من المغرب الى
الشرق ذات مفاوز تسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها
مجالات الملثمين من صنهاجة وهم شعوب كثيرة ما بين كدالة ولمتونة ومسوفة ولمطة
ودونزيكة وعلى سمت هذه المفاوز شرقا ارض فزان ثم مجالات ازكار من قبايل البربر ذاهبة
الى اعالي الجزء الثالث على سمتها في الشرق وبعدها منه هذا الجزء بلاد كوار من امم
السودان ثم قطعة من ارض التاجوين وفي اسافل هذا الجزء الثالث وهي جهة
الشمال منه بقية ارض ودان وعلى سمتها شرقا ارض سنترية وتسمى الواحات
الداخلة وفي هذا الجزء الرابع من اعلاه بقية ارض التاجوين ثم تعترض في وسط
هذا الجزء بلاد الصعيد حفافي النيل الذاهب من مبدايه في الاقليم الاول الى مصبه
في البحر فيمر في هذا الجزء بين الجبلين الحاجزين وهما جبل الواحات من غربيه وجبل
المقطم من شرقيه وعليه من اعلاه بلد اسنا وارمنت وتتصل كذلك حفافيه الى
اسيوط وقوص ثم الى صول ويفترق النيل هنالك على شعبين ينتهي الايمن
منهما في هذا الجزء عند اللاهون والايسر عند دلاص وفيما بينهما اعالي ديار مصر
وفي الشرق من جبل المقطم صحارى عيذاب وذاهبة بقية ارض الحجاز وعلى
سمتها في الشرق ~~من جبل المقطم~~ بلاد نجران وجند وتحتها ارض اليمامة وعلى
سمت نجران في الشرق ارض سبا ومارب ثم ارض الشحر وتنتهي الى بحر فارس
وهو البحر الثاني الهابط من البحر الهندي الى الشمال كما مر ويذهب في هذا
الجزء بانحراف الى المغرب فيمر ما بين شرقيه وجوفيه قطعة مثلثة عليها من اعلاه
مدينة قلهات وهي ساحل الشحر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد البحرين
وهجر منها في اخر الجزء وفي الجزء السابع ثم في الاعلا من غربيه قطعة من بحر
فارس تتصل بالقطعة الاخرى في السادس ويغمر بحر الهند جانبه الاعلا كله
وعليه هنالك بلاد السند الى بلاد مكران وتقابلها بلاد الطوبران وهي من السند
ايضا فيتصل السند كله في الجانب الغربي من هذا الجزء وتحول المفاوز بينه وبين
ارض الهند ويمر فيه نهره الاتي من ناحية بلاد الهند ويصب في البحر الهندي
في الجنوب واول بلاد الهند على ساحل البحر الهندي وفي سمتها شرقا بلاد نهروارا
وتحتها الملتان بلد الصنم العظيم عندهم ثم اسفل من الهند اعالي بلاد سجستان
وفي الجزء الثامن من غربيه بقية بلاد بلهرا من الهند وعلى سمتها شرقا بلاد القندهار
ثم بلاد منيبار في الجانب الاعلى على ساحل البحر الهندي وتحتها في الجانب

الاسفل

في الجزء الخامس الى ان تنتهي الى ارض بحر السويس وهو بحر القلزم
البحر الهندي في الجنوب الى جهة الشمال وفي عدوته
الهابط من هذا الجزء ارض الحجاز من جبل يلملم الى بلد يثرب
الشرقية من هذا الجزء وفي اعلاها حيث تقابل
وفي وسط الحجاز بلد مكة شرفها الله وفي الجزء السادس من
بلد عيذاب في العدوة الغربية من هذا البحر قبالته الى عكاظ
غربيه بلاد بجة اعلاها في الجنوب جرش وتبالة
الشمال وتحته بلاد زبيد

الاسفل ارض كابل وبعدها شرقا الى البحر المحيط بلاد القنوج ما بين قشمير
الداخلة وقشمير الخارجة عند اخر الاقليم وفي الجزء التاسع ثم في الجانب الغربي منه
بلاد الهند الاقصى ويتصل فيه الى الجانب الشرقي فيتصل من اعلاه الى العاشر وتبقى في اسفل
ذلك الجانب قطعة من بلاد الصين فيها مدينة خيغون ثم تتصل بلاد الصين في الجزء العاشر كله الى البحر
المحيط

# الاقليم الثالث

هو متصل بالثاني من جهة الشمال ففي الجزء الاول وعلى نحو الثلث من اعلاه جبل درن معترض
فيه من غربيه عند البحر المحيط الى الشرق عند اخره ويسكن هذا الجبل من البربر امم لا يحصيهم
الا خالقهم حسبما ياتي ذكره وفي القطعة التي بين هذا الجبل والاقليم الثاني وعلى
البحر المحيط منها رباط ماسة ويتصل به شرقا بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقا بلاد
درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة من صحرا نيسر المفازة التي ذكرناها في الاقليم الثاني وهذا
الجبل مطل على هذه البلاد كلها في هذا الجزء وهو قليل الثنايا والمسالك في هذه
الناحية الغربية الى ان يسامت وادي ملوية فتكثر ثناياه ومسالكه الى ان ينتهي
وفي تلك الناحية منه امم المصامدة هسكسيوة عند البحر المحيط ثم هنتاتة ثم تينملل
ثم كدميوة ثم هسكورة وهم اخر المصامدة فيه ثم قبايل صناكة وهم صنهاجة وفي اخر
هذا الجزء بعض قبايل زناتة ويتصل به هنالك من جوفيه جبل اوراس وهو جبل
كتامة وبعد ذلك امم اخرى من البرابرة نذكرهم في اماكنهم ثم ان جبل درن هذا
من جهة غربيه مطل على بلاد المغرب الاقصى وهي في جوفيه ففي الناحية الجنوبية
منها بلاد مراكش واغمات وتادلا وعلى البحر المحيط منها رباط اسفي ومدينة
سلا وفي الشرق عن بلاد مراكش بلاد فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة وهذه
هي التي تسمى المغرب الاقصى في عرف اهلها وعلى ساحل البحر المحيط منها بلد
اصيلا والعرايش وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الاوسط وقاعدتها
تلمسان وفي سواحلها على البحر الرومي بلد هنين ووهران والجزاير لان هذا
البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة في الناحية الغربية من الجزء الرابع
ويذهب مشرقا فينتهي الى بلاد الشام فاذا خرج من الخليج المتضايق غير بعيد
انفسح جنوبا وشمالا فدخل في الاقليم الثالث والخامس فلهذا كان على
ساحله من هذا الاقليم الثالث كثير من بلاده ثم تتصل ببلد الجزاير من شرقيها بلد
بجاية في ساحل البحر ثم قسطنطينة في الشرق عنها وفي اخر الجزء الاول
وعلى مرحلة من هذا البحر وفي جنوب هذه البلاد ومرتفعا الى جنوب المغرب الاوسط
بلد اشير ثم بلد المسيلة ثم الزاب وقاعدته بسكرة تحت جبل اوراس المتصل
بدرن كما مر وذلك عند اخر هذا الجزء من جهة الشرق والجزء الثاني من هذا الاقليم

كدميوة

تنتهي من طنجة الى القصر الصغير ثم باديس ثم غساسة
الكبير صح
بجبل تيطري صح

على هيئة الجزء الاول يمر جبل درن على نحو الثلث من جنوبه ذاهبا فيه من غرب الى
شرق فيقسمه بقطعتين ويغمر البحر الرومي مسافة من شماله فالقطعة الجنوبية عن
جبل درن غربها كلها مفاوز وفي الشرق منها بلد غدامس وفي سمتها شرقا ارض ودان
التي بقيتها في الاقليم الثاني كما مر والقطعة الجوفية عن جبل درن ما بينه وبين
البحر الرومي في الغرب منها جبل اوراس وتبسة والاربس وعلى ساحل البحر بلد
بونه ثم في سمت هذه البلاد شرقا بلاد افريقية فعلى ساحل البحر مدينة تونس
ثم سوسه ثم المهدية وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد الجريد توزر
وقفصه ونفزاوه وفيما بينها وبين السواحل مدينة القيروان وجبل وسلات
وسبيطلة وعلى سمت هذه البلاد كلها شرقا بلد طرابلس على البحر الرومي وبازائها
في الجنوب جبال دمر ونفوسة من قبائل هواره متصلة بجبل درن وفي مقابلة غدامس
التي مر ذكرها في اخر القطعة الجنوبية واخر هذا الجزء في الشرق سويقة ابن مثكود
على البحر وفي جنوبها مجالات العرب في ارض ودان والجزء الثالث من هذا
الاقليم يمر فيه ايضا جبل درن الا انه ينعطف عند اخره الى الشمال ويذهب
على سمته الى ان يدخل في البحر الرومي ويسمى هنالك طرف اوثان والبحر الرومي
من شماليه يغمر طائفة منه الى ان تضايق ما بينه وبين جبل درن فالذي وراء
الجبل في الجنوب وفي الغرب منه بقية ارض ودان ومجالات العرب فيها
ثم زويلة بن خطاب ثم رمال وقفار الى اخر الجزء في الشرق وفيما بين الجبل والبحر
في الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلاء وقفار تجول فيها العرب ثم اجدابية ثم
برقة عند منعطف الجبل ثم طلمينة على البحر هنالك في شرق المنعطف من الجبل ثم
مجالات هيب ورواحة الى اخر الجزء وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الاعلا
من غربيه صحاري برنيق واسفل منها بلاد هيب ورواحة ثم يدخل البحر الرومي
في هذا الجزء فيغمر طائفة منه ذاهبا الى الجنوب حتى يزاحم طرفه الاعلا ويبقى بينه
وبين اخر الجزء قفار تجول فيها العرب وعلى سمتها شرقا بلاد الفيوم وهي على
مصب احد الشعبين من النيل الذي يمر على اللاهون من بلد الصعيد في
الجزء الرابع من الاقليم الثالث ويصب في بحيرة الفيوم وعلى سمته شرقا
ارض مصر ومدينتها الشهيرة على الشعب الثاني الذي يمر بدلاص من بلاد الصعيد
عند اخر الجزء الثاني ويفترق هذا الشعب افتراقة ثانية من تحت مصر على
شعبتين اخريين من شطنوف وزفتة وينقسم الايمن منهما من طرنوط
بشعبتين اخريين ويصب جميعها في البحر الرومي فعلى مصب الغربي من هذا
الشعب بلد الاسكندرية وعلى مصب الوسط بلد رشيد وعلى مصب الشرقي
بلد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية اسافل الديار المصرية





كلها محشوة عمرانا وفلحا وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد الشام واكثرها على ما اصف
وذلك ان بحر القلزم ينتهي من الجنوب وفي الغرب منه عند السويس لانه في ممره من البحر
الهندي الى الشمال ينعطف اخرا الى جهة الغرب فتكون قطعة من انعطافه في هذا
الجزء طويلة ينتهي في الطرف الغربي منه الى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس جبال
فاران ثم جبل الطور ثم ايلة بلد مدين ثم الحوراء في اخره ومن هنالك ينعطف
ساحله الى الجنوب في ارض الحجاز كما مر في الاقليم الثاني في الجزء الخامس منه
وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثيرا من غربيه
عليها الفرما والعريش وقارب طرفها بلد القلزم فيتضايق ما بينهما من هنالك
وبقي شبه الباب مفضيا الى ارض الشام وفي غربي هذا الباب فحص التيه
ارض جرداء لا تنبت كانت مجالا لبني اسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم
الى الشام اربعين سنة كما قص القران وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء
طائفة من جزيرة قبرص وبقيتها في الاقليم الرابع كما نذكره وعلى ساحل هذه القطعة
عند الطرف المتضايق لبحر السويس بلد العريش وهو اخر الديار المصرية وعسقلان
وبينهما طرف هذا البحر ثم تنحط هذه القطعة في انحطاطها من هنالك الى الاقليم
الرابع عند طرابلس وغزة وهنالك منتهى البحر الرومي في جهة الشرق وعلى هذه
القطعة اكثر سواحل الشام ففي شرق عسقلان وبانحراف يسير عنها الى الشمال
بلد قيسارية ثم كذلك بلد عكا ثم صور ثم صيدا ثم غزة ثم ينعطف البحر الى الشمال
في الاقليم الرابع ويقابل هذه البلاد الساحلية من هذه القطعة في هذا
الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل ايلة من بحر القلزم ويذهب في ناحية
الشمال منحرفا الى الشرق الى ان يجاوز هذا الجزء ويسمى جبل اللكام وكانه
حاجز بين ارض مصر والشام وفي طرفه عند ايلة العقبة التي يمر عليها الحاج
من مصر الى مكة ثم بعدها في ناحية الشمال مدفن الخليل عليه السلام عند جبل
الشراة يتصل من عند جبل اللكام المذكور من شمال العقبة ذاهبا على سمت
الشرق ثم ينعطف قليلا وفي شرقه هنالك بلد الحجر وديار ثمود وتيماء ودومة
الجندل وهي اسافل الحجاز وفوقها جبل رضوى وحصون خيبر في جهة الجنوب
عنها وفيما بين جبل الشراة وبحر القلزم صحراء تبوك وفي شمال جبل الشراة
مدينة القدس عند جبل اللكام ثم الاردن ثم طبرية وفي شرقها بلاد الغور
الى اذرعات وعلى سمتها شرقا دومة الجندل اخر هذا الجزء وهي اخر الحجاز وحوران صح
وعند منعطف جبل اللكام الى الشمال من اخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة
صيدا وبيروت من القطعة البحرية وجبل اللكام يعترض بينها وبينها وعلى
سمت دمشق في الشرق مدينة بعلبك ثم مدينة حمص في الجهة الشمالية اخر الجزء

وبعده منقطع جبل اللكام وفي الشرق عن بعلبك وحمص بلد تدمر ومجالات البادية
الى اخر الجزء وفي الجزء السادس من اعلاه مجالات الاعراب تحت بلاد نجد واليمامة
ما بين جبل العرج والصمان الى البحرين وهجر على بحر فارس وفي اسافل هذا الجزء تحت
المجالات بلد الحيرة والقادسية ومغايض الفرات وفيما بعدها شرقا مدينة البصرة
وفي هذا الجزء ينتهي بحر فارس عند عبادان والابلة في اسافل الجزء من شماله ويصب
فيه عند عبادان نهر دجلة بعد ان ينقسم بجداول كثيرة وتختلط به جداول اخرى من
الفرات ثم تجتمع كلها عند عبادان وتنصب في بحر فارس وهذه القطعة من البحر متسعة
في اعلاه متضايقة في اخره في شرقيه وضيقة عند منتهاه مضايقة للحد الشمالي منه
وعلى عدوتها الغربية اسافل البحرين وهجر والاحسا وفي غربيها الخط والصمان
وبقية ارض اليمامة وعلى عدوته الشرقية سواحل فارس من اعلاها وهو من عند
اخر الجزء من الشرق على طرف قد امتد من هذا البحر شرقا ووراءه الى الجنوب في هذا
الجزء جبال القفص من كرمان وتحت هرمز على الساحل بلد سيراف ونجيرم على ساحل
هذا البحر وفي شرقيه الى اخر الجزء وتحت هرمز بلاد فارس مثل سابور ودار ابجرد
وفسا واصطخر والشاهجان وشيراز وهي قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس الى
الشمال عند طرف البحر بلاد خوزستان ومنها الاهواز وتستر وجندي سابور
والسوس ورام هرمز وغيرها وارجان وهي حد بين فارس وخوزستان وفي شرقي
بلاد خوزستان جبال الاكراد متصلة الى نواحي اصبهان وبها مساكنهم ومجالاتهم
وراءها في ارض فارس وتسمى الرموم وفي الجزء السابع في الاعلى منه من الغرب
بقية جبال القفص ويليها من الجنوب والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها
الرودان والشيرجان وجيرفت ويزدشير والفهرج وتحت ارض كرمان الى الشمال
بقية بلاد فارس الى حدود اصبهان ومدينة اصبهان في طرف هذا الجزء
ما بين غربه وشماله ثم في الشرق عن ارض كرمان وبلاد فارس ارض سجستان
في الجنوب وكوهستان في وسط هذا الجزء المفازة العظمى القليلة المسالك
لصعوبتها ومن مدن سجستان بست والطاق واما كوهستان فهي من بلاد
خراسان ومن مشاهير بلادها سرخس وقوهستان اخر الجزء وفي الجزء الثامن
من غربه وجنوبه مجالات الخلج من امم الترك متصلة بارض سجستان من غربها
وبارض كابل الهند من جنوبها وفي الشمال عن هذه المجالات جبال الغور وبلادها
وقاعدتها غزنة فرضة الهند وفي اخر الغور من الشمال بلد استراباذ ثم في الشمال عنها
الى اخر الجزء بلاد هراة اوسط خراسان وبها اسفراين وقاشان وبوشنج
ومرو الروذ والطالقان والجوزجان وتنتهي خراسان هنالك الى نهر جيحون
وعلى هذا النهر من بلاد خراسان في غربيه مدينة بلخ وفي شرقيه مدينة الترمذ

وارض صح
في الشمال عنها وسطا بين كرمان
وفارس وبين سجستان وكوهستان
صح

ومدينة

ومدينة بلخ كانت كرسي ملك الترك وهذا النهر نهر جيحون مخرجه من بلاد وخان في حدود
بذخشان مما يلي الهند فيخرج من جنوب هذا الجزء وعند اخره من الشرق فينعطف
عن قرب مغربا الى وسط الجزء ويسمى هنالك نهر خرناب ثم ينعطف الى الشمال
حتى يمر بخراسان ويذهب على سمته الى ان يصب في بحيرة خوارزم في الاقليم الخامس
كما نذكر ويمده عند انعطافه في وسط الجزء من الجنوب والشمال خمسة انهار عظيمة
من بلاد الختل والوخش من شرقيه وانهار اخرى من جبال البتم من شرقيه ايضا
وجوفي الجبل حتى يتسع ويعظم بما لا كفاء له ومن هذه الانهار الخمسة الممدة له
نهر وخشاب يخرج من بلاد التبت وهي بين الجنوب والشرق من هذا الجزء فيمر مغربا
بانحراف الى الشمال ويعترضه في طريقه جبل عظيم يمر من وسط الجنوب في هذا
الجزء ويذهب مشرقا بانحراف الى الشمال الى ان يخرج الى الجزء التاسع قريبا
من شمالي هذا الجزء فيجوز بلاد التبت الى القطعة الشرقية الجنوبية من هذا
الجزء ويحول بين الترك وبين بلاد الختل وليس فيه الا مسلك واحد في وسط
الشرق من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى سدا وبنا له بابا كسد ياجوج
فاذا خرج نهر وخشاب من بلاد التبت واعترضه هذا الجبل فينفذ تحته في
مدى بعيد الى ان يمر ببلاد الوخش ويصب في نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمر
هابطا الى الترمذ في الشمال الى بلاد الجوزجان وفي الشرق من بلاد الغور فيما
بينه وبين نهر جيحون بلاد الباميان من خراسان وفي العدوة الشرقية
هنالك من النهر بلاد الختل واكثرها جبال وبلاد الوخش ويحدها من جهة الشمال
جبال البتم تخرج من طرف خراسان غربي نهر جيحون وتذهب مشرقة الى ان يتصل
طرفها بالجبل العظيم الذي خلفه بلاد التبت ويمر تحته نهر وخشاب كما قلناه
فيتصل به عند باب الفضل بن يحيى ويمر نهر جيحون بين هذه الجبال وانهار اخرى تصب
فيه منها نهر بلاد الوخش يصب فيه من الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر بلخاب
يخرج من جبال البتم من مبداه عند الجوزجان ويصب فيه من غربيه وعلى هذا النهر
من غربيه بلد امل من خراسان وفي شرقي النهر من هنالك ارض الصغد واسروسنة
من بلاد الترك وفي شرقها ارض فرغانة ايضا الى اخر الجزء شرقا وكل بلاد
الترك تحوزها جبال البتم الى شمالها وفي الجزء التاسع في غربيه ارض التبت
الى وسط الجزء وفي جنوبها بلاد الهند وفي شرقها بلاد الصين الى اخر الجزء
وفي اسفل هذا الجزء شمالا عن بلاد التبت بلاد الخزلجية من الترك الى اخر الجزء
شمالا ويتصل بها من غربها ارض فرغانة ومن شرقها ارض التغزغز من الترك الى
اخر الجزء شرقا وشمالا وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعا بقية الصين واسافله
وفي الشمال بقية بلاد التغزغز ثم شرقا عنهم بلاد خرخير من الترك ايضا الى اخر الجزء

شرقا وفي الشمال عن ارض خرخيز بلاد كيماكيه من الترك وقبالتها في البحر المحيط
بجزيرة الياقوت في وسط جبل مستدير لا منفذ منه اليها ولا مسلك والصعود
الى اعلاه من خارجه صعب في الغاية وبالجزيرة حيات قتالة وحصى من الياقوت
كثير فيحتال اهل تلك الناحية في استخراجه بما يلهمهم الله اليه وهذه البلاد في هذا
الجزء التاسع والعاشر فيما وراء خراسان والجبل كلها مجالات للترك امم لا تحصى
وهم ظواعن رحالة اهل ابل وشاء وبقر وخيل للنتاج والركوب والاكل وطوايفهم
كثيرة لا يحصيهم الا خالقهم وفيهم مسلمون مما يلي بلاد النهر نهر جيحون يغزون الكفار منهم
الدايبين بالجوسية فيبيعون رقيقهم لمن يليهم ويخرجون الى بلاد خراسان والهند والعراق

## الاقليم الرابع

يتصل بالثالث من جهة الشمال والجزء الاول منه في غربيه قطعة من البحر المحيط
مستطيلة جنوبا الى اخره شمالا وعليها في الجنوب مدينة طنجة ويخرج من هذه
القطعة تحت طنجة من البحر المحيط البحر الرومي في خليج متضايق بمقدار اثني عشر
ميلا ما بين طريف والجزيرة الخضراء شمالا وقصر المجاز وسبتة جنوبا ويذهب
مشرقا الى ان ينتهي الى وسط الجزء الخامس من هذا الاقليم وينفسح في ذهابه بتدريج
الى ان يغمر الاربعة الاجزاء واكثر الخامس ويغمر عن جانبيه طرفا من الاقليم
الثالث والخامس كما نذكره ويسمى هذا البحر البحر الشامي ايضا وفيه جزاير كثيرة
اعظمها في جهة الغرب يابسة ثم ميورقة ثم منرقة ثم سردانية ثم صقلية وهي
اعظمها ثم بلبونس ثم اقريطش ثم قبرص كما نذكرها كلها في اجزايها التي وقعت
فيها ويخرج من هذا البحر الرومي عند اخر الجزء الثالث منه وفي الجزء الثالث
من الاقليم الخامس خليج البنادقة يذهب الى ناحية الشمال ثم ينعطف عند
وسط الجزء من جوفيه ويمر مغربا الى ان ينتهي في الجزء الثاني من الخامس ويخرج
منه ايضا في اخر الجزء الرابع شرقا من الاقليم الخامس خليج القسطنطينية
يمر في الشمال متضايقا في عرض رمية السهم الى اخر الاقليم ثم يفضي الى الجزء
الرابع من الاقليم السادس وينعطف الى بحر نيطش ذاهبا الى الشرق
في الجزء الخامس كله ونصف السادس من الاقليم السادس كما نذكر ذلك في اماكنه
وعند ما يخرج هذا البحر الرومي من البحر المحيط في خليج طنجة وينفسح الى
الاقليم الثالث يبقى في الجنوب عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة
طنجة على مجمع البحرين وبعدها سبتة على البحر الرومي ثم تيطاوين ثم بادس
ثم يغمر البحر بقية هذا الجزء شرقا ويخرج الى الثالث واكثر العمارة في هذا
الجزء في شماله وشمالي الخليج منه وهي كلها بلاد الاندلس فالغربية منها ما بين
البحر المحيط والبحر الرومي اولها طريف عند مجمع البحرين وفي الشرق عنها على

في مقابلة

ساحل



ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم المنكب ثم المرية وتحت هذه من لدن البحر المحيط
غربا وعلى مقربة منه شريش ولبلة وقبالتهما فيه جزيرة قادس وفي الشرق عن شريش ولبلة
اشبيلية ثم استجة وقرطبة ومرتلة ثم غرناطة وجيان وابدة ثم وادي اش وبسطة
وتحت هذه شنتمرية وشلب على البحر المحيط غربا وفي الشرق عنهما بطليوس وماردة
ويابرة ثم غافق وترجالة ثم قلعة رباح وتحت هذه اشبونة على البحر المحيط غربا وعلى نهر باجه
وفي الشرق عنها شنترين وموره على النهر المذكور ثم قنطرة السيف وبسامت اشبونة
من جهة الشرق جبل الشارات يبدا من الغرب هنالك ويذهب مشرقا مع اخر الجزء
من شماليه فينتهي الى مدينة سالم فيما بعد النصف منه وتحت هذا الجبل طلبيرة في الشرق
عن افورية ثم طليطلة ثم وادي الحجارة ثم مدينة سالم وعند اول هذا الجبل فيما بينه
وبين اشبونة بلد قلمرية وهذه غرب الاندلس واما شرق الاندلس فعلى ساحل البحر
الرومي منها من بعد المرية قرطاجنة ثم لقنت ثم دانية ثم بلنسية الى طركونة اخر الجزء
في الشرق وتحتها شمالا لورقة وشقورة تحاذيان بسطة وقلعة رباح من غرب الاندلس
ثم مرسية شرقا ثم شاطبة تحت بلنسية ثم شقر ثم طرطوشة تحت طركونة اخر الجزء
ثم تحت هذه شمالا ايضا جنجالة ووبذة متاخمتان لشقورة وطليطلة من الغرب ثم افراغة
شرقا تحت طرطوشة وشمالا عنها وفي الجزء الثاني من هذا الاقليم غمر الماء جميعه
الا قطعة من غربيه في الشمال فيها بقية جبل البرتات ومعناه جبل الثنايا والمسالك
يخرج اليه من اخر الجزء الاول من الاقليم الخامس يبدا من الطرف المنتهي من البحر
المحيط عند اخر ذلك الجزء جنوبا وشرقا ويمر في الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج
في هذا الاقليم الرابع منحرفا عن الجزء الاول منه الى هذا الجزء الثاني فيقع فيه قطعة
منه تفضي ثناياها الى البر المتصل ويسمى ارض غشكونية وفيه مدينة جرندة وقرقشونة
وعلى ساحل البحر الرومي من هذه القطعة مدينة برشلونة ثم اربونة وفي هذا
البحر الذي غمر الجزء جزاير كثيرة والكثير منها غير مسكون لصغرها ففي غربيه جزيرة سردانية
وفي شرقيه جزيرة صقلية متسعة الاقطار يقال ان في دورها سبعمائة ميل وبها مدن كثيرة
من مشاهيرها سرقوسة وبلرم وطرابنة ومازر ومسيني وهذه الجزيرة تقابل ارض افريقية
وفيما بينهما جزيرة اغودش ومالطة والجزء الثالث من هذا الاقليم مغمور ايضا بالبحر
الا ثلاث قطع من ناحية الشمال الغربية منها من ارض قلورية والوسطى من ارض
انكبردة والشرقية من بلاد البنادقة والجزء الرابع من هذا الاقليم مغمور ايضا
بالبحر كما مر وجزايره كثيرة واكثرها غير مسكون كما في الثالث والمعمور منها جزيرة بلبونس
في الناحية الغربية الشمالية وجزيرة اقريطش مستطيلة من وسط الجزء الى ما بين
الجنوب والشرق منه والجزء الخامس من هذا الاقليم غمر البحر منه مثلثة كبيرة بين الجنوب
والغرب ينتهي الضلع الغربي منها الى اخر الجزء في الشمال وينتهي الضلع الجنوبي منها

سبعمائة ميل

نهر في الشرق في غايته ... البحر ... قسطنطينية ... الجزء شرقا ...

الى نحو الثلثين من الجزء ويبقى في الجانب الشرقي من الجزء قطعة نحو الثلث بين الشمالي منها الى
الغرب منعطفا مع البحر كما قلناه وفي النصف الجنوبي منها اسافل الشام ويمر في وسطها
جبل اللكام الى ان ينتهي الى اخر الشام في الشمال فينعطف من هنالك ذاهبا الى القطر الشرقي
الشمالي ويسمى بعد انعطافه جبل السلسلة ومن هنالك يخرج الى الاقليم الخامس
ويجوز من عند منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة الى جهة الشرق ويقوم من عند منعطفه من
جهة الغرب جبال متصل بعضها ببعض الى ان تنتهي الى طرف خارج من البحر الرومي متاخم
الى اخر الجزء من الشمال وبين هذه الجبال ثنايا تسمى الدروب وهي التي تفضي الى بلاد
الارمن وفي هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين جبل السلسلة فاما الجهة الجنوبية
التي قدمنا ان فيها اسافل الشام وان جبل اللكام معترض فيها بين البحر الرومي واخر الجزء
من الجنوب الى الشمال فعلى ساحل البحر منه بلد انطرسوس في اول الجزء من الجنوب متاخمة
لعرقة وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث وفي شمال انطرسوس جبلة ثم اللاذقية
ثم اسكندرونة ثم سلوقية وبعدها شمالا بلاد الروم واما جبل اللكام المعترض بين البحر
واخر الجزء بحافيه من بلاد الشام من اعلى الجزء جنوبا حصن الخوابي من غربيه وهو
للحشيشية الاسماعيلية ويعرفون لهذا العهد بالفداوية ويسمى الحصن مصياف وهو
قبالة انطرسوس شرقا ويقابل هذا الحصن في شرق الجبل بلد سلمية في الشمال عن
حمص وفي الشمال عن مصياف بين الجبل والبحر بلد انطاكية ويقابلها في شرق الجبل
المعرة وفي شرقها المراغة وفي شمال انطاكية المصيصة ثم اذنة ثم طرسوس اخر الشام
ويحاذيها من غرب الجبل قنسرين ثم عين زربة وقبالة قنسرين في شرق الجبل حلب
ويقابل عين زربة منبج اخر الشام واما الدروب فعن يمينها ما بينها وبين البحر الرومي
بلاد الروم التي هي لهذا العهد للتركمان وسلطانها ابن عثمان وفي ساحل البحر
منها بلد انطالية والعلايا واما بلاد الارمن التي بين جبل الدروب وجبل السلسلة
ففيها بلد مرعش وملطية وانقرة الى اخر الجزء شمالا ويخرج من الجزء الخامس في بلاد
الارمن نهر جيحان ونهر سيحان في شرقيه فيمر نهر جيحان جنوبا حتى يتجاوز الدروب ثم يمر
بطرسوس ثم بالمصيصة ثم ينعطف هابطا الى الشمال ومغربا حتى يصب في البحر الرومي
جنوب سلوقية ويمر نهر سيحان موازيا لنهر جيحان فيحاذي انقرة ومرعش ويتجاوز
جبال الدروب الى ارض الشام ثم يمر بعين زربة ويجوز عن نهر جيحان ثم ينعطف الى
الشمال ومغربا فيختلط بنهر جيحان عند المصيصة ومن غربها واما بلاد الجزيرة التي
يحيط بها منعطف جبل اللكام الى جبل السلسلة ففي جنوبها بلد الرافقة والرقة
ثم حران ثم سروج والرها ثم نصيبين ثم سميساط وآمد تحت جبل السلسلة واخر الجزء
من شماله وهو ايضا اخر الجزء من شرقيه ويمر في وسط هذه القطعة نهر الفرات ونهر دجلة
يخرجان من الاقليم الخامس ويمران في بلاد الارمن جنوبا الى ان يتجاوزا جبل السلسلة

فيمر



فيمر نهر الفرات في غربي سميساط وسروج ثم ينحرف الى الشرق فيمر بغرب الرافقة والرقة
ويخرج الى الجزء السادس ويمر دجلة في شرق آمد وينعطف قريبا الى الشرق فيخرج قريبا
الى الجزء السادس وفي الجزء السادس من هذا الاقليم من غربيه بلاد الجزيرة وفي الشرق عنها
بلاد العراق متصلة بها تنتهي في الشرق الى قرب اخر الجزء ويعترض اخر العراق هنالك جبل
اصبهان هابطا من جنوب الجزء منحرفا الى الغرب فاذا انتهى الى وسط الجزء من اخره في الشمال
يذهب مغربا الى ان يخرج من الجزء السادس ويتصل على سمته بجبل السلسلة في الجزء الخامس
فيقطع هذا الجزء السادس بقطعتين غربيه وشرقيه ففي الغربيه من جنوبها مخرج الفرات من الخامس
وفي شمالها مخرج دجلة منه اما الفرات فاول ما يخرج الى السادس يمر بقرقيسيا ويخرج منه هنالك
جدول الى ان ينساب في ارض الجزيرة ويغوص في نواحيها ويمر من قرقيسيا غير بعيد
ثم ينعطف الى الجنوب فيمر بغرب الخابور الى غرب الرحبة ويخرج منه جدول من هنالك
يمر جنوبا وتبقى صفين في غربيه ثم ينعطف شرقا وينقسم بشعوب فيمر بعضها بالكوفة
وبعضها بقصر ابن هبيرة وبالجامعين وتخرج جميعها في جنوب الجزء الى الاقليم الثالث
فيغوص هنالك في شرق الحيرة والقادسية ويمر الفرات من الرحبة مشرقا على سمته
الى هيت من شمالها ثم الى الزاب والانبار من جنوبها ثم يصب في دجلة عند بغداد
واما نهر دجلة فاذا دخل من الجزء الخامس الى هذا الجزء يمر مشرقا على سمته ومحاذيا
لجبل السلسلة المتصل بجبل العراق على سمته فيمر بجزيرة ابن عمر من شمالها ثم بالموصل
كذلك وتكريت وينتهي الى الحديثة فينعطف جنوبا وتبقى الحديثة في شرقه والزاب
الكبير والصغير كذلك ويمر على سمته جنوبا وفي غرب القادسية الى ان ينتهي الى بغداد
ويختلط بالفرات ثم يمر جنوبا على غرب جرجرايا الى ان يخرج من الجزء الى الاقليم الثالث
فتتفرق هنالك شعوبه وجداوله ثم تجتمع وتصب هنالك في بحر فارس عند عبادان وفيما
بين نهر الدجلة والفرات قبل مجمعهما ببغداد هي بلاد الجزيرة ويختلط بنهر دجلة بعد
مفارقته بغداد نهر اخر ياتي من الجهة الشرقية الشمالية عنه وينتهي الى بلد النهروان قبالة
بغداد شرقا ثم ينعطف جنوبا ويختلط بدجلة قبل خروجه الى الاقليم الثالث ويبقى
ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والاعاجم بلد جلولا وفي شرقها عند الجبل بلد حلوان
وصيمرة واما القطعة الغربية من الجزء فيعترضها جبل يبدا من جبل الاعاجم مشرقا
الى اخر الجزء ويسمى جبل شهرزور ويقسمها بقطعتين وفي الجنوبية من هذه القطعة الصغرى
بلد خونجان في الغرب والشمال عن اصبهان وتسمى هذه القطعة بلاد البهلوس وفي وسطها
بلد نهاوند وفي شمالها بلد شهرزور غربا عند ملتقى الجبلين والدينور شرقا عند
اخر الجزء وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد ارمينية قاعدتها المراغة والذي
يقابلها من جبل العراق يسمى جبل بارما وهو مساكن الاكراد والزاب الكبير والصغير
الذي على دجلة من ورائه وفي اخر هذه القطعة من جهة الشرق بلاد اذربيجان ومنها تبريز

والبيلقان وفي الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطعة من بحر نيطش وهو بحر الخزر
وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربيه وجنوبه معظم بلاد البهلوس وفيها همدان وقزوين
وبقيتها في الاقليم الثالث وفيها هنالك اصبهان وتحيط بها من الجنوب جبل يخرج من
غربيها ويمر بالاقليم الثالث ثم ينعطف من الجزء السادس الى الاقليم الرابع ويتصل
بجبل العراق في شرقيه الذي مر ذكره وانه محيط ببلاد البهلوس في القطعة الشرقية ويهبط
هذا الجبل المحيط باصبهان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال ويخرج الى هذا الجزء السابع
فيحيط ببلاد البهلوس من شرقها وتحته هنالك قاشان ثم قم وينعطف في قرب النصف
من طريقه مغربا بعض الشي ثم يرجع مستديرا فيذهب مشرقا ومنحرفا الى الشمال حتى يخرج
الى الاقليم الخامس ويشتمل عند منعطفه واستدارته على بلد الري في شرقيه ويبدا من ذلك
منعطف بجبل اخر يمر غربا الى اخر الجزء ومن جنوبه هنالك قزوين ومن جانبه الشمالي وجانب
جبل الري المتصل معه ذاهبا الى الشرق والشمال الى وسط الجزء ثم الى الاقليم الخامس بلاد
طبرستان فيما بين هذه الجبال وبين قطعة من بحر طبرستان تدخل من الاقليم الخامس في
هذا الجزء في نحو النصف من غربه الى شرقه ويعترض عند جبل الري وعند انعطافه الى المغرب
جبل متصل يمر على سمته مشرقا وبانحراف قليل الى الجنوب حتى يدخل في الجزء الثامن من
من غربه ويبقى بين جبل الري وهذا الجبل من عند مبدايهما بلاد جرجان فيما بين الجبلين
ومنها بسطام ووراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية المفازة التي بين
فارس وخراسان وهي في شرقي قاشان وفي اخرها عند هذا الجبل بلد استراباذ
وحفافي هذا الجبل من شرقيه الى اخر الجزء بلاد قيب بلاد من خراسان ففي جنوب
الجبل وشرق المفازة بلد نيسابور ثم مرو الشاهجان اخر الجزء وفي شماله وشرق جرجان
بلد مهرجان وخازرون وطوس اخر الجزء شرقا وكل هذه تحت الجبل وفي الشمال عنه
بعيدا بلاد نسا وتحيط بها عند زاوية الجزء بين الشمال والشرق مفاوز معطلة
وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في غربيه نهر جيحون ذاهبا من الجنوب الى الشمال وفي
عدوته الغربية زم وامل من بلاد خوارزم والطاهرية والجرجانية من بلاد خوارزم وتحيط
بالزاوية الغربية الجنوبية منه جبل استراباذ المعترض في الجزء السابع قبله ويخرج
من هذا الجزء من غربيه وتحيط بهذه الزاوية وفيها بقية بلاد هراة ويمر الجبل في الاقليم
الثالث بين هراة والجوزجان حتى يتصل بجبل البتم كما ذكرناه هنالك وفي شرقي نهر جيحون
من هذا الجزء في الجنوب منه بلاد بخارا ثم بلاد الصغد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد
اشروسنة ومنها خجندة اخر الجزء شرقا وفي الشمال عنها عن سمرقند واشروسنة ارض ايلاق
ثم في الشمال عن ايلاق ارض الشاش ثم الى اخر الجزء شرقا وتاخذ قطعة من الجزء التاسع
في جنوب تلك القطعة بقية ارض فرغانة ويخرج من هذه القطعة التي في الجزء التاسع
نهر الشاش يمر معترضا في الجزء الثامن الى ان يصب في نهر جيحون عند مخرجه من هذا الجزء

هنالك صح

الثامن

الثامن في شماله الى الاقليم الخامس ويختلط معه في ارض ايلاق نهر ياتي من الجزء التاسع
من الاقليم الثالث من تخوم بلاد التبت ويختلط معه قبل مخرجه من الجزء التاسع نهر
فرغانة وعلى سمت نهر الشاش جبل جبراغون يبدا من الاقليم الخامس وينعطف
مشرقا ومنحرفا الى الجنوب حتى يخرج الى الجزء التاسع محيطا بارض الشاش ثم ينعطف
في الجزء التاسع فيحيط بالشاش وفرغانة هنالك الى جنوبه فيدخل في الاقليم الثالث
وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل في وسط الجزء بلاد فاراب وبينه وبين ارض بخارا
وخوارزم مفاوز معطلة وفي زاوية هذا الجزء بين الشمال والشرق ارض خجندة وفيها بلد
اسبيجاب وطراز وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في غربيه بقية فرغانة والشاش
ارض الخزلخية في الجنوب وارض الخلخية في الشمال وفي شرق الجزء كله الى اخره ارض
الكيماكية وتتصل في الجزء العاشر كله الى جبل قوقايا اخر الجزء شرقا وعلى قطعة من البحر
المحيط هنالك وهو جبل ياجوج وماجوج وهذه الامم كلها من شعوب الترك

للخلخيه صح

بلغ مقابلة

## الاقليم الخامس

الجزء الاول منه اكثره مغمور بالبحر الا قليلا من جنوبه وشرقه لان البحر المحيط من هذه الجهة
الغربية دخل في الاقليم الخامس والسادس والسابع عن الدائرة المحيطة بالاقليم فاما
المنكشف من جنوبه فقطعة على شكل المثلث متصلة من هنالك بالاندلس وعليها بقيتها
ويحيط بها البحر من جهتين كانهما ضلعان محيطان بزاوية المثلث فمنها من بقية غرب
الاندلس منت ميور عند اول الجزء من الجنوب والغرب وشلمنكة شرقا عنها وفي
جوفها سمورة وفي الشرق عنها اشلمنكة ابلة اخر الجنوب وارض قشتالة شرقا عنها
وفيها مدينة شقوبية وفي شمالها ارض ليون وبرغشت ثم وراءها في الشمال ارض
جليقية الى زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط في اخر الضلع الغربي بلد شنتياقوب
ومعناه يعقوب وفيها من بلاد شرق الاندلس مدينة تطيلة عند اخر الجزء في الجنوب
وشرقا عن قشتالة وفي شمالها وشرقها وشقة ثم بنبلونة على سمتها شرقا وشمالا
وفي غرب بنبلونة قسطالة ثم ناجرة فيما بينها وبين برغشت ويعترض وسط هذه
القطعة جبل عظيم محاذيا للبحر وللضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به
وبطرف البحر عند بنبلونة في جهة الشرق الذي ذكرنا من قبل انه يتصل في الجنوب
بالبحر الرومي في الاقليم الرابع ويصير حاجزا على الاندلس من جهة الشرق وبنا فيه ابوابا
لها تفضي الى بلاد غشكونية من امم الفرنج فمنها في الاقليم الرابع برشلونة واربونة
على ساحل البحر الرومي وجرندة وقرقشونة وراءها في الشمال ومنها في الاقليم
الخامس طلوشة شمالا عن جرندة واما المنكشف في هذا الجزء من جهة الشرق فقطعة
على شكل مثلث مستطيل زاويته الحادة وراء البرتات مشرقا وفيها على البحر المحيط

على البحر صح

على راس القطعة التي يتصل بها جبل البرتات بلد بيونه وفي اخر هذه القطعة في الناحية
الشرقية الشمالية من الجزء ارض بيطو من الفرنج الى اخر الجزء وفي الجزء الثاني في الناحية
المغربية منه ارض غشكونيه وفي شمالها ارض بيطو وبرغش وقد ذكرناها وفي شرق
بلاد غشكونيه قطعة من البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالضرس مايلة الى الشرق قليلا
وصارت بلاد غشكونيه في غربها داخلة في جون من البحر وعلى راس هذه القطعة شمالا بلاد
جنوة وعلى سمتها في الشمال جبل منت جون وفي شماله وعلى سمته ارض برغونه وفي
الشرق عن طرف جنوة الخارج من البحر الرومي طرف اخر خارج منه يبقى بينهما جون داخل
من البر في البحر في غربه بيشه وفي شرقيه مدينة رومة العظمى كرسي ملك الافرنجة ومسكن
البابة بتركهم الاعظم وفيها من المباني الضخمة والهياكل المهولة والكنائس العادية ما هو
معروف الاخبار ومن عجائبها النهر الجاري في وسطها من المشرق الى المغرب مفروش
قاعه ببلاط النحاس وفيها كنيسة بطرس وبولس من الحواريين وهما مدفونان بها
وفي الشمال عن بلاد رومة بلاد برمنية الى اخر الجزء وعلى هذا الطرف من البحر الذي من جنوة
رومة بلد نابل في الجانب الشرقي منه متصلة ببلاد قلورية من بلاد الفرنج وفي شمالها
طرف من خليج البنادقة دخل في هذا الجزء من الجزء الثالث مغربا ومحاذيا للشمال الى هذا
الجزء وانتهى الى نحو الثلث منه وعليه كثير من بلاد البنادقة من جنوبه فيما بينه وبين البحر
المحيط ومن شماله بلاد انكلايه في الاقليم السادس وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم
في غربه بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر الرومي يدخل جانب من برها في الاقليم
الرابع في البحر الرومي في جون بين طرفين خرجا من البحر على سمت الشمال الى هذا الجزء
وفي شرق بلاد قلورية بلاد انكبرده في جون بين خليج البنادقة والبحر الرومي
ويدخل طرف من هذا الجون في الاقليم الرابع وفي البحر الرومي ويحيط به من شرقيه
خليج البنادقة من البحر الرومي ذاهبا الى سمت الشمال ثم ينعطف الى المغرب
محاذيا لآخر الجزء الشمالي ويخرج على سمته من الاقليم الرابع جبل عظيم يوازيه ويذهب معه
في الشمال ثم يغرب معه في الاقليم السادس الى ان ينتهي قبالة الخليج في شماله في بلاد
انكلايه من امم الكمانيين كما نذكر وعلى هذا الخليج وبينه وبين هذا الجبل ما داما ذاهبين الى
الشمال بلاد البنادقة فاذا ذهبا الى المغرب فبينهما بلاد جرواسيا ثم بلاد الكمانيين
عند طرف الخليج وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة في البحر الرومي خرجت اليه من الاقليم
الرابع مضرسة كلها بقطع من البحر تخرج منها الى الشمال وبين كل ضرسين منها طرف
من البر في الجون بينهما وفي اخر الجزء شرقا خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف
الجنوبي ويذهب على سمت الشمال الى ان يدخل في الاقليم السادس وينعطف من
هنالك عما قرب مشرقا الى بحر نيطش في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس
بعده من الاقليم السادس كما نذكر وبلد القسطنطينية في شرقي هذا الخليج عند

اخر

اخر الجزء من الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسي القياصرة وبها من آثار البناء
والضخامة ما كثرت عنه الاحاديث والقطعة التي بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية
من هذا الجزء فيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين ومنها ابتدا ملكهم وفي شرقي هذا
الخليج الى اخر الجزء قطعة من ارض باطوس واظنها لهذا العهد مجالات للتركمان وبها ملك
ابن عثمان وقاعدته برصة وكانت من قبلهم للروم وغلبهم عليها الامم الى ان صارت للتركمان
وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غربيه وجنوبيه ارض باطوس وفي الشمال عنها الى اخر الجزء
بلاد عمورية وفي شرقي عمورية نهر قباقب الذي يمد الفرات يخرج من جبل هنالك ويذهب
في الجنوب حتى يخالط الفرات قبل فصوله من هذا الجزء الى ممره في الاقليم الرابع وهنالك
في غربيه اخر الجزء نهر سيحان ثم نهر جيحان غربه الذاهبين على سمته وقد مر ذكرهما وفي شرقيه
هنالك مبدا نهر دجلة الذاهب على سمته وفي موازاته حتى يخالطه عند بغداد وفي
الزاوية التي بين الجنوب والشرق من هذا الجزء وراء الجبل الذي يبدا منه نهر دجلة بلد ميافارقين
ونهر قباقب الذي ذكرناه يقسم هذا الجزء بقطعتين احداهما غربية جنوبية وفيها ارض
باطوس كما قلناه واسفلها الى اخر الجزء شمالا ووراء الجبل الذي يبدا منه نهر قباقب
ارض عمورية كما قلناه والقطعة الثانية شمالية شرقية جنوبية على الثلث منها في الجنوب
منها مبدا الدجلة والفرات وفي الشمال بلاد البيلقان متصلة بارض عمورية من
وراء جبل قباقب وهي عريضة وفي اخرها عند مبدا الفرات بلد خرشنة وفي الزاوية الشرقية
الشمالية قطعة من بحر نيطش الذي يمده خليج القسطنطينية وفي الجزء السادس من هذا
الاقليم في جنوبيه وغربيه بلاد ارمينية متصلة الى ان تتجاوز وسط الجزء الى جانب الشرق
وفيها بلد ارزن في الجنوب والغرب وفي شمالها تفليس ودبيل وفي شرق ارزن مدينة
خلاط ثم بردعة وفي جنوبها بانحراف الى الشرق مدينة ارمينية ومن هنالك تخرج بلاد
ارمينية الى الاقليم الرابع وفيها هنالك بلد المراغة في شرقي جبل الاكراد المسمى قبل
بارما وقد مر ذكره في الجزء السادس منه ويتاخم بلاد ارمينية في هذا الجزء وفي الاقليم الرابع
من جهة الشرق منها بلاد اذربيجان واخرها في هذا الجزء شرقا بلد اردبيل على قطعة
من بحر طبرستان دخلت في الناحية الشرقية من هذا الجزء من الجزء السابع ويسمى بحر
طبرستان وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد الخزر وهم التركمان ويبدا من عند اخر هذه
القطعة البحرية في الشمال جبال يتصل بعضها ببعض على سمت الغرب الى الجزء الخامس
وتمر فيه منعطفة ومحيطة ببلاد ميافارقين وتخرج الى الاقليم الرابع عند آمد وتتصل
بجبل السلسلة في اسافل الشام ومن هنالك تتصل بجبل اللكام كما مر وبين هذه
الجبال الشمالية في هذا الجزء ثنايا كالابواب تفضي من الجانبين ففي جنوبيها بلاد
الابواب متصلة في الشرق الى بحر طبرستان وعليه من هذه البلاد مدينة باب الابواب وتتصل
بلاد الابواب في الغرب من ناحية جنوبها ببلاد ارمينية وبينها في الشرق وبين بلاد

مبدا حجر

ادربيجان الجنوبية بلاد الران متصلة الى بحر طبرستان وفي شمال بلاد الجبال قطعة
من هذا الجزء في غربها مملكة السرير الخاقان وفي الزاوية الغربية الشمالية منها وهي زاوية
الجزء كله قطيعة ايضا من بحر نيطش الذي يمد خليج القسطنطينية وقد مر ذكره وتحف بهذه
القطعة من نيطش بلاد السرير وعليها منها بلاد اطرابزندة وتتصل بلاد السرير بين جبال
الابواب والجهة الشمالية من الجزء الى ان تنتهي شرقا الى جبل حاجز بينها وبين ارض الخزر
يسمى بال الزراوية وعند اخره مدينة صول ووراء هذا الحاجز قطعة من ارض الخزر تنتهي الى
الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء بين بحر طبرستان واخر الجزء شمالا والجزء السابع
من هذا الاقليم الرابع القطعة التي ذكرنا هنالك ان عليها بلاد طبرستان وجبال الديلم
الى قزوين وفي غربي تلك القطعة متصلة بها القطيعة التي في الجزء السادس من الاقليم
الرابع وتتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء السادس من شرقه انفا وتنكشف
من هذا الجزء قطعة عند زاوية الشمالية الغربية يصب منها نهر اتل في هذا البحر
ويبقى من هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر بها مجالات للغز من امم الترك
وتمال لهم الخزر كانه عوب وصارت خاوية عنها وشدت الزاي ويحيط بهذه القطعة
جبل من جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب الى ما دون وسطه
فينعطف الى الشمال الى ان يلاقي بحر طبرستان فيحتف به ذاهبا معه الى بقيته
في الاقليم السادس ثم ينعطف مع طرفه ويفارقه ويسمى هنالك جبل شياه ويذهب
ويذهب مغربا الى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم يرجع جنوبا الى الجزء السادس
من الاقليم الخامس وهذا الطرف منه هو الذي اعترض في هذا الجزء بين ارض السرير
وارض الخزر واتصلت ارض الخزر في الجزء السادس والسابع حتى في هذا الجبل المسمى
جبل شياه كما ياتي والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله مجالات للغز من امم الترك
وفي الجهة الجنوبية الغربية منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون دورها ثلثمائة
ميل ويصب فيها انهار كثيرة من ارض بلاد المجالات وفي الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة
غرغون دورها اربعمائة ميل وماؤها حلو وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء جبل مرغار
ومعناه جبل الثلج لانه لا يذوب فيه وهو متصل باخر الجزء وفي الجنوب من بحيرة
غرغون جبل من الحجر الصلد لا ينبت شيئا يسمى غرغون وبه سميت البحيرة وتنحلب
منه ومن جبل مرغار شمال البحيرة انهار لا يحصى عددها فتنصب فيها من الجانبين
وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم بلاد اذكش من امم الترك وفي شمالها بلاد الغز
وشرقي بلاد الكيماكية ويحفه من الجهة الشرقية اخر الجزء جبل قوقايا المحيط بياجوج
وماجوج يعترض هنالك من الجنوب الى الشمال حتى ينعطف اول دخوله من الجزء
العاشر وقد كان دخل اليه من اخر الجزء العاشر من الاقليم الرابع قبله احتف هنالك
بالبحر المحيط الى اخر الجزء في الشمال ثم انعطف مغربا في الجزء العاشر من الاقليم الرابع

الى

غربيه كله مغمور ببحر طبرستان وخرج
من جنوبه في الاقليم صح

غربي صح

الى ما دون نصفه واحاط من اوله الى هنا ببلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء العاشر من الاقليم
الخامس فذهب فيه مغربا الى اخره وبقيت في جنوبيه قطعة من هذا الجزء مستطيلة الى
الغرب فيها اخر بلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء التاسع في شرقيه وفي الاعلى منه وانعطف مغربا
فيها الى الشمال وذهب على سمته الى الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد
هنالك كما نذكر وبقيت منه القطعة التي احاط بها جبل قوقايا عند الزاوية الشرقية
الشمالية من هذا الجزء مستطيلة الى الجنوب وهي من بلاد الجنوب ياجوج وماجوج وفي الجزء
العاشر من هذا الاقليم ارض ياجوج متصلة فيه كله الا قطعة من البحر المحيط غمرت طرفا
في شرقيه من جنوبه الى شماله والا القطعة التي يفصلها الى جهة الجنوب والمغرب جبل
قوقايا حين مر فيه وما سوى ذلك فكله ارض ياجوج وماجوج

# الاقليم السادس

فالجزء الاول منه غمر البحر اكثر من نصفه واستدار مشرقا مع الناحية الشمالية ثم ذهب
مع الناحية الشرقية الى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية فانكشفت قطعة
من الارض في هذا الجزء داخلة بين طرفين من البحر المحيط كالجون فيه وتنفسح طولا وعرضا
وهي كلها ارض برطانية وفي بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزء
بلاد ضاليس متصلة ببلاد بيطو التي مر ذكرها في الجزء الاول والثاني من الاقليم الخامس
والجزء الثاني من هذا الاقليم دخل البحر المحيط من غربه وشماله في غربه في قطعة مستطيلة
اكثر من نصفه الشمالي من شكل قد ارض برطانية في الجزء الاول واتصلت بها القطعة
الاخرى في الشمال من غربه الى شرقه وانفسحت في النصف الغربي منه بعض الشي
وفيه هنالك قطعة من جزيرة انكلطرة وهي جزيرة عظيمة متسعة مشتملة على مدن وبها
ملك الخم وبقيتها في الاقليم السابع وفي جنوب هذه القطعة والجزيرة في النصف
الغربي من هذا الجزء بلاد برمندية وبلاد افلاندش متصلين بها ثم بلاد افرنسية
جنوبا وغربا من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقا عنها وكلها امم الافرنجة وبلاد اللمانيين في
النصف الشرقي من الجزء جنوبه بلاد انكلابه ~~بلاد انكلابه~~ ثم بلاد برغونية شمالا
ثم ارض لهريكة وشصونية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية الشمالية الشرقية
ارض افريزية وكلها لامم اللمانيين وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في الناحية الغربية
بلاد ديوانية في الجنوب وبلاد شصونية في الشمال وفي الناحية الشرقية بلاد انكرية
في الجنوب وبلاد بلونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلواطه داخلا من الجزء الرابع ويمر
مغربا بانحراف الى الشمال الى ان يقف في بلاد شصونية اخر النصف الغربي
وفي الجزء الرابع في ناحيته الجنوبية ارض جثولية وتحتها في الشمال بلاد الروسية هنا
ويفصل بينهما جبل بلواطه من اول الجزء غربا الى ان يقف في النصف الشرقي وفي شرق

ارض جنوليه بلاد جرمانيه وفي الزاوية الجنوبية الشرقية ارض القسطنطينية ومدينتها
عند آخر الخليج الخارج من البحر الرومي وعند مدفعه في بحر نيطش فيقع قطعة من بحر
نيطش في اعالي الناحية الشرقية من هذا الجزء ويمدها الخليج في الزاوية بلد مساه
وبينهما صحـ
وفي الجزء الخامس من الاقليم السادس ثم في الناحية الجنوبية منه بحر نيطش يتصل من
الخليج آخر الجزء الرابع ويخرج على سمته شرقا فيمر في هذا الجزء كله وفي بعض السادس
على طول الف وثلثماية ميل من مبدابه في عرض ستماية ميل ويبقي وراء هذا البحر في
الناحية الجنوبية من هذا الجزء من غربها الى شرقها بر مستطيل في غربه هرقلية في
ساحل نيطش متصلة بارض البيلقان من الاقليم الخامس وفي شرقه بلاد اللانية
وقاعدتها سنوبلي على بحر نيطش وفي شمال بحر نيطش في هذا الجزء غربا ارض برجان
وشرقها بلاد الروسية وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محيطة ببلاد برجان
من شرقها في بعض الجزء في هذا الجزء ومن شمالها في الجزء الخامس من الاقليم السابع ومن غربها
في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الجزء السادس من غربه بقية بحر نيطش وينحرف
قليلا الى الشمال ويبقي بينه هنالك وبين آخر الجزء شمالا بلاد قمانية وفي جنوبه
منفسحا الى الشمال بالانحراف هو كذلك بقية بلاد اللانية التي كانت آخر جنوبه
في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء متصل ارض الخزر وفي شرقها
ارض برطاس وفي الزاوية الشرقية الشمالية ارض بلغار وفي الزاوية الجنوبية
ارض بلنجر يحوزها هنالك قطعة من جبل شياكوية المنعطف مع بحر الخزر
في الجزء السابع بعده ويذهب بعد مفارقته مغربا فيتجاوز هذه القطعة ويدخل الى الجزء
السادس من الاقليم الخامس فيتصل هنالك بجبال الابواب وعليه من ناحيته
بلاد الخزر وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في الناحية الجنوبية ما حازه جبل شياه
بعد مفارقته بحر طبرستان وهو قطعة من ارض الخزر الى آخر الجزء غربا وفي شرقها
القطعة من بحر طبرستان التي يحوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء جبل شياه
في الناحية الغربية الشمالية ارض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء ارض
سحرت وبجناك من امم الترك وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها ارض
الخولخ من الترك وفي الناحية الشمالية غربا الارض المنتنة وشرقا الارض التي
يقال ان ياجوج وماجوج خربوها قبل بناء السد وفي هذه الارض المنتنة
مبدا نهر اتل من اعظم انهار العالم ويمر في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان
في الاقليم الخامس وفي الجزء السابع منه وهو كثير الانعطاف يخرج من جبل في
الارض المنتنة من ثلاثة ينابيع تجتمع في نهر واحد ويمر على سمت الغرب الى آخر
السابع من هذا الاقليم فينعطف شمالا الى الجزء السابع من الاقليم السابع فيمر في طرفه
بين الجنوب والغرب فيخرج في الجزء السادس من السابع ويذهب مغربا غير بعيد
ثم

ثم ينعطف ثانية الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من السادس ويخرج منه
جزء اول تذهب مغربا وتنصب في بحر نيطش في ذلك الجزء ويمر هو في قطعة بين الشمال
والشرق في بلاد بلغار فيخرج في الجزء السابع من الاقليم السادس ثم ينعطف ثالثة
الى الجنوب وينفذ في جبل شياه ويمر في بلاد الخزر ويخرج الى الاقليم الخامس في
الجزء السابع منه فيصب هنالك في بحر طبرستان في القطعة التي انكشفت من الجزء
عند الزاوية الغربية الجنوبية وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه
بلاد خفشاخ من الترك وهم قفجق وبلاد التركش منهم ايضا جبل قوقايا وفي الشرق
منه بلاد ماجوج يفصل بينهما جبل قوقايا المحيط وقد مر ذكره يبدا من البحر المحيط في
شرق الاقليم الرابع ويذهب معه الى آخر الاقليم السابع في الشمال ويفارقه مغربا
وبانحراف الى الشمال حتى يدخل في الجزء التاسع من الاقليم الخامس فيرجع الى سمته
الاول في الشمال حتى يدخل في هذا الجزء التاسع من جنوبه الى شماله وبانحراف
الى المغرب وفي وسطه ههنا السد الذي بناه الاسكندر ثم يخرج على سمته
الى الاقليم السابع وفي الجزء التاسع منه فيمر فيه من الجنوب الى ان يلقى البحر المحيط
في شماله ثم ينعطف معه من هنالك مغربا في الاقليم السابع الى الجزء الخامس
منه فيتصل هنالك من البحر المحيط في غربيه وفي وسط هذا الجزء التاسع هو السد
بقطعة صحـ
الذي بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من خبره في القران وقد ذكر عبيد الله ابن
خرداذبه في كتابه في الجغرافيا ان الواثق راى في منامه كان السد انفتح فانتبه
فزعا وبعث سلاما الترجمان فوقف عليه وجاء بخبره ووصفه في حكاية طويلة ليست
من مقاصد كتابنا وفي الجزء العاشر من هذا الاقليم بلاد ماجوج متصلة فيه الى آخره
على قطعة هنالك من البحر المحيط احاطت به من شرقه وشماله مستطيلة في الشمال وعريضة بعض الشي
في الشرق

## الاقليم السابع

والبحر المحيط قد غمر عامته من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل
بجبل قوقايا المحيط بياجوج وماجوج فالجزء الاول والثاني مغموران بالماء الا
ما انكشف من جزيرة انكلطرة التي معظمها في الثاني وفي الاول منها طرف
انعطف بانحراف الى الشمال وبقيتها مع قطعة من البحر مستديرة عليها في
الجزء الثاني من الاقليم السادس وهي مذكورة هنالك والمجاز منها الى البر في هذه
القطعة سعة اثني عشر ميلا ووراءها الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة رسلانده
مستطيلة من الغرب الى الشرق والجزء الثالث من هذا الاقليم مغمور اكثره بالبحر
الا قطعة مستطيلة في جنوبه وتتسع في شرقها وفيها هنالك متصل ارض
فلونية التي مر ذكرها في الثالث من الاقليم السادس وانها في شماله وفي القطعة

من البحر التي تخرج من هذا الجزء في الجانب الغربي منها مستديرة فسيحة وتتصل بالبحر
من باب في جنوبها يفضي الى بلاد قلونية وفي شمالها جزيرة برقاغة مستطيلة مع الشمال
من المغرب الى الشرق والجزء الرابع من هذا الاقليم شماله كله مغمور بالبحر المحيط من المغرب
الى الشرق وجنوبه منكشف ففي غربيه ارض قيماذك من الترك وفي شرقيها بلاد طبست
ثم ارض رسلانو الى اخر الجزء شرقا وهي دائمة الثلوج وعمرانها قليل وتتصل ببلاد
الروسية في الاقليم السادس في الجزء الرابع والخامس منه وفي الجزء الخامس من هذا
الاقليم في الناحية الغربية منه بلاد الروسية وتنتهي في الشمال الى قطعة البحر المحيط
التي يتصل بها جبل قوقايا كما ذكرناه من قبل وفي الناحية الشرقية منه متصل
ارض القمانية التي على قطعة بحر نيطش في الجزء السادس من الاقليم السادس
وتنتهي الى بحيرة طرمى من هذا الجزء وهي عذبة وتنجلب اليها انهار كثيرة من الجبال
عن الجنوب والشمال وفي شمال الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض التتارية من
الترك الى اخره وفي الجزء السادس في الناحية الغربية الجنوبية منه متصل بلاد القمانية
وفي وسط الناحية بحيرة عيون عذبة تنجلب اليها الانهار من الجبال في النواحي
الشرقية وهي جامدة دائما لشدة البرد الا قليلا في زمن المصيف وفي شرق بلاد
القمانية بلاد الروسية التي كان مبدؤها في الاقليم السادس في الناحية الشرقية
الشمالية من الجزء الخامس منه وفي الزوايا الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بقية
ارض بلغار التي كان مبدؤها في الاقليم السادس في الناحية الشرقية الشمالية
من الجزء السادس منه وفي وسط هذه القطعة من ارض بلغار منعطف نهر اتل المنعطف
الاول الى الجنوب كما مر وفي اخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوقايا متصل من غربه
الى شرقه وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية ارض بجناك من امم الترك وكان
مبدؤها في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية
الغربية من هذا الجزء وخرج الى الاقليم السادس فوقه وفي الناحية الشرقية بقية ارض
سحرت ثم بقية الارض المنتنة الى اخر الجزء مشرقا وفي اخر الجزء من جهة الشمال
جبل قوقايا المحيط متصلا من غربه الى شرقه وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم في
الجنوبية الغربية منه متصل الارض المنتنة وفي شرقها الارض المحفورة وهي من
العجائب خرق عظيم في الارض فسيح الاقطار بعيد المهوى ممتنع الوصول الى قعره
يستدل على عمرانه بالدخان في النهار والنيران في الليل تضيء وتخفى وربما رئي فيها
نهر يشقها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب
المتاخمة للسد وفي اخر الشمال منه جبل قوقايا متصلا من الغرب الى الشرق وفي الجزء
التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفشاخ وهم قفجاق يحوزها
جبل قوقايا حين ينعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب في وسطه الى الجنوب

بانحراف



بانحراف الى الشرق فيخرج في الجزء التاسع من الاقليم السادس ويمر معترضا فيه وفي وسط
هنالك سد ياجوج وماجوج وقد ذكرناه وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض
ماجوج وراء جبل قوقايا على البحر قليلة العرض مستطيلة احاطت به من شرقه وشماله
والجزء العاشر غمره البحر جميعه هذا اخر الكلام على الجغرافيا واقاليمها السبعة
وفي خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ايات للعالمين

## المقدمة الثالثة في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتاثير الهوا في الوان البشر والكثير من احوالهم

قد بينا ان المعمور من هذا المنكشف من الارض انما هو وسطه الى الجانب الشمالي
لافراط الحر في الجنوب منه والبرد في الشمال ولما كان الجانبان من الجنوب والشمال
متضادين في البرد والحر وجب ان تتدرج الكيفية من كليهما الى الوسط فيكون معتدلا
فالاقليم الرابع اعدل العمران والذي حفافيه من الثالث والخامس اقرب الى الاعتدال
والذي يليهما السادس والثاني بعيدان من الاعتدال والاول والسابع ابعد بكثير
فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والاقوات والفواكه بل والحيوانات
وجميع ما يكون في هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر اعدل
اجساما والوانا واخلاقا واحوالا فتجدهم على غاية من التوسط في مساكنهم وملابسهم
واقواتهم وصنائعهم يتخذون البيوت المنجدة بالحجارة المنمقة بالصناعة ويتناغون في
استجادة الالات والمواعين ويذهبون في ذلك الى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطبيعية
من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ويتصرفون في معاملاتهم
بالنقدين العزيزين ويبعدون عن الانحراف في عامة احوالهم وهؤلاء اهل المغرب
والشام والعراقين والسند والصين وكذلك الاندلس ومن قرب منها من الفرنجة والجلالقة
ومن كان مع هؤلاء او قريبا منهم في هذه الاقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام
اعدل هذه كلها لانها وسط من جميع الجهات واما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل
الاول والثاني والسادس والسابع فاهلها ابعد من الاعتدال في جميع احوالهم
فبناؤهم بالطين والقصب واقواتهم من الذرة والعشب وملابسهم يخصفونها عليهم والجلود
واكثرهم عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وادمها غريبة التكوين مائلة الى الانحراف
ومعاملاتهم بغير النقدين الشريفين من نحاس او حديد او جلود يقدرونها للمعاملات
واخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم حتى ينقل عن الكثير من السودان
اهل الاقليم الاول انهم يسكنون الكهوف والغياض وياكلون العشب وانهم
متوحشون غير مستانسين وانهم ياكل بعضهم بعضا وكذلك الصقالبة والسبب في

ذلك انهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض امزجتهم واخلاقهم من عرض الحيوانات العجم
ويبعدون عن الانسانية بمقدار ذلك وكذا احوالهم في الديانة ايضا فلا يعرفون نبوة
ولا يدينون بشريعة الا من قرب منهم من جوانب الاعتدال وهو في الاقل النادر مثل
الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالنصرانية فيما قبل الاسلام ومابعده لهذا العهد ومثل
اهل مالي وكوكو والتكرور المجاورين لارض المغرب الدائنين بالاسلام لهذا العهد يقال انهم
دانوا به في المائة السابعة ومثل من دان بالنصرانية من امم الصقالبة والافرنجة والترك
في الشمال ومن سوى هولاء من اهل تلك الاقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا فالدين مجهول عندهم
والعلم مفقود بينهم وجميع احوالهم بعيد من احوال الاناسي قريبة من احوال البهائم ويخلق
ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول بوجود اليمن وحضرموت والاحقاف وبلاد
الحجاز واليمامة وما اليها من جزيرة العرب في الاقليم الاول والثاني فان جزيرة العرب كلها احاطت
بها البحار من الجهات الثلاث كما ذكرناه فكان لرطوبتها اثر في رطوبة هوائها فنقص ذلك
من اليبس والانحراف الذي يقتضيه الحر وصار فيها بعض الاعتدال برطوبة البحر
**وقد توهم** بعض النسابين ممن لا علم لديه بطبايع الكاينات ان السودان
هم ولد حام بن نوح اختصوا بالسواد لدعوة كانت من ابيه ظهر اثرها في لونه وفيما جعل
الله من الرق في عقبه ودعا نوح على ولده حام قد وقع في التورية وليس فيه ذكر السواد
وانما دعا عليه بان يكون ولده عبيد الولد اخوته لاغير وفي القول بنسبة السواد الى حام
غفلة عن طبيعة الحر والبرد واثرهما في الهوا وفيما يتكون فيه من الحيوانات وذلك
ان هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول والثاني من مزاج هوايهم للحرارة المتضاعفة
بالجنوب فان الشمس تسامت روسهم مرتين في كل سنة قريبة احداهما من الاخرى فتطول المسامتة
عامة الفصول فيكثر الضوء لاجلها ويلح القيظ الشديد عليهم فتسود جلودهم لافراط الحر
ونظير هذين الاقليمين فيما يقابلهما من الشمال الاقليم السابع والسادس شمل سكانها ايضا
البياض من مزاج هوائهم للبرد المفرط بالشمال اذ الشمس لا تزال بافقهم في دائرة
مرأى العين او ما قرب منها ولا ترتفع الى المسامتة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشتد
البرد عامة الفصول فتبيض الوان اهلها وتنتهي الى الزعورة ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج
البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور وتوسط بينها الاقاليم
الثلاثة الخامس والرابع والثالث فكان لها في الاعتدال الذي هو مزاج المتوسط حظ
وافر والرابع ابلغها في الاعتدال غاية لنهايته في التوسط كما قدمناه فكان لاهله من
الاعتدال في خلقهم وخلقهم ما اقتضاه مزاج اهويتهم وتبعه عن جانبيه الخامس والثالث
وان لم يبلغا غاية التوسط لميل هذا قليلا الى الجنوب الحار وهذا قليلا الى الشمال
البارد الا انهما لم ينتهيا الى الانحراف وكانت الاقاليم الاربعة منحرفة واهلها كذلك
في خلقهم وخلقهم فالاول والثاني للحر والسواد والسادس والسابع للبرد والبياض ويسمى سكان

الجنوب

الجنوب من الاقاليم الاول والثاني باسم الحبشة والزنج والسودان اسماء مترادفة على الامة
المتغيرة بالسواد وان كان اسم الحبشة مختصا منهم بمن تجاه مكة واليمن والزنج بمن تجاه
بحر الهند وليست هذه الاسماء لهم من جهة انتسابهم الى ادمي اسود لا حام ولا غيره وقد نجد
من السودان اهل الجنوب من يسكن الرابع المعتدل او السابع المنحرف الى البياض
فتبيض الوان اعقابهم على التدريج مع الايام وبالعكس فيمن يسكن من اهل الشمال او الرابع
بالجنوب فتسود الوان اعقابهم وفي ذلك دليل على ان اللون تابع لمزاج الهوا قال ابن سينا
في ارجوزته في الطب

بالزنج حر غير الاجسادا ... حتى كسى جلودها سوادا
والصقلب اكتسبت البياضا ... حتى غدت جلودها بضاضا

واما اهل الشمال فلم يسموا باعتبار الوانهم لان البياض كان لونا لاهل تلك اللغة الواضعة
للاسماء فلم تكن فيه غرابة تحمل على اعتباره في التسمية لموافقته واعتياده ووجدنا
سكانه من الترك والصقالبة والطغرغر والخزر واللان والكثير من الفرنجة وياجوج وماجوج
اسماء متفرقة واجيالا متعددة مسمين باسماء متنوعة واما اهل الاقاليم المتوسطة اهل
الاعتدال في خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعية للاعتمار لديهم من المكاسب والمعاش
والصنائع والعلوم والرياسات والملك فكانت فيهم النبوات والملك والدول والشرائع
والعلوم والبلدان والامصار والمباني والفراسة والصنائع الفائقة وساير الاحوال المعتدلة
واهل هذه الاقاليم التي وقفنا على اخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبني اسرايل
واليونانيين واهل السند والصين ولما راى النسابون اختلاف هذه الامم بسماتها
وشعارها حسبوا ذلك لاجل الانساب فجعلوا اهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام
وارتابوا في الوانهم فتكلفوا نقل تلك الحكاية الواهية وجعلوا اهل الشمال كلهم او اكثرهم
من ولد يافث واكثر الامم المعتدلة وهم اهل الوسط المنتحلون للعلوم والصنائع والشرائع
والسياسة والملك من ولد سام وهذا الزعم وان صادف الحق في انتسابه هولاء فليس
ذلك بقياس مطرد انما هو اخبار عن الواقع لان تسمية اهل الجنوب بالسودان والحبشان من اجل
انتسابهم الى حام الاسود وما اداهم الى هذا الغلط الا اعتقادهم ان التمييز بين الامم
انما يقع بالانتساب فقط وليس كذلك فان التمييز للجيل او للامة يكون بالنسب في بعضهم
كالعرب وبني اسرايل والفرس ويكون بالجهة والسمة كالزنج والحبشان والصقالبة والسودان
ويكون بالعوائد والشعار مع النسب كالعرب ويكون بغير ذلك من احوال الامم وخواصهم
ومميزاتهم فتعميم القول في اهل جهة معينة من جنوب او شمال بانهم من ولد فلان المعروف
لما شملهم من لون او نحلة او سمة وجدت لذلك الاب انما هو من الاغاليط التي اوقع فيها
الغفلة عن طبايع الاكوان والجهات وان هذه كلها تتبدل في الاعقاب ولا يجب استمرارها
سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

والله

## المقدمة الرابعة في اثر الهوا في اخلاق البشر

قد راينا في خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين بالرقص
على كل توقيع موصوفين بالحمق في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك انه تقرر في موضعه من الحكمة
ان طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني وتفشيه وطبيعة الحزن بالعكس
وهي انقباضه وتكاثفه وتقرر ان الحرارة مفشية للهوا والبخار مخلخلة له زائدة في كميته
ولهذا نجد المنتشي من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح في
القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه فيتفشى الروح
وتجي طبيعة الفرح وكذلك نجد المتنعمين بالحمامات اذا تنفسوا في هوايها واتصلت
حرارة الهوا بارواحهم فتسخنت لذلك حدث لهم فرح وربما انبعث الكثير منهم بالغنا
الناشي عن السرور ولما كان السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على
امزجتهم وفي اصل تكوينهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة ابدانهم واقليمهم فتكون
ارواحهم بالقياس الى ارواح اهل الاقليم الرابع اشد حرا فتكون اكثر تفشيا
فتكون اسرع فرحا وسرورا واكثر انبساطا ويجي الطيش على اثر هذه وكذلك يلحق بهم قليلا
اهل البلاد البحرية لما كان هواها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من اضوا بسيط البحر
واشعته كانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح والخفة موجودة اكثر من بلاد التلول
والجبال الباردة وقد نجد يسيرا من ذلك في اهل البلاد الجزيرية من الاقليم الثالث لتوفر
الحرارة فيها وفي هوايها لانها عريقة في الجنوب عن الارياف والتلول واعتبر ذلك ايضا
باهل مصر فانها في مثل عرض البلاد الجزيرية او قريبا منها كيف غلب الفرح عليهم والخفة
والغفلة عن العواقب حتى انهم لا يدخرون اقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة ماكلهم
من اسواقهم ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التوغل في التلول الباردة
كيف ترى اهلها مطرقين اطراق الحزن وكيف افرطوا في نظر العواقب حتى ان الرجل
منهم ليدخر اقوات سنين من حبوب الحنطة ويباكر الاسواق لشرا قوته ليومه مخافة
ان يرزا شيا من مدخره وتتبع ذلك في الاقاليم والبلدان تجد في الاخلاق اثرا
من كيفيات الهوا والله الخلاق العليم وقد تعرض المسعودي للبحث عن السبب
في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول تعليله فلم يات فيه بشي اكثر
من انه نقل عن جالينوس ويعقوب بن اسحق الكندي ان ذلك لضعف ادمغتهم وما نشا
عنه من ضعف عقولهم وهذا الكلام لا محصل له ولا برهان فيه والله يهدي من يشاء

## المقدمة الخامسة في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع وما ينشا عن ذلك من الاثار في ابدان البشر واخلاقهم



اعلم ان هذه الاقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد لها الخصب ولا كل سكانها في رغد من العيش
بل فيها ما يوجد لاهله خصب العيش من الحبوب والادم والحنطة والفواكه لزكا المنابت
واعتدال الطينة ووفور العمران وفيها الارض الحرة التي لا تنبت زرعا ولا عشبا
بالجملة فسكانها في شظف من العيش مثل اهل الحجاز واليمن ومثل الملثمين من صنهاجة
الساكنين بصحرا المغرب واطراف الرمال فيما بين البربر والسودان فان هولا يفقدون
الحبوب والادم جملة وانما اغذيتهم واقواتهم الالبان واللحوم ومثل العرب الجايلين في
القفار فانهم وان كانوا ياخذون الحبوب والادم من التلول الا ان ذلك في
الاحايين وتحت ربقة من حاميتها وعلى الاقلال لقلة وجدهم فلا يتوصلون منه الا الى
سد الخلة ودونها فضلا عن الرغد والخصب وتجدهم يقتصرون في غالب احوالهم
على الالبان وتعوضهم عن الحنطة احسن معاض وتجد مع ذلك هولا الفاقدين للحبوب
والادم من اهل القفار احسن حالا في جسومهم واخلاقهم من اهل التلول المنغمسين
في العيش فالوانهم اصفى وابدانهم انقى واشكالهم اتم واحسن واخلاقهم ابعد
من الانحراف واذهانهم اثقب في المعارف والادراكات هذا امر تشهد له التجربة في كل
جيل منهم فكثير ما بين العرب والبربر فيما وصفناه وبين الملثمين واهل التلول
يعرف ذلك من خبره والسبب في ذلك والله اعلم ان كثرة الاغذية ورطوباتها تولد في
الجسم فضلات ردية ينشا عنها بعد اقطاره في غير نسبة وكثرة الاخلاط الفاسدة
العفنة ويتبع ذلك انكساف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه وتغطي
الرطوبات على الاذهان والافكار بما يصعد الى الدماغ من ابخرتها الردية فتجي
البلادة والغفلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر
ومواطن الجدب من الغزال والمها والنعام والزرافة والحمر الوحشية والبقر مع امثالها
من حيوان التلول والارياف والمراعي الخصبة كيف تجد بينها بونا بعيدا في
صفا اديمها وحسن رونقها واشكالها وتناسب اعضايها وحدة مداركها
فالغزال اخو المعز والزرافة اخو البعير والحمار والبقر هو الحمار والبقر والبون بينها
ما رايت وما ذاك الا لاجل ان الخصب في التلول فعل في ابدان هذه من الفضلات
الردية والاخلاط الفاسدة ما ظهر عليها اثره والجوع لحيوان القفر حسن في خلقها
واشكالها ما شا واعتبر ذلك في الادميين ايضا فانا نجد اهل الاقاليم المخصبة
العيش الكثيرة الزرع والضرع والادم والفواكه يتصف اهلها غالبا بالبلادة في
اذهانهم والخشونة في اجسامهم وهذا شان البربر المنغمسين في الادام والحنطة
مع المتقشفين في عيشهم المقتصرين على الشعير او الذرة مثل المصامدة منهم واهل
السوس وغمارة فتجد هولا احسن حالا في عقولهم وجسومهم وكذا اهل بلاد المغرب
على الجملة المنغمسين في الادم والبر مع اهل الاندلس المفقود بارضهم السمن جملة

وغالب عيشهم الذرة فتجد لاهل الاندلس من ذكاء العقول وخفة الاجسام وقبول التعليم
ما لا يوجد لغيرهم وكذا اهل الضواحي من المغرب بالجملة مع اهل الحضر والامصار فان
اهل الامصار وان كانوا مكثرين مثلهم من الادم ومخصبين في العيش الا ان استعمالهم
اياها بعد العلاج بالطبخ والتلطيف بما يخلطون معها فيذهب لذلك غلظها ويرق
قوامها وعامة ماكلهم لحمان الضان والدجاج ولا يغبطون السمن من بين الادم لتفاهته
فتقل الرطوبات لذلك في اغذيتهم ويخف ما تؤديه الى اجسامهم من الفضلات الردية
فلذلك تجد جسوم اهل الامصار الطف من جسوم اهل البادية المخشنين في العيش وكذلك
تجد المتعودين بالجوع من اهل البادية فانهم لا فضلات في جسومهم غليظة ولا لطيفة
واعلم ان اثر هذا الخصب ليظهر حتى في حال الدين والعبادة فتجد المتقشفين
من اهل البادية والحاضرة ممن ياخذ نفسه بالجوع والتجافي عن الملاذ احسن دينا
واقبالا على العبادة من اهل الترف والخصب بل نجد اهل الدين قليلين في المدن
والامصار لما يعمها من القساوة والغفلة المتصلة بالاكثار من اللحمان والادم
ولباب البر ويختص وجود العباد والزهاد لذلك بالمتقشفين في غذائهم من اهل
البوادي وكذلك نجد حال اهل المدينة الواحدة في ذلك تختلف باختلاف حالها في
الترف والخصب وكذلك نجد هؤلاء المخصبين في العيش المنغمسين في طيباته لا من اهل
البادية ولا من اهل الحاضرة والامصار اذا نزلت بهم السنون واخذتهم المجاعات
يسرع اليهم الهلاك اكثر من غيرهم مثل برابرة المغرب واهل مدينة فاس ومصر
فيما يبلغنا لا مثل العرب اهل القفر والصحراء ولا مثل اهل بلاد النخل الذين
غالب عيشهم التمر ولا مثل اهل افريقية لهذا العهد الذين غالب عيشهم الشعير
والزيت واهل الاندلس الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان هؤلاء وان
اخذتهم السنون والمجاعات فلا تنال منهم ما تنال من اولئك ولا يكثر فيهم الهلاك
بالجوع بل ولا يندر والسبب في ذلك والله اعلم ان المنغمسين في الخصب المتعودين
للادم والسمن خصوصا تكتسب معاهم من ذلك رطوبة فوق رطوبتها الاصلية
المزاجية حتى تجاوز حدها فاذا خولف بها العادة بقلة الاقوات وفقدان الادم
واستعمال الخشن غير المالوف من الغذاء اسرع الى المعاء اليبس والانكماش وهو عضو
ضعيف في الغاية ولهذا عد في المقاتل فيسرع اليه المرض ويهلك صاحبه بسرعة
والهالكون في المجاعات انما قتلهم الشبع المعتاد السابق لا الجوع الحادث واما
المتعودون للقلة وترك الادم والسمن فلا تزال رطوبتهم الاصلية واقفة عند
حدها من غير زيادة وهي قابلة لجميع الاغذية الطبيعية فلا يقع في معاهم بتبدل
الاغذية يبس ولا انحراف فيسلمون في الغالب من الهلاك الذي يعرض لغيرهم
بالخصب وكثرة الادم في الماكل واصل هذا كله ان تعلم ان الاغذية وائتلافها او تركها

في البدن صح

انما



انما هو بالعادة فمن عود نفسه غذاء ولاءمه تناوله كان له مالوفا وصار الخروج عنه والتبدل
به داء ما لم يخرج عن غرض الغذاء بالجملة كالسموم واليتوع وما افرط في الانحراف
فاما ما وجد فيه التغذي والملاءمة فيصير غذاء مالوفا بالعادة فاذا اخذ الانسان
نفسه باستعمال اللبن والبقل عوضا عن الحنطة حتى صار له ديدنا فقد حصل له ذلك
غذاء واستغنى به عن الحنطة والحبوب من غير شك وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع
والاستغناء عن الطعام كما ينقل عن اهل الرياضات فانا نسمع عنهم في ذلك اخبارا
غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها والسبب في ذلك العادة فان النفس اذا الفت
شيئا صار من جبلتها وطبيعتها لانها كثيرة التلون فاذا حصل لها اعتياد الجوع
بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادة وطبيعة لها وما يتوهمه الاطباء من ان
الجوع مهلك فليس على ما يتوهمونه الا اذا حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء
بالكلية فانه حينئذ ينحسم المعاء وينالهم المرض الذي يخشى معه الهلاك واما اذا كان
ذلك تدريجا ورياضة باقلال الغذاء شيئا فشيئا كما يفعله المتصوفة فهو بمعزل عن
الهلاك وهذا التدريج ضروري حتى في الرجوع عن هذه الرياضة فانه اذا رجع الى الغذاء
الاول دفعة خيف عليه الهلاك وانما يرجع به كما بدا في الرياضة بالتدريج ولقد شاهدنا
من يصبر على الجوع اربعين يوما وصالا واكثر وحضر اشياخنا في دولة السلطان ابي
الحسن وقد رفع اليه امراتان من اهل الجزيرة الخضراء ورندة حبستا انفسهما عن
الاكل جملة منذ سنتين وشاع امرهما ووقع اختبارهما فصح شانهما واتصل على
ذلك حالهما الى ان ماتتا ورأينا كثيرا من اصحابنا ايضا من يقتصر على حليب شاة من
المعز يلتقم ثديها في بعض النهار او عند الافطار ويكون ذلك غذاءه واستدام
على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولا تستنكر ذلك واعلم ان الجوع اصلح للبدن
من اكثار الاغذية بكل وجه لمن قدر عليه او على الاقلال منها وان له اثرا في الاجسام
والعقول في صقلها وصلاحها كما قلناه واعتبر ذلك باثار الاغذية التي تحصل
عنها في الجسوم فقد راينا المتغذين بلحوم الحيوانات الفاخرة العظيمة الجثمان تنشا
اجيالهم كذلك وهذا مشاهد في اهل البادية مع اهل الحاضرة وكذا المتغذون بالبان
الابل ولحومها ايضا مع ما يؤثر في اخلاقهم من الصبر والاحتمال والقدرة على حمل
الاثقال كما هو للابل وتنشا معاهم ايضا على نسبة معاء الابل في الصحة والغلظ
فلا يطرقها الوهن ولا الضعف ولا ينالها من مضار الاغذية ما ينال غيرهم فيشربون
اليتوعات لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كالحنظل قبل طبخه والدرياس
والفربيون ولا ينال معاهم منها ضرر وهي لو تناولها اهل الحضر الرقيقة معاهم
بما نشات عليه من لطيف الاغذية لكان الهلاك اسرع اليهم من طرفة العين لما فيها
من السمية ومن تاثير الاغذية في الابدان ما ذكره اهل الفلاحة وشاهده اهل التجربة

خلقها صح

ان الدجاج اذا غذيت بالحبوب المطبوخة في بعر الابل واتخذ بيضها ثم حضنت عليه
جاء الدجاج منها اعظم ما يكون وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب بطرح
ذلك البعر مع البيض المحضن فيجي دجاجها في غاية العظم وامثال ذلك كثير
فاذا راينا هذه الاثار من الاغذية في الابدان فلا شك ان للجوع ايضا اثارا في الابدان
لان الضدين على نسبة واحدة في التاثير وعدمه فيكون تاثير الجوع في نقا الابدان من
الزيادات الفاسدة والرطوبات المختلطة بالجسم والعقل كما كان الغذا
مؤثرا في وجود ذلك الجسم والله محيط بعلمه

## المقدمة السادسة في اصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة او الرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا

اعلم ان الله سبحانه اصطفى من البشر اشخاصا فضلهم بخطابه وفطرهم على معرفته
وجعلهم وسايل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويحرصون على هدايتهم
وياخذون بحجزاتهم عن النار ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يلقيه اليهم
من المعارف ويظهره على السنتهم من الخوارق بوقوع الكاينات المغيبة عن البشر
التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم
قال صلى الله عليه وسلم الا واني لا اعلم الا ما علمني الله واعلم ان خبرهم في
ذلك من خاصيته وضرورته الصدق لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة
هذا الصنف من البشر ان يوجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين مع غطيط
كانها غشي او اغما في راي العين وليست منهما في شي انما هي بالحقيقة استغراق
في لقا الملك الروحاني بادراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية
ثم يتنزل الى المدارك البشرية اما بسماع دوي من الكلام فيتفهمه او يتمثل له صورة شخص
تخاطبه بما جاء به من عند الله ثم تنجلي عنه تلك الحال وقد وعى ما القي عليه قال
صلى الله عليه وسلم وقد سيل عن الوحي احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس
وهو اشد علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا
فيكلمني فاعي ما يقول ويدركه اثنا ذلك من الشدة والغط ما لا يعبر عنه ففي الحديث
كان مما يعالج من التنزيل شدة وقالت عايشة كان ينزل عليه الوحي في اليوم
الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وقال تعالى انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا ولاجل هذه الحالة في تنزل الوحي كان المشركون يرمون الانبيا
بالجنون ويقولون له رئي او تابع من الجن وانما لبس عليهم بما شاهدوه من
ظاهر تلك الحال ومن يضلل الله فما له من هاد ومن علاماتهم ايضا انه يوجد لهم
قبل الوحي خلق الخير والزكا ومجانبة المذمومات والرجس اجمع وهذا هو معنى

الاخبار هو

العصمة

العصمة وكانه مفطور على التنزه عن المذمومات والمنافرة لها وكانها منافية لجبلته
وفي الصحيح انه حمل الحجارة وهو غلام مع عمه العباس لبنا الكعبة فجعلها في ازاره
فانكشف فسقط مغشيا عليه حتى استتر بازاره ودعي الى مجتمع لوليمة وفيها
عرس ولعب فاصابه غشي النوم الى ان طلعت الشمس ولم يحضر شيا من شانهم بل نزهه
من ذلك بجبلته حتى انه ليتنزه عن المطعومات المستكرهة فقد كان صلى الله عليه
وسلم لا يقرب البصل ولا الثوم فقيل له في ذلك فقال اني اناجي من لا تناجون وانظر
لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة بحال الوحي اول ما فجئه واردات اختباره
فقالت له اجعلني بينك وبين ثوبك فلما فعل ذلك ذهب عنه فقالت انه ملك
وليس بشيطان ومعناه انه لا يقرب النسا وكذا سالته عن احب الثياب اليه
ان ياتيه فيها فقال البياض والخضرة فقالت انه الملك بمعنى ان الخضرة والبياض
من الوان الخير والملايكة والسواد من الوان الشر والشياطين وامثال ذلك
ومن علاماتهم ايضا دعاوهم الى الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف
وقد استدلت خديجة على صدقه صلى الله عليه وسلم بذلك وكذلك ابو بكر ولم يحتاجا
في امره الى دليل خارج عن حاله وخلقه وفي الصحيح ان هرقل حين جاءه كتاب النبي
صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام احضر من وجد ببلده من قريش وفيهم
ابو سفيان ليسالهم عن حاله فكان فيما سال ان قال بم يامركم فقال ابو سفيان
بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف الى اخر ما سال واجابه فقال ان يكن
ما تقول حقا انه نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين والعفاف الذي اشار اليه هرقل
هو العصمة فانظر كيف اخذ من العصمة والدعا الى الدين والعبادة دليلا على صحة
النبوة ولم يحتج الى معجزة فدل على ان ذلك من علامات النبوة ومن علاماتهم ايضا
ان يكونوا ذوي حسب في قومهم وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه وفي
رواية اخرى في ثروة من قومه استدركه الحاكم على الصحيحين وفي مسايلة هرقل
لابي سفيان كما هو في الصحيح قال كيف هو فيكم فقال ابو سفيان هو فينا ذو
حسب فقال هرقل والرسل تبعث في احساب قومها ومعناه ان تكون له
عصبية وشوكة تمنعه من اذى الكفار حتى يبلغ رسالات ربه ويتم مراد الله من
اكمال دينه وملته ومن علاماتهم ايضا وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم
وهي افعال يعجز البشر عن مثلها فسميت لذلك معجزة وليست من جنس
مقدور العباد وانما تقع في غير محل قدرتهم وللناس في كيفية وقوعها ودلالتها
على تصديق الانبيا خلاف فالمتكلمون بنا على القول بالفاعل المختار قايلون
بانها واقعة بقدرة الله تعالى لا بفعل النبي وان كانت افعال العباد عند
المعتزلة صادرة عنهم الا ان المعجزة لا تكون من جنس افعالهم وليس للنبي فيها

عند الجميع الا التحدي بها باذن الله تعالى وهو ان يستدل بها النبي قبل وقوعها
على صدقه في مدعاه فتنزل منزلة القول الصريح من الله بانه صادق وتكون
دلالتها على الصدق قطعية فالمعجزة الدالة بمجموع الخارق والتحدي ولذلك
كان التحدي جزءا منها وعبارة المتكلمين صفة نفسها وهو واحد لانه معنى
الذاتي عندهم والتحدي هو الفارق بينها وبين الكرامة والسحر اذ لا حاجة
فيهما الى التصديق فلا وجود للتحدي الا ان وجد اتفاقا وان وقع التحدي في
الكرامة عند من يجيزها وكانت لها دلالة فانما هي على الولاية وهي غير النبوة
ومن هنا منع الاستاذ ابو اسحق وغيره وقوع الخوارق كرامة فرارا من الالتباس
بالنبوة عند التحدي بالولاية وقد اريناك المغايرة بينهما وانه يتحدى بغير
ما يتحدى به النبي فلا لبس على ان النقل عن الاستاذ ليس صريحا وربما حمل
على انكار ان تقع خوارق الانبيا لهم بنا على اختصاص كل من الفريقين بخوارقه
واما المعتزلة فالمانع من وقوع الكرامة عندهم ان الخوارق ليست من افعال
العباد وافعالهم معتادة فلا خارق واما وقوعها على يد الكاذب تلبيسا
فهو محال اما عند الاشعرية فلان صفة نفس المعجزة التصديق والهداية فلو
وقعت بخلاف ذلك انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة والقول والتصديق كذبا
واستحالت الحقايق وانقلبت صفات النفس وما يلزم من فرض وقوعه المحال
لا يكون ممكنا واما عند المعتزلة فلان وقوع الدليل شبهة والهداية ضلالة قبيح
فلا يقع من الله واما الحكما فالخارق عندهم من فعل النبي ولو كان في غير محل
القدرة بنا على مذهبهم في الايجاب الذاتي ووقوع الحوادث بعضها عن بعض
متوقف على الشروط والاسباب الحادثة مستند اخيرا الى الواجب بالذات
الفاعل بالذات لا بالاختيار وان النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية
منها صدور هذه الخوارق بقدرته وطاعة العناصر له في التكوين والنبي عندهم
مجبول على التصريف في الاكوان متى توجه اليها واستجمع لها بما جعل الله له
من ذلك والخارق عندهم يقع للنبي كان التحدي او لم يكن وهو شاهد بصدقه
من حيث دلالته على تصرف النبي في الاكوان الذي هو من خواص النفس النبوية
عندهم لانه يتنزل منزلة القول الصريح بالتصديق فلذلك لا تكون دلالتها قطعية
كما هي عند المتكلمين ولا يكون التحدي جزءا من المعجزة ولم يصح فارقا لها عن السحر
والكرامة وفارقها عندهم عن السحر ان النبي مجبول على افعال الخير مصروف
عن افعال الشر فلا يلم الشر بخوارقه والساحر على الضد فافعاله كلها شر
وفي مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة ان خوارق النبي مخصوصة كالصعود الى السما
والنفوذ في الاجسام الكثيفة واحيا الموتى وتكليم الملايكة والطيران في الهوا

وخوارق

وخوارق الولي دون ذلك كتكثير القليل والحديث عن بعض المستقبل وامثاله مما هو
قاصر عن تصريف الانبيا وياتي النبي بمثل خوارقه ولا يقدر هو على مثل خوارق
الانبيا وقد قرر ذلك المتصوفة فيما كتبوه في طريقتهم ونقلوه عن مواجدهم واذا تقرر
ذلك فاعلم ان اعظم المعجزات واشرفها واوضحها دلالة القران الكريم المنزل على
نبينا صلوات الله عليه لان الخارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي
وياتي المعجزة شاهدة به وهذا ظاهر والقران هو بنفسه الوحي المدعا وهو الخارق
المعجز فدلالته في عينه ولا يفتقر الى دليل اجنبي عنه كساير الخوارق مع الوحي فهو اوضح
دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من
نبي من الانبيا الا واوتي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي
اوتيته وحيا اوحي الي فانا ارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة يشير الى
ان المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس
الوحي كان المصدق لها اكثر لوضوحها فكثر المصدق المومن وهو التابع
والامة والله اعلم ويدلك هذا كله على ان القران من بين الكتب الالهية انما
تلقاه نبينا صلوات الله عليه متلوا كما هو بكلماته وتراكيبه بخلاف التورية والانجيل
وغيرهما من الكتب السماوية فان الانبيا يتلقونها في حال الوحي معاني
ويعبرون عنها بعد رجوعهم الى الحالة البشرية بكلامهم المعتاد لهم ولذلك
لم يكن فيها اعجاز فاختص الاعجاز بالقران وتلقيهم لكتبهم مثل ما يتلقى نبينا
المعاني التي يسندها الى الله تعالى كما يقع في كثير من رواية الاحاديث قال صلى
الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه ويشهد لتلقيه القران متلوا قوله لا تحرك به
لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه وسبب نزولها ما كان يقع له من
بداره الى تدارس الاية خشية من النسيان وحرصا على حفظ ذلك المتلو المنزل
فتكفل الله له بحفظه بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون هذا
هو معنى الحفظ الذي اختص به القران لا ما تذهب اليه العامة فانه بمعزل
عن المراد وكثير من الاي يشهد لك بانه نزل قرانا متلوا معجزا بسورة منه
ولم يقع لنبينا صلوات الله عليه من المعجزات اعظم منه ومن ايلاف العرب على
دعوته لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف
بينهم فاعلم هذا وتدبره تجده صحيحا كما قررته لك وتامل ما يشهد لك به من
ارتفاع دعوته ورتبته على الانبيا وعلو مقامه صلى الله عليه وسلم وعلى اله واصحابه
ولنذكر الان **تفسير حقيقة النبوة** على ما شرحه كثير من المحققين
ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الرويا ثم شان العرافين وغير ذلك من مدارك
الغيب فنقول اعلم ارشدنا الله واياك انا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات

وانا نقلته وبلد الان الحق بقوله
على نسخة صحيحة مقابل ع ذا ابان
عليها خط المولف

كلها على هيئة من الترتيب والاحكام وربط الاسباب بالمسببات واتصال الاكوان
بالاكوان واستحالة بعض الموجودات الى بعض لا تنقضي عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته
وابدا من ذلك بالعالم المحسوس الجسماني واولا عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج
صاعدا من الارض الى الماء ثم الى الهوا ثم الى النار متصلا بعضها ببعض وكل واحد منها
مستعد ان يستحيل الى ما يليه صاعدا وهابطا ويستحيل بعض الاوقات والصاعد
منها الطف مما قبله الى ان ينتهي الى عالم الافلاك وهي الطف من الكل وعلى طبقات
اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها الا الحركات فقط وبها يهتدي
بعضهم الى معرفة مقاديرها واوضاعها وما بعد ذلك من وجود الذوات التي لها
هذه الاثار فيها ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدا من المعادن ثم النبات ثم الحيوان
على هيئة بديعة من التدريج اخر افق المعادن متصل باول افق النبات مثل الحشائش
وما لا بزر له واخر افق النبات مثل النخل والكرم متصل باول افق الحيوان
كالحلزون والصدف ولم توجد لها الا قوة اللمس فقط ومعنى الاتصال في هذه
المكونات ان اخر افق منها مستعد بالاستعداد القريب لان يصير اول افق
من الذي بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه وانتهى في تدريج التكوين
الى الانسان صاحب الفكر والروية يرتفع اليه من عالم القردة الذي اجتمع
فيه الكيس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل وكان ذلك في اول
افق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم انا نجد في العوالم على اختلافها
اثارا متنوعة ففي عالم الحس اثار من حركة الافلاك والعناصر وفي عالم
التكوين اثار من حركات النمو والادراك تشهد كلها بان لها موثرا مباينا
للاجسام فهو روحاني ويتصل بالمكونات لوجود اتصال بين العوالم في وجودها
وذلك هو النفس المدركة والمحركة ولا بد فوقها من موجود اخر يعطيها قوى
الادراك والحركة ويتصل بها ايضا ويكون ذاته ادراكا صرفا وتعقلا محضا
وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك ان يكون للنفس استعداد للانسلاخ من البشرية
الى الملكية لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتا من الاوقات وفي لمحة من اللمحات
وذلك بعد ان تكمل ذاتها الروحانية بالفعل كما نذكره بعد ويكون لها اتصال
بالافق الذي بعدها شان الموجودات المترتبة كما قدمناه فلها في الاتصال جهتا
العلو والسفل وهي متصلة بالبدن من اسفل منها ومكتسبة به المدارك الحسية
التي تستعد بها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من جهة الاعلى منها بافق الملائكة
ومكتسبة منه المدارك العلمية والغيبية فان عالم الحوادث موجود في ذواتهم من غير زمان
وهذا على ما قدمناه من الترتيب المحكم في الوجود باتصال ذواته وقواه بعضها ببعض
ثم ان هذه النفس الانسانية غائبة عن العيان وانا اثارها ظاهرة في البدن وكانه

وجميع



وجميع اجزائه مجتمعة ومتفرقة آلات للنفس ولقواها اما الفاعلة فالبطش باليد
والمشي بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية بالبدن متدافعا واما المدركة وان
كانت قوى الادراك مترتبة ومرتقية الى القوة العليا منها وهي المفكرة التي يعبرون
عنها بالناطقة فقوى الحس الظاهر بالاته من البصر والسمع وسائرها ترتقي الى
الباطن واوله الحس المشترك وهو قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة وملموسة
وغيرها في حالة واحدة وبذلك فارقت قوة الحس الظاهر لان المحسوسات لا تزدحم
عليها في الوقت الواحد ثم يوديه الحس المشترك الى الخيال وهو قوة تمثل الشي
المحسوس في النفس كما هو مجردا عن المواد الخارجة فقط والة هاتين القوتين
في تصريفهما البطن الاول من الدماغ مقدمه للاولى ومؤخره للثانية ثم يرتقي
الخيال الى الوهمية والحافظة فالوهمية لادراك المعاني المتعلقة بالشخصيات
كعداوة زيد وصداقة عمرو ورحمة الاب وافتراس الذيب والحافظة لايداع
المدركات كلها متخيلة وغير متخيلة وهي لها كالخزانة تحفظها الى وقت
الحاجة اليها والة هاتين القوتين في تصريفهما البطن المؤخر من الدماغ اوله
للاولى ومؤخره للاخرى ثم ترتقي جميعها الى قوة الفكر والته البطن الاوسط
من الدماغ وهو القوة التي تقع بها حركة الروية والتوجه نحو التعقل
فتتحرك النفس بها دائما بما ركب فيها من النزوع الى ذلك للتخلص من درك
القوة والاستعداد الذي للبشرية وتخرج الى الفعل في تعقلها متشبهة
بالملا الاعلى الروحاني وتصير في اول مراتب الروحانيات في ادراكها بغير
الالات الجسمانية فهي متحركة دائما ومتوجهة نحو ذلك وقد تنسلخ بالكلية من البشرية
وروحانيتها الى الملكية من الافق الاعلى من غير اكتساب بل بما جعل الله فيها
من الجبلة والفطرة الاولى في ذلك والنفوس البشرية في ذلك على ثلاثة اصناف
صنف عاجز بالطبع عن الوصول الى الادراك الروحاني فيقنع بالحركة
الى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من الحافظة
والوهمية على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية
والتصديقية التي للفكر في البدن وكلها خيالي منحصر نطاقه اذ هو من جهة مبدايه
ينتهي الى الاوليات ولا يتجاوزها وان فسدت فسد ما بعدها وهذا هو في
الاغلب نطاق الادراك البشري الجسماني واليه تنتهي مدارك العلما وفيه ترسخ
اقدامهم وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو التعقل الروحاني
والادراك الذي لا يفتقر الى الالات البدنية بما جعل فيه من الاستعداد لذلك
فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق الادراك الاول البشري
ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنة وهي وجدان كلها لا نطاق لها من مبديها

[illegible]

والامر من منتهاها وهذه مدارك الاولياء اهل العلوم اللدنية وصنف مفطور على الانسلاخ
من البشرية جملة جسمانيتها وروحانيتها الى الملائكية من الافق الاعلى ليصير في لمحة من اللمحات
ملكا بالفعل ويحصل له شهود الملا الاعلى في افقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب
الالهي في تلك اللمحة وهولاء الانبيا صلوات الله عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في
تلك اللمحة وهي حالة الوحي فطرة فطرهم الله عليها وجبلة صورهم فيها ونزههم عن موانع
البدن وعوائقه ما داموا ملابسين لها بالبشرية بما ركب في غرائزهم من العصمة والاستقامة
التي يحاذون بها تلك الوجهة وركز في طبائعهم رغبة في العبادة تكشف بتلك الوجهة
وتسيغ نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاوا بتلك
الفطرة التي فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة فاذا توجهوا وانسلخوا عن بشريتهم
وتلقوا في ذلك الملا الاعلى ما يتلقونه عاجوا به على المدارك البشرية متنزلا في قواها لحكمة
التبليغ للعباد فتارة يسمع دويا كانه رمز من الكلام ياخذ منه المعنى الذي القي اليه
فلا ينقضي الدوي الا وقد وعاه وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذي يلقي اليه رجلا فيكلمه
ويعي ما يقوله والتلقي من الملك والرجوع على المدارك البشرية وفهمه ما القي عليه كله كانه في
لحظة واحدة بل اقرب من لمح البصر لانه ليس في زمان بل كلها تقع جميعا فيظهر كانها
سريعة ولذلك سميت وحيا لان الوحي في اللغة الاسراع واعلم ان الاولى وهي حالة
الدوي هي رتبة الانبيا غير المرسلين على ما حققوه والثانية وهي حالة تمثل الملك رجلا
يخاطب هي رتبة الانبيا المرسلين ولذلك كانت اكمل من الاولى وهذا معنى الحديث
الذي فسر فيه النبي صلى الله عليه وسلم الوحي لما ساله الحرث بن هشام وقال كيف ياتيك الوحي
فقال احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا
يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول وانما كانت الاولى اشد لانها مبدا الخروج
في ذلك الاتصال من القوة الى الفعل فيعسر بعض العسر ولذلك لما عاج فيها على المدارك
البشرية اختصت بالسمع وصعب ما سواه وعندما يتكرر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك
الاتصال فعندما يعرج الى المدارك البشرية ياتي على جميعها وخصوصا الاوضح منها وهو ادراك
البصر وفي العبارة عن الوعي في الاولى بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع
لطيفة من البلاغة وهي ان الكلام جاء مجيء التمثيل لحالتي الوحي فتمثلت الحالة الاولى
بالدوي الذي هو في المتعارف غير كلام واخبر ان الفهم والوعي يتبعه غب انقضائه
فناسب عند تصوير انقضائه وانفصاله العبارة عن الوعي بالماضي المطابق للانقضاء
والانقطاع وتمثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم والكلام يساوقه الوعي
فناسب العبارة بالمضارع المقتضي للتجدد واعلم ان في حالة الوحي كلها على الجملة
صعوبة وشدة قد اشار اليها القران قال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وقالت
عايشة كان مما يعاني من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد

عليهم

فيفصم

فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا ولذلك ما كان يحدث عنه في تلك الحالة من الغيبة
والغطيط ما هو معروف وسبب ذلك ان الوحي كما قررناه مفارقة البشرية الى المدارك الملكية
وتلقي كلام النفس فتحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من افقها
الى ذلك الافق الاخر وهذا هو معنى الغط الذي عبر به في مبدا الوحي في قوله فغطني حتى بلغ
مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ وكذا ثانية وثالثة كما في الحديث وقد يفضي
الاعتياد فيه بالتدريج شيئا فشيئا الى بعض السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كان
تنزل نجوم القران وسوره واياته حين كان بمكة اقصر منها وهو بالمدينة وانظر الى ما نقل في
نزول سورة براءة في غزوة تبوك وانها نزلت او اكثرها عليه وهو يسير على ناقته بعد ان كان
بمكة ينزل عليه بعض السورة من قصار المفصل في وقت وينزل الباقي في حين اخر وكذلك
كان من اخر ما نزل عليه بالمدينة اية الدين وهي ما هي في الطول بعد ان كانت الايات تنزل
عليه بمكة مثل ايات سورة الرحمن والذاريات والمدثر والضحى والعلق وامثالها
واعتبر من ذلك علامة تميز بها بين المكي والمدني من السور والايات والله المرشد الى الصواب
هذا محصل امر النبوة **واما الكهانة** فهي ايضا من خواص النفس الانسانية وذلك
انه قد تقدم لنا في جميع ما مر ان للنفس الانسانية استعدادا للانسلاخ عن البشرية
الى الروحانية التي فوقها وانه يحصل من ذلك لمحة للبشر في صنف الانبيا بما فطروا عليه
من ذلك وتقرر انه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشيء من المدارك ولا من
التصورات ولا من الافعال البدنية كلاما او حركة ولا بامر من الامور انما هو انسلاخ من
البشرية الى الملكية بالفطرة في لحظة اقرب من لمح البصر واذا كان ذلك وكان هذا الاستعداد
موجودا في الطبيعة البشرية فيعطي التقسيم العقلي ان هنا صنفا اخر من البشر ناقصا
عن رتبة الصنف الاول نقصان الضد عن ضده الكامل لان عدم الاستعانة في ذلك الادراك هنا صح
ضد الاستعانة فيه وشتان ما بينهما فاذن اعطى تقسيم الوجود ان هنا صنفا اخر من البشر مفطور
على ان تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عندما يبعثها النزوع لذلك وهي
ناقصة عنه بالجبلة عندما يعوقها العجز عن ذلك تتشبث بامور جزئية محسوسة فيكون لها بالجبلة صح
او متخيلة كالاجسام الشفافة وعظام الحيوان وسجع الكلام وما سنح من طير او حيوان
فيستديم ذلك الاحساس او التخيل مستعينا به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون
كالمشيع له وهذه القوة التي فيهم مبدا لذلك الادراك هي الكهانة ولكون هذه النفوس
مفطورة على النقص والقصور عن الكمال كان ادراكها في الجزئيات اكثر من الكليات وتكون
متشبثة بها غافلة عن الكليات ولذلك ما تكون المتخيلة فيهم في غاية القوة لانها آلة
الجزئيات فتنفذ فيها نفوذا تاما في نوم او يقظة وتكون عندها حاضرة عتيدة تحضرها
المتخيلة وتكون لها كالمراة تنظر فيها دائما ولا يقوى الكاهن على الكمال في ادراك المعقولات
لان وحيه من وحي الشياطين وارفع احوال هذا الصنف ان يستعين بالكلام الذي فيه

السجع والموازنة ليشتغل به عن الحواس ويقوى بعض الشي على ذلك الاتصال الناقص
فيهجس في قلبه عن تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الاجنبي ما يقذفه على لسانه فربما
صدق ووافق الحق وربما كذب لانه يتمم نقصه بامر اجنبي عن ذاته المدركة ومباين لها غير ملايم
فيعرض له الصدق والكذب جميعا ويكون غير موثوق به وربما يفزع الى الظنون والتخمينات
حرصا على الظفر بالادراك بزعمه وتمويها على السايلين واصحاب هذا السجع هم المخصوصون
باسم الكهان لانهم ارفع ساير اصنافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم في مثله هذا من سجع الكهان
فجعل السجع مختصا بهم بمقتضى الاضافة وقال لابن صياد حين ساله كاشفا عن حاله
بالاخبار كيف ياتيك هذا الامر فقال ياتيني صادق وكاذب فقال خلط عليك الامر يعني
ان النبوة خاصيتها الصدق فلا يعتريها الكذب بحال لانها اتصال من ذات النبي بالملا الاعلى
من غير مشيع ولا استعانة باجنبي والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة
بالتصورات الاجنبية كانت داخلة في ادراكه والتبست بالادراك الذي توجه اليه فصار
مختلطا بها وطرقه الكذب من هذه الجهة فامتنع ان يكون نبوة وانما قلنا ان ارفع مراتب الكهانة
حالة السجع لان معين السجع اخف من ساير المعينات من المرييات والمسموعات
ويدل خفة المعين على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعد فيه عن العجز بعض الشي
وقد زعم بعض الناس ان هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شان
رجم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة وان ذلك كان لمنعهم من خبر السما كما وقع في القران
والكهان انما يتعرفون اخبار السما من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ولا
يقوم من ذلك دليل لان علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم كما قررناه وايضا
فالاية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من اخبار السما وهو ما يتعلق بخبر البعثة
ولم يمنعوا مما سوى ذلك وايضا فانما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلها
عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لان هذه المدارك كلها تخمد في زمن النبوة كما
تخمد الكواكب والسرج عند وجود الشمس لان النبوة هي النور الاعظم الذي يخفى معه كل
نور او يذهب وقد زعم بعض الحكما انها انما توجد بين يدي النبوة ثم تنقطع وهكذا مع كل
نبوة وقعت لان وجود النبوة لابد له من وضع فلكي يقتضيه وفي تمام ذلك الوضع تمام تلك
النبوة التي دل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضي وجود طبيعة من ذلك النوع
الذي يقتضيه ناقصة وهو معنى الكاهن على ما قررناه فقبل ان يتم ذلك الوضع الكامل يقع
الوضع الناقص ويقتضي وجود الكاهن اما واحدا او متعددا فاذا تم ذلك الوضع تم وجود
النبي بكماله وانقضت الاوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شي بعد وهذا
بنا على ان بعض الوضع الفلكي يقتضي بعض اثره وهو غير مسلم فلعل الوضع انما يقتضي ذلك الاثر
بهيئته الخاصة ولو نقص بعض اجزايها فلا يقتضي شيا لا انه يقتضي ذلك الاثر ناقصا
كما قالوه ثم ان هولا الكهان اذا عاصروا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته

لان

لان لهم بعض الوجدان من امر النبوة كما لكل انسان من امر النوم ومعقولية تلك
النسبة موجودة للكاهن باشد مما للنايم ولا يصدهم عن ذلك في التكذيب الا
وساوس المطامع بانها نبوة لهم فيقعون في العناد كما وقع لامية بن ابي الصلت فانه كان
يطمع ان يكون نبيا وكذا وقع لابن صياد ولمسيلمة وغيرهم فاذا غلب الايمان وانقطعت
تلك الاماني امنوا احسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدي وقارب بن الاسود وكان
لهما في الفتوحات الاسلامية من الاثار ما يشهد بحسن الايمان **واما الرويا**
فحقيقتها مطالعة النفس الناطقة في ذاتها الروحانية لمحة من صور الواقعات فانها عندما
تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شان الذوات
الروحانية كلها وتصير روحانية بان تتجرد عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد
يقع لها ذلك لمحة بسبب النوم كما نذكر فتقتبس بها علم ما تتشوف اليه من الامور
المستقبلة وتعود به الى مداركها فان كان ذلك الاقتباس ضعيفا وغير جلي
كانت بالمحاكاة والمثال في الخيال لتخلصه فيحتاج من اجل هذه المحاكاة الى التعبير
وقد يكون الاقتباس قويا يستغنى فيه عن المحاكاة فلا يحتاج الى تعبير لخلوصه من
المثال والخيال والسبب في وقوع هذه اللمحة للنفس انها ذات روحانية بالقوة مستكملة
بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها تعقلا محضا ويكمل وجودها بالفعل فتكون حينيذ
ذاتا روحانية مدركة بغير شي من الالات البدنية الا ان نوعها في الروحانيات
دون نوع الملايكة اهل الافق الاعلى الذين لم يستكملوا ذواتهم بشي من مدارك
البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لها ما دامت في البدن ومنه خاص كالذي
للاوليا ومنه عام للبشر على العموم وهو امر الرويا واما الذي للانبيا فهو استعداد
بالانسلاخ من البشرية الى الملكية المحضة التي هي اعلى الروحانيات ويخرج هذا
الاستعداد فيهم متكررا في حالات الوحي وهو عندما يعرج على المدارك البدنية ويقع
فيه ما يقع من الادراك شبيها بحال النوم شبها بينا وان كان حال النوم ادون منه
بكثير فلاجل هذا الشبه عبر الشارع عن الرويا بانها جز من ستة واربعين جزا من
النبوة وفي رواية ثلاثة واربعين وفي رواية سبعين وليس العدد في جميعها مقصودا
بالذات وانما المراد الكثرة في تفاوت هذه المراتب بدليل ذكر السبعين في بعض
طرقه وهو للتكثير عند العرب وما ذهب اليه بعضهم في رواية ستة واربعين من ان الوحي
كان في مبداه بالرويا ستة اشهر وهي نصف سنة ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة
ثلاثة وعشرون سنة فنصف السنة منها جز من ستة واربعين فكلام بعيد عن التحقيق
لانه انما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ومن اين لنا ان هذه المدة وقعت لغيره من
الانبيا مع ان ذلك انما يعطي نسبة زمن الرويا من زمن النبوة ولا يعطي نسبة
حقيقتها من حقيقة النبوة واذا تبين لك هذا مما ذكرناه اولا علمت ان معنى هذا الجز

نسبة الاستعداد الاول الشامل للبشر الى الاستعداد القريب الخاص بصنف الانبيا
الفطري لهم صلوات الله عليهم ثم ان هذا الاستعداد البعيد وان كان عاما في البشر
فمعه عوايق وموانع كثيرة من حصوله بالفعل ومن اعظم تلك الموانع الحواس الظاهرة
ففطر الله البشر على ارتفاع حجاب الحواس بالنوم الذي هو جبلي لهم فتتعرض
النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تتشوق اليه في عالم الحق فتدرك في بعض الاحيان
منه لمحة يكون فيها الظفر بالمقصود ولذلك جعلها الشارع من المبشرات فقال
لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة
يراها الرجل الصالح او ترى له **واما** سبب ارتفاع حجاب الحواس بالنوم
فعلى ما اصفه لك وذلك ان النفس الناطقة انما ادراكها وافعالها بالروح الحيواني
الجسماني وهو بخار لطيف مركزه في التجويف الايسر من القلب على ما في
كتب التشريح لجالينوس وغيره وينبعث مع الدم في الشريانات والعروق
فيعطي الحس والحركة وساير الافعال البدنية ويرتفع لطيفه الى الدماغ
فيعدل من برده وتتم افعال القوى التي في بطونه فالنفس الناطقة انما تدرك
وتعقل بهذا الروح البخاري وهي متعلقة به بما اقتضته حكمة التكوين في
ان اللطيف لا يؤثر في الكثيف ولما لطف هذا الروح الحيواني من بين المواد
البدنية صار محلا لاثار الذات المباينة له في جسمانيته وهي النفس الناطقة
وصارت اثارها حاصلة في البدن بواسطته وقد كنا قدمنا ان ادراكها على
نوعين ادراك بالظاهر وهو الحواس الخمس وادراك في الباطن وهو بالقوى
الدماغية وان هذا الادراك كله صارف لها عن ادراكها ما فوقها من ذوات
الروحانيات التي هي مستعدة له بالفطرة ولما كانت الحواس الظاهرة جسمانية
كانت معرضة للوسن والفشل بما يدركها من التعب والكلال وتغشي الروح
بكثرة التصرف فخلق لها طلب الاستجمام لتجرد الادراك على الصورة الكاملة من
وانما يكون ذلك بانخناس الروح الحيواني من الحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى
الحس الباطن ويعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد بالليل فتطلب الحرارة
الغريزية اعماق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه فتكون مشيعة مركبها
وهو الروح الحيواني الى الباطن ولذلك كان النوم للبشر في الغالب انما هو
بالليل فاذا انخنس الروح عن الحواس الظاهرة رجع الى القوى الباطنة وخفت
عن النفس شواغل الحس وموانعه ورجعت الى الصور التي في الحافظة تمثل
منها بالتركيب والتحليل صورا خيالية واكثر ما تكون معتادة لانها منتزعة من
المدركات المتعاهدة قريبا ثم تنزلها الى الحس المشترك الذي هو جامع الحواس
الظاهرة فيدركها على انحاء الحواس الخمس وربما التفتت النفس لفتة الى

ذاتها



ذاتها الروحانية مع منازعة القوى الباطنة فتدرك بادراكها الروحاني لانها مفطورة
عليه وتقتبس من صور الاشيا التي صارت متعلقة في ذاتها حينيذ ثم ياخذ الخيال
تلك الصور المدركة فيمثلها بالحقيقة او المحاكاة في القوالب المعهودة والمحاكاة من هذه
هي المحتاجة الى التعبير وتصرفها بالتركيب والتحليل في صور الحافظة قبل ان تدرك
من تلك اللمحة ما تدرك هي اضغاث الاحلام وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الرؤيا ثلث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان وهذا التفصيل
مطابق لما ذكرناه فالجلي من الله والمحاكاة الداعية الى التعبير من الملك واضغاث
الاحلام من الشيطان لانها كلها باطل والشيطان ينبوع الباطل هذه حقيقة الرؤيا
وما يسببها ويشيعها من النوم وهي خواص للنفس الانسانية موجودة في البشر
على العموم لا يخلو عنها احد منهم بل كل واحد من الاناسي فقد راى في نومه ما صدق له
في يقظته مرارا غير واحدة وحصل له على القطع ان النفس مدركة للغيب في النوم
ولا بد واذا جاز ذلك في عالم النوم فلا يمتنع في غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة
وخواصها عامة في كل حال والله الهادي الى الحق **فصل** ووقوع ما يقع من
ذلك للبشر غالبا انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانما تكون النفس مستشرفة للشي
فتقع لها تلك اللمحة في النوم لا انها تقصد الى ذلك فتراه وقد وقع في كتاب الغاية
وغيره من كتب اهل الرياضات ذكر اسما تذكر عند النوم فتكون عنها الرؤيا فيما
يتشوف اليه ويسمونها الحالومة وذكر منها مسلمة في كتاب الغاية حالومة سماها
حالومة الطباع التام

حالومة الطباع التام وهي ان يقال عند النوم بعد فراغ السر وصحة التوجه هذه
الكلمات الاعجمية وهي تماغس بعد ان يسواد وغداس نوفنا غادس ويذكر حاجته
فانه يرى الكشف عما يسال عنه في النوم وحكي ان رجلا فعل ذلك بعد رياضة
ليالي في ماكله وذكره فتمثل له شخص يقول له انا طباعك التام فسال واخبره
عما كان يتشوف اليه وقد وقع لي انا بهذه الاسماء مرايي عجيبة واطلعت بها على
امور كنت اتشوف اليها من احوالي وليس ذلك بدليل على ان القصد الى الرؤيا
يحدثها وانما هذه الحالومات تحدث استعدادا في النفس لوقوع الرؤيا فاذا
قوي الاستعداد كان اقرب لحصول ما يستعد له وللشخص ان يفعل من الاستعداد
ما احب ولا يكون دليلا على ايقاع المستعد له فالقدرة على الاستعداد غير القدرة
على الشي فاعلم ذلك وتدبره فيما تجد من امثاله والله الحكيم الخبير **فصل**
ثم انا نجد في النوع الانساني اشخاصا يخبرون بالكاينات قبل وقوعها
بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن ساير الناس ولا يرجعون في ذلك الى صناعة ولا
يستدلون عليه باثر من النجوم ولا غيرها انما نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرتهم
التي فطروا عليها وذلك مثل العرافين والناظرين في الاجسام الشفافة كالمرايا

وطساس الماء والناظرين في قلوب الحيوان واكبادها وعظامها واهل الزجر في الطير
والسباع واهل الطرق بالحصى والحبوب من الحنطة والنوى وهذه كلها موجودة في عالم
الانسان لا يسع احدا جحدها ولا انكارها وكذلك المجانين يلقى على السنتهم كلمات من الغيب
فيخبرون بها وكذلك النائم والميت لاول موته او نومه يتكلم بالغيب وكذلك اهل
الرياضة من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة ونحن الآن
نتكلم على هذه الادراكات كلها ونبتدئ منها بالكهانة ثم ناتي عليها واحدة الى اخرها
ونقدم على ذلك مقدمة في ان النفس الانسانية كيف تستعد لادراك الغيب في
جميع الاصناف التي ذكرناها **وذلك** انها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين
ساير الروحانيات كما ذكرناه قبل وانما تخرج من القوة الى الفعل بالبدن واحواله
وهذا امر مدرك لكل احد وكل ما بالقوة فله مادة وصورة وصورة هذه النفس التي
يتم بها وجودها هو عين الادراك والتعقل فهي توجد اولا بالقوة مستعدة
للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشوها ووجودها بالفعل بمصاحبة
البدن وما يعودها بورود مدركاته المحسوسة عليها وما تنتزع هي من تلك الادراكات
من المعاني الكلية فتتعقل الصورة مرة بعد اخرى حتى يحصل لها الادراك
والتعقل صورة بالفعل فتتم ذاتها وتبقى النفس كالهيولى والصور متعاقبة
عليها بالادراك واحدة بعد واحدة ولهذا نجد الصبي في اول نشوه لا يقدر
على الادراك الذي لها من ذاتها لا في نوم ولا بكشف ولا بغيرهما وذلك لان
صورتها التي هي عين ذاتها وهي الادراك والتعقل لم تتم بعد بل لم يتم لها
انتزاع الكليات ثم اذا تمت ذاتها بالفعل حصل لها ما دامت مع البدن نوعان
من الادراك ادراك بالات الجسم تؤديه اليها المدارك البدنية وادراك بذاتها
من غير واسطة وهي محجوبة عنه بالانغماس في البدن والحواس وبشواغلها لان الحواس
ابدا جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه اولا من الادراك الجسماني وربما تنغمس
عن الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة اما بالخاصية التي هي للانسان
على الاطلاق مثل النوم او بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق
او بالرياضة مثل اهل الكشف من الصوفية فتلتفت حينيذ الى الذوات التي
فوقها من الملا الاعلى لما بين افقها وافقهم من الاتصال في الوجود كما قررناه قبل
وتلك الذوات روحانية وهي ادراك محض وعقول بالفعل وفيها صور الموجودات
وحقايقها كما مر فيتجلى فيها شيء من تلك الصور وتقتبس منها علوما وربما دفعت
تلك الصور المدركة الى الخيال فيصرفه في القوالب المعتادة ثم تراجع الحس بما ادركت
اما مجردا او في قوالبه فتخبر به هذا هو شرح استعداد النفس لهذا الادراك الغيبي
ولنرجع الى ما وعدنا به من بيان اصنافه **فاما** الناظرون في الاجسام الشفافة





من المرايا والطساس والمياه وقلوب الحيوان واكبادها وعظامها واهل الطرق بالحصى
والنوى فكلهم من قبيل الكهان الا انهم اضعف رتبة فيه في اصل خلقهم لان الكاهن لا يحتاج
في رفع حجاب الحس الى كبير معاناة وهولاء يعانونه بانحصار المدارك الحسية كلها
في نوع واحد منها واشرفها البصر فيعكف به على المرئي البسيط حتى يبدو له مدركه
الذي يخبر عنه وربما يظن ان مشاهدة هولاء لما يرونه هو في سطح المراة وليس كذلك
بل لا يزالون ينظرون في سطح المراة الى ان يغيب عن البصر ويبدو فيما بينهم وبين
المراة حجاب كانه غمام يتمثل فيه صور هي مداركهم فيشير اليهم بالمقصود فيما
يتوجهون الى معرفته من نفي واثبات فيخبرون بذلك على نحو ما ادركوه واما
المراة وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه في تلك الحال وانما ينشا لهم بها هذا
النوع الاخر من الادراك وهو نفساني ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك
النفساني للحس كما هو معروف ومثل ذلك يعرض للناظرين في قلوب الحيوان
واكبادها وللناظرين في الماء والطساس وامثال ذلك وقد شاهدنا من هولاء من
يشغل الحس بالبخور فقط ثم بالعزايم للاستعداد ثم يخبر عما ادرك ويزعمون انهم
يرون الصور متشخصة في الهوا تحكي لهم احوال ما يتوجهون الى ادراكه بالمثال والاشارة
وغيبة هولاء عن الحس اخف من الاولين والعالم ابو الغرايب **واما**
الزجر وهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سنوح طاير او حيوان
والفكر فيه بعد مغيبه وهي قوة في النفس تبعث على الحدس والفكر فيما زجر فيه من
مرئي او مسموع وتكون قوته المتخيلة كما قدمناه قوية فيبعثها في البحث مستعينا
بما راه او سمعه فيوديه ذلك الى ادراك ما كما تفعله القوة المتخيلة في النوم وعند ركود
الحواس تتوسط بين المحسوس المرئي في يقظته وتجمعه مع ما عقلته فيكون عنها الرويا
**واما** المجانين فنفوسهم الناطقة ضعيفة التعلق بالبدن لفساد امزجتهم
غالبا وضعف الروح الحيواني فيها فتكون نفسه غير مستغرقة بالحواس ولا منغمسة
فيها بما شغلها في نفسها من الم النقص ومرضه وربما زاحمها على التعلق
به روحانية اخرى شيطانية تتشبث به وتضعف هذه عن ممانعتها فيكون عنه
التخبط فاذا اصابه ذلك التخبط اما لفساد مزاجه من فساد النفس في ذاتها
او لمزاحمة من النفوس الشيطانية في تعلقه غاب عن حسه جملة فادرك لمحة من عالم
نفسه وانطبع فيها بعض الصور وصرفها الخيال وربما نطق على لسانه في تلك الحال
من غير ارادة النطق وادراك هولاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل لانه لا يحصل لهم
الاتصال وان فقدوا الحس الا بعد الاستعانة بالتصورات الاجنبية كما قررناه
ومن ذلك يجي الكذب في هذه المدارك **واما** العرافون فهم المتعلقون بهذا
الادراك وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر على الامر الذي يتوجهون اليه

ويأخذون فيه بالظن والتخمين بنا على ما يتوهمونه من مبادي ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة **هذا** تحصيل هذه الامور وقد تكلم عليها المسعودي في مروج الذهب فما صادف تحقيقا ولا اصابه ويظهر من كلام الرجل انه كان بعيدا عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من اهله ومن غير اهله وهذه الادراكات التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر فقد كان العرب يفزعون الى الكهان في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من ادراك غيبهم وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم في الجاهلية شق من انمار بن نزار وسطيح من مازن بن غسان وكان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه الا الجمجمة ومن مشهور الحكايات عنهما تاويلهما رويا ربيعة ابن نصر وما اخبراه به من ملك الحبشة لليمن وملك مضر من بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قريش وكذا رويا الموبذان التي اولها سطيح لما بعث اليه بها كسرى عبد المسيح فاخبره بشان النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك العرافون كان في العرب منهم كثير وذكروهم في اشعارهم فقال

فقلت لعراف اليمامة داوني … فانك ان داويتني لطبيب

وقال اخر

جعلت لعراف اليمامة حكمه … وعراف نجدان هما شفياني

فقالا شفاك الله والله ما لنا … بما حملت منك الضلوع يدان

وعراف اليمامة هو رياح بن عجلة وعراف نجد الابلق الاسدي **ومن** هذه المدارك الغيبية ما يصدر لبعض الناس عند مفارقة اليقظة والتباسه بالنوم من الكلام على الشي الذي يتشوف اليه بما يعطيه غيب ذلك الامر كما يريد ولا يقع ذلك الا في مبادي النوم عند مفارقة اليقظة وذهاب الاختيار في الكلام فيتكلم كانه مجبول على النطق وغايته ان يسمعه ويفهمه وكذلك يصدر عن المقتولين عند مفارقة روسهم واوساط ابدانهم كلام بمثل ذلك ولقد بلغنا عن بعض الجبابرة الظالمين انهم قتلوا من سجونهم اشخاصا ليتعرفوا من كلامهم عند القتل عواقب امورهم في انفسهم فاعلموهم بما يستبشع وذكر مسلمة في كتاب الغاية له في مثل ذلك ان ادميا اذا جعل في دن مملوء بدهن السمسم ومكث فيه اربعين يوما يغذى بالتين والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشوون راسه فيخرج من ذلك الدهن وحين يجف عليه الهوى يجيب عن كل شي يسال عنه من عواقب الامور الخاصة والعامة وهذا فعل من مناكير افعال السحرة لكن يفهم منه عجايب العالم الانساني **ومن** الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة فيحاولون بالمجاهدة موتا صناعيا باماتة جميع القوى البدنية ثم محو اثارها التي تلونت بها النفس

وذلك

وذلك يحصل بجمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع انه اذا نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل الموت منه ما يقع بعد الموت وتطلع النفس على المغيبات **ومن** هولا اهل الرياضة السحرية يرتاضون بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المغيبات والتصرف في العالم واكثر هولاء في الاقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا وخصوصا بلاد الهند ويسمون هنالك الجوكية ولهم كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة والاخبار عنهم في ذلك غريبة **واما** المتصوفة فرياضتهم دينية وعرية عن هذه المقاصد المذمومة وانما يقصدون جمع الهمة والاقبال على الله بالكلية ليحصل اذواق العرفان والتوحيد ويزيدون في رياضتهم الى الجمع والجوع التغذية بالذكر فبها تتم وجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا نشات النفس على الذكر كانت اقرب الى العرفان بالله واذا عريت عن الذكر كانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة الغيب او التصرف لهولا المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون مقصودا من اول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله وانما هي لقصد التصرف والاطلاع على الغيب واخسر بها صفقة فانها في الحقيقة شرك قال بعضهم من اثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني فهم يقصدون بوجهتهم المعبود لا لشي سواه وان حصل اثنا ذلك ما يحصل فبالعرض وغير مقصود لهم وكثير منهم يفر منه اذا عرض له ولا يحفل به وانما يريد الله لذاته لا لغيره وحصول ذلك لهم معروف ويسمون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فراسة وكشفا وما يقع لهم من التصرف كرامة وليس شي من ذلك بنكير في حقهم وقد ذهب الى انكاره الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وابو محمد ابن ابي زيد المالكي في اخرين فرارا من التباس المعجزة بغيرها والمعول عند المتكلمين حصول التفرقة بالتحدي فهو كاف وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فيكم محدثين وان منهم عمر وقد وقع للصحابة من ذلك وقايع معروفة تشهد بذلك في مثل قول عمر رضي الله عنه يا سارية الجبل وهو سارية ابن زنيم كان قايدا على بعض جيوش المسلمين بالعراق ايام الفتوحات وتورط مع المشركين في معترك وهم بالانهزام وكان بقربه جبل يتحيز اليه فوقع لعمر ذلك وهو يخطب على المنبر بالمدينة فناداه يا سارية الجبل وسمعه سارية بمكانه وراي شخصه هنالك والقصة معروفة ووقع مثله ايضا لابي بكر في وصيته عايشة رضي الله عنهما في شان ما نحلها من اوسق التمر من حديقته ثم نبهها على جداده لتحوزه عن الورثة فقال في سياق كلامه وانما هما اخواك واختاك فقالت انما هي اسما فمن الاخرى فقال ان ذا بطن بنت خارجة اراها جارية فكانت جارية وقع في الموطا في باب ما لا يجوز من النحل ومثل هذه الوقايع كثير لهم ولمن بعدهم

من الصالحين واهل الاقتداء الان المتصوفة يقولون انه يقع في زمن النبوة اذ لا يبقى
لهم مع حالة بحضرة النبي حتى انهم يقولون ان المريد اذا جاء الى المدينة النبوية سلب حاله
مادام فيها حتى يفارقها والله يرزقنا الهداية ويرشدنا الى الحق

**فصل**

ومن هولاء المريدين من المتصوفة قوم بهاليل معتوهون اشبه بالمجانين من العقلاء وهم
مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية واحوال الصديقين وعلم ذلك من احوالهم من يفهم
عنهم من اهل الذوق مع انهم غير مكلفين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب
لانهم لا يتقيدون بشي فيطلقون كلامهم في ذلك وياتون منه بالعجائب وربما ينكر الفقها
انهم على شي من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة
وهو غلط فان فضل الله يوتيه من يشا ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها
واذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فالله تعالى يخصها بما شاء من مواهبه وهولاء
القوم لم تعدم نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين وانما فقد لهم العقل الذي
يناط به التكليف وهو صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان يشتد بها
نظره ويعرف احوال معاشه واستقامة منزله وكانه اذا ميز احوال معاشه لم يبق له
عذر في قبول التكاليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بفاقد لنفسه
ولا ذاهل عن حقيقته فيكون موجود الحقيقة معدوم العقل التكليفي الذي هو معرفة
المعاش ولا استحالة في ذلك ولا يتوقف اصطفاء الله عباده للمعرفة على شي من
التكاليف واذا صح ذلك فاعلم انه ربما يلتبس حال هولاء بالمجانين الذين تفسد
نفوسهم الناطقة ويلحقون بالبهائم ولك في تمييزهم علامات منها ان هولاء البهاليل
تجد لهم وجهة لا يخلون عنها اصلا من ذكر وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية
لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا تجد لهم وجهة اصلا ومنها انهم يخلقون على البله
من اول نشوهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعد برهة من العمر لعوارض بدنية طبيعية
فاذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة ومنها كثرة تصرفهم في الناس
بالخير والشر لانهم لا يتوقفون على اذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا
فصل انتهى بنا الكلام اليه والله المرشد الى الصواب

**فصل** وقد يزعم بعض
الناس ان هنا مدارك للغيب من دون غيبة عن الحس فمنهم المنجمون القائلون بالدلالات
النجومية ومقتضى اوضاعها في الفلك واثارها في العناصر وما يحصل من الامتزاج بين
طبائعها بالتناظر ويتادى من ذلك المزاج الى الهوا وهولاء المنجمون ليسوا من الغيب
في شي انما هي ظنون حدسية وتخمينات مبنية على التاثير النجومي وحصول المزاج منه
للهوا مع مزيد حدس يقع به الناظر على تفصيله في الشخصيات في العالم كما قاله بطلميوس
ونحن نبين بطلان ذلك في محله ان شا الله تعالى وهو لو ثبت فغايته حدس
وتخمين وليس مما ذكرناه في شي ومن هولاء قوم من العامة استنبطوا لاستخراج الغيب

بلغ مقابلة

وتعرف

وتعرف الكائنات صناعة سموها خط الرمل نسبة الى المادة التي يضعون فيها عملهم ومحصول
هذه الصناعة انهم صيروا من النقط اشكالا ذات اربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها
في الزوجية والفردية واستوائها فيهما فكانت ستة عشر شكلا لانها ان كانت ازواجا كلها
او افرادا فشكلان وان كان الفرد منها في مرتبة واحدة فقط فاربعة اشكال وان كان
الفرد في مرتبتين فستة اشكال وان كان في ثلاث مراتب فاربعة اشكال جاءت ستة عشر شكلا
ميزوها كلها باسمائها ونوعوها الى سعود ونحوس شان الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بيتا طبيعية
بزعمهم وكانها البروج الاثني عشر التي للفلك والاوتاد الاربعة وجعلوا لكل شكل بيتا وخطوطا
ودلالة على صنف من عالم العناصر يختص به واستنبطوا من ذلك فنا حاذوا به فن
النجامة ونوع قضائه الا ان احكام النجامة مستندة الى دلالات طبيعية كما زعم بطلميوس
وهذه انما مستندها دلالات وضعية وذلك ان بطلميوس انما تكلم في المواليد والقرانات
التي هي عنده من اثار الكواكب والاوضاع الفلكية في عالم العناصر وتكلم المنجمون من
بعده في المسايل باستخراج الضماير وتقسيمها على بيوت الفلك والحكم عليها باحكام
ذلك البيت النجومية وهي التي ذكر بطلميوس واعلم ان الضماير امور نفسانية ليست
من عالم العناصر فليست من آثار الكواكب ولا الاوضاع الفلكية ولا دلالة لها عليها
نعم انه صار للنفس المسايل مدخل في صناعة النجامة من حيث الاستدلال بالكواكب
والاوضاع الا انه في غير مدلوله الطبيعي فلما جاء اهل الخط عدلوا عن الكواكب والاوضاع
استصعابا للمعاناة والارتفاع بالالات وتعديل الكواكب بالحسبان واستخرجوا
هذه الاشكال الخطية وفرضوها ستة عشر من بيوت الفلك واوتاده ونوعوها الى سعد
ونحس وممتزج شان الكواكب السيارة واقتصروا على التسديس من المناظرة ونزلوا
الاحكام النجومية عليها كما في المسايل الا ان دلالة كل منهما غير طبيعية كما قدمناه وانتحل
هذه الصناعة كثير من البطالين للمعاش في المدن وصنفوا فيها التصانيف
المحصلة لقواعدها واصولها كما فعله الزناتي منهم وغيره وقد يكون من اهل هذه الصناعة
من يتعرض بها لادراك الغيب باشتغال الحس بالنظر في اشكال تلك الخطوط
فيعتريه حالة الاستعداد كما يعتري المنظورين على ذلك كما نذكره بعد وهولاء
اشرف اهل هذه الصناعة وهم على الجملة يزعمون ان اصل ذلك من النبوات
القديمة في العالم وربما ينسبونها الى ادريس او دانيال صلوات الله عليهما شان الصنائع
كلها وربما يدعون مشروعيتها ويحتجون لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم كان نبي يخط
فمن وافق خطه فذاك وليس في الحديث دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعمه
بعضهم لان معنى الحديث كان نبي يخط فياتيه الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة
في ان يكون ذلك عادة لبعض الانبياء صلوات الله عليهم متفاوتون في ادراك الوحي
قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمنهم من ياتيه الوحي [illegible] للملك

فانهم

ابتداء من غير طلب ولا وجهة لذلك ومنهم من يتوجه فيما يعرض له من امور البشر بسؤال امته عن مشكل او تكليف او نحو ذلك فيتوجه وجهة ربانية يتعرض بها لكشف ما يريد من ذلك من الله ويعطي التقسيم هنا قسمان آخران وجدان الوحي قد يكون وهو لا يستعد لشيء من الاحوال كالذي ذكرناه وقد يكون وهو مستعد ببعض الاحوال كما نقل في الاسرائيليات ان بعض الانبيا كان يستعد للوحي بسماع الاصوات الطيبة للحنة وهذا النقل وان لم يكن متمكنا في الصحة الا انه غير بعيد فان الله تعالى يخص انبياه ورسله بما يشا ~~وقد نقل لنا ذلك عن بعض الاكابر من المتصوفة في التعرض للغيبة عن الحس بسماع الغنا ليجرد بذلك مداركه في مقام دون النبوة~~ وما هنا الا استشهاد معلوم واذا تقرر ذلك فقد كنا قدمنا ان في اصحاب خط الرمل من يتعرض به للكشف باشتغال الحس بالنظر في تلك الخطوط والاشكال فيعتريه حينئذ الادراك الغيبي الروحاني بالتفرغ عن الحس جملة ويفارق المدارك البشرية الى المدارك الروحانية وقد مر تفسيرهما وهذا من الكهانة من نوع النظر في العظام والمياه والمرايا بخلاف من يقتصر في ذلك منهم على الامر الصناعي الذي يحصل به على الغيب بالحدس والتخمين وهو لم يفارق المدارك الجسمانية بعد جايلا في مرامي الظنون فقد يكون شان بعض الانبيا الاستعداد بالخط في مقام النبوة لخطاب الملك كما يستعد به من ليس بنبي للادراك الروحاني ومفارقة المدارك البشرية الا ان ادراكه روحاني فقط وادراك النبي ملكي بالوحي من عند الله واما مقامات اهل صناعة الخط في مدارك الحدس والتخمين فحاشا للانبيا منها فانهم لا يشرعون التكلم بالغيب ولا الخوض فيه لاحد من البشر وقوله في الحديث فمن وافق خطه فذاك اي فهو صحيح من بين الخط بما عضده من الوحي لذلك النبي الذي كانت عادته ان يأتيه الوحي عند الخط او يكون الاشارة بذلك الى تعظيم وعلو شانه في اتخاذ خطوط الرمل بلا نسبة بينه وبينها اذا كان على ذلك الوجه الذي كان النبي يستعد به للوحي فيأتي على وفاقه واما اذا اخذ ذلك من الخط مجردا من غير موافقة وحي فلا صحة فيه وهذا معنى الحديث والله اعلم وليس فيه دلالة على مشروعية خط الرمل ولا جوازه انتحاله للتعرف الغيب كما هو شان اهل الصنعة وان مال الى ذلك بعضهم بناء على ان فعل الشريعة متبعة فيكون مشروعا على مذهب من يرى ان شرع من قبلنا شرع لنا وليس ذا ابطال بحث فان الشرع انما هو للرسل المشرعين للامم والحديث لم يدل على ذلك وانما دل على ان هذه الحالة قد تحصل لبعض الانبيا وتحتمل ان تكون بيقينا غير مشرع فلا يكون ذلك شرعا لا خاصا بامته ولا عاما لهم ولغيرهم وانما يدل على انها حالة تقع لبعض الانبيا خاصة فلا تتعداه للبشر وهذا اخر ما اردنا تحقيقه هنا والله الملهم للصواب فاذا ارادوا استخراج مغيب بزعمهم عمدوا الى قرطاس او رمل او دقيق فوضعوا النقط سطورا على عدد المراتب الاربعة ثم كرروا ذلك اربع مرات فتجي ستة عشر سطرا

ثم

ثم يطرحون النقط ازواجا ويضعون ما بقي من كل سطر زوجا كان او فردا في مرتبته على الترتيب فتجي اربعة اشكال يضعونها في سطر متتالية ثم يولدون منها اربعة اشكال اخرى من جانب العرض باعتبار كل مرتبة وما قابلها من الشكل الذي بازايه وما يجتمع منهما من زوج او فرد فتكون ثمانية اشكال موضوعة في سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلا تحتهما باعتبار ما يجتمع في كل مرتبة من مراتب الشكلين ايضا من زوج او فرد فتكون اربعة اخرى تحتها ثم يولدون من الاربعة شكلين كذلك تحتها ثم من الشكلين شكلا كذلك تحتهما ثم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الاول شكلا يكون اخر الستة عشر ثم يحكمون على الخط كله بما اقتضته اشكاله من السعودة والنحوسة بالذات والنظر والحلول والامتزاج والدلالة على اصناف الموجودات وساير ذلك تحكما غريبا وكثرت هذه الصناعة في العمران ووضعت فيها التواليف واشتهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتاخرين وهي كما رايت تحكم وهوى والتحقيق الذي ينبغي ان يكون نصب فكرك ان الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل الى تعرفها الا للخواص من البشر المفطورين على الرجوع عن عالم الحس الى عالم الروح ولذلك يسمي المنجمون هذا الصنف كلهم بالزهريين نسبة الى ما تقتضيه دلالة الزهرة بزعمهم في اصل مواليدهم على ادراك الغيب فالخط وغيره من هذه ان كان الناظر فيه من اهل هذه الخاصية وقصد بهذه الامور التي ينظر فيها من النقط والعظام او غيرها اشتغال الحس لترجع النفس الى عالم الروحانيات لحظة فهو من باب الطرق بالحصى والنظر في قلوب الحيوانات والمرايا الشفافة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد معرفة الغيب بهذه الصناعة فهو هذر من القول والعمل والله يهدي من يشاء والعلامة لهذه الفطرة التي فطر عليها اهل الادراك الغيبي انهم عند توجههم الى تعرف الكاينات يعتريهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالتثاوب والتمطط ومبادي الغيبة عن الحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها فيهم فمن لم توجد له هذه العلامات فليس من ادراك الغيب في شي وانما هو ساع في تنفيق كذبه

**فصل** ومنهم طوايف يضعون قوانين لاستخراج الغيب ليست من الطور الاول الذي هو مدارك النفس الروحانية ولا من الحدس المبني على تاثيرات النجوم كما زعمه بطليموس ولا من الظن والتخمين الذي يحاول عليه العرافون وانما هي مغالط يجعلونها كالمصايد لاهل العقول المستضعفة ولست اذكر من ذلك الا ما ذكره المصنفون وولع به الخواص **فمن** تلك القوانين الحساب الذي يسمونه حساب النيم وهو مذكور في اخر كتاب السياسة المنسوب لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب في المتحاربين من الملوك وهو ان تحسب الحروف التي في اسم احدهما بحساب الجمل المصطلح عليه في حروف ابجد من الواحد الى الالف احادا وعشرات ومئين والوفا فاذا حسبت الاسم وتحصل لك منه عدد فاحسب

اسم الاخر كذلك ثم اطرح كل واحد منهما تسعة تسعة واحفظ بقيته ثم انظر بين العددين
الباقيين من حساب الاسمين فان كانا مختلفين في الكمية وكانا معا زوجين او فردين
فصاحب الاقل منهما هو الغالب وان كان احدهما زوجا والاخر فردا فصاحب الاكثر
هو الغالب وان كانا متساويين في الكمية وهما معا زوجان فالمطلوب هو الغالب
وان كانا معا فردين فالطالب هو الغالب وينقل هنالك بيتين في هذا العمل اشتهر بين الناس
وهما

ارى الزوج والافراد يسمو اقلها    واكثرها عند التخالف غالب
ويغلب مطلوب اذا الزوج يستوي    وعند استواء الفرد يغلب طالب

ثم وضعوا لمعرفة ما بقي من الحروف بعد طرحها بتسعة قانونا معروفا عندهم في طرح تسعة
وذلك بان جمعوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الاربعة وهي ا الدالة على الواحد
وي الدالة على العشرة وهي واحد في مرتبة العشرات وق الدالة على المائة لانها واحد
في مرتبة المئين وش الدالة على الالف وهي واحد في مرتبة الالاف وليس بعد الالف عدد
يدل عليه بالحروف لان الشين هي اخر حروف ابجد ثم رتبوا هذه الحروف الاربعة على نسق
المراتب فكان منها كلمة رباعية وهي ايقش ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على
اثنين في المراتب الثلاث واسقطوا مرتبة الالاف منها لانها كانت اخر حروف ابجد فكان
مجموع حروف الاثنين في المراتب ثلثة حروف وهي ب الدالة على الاثنين في الاحاد
وك الدالة على اثنين في العشرات وهي عشرون ور الدالة على اثنين في المئين
وهي مائتان وصيروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي بكر ثم فعلوا
كذلك في الحروف الدالة على ثلثة فنشأت عنها كلمة جلش وكذلك الى اخر حروف
ابجد وصارت تسع كلمات نهاية عدد الاحاد وهي ايقغ بكر جلش
دمت هنث وصخ زعذ حفض طضظ مرتبة على توالي الاعداد ولكل كلمة
منها عددها الذي في مرتبته فالواحد لكلمة ايقش والاثنان لكلمة بكر والثلاثة لكلمة جلش
وكذلك الى التاسعة التي هي طضظ فتكون لها التسعة فاذا ارادوا طرح الاسم
بتسعة نظروا كل حرف منه في اي كلمة هو من هذه الكلمات واخذوا عددها مكانه ثم يجمعون
الاعداد التي ياخذونها بدلا من حروف الاسم فان كانت زائدة على التسعة اخذوا
ما فضل عنها والا اخذوه كما هو ثم يفعلون كذلك بالاسم الاخر وينظرون بين الخارجين
بما قدمناه والسر في هذا القانون بين وذلك ان الباقي في كل عقد من عقود
الاعداد بعد طرح تسعة انما هو واحد فكأنه يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة فصارت
اعداد العقود كلها كأنها احاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين والمائتين والالفين
كلها اثنان وكذلك الثلاثة والثلاثون والثلاثمائة والثلاثة الاف كلها ثلثة فوضعت
الاعداد على التوالي دالة على اعداد العقود لا غير وجعلت الحروف الدالة على اصناف
العقود في كل كلمة من الاحاد والعشرات والمئين والالوف وصار عدد الكلمة الموضوع عليها

نايبا

نايبا عن كل حرف فيها سواء دل على الاحاد او العشرات او المئين او الالوف فيؤخذ
عدد كل كلمة عوضا من الحروف التي فيها وتجمع كلها الى اخرها كما قلناه هذا هو العمل
المتداول فيها منذ الامر القديم وكان بعض من لقيناه من شيوخنا يرون ان الصحيح
فيها كلمات اخرى تسعة مكان هذه ومتوالية كتواليها ويفعلون فيها الطرح بتسعة
مثل ما يفعلونه بالاخرى سواء وهي هذه ارب يسقك جزلط
مدوص هف تحذن غش خع ثضظ
تسع كلمات على توالي العدد وفيها الثلاثي والرباعي والثنائي وليست جارية على
اصل مطرد لكن كان شيوخنا ينقلونها عن شيخ المغرب في هذه المعارف من النجامة
والسيمياء واسرار الحروف وهو ابو العباس بن البنا ويقولون عنه ان العمل بهذه
الكلمات في طرح حساب النيم اصح من العمل بكلمات ايقش فالله اعلم كيف ذلك وهذه
كلها مدارك الغيب غير مستندة الى برهان ولا تحقيق والكتاب الذي وجد فيه حساب
النيم غير معزو الى ارسطو عند المحققين لما فيه من الاراء البعيدة عن التحقيق والبرهان
يشهد لك بذلك فتصفحه ان كنت من اهل الرسوخ ومن هذه القوانين
الصناعية لاستخراج الغيوب فيما يزعمون الزايرجة المسماة زايرجة العالم المعزوة
الى ابي العباس السبتي من اعلام المتصوفة بالمغرب كان في اخر المائة السادسة بمراكش
ولعهد المنصور يعقوب من ملوك الموحدين وهي غريبة العمل صنعة وكثير من الخواص
يولعون بافادة الغيب منها بعملها المعروف الملغوز فيحرصون لذلك على حل رمزه وكشف
غامضه لذلك وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية
منها للافلاك وللعناصر وللمكونات وللروحانيات ولغير ذلك من اصناف الكائنات
والعلوم وكل دائرة مقسومة باقسام فلكها اما البروج واما العناصر او غيرهما وخطوط
كل قسم مارة الى المركز ويسمونها الاوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة
فمنها برشوم الزمام التي هي اشكال الاعداد عند اهل الدواوين والحسبان بالمغرب
لهذا العهد ومنها برشوم الغبار المتعارفة وفي داخل الزايرجة وبين الدوائر اسماء
العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظهر الدوائر جدول متكثر البيوت المتقاطعة
طولا وعرضا يشتمل على خمسة وخمسين بيتا في العرض ومائة واحد وثلثين في الطول جوانب
منه معمورة البيوت تارة بالعدد واخرى بالحروف وجوانب خالية البيوت ولا تعلم
نسبة تلك الاعداد في اوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت العامرة من الخالية
وحافتي الزايرجة ابيات من عروض الطويل على روي اللام المنصوبة تتضمن صورة
العمل في استخراج المطلوب من تلك الزايرجة الا انها من قبيل الالغاز في عدم الوضوح
والجلاء وفي بعض جوانب الزايرجة بيت من الشعر منسوب لبعض اكابر اهل الحدثان

DC

بالمغرب وهو مالك بن وهيب من علماء اشبيلية كان في الدولة اللمتونية ونص البيت

سوال عظيم الخلق حزت فصن اذن    غرايب شك ضبطه الجد مثلا

وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السوال في هذه الزايرجة
وغيرها فاذا ارادوا استخراج الجواب عما يسيل عنه من المسايل كتبوا ذلك السوال
وقطعوه حروفا ثم اخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك ودرجها وعمدوا
الى الزايرجة ثم الى الوتر المكتنف فيها بالبرج الطالع من اوله مارا الى المركز ثم الى المحيط
الدايرة قبالة الطالع فياخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من اوله الى اخره والاعداد
المرشومة بينها ويصيرونها حروفا بحساب الجمل وقد ينقلون احادها الى العشرات
وعشراتها الى المين وبالعكس فيهما كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها
مع حروف السوال ويضيفون الى ذلك جميع ما على الوتر المكتنف بالبرج الثالث
من الطالع من الحروف والاعداد من اوله الى المركز فقط لا يتجاوزونه
الى المحيط ويفعلون بالاعداد ما فعلوه بالاولى ويضيفونها الى الحروف الاخرى
ثم يقطعون حروف البيت الذي هو اصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك
ابن وهيب المتقدم الذكر ويضعونها ناحية ثم يضربون عدد درج الطالع في اس
البرج واسه عندهم هو بعد البرج عن اخر المراتب عكس ما عليه الاس عند
اهل صناعة الحساب فانه عندهم البعد من اول المراتب ثم يضربونه في
عدد اخر يسمونه الاس الاكبر والدور الاصلي ويدخلون بما يجتمع لهم من ذلك
في بيوت الجدول على قوانين معروفة واعمال مذكورة وادوار معدودة ويستخرجون
منها حروفا ويسقطون اخرى ويقابلون بما معهم في حروف البيت وينقلون
منه ما ينقلون الى حروف السوال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف باعداد
معلومة يسمونها الادوار ويخرجون في كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور
ويعاودون ذلك بعدد الادوار المعينة عندهم لذلك فيخرج اخرها حروفا متقطعة
وتولف على التوالي فتصير كلمات منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذي
يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم حسبما نذكر ذلك
كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزايرجة وقد راينا كثيرا من
الخواص يتهافتون على استخراج الغيب منها بتلك الاعمال ويحسبون ان
ما وقع من مطابقة الجواب للسوال في توافق الخطاب دليل على مطابقة الواقع
وليس ذلك بصحيح لانه قد مر لك ان الغيب لا يدرك بامر صناعي البتة وانما المطابقة
التي فيها بين الجواب والسوال من حيث الافهام والتوافق في الخطاب حتى
يكون الجواب مستقيما موافقا للسوال ووقوع ذلك بهذه الصناعة في تكسير الحروف
المجتمعة من السوال والاوتار والدخول في الجدول بالاعداد المجتمعة من ضرب



الاعداد المفروضة واستخراج الحروف من الجدول بذلك وطرح اخرى ومعاودة
ذلك في الادوار المعدودة ومقابلة ذلك كله بحروف البيت على التوالي غير مستنكر
وقد يقع الاطلاع من بعض الاذكيا على تناسب بين هذه الاشيا فيقع له معرفة
المجهول منها فالتناسب بين الاشيا هو سر الحصول على المجهول من المعلوم الحاصل
للنفس وطريق لحصوله سيما من اهل الرياضة فانها تفيد العقل قوة على القياس
وزيادة في الفكر وقد مر تعليل ذلك غير مرة ومن اجل هذا المعنى ينسبون هذه الزايرجة كذا صح
في الغالب لاهل الرياضة فهي منسوبة للسبتي ووقفت على اخرى منسوبة لسهل
ابن عبد الله ولعمري انها من الاعمال الغريبة والمعاياة العجيبة والجواب الذي يخرج
منها فالسر في خروجه منظوما فيما يظهر لي انما هو المقابلة بحروف ذلك البيت
ولهذا يكون النظم على وزنه ورويه ويدل عليه انا اعمالا اخرى لهم في مثل ذلك اسقطوا وجدناه صح
فيها المقابلة بالبيت فلم يخرج الجواب منظوما كما تراه عند الكلام على ذلك في
موضعه وكثير من الناس تضيق مداركهم عن التصديق بهذا العمل ونفوذه الى
المطلوب فينكر صحتها ويحسب انها من التخيلات والايهامات وان صاحب
العمل بها يثبت حروف البيت الذي ينظمه كما يريد بين اثنا حروف السوال والاوتار
ويفعل تلك الصناعة على غير نسبة ولا قانون ثم يجي بالبيت ويوهم ان العمل
جاء به على طريقة منضبطة وهذا الحسبان توهم فاسد حمل عليه القصور عن فهم التناسب
بين الموجودات والمعلومات والتفاوت بين المدارك والعقول ولكن من شان
كل مدرك ان ينكر ما ليس في طوقه ادراكه ويكفينا في رد ذلك مشاهدة العمل بهذه
الصناعة والحدس القطعي بانها جاءت بعمل مطرد وقانون صحيح ولا مرية فيه عند
من يباشر ذلك ممن له مزيد ذكا وحدس واذا كان كثير من المعاياة في العدد الذي هو
اوضح الواضحات يعسر على الفهم ادراكه لبعد النسبة فيه وخفايها فما ظنك بمثل
هذا مع خفا النسبة فيه وغرابتها **فلنذكر** مسيلة من المعاياة يتضح
لك بها شي مما ذكرناه مثاله لو قيل لك خذ عددا من الدراهم واجعل بازاء
كل درهم ثلاثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس التي اخذت واشتر بها طايرا
ثم اشتر بالدراهم كلها طيورا بسعر ذلك الطاير فكم الطيور المشتراة بالدراهم فجوابه ان
تقول هي تسعة لانك تعلم ان فلوس الدراهم اربعة وعشرون وان الثلاثة ثمنها
وان عدة اثمان الواحد ثمانية فكانك جمعت الثمن من كل درهم الى الثمن من الاخر
فكان كله ثمن طاير فهي ثمانية طيور عدة اثمان الواحد وتزيد على الثمانية طايرا اخر
وهو المشترى بالفلوس الماخوذة اولا وعلى سعره اشتريت بالدراهم فتكون
تسعة فانت ترى كيف خرج لك الجواب المضمر بسر التناسب الذي بين
اعداد المسلة والوهم اول ما يلقي اليك هذه وامثالها انما يجعله من قبيل الغيب

الذي لا يمكن معرفته فظهر ان التناسب بين الامور هو الذي يخرج مجهولها من معلومها
وهذا انما هو في الواقعات الحاصلة في الوجود او العلم واما الكاينات المستقبلة
اذا لم تعلم اسباب وقوعها ولا ثبت لنا خبر صادق عنه فهو غيب لا يمكن معرفته
واذا تبين لك ذلك فالاعمال الواقعة في الزايرجة كلها انما هي استخراج الفاظ الجواب
الجواب من الفاظ السوال لانها كما رايته استنباط حروف على ترتيب من تلك
الحروف بعينها على ترتيب اخر وسر ذلك انما هو من تناسب بينها يطلع عليه بعض
دون بعض فمن عرف ذلك التناسب تيسر عليه استخراج ذلك الجواب بتلك
القوانين والجواب يدل في مقام اخر من حيث موضوع الفاظه وتراكيبه على وقوع احد
طرفي السوال من نفي او اثبات وليس هذا من المقام الاول بل انما يرجع الى مطابقة
الكلام لما في الخارج ولا سبيل الى معرفة ذلك من هذه الاعمال بل البشر محجوبون
عنه وقد استاثر الله بعلمه والله يعلم وانتم لا تعلمون

---

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

## الفصل الثاني من الكتاب الاول في العمران البدوي

والامم الوحشية والقبايل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه اصول وتمهيدات

## فصل في ان اجيال البدو والحضر طبيعية

اعلم ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نحلتهم في المعاش
فان اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط
قبل الحاجي والكمالي فمنهم من ينتحل الفلح من الغراسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام
على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها
وهولاء القايمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدو لانه متسع لما
لا يتسع له الحواضر من المزارع والفدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص
هولاء بالبدو امرا ضروريا وكان حينيذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم
وعمرانهم من القوت والكن والدفء انما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة
العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هولاء المنتحلين
للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة
وتعاونوا على الزايد في الزايد على الضرورة واستكثروا من الاقوات والملابس
والتانق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتحضر ثم تزيد
احوال الرفه والدعة فتجي عوايد الترف البالغة مبالغها في التانق في علاج القوت
واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في انواعها من الحرير والديباج وغير
ذلك ومعالاة البيوت والصروح واحكام وضعها في تنجيدها والانتهاء بالصنايع
في الخروج من القوة الى الفعل الى غايتها فيتخذون القصور والمنازل ويجرون
فيها المياه ويعالون في صروحها ويبالغون في تنجيدها ويختلفون في استجادة
ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس او فراش او انية او ماعون وهولاء هم الحضر ومعناه
الحاضرون اهل الامصار والبلدان ومن هولاء من ينتحل في معاشه الصنايع
ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم انمى وارفه من اهل البدو لان احوالهم
زايدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجدهم فقد تبين ان اجيال البدو
والحضر طبيعية لا بد منها كما قلناه

## فصل في ان جيل العرب في الخلقة طبيعي

قد قدمنا في الفصل قبل ان اهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح

١

والقيام على الانعام وانهم مقتصرون على الضروري في الاقوات والملابس والمساكن وساير الاحوال والعوايد ومقتصرون عما فوق ذلك من حاجي او كمالي فيتخذون البيوت من الشعر والوبر والشجر او من الطين والحجارة غير منجدة انما هو قصد الاستظلال والكن لاما وراه وقد ياوون الي الغيران والكهوف واما اقواتهم فيتناولون بيسير العلاج او بغير علاج البتة الا ما مسته النار فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به اولي من الظعن وهولا سكان المداشر والقري والجبال وهم عامة البربر والاعاجم ومن كان معاشه في السايمة مثل البقر والغنم فهم ظواعن في الاغلب لارتياد المسارح والمياه لحيواناتهم اذ التقلب في الارض اصلح بها ويسمون شاوية ومعناه القايمون على الشاه والبقر ولا يبعدون في القفر لفقدان المسارح الطيبة به وهولا مثل البربر والترك واخوانهم من التركمان والصقالبة **واما** من كان معاشهم في الابل فهم اكثر ظعنا وابعد في القفر مجالا لان مسارح التلول ونباتها وشجرها لا تستغني به الابل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقفر وورود مياهه الملحة والتقلب في فصل الشتا في نواحيه فرارا من اذي البرد الي دفء هوايه وطلبا لمفاحص النتاج في رماله اذ الابل اصعب الحيوان فصالا ومخاضا واحوجها في ذلك الي الدفء فاضطروا الي ابعاد النجعة وربما زادتهم الحامية عن التلول ايضا فاوغلوا في القفار نفرة عن النصفة منهم والجزاء بعدوانهم فكانوا لذلك اشد الناس توحشا وينزلون من اهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمفترس من الحيوانات العجم وهولا هم العرب وفي معناهم ظواعن البربر وزناتة بالمغرب والاكراد والتركمان والترك بالمشرق الا ان العرب ابعد نجعة واشد بداوة لانهم مختصون بالقيام على الابل فقط وهولا يقومون عليها وعلى الشاء والبقر معها فقد تبين لك ان جيل العرب طبيعي لابد منه في العمران والله الخلاق العليم

## فصل في ان البدو اقدم من الحضر وسابق عليه وان البادية اصل العمران والامصار ومدد لها

قد ذكرنا ان البدو هم المقتصرون على الضروري في احوالهم العاجزون عما فوقه وان الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في احوالهم وعوايدهم ولا شك ان الضروري اقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه وكان الضروري اصل والكمالي فرع ناشي عنه فالبدو اصل للمدن والحضر سابق عليها لان اول مطالب الانسان الضروري ولا ينتهي الي الترف والكمال الا اذا كان الضروري حاصلا فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة ولهذا نجد التمدن غاية للبدوي يجري اليها وينتهي بسعيه

الى



الي مقترحه منها ومتي حصل علي الرياش الذي يحصل به احوال الترف وعوايده عاج الي الدعة وامكن نفسه من قياد المدنية وهكذا شان اهل القبايل المتبدية كلهم والحضري لا يتشوف الي البادية الا لضرورة تدعوه اليها او لتقصير عن احوال اهل مدينته **ومما** يشهد لنا ان البدو اصل للحضر ومتقدم عليه انا اذا فتشنا اهل مصر من الامصار وجدنا اوليته اكثرهم من اهل البدو الذين بناحية ذلك المصر وفي قراه وانهم ايسروا فسكنوا المصر وعدلوا الي الدعة والترف الذي في الحضر وذلك يدل على ان احوال الحضارة ناشية عن احوال البداوة وانها اصل لها فتفهمه ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنسه فرب حي اعظم من حي وقبيلة اعظم من قبيلة ومصر اوسع من مصر ومدينة اكثر عمرانا من مدينة فقد تبين ان وجود البدو متقدم علي وجود المدن والامصار واصل لها لما ان وجود المدن والامصار من عوايد الترف والدعة الذي هو متاخر عن عوايد الضرورة المعاشية

احوال صح

## فصل في ان اهل البدو اقرب الي الخير من اهل الحضر

صح

وسببه ان النفس اذا كانت علي الفطرة الاولي كانت متهيية لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير او شر قال صلي الله عليه وسلم كل مولود يولد علي الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه وبقدر ما يسبق اليها من احد الخلقين تبعد عن الاخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا سبقت الي نفسه عوايد الخير وحصلت لها ملكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر اذا سبقت اليه ايضا عوايده واهل الحضر لكثرة ما يعانونه من فنون الملاذ وعوايد الترف والاقبال علي الدنيا والعكوف علي شهواتهم منها قد تلوثت انفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك حتي لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة في احوالهم فتجد الكثير منهم يقذعون في اقوال الفحشا في مجالسهم وبين كبرايهم واهل محارمهم لا يصدهم عنه وازع الحشمة لما اخذتهم به عوايد السوء في التظاهر بالفواحش قولا وعملا واهل البدو وان كانوا مقبلين علي الدنيا مثلهم الا انه في المقدار الضروري لا في الترف ولا في شي من اسباب الشهوات واللذات ودواعيها فعوايدهم في معاملاتهم علي نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة الي اهل الحضر اقل بكثير فهم اقرب الي الفطرة الاولي وابعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوايد المذمومة وقبحها فيسهل علاجهم عن علاج الحضر وهو ظاهر وقد يتوضح فيما بعد ان الحضارة هي نهاية العمران وخروجه الي الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير

فقد تبين ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر والله يحب المتقين ولا يعترض
على ذلك بما ورد في حديث البخاري من قول الحجاج لسلمة بن الاكوع وقد بلغه انه
خرج الى سكنى البادية فقال له ارتددت على عقبيك تعربت فقال لا ولكن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذن لي في البدو فاعلم ان الهجرة افترضت اول الاسلام
على اهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث حل من المواطن ينصرونه ويظاهرونه
على امره ويحرسونه ولم تكن واجبة على الاعراب اهل البادية لان اهل مكة يمسهم
من عصبية النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهرة والحراسة ما لا يمس غيرهم من بادية
الاعراب وقد كان المهاجرون يستعيذون بالله من التعرب وهو سكنى البادية
حيث لا تجب الهجرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن ابي وقاص عند
مرضه بمكة اللهم امض لاصحابي هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم ومعناه ان يوفقهم
لملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا عن هجرتهم التي ابتدؤا بها وهو من
باب الرجوع على العقب في السعي الى وجه من الوجوه وقيل ان ذلك كان خاصا
بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية الى الهجرة لقلة المسلمين واما بعد
الفتح وحين كثر المسلمون واعتزوا وتكفل الله لنبيه بالعصمة من الناس فان الهجرة
ساقطة حينئذ لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقيل سقط انشاؤها
عمن يسلم بعد الفتح وقيل سقط وجوبها عمن اسلم وهاجر قبل الفتح والكل
مجمعون على انها بعد الوفاة ساقطة لان الصحابة افترقوا من يومئذ في الآفاق
وانتشروا ولم يبق الا فضل السكنى بالمدينة وهو هجرة فقول الحجاج لسلمة حين
سكن البادية ارتددت على عقبيك تعربت نعى عليه في ترك السكنى بالمدينة
بالاشارة الى الدعاء المأثور الذي قدمناه وهو قوله ولا تردهم على اعقابهم وقوله
تعربت الى انه صار من الاعراب الذين لا يهاجرون واجاب سلمة بانكار ما الزمه
من الامرين وان النبي صلى الله عليه وسلم اذن له في البدو ويكون ذلك خاصا به
كشهادة خزيمة وعناق ابي بردة او يكون الحجاج انما نعى عليه ترك السكنى
بالمدينة فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة واجابه سلمة بان اغتنامه لاذن
النبي صلى الله عليه وسلم اولى وافضل فما آثره به واختصه الا لمعنى علمه فيه وعلى
كل تقدير فليس فيه دليل على مذمة البدو الذي عبر عنه بالتعرب لان مشروعية
الهجرة انما كان كما علمت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته لا لمذمة البدو
فليس في النعي على ترك هذا الواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله اعلم

## فصل في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضر

والسبب في ذلك ان اهل الحضر القوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا

في

في النعيم والترف ووكلوا امرهم في المدافعة عن اموالهم وانفسهم الى واليهم
والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم واستناموا الى الاسوار
التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم لا تهيجهم هيعة ولا ينفر لهم صيد فهم غارون
آمنون قد القوا السلاح وتوالت على ذلك منهم اجيال وتنزلوا منزلة النساء
والولدان الذين هم عيال على ابي مثواهم حتى صار ذلك خلقا لهم يتنزل منزلة
الطبيعة واهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي وبعدهم عن
الحامية وانتباذهم عن الاسوار والابواب قائمون بالمدافعة عن انفسهم
لا يكلونها الى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائما يحملون السلاح ويتلفتون
عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوع الا غرارا في المجالس وعلى الرحال
وفوق الاقتاب ويتوجسون للنبآت والهيعات ويتفردون في القفر والبيدا
مدلين ببأسهم واثقين بانفسهم قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية
يرجعون اليها متى دعاهم داع او استنفرهم صارخ واهل الحضر مهما خالطوهم
في البادية او صاحبوهم في السفر عيال عليهم لا يملكون معهم شيئا من امر انفسهم
وذلك مشاهد بالعيان حتى في معرفة النواحي والجهات وموارد المياه ومشارع
السبل وسبب ذلك ما شرحناه واصله ان الانسان ابن عوائده ومألوفه
لا ابن طبيعته ومزاجه فالذي ألفه من الاحوال حتى صار له خلقا وملكة وعادة
تنزل منزلة الطبيعة والجبلة واعتبر ذلك في الآدميين تجده كثيرا صحيحا والله يخلق ما يشاء

## فصل في ان معاناة اهل الحضر للاحكام مفسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنعة منهم

وذلك انه ليس كل احد مالك امر نفسه اذ الرؤسا والامراء المالكون لامر الناس
قليل بالنسبة الى غيرهم فمن الغالب ان يكون الانسان في ملكة غيره ولا بد فان
كانت الملكة رفيقة وعادلة لا يعاني منها حكم ولا منع وصد كان من تحت يدها
مدلين بما في انفسهم من شجاعة او جبن واثقين بعدم الوازع حتى صار لهم
الادلال جبلة لا يعرفون سواها واما اذا كانت الملكة واحكامها بالقهر
والسطوة فتنكسر حينئذ من سورة بأسهم وتذهب المنعة عنهم لما يكون من
التكاسل في النفوس المضطهدة كما نبينه وقد نهى عمر سعدا رضي الله عنهما
عن مثلها لما اخذ زهرة بن حوية سلب الجالنوس وكانت قيمته خمسة وسبعين
الفا من الذهب وكان اتبع الجالنوس يوم القادسية فقتله واخذ سلبه فانتزعه
منه سعد وقال هلا انتظرت في اتباعه اذني وكتب الى عمر يستأذنه فكتب اليه
عمر تعمد الى مثل زهرة وقد صلى بما صلى به وبقي عليك ما بقي من حربك
فتكسر قرنه وتفسد قلبه وامض له سلبه واما اذا كانت الاحكام بالعقاب

مذهبة للباس بالكلية لان وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة التي
تكسر من سورة باسه بلا شك واما اذا كانت الاحكام تاديبية وتعليمية واخذت
من عهد الصبا اثرت في ذلك بعض الشي لمرباه على المخافة والانقياد فلا يكون مدلا
بباسه ولهذا نجد المتوحشين من العرب اهل البدو اشد باسا ممن تاخذه الاحكام
ونجد ايضا الذين يعانون الاحكام وملكتها من لدن مرباهم في التاديب والتعليم
في الصنايع والعلوم والديانات ينقص ذلك من باسهم كثيرا ولا يكادون يدافعون
عن انفسهم عادية بوجه من الوجوه وهذا شان طلبة العلم المنتحلين للقراءة
والاخذ عن المشايخ والايمة الممارسين للتعليم والتاديب في مجالس الوقار والهيبة
فتفيدهم هذه الاحوال وذهابها بالمنعة والباس ولا تستنكرن ذلك بما وقع في
الصحابة من اخذهم باحكام الدين والشريعة ولم ينقص ذلك من باسهم بل كانوا
اشد الناس باسا لان الشارع صلوات الله عليه لما اخذ المسلمون عنه دينهم
كان وازعهم فيه من انفسهم لما تلا عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم
صناعي ولا تاديب تعليمي انما هي احكام الدين وادابه المتلقاة نقلا ياخذون
انفسهم بها بما رسخ فيهم من عقايد الايمان والتصديق فلم تزل سورة باسهم مستحكمة
كما كانت ولم تخدشها اظفار التاديب والحكم قال عمر رضي الله عنه من لم يوديه الشرع
لا ادبه الله حرصا على ان يكون الوازع لكل احد من نفسه ويقينا بان الشارع اعلم
بمصالح العباد ولما تناقص الدين في الناس واخذوا بالاحكام الوازعة ثم
صار الشرع علما وصناعة يوخذ بالتعليم والتاديب ورجع الناس الى الحضارة
وخلق الانقياد الى الاحكام نقصت بذلك سورة الباس فيهم فقد تبين ان الاحكام
السلطانية والتعليمية مفسدة للباس لان الوازع فيها اجنبي واما الشرعية
فغير مفسدة لان الوازع فيها ذاتي ولهذا كانت هذه الاحكام السلطانية والتعليمية
مما يوثر في اهل الحواضر في ضعف نفوسهم وخضد الشوكة منهم بمعاناتها في وليدهم
وكهولهم والبدو بمعزل عن هذه المنزلة لبعدهم عن احكام السلطان والتعليم والاداب
ولهذا قال ابو محمد ابن ابي زيد في كتابه في احكام المعلمين والمتعلمين انه لا ينبغي
للمودب ان يضرب احدا من الصبيان في التعليم فوق ثلاثة اسواط نقله عن
شريح القاضي واحتج له بعضهم بما وقع في حديث بدء الوحي من شان الغط وانه
كان ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصلح شان الغط ان يكون دليلا على ذلك
لبعده عن التعليم المتعارف والله الحكيم الخبير

## فصل في ان سكنى البدو لا يكون الا للقبايل اهل العصبية

اعلم ان الله سبحانه ركب في طباع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناه النجدين وقال

فالهما

فالهمها فجورها وتقواها والشر اقرب الخلال اليه اذا اهمل في مرعى عوايده ولم يهذبه
الاقتدا بالدين وعلى ذلك الجم الغفير الا من وفقه الله ومن اخلاق البشر فيهم الظلم
والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه الى متاع اخيه امتدت يده الى اخذه
الا ان يصده وازع كما قال

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

فاما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على
ايدي من تحتهم من الكافة ان يمتد بعضهم الى بعض او يعدو عليه فهم مكبوحون بحكمة
القهر والسلطان عن التظالم الا اذا كان من الحاكم بنفسه واما العدوان الذي
من خارج المدينة فيدفعه سياج الاسوار عند الغفلة او الغرة ليلا او العجز
عن المقاومة نهارا ويدفعه ذياد الحامية من اعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة
واما احيا البدو فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبراوهم بما وقر في نفوس
الكافة لهم من الوقار والتجلة واما حللهم فانما يذود عنها من خارج حامية
الحي من انجادهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وذيادهم
الا اذا كانوا عصبية واهل نسب واحد لانهم بذلك تشتد شوكتهم
ويخشى جانبهم اذ نعرة كل احد على نسبه وعصبيته اهم وما جعل الله
في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوي ارحامهم وقرباهم موجود في
الطباع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم واعتبر
ذلك فيما حكاه القران عن اخوة يوسف حين قالوا لابيه لين اكله الذيب ونحن
عصبة انا اذا لخاسرون والمعنى انه لا يتوهم العدوان على احد مع وجود العصبية
له واما المنفردون في انسابهم فقل ان يصيب احدا منهم نعرة على صاحبه فاذا
اظلم الجو بالشر يوم الحرب تسلل كل واحد منهم يبغي النجاة بنفسه خيفة
واستيحاشا من التخاذل فلا يقدرون من اجل ذلك على سكنى القفر لما انهم حينيذ
طعمة لمن يلتهمهم سواهم واذا تبين ذلك في السكنى التي تحتاج الى المدافعة
والحماية فبمثله يتبين لك في كل امر يحمل الناس عليه من نبوة او اقامة ملك او دعوة
اذ بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالقتال عليه لما في طباع البشر من الاستعصا
ولا بد في القتال من العصبية كما ذكرناه انفا فاتخذه اماما تقتدي به فيما
نورده عليك من بعد والله الموفق

من الامم صح

## فصل في ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه

وذلك ان صلة الرحم طبيعي في البشر الا في الاقل ومن صلتها النعرة على ذوي
القربى واهل الارحام ان ينالهم ضيم او تصيبهم هلكة فان القريب يجد في

نفسه غضاضة من ظلم قريبه او العدا عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا فاذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل به الالتحام والاتحاد كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها واذا بعد النسب بعض الشي فربما تنوسي بعضها ويبقى منه شهرة فتحمل على النصرة لذوي نسبه بعض الشي بالامر المشهور منه فرارا من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه ومن هذا الباب الولا والحلف اذ نعرة كل احد على اهل ولايه وحلفه للانفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها او قريبها او نسيبها بوجه من وجوه النسب وذلك لاجل اللحمة الحاصلة من الولا مثل لحمة النسب او قريبا منها ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم بمعنى ان النسب انما فايدته هذا الالتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة والنعرة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذ النسب امر وهمي لا حقيقة له ونفعه انما هو في هذه الوصلة والالتحام فاذا كان ظاهرا واضحا حمل النفوس على طبيعتها من النعرة كما قلناه واذا كان انما يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم وذهبت فايدته وصار الشغل به مجانا ومن اعمال اللهو المنهي عنه ومن هذا الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر بمعنى ان النسب اذا خرج عن الوضوح وصار من قبيل العلوم ذهبت فايدة الوهم فيه عن النفس وانتفت النعرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة حينيذ فيه والله تعالى اعلم

## فصل في ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معناهم

وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الاحوال وسو المواطن حملتهم عليها الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة وهي لما كان معاشهم من القيام على الابل ونتاجها ورعايتها والابل تدعوهم الى التوحش في القفر لرعيها من شجره ونتاجها في رماله كما تقدم والقفر مكان الشظف والسغب فصار لهم الفا وعادة وربيت فيها اجيالهم حتى تمكنت خلقا وجبلة فلا ينزع اليهم احد من الامم ان يساهمهم في حالهم ولا يانس بهم احد من الاجيال بل لو وجد واحد منهم السبيل الى الفرار من حاله وامكنه ذلك لما تركه فيومن عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها ولا تزال بينهم محفوظة صريحة واعتبر ذلك في مضر من قريش وكنانة وثقيف وبني اسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة لما كانوا اهل شظف

ومواطن

ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع وبعدوا من ارياف الشام والعراق ومعادن الادم والحبوب كيف كانت انسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيها شوب واما العرب الذين كانوا بالتلول في معادن الخصب للمراعي والعيش من حمير وكهلان مثل لخم وجذام وغسان وطي وقضاعة واياد فاختلطت انسابهم وتداخلت شعوبهم ففي كل واحد من بيوتهم من الخلاف عند الناس ما تعرف وانما جاهم ذلك من قبل العجم ومخالطتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على انسابهم النسب في بيوتهم وشعوبهم وانما هذا للعرب فقط قال عمر تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذا سيل احدهم عن اصله قال من قرية كذا هذا الى ما لحق هولا العرب اهل الارياف من الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعي الخصبة فكثر الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع في صدر الاسلام الانتما الى المواطن فيقال جند قنسرين جند دمشق جند العواصم وانتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن لاطراح العرب امر النسب وانما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زايدة على النسب يتميزون بها عند امرايهم ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة وفقدت ثمرتها من العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبايل ودثرت فدثرت العصبية بدثورها وبقي ذلك في البدو كما كان والله وارث الارض ومن عليها

## فصل في اختلاط الانساب كيف يقع

انه من البين ان بعضا من اهل الانساب يسقط الى اهل نسب اخر بقرابة اليهم او حلف او ولا او لفرار من قومه بجناية اصابها فيدعى بنسب هولا ويعد منهم في ثمراته من النعرة والقود وحمل الديات وساير الاحوال واذا وجدت ثمرات النسب فكانه وجد لانه لا معنى لكونه من هولا ومن هولا الا جريان احكامهم واحوالهم عليه وكانه التحم بهم ثم انه قد يتناسى النسب الاول بطول الزمان ويذهب اهل العلم به فيخفى على الاكثر وما زالت الانساب تسقط من شعب الى شعب ويلتحم قوم باخرين في الجاهلية والاسلام والعرب والعجم وانظر خلاف الناس في نسب ال المنذر وغيرهم يتبين لك شي من ذلك ومنه شان بجيلة في عرفجة بن هرثمة لما ولاه عمر عليهم فسالوه الاعفا منه وقالوا هو فينا نزيف اي دخيل ولصيق وطلبوا ان يولي عليهم جريرا فسال عمر عن ذلك فقال عرفجة صدقوا يا امير المومنين انا رجل من الازد اصبت دما في قومي ولحقت بهم وانظر منه كيف اختلط عرفجة ببجيلة ولبس جلدتهم

ودعي بنسبهم حتى ترشح للرياسة عليهم لولا علم بعضهم بوشايجه ولو غفلوا عن ذلك
وامتد الزمن لتنوسي بالجملة وعدمنهم بكل وجه ومذهب فافهمه واعتبر
سر الله في خليقته ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من العهود

## فصل في ان الرياسة على اهل العصبية لا تكون في غير نسبهم

وذلك ان الرياسة لا تكون الا بالغلب والغلب انما يكون بالعصبية كما قدمناه
فلا بد في الرياسة على القوم ان تكون من عصبية غالبة لعصباتهم واحدة واحدة
لان كل عصبية منهم اذا احست بغلب عصبية الرئيس لهم اقروا بالاذعان
والاتباع والساقط في نسبهم بالجملة لا تكون له عصبية فيهم بالنسب انما هو ملصق
زيف وغاية التعصب له بالولاء والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة
وان فرضنا انه قد التحم بهم واختلط وتنوسي عهده الاول من الانتصاق
ولبس جلدتهم ودعي بنسبهم فكيف له الرياسة قبل الالتحام او لاحد من سلفه
والرياسة على القوم انما تكون متناقلة في منبت واحد تعين له الغلب بالعصبية
فالاولية التي كانت لهذا الملصق قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعه
ذلك الالتصاق من الرياسة حينئذ فكيف تنوقلت عنه وهو على حال الالتصاق
والرياسة لابد وان تكون موروثة عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبية
وقد يتشوف كثير من الرؤساء على القبائل والعصبيات الى انساب يلهجون
بها اما لخصوصية فضيلة كانت في اهل ذلك النسب من شجاعة او كرم او ذكر
كيف اتفق فينزعون الى ذلك النسب ويتورطون بالدعوى في شعوبه
ولا يعلمون ما يوقعون فيه انفسهم من القدح في رياستهم والطعن في شرفهم وهذا
كثير في الناس لهذا العهد فمن ذلك ما تدعيه زناتة جملة انهم من العرب ومنه
ادعاء اولاد رباب المعروفين بالحجازيين من بني عامر احد شعوب زغبة انهم
من بني سليم ثم من الشريد منهم لحق جدهم ببني عامر نجارا يصنع الحرجان
واختلط بهم والتحم بنسبهم حتى راس عليهم ويسمونه الحجازي ومن ذلك
ادعاء بني عبد القوي بن العباس بن توجين انهم من ولد العباس
ابن عبد المطلب رغبة في هذا النسب الشريف وغلطا باسم العباس بن عطية
ابي عبد القوي ولم يعلم دخول احد من العباسيين الى المغرب لانه كان
منذ اول دولتهم على دعوة العلويين اعدائهم من الادارسة والعبيديين
فكيف يسقط العباسي الى احد من شيعة العلويين وكذلك ما يدعيه
ابنا زيان ملوك بني عبد الواد انهم من ولد القاسم بن ادريس ذهابا الى
ما اشتهر في نسبهم انهم من ولد القاسم فيقولون بلغتهم الزناتية ايت القاسم





اي بنو القاسم ثم يدعون ان القاسم هذا هو القاسم بن ادريس او القاسم بن محمد بن
ادريس ولو كان ذلك صحيحا فغاية القاسم هذا انه فر من مكان سلطانه مستجيرا بهم
فكيف تتم له الرياسة عليهم في باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم القاسم فانه كثير الوجود
في الادارسة فتوهموا ان قاسمهم من ذلك النسب وهم غير محتاجين لذلك فان منالهم
للملك والعزة انما كان بعصبيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية ولا شيء من
الانساب وانما يحمل على هذا المتقربون الى الملوك بمنازعهم ومذاهبهم ويشتهر حتى
يبعد عن الرد ولقد بلغني عن يغمراسن بن زيان مؤثل سلطانهم انه لما قيل له
ذلك انكره وقال بلغته الزناتية ما معناه اما الدنيا والملك فنلناه بسيوفنا لا بهذا
النسب واما نفعه في الاخرة فمردود الى الله واعرض عن التقرب اليه بذلك ومن
هذا الباب ما يدعيه بنو سعد شيوخ بني يزيد من زغبة انهم من ولد ابي بكر الصديق
وبنو سلامة شيوخ بني يدللتن من توجين انهم من سليم وكذا الزواودة شيوخ
رياح انهم من اعقاب البرامكة وكذلك بنو مهنا امراء طي بالمشرق يدعون فيما بلغنا انهم
من اعقابهم وامثال ذلك ورياستهم في قومهم مانعة من ادعاء هذه الانساب كما ذكرناه
بل يتعين ان يكونوا من صريح ذلك النسب واقوى عصبياته فاعتبره واجتنب المغالط
فيه ولا تجعل من هذا الباب الحاق مهدي الموحدين بنسب العلوية فان المهدي
لم يكن من منبت الرياسة في هرغة قومه وانما راس عليهم بعد اشتهاره بالعلم والدين
ودخول قبائل المصامدة في دعوته وكان مع ذلك من اهل المنابت المتوسطة فيهم والله عالم الغيب والشهادة

## فصل في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصبية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه

وذلك ان الشرف والحسب انما هو بالخلال ومعنى البيت ان يعد الرجل
في ابائه اشرافا مذكورين يكون له بولادتهم اياه والانتساب اليهم تجلة في اهل جلدته
لما وقر في نفوسهم من تجلة سلفه وشرفهم بخلالهم والناس في نشوئهم وتناسلهم
معادن قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في
الاسلام اذا فقهوا فمعنى الحسب راجع الى الانساب وقد بينا ان ثمرة الانساب
وفائدتها انما هي العصبية للنعرة والتناصر فحيث تكون العصبية مرهوبة ومخشية
والمنبت فيها زكي محمي تكون فائدة النسب اوضح وثمرتها اقوى وتعدد الاشراف
من الاباء زائد في فائدتها فيكون الحسب والشرف اصيلين في اهل العصبية
لوجود ثمرة النسب وتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية لانه
سرها ولا يكون للمنفردين من اهل الامصار بيت الا بالمجاز وان توهموه فزخرف

من الدعاوي واذا اعتبرت الحسب في اهل الامصار وجدت معناه ان الرجل منهم
يعد سلفا في خلال الخير ومخالطة اهله مع الركون الى العافية ما استطاع وهذا مغاير
لسر العصبية التي هي ثمرة النسب وتعديد الآبا لكنه يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز
لعلاقة ما فيه من تعديد الآبا المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالكه وليس حسبا
بالحقيقة وعلى الاطلاق وقد يكون للبيت شرف اول بالعصبية والخلال ثم ينسلخون
منه لذهابها بالحضارة كما تقدم ويختلطون بالغمار ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب
يعدون به انفسهم من اشراف البيوتات اهل العصايب وليسوا منها في شي لذهاب العصبية
جملة وكثير من اهل الامصار الناشئين في بيوت العرب او العجم لاول عهدهم موسوسون
بذلك واكثر ما رسخ الوسواس في ذلك لبني اسرائيل فانه كان لهم بيت من اعظم بيوت العالم
بالمنبت اولا لما تعدد في سلفهم من الانبيا والرسل من لدن ابراهيم عليه السلام الى موسى
صاحب ملتهم وشريعتهم ثم بالعصبية ثانيا وما اتاهم الله بها من الملك الذي وعدهم
به ثم انسلخوا عن ذلك اجمع وضربت عليهم الذلة وكتب عليهم الجلا في الارض وانفردوا
بالاستعباد والكفر الافا من السنين ثم ما زال هذا الوسواس مصاحبا لهم فتجدهم يقولون هذا
هروني هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب هذا من سبط يهوذا مع ذهاب العصبية
ورسوخ الذل فيهم منذ احقاب متطاولة وكثير من اهل الامصار غيرهم المنقطعين في انسابهم
عن العصبية يذهب الى هذا الهذيان وقد غلط ابو الوليد بن رشد في هذا لما ذكر الحسب
في كتاب الخطابة من تلخيص كتب المعلم الاول فقال والحسب هو ان يكون من قوم قديم نزلهم
بالمدينة ولم يتعرض لما ذكرناه وليت شعري ما الذي ينفعه قدم نزلهم بالمدينة ان لم يكن لهم
عصابة يرهب بها جانبه وتحمل غيرهم على القبول منه فكانه اطلق الحسب على تعديد الآبا
فقط مع ان الخطابة انما هي استمالة من تؤثر استمالته وهم اهل الحل والعقد واما من
لا قدرة له البتة فلا يلتفت اليه ولا يقدر على استمالة احد ولا يستمال هو واهل الامصار من
الحضر بهذه المثابة الا ان ابن رشد ربي في جيل وبلد لم يمارسوا العصبية ولا انسوا احوالها
فبقي في امر البيت والحسب على الامر المشهور من تعديد الآبا على الاطلاق ولم يراجع فيه
حقيقة العصبية وسرها في الخليقة والله بكل شي عليم

## فصل في ان البيت والشرف للموالي واهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم

وذلك انا قدمنا الان ان الشرف بالاصالة والحقيقة انما هو لاهل العصبية
فاذا اصطنع اهل العصبية قوما من غير نسبهم او استرقوا العبدان والموالي والتحموا
بهم كما قلناه ضرب معهم اولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية

وليسوا

ولبسوا جلدتها كانها عصبتهم وحصل لهم من الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها
كما قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وسوا كان مولى رق او مولى اصطناع وحلف
وليس نسب ولادته بنافع له في تلك العصبية اذ هي مباينة لذلك النسب وعصبية
ذلك النسب مفقودة لذهاب سرها عند التحامه بهذا النسب الاخر وفقدانه اهل عصبيتها
فيصير من هولاء ويندرج فيهم فاذا تعددت له الاباء في هذه العصبية كان له بينهم شرف
وبيت على نسبته في ولايتهم واصطناعهم لا يتجاوزه الى شرفهم بل يكون ادون منهم على كل حال
وهذا شان الموالي في الدول والخدمة كلهم فانهم انما يشرفون بالرسوخ في ولاء الدولة
وخدمتها وتعدد الاباء في ولايتها الا ترى الى موالي الاتراك في دولة بني العباس والى بني
برمك من قبلهم وبني نوبخت كيف ادركوا البيت والشرف وبنوا المجد والاصالة بالرسوخ
في ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من اعظم الناس بيتا وشرفا بما
كان له من الانتساب الى ولاء الرشيد وقومه لا بالانتساب في الفرس وكذا موالي كل دولة وخدمها
انما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولايتها والاصالة في اصطناعها ويضمحل نسبه
الاقدم ان كان لغير نسبها ويبقى ملغى لا عبرة به في اصالته ومجده وانما المعتبر
نسبة ولايته واصطناعه اذ فيه سر العصبية التي بها البيت والشرف فكان شرفه
مشتق من شرف مواليه وبنا من بنائهم فلم ينفعه نسب ولادته وانما بنى مجده نسب
الولا في الدولة ولحمة الاصطناع فيها والتربية وقد يكون نسبه الاول في لحمة عصبيته
ودولته فاذا ذهبت وصار ولاؤه واصطناعه في اخرى لم ينفعه الاول لذهاب عصبيته وانتفع
بالثاني لوجودها وهذا حال بني برمك اذ المنقول انهم كانوا اهل بيت في الفرس من
سدنة بيوت النار عندهم ولما صاروا الى ولاء بني العباس لم يكن بالاول اعتبار
وانما كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى ذلك فوهم توسوس
به النفوس الجامحة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه وان اكرمكم عند الله اتقاكم

## فصل في ان نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة ابا

اعلم ان العالم العنصري بما فيه كاين فاسد لا من ذواته ولا من احواله
فالمكونات من المعدن والنبات وجميع الحيوانات الانسان وغيره كاينة فاسدة بالمعاينة
وكذلك ما يعرض لها من الاحوال وخصوصا الانسانية فالعلوم تنشا ثم تدرس وكذلك
الصنايع وامثالها والحسب من العوارض التي تعرض للادميين فهو كاين فاسد لا محالة
وليس يوجد لاحد من اهل الخليقة شرف متصل في ابايه من لدن ادم اليه الا ما كان من ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة به وحياطة على السر فيه واول كل شرف خارجية كما قيل وهي
الخروج عن الرياسة والشرف الى الضعة والابتذال وعدم الحسب ومعناه ان كل شرف
وحسب فعدمه سابق عليه شان كل محدث ثم ان نهايته في اربعة ابا من عقبه وذلك

اصل صح

ان باني المجد عالم بما عاناه في بنائه ومحافظ على الخلال التي هي اسباب كونه وبقائه وابنه من بعده مباشر لابيه فقد سمع منه ذلك واخذه عنه الا انه مقصر في ذلك تقصير السامع بالشي عن المعاين له ثم اذا جاء الثالث كان حظه الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقتهم جملة واضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحتقرها وتوهم ان ذلك البنيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف وانما هو امر وجب لهم منذ اول النشاة بمجرد انتسابهم وليس بعصابة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم انه النسب فقط فيربا بنفسه عن اهل العصبية ويرى الفضل له عليهم وثوقا بما ربي فيه من استتباعهم وجهلا بما اوجب ذلك الاستتباع من الخلال التي منها التواضع لهم والاخذ بمجامع قلوبهم فيحتقرهم بذلك فينتقضون عليه ويحتقرونه ويديلون منه سواه من اهل ذلك المنبت ومن فروعه في غير ذلك العقب للاذعان لعصبيتهم كما قلناه بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله فتنمو فروع هذا وتذوي فروع الاول وينهدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل والامراء واهل العصبية اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا انحطت بيوت نشات بيوت اخرى من ذلك النسب ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز **واشتراط** الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب والا فقد يدثر البيت من دون الاربعة ويتلاشى وينهدم وقد يتصل امرها الى الخامس والسادس الا انه في انحطاط وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان ومباشر له ومقلد وهادم وهو اقل ما يمكن وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثنا قال صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم اشارة الى انه بلغ الغاية في المجد وفي التورية ما معناه انا الله ربك طائق غيور مطالب بذنوب الاباء للبنين على الثوالث وعلى الروابع وهو يدل على ان الاربعة الاعقاب غاية في الانساب والحسب **ومن** كتاب الاغاني في اخبار عويف القوافي ان كسرى قال للنعمان هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال باي شي قال من كانت له ثلاثة اباء متوالية روسا ثم اتصل ذلك بكمال الرابع فالبيت من قبيلته وطلب ذلك فلم يجده الا في آل حذيفة بن بدر الفزاري بيت قيس وآل حاجب بن زرارة بيت تميم وآل ذي الجدين بيت شيبان وآل الاشعث بن قيس من كندة وجمع هولاء الرهط ومن تبعهم من عشائرهم واقعد لهم الحكام العدول فقام حذيفة بن بدر ثم الاشعث بن قيس لقرابته من النعمان ثم بسطام بن قيس من شيبان ثم حاجب بن زرارة ثم قيس بن عاصم وخطبوا ونثروا فقال كسرى كلهم سيد يصلح لموضعه وكانت هذه البيوتات هي المذكورة بالشرف في العرب بعد بني هاشم ومعهم بيت بني الديان من بني الحرث ابن كعب بيت اليمن وهذا كله يدل على ان الاربعة اباء نهاية في الحسب والله اعلم

وهو صح

فصل



## فصل في ان الامم الوحشية اقدر على التغلب من سواها

اعلم انه لما كانت البداوة سببا في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة لاجرم كان هذا الجيل الوحشي اشد شجاعة من الجيل الاخر فهم اقدر على التغلب وانتزاع ما في ايدي سواهم من الامم بل الجيل الواحد تختلف احواله في ذلك باختلاف الاعصار فكلما نزلوا الارياف وتفنقوا النعيم والفوا عوائد الخصب في المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبداوتهم واعتبر ذلك في الحيوانات العجم بدواجن الظباء والبقر الوحشية والحمر اذا زال توحشها بمخالطة الادميين واخصب عيشها كيف تختلف حالها في الانتهاض والشدة حتى في مشيتها وحسن اديمها وكذلك الادمي المتوحش اذا انس والف وسببه ان تكون السجايا والطبائع انما هو عن المالوفات والعوائد واذا كان الغلب للامم انما يكون بالاقدام والبسالة فمن كان من هذه الاجيال اعرق في البداوة واكثر توحشا كان اقرب الى التغلب على سواه اذا تقاربا في العدد وتكافاء في القوة والعصابة وانظر في ذلك شان مضر مع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة المتوطنين ارياف العراق ونعيمه لما بقي مضر في بداوتهم وتقدمهم الاخرون الى خصب العيش وغضارة النعيم كيف ارهفت البداوة حدهم في التغلب فغلبوهم على ما في ايديهم وانتزعوه منهم وهكذا حال بني طي وبني عامر بن صعصعة وبني سليم بن منصور من بعدهم لما تاخروا في باديتهم عن ساير قبايل مضر واليمن ولم يتلبسوا بشي من دنياهم كيف امسكت حال البداوة عليهم قوة عصبيتهم ولم يخلقها مذاهب الترف حتى صاروا اغلب على الامر منهم وكذا كل حي من العرب يلي نعيما وعيشا خصيبا دون الحي الاخر فان الحي المتبدي يكون اغلب له واقدر عليه اذا تكافاء في القوة والعدد سنة الله في خلقه

## فصل في ان الغاية التي تجري اليها العصبية هي الملك

وذلك لانا قدمنا ان العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل امر يجتمع عليه وقدمنا ان الادميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون في كل اجتماع الى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بد ان يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية والا لم تتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو امر زايد على الرياسة لان الرياسة انما هي سودد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في احكامه واما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر وصاحب العصبية اذا بلغ الى رتبة السودد والاتباع ووجد

السبيل الى التغلب والقهر لا يترك لانه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصبية التي يكون بها متبوعا فالتغلب الملكي غاية للعصبية كما رايت ثم ان القبيل الواحد وان كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة فلا بد من عصبية اقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كانها عصبية واحدة كبرى والا وقع الافتراق المفضي الى الاختلاف والتنازع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ثم اذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلب على اهل عصبية اخرى بعيدة عنها فان كافاتها او مانعتها كانوا اقتالا وانظارا ولكل واحدة منها التغلب على حوزتها وقومها شان القبايل والامم المفترقة في العالم وان غلبتها واستتبعتها التحمت بها ايضا وزادتها قوة في التغلب الى قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم اعلى من الغاية الاولى وابعد وهكذا دايما حتى تكافي بقوتها قوة الدولة فان ادركت الدولة في هرمها ولم يكن لها ممانع من اوليا الدولة اهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الامر من يدها وصار الملك اجمع لها وان انتهت الى قوتها ولم يقارن ذلك هرم الدولة انما قارن حاجتها الى الاستظهار باهل العصبيات انتظمتها الدولة في اوليايها تستظهر بها على ما يعن من مقاصدها وذلك ملك اخر دون الملك المستبد وهو كما وقع للترك في دولة بني العباس ولصنهاجة وزناتة مع كتامة ولبني حمدان مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية فقد ظهر ان الملك هو غاية العصبية وانها اذا بلغت الى غايتها حصل للقبيل الملك اما بالاستبداد او بالمظاهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك وان عاقها عن بلوغ الغاية عوايق كما نبينه وقفت في مقامها الى ان يقضي الله بامره

## فصل في ان من عوايق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم

وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب استولت على النعمة بمقداره وشاركت اهل النعم والخصب في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصة بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع احد في انتزاع امرها ولا مشاركتها فيه اذعن ذلك القبيل لولايتها والقنوع بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تسم امالهم الى شي من منازع الملك ولا اسبابه انما همتهم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة والاخذ بمذاهب الملك في المباني والملابس والاستكثار

من ذلك والتانق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو اليه من توابع ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة ويتنعمون فيما اتاهم الله من البسطة وتنشا بنوهم واعقابهم في مثل ذلك من الترفع عن خدمة انفسهم وولاية حاجاتهم ويستنكفون عن ساير الامور الضرورية في العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتنقص عصبيتهم وبسالتهم في الاجيال بعدهم بتعاقبها الى ان تنقرض العصبية فياذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون اشرافهم على الفنا فضلا عن الملك فان عوارض الترف والغرق في النعيم كاسر من سورة العصبية التي بها التغلب واذا انقرضت العصبية قصر القبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة والتهمتهم الامم سواهم فقد تبين لك ان الترف من عوايق الملك والله يوتي ملكه من يشا

## فصل في ان من عوايق الملك حصول المذلة للقبيل والانقياد الى سواهم

وسبب ذلك ان المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية وشدتها فان انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فما رئموا للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فاولى ان يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك في بني اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك الشام واخبرهم بان الله قد كتب لهم ملكها كيف عجزوا عن ذلك وقالوا ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها اي يخرجهم الله منها بضرب من قدرته غير عصبيتنا وتكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم عليهم لجوا وارتكبوا العصيان وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا وما ذلك الا لما انسوا من انفسهم العجز عن المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الاية وما يوثر في تفسيرها وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد وما رئموا من الذل للقبط احقابا حتى ذهبت العصبية منهم جملة مع انهم لم يومنوا حق الايمان بما اخبرهم به موسى من ان الشام لهم وان العمالقة الذين كانوا باريحا فريستهم بحكم من الله قدره لهم فاقصروا عن ذلك وعجزوا تعويلا على ما علموا من انفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما اخبرهم به نبيهم من ذلك وما امرهم به فعاقبهم الله بالتيه وهو انهم تاهوا في قفر من الارض ما بين الشام ومصر اربعين سنة لم ياووا فيها العمران ولا نزلوا مصرا كما قصه القران لغلظة العمالقة بالشام والقبط بمصر عليهم وعجزهم عن مقاومتهم كما زعموه ويظهر من مساق الاية ومفهومها ان حكمة ذلك التيه مقصودة وهي فنا الجيل الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر والقوة وتخلقوا به وافسدوا من عصبيتهم حتى نشا في ذلك التيه جيل اخر عزيز لا يعرف الاحكام

والقهر والايسام بالمذلة فنشات لهم بذلك عصبية اخرى اقتدروا بها على المطالبة
والتغلب ويظهر لك من ذلك ان الاربعين سنة اقل ما ياتي فيها فناء جيل
ونشات جيل آخر سبحان الحكيم العليم وفي هذا اوضح دليل على شان العصبية وانها التي
تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة وان من فقدها عجز عن جميع ذلك

## ويلحق بهذا الفصل ما يوجب المذلة للقبيل

شان المغارم والضرائب فان القبيل الغارمين ما اعطوا اليد لذلك حتى رضوا
بالمذلة لان في المغارم والضرائب ضيما ومذلة لا تحتملها النفوس الابية الا اذا
استهونته عن القتل والتلف وان عصبيتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية
ومن كانت عصبيته لا تدفع عنه الضيم فكيف له بالمقاومة او المطالبة وقد حصل
له الانقياد للذل والمذلة عائقة كما قدمناه ومنه في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم
في شان الحرث لما راى سكة المحراث في بعض دور الانصار فقال ما دخلت هذه
دار قوم الا دخلهم الذل فهو دليل جلي صريح على ان المغرم موجب للذلة هذا
الى ما يصحب ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر ففي الصحيح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ من المغرم فسئل عن ذلك فقال ان
الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فاخلف فاذا رايت القبيل بالمغارم في
ربقة من الذل فلا تطمعن لها بملك آخر الدهر ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم
ان زناتة بالمغرب كانوا شاوية يودون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك
وهو غلط فاحش كما رايت اذ لو وقع ذلك لما استتبت لهم ملك ولا تمت
لهم دولة وانظر فيما قاله شهربراز ملك الباب لعبد الرحمن بن ربيعة لما اطل
عليه وسال شهربراز امانه على ان يكون له فقال انا اليوم منكم يدي في ايديكم وصعري
معكم فمرحبا بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون
ولا تذلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم فاعتبر هذا فيما قلناه فانه كاف

## فصل في ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس

لما كان الملك طبيعيا للانسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه وكان الانسان اقرب
الى خلال الخير من خلال الشر باصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لان الشر انما
جاءه من قبل القوى الحيوانية التي فيه واما من حيث هو انسان فهو الى الخير وخلاله
اقرب والملك والسياسة انما كان له من حيث هو انسان لانها خاصة للانسان
لا للحيوان فاذن خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك اذ الخير هو المناسب
للسياسة وقد ذكرنا ان المجد له اصل ينبني عليه وتتحقق به حقيقته وهو العصبية

والعشير

من التاني فصيح

وفرع يتمم وجوده ويكمله وهو الخلال واذا كان الملك غاية للعصبية فهو غاية لفروعها
ومتمماتها وهي الخلال لان وجوده دون متمماته كوجود شخص مقطوع الاعضاء
او ظهوره عريانا بين الناس واذا كان وجود العصبية فقط من غير انتحال الخلال
الحميدة نقصا في اهل البيوت والاحساب فما ظنك باهل الملك الذي هو غاية
لكل مجد ونهاية لكل حسب وايضا فالسياسة والملك هي كفالة للخلق وخلافة لله
في العباد في الاحكام واحكام الله في خلقه وعباده انما هي بالخير ومراعاة المصالح
كما تشهد به الشرائع واحكام البشر انما هي من الجهل والشيطان بخلاف قدرة الله سبحانه
وقدرته فانه فاعل للخير والشر معا ومقدرهما اذ لا فاعل سواه فمن حصلت له
العصبية الكفيلة بالقدرة واونست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ احكام الله
في خلقه فقد تهيا للخلافة في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية لذلك
وهذا البرهان اوثق من الاول واصح مبنى فقد تبين ان خلال الخير شاهدة بوجود
الملك لمن وجدت له العصبية فاذا نظرنا في اهل العصبية ومن حصل لهم الغلب
على كثير من النواحي والامم فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو
عن الزلات والاحتمال من غير القادر والقرى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدم
والصبر على المكاره والوفاء بالعهد وبذل الاموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة
واجلال العلماء الحاملين لها والوقوف عند ما يحددونه لهم من فعل او ترك وحسن
الظن بهم واعتقاد اهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الاكابر
والمشايخ وتوقيرهم واجلالهم والانقياد للحق مع الداعي اليه وانصاف من
المستضعفين من انفسهم والتبذل في احوالهم والتواضع للمسكين واستماع
شكوى المستغيثين والتدين بالشرائع والعبادات والقيام عليها وعلى
اسبابها والتجافي عن الغدر والمكر والخديعة ونقض العهد وامثال ذلك
علمنا ان هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها ان يكونوا ساسة
لمن تحت ايديهم او على العموم وانه خير ساقه الله اليهم مناسب لعصبيتهم
وغلبهم وليس ذلك سدى فيهم ولا وجد عبثا منهم والملك انسب الخيرات
والمراتب لعصبيتهم فعلمنا بذلك ان الله تاذن لهم بالملك وساقه اليهم وبالعكس
من ذلك اذا تاذن الله بانقراض الملك من امة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال
الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاص
الى ان يخرج الملك من بين ايديهم ويتبدل به سواهم ليكون نعيا عليهم في سلب
ما كان الله قد آتاهم من الملك وجعل في ايديهم من الخير واذا اردنا ان نهلك
قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واستقر
ذلك وتتبعه في الامم السالفة تجد كثيرا مما قلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار

والعشير

واعلم ان من خلال الكمال الذي يتنافس فيها القبايل اولوا العصبية
وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلما والصالحين والاشراف واهل الحسب واصناف
التجار والغربا وانزال الناس منازلهم وذلك ان اكرام القبايل واهل العصبيات
والعشاير لمن يناهضهم في الشرف ويجاذبهم حبل العشير والعصبية ويشاركهم في
اتساع الجاه امر طبيعي يحمل عليه في الاكثر الرغبة في الجاه او المخافة من قوم المكرم او
التماس مثلها منه واما امثال هولا ممن ليس له عصبية تتقى ولا جاه يرتجى
فيندفع الشك في شان كرامتهم ويتمحض القصد فيهم انه للمجد وانتحال الكمال في
الخلال والاقبال على السياسة بالكلية لان اكرام اقتاله وامثاله ضروري في السياسة
الخاصة بين قبيله ونظرايه واكرام الطارين من اهل الفضايل والخصوصيات
كمال في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلما للحاجة اليهم في اقامة مراسم
الشريعة والتجار للترغيب حتى تعم المنفعة بهم والغربا من مكارم الاخلاق ومن الترغيب
ببعض الوجوه وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيعلم
بوجود ذلك من اهل عصبية انتماؤهم للسياسة العامة وهي الملك وان
الله قد تاذن بوجودها فيهم لوجود علاماتها ولهذا فان اول ما يذهب
من القبيل اهل الملك اذا تاذن الله بسلب ملكهم وسلطانهم اكرام هذا الصنف
من الخلق فاذا رايته قد ذهب من امة من الامم فاعلم ان الفضايل قد اخذت
في الذهاب عنهم وارتقب زوال الملك منهم واذا اراد الله بقوم سوا فلا مرد له

## فصل في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع

وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد الطوايف لقدرتهم على
محاربة الامم سواهم ولانهم يتنزلون من الاهلين منزلة المفترس من الحيوانات
العجم وهولا مثل العرب وزناتة ومن في معناهم من الاكراد والتركمان واهل
اللثام من صنهاجة وايضا فهولا المتوحشون ليس لهم وطن يرتافون منه
والبلد يجنحون اليه فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على السوا فلهذا لا يقتصرون على
ملكة قطرهم وما جاورهم من البلاد ولا يقفون عند حدود افقهم بل يطفرون
الى الاقاليم البعيدة ويتغلبون على الامم النائية وانظر ما يحكى في ذلك عن
عمر رضي الله عنه لما بويع وقام يحرض الناس على العراق فقال ان الحجاز ليس
لكم بدار الا على النجعة ولا يقوى عليه اهله الا بذلك اين القرا المهاجرون عن موعد
الله سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان يورثكموها فقال ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون واعتبر ذلك ايضا بحال العرب السالفة من قبل
مثل التبابعة وحمير كيف كانوا يخطون فيما نقل من اليمن الى المغرب مرة والى الهند



والعراق اخرى ولم يكن ذلك لغير العرب من الامم وكذا حال الملثمين بالمغرب لما نزعوا
الى الملك طفروا من الاقليم الاول ومجالاتهم منه في جوار السودان الى الاقليم الرابع
والخامس في ممالك الاندلس من غير واسطة وهذا شان هذه الامم الوحشية
فلذلك تكون دولتهم اوسع نطاقا وابعد من مراكزها نهاية والله مقدر الليل والنهار

## فصل في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من عوده الى شعب اخر منها ما دامت لهم العصبية

والسبب في ذلك ان الملك انما حصل لهم بعد سورة الغلب والاذعان لهم
من ساير الامم سواهم فيتعين منهم المباشرون للامر الحاملون لسرير الملك ولا يكون
ذلك لجميعهم لما هم عليه من الكثرة التي يضيق عنها نطاق المزاحمة وللغيرة التي
تجدع انوف كثير من المتطاولين للرتبة فاذا تعين اوليك القايمون بالدولة
انغمسوا في النعيم وغرقوا في بحر الترف والخصب واستعبدوا اخوانهم من
ذلك الجيل وانفقوهم في وجوه الدولة ومذاهبها وبقي الذين بعدوا عن الامر
وكبحوا عن المشاركة في ظل من عز الدولة التي شاركوها بنسبهم وبمنجاة من
الهرم لبعدهم عن الترف واسبابه فاذا استولت على الاولين الايام واباد
خضراءهم الهرم وطبختهم الدولة واكل الدهر عليهم وشرب بما ارهف النعيم
من حدهم واشتفت غريزة الترف من ماييهم وبلغوا غايتهم من طبيعة
التمدن الانساني والتغلب السياسي

كدود القز ينسج ثم يفنى ... بمركز نسجه في الانعكاس

كانت حينيذ عصبية الاخرين موفورة وسورة غلبهم من الكاسر محفوظة
وشارتهم في الغلب معلومة فتسمو امالهم الى الملك الذي كانوا ممنوعين
منه بالقوة الغالبة من جنس عصبيتهم وترتفع المنازعة لما عرف من غلبهم
فيستولون على الامر ويصير اليهم وكذا يتفق فيهم مع من بقي ايضا منتبذا
عنه من عشاير امتهم فلا يزال الملك ملجا في الامة الى ان تنكسر سورة
العصبية منها او تفنى ساير عشايرها سنة الله في الحياة الدنيا والاخرة
عند ربك للمتقين واعتبر هذا بما وقع في الامم لما انقرض ملك عاد قام
من بعدهم اخوانهم من ثمود ومن بعدهم اخوانهم العمالقة ومن بعدهم اخوانهم من حمير
ومن بعدهم اخوانهم التبابعة من حمير ايضا ومن بعدهم الاذواء كذلك ثم جاءت
الدولة لمضر وكذا الفرس لما انقرض امر الكينية ملك من بعدهم الساسانية
حتى تاذن الله بانقراضهم اجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقرض امرهم وانتقل
الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب لما انقرض امر مغراوة وكتامة الملوك

الاول منهم رجع الى صنهاجة ثم الملثمين من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقي من شعوب
زناتة وهكذا سنة الله في عباده وخلقه واصل هذا انما يكون بالعصبية كلها
وهي متفاوتة في الاجيال والملك تخلقه الترف وتذهبه كما سنذكره بعد فاذا
انقرضت دولة فانما يتناول الامر منهم من له عصبية مشاركة لعصبيتهم التي
عرف لها التسليم والانقياد واونس منها الغلب لجميع العصبيات وذلك انما يوجد
في النسب القريب منهم لان تفاوت العصبية بحسب ما قرب من ذلك النسب
التي هي فيه او بعد حتى اذا وقع في العالم تبدل كبير من تحويل ملة او ذهاب عمران او
ما شاء الله من قدرته فحينئذ تخرج عن ذلك الجيل الى الجيل الذي ياذن الله بقيامه بذلك
التبديل كما وقع لمضر حين غلبوا على الامم والدول واخذوا الامر من ايدي اهل
العالم بعد ان كانوا مكبوحين عنه احقابا

## فصل في ان المغلوب مولع ابدا بالاقتدا بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وساير احواله وعوايده

والسبب في ذلك ان النفس ابدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه اما لنظره
بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه او لما تغالط به من ان انقيادها ليس
لغلب طبيعي انما هو لكمال الغالب فاذا غالطت بذلك واتصل لها حصل
اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتدا او لما
تراه والله اعلم من ان غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة باس وانما هو بما
انتحلته من العوايد والمذاهب تغالط ايضا بذلك عن الغلب وهذا راجع
الى الاول فلذلك ترى المغلوب يتشبه ابدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه
في اتخاذها واشكالها بل وفي ساير احواله وانظر ذلك في الابناء مع ابايهم كيف
تجدهم متشبهين بهم دايما وما ذاك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر
من الاقطار كيف يغلب على اهله زي الحامية وجند السلطان في الاكثر لانهم
الغالبون لهم حتى انه اذا كانت امة تجاور اخرى ولها الغلب عليها فيسري
اليهم من هذا التشبه والاقتدا حظ كبير كما هو بالاندلس لهذا العهد مع امم
الجلالقة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوايدهم
واحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر
من ذلك الناظر بعين الحكمة انه علامة الاستيلا والامر لله وتامل في هذا سر
قولهم العامة على دين الملك فانه من بابه اذ الملك غالب لمن تحت يده والرعية
مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اقتدا الابنا باباءهم والمتعلمين بمعلميهم والله العليم الحكيم

فصل

---

## فصل في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملكة غيرها اسرع اليها الفنا

والسبب في ذلك والله اعلم ما يحصل في النفوس من التكاسل اذا ملك امرها عليها
وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الامل ويضعف التناسل
والاعتمار انما هو عن جدة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية
فاذا ذهب الامل بالتكاسل وذهب ما يدعو اليه من الاحوال وكانت العصبية ذاهبة
بالغلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعيهم وعجزوا عن المدافعة
عن انفسهم بما خضد الغلب من شوكتهم فاصبحوا مغلبين لكل متغلب طعمة
لكل اكل وسوا كانوا حصلوا على غايتهم من الملك او لم يحصلوا وفيه والله اعلم سر اخر
وهو ان الانسان رييس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له والرييس اذا
غلب على رياسته وكبح عن غاية عزه تكاسل حتى عن شبع بطنه وري كبده وهذا
موجود في اخلاق الاناسي ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وانها لا تسافد اذا
كانت في ملكة الادميين فلا يزال هذا القبيل المملوك امره عليه في تناقص واضمحلال
الى ان ياخذهم الفنا والبقا لله وحده واعتبر ذلك في امة الفرس كيف كانت قد
ملات العالم كثرة ولما فنيت حاميتهم في ايام العرب بقي منهم كثير واكثر من الكثير
يقال ان سعدا احصى من ورا المداين فكانوا ماية الف وسبعة وثلاثين الفا منهم سبعة وثلاثون الفا
رب بيت ولما تحصلوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاوهم الا قليلا ودثروا
كان لم يكونوا ولا تحسبن ان ذلك لظلم نزل بهم او عدوان شملهم فملكة الاسلام في
العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على امره وصار الة لغيره
ولهذا انما يذعن للرق في الغالب امم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من عرض الحيوانات
العجم كما قلناه او من يرجو بانتظامه في ربقة الرق حصول رتبة او افادة مال او عز
كما يقع للترك بالمشرق والعلوجين الجلالقة والافرنجة بالاندلس فان العادة جارية
باستخلاص الدولة لهم فلا ياتفون من الرق لما يوملونه من الجاه والرتبة باصطفا الدولة والله اعلم

## فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسايط

وذلك انهم بطبيعة التوحش التي فيهم اهل انتهاب وعيث ينتهبون ما قدروا
عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون الى منتجعهم بالقفر ولا يذهبون الى المزاحفة
والمحاربة الا اذا دفعوا بذلك عن انفسهم فكل معقل او مستصعب عليهم
فهم تاركوه الى ما سهل عنه ولا يعرضون له والقبايل الممتنعة عليهم باوعار الجبال

بمجامع عيشهم وفسادهم لانهم لا يتسمون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر واما البسائط فمتى اقتدروا عليها بفقدان الحامية وضعف الدولة فهي نهب لهم وطعمة لآكلهم يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم الى ان يصبح اهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى ان ينقرض عمرانهم والله قادر على خلقه

## فصل في ان العرب اذا تغلبوا على الاوطان اسرع اليها الخراب

والسبب في ذلك انهم امة وحشية باستحكام عوائد التوحش واسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبلة وكان عندهم ملذوذا لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالحجر مثلا انما حاجتهم اليه لنصبه اثافي للقدور فينقلونه من المباني ويخربونها عليه ويعدونه لذلك والخشب ايضا انما حاجتهم اليه ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليها لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو اصل العمران هذا في حالهم على العموم وايضا فطبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس وان رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في اخذ اموال الناس حد ينتهون اليه بل كلما امتدت اعينهم الى مال او متاع او ماعون انتهبوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك بطلت السياسة في حفظ اموال الناس وخرب العمران وايضا فانهم يكلفون على اهل الاعمال من الصنائع والحرف اعمالهم لا يرون لها قيمة ولا قسطا من الاجر والثمن والاعمال كما سنذكره هي اصل المكاسب وحقيقتها واذا فسدت الاعمال وصارت مجانا ضعفت الآمال في المكاسب وانقبضت الايدي عن العمل وابذعر الساكن وفسد العمران وايضا فانهم ليست لهم عناية بالاحكام وزجر الناس عن المفاسد ودفاع بعضهم عن بعض انما همهم ما ياخذونه من اموال الناس نهبا او مغرما فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه اعرضوا عما بعده من تسديد احوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم عن اغراض المفاسد وربما فرضوا العقوبات في الاموال حرصا على تحصيل الفائدة والجباية والاستكثار منها كما هو شانهم وذلك ليس بمغن في دفع المفاسد وزجر المتعرض لها بل يكون ذلك زائدا فيها لاستسهال الغرم في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كانها فوضى دون حكم والفوضى مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من ان وجود الملك خاصة طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم الا بها وتقدم ذلك



اول الفصل وايضا فهم متنافسون في الرياسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغيره ولو كان اباه او اخاه او كبير عشيرته الا في الاقل وعلى كره من اجل الحياء فيتعدد الحكام منهم والامراء وتختلف الايدي على الرعية في الجباية والاحكام فيفسد العمران وينتقض قال الاعرابي الوافد على عبد الملك لما ساله عن الحجاج واراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال تركته يظلم وحده وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخليقة كيف تقوض عمرانه واقفر ساكنه وبدلت الارض فيه غير الارض فاليمن قرارهم خراب الا قليلا من الامصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس اجمع والشام لهذا العهد كذلك وافريقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ عهد المائة الخامسة وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بسائطه خرابا كلها بعد ان كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدر والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

## فصل في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين على الجملة

والسبب في ذلك انهم لخلق التوحش الذي فيهم اصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة فقلما تجتمع اهواؤهم فاذا كان الدين بالنبوات او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والانفة الوازع عن التحاسد والتنافس فاذا كان فيهم النبي او الولي الذي يبعثهم على القيام بامر الله ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق وياخذهم بمحمودها ويؤلف كلمتهم لاظهار الحق تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك وهم مع ذلك اسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المتهيء لقبول الخير ببقائه على الفطرة الاولى وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات فان كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

## فصل في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك

والسبب في ذلك انهم اكثر بداوة من ساير الامم وابعد مجالا في القفر واغنى عن حاجات التلول وحبوبها لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم

فصعب انقيادهم بعضهم لبعض لايلافهم ذلك وللتوحش ورئيسهم محتاج اليهم غالبا
للعصبية التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان ملكتهم وترك مراغمتهم لئلا
يختل عليه شان عصبيته فيكون فيها هلاكه وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضي
ان يكون السائس وازعا بالقهر والا لم تستقم سياسته وايضا فمن طبيعتهم كما
قدمناه اخذ ما في ايدي الناس خاصة والتجافي عما سوى ذلك من الاحكام بينهم
ودفاع بعضهم عن بعض فاذا ملكوا امة من الامم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع باخذ
ما في ايديهم وتركوا ما سوى ذلك من الاحكام بينهم وربما جعلوا العقوبات على
المفاسد في الاموال حرصا على تكثير الجبايات وتحصيل الفوائد فلا يكون ذلك وازعا
وربما يكون باعثا بحسب الاغراض الباعثة على المفاسد واستهانة ما يعطي من ماله
في جانب غرضه فتنمو المفاسد بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الامة كانها فوضى
مستطيلة ايدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سريعا شان الفوضى كما
قدمناه فبعدت طباع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون اليها بعد
انقلاب طباعهم وتبدلها بصبغة دينية تمحو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من انفسهم
وتحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدولتهم في الملة لما
شيد لهم الدين امر السياسة بالشريعة واحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهرا وباطنا
وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوي سلطانهم كان رستم اذا راى المسلمين
يجتمعون للصلاة يقول اكل عمر كبدي يعلم الكلاب الآداب ثم انهم بعد ذلك
انقطعت منهم عن الدولة اجيال نبذوا الدين فنسوا السياسة ورجعوا الى
قفرهم وجهلوا شان عصبيتهم مع اهل الدولة ببعدهم عن الانقياد واعطاء النصفة
فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا انهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم ولما
ذهب امر الخلافة وامحى رسمها انقطع الامر جملة من ايديهم وغلب عليهم العجم دونهم واقاموا
بادية في قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسته بل قد يجهل الكثير منهم انهم كان لهم
ملك في القديم وما كان لاحد من الامم في الخليقة ما كان لاجيالهم من الملك ودول عاد وثمود
والعمالقة وحمير والتبابعة شاهدة بذلك ثم دولة مضر في الاسلام بني امية وبني العباس
لكن بعد عهدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا الى اصلهم من البداوة وقد يحصل لهم
في بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون ماله وغايته
الا تخريب ما يستولون عليه من العمران كما قدمناه والله خير الوارثين

## فصل في ان البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار

قد تقدم لنا ان عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والامصار لان الامور الضرورية
في العمران ليس كلها موجودا لاهل البدو وانما يوجد لديهم في مواطنهم امور الفلح وموادها

معدومة

معدومة ومعظمها الصنائع فلا يوجد لديهم بالكلية من نجار وخياط وحداد وامثال ذلك
مما يقيم لهم ضروريات معاشهم في الفلح وغيره وكذا الدراهم والدنانير مفقودة لديهم
وانما بايديهم اعواضها من مغل الزراعة واعيان الحيوان او فضلاته البانا واوبارا
واشعارا واهابا مما يحتاج اليه اهل الامصار فيعوضونهم عنه بالدنانير والدراهم
الا ان حاجتهم الى الامصار في الضروري وحاجة اهل الامصار اليهم في الحاجي والكمالي
فهم محتاجون الى الامصار في الضروري بطبيعة وجودهم فما داموا في البادية
ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء على الامصار فهم محتاجون الى اهلها ويتصرفون
في مصالحهم وطاعتهم متى دعوهم الى ذلك وطالبوهم به فان كان في المصر ملك
كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وان لم يكن في المصر ملك فلا بد فيه من
رئاسة ونوع استبداد من بعض اهله على الباقين والا انتقض عمرانه وذلك
الرئيس يحملهم على طاعته والسعي في مصالحه اما طوعا ببذل المال لهم ثم يبيح لهم ما يحتاجون
اليه من الضروريات في مصره فيستقيم عمرانهم واما كرها ان تمت قدرته على ذلك
ولو بالتفريق بينهم حتى يحصل له فريق منهم يغالب به الباقين فيضطر الآخرون الى
طاعته بما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم وربما لا يسعهم مفارقة تلك النواحي
الى نواح اخرى لان كل النواحي والجهات معمور بالبدو الذين غلبوا عليها ومنعوها
من غيرهم فلا يجد هؤلاء ملجا الا طاعة المصر واهله فهم بالضرورة مغلوبون لاهل
الامصار والله القاهر فوق عباده

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

# الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول والملك

والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات

## فصل في ان الملك والدول العامة انما تحصل بالقبيل والعصبية

والشوكة

وذلك انه قد قررنا في الفصل الاول ان الممانعة او المغالبة انما تكون بالعصبية لما فيها من النعرة والتذامر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية فيقع فيه التنافس غالبا وقل ان يسلمه احد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة وتفضي الى الحرب والقتال والمغالبة وشيء منها لا يقع الا بالعصبية كما ذكرناه ايضا وهذا الامر بعيد عن افهام الجمهور بالجملة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تمهيد الدول منذ اولها وطال امد مرباهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلا بعد جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة انما يدركون اصحاب الدولة قد استحكمت صبغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء عن العصبية في تمهيد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من اوله وما لقي اولهم من المتاعب دونه وخصوصا اهل الاندلس في نسيان هذه العصبية واثرها لطول الامد واستغنائهم في الغالب عن قوة العصبية بما تلاشى وطنهم وخلا من العصائب والله قادر على ما يشاء

## فصل في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغني عن العصبية

والسبب في ذلك ان الدول العامة في اولها يصعب على النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب للغرابة وان الناس لم يألفوا ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت الرياسة في اهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحدا بعد آخر في اعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسيت النفوس شأن الاولية واستحكمت لاهل النصاب صبغة الرياسة ورسخ في العقائد دين الانقياد [ذلك] لهم والتسليم وقاتل الناس معهم على امرهم قتالهم على العقائد الايمانية فلم يحتاجوا حينئذ في امرهم الى كبير عصابة بل كان طاعتها كتاب من الله لا يبدل ولا يعلم خلافه ولامر ما يوضع الكلام في الامامة آخر الكلام في العقائد الاسلامية الايمانية كانه من جملة عقودها ويكون استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة اما بالموالي والمصطنعين الذين نشأوا في ظل العصبية وغيرها

واما

واما بالعصائب الخارجين عن نسبها الداخلين في ولايتها ومثل هذا وقع لبني العباس فان عصبية العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك انما كان بالموالي من العجم والترك والديلم والسلجوقية وغيرهم ثم تغلب العجم والاولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة فلم تكن تعدو اعمال بغداد حتى زحف اليها الديلم وملكوها وصار الخلائف في حكمهم ثم انقرض امرهم وملك السلجوقية من بعدهم فصاروا في حكمهم ثم انقرض امرهم وزحف آخر التتر فقتلوا الخليفة ومحوا رسم الدولة وكذا صنهاجة بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ المائة الخامسة او ما قبلها واستمرت لهم الدولة متقلصة الظل بالمهدية وبجاية والقلعة وسائر ثغور افريقية وربما انتزى بتلك الثغور من نازعهم الملك واعتصم فيها والسلطان والملك مع ذلك مسلم لهم حتى تأذن الله بانقراض الدولة وجاء الموحدون بقوة قوية من العصبية في المصامدة فمحوا آثارهم وكذا دولة بني امية بالاندلس لما فسدت عصبيتها من العرب استولى ملوك الطوائف على امرها واقتسموا خطتها وتنافسوا بينهم وتوزعوا ممالك الدولة وانتزى كل واحد منهم على ما كان في ولايته وشمخ بانفه وبلغهم شأن العجم مع الدولة العباسية فتلقبوا بألقاب الملك ولبسوا شارته وأمنوا ممن ينقض ذلك عليهم او يغيره لان الاندلس ليس بدار عصائب ولا قبائل كما سنذكره واستمر لهم ذلك كما قال ابن شرف

مما يزهدني في ارض اندلس ... اسماء معتصم فيها ومعتضد

القاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد

فاستظهروا على امرهم بالموالي والمصطنعين والطراء على الاندلس من اهل العدوة من قبائل البربر وزناتة وغيرهم اقتداء بالدولة في آخر امرها في الاستظهار بهم حين ضعفت عصبية العرب واستبد ابن ابي عامر على الدولة فكان لهم دول عظيمة استبد كل واحد منها بجانب من الاندلس وحظ كبير من الملك على نسبة الدولة التي اقتسموها ولم يزالوا في سلطانهم ذلك حتى اجاز اليهم البحر المرابطون اهل العصبية القوية من لمتونة فاستبدلوا بهم وازالوهم عن مراكزهم ومحوا آثارهم ولم يقتدروا على مدافعتهم لفقدان العصبية لديهم فبهذه العصبية يكون تمهيد الدولة وحمايتها من اولها وقد ظن الطرطوشي ان حامية الدول باطلاق هم الجند اهل العطاء المفروض مع الاهلة ذكر ذلك في كتابه الذي سماه سراج الملوك وكلامه لا يتناول تأسيس الدول العامة في اولها وانما هو مخصوص بالدول الاخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك في النصاب واستحكام الصبغة لاهله فالرجل انما ادرك الدولة عند هرمها وخلق جدتها ورجوعها الى الاستظهار بالموالي والصنائع ثم الى المستخدمين من ورائهم بالاجر على المدافعة فانه انما ادرك دول الطوائف وذلك

عند اختلال دولة بني امية وانقراض عصبيتها من العرب واستبداد كل امير بقطره
وكان في ايالة المستعين بن هود المظفر اهل سرقسطة ولم يكن بقي لهم من امر وابنه صح
العصبية شي لاستيلا الترف على العرب منذ ثلثماية من السنين وهلاكهم ولم ير الا
سلطانا مستبدا بالملك عن عشايره قد استحكمت له صبغة الاستبداد منذ عهد
الدولة وبقية العصبية فهو لذلك لا ينازع فيه ويستعين على امره بالاجرا من المرتزقة
فاطلق الطرطوشي القول في ذلك ولم يتفطن لكيفية الامر منذ اول الدولة وانه لا يتم الا
لاهل العصبية فتفطن انت له وافهم سر الله فيه والله يوتي ملكه من يشا

## فصل في انه قد تحدث لبعض اهل النصاب الملكي دولة يستغني عن العصبية

وذلك انه اذا كان لعصبيته غلب كبير على الامم والاجيال وفي نفوس القايمين بامره من اهل
القاصية اذعان لهم وانقياد فاذا نزع اليهم هذا الخارج وانتبذ عن مقر ملكه
ومنبت عزه اشتملوا عليه وقاموا بامره وظاهروه على شانه وعنوا بتمهيد دولته
يرجون استقراره في نصابه وتناوله الامر من يد اعياصه ولا يطمعون في شي في مشاركته صح
من سلطانه تسليما وانقيادا لما استحكم له ولقومه من صبغة الغلب في العالم لعصبيتهم صح
وعقيدة ايمانية استقرت في الاذعان لهم فلو راموها معه او دونه لتزلزلت الارض
زلزالها وهذا كما وقع للادارسة بالمغرب الاقصى والعبيديين بافريقية ومصر لما
انتبذ الطالبيون من المشرق الى القاصية وابتعدوا عن مقر الخلافة وسموا الى طلبها
من ايدي آل العباس بعد ان استحكمت الصبغة لبني عبد مناف لبني امية اولا
ثم لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لانفسهم وقام بامرهم
البرابرة مرة بعد اخرى فاوربة ومغيلة للادارسة وكتامة وصنهاجة وهوارة
للعبيديين فشيدوا دولتهم ومهدوا بعصابتهم امرهم واقتطعوا من ممالك
العباسيين المغرب كله ثم افريقية ولم يزل ظل الدولة يتقلص وظل العبيديين
يمتد الى ان ملكوا مصر والشام والحجاز وقاسموهم في الممالك الاسلامية شق
الابلمة وهولا البرابرة القايمون بالدولة مع ذلك كله مسلمون للعبيديين امرهم
مذعنون لملكهم وانما كانوا يتنافسون في الرتبة عندهم خاصة تسليما لما
حصل من صبغة الملك لبني هاشم ولما استحكم من الغلب لقريش ومضر على ساير
الامم فلم يزل الملك في اعقابهم الى انقراض دولة العرب باسرها والله يحكم لا معقب لحكمه

## فصل في ان الدول العامة الاستيلا العظيمة

الملك

## الملك اصلها الدين اما من نبوة او دعوة حق

وذلك لان الملك انما يحصل بالتغلب والغلب انما يكون بالعصبية واتفاق الاهوا
على المطالبة وجمع القلوب وتاليفها انما يكون بمعونة من الله في اقامة دينه قال تعالى
لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم وسره ان القلوب اذا تداعت
الى اهوا الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرفت
الى الحق ورفضت الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس
وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة كما نبين لك بعد

## فصل في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها

والسبب في ذلك كما قدمناه ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد
الذي في اهل العصبية وتفرد الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار في امرهم
لم يقف لهم شي لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم جميعهم وهم مستميتون
عليه واهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا اضعافهم فاغراضهم متباينة
بالباطل وتخاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون
عليهم ويعاجلهم الفنا بما فيهم من الترف والذل كما قدمناه وهذا كما وقع للعرب
في صدر الاسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك
بضعا وثلاثين الفا في كل معسكر وجموع فارس مايه وعشرين الفا بالقادسية
وجموع هرقل على ما قاله الواقدي اربعماية الف فلم يقف للعرب احد من الجانبين
وهزموهم وغلبوهم على ما بايديهم واعتبر ذلك ايضا في دولة لمتونة ودولة الموحدين
فقد كان بالمغرب من القبايل كثير ممن يقاومهم في العدد والعصبية او يشف
عليهم الا ان الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستماتة
كما قلناه فلم يقف لهم شي واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت كيف
ينتقض الامر ويصير الغلب على نسبة العصبية وحدها دون زيادة الدين فتغلب
الدولة من كان تحت يدها من العصايب المكافية لها او الزايدة القوة عليها
الذين غلبتهم بمضاعفة الدين لقوتها وكانوا اكثر عصبية منها واشد بداوة
واعتبر هذا في الموحدين مع زناتة لما كانت زناتة ابدى من المصامدة واشد
توحشا وكان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي فلبسوا صبغتها
وتضاعفت قوة عصبيتهم بها فغلبوا اولا زناتة واستتبعوهم وان كانوا

حيث العصبية والبداوة اشد منهم فلما حاموا على تلك الصبغة الدينية
انتقضت عليهم زناتة من كل جانب وغلبوهم على الامر وانتزعوه والله غالب على امره

## فصل في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم

وهذا لما قدمناه من ان كل امر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية وفي الحديث
كما مر ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه واذا كان هذا في الانبيا وهم اولى الناس
بخرق العوايد فما ظنك بغيرهم ان لا تخرق له العادة في الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا
لابي قسي شيخ المتصوفة وصاحب كتاب خلع النعلين في التصوف ثار بالاندلس داعيا
الى الحق وسمي اصحابه بالمرابطين قبيل دعوة المهدي فاستتب له الامر قليلا بشغل
لمتونة بما دهمهم من امر الموحدين ولم تكن هناك عصايب ولا قبايل يدفعونه عن شانه
فلم يلبث حين استولى الموحدون على المغرب ان اذعن ودخل في دعوتهم وبايعهم من
معقله بحصن اركش وامكنهم من ثغره وكان اول داعية لهم بالاندلس وكانت
ثورته تسمى ثورة المرابطين ومن هذا الباب احوال الثوار القايمين بتغيير
المنكر من العامة والفقها فان كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون الى
القيام على اهل الجور من الامرا داعين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف رجا
في الثواب عليه من الله فيكثر اتباعهم والمتلبسون بهم من الغوغا والدهما ويعرضون
بانفسهم في ذلك للمهالك واكثرهم يهلكون في تلك السبيل مازورين غير ماجورين
لان الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وانما امر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه
وسلم من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه واحوال
الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناها الا المطالبة القوية التي من وراها
عصبية القبايل والعشاير كما قدمناه وهكذا كان حال الانبيا في دعوتهم الى الله بالعصايب
والعشاير وهم المويدون من الله لو شا لايدهم بالكون كله لكنه انما اجرى الامور بحكمته
على مستقر العادة فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه محقا قصر به الانفراد
عن العصبية فطاح في هوة الهلاك واما ان كان من الملبسين بذلك في طلب
الرياسة فاجدر ان تعوقه العوايق وينقطع به المهالك لانه امر الله لا يتم الا برضاه
واعانته والاخلاص له والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه
ذو بصيرة واول من ابتدا هذه النزعة في الملة ببغداد حين وقعت فتنة طاهر
وقتل الامين وابطا المامون بخراسان عن مقدم العراق ثم عهد لعلي بن موسى الرضى
من ال الحسين فكشف بنو العباس وجه النكير عليه وتداعوا للقيام وخلع طاعة
المامون والاستبدال منه وبويع ابراهيم بن المهدي فوقع الهرج ببغداد وانطلقت
ايدي الذعرة بها من الشطار والحربية على اهل العافية والصون وقطعوا السبل

وامتلات

وامتلات ايديهم من نهاب الناس وباعوها علانية في الاسواق واستعدى اهلها الحكام
فلم يعدوهم فتوافر اهل الدين والصلاح على منع الفساق وكف عاديتهم وقام ببغداد
رجل يعرف بخالد الدريوش ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجابه
خلق وقاتل اهل الذعارة وغلبهم واطلق يده فيهم بالضرب والتنكيل ثم قام من
بعده رجل اخر من سواد اهل بغداد يعرف بسهل بن سلامة الانصاري ويكنى
ابا حاتم وعلق مصحفا في عنقه ودعا الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل
بكتاب الله وسنة نبيه فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بني هاشم
فمن دونهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من اخاف المارة
ومنع الخفارة لاوليك الشطار وقال له خالد الدريوش انا لا اعيب على السلطان
فقال له سهل لكني اقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كاينا من كان وذلك سنة
احدى ومايتين وجهز ابراهيم بن المهدي اليه العساكر فغلبه واسره وانحل امره سريعا
وذهب ونجا بنفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين ياخذون انفسهم
باقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون اليه في اقامته من العصبية ولا يشعرون بمغبة امرهم
وماال احوالهم والذي يحتاج اليه في امر هولا اما المداواة ان كانوا من اهل الجنون
واما التنكيل بالقتل او الضرب ان احدثوا هرجا واما اذاعة السخرية منهم وعدهم
في جملة الصفاعين وقد ينتسب بعضهم الى الفاطمي المنتظر اما بانه هو او داع له
وليس مع ذلك على علم من امر الفاطمي ولا ما هو واكثر المنتحلين لمثل هذا تجدهم
موسوسين او مجانين او ملبسين يطلبون بمثل هذه الدعوى رياسة امتلات بها
جوانحهم وعجزوا عن التوصل اليها بشي من اسبابها العادية فيحسبون ان هذا
من الاسباب البالغة بهم الى ما يوملونه من ذلك ولا يحتسبون ما ينالهم فيه من الهلكة
فيسرع اليهم القتل بما يحدثونه من الفتنة وتسو عاقبة مكرهم وقد كان لاول هذه
المائة خرج بالسوس رجل من المتصوفة يدعى التويزري عمد الى مسجد ماسة بساحل
البحر هنالك وزعم انه الفاطمي المنتظر تلبيسا على العامة هنالك بما ملا قلوبهم
من الحدثان بانتظاره وان من ذلك المسجد تكون اصل دعوته فتهافتت عليه
طوايف من عامة البربر تهافت الفراش ثم خشي روساوهم اتساع نطاق الفتنة
فدس اليه كبير المصامدة يوميذ عمر السكسيوي من قتله في فراشه وكذلك
خرج في غمارة لاول هذه المائة ايضا رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوى
واتبع نعيقه الارذلون من سفها تلك القبايل وغمارهم وزحف الى بادس
من امصارهم فدخلها عنوة ثم قتل لاربعين يوما من ظهور دعوته ومضى في
الهالكين الاولين وامثال ذلك كثير والغلط فيه من الغفلة عن اعتبار العصبية
في مثلها واما ان كان التلبيس فاحرى ان لا يتم له امر وان يبوء باثمه وذلك جزاء الظالمين

# فصل في ان لكل دولة لها حصة من الممالك والاوطان لا تزيد عليها

والسبب في ذلك ان عصابة الدولة وقومها القائمين بها الممهدين لها لابد من توزيعهم حصصا على الممالك والثغور التي تصير اليهم ويستولون عليها لحمايتها من العدو وامضا احكام الدولة فيها من جباية وردع وغير ذلك فاذا توزعت العصائب كلهم على الثغور والممالك فلا بد من نفاد عددهم وقد بلغت الممالك حينئذ الى حد يكون ثغرا للدولة وتخما لوطنها ونطاقا لمركز ملكها فان تكلفت الدولة بعد ذلك زيادة على ما بيدها بقي دون حامية وكان موضعا لانتهاز الفرصة من العدو والمجاور ويعود وبال ذلك على الدولة بما يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهيبة وما كانت العصابة موفورة ولم ينفد عددها في توزيع الحصص على الثغور والنواحي بقي في الدولة قوة على تناول ما وراء الغاية حتى ينفسح نطاقها الى غايته والعلة الطبيعية في ذلك ان قوة العصبية هي من سائر القوى الطبيعية وكل قوة يصدر عنها فعل من الافعال فشانها ذلك في فعلها والدولة في مركزها اشد مما يكون في الطرف والنطاق واذا انتهت الى النطاق الذي هو الغاية عجزت وقصرت عما وراءه شان الاشعة والانوار اذا انبعثت من المراكز والدواير المنفسحة على سطح الماء من النقر عليه ثم اذا ادركها الهرم والضعف فانما تاخذ في التناقص من جهة الاطراف ولا يزال المركز محفوظا الى ان ياذن الله بانقراض الامر جملة فحينئذ يكون انقراض المركز واذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء الاطراف والنطاق بل تضمحل لوقتها فان المركز كالقلب الذي تنبعث منه الروح فاذا غلب القلب وملك انهزم جميع الاطراف وانظر هذا في الدولة الفارسية كان مركزها المداين فلما غلب المسلمون على المداين انقرض امر فارس اجمع ولم ينفع يزدجرد ما بقي بيده من اطراف ممالكه وبالعكس من ذلك الدولة الرومية بالشام لما كان مركزها القسطنطينية ولم يضرهم انتزاع الشام من ايديهم فلم يزل ملكهم متصلا بها الى ان تاذن الله بانقراضه وانظر ايضا شان العرب اول الاسلام لما كانت عصائبهم موفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من الشام والعراق ومصر لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراءه من السند والحبشة وافريقية والمغرب ثم الى الاندلس فلما تفرقوا حصصا على الممالك والثغور ونزلوها حامية ونفد عددهم في تلك التوزيعات اقصروا عن الفتوحات بعد وانتهى امر الاسلام ولم يتجاوز تلك الحدود ومنها تراجعت الدولة حتى تاذن الله بانقراضها وكذا كان حال الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة وعند نفاد

وغلبهم المسلمون على الشام انحصروا الى مركزهم بالقسطنطينية

عددهم

عددهم بالتوابع ينقطع لهم الفتح والاستيلاء سنة الله في خلقه

# فصل في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة

والسبب في ذلك ان الملك انما يكون بالعصبية واهل العصبية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة واقطارها وينقسمون عليها فما كان من الدول العامة قبيلها واهل عصابتها اكثر كانت اقوى واكثر ممالك واوطانا وكان ملكها اوسع واعتبر ذلك بالدولة الاسلامية لما الف الله كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين في غزوة تبوك اخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مائة الف وعشرة الاف من مضر وقحطان ما بين فارس وراجل الى من اسلم منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا لطلب ما في ايدي الامم من الملك لم يكن دونه حمى ولا وزر فاستبيح حمى فارس والروم اهل الدولتين العظيمتين في العالم لعهدهم والترك بالمشرق والافرنجة والبربر بالمغرب والقوط بالاندلس وخطوا من الحجاز الى السوس الاقصى ومن اليمن الى الترك باقصى الشمال واستولوا على الاقاليم السبعة ثم انظر بعد ذلك دولة صنهاجة والموحدين مع العبيديين قبلهم لما كان قبيل كتامة القائمين بدولة العبيديين اكثر من صنهاجة ومن المصامدة كانت دولتهم اعظم فملكوا افريقية والمغرب والشام ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دولة زناتة لما كان عددهم اقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك الموحدين لقصور عددهم عن عدد المصامدة منذ اول امرهم ثم اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد لزناتة بني مرين وبني عبد الواد لما كان عدد بني مرين لاول ملكهم اكثر من بني عبد الواد كانت دولتهم اقوى منها واوسع نطاقا وكان لهم عليهم الغلب مرة بعد اخرى يقال ان عدد بني مرين لاول ملكهم كانوا ثلاثة الف وان عدد بني عبد الواد كانوا الفا الا ان الدولة بالرفه وكثرة التابع كثرت من اعدادهم وهم على هذه النسبة في اعداد المتغلبين لاول الملك يكون اتساع الدولة وقوتها واما طول امدها ايضا فعلى تلك النسبة لان عمر الحادث من قوة مزاجه ومزاج الدولة انما هو بالعصبية فاذا كانت العصبية قوية كان المزاج تابعا لها وكان امد العمر طويلا والعصبية انما هي بكثرة العدد ووفوره كما قلناه والسبب الصحيح في ذلك ان النقص انما يبدا في الدولة من الاطراف فاذا كانت ممالكها كثيرة كانت اطرافها بعيدة عن مركزها وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتكثر ازمان النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بنقص

وزمانه فيكون امدها طويلا وانظر ذلك في دولة العرب الاسلاميه كيف كان امدها
اطول الدول لا بنو العباس اهل المركز ولا بنو اميه المستبدون بالاندلس ولم
ينتقض امر جميعهم الا بعد الاربع مايه من الهجره ودولة العبيديين كان امدها قريبا من
مايتين وثمانين سنه ودولة صنهاجه دونهم من لدن تقليد معز الدولة امر افريقيه لبلكين
ابن زيري سنة ثمان وخمسين وثلثمايه الى حين استيلا الموحدين على القلعه وبجايه
سنة سبع وخمسين وخمسمايه ودولة الموحدين لهذا العهد تناهز مايتين وسبعين سنه
وهكذا نسب الدول في اعمارها على نسبة القايمين بها سنة الله التي قد خلت في عباده

## فصل في ان الاوطان الكثيرة القبايل والعصايب قل ان تستحكم فيها دولة

والسبب في ذلك اختلاف الآرا والاهوا وان ورا كل راي منها وهوى عصبيته
تمانع دونها فيكثر الانتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت
ذات عصبيه لان كل عصبيه ممن تحت يدها تظن في نفسها منعة وقوة وانظر ما وقع
من ذلك بافريقيه والمغرب منذ اول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن هذه الاوطان
من البربر اهل قبايل وعصبيات فلم يغن فيهم الغلب الاول الذي كان لابن ابي
سرح عليهم وعلى الفرنجه شيا وعاودوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد اخرى
وعظم الاثخان من المسلمين فيهم ولما استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة والخروج
والاخذ بدين الخوارج مرات عديده قال ابن ابي زيد ارتدت البرابره بالمغرب
اثنى عشر مرة ولم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده
وهذا معنى ما ينقل عن عمر رضى الله عنه ان افريقيه مفرقه لقلوب اهلها اشارة
الى ما فيها من كثرة العصايب والقبايل الحامل لهم على عدم الاذعان والانقياد
ولم يكن العراق لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام انما كانت حاميتها
من فارس والروم والكافه دهما اهل مدن وامصار فلما غلبهم المسلمون على الامر
وانتزعوه من ايديهم لم يبق ممانع ولا مشاق والبربر قبايلهم بالمغرب اكثر من
ان تحصى وكلهم بادية واهل عصايب وعشاير وكلما هلكت قبيلة عادت الاخرى
مكانها والى دينها من الخلاف والردة فطال امر العرب في تمهيد الدولة بوطن
افريقيه والمغرب وكذلك كان الامر بالشام لعهد بني اسرايل كان فيه من قبايل
فلسطين وكنعان وبني عيصو وبني مدين وبني لوط والروم والارمن
والعمالقه واكريكش والنبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثرة وتنوعا
في العصبيه فصعب على بني اسرايل تمهيد دولتهم ورسوخ امرهم واضطرب

عليهم



عليهم الملك مرة بعد اخرى وسرى ذلك الخلاف اليهم فاختلفوا على سلطانهم وخرجوا
عليه ولم يكن لهم ملك موطد سائر ايامهم الى ان غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم اخر
امرهم عند الجلا والله غالب على امره وبعكس هذا ايضا الاوطان الخالية من العصايب
يستهل تمهيد الدولة فيها ويكون سلطانها وادعا لقلة الهرج والانتقاض ولا تحتاج
الدولة فيها الى كثير من العصبيه كما هو الشان في مصر والشام لهذا العهد اذ هي
خلو من القبايل والعصبيات كان لم يكن الشام معدنا لهم كما قلناه فملك مصر في غاية
الدعة والرسوخ لقلة الخوارج واهل العصايب انما هو سلطان ورعيه ودولتها قايمة
بملوك الترك وعصايبهم يغلبون على الامر واحد بعد واحد وينتقل الامر فيهم
من منبت الى منبت والخلافه مسماة للعباسي من اعقاب الخلفا ببغداد وكذا شان
الاندلس لهذا العهد فان عصبية ابن الاحمر سلطانها لم تكن لاول دولتهم بقوية ولا
كانت لها كثرة انما كانوا اهل بيت من بيوت العرب اهل الدولة الاموية بقلة من
ذلك القل وذلك ان اهل الاندلس لما انقرضت الدولة العربية منهم وملكهم
البربر من لمتونه والموحدين سيموا ملكتهم وثقلت وطاتها عليهم فاشربت
القلوب بغضاهم وامكن الموحدون السادة في اخر الدولة كثيرا من
الحصون للطاغيه في سبيل الاستظهار به على شانهم من تملك الحضرة مراكش فاجتمع
من كان بقي بها من اهل العصبية القديمة معادن من بيوت العرب تجافي
بهم المنبت عن الحضارة والامصار بعض الشي ورسخوا في العصبيه مثل ابن هود
وابن الاحمر وابن مردنيش وامثالهم فقام ابن هود بالامر ودعى بدعوة الخلافة
العباسيه بالمشرق وحمل الناس على الخروج على الموحدين فنبذوا اليهم العهد
واخرجوهم واستقل ابن هود بالامر بالاندلس ثم سما ابن الاحمر للامر وخالف
ابن هود في دعوته فدعا هولا لابن ابي حفص صاحب افريقيه من الموحدين وقام بالامر
وتناوله بعصابة قليلة من قرابته كانوا يسمون الروسا ولم يحتج لاكثر منها لقلة
العصايب بالاندلس وانها سلطان ورعيه ثم استظهر بعد ذلك على الطاغيه
بمن يجيز اليه البحر من اعياص زناته فصاروا معه عصبة على المثاغرة والرباط
ثم سما لصاحب المغرب من ملوك زناته امل في الاستيلا على الاندلس فصار اولئك
الاعياص عصابة ابن الاحمر على الامتناع منه الى ان تاثل امره ورسخ والفته النفوس
وعجز الناس عن مطالبته واورثه اعقابه لهذا العهد فلا تظنن انه بغير عصابة فليس
كذلك وقد كان مبدوه بعصابة الا انها قليلة وعلى قدر الحاجة فان وطن الاندلس
لقلة العصايب والقبايل فيه يستغني عن كثرة العصبية في التغلب عليهم والله غني عن العالمين

لابن

وعلى صح

## فصل في ان طبيعة الملك الانفراد بالمجد والتوعل

## في الترف وايثار الدعة والسكون

اما الانفراد بالمجد فلان الملك كما قدمناه انما هو بالعصبية والعصبية متالفة
من عصبات كثيرة تكون واحدة منها اقوى من كلها فتغلبها وتستولي عليها حتى
تصيرها جميعا في ضمنها وبذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدول وسره ان العصبية
العامة للقبيل هي مثل المزاج للمتكون والمزاج انما يكون عن العناصر وقد تبين في موضعه
ان العناصر اذا اجتمعت متكافية فلا يقع منها مزاج اصلا بل لا بد ان يكون واحد منها غالبا
على الاخرى وبغلبته عليها يقع الامتزاج وكذلك العصبيات لا بد ان تكون واحدة منها
هي الغالبة على الكل حتى تجمعها وتولفها وتصيرها عصبية واحدة شاملة لجميع العصبيات
وهي موجودة في ضمنها وتلك العصبية الكبرى انما تكون لقوم اهل بيت ورياسة
فيهم ولا بد ان يكون واحد منهم رئيسا لهم غالبا عليهم فيتعين رئيسا للعصبيات كلها
لغلب منبته لجميعها واذا تعين له ذلك من الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والانفة فيانف
حينئذ من المساهمة والمشاركة في استتباعهم والتحكم فيهم ويجي خلق التاله الذي في طباع
البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكام لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا فتجدع حينئذ انوف العصبيات ويفلج شكائمهم عن ان يسموا الى
مشاركته في التحكم ويقرع عصبيتهم عن ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد
منهم في الامر لا ناقة ولا جملا فينفرد بذلك المجد بكليته ويدفعهم عن مساهمته فيه وقد يتم ذلك
للاول من ملوك الدولة وقد لا يتم الا للثاني او الثالث على قدر ممانعة العصبيات
وقوتها الا انه امر لا بد منه في الدول سنة الله في عباده **واما** التوغل في الترف فلان
الامة اذا تغلبت وملكت ما بايدي اهل الملك قبلها كثر رياشها ونعمتها فتكثر عوايدهم
ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته الى نوافله ورقته وزينته ويذهبون الى اتباع
من قبلهم في عوايدهم واحوالهم وتصير لتلك النوافل عوايد ضرورية في تحصيلها وينزعون
مع ذلك الى رقة الاحوال في المطاعم والملابس والفرش والانية ويتفاخرون في ذلك
ويفاخرون فيه غيرهم من الامم في اكل الطيب ولبس الانيق وركوب الفاره ويناغي خلفهم
في ذلك سلفهم الى اخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفهم فيه الى ان يبلغوا
من ذلك الغاية التي للدولة ان تبلغها بحسب قوتها وعوايد من قبلها سنة الله في خلقه
**واما** ايثار الدعة والسكون فلان الامة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايتها
الغلب والملك واذا حصلت الغاية انقضى السعي اليها

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها    فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فاذا حصل الملك اقصروا عن المتاعب التي كانوا يتكلفونها في طلبه واثروا الراحة
والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمساكن والملابس فيبنون

القصور ويجرون المياه ويغرسون الرياض ويستمتعون باحوال الدنيا ويوثرون الراحة
على المتاعب ويتانقون في احوال الملابس والمطاعم والانية والفرش ما استطاعوا
ويالفون ذلك ويورثونه من بعدهم من اجيالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم
الى ان يتاذن الله بامره

## فصل في انه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة اقبلت الدولة على الهرم

وبيانه من وجوه الاول انها تقتضي الانفراد بالمجد كما قلناه ومهما كان المجد
مشتركا بين العصابة وكان سعيهم له واحدا كانت هممهم في التغلب على الغير والذب
عن الحوزة اسوة في طموحها وقوة شكائمها ومرماهم الى العز جميع وهم يستطيبون
الموت في بناء مجدهم ويوثرون الهلكة على فساده واذا انفرد الواحد منهم بالمجد قرع عصبيتهم
وكبح من اعنتهم واستاثر بالاموال دونهم فتكاسلوا عن الغزو وفشل ريحهم
ورئموا المذلة والاستعباد ثم ربي الجيل الثاني على ذلك يحسبون ما ينالهم من العطاء
من السلطان اجرا لهم على الحماية والمعونة لا يجري في عقولهم سواه وقل ان يستاجر احد
نفسه على الموت فيصير ذلك وهنا في الدولة وخضدا من الشوكة وتقبل به على
مناحي الضعف والهرم لفساد العصبية بذهاب الباس من اهلها الوجه الثاني
ان طبيعة الملك الترف كما قدمناه فتكثر عوايدهم وتزيد نفقاتهم على اعطياتهم ولا يفي
دخلهم بخرجهم فالفقير منهم يهلك والمترف يستغرق عطاءه بترفه ثم يزداد ذلك في
اجيالهم المتاخرة الى ان يقصر العطاء كله عن الترف وعوايده وتمسهم الحاجة وتطالبهم ملوكهم
بحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا يجدون وليجة عنها فيوقعون بهم العقوبات
وينتزعون ما في ايدي الكثير منهم يستاثرون به عليهم او يوثرون به ابناءهم وصنايع دولتهم
فيضعفونهم لذلك عن اقامة احوالهم ويضعف صاحب الدولة بضعفهم وايضا
اذا كثر الترف في الدولة وصار عطاوهم مقصرا عن حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب
الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في اعطياتهم حتى يسد خللهم ويزيح عللهم والجباية
مقدارها معلوم لا تزيد ولا تنقص وان زادت بما يستحدث من المكوس فيصير مقدارها
بعد الزيادة محدودا فاذا وزعت الجباية على الاعطيات وقد حدثت فيها الزيادة
لكل واحد بما حدث من ترفهم وكثرة نفقاتهم نقص عدد الحامية حينئذ عما كان قبل
زيادة الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك فينقص عدد
الحامية الى ان يعود العسكر الى اقل الاعداد فتضعف الحماية لذلك وتسقط قوة الدولة
ويتجاسر عليها من يجاورها من الدول او من تحت ايديها من العصبيات والقبايل
ويتاذن الله فيها بالفناء الذي كتبه على خليقته وايضا فالترف مفسد للخلق بما يحصل

في النفس من الوان الشر والسفسفة وعوايدها كما ياتي في فصل الحضارة فتذهب
منهم خلال الخير التي كانت علامة على الملك ودليلا عليه ويتصفون بما يناقضها من
خلال الشر فيكون علامة على الادبار والانقراض بما جعل الله من ذلك في خليقته وتاخذ
الدولة مبادي العطب وتتضعضع احوالها وتنزل بها امراض مزمنة من الهرم الى ان
تقضي عليها الوجه الثالث ان طبيعة الملك تقتضي الدعة كما ذكرناه واذا اتخذوا
الدعة والراحة مالفا وخلقا صار لهم ذلك طبيعة وجبلة شان العوايد كلها
وايلافها فتربى اجيالهم الحادثة في غضاضة العيش ومهاد الترف والدعة وينقلب
خلق التوحش وينسون عوايد البداوة التي كان بها الملك من شدة الباس وتعود الافتراس
وركوب البيدا وهداية القفر فلا تفرق بينهم وبين السوقة من الحضر الا في الثقافة
والشارة فتضعف حمايتهم ويذهب باسهم وتنخضد شوكتهم ويعود وبال ذلك
على الدولة بما تلبس به من ثياب الهرم ثم لا يزالون يتلونون بعوايد الترف
والحضارة والسكون والدعة ورقة الحاشية في جميع احوالهم وينغمسون فيها وهم في ذلك
يبعدون عن البداوة والخشونة وينسلخون عنها شيا فشيا وينسون خلق
البسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالا على حامية اخرى ان كانت
لهم واعتبر ذلك في الدول التي اخبارها في الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك
صحيحا من غير ريبة وربما يحدث في الدولة اذا طرقها هذا الهرم بالترف والراحة ان
يتخير صاحب الدولة انصارا وشيعة من غير جلدتهم ممن تعود الخشونة فيتخذهم
جندا يكونون اصبر على الحروب واقدر على معاناة الشدايد من الجوع والشظف
ويكون ذلك دوا للدولة من الهرم الذي عساه ان يطرقها حتى ياذن الله فيها بامره وهذا
كما وقع في دولة الترك بالمشرق فان غالب جندها الموالي من الترك فيتخير ملوكهم
من اوليك المماليك المجلوبين اليهم فرسانا وجندا فيكونون اجرا على الحرب واصبر
على الشظف من ابنا المماليك الذين كانوا قبلهم وربوا في ماء النعيم والسلطان وظله
وكذلك في دولة الموحدين بافريقية فان صاحبها كثيرا ما يتخذ اجناده من زناتة والعرب
ويستكثر منهم ويترك اهل الدولة المتعودين للترف فتستجد الدولة بذلك عمرا
اخر سالما من الهرم والله وارث الارض ومن عليها

## فصل في ان الدول لها اعمار طبيعية كالاشخاص

اعلم ان العمر الطبيعي للاشخاص على ما زعم الاطبا والمنجمون مائة وعشرون سنة
وهي سنو القمر الكبرى عند المنجمين ويختلف العمر في كل جيل بحسب القرانات فيزيد عن
هذا وينقص منه فتكون اعمار بعض اهل القرانات مائة تامة وبعضهم خمسين او ثمانين او سبعين
على ما تقتضيه ادلة القرانات عند الناظرين فيها واعمار هذه الملة ما بين الستين الى السبعين

كما

كما في الحديث ولا يزيد على العمر الطبيعي الذي هو مائة وعشرون الا في الصور النادرة
وعلى الاوضاع الغريبة من الفلك كما وقع في شان نوح عليه السلام وقليل من قوم عاد وثمود
واما اعمار الدول ايضا وان كانت تختلف بحسب القرانات الا ان الدولة في الغالب
لا تعدو اعمار ثلثة اجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون اربعين
الذي هو انتها النمو والنشو الى غايته قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين
سنة ولهذا قلنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل ويويد ما ذكرناه في حكمة التيه
الذي وقع لبني اسرايل وان المقصود بالاربعين فيه فنا الجيل الاحيا ونشاة
جيل اخر لم يعهدوا الذل ولا عرفوه فدل على اعتبار الاربعين في عمر الجيل التي هي عمر
الشخص الواحد وانما قلنا ان عمر الدولة في الغالب لا يعدو ثلثة اجيال لان الجيل
الاول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة
والافتراس والاشتراك في المجد فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدهم
مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون والجيل الثاني تحول حالهم بالملك
والترفه من البداوة الى الحضارة ومن الشظف الى الترف والخصب ومن الاشتراك
في المجد الى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة
الى ذل الاستكانة فتنكسر سورة العصبية بعض الشي ويونس منهم المهانة والخضوع
ويبقى لهم الكثير من ذلك بما ادركوا الجيل الاول وباشروا احوالهم وشاهدوا من
اعتزازهم وسعيهم الى المجد ومراميهم الى المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك
بالكلية وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجا من مراجعة الاحوال التي كانت للجيل
الاول او على ظن من وجودها فيهم واما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة
والخشونة كان لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر
ويبلغ الترف فيهم غايته بما تبنكوه من النعيم وغضارة العيش فيصيرون عيالا على
الدولة ومن جملة النسا والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبية
بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الشارة والزي
وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها وهم في الاكثر اجبن من النسوان على ظهورها
فاذا جا المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته فيحتاج صاحب الدولة حينيذ الى الاستظهار
بسواهم من اهل النجدة ويستكثر بالموالي ويصطنع من يغني عن الدولة بعض
الغنا حتى ياذن الله بانقراضها فتذهب الدولة بما حملت فهذه كما تراه ثلثة اجيال
فيها يكون هرم الدولة وتخلقها ولذلك كان انقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في
ان المجد والحسب انما هو في اربعة ابا وقد اتيناك فيه ببرهان طبيعي ظاهر مبني على
ما مهدناه قبل من المقدمات فتامله فلن تعدو وجه الحق ان كنت من اهل الانصاف
وهذه الاجيال الثلثة اعمارها مائة وعشرون سنة على ما مر ولا تعدو الدول في الغالب

هذا العمر بتقريب قبله او بعده الا ان عرض لها عارض اخر من فقدان المطالب
فيكون الهرم حاصلا مستوليا والطالب لم يحضرها ولو قد جا الطالب لما وجد
مدافعا فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وهذا العمر للدولة
بمثابة عمر الشخص من التزيد الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع ولهذا يجري
على السنة الناس في المشهور ان عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فاعتبره
واتخذ منه قانونا يصحح لك عدد الآبا في عمود النسب الذي تريده من قبل معرفة
السنين الماضية اذا كنت قد استربت في عددهم وكانت السنون الماضية
منذ اولهم محصلة لديك فعد لكل مائة من السنين ثلثة من الآبا فان نفدت على هذا
القياس مع نفود عددهم فهو صحيح وان نقصت عنه بجيل فقد غلط عددهم
بزيادة واحد في عمود النسب وان زادت بمثله فقد سقط واحد وكذلك تاخذ
عدد السنين من عددهم اذا كان محصلا لديك صحيحا والله مقدر الليل والنهار

## فصل في ان انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة

اعلم ان هذه الاطوار طبيعية للدول فان الغلب الذي يكون به الملك انما هو
بالعصبية وما يتبعها من شدة الباس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالبا
الا مع البداوة فطور الدولة من اولها بداوة ثم اذا حصل الملك تبعه الرفه
واتساع الاحوال والحضارة انما هي تفنن في الترف واحكام الصنايع
المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والانية
وساير عوايد المنزل واحواله فلكل واحد منها صنايع في استجادته والتانق
فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من
الشهوات والملاذ والتنعم باحوال الترف وما تتلون به من العوايد فصار طور
الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة لضرورة تبعية الرفه للملك واهل الدول
ابدا يقلدون في طور الحضارة واحوالها للدولة السالفة قبلهم فاحوالهم يشاهدون
ومنهم في الغالب ياخذون ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح
وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وابناءهم ولم يكونوا لذلك العهد
في شي من الحضارة فقد حكي انه قدم لهم المرقق فكانوا يحسبونه رقاعا
وعثروا على الكافور في خزاين كسرى فاستعملوه في عجينهم ملحا وامثال ذلك
فلما استعبدوا اهل الدول قبلهم واستعملوهم في مهنهم وحاجات منازلهم
واختاروا منهم المهرة في امثال ذلك والقومة عليه افادوهم علاج ذلك والقيام
على عمله والتفنن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن في احواله
فبلغوا الغاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف في الاحوال واستجادة

المطاعم والمشارب والملابس والمباني والاسلحة والفرش والانية والغنا وساير
الماعون والخرثي وكذا احوالهم في ايام المباهاة والولايم وليالي الاعراس فاتوا
من ذلك وراء الغاية وانظر ما نقله المسعودي والطبري وغيرهما في اعراس المامون
ببوران بنت الحسن بن سهل وما بذل ابوها لحاشية المامون حين وافاه في خطبتها
الى داره بفم الصلح وركب اليها في السفين وما انفق في املاكها وما نحلها المامون
وانفق في عرسها تقف من ذلك على العجب فمنه ان الحسن بن سهل نثر
يوم الاملاك في الصنيع الذي حضره حاشية المامون فنثر على الطبقة الاولى
منهم بنادق المسك ملتوتة على الرقاع بالضياع والعقار مسوغة لمن حصلت في
يده يقع لكل واحد منهم ما اداه اليه الاتفاق والبخت وفرق على الطبقة الثانية
بدر الدنانير في كل بدرة عشرة الاف وفرق على الطبقة الثالثة بدر الدراهم كذلك
بعد ان انفق في مقامة المامون بداره اضعاف ذلك ومنها ان المامون اعطاها
في مهرها ليلة زفافها الف حصاة من الياقوت واوقد شموع العنبر في كل واحدة مائة
من وهو رطل وثلثان وبسط لها فرشا كان الحصير منها منسوجا بالذهب مكللا
بالدر والياقوت وقال المامون حين راه قاتل الله ابا نواس كانه ابصر هذا حيث
يقول في صفة الخمر

كان صغرى وكبرى من فواقعها حصبا در على ارض من الذهب

واعد بدار الطبخ من الحطب لليلة الوليمة نقل مائة واربعين بغلا مدة عام كامل ثلث مرات
في كل يوم وفني الحطب لليلتين واوقدوا الجريد يصبون عليه الزيت واوعز
الى النواتية باحضار السفن لاجازة الخواص من الناس بدجلة من بغداد الى
قصر الملك بمدينة المامون لحضور الوليمة فكانت الحراقات المعدة لذلك
ثلثين الفا اجازوا الناس فيها اخريات نهارهم وكثير من هذا وامثاله وكذلك
عرس المامون بن ذي النون بطليطلة نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة وابن
حيان بعد ان كانوا كلهم في الطور الاول من البداوة عاجزين عن ذلك جملة
لفقدان اسبابه والقايمين على صنايعه في غضاضتهم وسذاجتهم يذكر ان
الحجاج اولم في اختتان بعض ولده فاستحضر بعض الدهاقين يسائله عن ولايم
الفرس وقال له اخبرني باعظم صنيع شهدته فقال نعم ايها الامير شهدت
بعض مرازبة كسرى قد صنع لاهل فارس صنيعا احضر فيه صحاف الذهب على
اخونة الفضة اربعا على كل واحد وتحمله اربع وصايف ويجلس عليه اربع من
الناس فاذا طعموا اتبعوا اربعتهم المايدة بصحافها ووصايفها فقال الحجاج
يا غلام انحر الجزور واطعم الناس وعلم انه لا يستقل بهذه الابهة وكذلك كانت
ومن هذا الباب اعطية بني امية وجوايزهم فانما كان اكثرها الابل

اخذوا بمذاهب العرب وبداوتهم ثم كانت الجوائز في دولة بني العباس والعبيديين من بعدهم ما علمت من احمال المال وتخوت الثياب واعداد الخيل بمراكبها وهكذا كان شان كتامة مع الاغالبة بافريقية وبني طغج بمصر وشان لمتونة مع ملوك الطوائف بالاندلس والموحدين كذلك وشان زناتة مع الموحدين وهلم جرا تنتقل الحضارة من الدول السالفة الى الدول الخالفة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بني امية وبني العباس وانتقلت حضارة بني امية بالاندلس الى ملوك المغرب من الموحدين وزناتة لهذا العهد وانتقلت حضارة بني العباس الى الديلم ثم الى الترك السلجوقية ثم الى الترك بمصر حوالي بني ايوب والى التتار بالعراقين وعلى قدر عظم الدولة يكون شانها في الحضارة اذ امور الحضارة من توابع الترف والترف من توابع الثروة والنعمة والثروة والنعمة من توابع الملك ومقدار ما يستولي عليه اهل الدولة فعلى نسبة الملك يكون ذلك كله فاعتبره وتفهمه وتامله تجده صحيحا في العمران والدول والله وارث الارض ومن عليها

## فصل في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوتها

والسبب في ذلك ان القبيل اذا حصل لهم الملك والترف كثر التناسل والولد والعمومية فكثرت العصابة واستكثروا ايضا من الموالي والصنائع وربيت اجيالهم في جو ذلك النعيم والرفه فازدادوا بهم عددا الى عددهم وقوة الى قوتهم بسبب كثرة العصائب حينئذ بكثرة العدد فاذا ذهب الجيل الاول والثاني واخذت الدولة في الهرم لم تستقل اولئك الصنائع والموالي بانفسهم في تاسيس الدولة وتمهيد ملكها لانهم ليس لهم من الامر شيء انما كانوا عيالا على اهلها ومعونة لها فاذا ذهب الاصل لم يستقل الفرع بالرسوخ فيذهب ويتلاشى ولا تبقى الدولة على حالها من القوة واعتبر هذا بما وقع في الدولة العربية في الاسلام كان عدد العرب كما قلناه لعهد النبوة والخلافة مائة وخمسين الفا وما يقاربها من مضر وقحطان ولما بلغ الترف مبالغه في الدولة وتوفر نموهم بتوفر النعمة واستكثر الخلفاء من الموالي والصنائع بلغ ذلك العدد الى اضعافه يقال ان المعتصم نازل عمورية لما افتتحها في تسعمائة الف ولا يبعد مثل هذا العدد ان يكون صحيحا اذا اعتبرت حاميتهم في الثغور الدانية والقاصية شرقا وغربا الى الجند الحاملين سرير الملك والموالي والمصطنعين وقال المسعودي احصي بنو العباس ابن عبد المطلب خاصة ايام المامون للانفاق عليهم فكانوا ثلاثين الفا بين ذكران واناث فانظر مبالغ هذا العدد لاقل من مائتي سنة واعلم ان سببه الرفه والنعيم الذي حصل للدولة وربي فيه اجيالهم والا فعدد العرب لاول الفتح لم يبلغ هذا

ولا

ولا قريبا منه والله الخلاق العليم

## فصل في اطوار الدولة وكيف تختلف احوال اهلها في البداوة باختلاف الاطوار

اعلم ان الدولة تنتقل في اطوار مختلفة وحالات متجددة ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقا من احوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الاخر لان الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعدو في الغالب خمسة اطوار الطور الاول طور الظفر وغلب المدافع والاستيلاء على الملك وانتزاعه من ايدي الدولة السالفة قبلها فيكون صاحب الدولة في هذا الطور اسوة قومه في اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا ينفرد دونهم بشيء لان ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تزل بعد بحالها الطور الثاني طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنيا باصطناع الرجال واتخاذ الموالي والصنائع والاستكثار من ذلك لجدع انوف اهل عصبيته وعشيرته المقاسمين له في نسبه الضاربين في الملك بمثل سهمه فهو يدافعهم عن الامر ويصدهم عن موارده ويردهم على اعقابهم ان يخلصوا اليه حتى يقر الامر في نصابه ويفرد اهل بيته بما يبني من مجده فيعاني من مدافعتهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الاولون في طلب الامر او اشد لان الاولين دافعوا الاجانب فكان ظهراؤهم على مدافعتهم اهل العصبية باجمعهم وهذا يدافع الاقارب لا يظاهره على مدافعتهم الا الاقل من الاباعد فيركب صعبا من الامر الطور الثالث طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر اليه من تحصيل المال وتخليد الاثار وبعد الصيت فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدخل والخرج واحصاء النفقات والقصد فيها وتشييد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والامصار المتسعة والهياكل المرتفعة واجازة الوفود من اشراف الامم ووجوه القبائل وبث المعروف في اهله هذا مع التوسعة على صنائعه وحاشيته في احوالهم بالمال والجاه واعتراض جنوده وادرار ارزاقهم وانصافهم في اعطياتهم لكل هلال حتى يظهر اثر ذلك عليهم في ملابسهم وشكتهم وشاراتهم يوم الزينة فيباهي بهم الدول المسالمة ويرهب الدول المحاربة وهذا الطور اخر اطوار الاستبداد من اصحاب الدولة لانهم في هذه الاطوار كلها مستقلون بارائهم بانون لعزهم موضحون الطرق لمن بعدهم الطور الرابع طور القنوع والمسالمة ويكون صاحب الدولة في هذا قانعا بما بنى اولوه سلما لانظاره من الملوك واقتاله مقلدا للماضين من سلفه فيتبع اثارهم حذو النعل بالنعل ويقتفي طرقهم باحسن مناهج الاقتداء ويرى ان في الخروج عن تقليدهم فساد امره وانهم ابصر بما بنوا

قانعا بما بنى

من حجب **الطور الخامس** طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور
متلفا لما جمع اولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته وفي مجالسه
واصطناع اخدان السوء وخضرا الدمن وتقليدهم عظيمات الامور التي لا يستقلون
بحملها ولا يعرفون ما ياتون وما يذرون منها مستفسدا لكبار الاولياء من قومه وصنايع
سلفه حتى يضطغنوا عليه ويتخاذلوا عن نصرته مضيعا من جنده بما انفق من اعطياتهم
في شهواته وحجب عنهم وجه مباشرته وتفقده فيكون مخربا لما كان سلفه يوسسون
وهادما لما كانوا يبنون وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم ويستولي عليها المرض
المزمن الذي لا يكاد تخلص منه ولا يكون لها منه برء الى ان تنقرض كما تبينه
في الاحوال التي نسردها والله خير الوارثين

## فصل في ان اثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها

والسبب في ذلك ان الاثار انما تحدث عن القوة التي بها كانت اولا وعلى قدرها
يكون الاثر فمن ذلك مباني الدولة وهياكلها العظيمة فانما تكون على نسبة قوة الدولة
في اصلها لانها لا تتم الا بكثرة الفعلة واجتماع الايدي على العمل والتعاون فيه
فاذا كانت الدولة عظيمة فسيحة الجوانب كثيرة الممالك والرعايا كان الفعلة
كثيرين جدا وحشروا من افاق الدولة واقطارها فتم العمل على اعظم هياكله الا ترى
الى مصانع قوم عاد وثمود وما قصه القران عنها وانظر بالمشاهدة ايوان كسرى وما اقتدر
فيه الفرس حتى انه عزم الرشيد على هدمه وتخريبه فتكاد عنه وشرع ثم ادركه العجز
وقصة استشارته يحيى بن خالد في شانه معروفة فانظر كيف تقتدر دولة على بناء
لا تستطيع اخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء في السهولة تعرف من ذلك بون
ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بني امية بقرطبة والقنطرة
التي على واديها وكذلك بناء الحنايا لجلب الماء الى قرطاجنة في القناة الراكبة
عليها واثار شرشال بالمغرب والاهرام بمصر وكثير من الاثار الماثلة للعيان
تعلم منه اختلاف الدول في القوة والضعف **واعلم** ان تلك
الافعال للاقدمين انما كانت بالهندام وباجتماع الفعلة وكثرة الايدي عليها
فبذلك شيدت تلك الهياكل والمصانع ولا تتوهم ما يتوهمه العامة ان ذلك
لعظم اجسام الاقدمين عن اجسامنا في اطرافها واقطارها فليس بين البشر
في ذلك كبير بون كما تجد بين الهياكل والاثار ولقد ولع القصاص بذلك وتغالوا
فيه وسطروا عن عاد وثمود والعمالقة والكنعانيين في ذلك اخبارا عريقة في الكذب
من اغربها ما يحكون عن عوج بن عناق رجل من الكنعانيين الذين قاتلهم بنو اسرائيل



الذين

بالشام زعموا انه لطوله يتناول السمك من البحر ويشويه في الشمس ويزيدون الى
جهلهم باحوال البشر الجهل باحوال الكواكب لما اعتقدوا ان للشمس حرارة وانها
شديدة فيما قرب منها ولا يعلمون ان الحر هو الضوء وان الضوء فيما قرب من الارض اكثر لانعكاس
الاشعة من سطح الارض بمقابلة الاضواء فتتضاعف الحرارة هنا لاجل ذلك واذا جاوزت
مطارح الاشعة المنعكسة فلا حر هنالك بل يكون فيه البرد حيث مجاري السحب وانما
الشمس في نفسها لا حارة ولا باردة انما هو جسم بسيط مضيء لا مزاج له وكذلك عوج ابن
عناق هو فيما ذكروه من الكنعانيين كانوا فريسة بني اسرائيل عند فتحهم الشام واطوال بني
اسرائيل وجسمانهم لذلك العهد قريب من هياكلنا يشهد لذلك ابواب بيت المقدس
فانها وان خربت وجددت لم تزل المحافظة على اشكالها ومقادير ابوابها وكيف يكون
التفاوت بين عوج وبين اهل عصره بهذا المقدار وانما مثار غلطهم في هذا انهم استعظموا
اثار الامم ولم يفهموا احال الدول في الاجتماع والتعاون وما يحصل بذلك وبالهندام
من الاثار العظيمة فصرفوه الى قوى الاجسام وشدتها بعظم هياكلها وليس الامر كذلك
**وقد** زعم المسعودي ونقله عن الفلاسفة مزعما لا مستند له الا التحكم وهو ان الطبيعة
التي هي جبلة للاجسام لما برا الله الخلق كانت في تمام الكرة ونهاية القوة والكمال
وكانت الاعمار اطول والاجسام اقوى لكمال تلك الطبيعة فان طرو الموت انما هو
بانحلال القوى الطبيعية فاذا كانت قوية كانت الاعمار ازيد فكان العالم في اولية نشاته
تام الاعمار كامل الاجسام ثم لم يزل يتناقص لنقصان المادة الى ان يبلغ هذه الحال
التي هو عليها ثم لا يزال يتناقص الى وقت الانحلال وانقراض العالم وهذا
راي لا وجه له الا التحكم كما تراه وليس له علة طبيعية ولا سبب برهاني ونحن نشاهد
مساكن الاولين وابوابهم وطرقهم فيما احدثوه من البنيان والهياكل والديار والمساكن
كديار ثمود المنحوتة في الصلد من الصخر بيوتا صغارا وابوابها ضيقة وقد اشار صلى الله
عليه وسلم الى انها ديارهم ونهى عن استعمال مياههم وطرح ما عجن به واهرق
وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم ما اصابهم
وكذلك ارض عاد ومصر والشام وساير بقاع الارض شرقا وغربا والحق ما قررناه
**ومن** اثار الدول ايضا حالها في الاعراس والولايم كما ذكرناه في وليمة بوران وصنيع
الحجاج وابن ذي النون وقد مر ذلك كله **ومن** اثارها ايضا عطايا الدول وانها
تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيها ولو اشرفت على الهرم لان الهمم التي لاهل الدولة تكون
على نسبة قوة ملكهم وغلبهم للناس والهمم لا تزال مصاحبة لهم الى انقراض الدولة
واعتبر ذلك بجوائز ابن ذي يزن لوفد قريش كيف اعطاهم من ارطال الذهب
والفضة والاعبد والوصايف عشرا عشرا ومن كرش العنبر واحدة واضعف
ذلك بعشرة امثاله لعبد المطلب وانما ملكه يومئذ قرارة اليمن خاصة تحت استبداد فارس

وانما حمله على ذلك همم نفسه بما كان لقومه التبابعة من الملك في الارض والغلب
على الامم في العراقين والهند والمغرب وكان الصنهاجيون ايضا بافريقية اذا اجازوا
الوفد من امراء زناتة الوافدين عليهم فانما يعطونهم المال احمالا والكسا تخوتا مملوءة
والحملان جنائب عديدة وفي تاريخ ابن الرقيق من ذلك اخبار كثيرة وكذلك كان عطاء
البرامكة وجوائزهم ونفقاتهم وكانوا اذا كسبوا معدما فانما هو الملك والولاية والنعمة
آخر الدهر لا العطا الذي يستنفد يوم او بعض يوم واخبارهم في ذلك كثيرة مسطورة
وهي كلها على نسبة الدول جارية وهذا جوهر الصقلي الكاتب قائد جيش العبيديين
لما ارتحل الى فتح مصر استعد من القيروان بالف حمل من المال ولا تنتهي اليوم دولة الى مثل
هذا **وكذلك** وجد بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل الى بيت
المال ببغداد ايام المامون من جميع النواحي ونقلته من كتاب جراب الدولة غلات السواد
سبعة وعشرون الف الف درهم مكررة مرتين وسبع ماية الف درهم وثمانون الف درهم
**ابواب المال** بالسواد اربعة عشر الف الف درهم مرتين وثمان ماية الف درهم مرة ومن
الحلل النجرانية مايتا حلة ثنتان ومن طين الختم مايتان واربعون رطلا **كسكر** احد عشر
الف الف درهم مرتين وستماية الف درهم مرة **كور دجلة** عشرون الف الف درهم
مرتين وثمان ماية الف درهم مرة **حلوان** اربعة الاف الف درهم مرتين وثمان ماية الف
درهم مرة **الاهواز** خمسة وعشرون الف الف درهم مرة ومن السكر ثلثون الف رطل **فارس**
سبعة وعشرون الف الف درهم مرتين ومن ماء الورد ثلثون الف قارورة ومن
الزيت الاسود عشرون الف رطل **كرمان** اربعة الاف الف درهم مرتين ومايتا الف
درهم مرة ومن المتاع اليماني خمس ماية ثوب ومن التمر عشرون الف رطل ومن الكمون
الف رطل **مكران** اربع ماية الف درهم مرة **السند** وما يليه احد عشر الف الف درهم
مرتين وخمس ماية الف درهم مرة ومن العود الهندي ماية وخمسون رطلا **سجستان**
اربعة الاف الف درهم مرتين ومن الثياب المعينة ثلثماية ثوب ومن الفانيذ عشرون
الف رطل **خراسان** ثمانية وعشرون الف الف درهم مرتين ومن نقر الفضة الفا نقرة
اثنان ومن البراذين اربعة الاف دابة ومن الرقيق الف راس ومن الثياب سبعة
وعشرون الف ثوب ومن الاهليلج ثلثة الاف رطل **جرجان** اثنا عشر الف الف
درهم مرتين ومن الابريسم الف شقة **قومس** الف الف درهم مرتين وخمسماية الف درهم
مرة ومن نقر الفضة الف **طبرستان** والرويان ونهاوند ستة الاف الف درهم
مرتين وثلثماية الف درهم مرة ومن الفرش الطبرية ستماية قطعة ومن الاكسية مايتان
ثنتان ومن الثياب خمسماية ثوب ومن المناديل ثلثماية ومن الجامات ثلثماية **الري**
اثنا عشر الف الف درهم مرتين ومن العسل عشرون الف رطل **همذان** احد عشر
الف الف درهم مرتين وثمان ماية الف درهم مرة ومن رب الرمانين الف رطل ومن

العسل

العسل اثنا عشر الف رطل **ما بين البصرة والكوفة** عشرة الاف الف درهم مرتين
وسبعماية الف درهم مرة **ماسبذان** والريان اربعة الاف الف درهم **شهرزور**
ستة الاف الف درهم مرتين **الموصل** وما اليها اربعة وعشرون الف الف درهم
مرتين ومن العسل الابيض عشرون الف رطل **اذربيجان** اربعة الاف
الف درهم مرتين **الجزيرة** وما يليها من اعمال الفرات اربعة وثلثون الف الف
درهم مرتين **الكرج** ثلثماية الف درهم مرة مرة **جيلان** خمسة الاف الف درهم مرتين
ومن الرقيق الف راس ومن العسل اثنا عشر الف زق ومن البزاة عشرة ومن
الاكسية عشرون **ارمينية** ثلثة عشر الف الف درهم مرتين ومن البسط
المحفورة عشرون ومن الرقم خمس ماية وثمانون رطلا ومن المالح السور ماهي
عشرة الاف رطل ومن الطرح عشرة الاف رطل ومن البغال مايتان ثنتان ومن
البزاة ثلثون **قنسرين** اربعماية الف دينار وعشرون الف دينار **الاردن**
ستة وتسعون الف دينار **فلسطين** ثلثماية الف دينار وعشرة الاف دينار
ومن الزيت ثلثماية الف رطل **مصر** الفا الف دينار اثنان مرتين وستماية الف
دينار وعشرون الف دينار **برقة** الف الف درهم مرتين **افريقية** ثلثة عشر
الف الف درهم مرتين ومن البسط ماية وعشرون **اليمن** ثلثماية الف دينار وسبعون
الف دينار سوى المتاع **الحجاز** ثلثماية الف دينار **واما الاندلس**
فالذي ذكره الثقات من مورخيها ان الناصر عبد الرحمن ثامن ملوك بني امية المتلقب
بلقب الخلافة ترك في بيوت امواله عند الوفاة خمسة الاف الف دينا مكررة مرتين
يكون جملتها بالقناطير خمسماية قنطار **ورايت** في بعض تواريخ
الرشيد ان المحمول الى بيت المال في ايامه سبعة الاف قنطار من دنانير الذهب
وخمسماية قنطار في كل سنة **واما دولة العبيديين** فرايت في تاريخ
ابن خلكان عند ما ذكر الافضل امير الجيوش بن بدر الجمالي المستبد على خلفائهم بمصر
انه لما قتل وجد في خزانته ستماية الف الف دينار مكررة مرتين ومايتان وخمسون
اردبا من الدراهم وما يناسب ذلك من ذخائر الفصوص واللالي والاقمشة والامتعة
والمراكب والحمولة **واما** من الدول الحادثة التي ادركناها فاعظمها دولة الترك
بمصر وكان استيحا لها ايام الناصر محمد بن قلاون منهم وغلب عليه اولا دولته الاميران
بيبرس وسلار ثم خلعه بيبرس واستبد بكرسيه وسلار رديف له ثم
انتزع الناصر الملك من يده ونكب بعد مدة رديفه سلار واستصفى ذخيرته ف
فوقفت على جريدة احصايها ومنها نقلت من الياقوت البهرماني والبلخش
اربعة ارطال ونصف ومن الزمرد تسعة عشر رطلا ومن فصوص ماس وعين هر
ثلثماية قطعة كبار ومن الفصوص المختلفة رطلان ومن اللولو المدور من زنة مثقال

الى جبة الف ومائة وخمسون حبة ومن الذهب العين الف الف دينار مكررة مرتين والعمائر
القدرة وفسقية مملوة بالذهب صبيبا واكياس مملوة ذهبا استخرجت من بين
حايطين ولم يعلم عددها ومن الدراهم الف الف اثنان مكررة مرتين وواحد وسبعون الفا
ومن الحلى المصاغ اربعة قناطير الى ما يناسب ذلك من الاقمشة والامتعة والمراكب
والظهر والغلال والسائمة والمماليك والجوار والعقار **وبعدها** دولة بني مرين
بالمغرب الاقصى ووقفت على جريدة في خزانة ملوكهم بخط صاحب المال عندهم حسون
ابن البواق ان مخلف السلطان ابي سعيد ببيت ماله سبع مائة قنطار ونيف من
دنانير الذهب وفي موجوده ما سوى ذلك ما يناسبه وكان للسلطان ابي الحسن ابنه
ما يعد اكثر من ذلك ولما استولى على تلمسان وجد في ذخاير سلطانها ابي تاشفين
من ملوك بني عبد الواد ثلث ماية قنطار ونيف من الذهب ما بين مسكوك ومصوغ الى
ما يناسب ذلك ما سواه **واما** ملوك افريقية من بقية الموحدين فادركت السلطان
ابا بكر تاسع ملوكهم وقد نكب قايد وابا بكر عساكره محمد بن الحكيم فاستصفى منه اربعين
قنطارا من دنانير الذهب وعدد من الفصوص واللالي ونهب من فرش بيوته قريب من
ذلك الى ما يناسب ذلك من ساير المتملكات **وحضرت** بمصر ايام الملك الظاهر
ابي سعيد برقوق وقد نكب استدار الامير محمود وصادره فاخبرني متولي
مصادرته ان مبلغ ما استصفى منه من الذهب الف الف دينار مكررة مرتين وثمانية
الف دينار مرة واما ما سوى ذلك من الاقمشة والمراكب والانعام والغلال والظهر
فعلى نسبة ذلك **فاعتبر** ذلك في نسب الدول بعضها من بعض ولا تنكرن
ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شي من امثاله فتضيق حوصلتك عن ملتقط
الممكنات فكثير من الخواص اذا سمعوا امثال هذه الاخبار عن الدول السالفة بادر
بالانكار وليس ذلك من الصواب فان احوال الوجود والعمران متفاوتة ومن ادرك
منها رتبة سفلى او وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن اذا اعتبرنا ما ينقل
لنا عن دولة بني العباس وبني امية والعبيديين وناسبنا الصحيح من ذلك
والذي لا نشك فيه بالذي نشاهده من هذه الدول التي هي اقل بالنسبة اليها وجدنا
بينها بونا وهو لما بينها من التفاوت في اصل قوتها وعمران ممالكها فالاثار
كلها جارية على نسبة الاصل في القوة كما قدمناه ولا يسعنا انكار ذلك عنها
اذ كثير من هذه الاحوال في غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمستفيض
والمتواتر وفيها المعاين والمشاهد من اثار البناء وغيره فخذ من الاحوال المنقولة
مراتب الدول في قوتها او ضعفها وضخامتها او صغرها واعتبر ذلك بما نقصه
عليك من هذه الحكاية المستطرفة وذلك انه ورد على المغرب لعهد السلطان
ابي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان رحل

منذ



واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروز جوه

من سفره

منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة
دلي حاضرة ملك الهند ~~واتصل بملكها لذلك العهد~~ وهو السلطان محمد شاه وكان
له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب
واتصل بالسلطان ابي عنان وكان يحدث عن شان رحلته وما راى من العجايب
بممالك الارض واكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من احواله بما يستغرب
السامعون مثل ان ملك الهند اذا خرج للسفر احصى اهل مدينته من الرجال والنساء
والولدان وفرض لهم رزق ستة اشهر تدفع لهم من عطائه وانه عند رجوعه يدخل في يوم
مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب امامه في ذلك
الحفل منجنيقات على الظهر يرمى بها شكائر الدراهم والدنانير على الناس الى ان
يدخل ايوانه وامثال هذه الحكايات فتناجى الناس في الدولة بتكذيبه ولقيت
انا يومئذ في بعض الايام وزير السلطان فارس بن وردار البعيد الصيت
ففاوضته في هذا الشان واريته انكار اخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس
من تكذيبه فقال لي الوزير فارس اياك ان تستنكر مثل هذا من احوال الدول بما انك
لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك ان وزيرا اعتقله سلطانه ومكث في
السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك المحبس فلما ادرك وعقل سال عن اللحمان
التي كان يتغذى بها فاذا قال له ابوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصفها له ابوه
بشياتها ونعوتها فيقول يا ابت تراها مثل الفار فينكر عليه ويقول اين الغنم من
الفار وكذا في لحم البقر والابل اذ لم يعاين في محبسه الا الفار فيحسبها كلها ابناء
جنس الفار وهذا كثيرا ما يعتري الناس في الاخبار كما يعتريهم الوسواس في الزيادة
عند قصد الاغراب كما قدمناه اول الكتاب فليرجع الانسان الى اصوله وليكن مهيمنا
على نفسه ومميزا بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق
الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه
اوسع شي فلا يفرض حدا بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادة التي للشي
فاذا نظرنا اصل الشي وجنسه وصنفه ومقدار عظمه وقوته اجرينا الحكم من نسبة
ذلك على احواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج عن نطاقه وقل رب زدني علما

## فصل في استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبيته بالموالي والمصطنعين

اعلم ان صاحب الدولة انما يتم امره كما قلناه بقومه فهم عصابته وظهراؤه على شانه
وبهم يقارع الخوارج على دولته ومنهم يقلد اعمال مملكته ووزارة دولته وجباية
امواله لانهم اعوانه على الغلب وشركاؤه في الامر ومساهموه في ساير مهماته
هذا ما دام الطور الاول للدولة كما قلناه فاذا جاء الطور الثاني وظهر الاستبداد عنهم

والانفراد بالمجد ومدافعتهم عنه بالراح صاروا في حقيقة الامر من بعض اعدايه واحتاج
في مدافعتهم عن الامر وصدهم عن المشاركة الى اوليا اخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم
عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون اقرب اليه من سايرهم واخص به قربا واصطناعا
واولى ايثارا وجاها لما انهم يستميتون دونه في مدافعة قومه عن الامر الذي كان لهم
والرتبة التي الفوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب الدولة حينيذ ويخصهم بمزيد
التكرمة والايثار ويقسم لهم ما للكثير من قومه ويقلدهم جليل الاعمال والولايات
من الوزارة والقيادة والجباية وما يختص به لنفسه ويكون خالصة له دون قومه من
الالقاب الملكية لانهم حينيذ اولياوه الاقربون ونصحاوه المخلصون وذلك حينيذ
موذن باهتضام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها لفساد العصبية التي كان
بنا الغلب عليها ومرض قلوب اهل الدولة حينيذ من الامتهان وعداوة السلطان
فيضطغنون عليه ويتربصون به الدواير ويعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع في
برءها من هذا الدا لانه ما مضى يتاكد في الاعقاب الى ان يذهب رسمها واعتبر ذلك في
دولة بني امية كيف كانوا يستظهرون في حروبهم وولاية اعمالهم برجال العرب مثل
عمرو ابن سعد بن ابي وقاص وعبيد الله بن زياد بن ابي سفيان والحجاج بن يوسف
والمهلب بن ابي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابن هبيرة وموسى بن نصير وبلال ابن
ابي بردة بن ابي موسى الاشعري ونصر بن سيار وامثالهم من رجالات العرب وكذا صدرا
من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها ايضا برجالات العرب فلما صارت الدولة
للانفراد بالمجد وكبح العرب عن التطاول للولايات صارت الوزارة للعجم والصنايع من
البرامكة وبني سهل بن نوبخت وبني طاهر ثم بني بويه وموالي الترك مثل بغا ووصيف
واتامش وباكباك وابن طولون وابنايهم وغير هولا من موالي العجم فتصير الدولة لغير
من مهدها والعز لغير من اجتلبه سنة الله في عباده

## فصل في احوال الموالي والمصطنعين في الدول

اعلم ان المصطنعين في الدول يتفاوتون في الدولة بتفاوت قديمهم وحديثهم
في الالتحام بصاحبها والسبب في ذلك ان المقصود في العصبية من المدافعة والمغالبة
انما يتم بالنسب لاجل التناصر في ذوي الارحام والقربى والتخاذل في الاجانب
والبعدا كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق او بالحلف تتنزل منزلة ذلك لان امر
النسب وان كان طبيعيا فانما هو وهمي والمعنى الذي كان به الالتحام انما هو العشرة
والمدافعة وطول الممارسة والصحبة بالمربا والرضاع وساير احوال الموت والحياة
واذا حصل الالتحام بذلك جات النعرة والتناصر وهذا مشاهد بين الناس
واعتبر مثله في الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن اصطنعه نسبة خاصة

من



من الوصلة تتنزل هذه المنزلة وتوكد اللحمة وان لم يكن نسب فثمرات النسب موجودة
فاذا كانت الولاية بين القبيل وبين اوليايهم قبل حصول الملك لهم كانت عروقها اوشج
وعقايدها اصح ونسبها اصرح لوجهين احدهما انهم قبل الملك اسوة في حالهم فلا
يتميز النسب عن الولاية الا عند الاقل منهم فيتنزلون منهم منزلة ذوي قرباهم واهل
ارحامهم واذا اصطنعوهم بعد الملك كانت مرتبة الملك مميزة للسيد عن المولى
ولاهل القرابة عن اهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه احوال الرياسة والملك من تميز
الرتب وتفاوتها فتتميز حالاتهم ويتنزلون منزلة الاجانب ويكون الالتحام بينهم ضعيفا
والتناصر لذلك ابعد وذلك انقص من الاصطناع قبل الملك الوجه الثاني ان
الاصطناع قبل الملك يبعد امده عن الدولة بطول الزمن ويخفى شان تلك اللحمة
ويظن بها في الاكثر النسب فيقوى حال العصبية واما بعد الملك فيقرب العهد
ويستوي في معرفته الاكثر فتتبين اللحمة وتتميز عن النسب فتضعف العصبية بالنسبة
الى الولاية التي كانت قبل الدولة واعتبر ذلك في الدول والرياسات تجد فكل من كان
اصطناعه قبل حصول الرياسة والملك لمصطنعه اشد التحاما واقرب قرابة اليه
ويتنزل منه منزلة ابنايه واخوانه وذوي رحمه ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك
او الرياسة لمصطنعه لا يكون له من القرابة واللحمة ما للاولين وهذا مشاهد بالعيان
حتى ان الدولة في اخر امرها ترجع الى استعمال الاجانب واصطناعهم ولا يبني لهم
مجد كما بناه المصطنعون قبل الدولة لقرب العهد حينيذ باوليتهم واشراف الدولة
على الانقراض فيكونون منحطين في مهاوي الضعة وانما يحمل صاحب الدولة على
اصطناعهم والعدول اليهم عن اوليايها الاقدمين وصنايعها الاولين ما يعتريهم في
انفسهم من العزة على صاحب الدولة وقلة الخضوع له ونظره بما ينظره به قبيله
واهل نسبه لتاكد اللحمة منذ العصور المتطاولة بالمربى والاتصال باباية وسلف
قومه والانتظام مع كبرا اهل بيته فيحصل لهم بذلك دالة عليه واعتزاز فينافرهم
بسببها صاحب الدولة ويعدل عنهم الى استعمال سواهم ويكون عهد استخلاصهم
واصطناعهم قريبا فلا يبلغون رتب المجد ويبقون على حالهم من الخارجية وهذا
شان الدول في اواخرها واكثر ما يطلق اسم الصنايع والاوليا على الاولين واما
هولا المحدثون فخدم واعوان والله ولي المومنين

## فصل فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه

اذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القبيل القايمين بالدولة وانفردوا
به ودفعوا ساير القبيل عنه وتداوله بنوهم واحدا بعد واحد بحسب الترشيح
فربما حدث التغلب على المنصب من وزرايهم وحاشيتهم وسببه في الاكثر ولاية

صبي صغير او مضعف من اهل المنبت يترشح للولاية بعهد ابيه او بترشيح ذويه وخوله
ويونس منه العجز عن القيام بالملك فيقوم به كافله من وزراء ابيه او حاشيته
ومواليه او قبيله ويوري بحفظ امره عليه حتى يونس منه الاستبداد ويجعل ذلك
ذريعة للملك فيحجب الصبي عن الناس ويعوده اللذات التي يدعوه اليها ترف احواله
ويسيمه في مراعيها متى امكنه وينسيه النظر في الامور السلطانية حتى يستبد عليه
وهو بما عوده يعتقد ان حظ السلطان من الملك انما هو جلوس السرير واعطا الصفقة
وخطاب التهويل والقعود مع النساء خلف الحجاب وان الحل والعقد والامر والنهي
ومباشرة الاحوال الملوكية وتفقدها من النظر في الجيش والمال والثغور انما هو للوزير
ويسلم له في ذلك الى ان تستحكم له صبغة الرياسة والاستبداد ويتحول الملك اليه
ويوثر به عشيرته وابناه من بعده كما وقع لبني بويه والترك وكافور الاخشيدي وغيرهم
بالمشرق وللمنصور بن ابي عامر بالاندلس وقد يتفطن ذلك المحجور المغلب لشانه فيحاول
على الخروج من ربقة الحجر والاستبداد ويرجع الملك الى نصابه ويضرب على يد المتغلب
عليه اما بقتل او برفع عن الرتبة فقط الا ان ذلك في النادر الاقل لان الدولة اذا
اخذت في تغلب الوزرا والاوليا استمر لها ذلك وقل ان تخرج عنه لان ذلك انما يوجد
في الاكثر عن احوال الترف ونشاة ابنا الملك منغمسين في نعيمه قد نسوا عهد
الرجولية والفوا اخلاق الدايات والاظار وربوا عليها فلا ينزعون الى رياسة
ولا يعرفون استبدادا من تغلب انما همهم القنوع بالابهة والتفنن في اللذات
وانواع الترف وهذا التغلب يكون للموالي والمصطنعين عند استبداد عشير
الملك على قومهم وانفرادهم به دونهم وهو عارض للدولة ضروري كما قدمناه وهذان
مرضان لا برء للدولة منهما الا في الاقل النادر والله يوتي ملكه من يشاء

## فصل في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك

وذلك ان الملك والسلطان حصل لاوليه منذ اول الدولة بعصبية قومه وعصبيته
التي استتبعتهم حتى استحكمت له ولقومه صبغة الملك والغلب وهي لم تزل
باقية وبها انحفظ رسم الدولة وبقاوها وهذا المتغلب وان كان صاحب عصبية
من قبيل الملك او الموالي والصنايع فعصبيته مندرجة في عصبية اهل الملك
وتابعة لها وليس له صبغة في الملك وهو لا يحاول باستبداده انتزاع
الملك ظاهرا وانما يحاول انتزاع ثمراته من الامر والنهي والحل والعقد
والابرام والنقض يوهم بذلك اهل الدولة انه متصرف عن سلطانه منفذ في
ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجافى عن سمات الملك وشاراته والقابه جهده
ويبعد نفسه عن التهمة بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستتر في

استبداده

استبداده ذلك بالحجاب الذي ضربه السلطان واولوه على انفسهم من القبيل منذ اول
الدولة ومغالط عنه بالنيابة ولو تعرض لشي من ذلك لنفسه عليه اهل العصبية وقبيل
الملك وحاولوا الاستيثار به دونه لانه لم تستحكم له صبغة في ذلك تحملهم على التسليم له
والانقياد فيهلك لاول وهلة وقد وقع مثل هذا لعبد الرحمن بن المنصور بن ابي عامر حين
سما الى مشاركة هشام واهل بيته في لقب الخلافة ولم يقنع بما قنع ابوه واخوه من
الاستبداد بالحل والعقد والمراسم التابعة فطلب من هشام خليفته ان يعهد له بالخلافة
فنقم ذلك عليه بنو مروان وساير قريش وبايعوا لابن عم الخليفة هشام محمد بن عبد الجبار
ابن الناصر وخرجوا عليهم وكان في ذلك خراب دولة العامريين وهلاك المويد خليفتهم
واستبدل منه بسواه من اعياص الدولة الى اخرها واختلت مراسم ملكهم والله خير الوارثين

## فصل في حقيقة الملك واصنافه

الملك منصب طبيعي للانسان لانا قد بينا ان البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم
الا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروراتهم واذا اجتمعوا دعت الضرورة
الى المعاملة واقتضا الحاجات ومد كل واحد منهم يده الى حاجته ياخذها لما في
الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويمانعه الاخر عنها
بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع
المفضي الى المقاتلة وهي تودي الى الهرج وسفك الدما واذهاب النفوس المفضي
ذلك الى انقطاع النوع وهو مما خصه الباري تعالى بالمحافظة فاستحال بقاوهم
فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من اجل ذلك الى الوازع وهو الحاكم
عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ولا بد في ذلك من
العصبية لما قدمناه من ان المطالبات كلها والمدافعات لا تتم الا بالعصبية
وهذا الملك كما تراه منصب شريف تتوجه نحوه المطالبات ويحتاج الى المدافعات
ولا يتم شي من ذلك الا بالعصبيات كما مر والعصبيات متفاوتة وكل عصبية
فلها تحكم وتغلب على من يليها من قومها وعشيرها وليس الملك لكل عصبية وانما
الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويجبي الاموال ويبعث البعوث ويحمي
الثغور ولا يكون فوق يده يد قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور
فمن قصرت به عصبيته عن بعضها مثل حماية الثغور او جباية الاموال او بعث
البعوث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير من ملوك البربر في دولة الاغالبة
بالقيروان ولملوك العجم صدر الدولة العباسية ومن قصرت به عصبيته ايضا
عن الاستعلا على جميع العصبيات والضرب على ساير الايدي وكان فوقه حكم غيره
فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته وهولا مثل امرا النواحي ورؤسا الجهات

الذين تجمعهم دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدول المتسعة النطاق اعني يوجد ملوك
على قومهم في النواحي والقاصية يدينون بطاعة الدولة التي جمعتهم مثل صنهاجة
مع العبيديين وزناتة مع الامويين تارة والعبيديين اخرى ومثل ملوك العجم في دولة
بني العباس ومثل امرا البربر وملوكهم مع الافرنجة قبل الاسلام ومثل ملوك الطوايف
من الفرس مع الاسكندر وقومه اليونانيين وكثير من هولا فاعتبره تجده والله القاهر فوق عباده

## فصل في ان ارهاف الحد مضر بالملك ومفسد له في الاكثر

اعلم ان مصلحة السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله او ملاحة وجهه او عظم
جثمانه او اتساع علمه او جودة خطه او ثقوب ذهنه انما مصلحتهم فيه من حيث اضافته
اليهم فان الملك والسلطان من الامور الاضافية وهي نسبة بين منتسبين فحقيقة
السلطان انه المالك للرعية القايم بامورهم عليهم فالسلطان من له رعية والرعية من لها
سلطان والصفة التي له من حيث اضافته اليهم هي التي تسمى الملكة وهي كونه
يملكهم فاذا كانت هذه الملكة وتوابعها بمكان من الجودة حصل المقصود من السلطان
على اتم الوجوه فانها ان كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم وان كانت سيئة
متعسفة كان ذلك ضررا عليهم وهلاكا لهم ويعود حسن الملكة الى الرفق فان الملك
اذا كان قاهرا باطشا بالعقوبات منقبا عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم شملهم
الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلقوا بها وفسدت بصايرهم
واخلاقهم وربما خذلوه في مواطن الحروب والمدافعات ففسدت الحماية بفساد
النيات وربما اجمعوا قتله لذلك فتفسد الدولة ويخرب السياج وان دام امره
عليهم وقهره فسدت العصبية بما قلناه اولا وفسد السياج من اصله بالعجز عن الحماية
واذا كان رفيقا بهم متجاوزا عن سياتهم استناموا اليه ولاذوا به واشربوا محبته
واستماتوا دونه في محاربة اعدايه فاستقام الامر من كل جانب واما توابع حسن
الملكة فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك
واما النعمة عليهم والاحسان لهم فمن جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي اصل
كبير في التحبب الى الرعية واعلم انه قل ما تكون ملكة الرفق فيمن يكون يقظا
شديد الذكا من الناس واكثر ما يوجد الرفق في الغفل او المتغفل واقل ما في
اليقظ انه يكلف الرعية فوق طوقهم لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم واطلاعه
على عواقب الامور في مباديها بالمعية فيهلكون لذلك قال صلى الله عليه وسلم سيروا
على سير اضعفكم ومن هذا الباب اشترط الشارع في الحاكم قلة الذكا ومأخذه
من قصة زياد بن ابي سفيان لما عزله عمر عن العراق وقال لم عزلتني يا امير المومنين
العجز ام الخيانة فقال عمر لم اعزلك لواحدة منهما ولكني كرهت ان احمل فضل

عنك

عقلك على الناس فاخذ من هذا ان الحاكم لا يكون مفرط الذكا والكيس مثل زياد ابن
ابي سفيان وعمرو بن العاص لما يتبع ذلك من التعسف وسو الملكة وحمل الوجود
على ما ليس في طبيعته كما ياتي في اخر هذا الكتاب والله خير المالكين وتقرر من هذا
ان الكيس والذكا عيب في صاحب السياسة لانه افراط في الفكر كما ان البلادة افراط
في الجمود والطرفان مذمومان من كل صفة انسانية والمحمود هو التوسط كما في الكرم مع
التبذير والبخل وكما في الشجاعة مع الهوج والجبن وغير ذلك من الصفات الانسانية ولهذا
يوصف الشديد الكيس بصفات الشيطان فيقال شيطان ومتشيطن وامثال ذلك والله يخلق ما يشا

## فصل في معنى الخلافة والامامة

لما كانت حقيقة الملك انه الاجتماع الضروري للبشر ومقتضاه التغلب والقهر
اللذان هما من اثار الغضب والحيوانية كانت احكام صاحبه في الغالب جايرة
عن الحق مجحفة بمن تحت يده من الخلق في احوال دنياهم لحمله اياهم في الغالب على
ما ليس في طوقهم من اغراضه وشهواته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف
والسلف منهم فتعسر طاعته لذلك وتجي العصبية المفضية الى الهرج والقتل
فوجب ان يرجع في ذلك الى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون
الى احكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الامم واذا خلت الدولة من مثل هذه
السياسة لم يستتب امرها ولا يتم استيلاوها سنة الله في الذين خلوا من قبل
فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلا واكابر الدولة وبصرايها كانت
سياسة عقلية نافعة في الحيوة الدنيا والاخرة وذلك ان الخلق ليس المقصود
بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث وباطل اذ غايتها الموت والفنا والله تعالى يقول
افحسبتم انما خلقناكم عبثا فالمقصود بهم انما هو دينهم المفضي بهم الى السعادة في
اخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض فجاءت الشرايع بحملهم على ذلك
في جميع احوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع
الانساني فاجرته على منهاج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشرع فما كان منه
بمقتضى القهر والتغلب واهمال القوة الغضبية في مرعاها فجور وعدوان ومذموم
عنده كما هو مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه بمقتضى السياسة واحكامها
من غير نظر الشرع فمذموم ايضا لانه نظر بغير نور الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من
نور لان الشارع اعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من امور اخرتهم
واعمال البشر كلها عايدة عليهم في معادهم من ملك او غيره قال صلى الله عليه وسلم
انما هي اعمالكم ترد عليكم واحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح اخرتهم

فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الاحكام الشرعية في احوال دنياهم واخرتهم وكان
هذا الحكم لاهل الشريعة وهم الانبياء ومن قام مقامهم وهم الخلفاء فقد تبين لك من
ذلك معنى الخلافة وان الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة
والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح
الدنيوية ودفع المضار والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم
الاخروية والدنيوية الراجعة اليها اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى
اعتبارها بمصالح الاخرة فهي في الحقيقة نيابة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة
الدنيا به فافهم ذلك واعتبره فيما نورده عليك من بعد والله الحكيم العليم

## فصل في اختلاف الامة في حكم الخلافة وشروطها

واذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وانه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين
وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وامامة والقائم به خليفة واماما وسماه المتاخرون
سلطانا حين فشا التعدد فيه واضطروا بالتباعد وفقدان شروط المنصب الى
عقد البيعة لكل متغلب فاما تسميته اماما فتشبيها بامام الصلاة في اتباعه والاقتداء به
ولهذا يقال الامامة الكبرى واما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في امته فيقال
خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلف في تسميته خليفة الله فاجازه بعضهم
اقتباسا من الخلافة العامة التي للادميين في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة
وقوله جعلكم خلائف الارض ومنع الجمهور منه لان معنى الاية ليس عليه
وقد نهى ابو بكر لما دعي به وقال لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله ولان
الاستخلاف انما هو في حق الغائب واما الحاضر فلا ثم ان نصب الامام واجب
قد عرف وجوبه من الشرع باجماع الصحابة والتابعين لان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم بادروا الى بيعة ابي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر اليه في امورهم عنه وفاته هو
وكذا في كل عصر من بعد ذلك ولم يترك الناس فوضى في عصر من الاعصار واستقر
ذلك اجماعا دالا على وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الى ان
مدرك وجوبه العقل وان الاجماع الذي وقع انما هو قضاء بحكم العقل فيه
قالوا وانما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين
ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الاغراض فما لم يكن الحاكم الوازع افضى
ذلك الى الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع ان حفظ النوع من مقاصد
الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذي لحظه الحكماء في وجوب النبوات
في البشر وقد نبهنا على فساده وان احدى مقدماته ان الوازع انما يكون بشرع
من الله تسلم له الكافة تسليم ايمان واعتقاد وهو غير مسلم لان الوازع قد يكون بسطوة

الملك وقهر

وقهر اهل الشوكة ولو لم يكن شرع كما في امم المجوس وغيرهم ممن ليس له كتاب او لم تبلغه
الدعوة او نقول يكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم الظلم عليه بحكم
العقل فادعاؤهم ان ارتفاع النزاع انما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الامام
هنا غير صحيح بل كما يكون بنصب الامام يكون بوجود الرؤساء اهل الشوكة او بامتناع
الناس عن التنازع والتظالم فلا ينهض دليلهم العقلي المبني على هذه المقدمة
فدل على ان مدرك وجوبه انما هو بالشرع وهو الاجماع الذي قدمناه وقد شذ
بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا المنصب راسا لا بالعقل ولا بالشرع
منهم الاصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب عند هؤلاء امضاء
احكام الشرع فاذا تواطات الامة على العدل وتنفيذ احكام الله لم يحتج الى
امام ولا يجب نصبه وهؤلاء محجوجون بالاجماع والذي حملهم على هذا المذهب
انما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدنيا لما
راوا الشريعة ممتلئة بذم ذلك والنعي على اهله ومرغبة في رفضه واعلم ان
الشرع لم يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به وانما ذم المفاسد الناشئة عنه من القهر
والظلم والتمتع باللذات ولا شك في ان في هذه مفاسد محظورة وهي من توابعه كما اثنى
على العدل والنصفة واقامة مراسم الدين والذب عنه واوجب بازائها الثواب
وهي كلها من توابع الملك فاذن انما وقع الذم للملك على صفة وحال دون حال ولم يذمه
لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما
بالكلية لدعاية الضرورة اليهما وانما المراد تصريفهما على مقتضى الحق وقد كان لداود
وسليمان صلوات الله عليهما الملك الذي لم يكن لغيرهما وهما من انبياء الله واكرم الخلق
عنده ثم نقول لهم ان هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا المنصب لا يغنيكم
شيئا فانكم موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصبية
والشوكة والعصبية مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك ولو لم ينصب
امام وهو عين ما فررتم عنه واذا تقرر ان هذا المنصب واجب بالاجماع فهو من
فروض الكفاية وراجع الى اختيار اهل الحل والعقد فيتعين عليهم نصبه
ويجب على الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر
منكم ولا يجوز عقد هذا المنصب لاثنين معا وعليه جمهور العلماء وقوفا مع ظواهر
الاحاديث التي دلت على ذلك في صحيح مسلم في كتاب الامارة منه وذهب
قوم الى ان ذلك انما هو في البلد الواحد او في حال تقاربهما واما عند التباعد
وقصور الامام عن البلدان سمع فيجوز نصب اخر هناك للقيام بالمصالح ومن
الذاهبين الى ذلك الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني شيخ المتكلمين
ومال اليه امام الحرمين في كتاب الارشاد وربما يظهر من اراء الاندلسيين والمغاربة

بالجنوح الى ذلك فقد كان العلما بالاندلس متوافرين وما بايعوا لبني امية ولقبوا الناصر
عبد الرحمن منهم وابناءه بامير المومنين التي هي سمة الخلافة كما ياتي وكذا الموحدون
بعدهم بالمغرب وقد رد بعضهم ذلك بالاجماع وهو غير ظاهر اذ لو كان هناك
اجماع لم يخالفه الاستاذ ابو اسحاق ولا امام الحرمين فهما اقعد بمعرفة الاجماع ثم رد
على الامام المازري والنووي وغيرهما مع ظواهر الاحاديث كما قلناه وربما احتج لذلك
بعض المتاخرين بدليل التمانع الذي في التنزيل وهو قوله تعالى لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا ولا ينهض الاستدلال على ذلك بالآية الكريمة لان دلالتها عقلية
نبهنا الله عليها ليحصل لنا التوحيد الذي امرنا باعتقاده بدليل عقلي فيكون ارجح
ومطلوبنا في باب الامامة المنع من نصب امامين وهو شرعي تكليفي فلا يتم الاستدلال بها
الا ان يقررها شرعية بزيادة مقدمة اخرى وهي ان التعدد ينشا عنه الفساد ونحن
ممنوعون مما يجر اليه ويصير الاستدلال بها حينئذ شرعيا والله اعلم واما
شروط هذا المنصب فهي اربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والاعضا
عما يوثر في الراي والعمل واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي فاما اشتراط
العلم فظاهر لانه انما يكون منفذا لاحكام الله اذا كان عالما وما لم يعلمها لا يصح تقديمه
لها ولا يكفي من العلم الا ان يكون مجتهدا لان التقليد نقص والامامة تستدعي الكمال
في الاوصاف والاحوال واما العدالة فلانه منصب ديني ينظر في ساير المناصب
التي هي شرط فيها فكان اولى باشتراطها فيه ولا خلاف في انتفا العدالة فيه
بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وامثالها وفي انتفايها بالبدع الاعتقادية
خلاف واما الكفاية فهو ان يكون جريا على اقامة الحدود واقتحام الحروب
بصيرا بها كفيلا بحمل الناس عليها عارفا بالعصبية واحوال الدها قويا على
معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو
واقامة الاحكام وسياسة الدنيا وتدبير المصالح واما سلامة الحواس والاعضا
من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس وما يوثر فقده من الاعضا
في العمل كفقد اليدين والرجلين والانثيين فتشترط السلامة منها كلها لتاثير
ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل اليه وان كان انما يشين في المنظر فقط
كفقد احدى هذه الاعضا فشرط السلامة منه شرط كمال ويلحق بفقد الا
الاعضا المنع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه في اشتراط السلامة
منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن التصرف جملة بالاسر وشبهه وضرب لا يلحق
بهذه وهو الحجر باستيلا بعض اعوانه عليه من غير عصيان ولا مشاقة فينتقل
النظر في حال هذا المستولي فان جرى على حكم الدين والعدل وحميد السياسة جاز اقراره والا
استنصر المسلمون بمن يقبض يده عن ذلك ويدفع علته حتى ينفذ فعل الخليفة

واما

واما النسب القرشي فلاجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحتجت قريش
على الانصار لما هموا يوميذ ببيعة سعد بن عبادة وقالوا منا امير ومنكم امير بقوله
صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش وبان النبي صلى الله عليه وسلم اوصانا بان
نحسن الى محسنكم ونتجاوز عن مسيكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم
فحجوا الانصار ورجعوا عن قولهم منا امير ومنكم امير وعدلوا عما كانوا هموا به
من بيعة سعد لذلك وثبت ايضا في الصحيح لا يزال هذا الامر في هذا الحي من قريش
وامثال هذه الادلة كثيرة الا انه لما ضعف امر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من
الترف والنعيم وبما انفقتهم الدولة في ساير اقطار الارض عجزوا لذلك عن حمل الخلافة
وتغلبت عليهم الاعاجم وصار الحل والعقد لهم فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى
ذهبوا الى نفي اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم
اسمعوا واطيعوا وان ولي عليكم عبد حبشي ذو زبيبة وهذا لا تقوم به حجة في ذلك فانه
خرج مخرج التمثيل والفرض للمبالغة في ايجاب السمع والطاعة ومثل قول عمر لو كان
سالم مولى حذيفة حيا لوليته لما داخلني فيه الظنة وهو ايضا لا يفيد ذلك لما علمت
ان مذهب الصحابي ليس بحجة وايضا فمولى القوم منهم وعصبية الولا حاصلة لسالم
من قريش وهي الفايدة في اشتراط النسب ولما استعظم عمر امر الخلافة وراى شروطها
كانها مفقودة في ظنه عدل الى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من الولا المفيد
للعصبية كما نذكر ولم يبق الا صراحة النسب فراه غير محتاج اليه اذ الفايدة في
النسب انما هي العصبية وهي حاصلة من الولا وكان ذلك حرصا من عمر على النظر
للمسلمين وتقليد امرهم لمن لا تلحقه به لايمة ولا عليه فيه عهدة ومن القايلين بنفي
اشتراط القرشية القاضي ابو بكر الباقلاني لما ادرك عليه عصبية قريش من التلاشي
والاضمحلال واستبداد ملوك العجم على الخلفا فاسقط شرط القرشية وان كان موافقا
لراي الخوارج لما راى عليه حال الخلفا لعهده وبقي الجمهور على القول باشتراطها وصحة
الامامة للقرشي ولو كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين ورد عليهم سقوط
شرط الكفاية التي بها يقوى على امره لانه اذا ذهبت الشوكة بذهاب العصبية فقد
ذهبت الكفاية واذا وقع الاخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك ايضا الى العلم والدين
وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف الاجماع ولنتكلم
الان في حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب في هذه المذاهب فنقول ان الاحكام
الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لاجلها ونحن اذا بحثنا عن
الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم نقتصر فيه على التبرك
بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور وان كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك
بها حاصلا لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد اذن من مصلحة في اشتراط

النسب هي المقصودة في مشروعيته واذا سبرنا وقسمنا لم نجدها الا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن اليه الملة واهلها وينتظم حبل الالفة فيها وذلك ان قريشا كانوا عصبة مضر واصلهم واهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعرفون لهم بذلك ويستكينون لغلبهم فلو جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر ان يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكرة فتتفرق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قريش لانهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب الى ما يراد منهم فلا يخشى من احد خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم اهل العصبية القوية ليكون ابلغ في انتظام الملة واتفاق الجماعة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر اجمع فاذعن لهم سائر العرب وانقادت الامم سواهم الى احكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في ايام الفتوحات واستمر بعدها في الدولتين الى ان اضمحل امر الخلافة وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس اخبار العرب وسيرهم وتفطن لذلك في احوالهم وقد ذكر ذلك ابن اسحاق في كتاب السير وغيره واذا ثبت ان اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلمنا ان الشارع لا يخص الاحكام بجيل ولا عصر ولا امة علمنا ان ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية فاشترطنا في القائم بامور المسلمين ان يكون من قوم اولي عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك في الاقطار والافاق كما كان في القرشية اذ الدعوة الاسلامية التي كانت لهم كانت عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا سائر الامم وانما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة واذا نظرت سر الله في الخلافة لم تعد هذا لانه سبحانه انما جعل الخليفة نائبا عنه في القيام بامور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر الا من له قدرة عليه الا ترى ما ذكره الامام ابن الخطيب في شان النساء وانهن في كثير من الاحكام الشرعية جعلن تبعا للرجال ولم يدخلن في الخطاب بالوضع وانما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن لهن من الامر شيء وكان الرجال قوامين عليهن اللهم الا في العبادات التي كل احد فيها قائم على نفسه فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامر امة او جيل الا من غلب عليهم وقل ان يكون الامر الشرعي مخالفا للامر الوجودي والله اعلم

فصل

# فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة

اعلم ان الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع علي وبنيه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعا متفقين عليه ان الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز لنبي اغفاله ولا تفويضه الى الامة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما من الكبائر والصغائر وان عليا رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل اكثرها موضوع او مطعون في طريقه او بعيد عن تاويلاتهم الفاسدة وتنقسم هذه النصوص عندهم الى جلي وخفي فالجلي مثل قوله من كنت مولاه فعلي مولاه قالوا ولم تطرد هذه الولاية الا في علي ولهذا قال له عمر اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم اقضاكم علي ولا معنى للامامة الا القضاء باحكام الله وهو المراد باولي الامر الواجبة طاعتهم بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم والمراد الحكم والقضاء ولهذا كان حكما في قضية الامامة يوم السقيفة دون غيره ومنها قوله من يبايعني على روحه وهو وصيي وولي هذا الامر من بعدي فلم يبايعه الا علي ومن الخفي عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا لقراءة سورة براءة في الموسم حين انزلت فانه بعث بها اولا ابا بكر ثم اوحي اليه ليبلغه رجل منك او من قومك فبعث عليا ليكون القارئ المبلغ قالوا وهذا يدل على تقديم علي وايضا فلم يعرف انه قدم احدا على علي واما ابو بكر وعمر فقد قدم عليهما في غزاتين اسامة بن زيد مرة وعمرو بن العاص اخرى وهذه كلها عندهم ادلة شاهدة بتعيين علي للخلافة دون غيره فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن تاويلهم ثم منهم من يرى ان هذه النصوص تدل على تعيين علي وتشخيصه وكذلك تنتقل منه الى من بعده وهؤلاء هم الامامية ويتبرؤون من الشيخين حيث لم يقدموا عليا ويبايعوه بمقتضى هذه النصوص ويغمصون في امامتهما ولا يلتفت الى نقل القدح فيهما من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم ومنهم من يقول ان هذه الادلة انما اقتضت تعيين علي بالوصف لا بالشخص والناس مقصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعه وهؤلاء هم الزيدية ولا يتبرؤون من الشيخين ولا يغمصون في امامتهما مع قولهم بان عليا افضل منهما لكنهم يجوزون امامة المفضول مع وجود الافضل ثم اختلفت نقول هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي فمنهم من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا بعد واحد على ما يذكر بعد وهؤلاء يسمون الامامية نسبة الى مقالتهم باشتراط معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي اصل مذهبهم ومنهم من ساقها في ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيوخ ويشترط ان يكون الامام منهم عالما زاهدا جوادا شجاعا

واطيعوا صح

صح

وخرج داعيا الى امامته وهولآء هم الزيدية نسبة الى صاحب المذهب وهو زيد ابن
علي بن الحسين السبط وقد كان يناظر اخاه محمد الباقر على اشتراط الخروج في
الامام فيلزمه الباقر ان لا يكون ابوهما زين العابدين اماما لانه لم يخرج ولا تعرض
للخروج فكان مع ذلك ينعي عليه مذاهب المعتزلة واخذه اياها عن واصل
ابن عطا ولما ناظر الامامية زيدا في امامة الشيخين وراوه يقول بامامتهما
ولا يتبرا منهما رفضوه ولم يجعلوه من الايمة وبذلك سموا رافضة **ومنهم**
من ساقها بعد علي او ابنيه السبطين على اختلافهم في ذلك الى اخيهما
محمد بن الحنفية ثم الى ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاه وبين
هذه الطوايف اختلافات تركناها اختصارا **وفيهم** طوايف يسمون
الغلاة تجاوزوا حدود العقل والايمان في القول بالآلهية هولا الايمة اما على انه بشر
اتصف بصفات الالوهية وان الاله حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق
مذاهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه ولقد حرق علي رضي الله عنه بالنار من ذهب
الى ذلك فيه منهم وسخط محمد بن الحنفية المختار بن ابي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه
فصرح بلعنه والبراءة منه وكذلك فعل جعفر الصادق بمن بلغه مثل ذلك عنه
**ومنهم** من يقول ان كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقل روحه الى امام اخر
ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ **ومن** هولآء الغلاة من يقف عند واحد
من الايمة لا يتجاوزه الى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم وهولآء هم الواقفية فبعضهم يقول
هو حي لم يمت الا انه غايب عن اعين الناس ويستشهدون لذلك بقصة الخضر قيل
مثل ذلك في علي رضي الله عنه وانه في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وقالوا مثله في
محمد بن الحنفية وانه في جبل رضوى من ارض الحجاز قال شاعرهم كثير

الا ان الايمة من قريش    ولاة [illegible] اربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه    هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر    وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى    يقود الجيش يقدمه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا    برضوى عنده عسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاثني عشرية يزعمون ان الثاني عشر من ايمتهم
وهو محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه المهدي دخل في سرداب بدارهم بالحلة وتغيب
حين اعتقل مع امه وغاب هنالك وهو يخرج اخر الزمان فيملا الارض عدلا يشيرون
بذلك الى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي وهم الى الآن ينتظرونه
ويسمونه المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب
وقد قربوا مركبا فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون

لللحوا صح

منهم صح



ويرجعون الامر الى الليلة القابلة وهم على ذلك لهذا العهد **وبعض** هولآء
الواقفية يقول ان الامام الذي مات يرجع الى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك
بما وقع في القران الكريم من قصة اهل الكهف والذي مر على قرية وقتيل بني اسرائيل حين
ضرب بعظام البقرة التي امروا بذبحها ومثل ذلك من الخوارق التي وقعت على
طريق المعجزة فلا يصح الاستشهاد بها في غير موضعها وكان من هولآء السيد الحميري
ومن شعره في ذلك

اذا ما المرء شاب له قذال    وعلله المواشط بالخضاب
فقد ذهبت بشاشته واودى    فقم يا صاح نبك على الشباب
فليس بعايد ما فات منه    الى احد الى يوم الاياب
الى يوم يؤوب الناس فيه    الى دنياهم قبل الحساب
ادين بان ذلك دين حق    وما انا في النشور بذي ارتياب
كذاك الله اخبر عن اناس    حيوا من بعد درس في التراب

وقد كفانا مونة هولآء الغلاة ايمة الشيعة فانهم لا يقولون بها ويبطلون احتجاجاتهم
عليها **فاما الكيسانية** فساقوا الامامة من بعد محمد بن الحنفية
الى ابنه ابي هاشم وهولآء هم الهاشمية ثم افترقوا فمنهم من ساقها بعده الى اخيه ثم الى
ابنه الحسن بن علي واخرون زعموا ان ابا هاشم لما مات بارض السراة منصرفا الى
الشام اوصى الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس واوصى محمد الى ابنه ابراهيم
المعروف بالامام واوصى ابراهيم الى اخيه عبد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح
واوصى هو الى اخيه عبد الله ابي جعفر الملقب بالمنصور وانتقلت في ولده
بالنص والعهد واحدا بعد واحد الى اخرهم وهذا مذهب الهاشمية القايمين بدولة بني العباس
وكان منهم ابو مسلم وسليمان بن كثير وابو سلمة الخلال وغيرهم من شيعة العباسية
وربما يعضدون ذلك بان حقهم في هذا الامر يصل اليهم من العباس لانه كان حيا عنه
الوفاة وهو اولى بالوراثة بعصبية العمومية **واما الزيدية** فساقوا
الامامة على مذهبهم فيها وانها باختيار ايمة الحل والعقد لا بالنص فقالوا بامامة
علي ثم ابنه الحسن ثم اخيه الحسين ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه زيد بن علي
وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعيا الى الامامة فقتل وصلب بالكناسة
وقال الزيدية بامامة ابنه يحيى من بعده فمضى الى خراسان وقتل بالجوزجان بعد
ان اوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط ويقال له النفس الزكية
فخرج بالحجاز وتلقب بالمهدي وجات عساكر المنصور فهزم وقتل وعهد بالامر الى اخيه
ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه اليهم المنصور في عساكره او
قواده فهزم وقتل ابراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق قد اخبرهم بذلك كله

علي صح

والعهد

حيا عنه صح

وهي معدودة في الامامية وذهب اخرون منهم الى ان الامام بعد محمد بن عبد الله النفس الزكية
هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وعمر هو اخو زيد بن علي فخرج محمد بن القاسم بالطالقان
فقبض عليه وسيق الى المعتصم فحبسه ومات في محبسه وقال اخرون من الزيدية
ان الامام بعد يحيى بن زيد هو اخوه عيسى الذي حضر مع ابراهيم بن عبد الله في قتاله مع
المنصور ونقلوا الامامة في عقبه واليه انتسب داعي الزنج كما نذكره في اخبارهم وقال
اخرون من الزيدية ان الامام بعد محمد بن عبد الله اخوه ادريس الذي فر الى المغرب ومات
هنالك وقام بامره ابنه ادريس بن ادريس واختط مدينة فاس وكان من بعده عقبه ملوكا
بالمغرب الى ان انقرضوا كما نذكره في اخبارهم وبقي امر الزيدية بعد ذلك غير منتظم وكان منهم
الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد
ابن الحسن السبط واخوه محمد بن زيد ثم قام بهذه الدعوة في الديلم الناصر الاطروش منهم
واسلموا على يده وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر وعمر اخو زيد بن علي فكانت
لبنيه في طبرستان دولة وتوصل الديلم من نسبهم الى الملك والاستبداد على الخلفاء
ببغداد كما نذكره في اخبارهم **واما الامامية** فساقوا الامامة من علي
الوصي الى ابنه الحسن بالوصية ثم الى اخيه الحسين ثم الى ابنه علي زين العابدين ثم
الى ابنه محمد الباقر ثم الى ابنه جعفر الصادق ومن هنا افترقوا فرقتين فرقة ساقوها
الى ولده اسمعيل ويعرفونه بينهم بالامام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقوها الى ابنه
موسى الكاظم وهم الاثنا عشرية لوقوفهم عند الثاني عشر من الائمة وقولهم بغيبته الى
اخر الزمان كما مر **فاما الاسماعيلية** فقالوا بامامة اسمعيل الامام
بالنص من ابيه جعفر الصادق وفائدة النص عليه عندهم وان كان قد مات قبل
ابيه انما هي بقاء الامامة في عقبه كقصة هرون مع موسى صلوات الله عليهما قالوا
ثم انتقلت الامامة من اسماعيل الى ابنه محمد المكتوم وهو اول الائمة المستورين
لان الامام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتر وتكون دعاته ظاهرين اقامة للحجة
على الخلق واذا كانت له شوكة ظهر واظهر دعوته قالوا وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر
المصدق وبعده ابنه محمد الحبيب وهو اخر المستورين وبعده ابنه عبيد الله المهدي
الذي ظهر داعيته ابو عبد الله الشيعي في كتامة وتابع الناس على دعوته ثم اخرجه
من معتقله بسجلماسة وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعده مصر كما هو
معروف في اخبارهم ويسمى هؤلاء الاسماعيلية نسبة الى القول بامامة اسمعيل
ويسمون ايضا الباطنية نسبة الى قولهم بالامام الباطن اي المستور ويسمون ايضا
الملحدة لما في ضمن مقالاتهم من الالحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا
اليها الحسن بن محمد الصباح في اخر المائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق
ولم تزل دعوته فيها الى ان توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك الططر

بن علي محمد

بالعراق



بالعراق كما نذكره ومقالات هذا الصباح في دعوته مذكورة في كتاب الملل والنحل
للشهرستاني **واما الاثنا عشرية** وربما خصوا باسم الامامية عند
المتاخرين منهم فقالوا بامامة موسى الكاظم بن جعفر لوفاة اخيه الاكبر اسمعيل
الامام في حياة ابيهما جعفر فنص على امامة موسى هذا ثم ابنه علي الرضى الذي
عهد اليه المامون ومات قبله فلم يتم له امر ثم ابنه محمد التقي ثم ابنه علي الهادي
ثم ابنه الحسن العسكري ثم ابنه محمد المهدي المنتظر الذي قدمناه ذكره وفي كل واحد من
هذه المقالات للشيعة اختلاف كثير الا ان هذه اشهر مذاهبهم ومن اراد استيعابها
ومطالعتها فعليه بكتب الملل والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرهما ففيها بيان
ذلك والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء

## فصل في انقلاب الخلافة الى الملك

اعلم ان الملك غاية طبيعية للعصبية ليس وقوعه عنها باختيار انما هو بضرورة
الوجود وترتيبه كما قلناه من قبل وان الشرائع والديانات وكل امر يحمل عليه الجمهور فلا
بد فيه من العصبية اذ المطالبة لا تتم الا بها كما قدمناه فالعصبية ضرورية
للملة وبوجودها يتم امر الله منها وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه
ثم وجدنا الشارع قد ذم العصبية وندب الى اطراحها وتركها فقال ان الله
اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالاباء انتم بنو ادم وادم من تراب وقال تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم ووجدناه ايضا قد ذم الملك واهله ونعى على
اهله احوالهم من الاستمتاع بالخلاق والاسراف في غير القصد والتنكب عن صراط
الله وانما حض على الالفة في الدين وحذر من الخلاف والفرقة واعلم ان
الدنيا واحوالها كلها عند الشارع مطية للاخرة ومن فقد المطية فقد الوصول
وليس مراده فيما ينهى عنه او يذمه من افعال البشر او يندب الى تركه اهماله بالكلية
او اقتلاعه من اصله وتعطيل القوى التي ينشا عليها بالكلية انما قصده
تصريفها في اغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا وتتحد
الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله
ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه
فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الانسان فانه لو زالت منه قوة الغضب
لفقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله وانما يذم الغضب
للشيطان وللاغراض الذميمة فاذا كان الغضب في الله ولله كان ممدوحا وهو
من شمائله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات ايضا ليس المراد ابطالها بالكلية
فان من بطلت شهوته كان نقصا في حقه وانما المراد تصريفها فيما ابيح له باشتماله

على المصالح ليكون الانسان عبدا متصرفا طوع الاوامر الالهية وكذا العصبية حيث
ذمها الشرع وقال لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم فانما مراده حيث تكون العصبية
على الباطل واحواله كما كانت في الجاهلية وان يكون لاحد فخر بها او حق على احد لان
ذلك مجان من افعال العقلا وغير نافع في الاخرة التي هي دار القرار فاما اذا كانت
العصبية في الحق واقامة امر الله فامر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرايع اذ لا يتم
قوامها الا بالعصبية كما قلناه من قبل وكذا الملك لما ذمه الشارع لم يذم منه الغلب
بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعات المصالح وانما ذمه لما فيه من التغلب بالباطل
وتصريف الادميين طوع الاغراض والشهوات كما قلناه فلو كان الملك مخلصا في غلبه
للناس انه لله ولحملهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مذموما وقد قال سليمان صلوات
الله وسلامه عليه رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لما علم من نفسه انه بمعزل
عن الباطل في النبوة والملك ولما لقي معوية عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عند قدومه
الي الشام في ابهة الملك وزيه من العديد والعدة استنكر ذلك وقال اكسروية
يا معوية فقال يا امير المومنين انا في ثغر تجاه العدو وبنا الي مباهاتهم بزينة
الحرب والجهاد حاجة فسكت ولم يخطيه لما احتج عليه بمقصد من مقاصد الحق
والدين فلو كان القصد رفض الملك من اصله لم يقنعه هذا الجواب بل كان يحرض
على خروجه منها بالجملة وانما اراد عمر بالكسروية ما كان عليه اهل فارس في ملكهم
من ارتكاب الباطل والبغي وسلوك سبله والغفلة عن الله واجابه معوية بان
القصد بذلك ليس كسروية فارس وباطلهم وانما قصده بها وجه الله تعالى فسكت
وهكذا كان شان الصحابة في رفض الملك واحواله ونسيان عوايده حذرا من
التباسها بالباطل فلما استحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف ابا بكر
على الصلاة اذ هي اهم امور الدين وارتضاه الناس للخلافة وهي حمل الكافة على
احكام الشريعة ولم يجر للملك ذكر لما انه مظنة الباطل ونحلة يوميذ لاهل
الكفر واعدا الدين فقام بذلك ابو بكر ما شا الله متبعا سنن صاحبه وقاتل اهل
الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد الي عمر فاتبع اثره وقاتل الامم
فغلبهم واذن للعرب في انتزاع ما بايديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه
وانتزعوه منهم ثم صارت الي عثمان ثم الي علي والكل متبرون من الملك
منكبون عن طرقه واكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من غضاضة الاسلام وبداوة العرب
فقد كانوا ابعد الامم عن احوال الدنيا وترفها لا من حيث دينهم الذي يدعوهم
الي الزهد في النعيم ولا من حيث بداوتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة
العيش وشظفه الذي الفوه فلم تكن امة من الامم اسغب عيشا من مضر لما
كانوا بالحجاز في ارض غير ذي زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من الارياف

نسكها الكسروية وانتحالها

وحبوبها

وحبوبها لبعدها واختصاصها بمن وليها من ربيعة واليمن فلم يكونوا يتطاولون الى
خصبها ولقد كانوا كثيرا ما ياكلون العقارب والخنافس ويفخرون باكل العلهز
وهو وبر الابل يموهونه بالحجارة في الدم ويطبخونه وقريبا من هذا كان حال قريش في
مطاعمهم ومساكنهم حتى اذا اجتمعت عصبية العرب على الدين بما اكرمهم الله به من نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم زحفوا الى امم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الارض
بوعد الصدق فابتزوا ملكهم واستباحوا دنياهم فزخرت بحار الرفه لديهم حتى كان
الفارس الواحد يقسم له في بعض الغزوات ثلثين الفا من الذهب او نحوها فاستولوا
من ذلك على ما لا ياخذه الحصر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر رضي الله عنه يرقع
ثوبه بالجلد وكان علي يقول يا صفرا ويا بيضا غري غيري وكان ابو موسى يتجافى
عن اكل الدجاج لانه لم يعهدها للعرب لقلتها يوميذ وكانت المناخل مفقودة عندهم
بالجملة وانما ياكلون الحنطة بنخالها ومكاسبهم مع هذا اتم ما كانت لاحد من اهل العالم
قال المسعودي في ايام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند
خازنه خمسون ومائة الف دينار والف الف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين
وغيرهما مائتا الف دينار وخلف ابلا وخيلا كثيرة وبلغ الثمن الواحد من متروك
الزبير بعد وفاته خمسين الف دينار وخلف الف فرس والف امة وكانت غلة
طلحة من العراق الف دينار كل يوم ومن ناحية الشراه اكثر من ذلك وكان على مربط
عبد الرحمن بن عوف الف فرس وله الف بعير وعشرة الاف من الغنم وبلغ الربع
من متروكه بعد وفاته اربعة وثمانين الفا وخلف زيد بن ثابت من الفضة
والذهب ما كان يكسر بالفوس غير ما خلف من الاموال والضياع بمائة الف دينار
وبنى الزبير داره بالبصرة وكذلك بنى بمصر والكوفة والاسكندرية وكذلك بنى طلحة
داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وبناها بالجص والاجر والساج وبنى سعد
ابن ابي وقاص داره بالعقيق ورفع سمكها واوسع فضاها وجعل على اعلاها
شرفات وبنى المقداد داره بالمدينة وجعلها مجصصة الظاهر والباطن وخلف
يعلى بن منية خمسين الف دينار وعقارا وغير ذلك ما قيمته ثلثماية الف درهم انتهى كلام
المسعودي فكانت مكاسب القوم كما تراه ولم يكن ذلك منعيا عليهم في دينهم اذ هي
اموال حلال لانها غنايم وفيوء ولم يكن تصرفهم فيها باسراف انما كانوا على قصد في
احوالهم كما قلناه فلم يكن ذلك بقادح وان كان الاستكثار من الدنيا مذموما
فانما يرجع الى ما اشرنا اليه من الاسراف والخروج به عن القصد واذا كان حالهم
قصدا ونفقاتهم في سبيل الحق ومذاهبه كان ذلك الاستكثار عونا لهم على طرق الحق
واكتساب الدار الاخرة فلما تدرجت البداوة والغضاضة الى نهايتها وجاءت
طبيعة الملك التي هي مقتضى العصبية كما قلناه وحصل التغلب والقهر كان حكم

ذلك الملك عندهم حكم الترفه والاستكثار من الاموال فلم يصرفوا ذلك التغلب في
باطل ولا خرجوا به عن مقاصد الديانة ومذاهب الحق ولما وقعت الفتنة بين علي
ومعوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد ولم يكونوا في
محاربتهم لغرض دنيوي او لايثار باطل او لاستشعار حقد كما يتوهمه متوهم او ينزع
اليه ملحد وانما اختلف اجتهادهم في الحق وخالف كل واحد منهم نظر صاحبه باجتهاده
في الحق فاقتتلوا عليه وان كان المصيب عليا فلم يكن معوية قائما فيها بقصد
الباطل انما قصد الحق واخطا والكل كانوا في مقاصدهم على حق ثم اقتضت
طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستيثار الواحد به ولم يكن لمعوية ان يدفع
ذلك عن نفسه وقومه فهو امر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنو
امية ومن لم يكن على طريقة معوية من اقتفاء الحق من اتباعهم فاعصوصبوا عليه واستماتوا
دونه ولو قد حملهم معوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالامر لوقع
في افتراق الكلمة التي كان جمعها وتاليفها اهم عليه من امر ليس وراءه كبير مخالفة
وقد كان عمر بن عبد العزيز يقول اذا راى ابا القاسم بن محمد بن ابي بكر لو كان لي
من الامر شي لوليته الخلافة ولو اراد ان يعهد اليه لفعل لكنه كان يخشى من بني
امية اهل الحل والعقد كما ذكرناه فلا يقدر ان يحول الامر عنهم لئلا تقع الفرقة وهذا
كله انما حمل عليه منازع الملك التي هي مقتضى العصبية فالملك اذا حصل
وفرضنا ان الواحد انفرد به وصرفه في مذاهب الحق ووجوهه لم يكن في ذلك عليه
نكير ولقد انفرد سليمن صلوات الله عليه وابوه داود بملك بني اسرائيل لما اقتضته
طبيعة الملك منهم من الانفراد به وكانوا ما علمت من النبوة والحق وكذلك عهد
معوية الى يزيد خوفا من افتراق الكلمة بما كانت بنو امية لم يرضوا تسليم الامر
لمن سواهم فلو قد عهد الى غيره اختلفوا عليه مع ان ظنهم كان به صالحا ولا
يرتاب احد في ذلك ولا يظن بمعوية غيره فلم يكن ليعهد اليه وهو يعتقد
ما كان عليه من الفسق حاشى لله لمعوية من ذلك وكذلك كان مروان بن الحكم
وابنه وان كانوا ملوكا فلم يكن مذهبهم في الملك مذهب اهل البطالة والبغي
انما كانوا متحرين لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورة تحملهم على بعضها مثل
خشية افتراق الكلمة الذي هو اهم لديهم من كل مقصد فيشهد لذلك ما كانوا
عليه من الاتباع والاقتدا وما علم السلف من احوالهم فقد احتج مالك
في الموطا بعمل عبد الملك واما مروان فمن الطبقة الاولى من التابعين وفضله
معروف ثم تدرج الامر في ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه
وتوسطهم عمر بن عبد العزيز فنزع الى طريقة الخلفا الاربعة والصحابة جهده
ولم يهمل ثم جا خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في اغراضهم الدنيوية ومقاصدهم

ونسوا



ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري القصد فيها واعتماد الحق في مذاهبها فكان ذلك
مما دعى الناس الى ان نعوا عليهم افعالهم وادالوا بالدعوة العباسية منهم وولي
رجالها الامر فكانوا من العدالة بمكان وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا
حتى جا بنو الرشيد من بعده وكان منهم الصالح والطالح ثم افضى الامر الى بنيهم
فاعطوا الملك والترف حقه وانغمسوا في الدنيا وباطلها ونبذوا الدين وراءهم ظهريا
فتاذن الله بحربهم وانتزاع الامر من ايدي العرب جملة وامكن سواهم منه والله لا يظلم
مثقال ذرة ومن تامل سير هولا الخلفا والملوك واختلافهم في تحري الحق من الباطل
علم صحة ما قلناه وقد حكى المسعودي مثله في احوال بني امية عن ابي جعفر المنصور
وقد حضر عمومته وذكروا بني امية فقال اما عبد الملك فكان جبارا لا يبالي بما صنع
واما سليمن فكان همه بطنه وفرجه واما عمر فكان اعور بين عميان وكان رجل
القوم هشام قال ولم يزل بنو امية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه
ويصونون ما وهب الله لهم منه مع تسنمهم معالي الامور ورفضهم ادانيها حتى
افضى الامر الى ابنائهم المترفين فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات
من معاصي الله جهلا باستدراجه وامنا لمكره مع اطراحهم صيانة الخلافة
واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز والبسهم الذل
ونفى عنهم النعمة ثم استحضر عبد الله بن مروان فقص عليه خبره مع ملك النوبة لما
دخل ارضه فارا ايام بني العباس قال اقمت مليا ثم اتاني ملكهم فقعد على الارض
وقد بسطت لي فرش ذات قيمة فقلت ما منعك من القعود على ثيابنا فقال
اني ملك وحق لكل ملك ان يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال لي لم تشربون
الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت اجترا على ذلك عبيدنا واتباعنا قال فلم تطؤون
الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم قلت فعل ذلك عبيدنا واتباعنا
بجهلهم قال فلم تلبسون الديباج والذهب والحرير وهو محرم عليكم في كتابكم قلت
ذهب منا الملك وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على
الكره منا فاطرق ينكت بيده في الارض ويقول عبيدنا واتباعنا واعاجم دخلوا
ديننا ثم رفع راسه الي وقال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله
واتيتم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز والبسكم الذل
بذنوبكم ولله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا خائف ان يحل بكم العذاب
وانتم ببلدي فينالني معكم وانما الضيافة ثلث فتزود ما احتجت اليه
وارتحل عن ارضي فتعجب المنصور واطرق فقد تبين لك كيف انقلبت
الخلافة الى الملك وان الامر كان في اوله خلافة ووازع كل احد فيها من نفسه وهو
الدين وكانوا يؤثرونه على امور دنياهم وان افضت الى هلاكهم وحدهم دون الكافة

فهذا عثمان لما حصر في الدار جاءه الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وابن جعفر وامثالهم
يريدون المدافعة عنه فابى ومنع من سل السيوف بين المسلمين مخافة الفرقة وحفظا
للالفة التي بها حفظ الكلمة ولو ادى الى هلاكه وهذا علي اشار عليه المغيرة لاول ولايته
باستبقاء الزبير ومعوية وطلحة على اعمالهم حتى يجتمع الناس على بيعته وتتفق الكلمة
وله بعد ذلك ما شاء من امره وكان ذلك من سياسة الملك فابى فرارا من الغش الذي
ينافيه الاسلام وغدا عليه المغيرة من الغداة فقال اشرت عليك بالامس بما اشرت
ثم عدت الى نظري فعلمت انه ليس من الحق والنصيحة وان الحق فيما رايته انت فقال علي
والله بل اعلم انك نصحتني بالامس وغششتني اليوم ولكن منعني مما اشرت به ذائد
الحق وهكذا كانت احوالهم في اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فقد رايت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معاني الخلافة من [redacted]
الاول من خلفاء بني العباس الى الرشيد وبعض ولده ثم ذهبت معاني الخلافة
ولم يبق الا اسمها وصار الامر ملكا بحتا وجرت طبيعة التغلب الى غايتها واستعملت
في اغراضها من القهر والتحكم في الشهوات والملاذ وهكذا كان الامر لخلف بني
عبد الملك ولمن جاء بعد الرشيد من بني العباس واسم الخلافة باقيا فيهم
لبقاء عصبية العرب والخلافة والملك في الطورين ملتبس بعضها ببعض ثم ذهب
رسم الخلافة واثرها بذهاب عصبية العرب وفناء جيلهم وتلاشي احوالهم وبقي الامر
ملكا بحتا كما كان الشان في ملوك العجم بالمشرق يدينون بطاعة الخليفة تبركا
والملك بجميع القابه ومناحيه لهم وليس للخليفة منه شيء وكذلك فعل ملوك زناتة بالمغرب
مثل صنهاجة مع العبيديين بالقيروان فقد تبين ان الخلافة قد وجدت بدون الملك
اولا ثم التبست معانيهما واختلطت ثم انفرد الملك حيث افترقت عصبيته من
عصبية الخلافة والله مقدر الليل والنهار

## فصل في معنى البيعة

اعلم ان البيعة هي العهد على الطاعة كان المبايع يعاهد اميره على انه يسلم له
النظر في امر نفسه وامور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من
الامر على المنشط والمكره وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا ايديهم في
يده تاكيدا للعهد فاشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي بيعة مصدر باع
وصارت البيعة مصافحة بالايدي هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد



في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وعند الشجرة وحيث
ما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة الخلفاء ومنه ايمان البيعة لان الخلفاء كانوا يستحلفون
على هذا العهد ويستوعبون الايمان كلها لذلك فسمي هذا الاستيعاب ايمان البيعة
وكان الاكراه فيها اغلب ولهذا لما افتى مالك رضي الله عنه بسقوط يمين الاكراه
انكرها الولاة عليه وراوها قادحة في ايمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضي الله عنه
واما البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الارض
او اليد او الرجل او الذيل اطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة
مجازا لما كان هذا الخضوع في التحية والتزام الاداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب
فيه حتى صار حقيقة عرفية واستغني بها عن مصافحة ايدي الناس التي هي الحقيقة في
الاصل لما في المصافحة لكل احد من التنزل والابتذال المنافيين للرياسة وصون
المنصب الملوكي الا في الاقل ممن يقصد التواضع من الملوك فيأخذ به نفسه مع
خواصه ومشاهير اهل الدين من رعيته فافهم معنى البيعة في العرف فانه اكيد على
الانسان معرفته لما يلزمه من حق سلطانه وامامه ولا تكون افعاله عبثا ومجانا واعتبر
ذلك من افعالك مع الملوك والله القوي العزيز

## فصل في ولاية العهد

اعلم انا قدمنا الكلام في الامامة ومشروعيتها لما فيها من المصلحة وان حقيقتها
النظر في مصالح الامة لدينهم ودنياهم فهو وليهم والامين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته
وتبع ذلك ان ينظر لهم بعد مماته ويقيم لهم من يتولى امورهم كما كان هو يتولاها
ويثقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع باجماع
الامة على جوازه وانعقاده اذ وقع بعهد ابي بكر بمحضر الصحابة واجازوه
واوجبوا على انفسهم به [redacted] طاعة عمر رضي الله عن جميعهم وكذلك عهد عمر في الشورى
الى الستة بقية العشرة وجعل لهم ان يختاروا للمسلمين ففوض ذلك بعضهم الى بعض
حتى افضى الى عبد الرحمن بن عوف فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين على
عثمان وعلي واثر عثمان بالبيعة على ذلك لموافقته اياه على لزوم الاقتداء بالشيخين
في كل ما يعن دون اجتهاده فانعقد امر عثمان لذلك واوجبوا طاعته والملأ من
الصحابة حاضرون للاول والثانية ولم ينكره واحد منهم فدل على انهم متفقون على صحة هذا
العهد عارفون بمشروعيته والاجماع حجة كما عرف و[redacted] لا يتهم في هذا الامر وان
عهد الى ابيه او ابنه لانه مامون على النظر لهم في حياته فاحرى ان لا يتحمل فيها تبعة
بعد مماته خلافا لمن قال باتهامه في الولد والوالد او لمن خصص التهمة بالولد دون الوالد فانه
بعيد عن الظنة في ذلك كله لا سيما اذا كانت هناك داعية تدعو اليه من ايثار مصلحة

الامر صح

الامام صح

تجري الدنيا ... واحر والحرى على منهاج الحق
ولم يظهر التغير الا في الوازع الذي كان دينا
ثم انقلب عصبية وسيفا وهكذا كان الامر
لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدر

ومغراوة وبني يفرن ايضا مع
خلفاء بني امية بالاندلس والعبيديين

ح منا لهم

او توقع مفسدة فتنتفي الظنة عند ذلك راسا كما وقع في عهد معوية لابنه يزيد وان
كان فعل معوية مع وفاق الناس له حجة في الباب والذي دعى معوية الى ايثار ابنه يزيد
بالعهد دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق اهوائهم باتفاق
اهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني امية اذ بنو امية يومئذ لا يرضون سواه وهم
عصابة قريش واهل الملة اجمع واهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يظن انه
اولى بها وعدل الى المفضول عن الفاضل حرصا على الاتفاق واجتماع الاهواء الذي
شانه اهم عند الشارع ولا يظن بمعوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة مما سوى ذلك
وحضور اكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن تاخذهم
في الحق هوادة وليس معوية ممن تاخذه العزة في قبول الحق فانهم كلهم اجل من ذلك
وعدالتهم مانعة منه وفرار عبد الله بن عمر عن ذلك انما هو محمول على تورعه عن الدخول
في شيء من الامور مباحا كان او محظورا كما هو معروف عنه ولم يبق في المخالفة لهذا العهد
الذي اتفق عليه الجمهور الا ابن الزبير وندور المخالف معروف ثم انه وقع مثل ذلك من بعد
معوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني
امية والسفاح والمنصور والمهدي والرشيد من بني العباس وامثالهم ممن عرفت عدالتهم وحسن
رايهم للمسلمين والنظر لهم ولا يعاب عليهم ايثار ابنائهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء
الاربعة في ذلك فشانهم غير شان اولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة
الملك وكان الوازع دينيا فعند كل احد وازع من نفسه فعهدوا الى من يرتضيه الدين
فقط وآثروه على غيره ووكلوا كل احد ممن يسمو الى ذلك الى وازعه واما من بعدهم
من لدن معاوية فكانت العصبية قد اشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف
واحتيج الى الوازع السلطاني والعصباني فلو قد عهد الى غير من ترتضيه العصابة لردت ذلك
العهد وانتقض امره سريعا وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف سال رجل عليا رضي الله عنه
ما بال الناس اختلفوا عليك ولم يختلفوا على ابي بكر وعمر فقال لان ابا بكر وعمر كانا واليين
على مثلي وانا اليوم وال على مثلك يشير الى وازع الدين افلا ترى الى المامون لما عهد
الى علي بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضي كيف انكرت العباسية ذلك ونقضوا
بيعته وبايعوا لعمه ابراهيم بن المهدي وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل
وتعدد الثوار والخوارج ما كاد ان يصطلم الامر حتى بادر المامون من خراسان
الى بغداد وردهم لمعاهده فلا بد من اعتبار ذلك في العهد فالعصور تختلف
باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبائل والعصبيات وتختلف باختلافها المصالح
ولكل منها حكم يخصه لطفا من الله تعالى بعباده واما ان يكون القصد بالعهد حفظ
التراث على الابناء فليس من المقاصد الدينية اذ هو امر من الله يختص به من يشاء فينبغي ان
تحسن النية فيه ما امكن خوفا من العبث بالمناصب الدينية والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده



وعرض هنا امور تدعو الضرورة الى بيان الحق فيها فالاول منها ما حدث
في يزيد من الفسق ايام خلافته فاياك ان تظن بمعوية رضي الله عنه انه علم ذلك من يزيد
فانه اعدل من ذلك وافضل بل قد كان يعذله ايام حياته في سماع الغناء وينهاه عنه
وهو اقل من ذلك وكانت مذاهبهم فيه مختلفة ولما حدث في يزيد ما حدث من الفسق
اختلف الصحابة يومئذ في شانه فمنهم من راى الخروج عليه ونقض بيعته من اجل ذلك
كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومن اتبعهما في ذلك ومنهم من اباه لما فيه
من اثارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به لان شوكة يزيد يومئذ هي عصبية
بني امية وجمهور اهل الحل والعقد من قريش وتستتبع عصبية مضر اجمع وهي اعظم
من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم فاقصروا عن يزيد بسبب ذلك واقاموا على الدعاء بهدايته
او الراحة منه وهذا كان شان جمهور المسلمين والكل مجتهدون ولا ينكر على احد من الفريقين
فمقاصدهم في البر وتحري الحق معروفة وفقنا الله تعالى للاقتداء بهم والثاني هو شان العهد
من النبي صلى الله عليه وسلم وما تدعيه الشيعة من وصيته لعلي رضي الله عنه وهو امر لم يصح
ولا نقله احد من ائمة النقل والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس ليكتب
الوصية وان عمر منع من ذلك فدليل واضح على انه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين
طعن وسئل في العهد فقال ان اعهد فقد عهد من هو خير مني يعني ابا بكر وان اترك
فقد ترك من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة حاضرون موافقون له على
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد وكذلك قول علي للعباس رضي الله عنهما حين
دعاه للدخول على النبي صلى الله عليه وسلم يسالانه عن شانهما في العهد فابى علي من ذلك
وقال انه ان منعنا منها فلا نطمع فيها آخر الدهر وهذا دليل على ان عليا علم انه لم يوص
ولا عهد الى احد وشبهة الامامية في ذلك انما هي كون الامامة من اركان الايمان كما
يزعمون وليس كذلك وانما هي من المصالح العامة المفوضة الى نظر الخلق ولو كانت من
اركان الايمان لكان شانها شان الصلاة ولكان يستخلف فيها كما استخلف ابا بكر في
الصلاة ولكان يشتهر كما اشتهر امر الصلاة واحتجاج الصحابة على خلافة ابي بكر بقياسها
على الصلاة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا افلا نرضاه لدنيانا
دليل على ان الوصية به لم تقع ويدل ذلك ايضا على ان امر الامامة والعهد بها لم
يكن مهما كما هو اليوم وشان العصبية المراعاة في الاجتماع والافتراق في مجاري
العادة لم يكن يومئذ بذلك الاعتبار لان امر الدين والاسلام كان كله بخوارق العادة
من تاليف القلوب عليه واستماتة الناس دونه وذلك من اجل الاحوال التي كانوا يشاهدونها
في حضور الملائكة لنصرهم وتردد خبر السماء بينهم وتجدد خطاب الله في كل حادثة تتلى
عليهم فلم يحتج الى مراعاة العصبية لما شمل الناس من صبغة الانقياد والاذعان وما
يستفزهم من تتابع المعجزات الخارقة والاحوال الالهية الواقعة والملائكة المترددة

التي وجوهها ودهشوا من تتابعها فكان امر الخلافة والملك والعهد والعصبية
وسائر هذه الانواع مندرجا في ذلك العباب كما وقع فلما انحسر ذلك المدد بذهاب تلك
المعجزات ثم بفناء القرون الذين شاهدوها فاستحالت تلك الصبغة قليلا قليلا وذهبت
الآثار الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر امر العصبية ومجاري العوائد فيما ينشأ
عنها من المصالح والمفاسد واصبحت الخلافة والملك والعهد بهما من المهمات الاكيدة
كما زعموه ولم يكن ذلك من قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم
غير مهمة فلم يعهد فيها ثم تدرجت الاهمية زمان الخلفاء بعض الشيء بما دعت الضرورة
اليه في الحماية والجهاد وشان الردة والفتوحات فكانوا بالخيار في الفعل والترك
كما ذكرناه عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من اهم الامور للالفة على الحماية
والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصبية التي هي سر الوازع عن الفرقة والتخاذل
ومنشأ الاجتماع والتوافق الكفيل بمقاصد الشريعة واحكامها والامر الثالث
شان الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة والتابعين واعلم ان اختلافهم انما
يقع في الامور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الادلة الصحيحة والمدارك المعتبرة والمجتهدون
اذا اختلفوا في الادلة فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين
ومن لم يصادفه فهو مخطئ فان جهته لا تتعين باجماع فيبقى الكل على احتمال الاصابة
ولا يتعين المخطئ منها والتأثيم مدفوع عن الكل اجماعا وان قلنا ان الكل حق وكل مصيب
فاحرى بنفي الخطا والتأثيم وغاية الخلاف الذي بين الصحابة والتابعين انه خلاف
اجتهادي في مسائل دينية ظنية وهذا حكمه والذي وقع من ذلك في الاسلام انما هو واقعة
علي مع معاوية ومع الزبير وطلحة وعائشة وواقعة الحسين مع يزيد وواقعة ابن الزبير
مع عبد الملك فاما واقعة علي فان الناس عند مقتل عثمان كانوا مفترقين في الامصار
فلم يشهدوا بيعة علي والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس
ويتفقوا على امام كسعد وسعيد وابن عمر واسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة وعبد الله
بن سلام وقدامة بن مظعون وابي سعيد الخدري وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان
بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وفضالة بن عبيد وامثالهم من اكابر الصحابة
والذين كانوا في الامصار عدلوا عن بيعته ايضا الى الطلب بدم عثمان وتركوا الامر
فوضى حتى يكون شورى بين المسلمين فيمن يولونه وظنوا بعلي هوادة في السكوت عن نصر عثمان
من قاتليه لا في الممالاة عليه فحاش لله من ذلك ولقد كان معاوية اذا صرح بملامته انما
يوجهها عليه في سكوته فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى علي ان بيعته قد انعقدت
ولزمت من تاخر عنها باجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي وموطن الصحابة
وارجأ الامر في المطالبة بدم عثمان الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيتمكن حينئذ
من ذلك ورأى الآخرون ان بيعته لم تنعقد لافتراق الصحابة اهل الحل والعقد بالآفاق

ولم



ولم يحضر الا القليل ولا تكون البيعة الا باتفاق اهل الحل والعقد ولا تلزم بعقد من
تولاها من غيرهم او من القليل منهم وان المسلمين حينئذ فوضى فيطالبون اولا بدم
عثمان ثم يجتمعون على امام وذهب الى هذا معاوية وعمرو بن العاص وام المؤمنين عائشة
والزبير وابنه عبد الله وطلحة وابنه محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية
بن حديج ومن كان على رأيهم من الصحابة الذين تخلفوا عن بيعة علي بالمدينة كما ذكرنا الا ان
اهل العصر الثاني من بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة علي ولزومها للمسلمين
اجمعين وتصويب رأيه فيما ذهب اليه وتعيين الخطا في جهة معاوية ومن كان على رأيه
وخصوصا طلحة والزبير لانتقاضهما على علي بعد البيعة له فيما نقل مع دفع التأثيم عن
كل واحد من الفريقين كالشان في المجتهدين وصار ذلك اجماعا من اهل العصر الثاني
على احد قولي اهل العصر الاول كما هو معروف ولقد سئل علي رضي الله عنه عن قتلى الجمل
وصفين فقال والذي نفسي بيده لا يموتن احد من هؤلاء وقلبه نقي الا ادخله الله الجنة
يشير الى الفريقين نقله الطبري وغيره فلا يقعن عندك ريب في عدالة احد منهم ولا
قدح في شيء من ذلك فهم من علمت واقوالهم وافعالهم انما هي عن المستندات وعدالتهم
مفروغ منها عند اهل السنة الا قولا للمعتزلة فيمن قاتل عليا لم يلتفت اليه احد من اهل
الحق ولا عرج عليه واذا نظرت بعين الانصاف عذرت الناس اجمعين في الاختلاف
في شان عثمان واختلاف الصحابة من بعد وعلمت انها كانت فتنة ابتلى الله بها الامة
بينما المسلمون قد اذهب الله عدوهم وملكهم ارضهم وديارهم ونزلوا الامصار على حدودهم
بالبصرة والكوفة والشام ومصر وكان اكثر العرب الذين نزلوا هذه الامصار جفاة لم
يستكثروا من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ولا هذبتهم سيرته وآدابه ولا ارتاضوا بخلقه
مع ما كان فيهم من الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبعد عن سكينة الايمان
واذا بهم عند استفحال الدولة قد اصبحوا في ملكة المهاجرين والانصار من قريش وكنانة
وثقيف وهذيل واهل الحجاز ويثرب السابقين الاولين الى الايمان فاستنكفوا من ذلك
وغصوا به لما يرون لانفسهم من التقدم بانسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم
مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس بن ربيعة وقبائل كندة والازد من اليمن وقبائل
تميم وقيس من مضر وامثالهم فصاروا الى الغض من قريش والانفة عليهم والتمريض
في طاعتهم والتعلل في ذلك بالتظلم منهم والاستعداء عليهم والطعن فيهم بالعجز
عن السوية والعدول في القسم عن السوية وفشت القالة بذلك وانتهت
الى اهل المدينة وهم من علمت فاعظموه وابلغوه عثمان فبعث الى الامصار من يكشف له
الخبر بعث ابن عمر ومحمد بن مسلمة واسامة بن زيد وامثالهم فلم ينكروا على الامراء شيئا
ولا رأوا عليهم طعنا وادوا ذلك كما علموه فلم ينقطع الطعن من اهل الامصار وما زالت
الشناعات تكثر والاشاعات تنمو ورمي الوليد بن عقبة وهو على الكوفة بشرب الخمر

واستشهد عليه جماعة منهم وصح عند عثمان وعزله ثم جاء الى المدينة من اهل الامصار يسألون عزل
العمال وشكوا الى علي وعايشه والزبير وطلحة وعزل لهم عثمان بعض العمال فلم ينقطع
بذلك ألسنتهم بل وفد سعيد بن العاص وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه
معزولا ثم انتقل الخلاف بين عثمان ومن معه من الصحابة بالمدينة ونقموا عليه امتناعه
من العزل فابا الا ان يكون على جرحة ثم نقلوا النكير الى غير ذلك من افعاله وهو متمسك
بالاجتهاد وهم ايضا كذلك ثم تجمع قوم من الغوغا وجاؤا الى المدينة يظهرون طلب النصفة
من عثمان وهم يضمرون خلاف ذلك من قتله وفيهم من البصرة والكوفة ومصر وقام معهم في ذلك
علي وعايشه والزبير وطلحة وغيرهم يحاولون تسكين الامور ورجوع عثمان الى رايهم فيها وعزل
لهم عامل مصر وانصرفوا قليلا ثم رجعوا وقد لبسوا بكتاب مدلس يزعمون انهم لقوه
في يد حامله الى عامل مصر بان يقتلهم وحلف عثمان على ذلك فقالوا امكنا من مروان فهو
كاتبك فحلف مروان فقال عثمان ليس في الحكم اكثر من هذا فحاصروه بداره ثم بيتوه
على حين غفلة من الناس وقتلوه وانفتح باب الفتنة فلكل من هولا عذر فيما وقع وكلهم
كانوا مهتمين بامر الدين ولا يضيعون شيئا من تعلقاته ثم نظروا بعد هذا الواقع
واجتهدوا والله مطلع على احوالهم وعالم بهم ونحن لا نظن بهم الا خيرا لما شهدت به احوالهم
ومقالات الصادق فيهم واما الحسين فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة
من اهل عصره ودعت شيعة اهل البيت بالكوفة للحسين ان ياتيهم فيقوموا بامره فراى
الحسين ان الخروج على يزيد متعين من اجل فسقه لا سيما على من له القدرة على ذلك
وظنها من نفسه باهليته وشوكته فاما الاهلية فكانت كما ظن وزيادة واما الشوكة
فغلط يرحمه الله فيها لان عصبية مضر كانت في قريش وعصبية قريش في عبد مناف
وعصبية عبد مناف انما كانت في بني امية تعرف ذلك لهم قريش وساير الناس ولا ينكرونه
وانما نسي ذلك اول الاسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وامر الوحي وتردد
الملائكة لنصر المسلمين فاغفلوا امور عوايدهم وذهبت عصبية الجاهلية ومنازعها
ونسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في الحماية والدفاع ينتفع بها في اقامة الدين
وجهاد المشركين والدين فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع امر النبوة والخوارق
المهولة تراجع الحكم بعض الشي للعوايد فعادت العصبية كما كانت ولمن كانت
واصبحت مضر اطوع لبني امية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل فتبين لذلك غلط الحسين
الا انه في امر دنيوي لا يضره الغلط فيه واما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه
وكان ظنه القدرة على ذلك ولقد عذله ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وابن الحنفية اخوه
وغيرهم في مسيره الى الكوفة وعلموا غلطه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما اراده الله
واما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد بالشام والعراق ومن التابعين
لهم فراوا ان الخروج على يزيد وان كان فاسقا لا يجوز لما ينشا عنه من الهرج والدما فاقصروا

عن

كما عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا انكروا عليه ولا اثموه لانه مجتهد وهو اسوة المجتهدين
ولا يذهب بك الغلط ان تقول بتاثيم هولا لمخالفة الحسين وقعودهم عن نصره فانهم اكثر الصحابة
وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وقد كان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكربلا
على فضله وحقه ويقول سلوا جابر بن عبد الله وابا سعيد وانس بن مالك وسهل
ابن سعد وزيد بن ارقم وامثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض لذلك
لعلمه انه عن اجتهاد منهم كما كان فعله هو عن اجتهاد منه وكذلك لا يذهب بك الغلط
ان تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد منهم وان كان هو على صواب اجتهاد ويكون
ذلك كما يحد الشافعي والمالكي الحنفي على شرب النبيذ واعلم ان الامر ليس كذلك
وقتاله لم يكن عن اجتهاد هولا وان كان خلافه عن اجتهادهم وانما انفرد بقتاله يزيد
واصحابه ولا تقولن ان يزيد وان كان فاسقا ولم يجز هولا الخروج عليه فافعاله
عندهم نافذة صحيحة واعلم انه انما ينفذ من افعال الفاسق ما كان مشروعا وقتال البغاة
عندهم من شرطه ان يكون مع الامام العادل وهو مفقود في مسئلتنا فلا يجوز قتال
الحسين مع يزيد ولا ليزيد بل هي من فعلاته المؤكدة لفسقه والحسين فيها شهيد
مثاب وهو على حق واجتهاد والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق ايضا واجتهاد
وقد غلط القاضي ابو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه المسمى بالقواصم
والعواصم ما معناه ان الحسين قتل بشرع جده وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط
الامام العادل في قتال اهل الآرا واما ابن الزبير فانه راى في خروجه ما راه الحسين
وظن كما ظن وغلطه في امر الشوكة اعظم لان بني اسد لا يقاومون بني امية في
جاهلية ولا اسلام فلا نقول بتعيين الخطا في جهة مخالفه كما كان في جهة معاوية
مع علي لا سبيل اليه لان الاجماع هنالك قضى لنا به ولم نجده هنا واما يزيد
فعين خطاه فسقه وعبد الملك صاحب ابن الزبير اعظم الناس عدالة وناهيك
في عدالته احتجاج مالك بفعله وعدول ابن عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير
وهم معه بالحجاز مع ان الكثير من الصحابة كانوا يرون ان بيعة ابن الزبير لم
تنعقد لانه لم يحضرها اهل الحل والعقد كبيعة مروان وابن الزبير على خلاف ذلك
والكل مجتهدون محمولون على الحق في الظاهر وان لم يتعين في جهة منهما والقتل الذي
نزل به بعد تقرير ما قررناه يجري على قواعد الفقه وقوانينه مع انه شهيد مثاب
باعتبار قصده وتحريه الحق هذا هو الذي ينبغي ان تحمل عليه افعال السلف من الصحابة
والتابعين فهم خيار الامة واذا جعلناهم عرضة للقدح فمن الذي يختص بالعدالة والنبي
صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس قرني ثم الذين يلونهم مرتين او ثلاثا ثم يفشوا
الكذب فجعل الخيرية وهي العدالة مختصة بالقرن الاول والذي يليه فاياك ان تعود

الناسخ

نفسك اولئك التعرض لاحد منهم ولا يوسوس قلبك بالريب في شيء بذلك وما اختلفوا
الا عن بينة وما قاتلوا وقتلوا الا في سبيل جهاد او اظهار حق واعتقد مع ذلك ان
اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الامة ليقتدي كل احد بمن يختاره منهم ويجعله امامه
وهاديه ودليله فافهم ذلك وتبين حكم الله في خلقه واكوانه

## فصل في الخطط الدينية الخلافية

لما تبين ان حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا
فصاحب الشرع متصرف في الامرين اما في الدين فبمقتضى التكاليف الشرعية
الذي هو مأمور بتبليغها وحمل الناس عليها واما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته
مصالحهم في العمران البشري وقد قدمنا ان هذا العمران ضروري للبشر وان رعاية مصالحه
كذلك لئلا يفسد ان اهملت وقدمنا ان الملك وسطوته كاف في حصول هذه المصالح
نعم انما تكون اكمل اذا كانت بالاحكام الشرعية لانه اعلم بهذه المصالح فقد صار الملك
يندرج تحت الخلافة اذا كان اسلاميا ويكون من توابعها وقد ينفرد اذا كان في غير
الملة وله على كل حال مراتب خادمة ووظائف تابعة تتعين خططا وتتوزع على رجال
الدولة وظائف فيقوم كل واحد بوظيفته حسبما يعينه الملك الذي تكون يده عالية
عليهم فيتم بذلك امره ويحسن قيامه بسلطانه **واما** المنصب الخلافي وان كان
الملك يندرج تحته بهذا الاعتبار الذي ذكرناه فتصرفه الديني يختص بخطط
ومراتب لا تعرف الا للخلفاء الاسلاميين **فلنذكر** الخطط الدينية
المختصة بالخلافة ونرجع الى الخطط الملوكية السلطانية فاعلم ان الخطط الدينية
الشرعية من الصلاة والقضاء والفتيا والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الامامة
الكبرى التي هي الخلافة فكانها الامام الكبير والاصل الجامع وهذه كلها متفرعة عنها وداخلة
فيها لعموم نظر الخلافة وتصرفها في سائر احوال الملة الدينية والدنيوية وتنفيذ
احكام الشرع فيها على العموم **فاما الصلاة** فهي ارفع هذه الخطط كلها
وارفع من الملك بخصوصه المندرج معها تحت الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال
الصحابة في شان ابي بكر رضي الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه في السياسة
في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا افلا نرضاه لدنيانا فلولا ان
الصلاة ارفع من السياسة لما صح القياس واذا ثبت ذلك فاعلم ان المساجد
في المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية معدة للصلوات المشهودة واخرى دونها
مختصة بقوم او محلة وليست للصلوات العامة فاما المساجد العظيمة فامرها راجع
الى الخليفة او الى من يفوض اليه من سلطان او وزير او قاض فينصب لها الامام في

امامة

الصلوة

الصلوات الخمس والجمعة والعيدين والخسوفين والاستسقاء وتعين ذلك انما هو من طريق
الاولى والاستحسان ولئلا تفتات الرعايا عليه في شيء من النظر في المصالح العامة وقد يقول
بالوجوب في ذلك من يقول بوجوب اقامة الجمعة فيكون نصب الامام لها عنده واجبا
واما المساجد المختصة بقوم او محلة فامرها راجع الى الجيران ولا تحتاج الى نظر خليفة
ولا سلطان واحكام هذه الولاية وشروطها والمولى فيها معروفة في كتب الفقه ومبسوطة
في كتب الاحكام السلطانية للماوردي وغيره فلا نطول بذكرها **وقد** كان الخلفاء
الاولون لا يقلدونها لغيرهم من الناس وانظر من طعن من الخلفاء في المسجد عند
الاذان بالصلاة وترصدهم بذلك في اوقاتها يشهد لك ذلك بمباشرتهم لها وانهم لم يكونوا
يستخلفون فيها وكذا كان حال الدولة الاموية بعدهم استيثارا بها واستعظاما
لرتبتها يحكى عن عبد الملك انه قال لحاجبه قد جعلت لك حجابة بابي الا عن ثلثة
صاحب الطعام فانه يفسد بالتاخير والاذن بالصلاة فانه داع الى الله والبريد فان
في تاخيره فساد القاصية فلما جاءت طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة والترفع عن
مساواة الناس في دينهم ودنياهم استنابوا في الصلاة وكانوا يستاثرون بها
في الاحيان وفي الصلوات العامة كالعيدين والجمعة اشادة وتنويها فعل ذلك
كثير من خلفاء بني العباس والعبيديين صدر دولتهم **واما الفتيا**
فللخليفة تصفح اهل العلم والتدريس ورد الفتيا الى من هو اهل لها واعانته على
ذلك ومنع من ليس باهل لها وزجره لانها من مصالح المسلمين في اديانهم فتجب عليه
مراعاتها لئلا يتعرض لذلك من ليس له باهل فيضل الناس وللمدرس الانتصاب
لتعليم العلم وبثه والجلوس لذلك في المساجد فان كانت من المساجد العظام
التي للسلطان الولاية عليها والنظر في ائمتها كما مر فلا بد من استئذانه في ذلك
وان كانت من مساجد العامة فلا يتوقف ذلك على اذن على انه ينبغي ان يكون
لكل احد من المفتين والمدرسين زاجر من نفسه يمنعه من التصدي لما ليس له
باهل فيضل به المستهدي ويضل به المسترشد وفي الاثر اجرؤكم على الفتوى
اجرؤكم على جراثيم جهنم فللسلطان فيهم لذلك من النظر ما توجبه المصلحة من
اجازة او رد **واما القضاء** فهو من الوظائف الداخلة تحت
الخلافة لانه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا
للتنازع الا انه بالاحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك
من وظائف الخلافة ومندرجا في عمومها وكان الخلفاء في صدر الاسلام يباشرونه
بانفسهم ولا يجعلون القضاء الى من سواهم واول من دفعه الى غيره وفوض فيه
عمر رضي الله عنه فولى ابا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى
ابا موسى الاشعري بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه احكام القضاء

ايمتها

وهي مستوفاة فيه **أما بعد** فان القضا فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا ادلي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له واس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يياس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جايز بين المسلمين الا صلحا احل حراما او حرم حلالا ولا يمنعك قضا قضيته امس راجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظايرها ~~واعمد الى احبها الى الله واشبهها~~ واجعل لمن ادعى حقا غايبا او بينة امدا ينتهي اليه فان احضر بينته اخذت له بحقه والا استحللت عليه القضية فان ذلك انفى للشك واجلى للعمى المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد او مجربا عليه شهادة زور او ظنينا في ولا او نسب ~~فان الله تعالى تولى منكم السراير~~ ودرا بالبينات واياك والقلق والضجر والتافف بالخصوم فان استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام انتهى كتاب عمر وانما كانوا يقلدون القضا لغيرهم وان كان مما يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة اشغالها من الجهاد والفتوحات وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم لعظيم العناية فاستخلفوا امر القضا في الواقعات بين الناس واستخلفوا فيه من يقوم به تخفيفا على انفسهم وكانوا مع ذلك انما يقلدونه اهل عصبيتهم بالنسب او الولا ولا يقلدونه لمن بعد عنهم في ذلك واما احكام هذا المنصب وشروطه فمعروفة في كتب الفقه وخصوصا كتب الاحكام السلطانية الا ان القاضي انما كان له في عصر الخلفا الفصل بين الخصوم فقط ثم دفع لهم بعد ذلك امور اخرى على التدريج بحسب اشتغال الخلفا والملوك بالسياسة الكبرى واستقر منصب القضا اخر الامر على انه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفا بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في اموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين واهل السفه وفي وصايا المسلمين واوقافهم وتزويج الايامى عند فقد الاوليا على راي من راه والنظر في مصالح الطرقات والابنية وتصفح الشهود والامنا والنواب واستيفا العلم والخبرة فيهم بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من تعلقات وظيفته وتوابع ولايته **وقد** كان الخلفا من قبل يجعلون للقاضي النظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضا وتحتاج الى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المتعدي وكانه يمضي ما عجز القضاة او غيرهم عن امضايه ويكون نظره في البينات والتقرير واعتماد الامارات والقراين وتاخير الحكم الى استجلا الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف الشهود

فان الله عفا عن الايمان ودرا بالبينات التافف بالخصوم

وذلك

وذلك اوسع من نظر القاضي وكان الخلفا الاولون يباشرونها بانفسهم الى ايام المهتدي من بني العباس وربما كانوا يجعلونها لقضاتهم كما فعل علي رضي الله عنه مع قاضيه ابي ادريس الخولاني وكما فعله المامون ليحيى بن اكثم والمعتصم لابن ابي دواد وربما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في عساكر الصوايف وكان يحيى ابن اكثم يخرج بالصايفة الى ارض الروم وكذا منذر بن سعيد قاضي عبد الرحمن الناصر من بني امية بالاندلس وكانت تولية هذه الوظايف انما تكون للخلفا او من يجعلون له ذلك من وزير مفوض او سلطان متغلب **وكان** ايضا النظر في الجرايم واقامة الحدود مخصوصا في الدولة العباسية والاموية بالاندلس والعبيديين بمصر والمغرب راجعا الى صاحب الشرطة وهي وظيفة اخرى دينية كانت من الوظايف الشرعية في تلك الدول توسع النظر فيها عن احكام القضا قليلا فيجعل للتهمة في الحكم مجالا ويفرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرايم ويقيم الحدود الثابتة في محالها ويحكم في القود والقصاص ويقيم التعزير والتاديب في حق من لم ينته عن الجريمة ثم تنوسي شان هاتين الوظيفتين في الدول التي تنوسي فيها امر الخلافة فصار امر المظالم راجعا الى السلطان كان له تفويض من الخليفة او لم يكن وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة التهمة على الجرايم واقامة حدودها ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعين ونصب لذلك في هذه الدول حاكم يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالي وتارة باسم الشرطة وبقي قسم التعازير واقامة الحدود في الجرايم الثابتة شرعا فجمع ذلك للقاضي مع ما تقدم وصار ذلك من توابع وظيفته وولايته واستقر الامر لهذا العهد على ذلك وخرجت هذه الوظيفة عن اهل عصبية الدولة لان الامر لما كان خلافة دينية وهذه الخطة من مراسم الدين فكانوا لا يولون فيها الا من اهل عصبيتهم من العرب ومواليهم بالحلف او الرق او الاصطناع ممن يوثق بكفايته وغنايه فيما يدفع اليه ولما انقرض شان الخلافة وطورها وصار الامر كله ملكا وسلطانا صارت هذه الخطط الدينية بعيدة عنه بعض الشي لانها ليست من القاب الملك ولا مراسمه ثم خرج الامر جملة عن العرب وصار الملك لسواهم من امم الترك والبربر فازدادت هذه الخطط الخلافية بعدا عنهم بمنحاها وعصبيتها وذلك ان العرب كانوا يرون ان الشريعة دينهم وان النبي صلى الله عليه وسلم منهم واحكامه وشرايعه نحلتهم بين الامم وطريقهم وغيرهم لا يرون ذلك انما يولونها جانبا من التعظيم لما دانوا بالملة فقط فصاروا يقلدونها من غير عصابتهم ممن كان تاهل لها في دول الخلفا السالفة وكان اوليك المتاهلون بما اخذهم ترف الدول منذ مين من السنين قد نسوا عهد البداوة وخشونتها والتبسوا بالحضارة في عوايد ترفهم ودعتهم وقلة الممانعة عن انفسهم وصارت هذه الخطط في الدول الملوكية من بعد الخلفا مختصة بهذا الصنف

ايام المهتدي

من المستضعفين في اهل الامصار ونزل اهلها عن مراتب العز لفقد الاهلية بانسابهم وما هم عليه من الحضاره فلحقهم من الاحتقار ما يلحق الحضر المنغمسين في الترف والدعة البعداء عن عصبية الملك الذين هم عيال على الحامية وصار اعتبارهم في الدوله من اجل قيامها بالملة واخذها باحكام الشريعة لما انهم الحاملون للاحكام المقتدون بها ولم يكن ايثارهم في الدولة حينيذ اكراما لذواتهم وانما هو لما يتلمح من التجمل بمكانهم في مجالس الملك لتعظيم الرتب الشرعيه ولم يكن لهم فيها من الحل والعقد شي وان حضروه فحضور رسمي لا حقيقة وراه اذ حقيقة الحل والعقد انما هو لاهل القدرة عليه فمن لا قدرة له عليه فلا حل له ولا عقد لديه اللهم اخذ الاحكام الشرعيه عنهم وتلقي الفتاوى منهم فنعم والله الموفق وربما يظن بعض الناس ان الحق فيما وراء ذلك وان فعل الملوك فيما فعلوه من اخراج الفقها والقضاة عن الشورى مرجوح وقد قال صلى الله عليه وسلم العلما ورثة الانبيا فاعلم ان ذلك ليس كما ظنه وحكم الملك والسلطان انما يجري على ما تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيدا عن السياسة وطبيعة العمران في هولا لا تقضي لهم شيا من ذلك لان الشورى والحل والعقد انما يكون لصاحب عصبية يقتدر بها على حل او عقد او فعل او ترك واما من لا عصبية له ولا يملك من امر نفسه شيا ولا من حمايتها وانما هو عيال على غيره فاي مدخل له في الشورى او اي معنى يدعو الى اعتباره فيها اللهم الا شوراه فيما يعلمه من الاحكام فموجودة في الاستفتا خاصة واما شوراه في السياسة فهو بعيد عنها لفقدانه العصبية والقيام على معرفة احوالها واحكامها وانما اكرامهم من تبرعات الملوك والامرا الشاهدة لهم بجميل الاعتقاد في الدين وتعظيم من ينتسب اليه باي جهة انتسب واما قوله صلى الله عليه وسلم العلما ورثة الانبيا فاعلم ان الفقها في الاغلب لهذا العهد وما احتف به انما حملوا الشريعة اقوالا في كيفية الاعمال في العبادات وكيفية القضا في المعاملات ينصونها على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية اكابرهم ولا يتصفون الا بالاقل منها وفي بعض الاحوال والسلف رضوان الله عليهم واهل الدين والورع من المسلمين حملوا الشريعة اتصافا بها وتحققا بمذاهبها فمن حملها اتصافا وتحققا دون نقل فهو من الوارثين مثل اهل رسالة القشيري ومن اجتمع له الامران فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقها التابعين والسلف والايمة الاربعة ومن اقتفى طريقهم وجا على اثرهم واذا انفرد واحد من الامة باحد الامرين فالعابد احق بالوراثة من الفقيه الذي ليس بعابد لان العابد ورث صفة والفقيه الذي ليس بعابد لم يرث شيا انما هو صاحب اقوال ينصها علينا في كيفيات العمل وهولا اكثر فقها عصرنا الا الذين امنوا وعملوا الصالحات

وقليل

وقليل ما هم

## العدالة

وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد تصريفه وحقيقة هذه الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم تحملا عند الاشهاد واداء عند التنازع وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس واملاكهم وديونهم وساير معاملاتهم وانما قلنا عن اذن القاضي لان الناس قد اختلطوا وخفي التعديل والتجريح الا على القاضي فكانه انما ياذن لمن ثبت عنده عدالته ليحفظ على الناس امورهم ومعاملاتهم وشرط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعيه والبراءة من الجرح ثم القيام بكتاب السجلات والعقود من جهة رعايتها وانتظام فصولها ومن جهة احكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينيذ الى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل هذه الشروط وما يحتاج اليه من المران على ذلك والممارسة له اختص ذلك ببعض العدول وصار الصنف القايمون به كانهم مختصون بالعدالة وليس كذلك وانما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح احوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وان لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس فالعهدة عليه في ذلك كله وهو ضامن دركه واذا تعين هولا لهذه الوظيفة عمت الفايدة بهم في تعيين من تخفى عدالته على القضاة بسبب اتساع الامصار واشتباه الاحوال واضطرار القضاة الى الفصل بين المتنازعين بالبينات الموثوقة فيعولون غالبا في الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في ساير الامصار دكاكين ومصاطب يختصون بالجلوس عليها فيتعاهدهم اصحاب المعاملات للاشهاد وتقييده بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركا بين هذه الوظيفة التي تبين مدلولها وبين العدالة الشرعية التي هي اخت الجرح وقد يتواردان ويفترقان والله اعلم

## الحسبة والسكة

اما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القايم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه اهلا له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويودب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين واهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم على اهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على ايدي المعلمين بالمكاتب وغيرها في الابلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع او استعداء بل له النظر والحكم فيما يصل الى علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له ايضا الحكم في الدعاوي مطلقا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعايش وغيرها وفي المكاييل والموازين وله ايضا حمل المماطلين على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا انفاذ حكم وكانها احكام ينزه عنها

القضاء لعمومها وسهولة اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك
ان تكون خادمة لمنصب القضاء وقد كانت في كثير من الدول الاسلامية مثل العبيديين بمصر
والمغرب والامويين بالاندلس داخلة في عموم ولاية القاضي يولي فيها باختياره ثم لما
انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره عاما في امور السياسة فاندرجت في
وظائف الملك وافردت بالولاية **واما السكة** فهي النظر في النقود المتعامل
بها بين المسلمين وحفظها مما يداخلها من الغش او النقص ان كانت يتعامل بها عددا
وما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع الاعتبارات ثم في وضع علامة السلطان على
تلك النقود بالاستجادة والخلوص ترسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ
لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فيوضع على الدينار او الدرهم بعد ان يقدر
ويضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته بحسب
الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف اهل القطر ومذاهب
الدولة الحاكمة فان السبك والتخليص في النقود لا يقف عند غاية وانما ترجع غايته
الى الاجتهاد فاذا اتفق اهل افق او قطر على غاية من التخليص وقفوا عندها
وسموه اماما وعيارا يعتبرون به نقودهم وينتقدونها بمماثلته فان نقص عن ذلك
كان زيفا والنظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار
فتندرج تحت الخلافة وقد كانت تندرج في عموم ولاية القاضي ثم افردت لهذا
العهد بالولاية كما وقع في الحسبة هذا اخر الكلام في الوظائف الخلافية وبقيت
منها وظائف ذهبت بذهاب ما ينظر فيه واخرى صارت سلطانية فوظيفة الامارة
والوزارة والحرب والخراج صارت سلطانية يتكلم عليها في مكانها بعد وظيفة الجهاد
بطلت ببطلانه الا في قليل من الدول يمارسونه ويدرجون احكامه غالبا في السلطانيات
وكذا نقابة الانساب التي يتوصل بها الى الخلافة او الحق في بيت المال قد بطلت
لدثور الخلافة ورسومها وبالجملة فقد اندرست رسوم الخلافة ووظائفها في رسوم
الملك والسياسة في سائر الدول لهذا العهد والله مصرف الامور بحكمته

## فصل في اللقب بامير المؤمنين وانه من سمات الخلافة

وهو محدث منذ عهد الخلفاء وذلك انه لما بويع ابو بكر رضي الله عنه كان الصحابة وسائر
المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الامر على ذلك الى ان
هلك فلما بويع لعمر بعهده اليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله وكانهم
استثقلوا هذا اللقب لطوله وكثرة اضافاته وانه يتزايد فيما بعد دائما الى ان ينتهي الى
الهجنة ويذهب منه التمييز بتعدد الاضافات وكثرتها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن
هذا اللقب الى سواه مما يناسبه ويدعى به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث

باسم

باسم الامير وهو فعيل من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم
امير مكة وامير الحجاز وكان الصحابة ايضا يدعون سعد بن ابي وقاص امير المسلمين
لامارته على جيش القادسية وهو معظم المسلمين يومئذ واتفق ان دعا بعض الصحابة عمر
رضي الله عنه باسم يا امير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال ان اول
من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وقيل بريد
جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسال عن عمر ويقول اين امير المؤمنين
وسمعها اصحابه فاستحسنوه وقالوا اصبت والله اسمه انه امير المؤمنين حقا فدعوه به
وذهب لقبا له في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سمة لا يشاركهم فيها احد سواهم
سائر دولة بني امية ثم ان الشيعة خصوا عليا باسم الامام نعتا له بالامامة التي
هي اخت الخلافة وتعريضا بمذهبهم في انه احق بامامة الصلاة من ابي بكر كما هو مذهبهم
وبدعتهم فخصوه بهذا اللقب ولمن يسوقون اليه منصب الخلافة من بعده فكان كلهم
يسمى بالامام ما داموا يدعون لهم في الخفاء حتى اذا يستولون على الدولة يحولون
اللقب فيمن بعده الى امير المؤمنين كما فعله شيعة بني العباس فانهم ما زالوا يدعون
ائمتهم بالامام الى ابراهيم الذي جهروا بالدعاء له وعقدوا الرايات للحرب على امره فلما
هلك دعي اخوه السفاح بامير المؤمنين وكذا الرافضة بافريقية ما زالوا يدعون الائمة
من ولد اسمعيل بالامام حتى انتهى الامر لعبيد الله المهدي وكانوا ايضا يدعونه بالامام ولابنه
ابي القاسم من بعده فلما استوثق لهما الامر دعوا من بعدهما امير المؤمنين وكذا
الادارسة بالمغرب كانوا يدعون ادريس بالامام وابنه ادريس الاصغر كذلك
وهكذا شانهم وتوارث الخلفاء هذا اللقب وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز والشام والعراق
المواطن التي هي ديار العرب ومراكز الدولة واهل الملة والفتح وازداد لذلك في عنفوان
الدولة وبذخها لقب اخر للخلفاء يتميز به بعضهم عن بعض لما في امير المؤمنين من الاشتراك
بينهم فاستحدث ذلك بنو العباس حجابا لاسمائهم الاعلام عن امتهانها في السنة السوقة
وصونا لها عن الابتذال فتلقبوا بالسفاح والمنصور والهادي والمهدي والرشيد الى اخر
الدولة واقتفى اثرهم في ذلك العبيديون بافريقية ومصر وتجافى بنو امية عن ذلك
اما بالمشرق قبلهم فلجريانهم مع الغضاضة والسذاجة لان العروبية ومنازعها لم تفارقهم حينئذ
ولم تتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة واما بالاندلس فتقليد السلفهم
مع ما علموه من انفسهم من القصور عن ذلك بالقصور عن الخلافة التي استاثر بها بنو العباس
من العجز عن ملك الحجاز اصل العرب والملة والبعد عن دار الخلافة التي هي مركز العصبية
وانهم انما منعوا بامارة القاصية انفسهم من مهالك بني العباس حتى اذا جاء عبد الرحمن
الاخر منهم وهو الناصر بن الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط لاول المائة الرابعة
واشتهر ما نال الخلافة بالمشرق من الحجر واستبداد الموالي وعبثهم في الخلفاء بالعزل

والاستبداد والقتل والتسمل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفا بالمشرق
وافريقيه وتسمى باميرالمومنين وتلقب بالناصرلدين الله واخذت من بعده
عادة ومذهبا لقن عنه ولم يكن لابايه وسلف قومه واستمر الحال على ذلك الى ان انقرضت
عصبية العرب اجمع وذهب رسم الخلافه وتغلب الموالي من العجم على بني العباس
والصنايع على العبيديين بالقاهره وصنهاجه على امر افريقيه وزناته على المغرب
وملوك الطوايف بالاندلس على امر بني اميه واقتسموه وافترق امر الاسلام فاختلف مذاهب الملوك
بالمغرب والمشرق في الاختصاص بالالقاب بعد ان تسموا جميعا باسم السلطان فاما
ملوك المشرق من العجم فكان الخلفا يخصونهم بالقاب تشريفيه يستشعر منها
انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدوله وعضد الدوله وركن الدوله
ومعز الدوله ونصير الدوله ونظام الملك وبها الملك وذخيرة الملك وامثال هذه
وكان العبيديون ايضا يخصون بها امرا صنهاجه فلما استبدوا على الخلفا قنعوا
بهذه الالقاب وتجافوا عن القاب الخلافه ادبا معها وعدولا عن سماتها المختصة بها
شان المتغلبين المستبدين كما قلناه قبل ونزع المتاخرون من اعاجم المشرق حين قوي
استبدادهم على الملك وعلى كعبهم في الدوله والسلطان وتلاشت عصبية الخلافه واضمحلت
بالجمله الى انتحال الالقاب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور زيادة الى القاب كانوا
يختصون بها قبل هذا الانتحال مشعرة بالخروج عن ربقة الولا والاصطناع بما اضافوها
الى الدين فقط يتسمون صلاح الدين اسد الدين نور الدين واما ملوك الطوايف بالاندلس
فاقتسموا القاب الخلافه وتوزعوها لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها
فتلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمظفر وامثالها كما قال ابن شرف ينعي عليهم ذلك

| | |
|---|---|
| مما يزهدني في ارض اندلس | اسما معتمد فيها ومعتضد |
| القاب مملكة في غير موضعها | كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد |

وقد مر ذكرها واما صنهاجه فاقتصروا على الالقاب التي كان خلفا العبيديين يلقبونهم بها
للتنويه مثل نصير الدوله وسيف الدوله ومعز الدوله واتصل لهم ذلك لما ادالوا
من دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم بعدت الشقة بينهم وبين الخلافه
ونسوا عهدها فنسوا هذه الالقاب واقتصروا على اسم السلطان وكذا شان مغراوة
بالمغرب لم ينتحلوا شيا من الالقاب الا اسم السلطان جريا على مذاهب البداوة والغضاضة
ولما محي اسم الخلافه وتعطل دستها وقام من قبايل البربر يوسف بن تاشفين ملك
لمتونه فملك العدوتين وكان من اهل الخير والاقتدا نزعت به همته الى الدخول في طاعة
الخليفه تكميلا لمراسم دينه فخاطب المستظهر العباسي واوفد عليه ببيعته عبد الله بن العربي
وابنه القاضي ابا بكر من مشيخة اشبيلية يطلبان توليته اياه على المغرب وتقليده
اياه ذلك فانقلبوا اليه بعهد الخليفه له على المغرب واستشعار زيهم في لبوسه ورايته

واقتسموه صح

بها صح

بالمغرب صح



وخاطبه فيه باميرالمسلمين تشريفا له واختصاصا فاتخذها لقبا ويقال انه كان دعي له باميرالمسلمين
من قبل ذلك ادبا مع رتبة الخلافه لما كان عليه هو وقومه المرابطون من انتحال الدين واتباع
السنه وجا المهدي على اثرهم داعيا الى الحق اخذا بمذاهب الاشعريه ناعيا على اهل المغرب
عدولهم عنها الى تقليد السلف في ترك التاويل لظواهر الشريعه وما يؤول اليه ذلك كما
هو معروف من مذاهب الاشعريه وسمي اتباعه الموحدين تعريضا بذلك التنكير وكان يرى
راي اهل البيت في الامام المعصوم وانه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا
العالم فسمي بالامام اولا لما قلناه من مذهب الشيعة في القاب خلفايهم واردف بالمعصوم
اشارة الى مذهبه في عصمة الامام وتنزه عند اتباعه عن امير المومنين اخذا بمذاهب
المتقدمين من الشيعة ولما فيها من مشاركة الاغمار والولدان من اعقاب اهل الخلافه يوميذ
بالمشرق والمغرب ثم انتحل عبد المومن ولي عهده اللقب باميرالمومنين وجرى عليه من
بعده خلفا بني عبد المومن وال ابي حفص بافريقيه من بعدهم استيثارا به عمن سواهم
لما دعى اليه شيخهم المهدي من ذلك وانه صاحب الامر واوليا وه من بعده كذلك دون كل
احد لانتفاء عصبيه قريش وتلاشيها فكان ذلك دابهم ولما انتقض الامر بالمغرب
وانتزعه زناته ذهب اولوهم مذاهب البداوه والسذاجة واتباع لمتونه في انتحال اللقب
باميرالمسلمين ادبا مع رتبة الخلافه التي كانوا على طاعتها لبني عبد المومن اولا ولبني ابي حفص
من بعدهم ثم نزع المتاخرون منهم الى اللقب باميرالمومنين وانتحلوه لهذا العهد استبلاغا
في منازع الملك وتتميما لمذاهبه وسماته والله غالب على امره

# فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود

اعلم ان الملة لا بد من قايم بها عند غيبة النبي يحملهم على احكامها وشرايعها ويكون
كالخليفه فيهم للنبي فيما جا به من التكاليف والنوع الانساني ايضا بما تقدم من ضرورة
السياسة فيه للاجتماع البشري لا بد لهم من شخص يحملهم على مصالحهم ويزعهم عن
مفاسدهم بالقهر وهو المسمى بالملك والملة الاسلاميه لما كان الجهاد فيها مشروعا لعموم
الدعوة وحمل الكافه على دين الاسلام طوعا او كرها اتخذت فيها الخلافه والملك لتوجه
الشوكة من القايمين بها اليهما معا واما ما سوى الملة الاسلاميه فلم تكن دعوتهم عامة ولا
الجهاد عندهم مشروعا الا في المدافعة فقط فصار القايم بامر الدين فيها لا يعنيه شي
من سياسة الملك وانما وقع الملك لمن وقع منهم بالعرض ولامر غير ديني وهو ما اقتضته
لهم العصبيه بما فيها من الطلب للملك بالطبع لما قدمناه لانهم غير مكلفين بالتغلب على

والملة

الامم كما في الملة الاسلامية وانما هم مطلوبون باقامة دينهم في خاصتهم ولذلك بقي بنوا
اسرائيل من بعد موسى ويوشع صلوات الله عليهما نحو اربع مائة سنة لا يعتنون
بشي من امر الملك انما همهم اقامة دينهم فقط وكان القايم به بينهم يسمى الكوهن كانه
خليفة لموسى صلوات الله عليه يقيم لهم امر الصلوات والقربان ويشترطون فيه ان
يكون من ذرية هرون صلوات الله عليه لان ذلك كان له ولبنيه بالوحي ثم اختاروا لاقامة
السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخا كانوا يتولون احكامهم العامة والكوهن
اعظم رتبة منهم في الدين وابعد عن شغب الاحكام واتصل فيهم ذلك الى ان استحكمت
طبيعة العصبية وتمحضت الشوكة للملك فغلبوا الكنعانيين على الارض التي اورثهم الله
بيت المقدس وما جاورها كما بين لهم على لسان موسى صلوات الله عليه فحاربتهم امم
الفلسطين والكنعانيين والارمن واذوم وعمون ومواب ورياستهم في ذلك راجعة
الى شيوخهم واقاموا على ذلك نحوا من اربع مائة سنة ولم يكن لهم صولة الملك وضجر
بنو اسرائيل من مطالبة الامم فطلبوا على لسان شمويل من انبيائهم ان ياذن الله لهم في
تمليك رجل عليهم فملك عليهم طالوت وغلب الامم وقتل جالوت ملك فلسطين ثم ملك بعده
داود ثم سليمان صلوات الله عليهما واستفحل ملكه وامتد الى الحجاز ثم الى اطراف اليمن
ثم الى اطراف بلاد الروم ثم افترق الاسباط من بعد سليمان صلوات الله عليه بمقتضى العصبية
في الدول كما قدمناه الى دولتين كانت احداهما بنواحي نابلس للاسباط العشرة وكرسي
ملكهم فيها [redacted] سبسطية وقد خربت من لدن بختنصر والاخرى بالقدس لبني يهوذا
وبني يامين ثم غلبهم بختنصر ملك بابل على ما كان بايديهم من الملك اولا الاسباط العشرة
في سبسطية ثم ثانيا بني يهوذا ببيت المقدس بعد اتصال ملكهم نحو الف سنة
وخرب مسجدهم واحرق توراتهم وامات دينهم ونقلهم الى اصبهان وبلاد العراق
الى ان ردهم بعض ملوك الكينية من الفرس الى بيت المقدس بعد سبعين سنة
من خروجهم فبنوا المسجد واقاموا امر دينهم على الرسم الاول للكهنونية فقط والملك
للفرس ثم غلب الاسكندر وبنو يونان على الفرس وصار اليهود في ملكتهم ثم فشل
امر اليونانيين فاعتز اليهود عليهم بالعصبية الطبيعية ودفعوهم عن الاستيلاء عليهم
وقام بملكهم الكهنونية الذين كانوا فيهم من بني حشمناي وقاتلوا يونان حتى انقرض
امرهم وغلبهم الروم فصاروا تحت امرهم ثم رجعوا الى بيت المقدس وبها بنو هيرودس
اصهار بني حشمناي وبقية دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتتحوها عنوة وافحشوا
في القتل والهدم والتحريق وخربوا بيت المقدس واجلوهم عنها الى رومة وما وراءها
وهو الخراب الثاني للمسجد وتسميه اليهود بالجلوة الكبرى فلم يقم لهم بعدها ملك لفقدان
العصبية منهم وبقوا بعد ذلك في ملكة الروم ومن بعدهم يقيم لهم امر دينهم الرئيس عليهم
المسمى بالكوهن وكان المسيح صلوات الله عليه لما جاءهم بما جاءهم به من الدين والنسخ

لبعض

لبعض احكام التوراة وظهرت على يديه الخوارق العجيبة من ابرا المعتوه واحيا الموتى
واجتمع عليه كثير من الناس وامنوا به واكثرهم الحواريون اصحابه وكانوا اثني عشر
رجلا وبعث منهم رسلا الى الافاق داعين الى ملته وذلك ايام اوغسطس اول ملوك
القياصرة وفي مدة هيرودس ملك اليهود الذي انتزع الملك من بني حشمناي اصهاره
فحسده اليهود وكذبوه وكاتب هيرودس ملكهم [redacted] ملك القياصرة يغريه به فاذن
لهم في قتله ووقع ما تلاه القران من امره وافترق الحواريون شيعا ودخل اكثرهم بلاد الروم
داعين الى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم فنزل برومة دار ملك القياصرة ثم كتبوا
الانجيل الذي انزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ اربع على اختلاف رواياتهم
فكتب متى انجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان
اللطيني وكتب لوقا منهم انجيله باللطيني لبعض اكابر الروم وكتب يوحنا بن زبدي
انجيله برومة وكتب بطرس انجيله باللطيني ونسبه الى مرقاس تلميذه واختلفت
هذه النسخ الاربع من الانجيل مع انها ليست كلها وحيا صرفا بل مشوبة بكلام عيسى
صلوات الله عليه وبكلام الحواريين وكلها مواعظ وقصص والاحكام فيها قليلة جدا
واجتمع الحواريون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصيروها
بيد اقليمنطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها فمن شريعة
اليهود القديمة التوراة وهي خمسة اسفار وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتاب راعوث
وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وسفر بنيامين وكتاب المقابيين لابن كريون
ثلثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب ايوب الصديق ومزامير داود
عليه السلام وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوات الانبيا الكبار والصغار ستة عشر
وكتاب يشوع بن شارخ وزير سليمان عليه السلام ومن شريعة عيسى صلوات الله عليه
المتلقاة من الحواريين نسخ الانجيل الاربعة وكتاب بولش اربع عشرة رسالة
وكتب القتاليقون سبع رسايل وثامنها الابركسيس في قصص الرسل وكتاب
اقليمنطس وفيه الاحكام وكتاب ابوغالمسيس وفيه رؤيا يوحنا بن زبدي واختلف
شان القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم اهلها ثم تركها اخرى والتسلط
عليهم بالقتل والنفي الى ان جاء قسطنطين واخذ بها فاستمروا عليها وكان
صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه يسمونه البطرك وهو رئيس الملة عندهم
وخليفة المسيح فيهم ويبعث نوابه وخلفاءه الى ما بعد عنه من امم النصرانية ويسمونه
الاسقف اي نايب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم في
الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب
واكثر خلواتهم في الصوامع وكان بطرس الرسول راس الحواريين وكبير التلاميذ
برومة يقيم بها دين النصرانية الى ان قتله نيرون خامس القياصرة ثم قام

اوغسطس صح

بخلافته في كرسي رومه اريوس وكان مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب
داعيا سبع سنين فقام بعده حنانيا وتسمى بالبطرك وهو اول البطاركة فيها وجعل
معه اثنا عشر قسا على انه اذا مات البطرك يكون واحد من الاثني عشر مكانه ويختار من
المؤمنين واحدا مكان ذلك الثاني عشر فكان امر البطاركة الى القسوس ثم لما وقع الاختلاف
بينهم في قواعد دينهم وعقايدهم واجتمعوا بنيقية ايام قسطنطين لتحرير الحق في الدين
واتفق ثلثمائة وثمانية عشر من اساقفتهم على راي واحد في الدين فكتبوه وسموه الامانة
وجعلوه اصلا يرجعون اليه وكان فيما كتبوه ان البطرك القايم بالدين لا يرجع في تعيينه
الى اجتهاد الاقسة كما قرره حنانيا تلميذ مرقاس وابطلوا ذلك الراي وانما يقدم عن ملا
واختيار من ايمة المؤمنين ورؤسايهم فبقي الامر كذلك ثم اختلفوا بعد ذلك في قواعد الدين
وكانت لهم مجتمعات في تقريره ولم يختلفوا في هذه القاعدة فبقي الامر فيها على ذلك
واتصل فيهم نيابة الاساقفة عن البطارك وكان الاساقفة يدعون البطرك
بالاب تعظيما له فصار الاقسة يدعون الاسقف فيما غاب عن البطرك بالاب ايضا تعظيما
له فاشتبه الاسم في اعصار متطاولة يقال اخرها بطركية هرقل بالاسكندرية فارادوا
ان يميزوا البطرك عن الاسقف في التعظيم فدعوه البابا ومعناه ابو الاباء وظهر هذا
الاسم اول ظهوره بمصر على ما زعم جرجس بن العميد في تاريخه ثم نقلوه الى صاحب
الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومه لانه كرسي بطرس الرسول كما قدمناه فلم يزل سمة
عليه الى الان ثم اختلفت النصارى في دينهم بعد ذلك وفيما يعتقدونه في المسيح
وصاروا طوايف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية كل على صاحبه فاختلف الحال في
العصور في ظهور فرقة دون فرقة الى ان استقرت لهم ثلث طوايف هي فرقهم
ولا يلتفتون الى غيرها وهم الملكية واليعقوبية والنسطورية ولم نر ان نسخم اوراق
الكتاب بذكر مذاهب كفرهم فهي على الجملة معروفة وكلها كفر كما صرح به القران الكريم
ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال ولا استدلال انما هو الاسلام او الجزية او القتل
ثم اختصت كل فرقة منهم ببطرك فبطرك رومه اليوم المسمى بالبابا على راي
الملكية ورومه للافرنجة وملكهم قايم بتلك الناحية وبطرك المعاهدين بمصر على
راي اليعقوبية وهو ساكن بين ظهرانيهم والحبشة يدينون بدينهم ولبطرك مصر
فيهم اساقفة ينوبون عنه في اقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا ببطرك رومه
لهذا العهد ولا تسمي اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بباءين موحدتين
من اسفل والنطق بها مفخمة والثانية مشددة ومن مذاهب البابا عند الافرنجة
انه يحضهم على الانقياد لملك واحد يرجعون اليه في اختلافهم واجتماعهم تحرجا من افتراق
الكلمة ويتحرى به العصبية التي لا فوقها منهم لتكون يده عالية على جميعهم ويسمونه الانبرذور
وحرفه الوسط بين الذال والظا المعجمتين ويباشره بوضع التاج على راسه للتبرك

فيسمي



فيسمي المتوج ولعله معنى لفظة الانبرذور هذا ملخص ما اوردناه من شرح هذين الاسمين
اللذين هما البابا والكوهن والله يضل من يشا ويهدي من يشا

## فصل في مراتب الملك والسلطان والقابها

اعلم ان السلطان في نفسه ضعيف يحمل امرا ثقيلا فلا بد له من الاستعانة بابنا جنسه
واذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وساير مؤنه فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاه
الله من خلقه وعباده وهو محتاج الى حماية الكافة من عدوهم بالمدافعة عنهم والى كف
عدوان بعضهم عن بعض في انفسهم بامضا الاحكام الوازعة فيهم وكف العدوان عليهم
في اموالهم حتى باصلاح سابلتهم والى حملهم على مصالحهم وما تعمهم به البلوى في معاشهم
ومعاملاتهم من تفقد المعايش والمكاييل والموازين حذرا من التطفيف والى النظر
في السكة بحفظ النقود التي يتعاملون بها من الغش والى سياستهم بما يريد منهم
من الانقياد له والرضى بمقاصده فيهم وانفراده بالمجد دونهم فيتحمل من ذلك فوق الغاية
من معاناة القلوب قال بعض الاشراف من الحكما لمعاناة نقل الجبال من اماكنها اهون
علي من معاناة قلوب الرجال ثم ان الاستعانة اذا كانت باولي القربى من اهل
النسب او التربية او الاصطناع القديم للدولة كانت اكمل لما يقع في ذلك من مجانسة
خلقهم لخلقه في الاستعانة قال تعالى اجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد
به ازري واشركه في امري وهو اما ان يستعين في ذلك بسيفه او بقلمه او برايه
ومعارفه او بحجابه عن الناس ان يزدحموا عليه فيشغلوه عن النظر في مهماتهم او
بدفع النظر في الملك كله اليه ويعول على كفايته في ذلك واضطلاعه به فلذلك قد توجد
لرجل واحد وقد تفترق في اشخاص وقد يتفرع كل واحد منها الى فروع كثيرة كالقلم
يتفرع الى قلم الرسايل والمخاطبات وقلم الصكوك والاقطاعات والى قلم المحاسبة
وهو صاحب الجباية والعطا وديوان الجيش وكالسيف يتفرع الى صاحب الحرب
وصاحب الشرطة وصاحب البريد وولاية الثغور ثم اعلم ان الوظايف السلطانية
في هذه الملة الاسلامية مندرجة تحت الخلافة لاشتمال منصب الخلافة على الدين
والدنيا كما قدمناه فالاحكام الشرعية متعلقة بجميعها وموجودة لكل واحدة منها
في ساير وجوهها لعموم تعلق الحكم الشرعي بجميع افعال العباد فالفقيه ينظر في
مرتبة الملك والسلطان وشروط تقليدها استبدادا على الخلافة وهو معنى السلطان
او تفويضا منها وهو معنى الوزارة عندهم كما ياتي في حدود نظره في الاحكام والاموال
وساير السياسات مطلقا او مقيدا وفي موجبات العزل ان عرضت وغير ذلك
من معاني الملك والسلطان وكذا في ساير الوظايف التي تحت الملك والسلطان
من وزارة او جباية او ولاية لا بد للفقيه من النظر في جميع ذلك لما قدمناه من انسحاب

حكم الخلافة الشرعية في الملة الاسلامية على رتبة الملك والسلطان الا ان كلامنا في وظايف
الملك والسلطان ورتبه انما هو بمقتضى طبيعة العمران ووجود البشر لا بما يخصها من
احكام الشرع فليس من غرض كتابنا كما علمت فلا نحتاج الى تفصيل احكامها الشرعية مع انها
مستوفاة في كتب الاحكام السلطانية مثل كتاب القاضي ابي الحسن الماوردي وغيره من اعلام
الفقهاء فان اردت استيعابها فعليك بمطالعتها هنالك وانما تكلمنا في الوظايف
الخلافية وافردناها لنميز بينها وبين الوظايف السلطانية فقط لا لتحقيق احكامها الشرعية
فليس من غرض كتابنا وانما نتكلم في ذلك بما تقتضيه طبيعة العمران في الوجود الانساني
والله الموفق **الوزارة** وهي ام الخطط السلطانية والرتب الملوكية لان اسمها يدل على
مطلق الاعانة فان الوزارة ماخوذة اما من الموازرة وهي المعاونة او من الوزر وهو
الثقل كانه يحمل مع مفاعله اوزاره واثقاله وهو راجع الى المعاونة المطلقة وقد كنا قدمنا
في اول الفصل ان احوال السلطان وتصرفاته لا تعدو اربعة انحا لانها اما ان تكون في امور
حماية الكافة واسبابها من النظر في الجند او السلاح والحروب وساير امور الحماية والمطالبة
وصاحب هذا هو الوزير المتعارف في الدول القديمة بالمشرق ولهذا العهد بالمغرب
واما ان تكون في امور مخاطباته لمن بعد عنه في المكان او الزمان وتنفيذه الاوامر فيمن
هو محجوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب واما ان تكون في امور جباية المال وانفاقه
وضبط ذلك من جميع وجوهه ان يكون بمضيعة وصاحب هذا هو صاحب المال والجباية
وهو المسمى بالوزير لهذا العهد بالمشرق واما ان يكون في مدافعة الناس ذوي الحاجات
عنه ان يزدحموا عليه فيشغلوه عن فهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذي يحجبه
فلا تعدو احواله هذه الاربعة بوجه وكل خطة او رتبة من رتب الملك والسلطان فاليها
ترجع الا ان الارفع منها ما كانت الاعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك
الصنف اذ هو يقتضي مباشرة السلطان دايما ومشاركته في كل صنف من احوال
ملكه واما ما كان خاصا ببعض الناس او ببعض الجهات فيكون دون الرتبة الاخرى
كقيادة ثغر او ولاية جباية خاصة او النظر في امر خاص كحسبة الطعام او النظر في
السكة فان هذه كلها نظر في احوال خاصة فيكون صاحبها تبعا لاهل النظر العام
وتكون رتبته مرؤوسة لاولئك وما زال الامر في الدول قبل الاسلام هكذا حتى اذا جاء
الاسلام وصار الامر خلافة فذهبت هذه الخطط كلها بذهاب رسم الملك الا ما هو
طبيعي من المعاونة بالراي والمفاوضة فيه فلم يكن زواله اذ هو امر لا بد منه فكان صلى
الله عليه وسلم يشاور اصحابه ويفاوضهم في مهماته العامة والخاصة ويخص مع
ذلك ابا بكر بخصوصيات اخرى حتى كان العرب الذين عرفوا الدول واحوالها
في كسرى وقيصر والنجاشي يسمون ابا بكر وزيره ولم يكن لفظ الوزير يعرف
بين المسلمين لذهاب رتب الملك بسذاجة الاسلام وكذا عمر مع ابي بكر وعلي وعثمان
مع

مع عمر واما حال الجباية والانفاق والحسبان فلم يكن عندهم برتبة لان القوم كانوا عربا
اميين لا يحسنون الكتاب ولا الحساب فكانوا يستعملون في الحسبان اهل الكتاب او افرادا
من موالي العجم ممن يحسنه وكان قليلا فيهم واما اشرافهم فلم يكونوا يجيدونه لان الامية كانت
صفتهم التي امتازوا بها وكذا حال المخاطبات وتنفيذ الامور لم يكن عندهم رتبة
خاصة للامية التي فيهم والامانة العامة في كتمان القول وتاديته ولم تخرج السياسة
الى اختياره لان الخلافة انما هي دين وليست من السياسة الملكية في شيء وايضا فلم
تكن الكتابة صناعة فيستجاد للخليفة احسنها لان الكل كانوا يعبرون عن مقاصدهم
بابلغ العبارات ولم يبق الا الخط فكان الخليفة يستنيب في كتابه متى عن له من يحسنه
واما مدافعة ذوي الحاجات عن ابوابهم فكان محظورا بالشريعة فلم يفعلوه فلما انقلبت
الخلافة الى الملك وجاءت رسوم السلطان والقابه كان اول شيء بدئ به في الدولة
شان الباب وسده دون الجمهور لما كانوا يخشون على انفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم
كما وقع بعمر وعلي ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم مع ما في فتحه من ازدحام الناس
عليهم وشغلهم بهم عن المهمات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب وقد جاء
ان عبد الملك لما ولى حاجبه قال له وليتك حجابة بابي الا عن ثلثة المؤذن للصلاة
فانه داعي الله وصاحب البريد فامر ما جاء به وصاحب الطعام لئلا يفسد ثم استفحل
الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين في امور القبايل والعصايب واستيلافهم
واطلق عليه اسم الوزير وبقي امر الحسبان في الموالي والذميين واتخذ للسجلات
كاتب مخصوص حوطة على اسرار السلطان ان تشتهر فتفسد سياسته مع قومه
ولم يكن بمثابة الوزير لانه انما احتيج له من حيث الخط والكتاب لا من حيث اللسان الذي
هو الكلام اذ اللسان لذلك العهد على حاله لم يفسد فكانت الوزارة لذلك ارفع
رتبهم يومئذ هذا ساير دولة بني امية فكان النظر للوزير عاما في احوال التدبير
والمفاوضات وساير امور الحمايات والمطالبات وما يتبعها من النظر في ديوان الجند
وفرض العطاء بالاهلة وغير ذلك فلما جاءت دولة بني العباس واستفحل الملك
وعظمت مراتبه وارتفعت عظم شان الوزير وصارت اليه النيابة في انفاذ الحل والعقد وتعينت
مرتبته في الدولة وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب وجعل له النظر في ديوان الحسبان
لما تحتاج اليه خطته من قسم الاعطيات في الجند فاحتاج الى النظر في جمعه
وتفريقه واضيف اليه النظر فيه ثم جعل له النظر في القلم والترسيل لصون اسرار
السلطان ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم لسجلات
السلطان ليحفظها من الذياع والشياع ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعا لخطتي السيف
والقلم وساير معاني الوزارة والمعاونة حتى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسلطان ايام الرشيد
اشارة الى عموم نظره وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها الا الحجابة

التي هي القيام على الباب فلم تكن له لاستنكافه عن مثل ذلك ثم جاء في الدولة العباسية
شان الاستبداد على الخلفاء وتعاور فيها استبداد الوزارة والسلطان اخرى وصار
الوزير اذا استبد محتاجا الى استنابة الخليفة اياه لذلك لتصح الاحكام الشرعية وتجري
على حالها كما تقدم فانقسمت الوزارة حينيذ الى وزارة تنفيذ وهي حال ما يكون
السلطان قايما على نفسه والوزير كالوكيل في تنفيذ احكامه والى وزارة تفويض وهي حال
ما يكون الوزير مستبدا عليه وقد فوض اليه الخليفة جميع امور خلافته وجعلها لنظره واجتهاده
وجرى حينيذ الخلاف في العقد لوزيرين معا بوزارة التفويض مثل ما جرى من العهد
لامامين معا وقد تقدم في الاحكام الخلافية ثم استمر الاستبداد وصار الامر لملوك العجم
وتعطل رسم الخلافة ولم يكن لاوليك المتغلبين ان ينتحلوا القاب الخلافة واستنكفوا
من مشاركة الوزراء في اللقب لانهم خول لهم فتسموا بالامارة والسلطان وكان المستبد
على الدولة يسمى امير الامراء او بالسلطان الى ما يحليه به الخليفة من القابه كما تراه في
القابهم وتركوا اسم الوزارة الى من يتولاها للخليفة في خاصته ولم يزل هذا الشان عندهم
الى اخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصار صناعة ينتحلها بعض الناس
فامتهنت وترفع الوزراء عنها لذلك ولانهم عجم وليست تلك البلاغة هي المقصودة من
لسانهم فتخير لها من ساير الطبقات واختصت به وصارت خادمة للوزير
واختص اسم الامير بصاحب الحروب والجند وما يرجع اليها ويده مع ذلك عالية
على اهل الرتب وامره نافذ في الكل اما نيابة او استبدادا واستمر الامر على هذا
ثم جاءت دولة الترك اخرا بمصر فراوا الوزارة قد ابتذلت بترفع اوليك عنها
ودفعها لمن يقوم بها للخليفة المحجور ونظره مع ذلك معقب بنظر الامير فصارت
مرووسة ناقصة فاستنكف اهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة
وصار صاحب الاحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنايب لهذا العهد واختص
اسم الوزير عندهم بالناظر في الجباية **واما** دولة بني امية بالاندلس فابقوا اسم
الوزير في مدلوله اول الدولة ثم قسموا خطته اصنافا وافردوا لكل صنف وزيرا
فجعلوا لحسبان المال وزيرا وللترسل وزيرا وللنظر في حوايج المتظلمين وزيرا
وللنظر في احوال اهل الثغور وزيرا وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة
لهم وينفذون امر السلطان هنالك كل فيما جعل له وافرد للتردد بينهم وبين الخليفة
واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن مجالسهم
وخصوه باسم الحاجب ولم يزل الشان هذا الى اخر دولتهم فارتفعت خطة الحاجب
ومرتبته على ساير الرتب حتى صار ملوك الطوايف ينتحلون لقبها فاكثرهم يوميذ يسمى
الحاجب كما نذكره ثم جاءت دولة الشيعة بافريقية والقيروان وكان للقايمين بها
رسوخ في البداوة فاغفلوا امر هذه الخطط اولا وتنقيح اسمايها حتى ادركت دولتهم الحضارة



فصاروا الى تقليد الدولتين قبلهم في وضع اسمايها كما تراه في اخبار دولتهم **ولما**
جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك اغفلت الامر اولا للبداوة ثم صارت الى انتحال
الاسماء والالقاب وكان اسم الوزارة في مدلوله ثم اتبعوا دولة الامويين وقلدوها
في مذاهب السلطان واختاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان في مجلسه ويقف بالوفود والداخلين
على السلطان عند الحدود في تحيتهم وخطابهم والاداب التي تلزم في الكون بين يديه ورفعوا
خطة الحجابة عنه ما شاوا ولم يزل الشان ذلك الى هذا العهد **واما** في دولة
الترك بالمشرق فيسمون هذا الذي يقف بالناس على حدود الاداب في اللقاء والتحية
في مجلس السلطان والتقدم بالوفود بين يديه يسمونه الدوادار ويضيفون اليه استتباع
كاتب السر واصحاب البرد المتصرفين في حاجات السلطان بالقاصية وفي الحضرة وحالهم
على ذلك لهذا العهد والله متولي الامور **الحجابة** قد قدمنا ان هذا اللقب
كان مخصوصا في الدولة الاموية والعباسية بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق
بابه دونهم او يفتحه لهم على قدره وفي مواقيته وكانت هذه منزلة عن الخطط مرووسة لها
اذ الوزير متصرف فيها بما يراه وهكذا [illegible] لساير ايام بني العباس والى هذا
العهد فهي بمصر مرووسة لصاحب الخطة العليا المسمى بالنايب واما في دولة بني امية
بالاندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه
وبين الوزراء فمن دونهم فكانت في دولتهم رفيعة غاية كما تراه في اخبارهم كابن حدير وغيره
من حجابهم ثم لما جاء الاستبداد على الدولة اختص المستبد باسم الحجابة لشرفها فكان
المنصور بن ابي عامر وابناه كذلك ولما بدوا في مظاهر الملك واطواره جاء من بعدهم من ملوك
الطوايف فلم يتركوا لقبها وكانوا يعدونه شرفا لهم وكان اعظمهم ملكا بعد انتحال
القاب الملك واسمايه لا بد له من ذكر الحاجب وذي الوزارتين يعنون به السيف والقلم
ويدلون بالحجابة على حجابة السلطان عن العامة والخاصة وبذي الوزارتين على جمعه لخطتي السيف
والقلم **ثم** لم يكن في دول المغرب وافريقية ذكر لهذا الاسم للبداوة التي كانت فيهم
وربما يوجد في دولة العبيديين بمصر عند استعظامها وحضارتها الا انه قليل
**ولما** جاءت دولة الموحدين لم تستحكم فيها الحضارة الداعية الى انتحال الالقاب
وتمييز الخطط وتعيينها بالاسماء الا اخرا فلم يكن عندهم من الرتب الا الوزير فكانوا
اولا يخصون بهذا الاسم الكاتب المتصرف المشارك للسلطان في خاص امره كابن عطية
وعبد السلام الكومي وكان له مع ذلك النظر في الحسبان والاشغال المالية ثم صار بعد ذلك
اسم الوزير لاهل نسب الدولة من الموحدين كابن جامع وغيره ولم يكن اسم الحاجب
معروفا في دولتهم يوميذ **واما** بنو ابي حفص بافريقية فكانت الرياسة في دولتهم
اولا والتقدم لوزير الراي والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدين وكان له النظر في
الولايات والعزل وقود العساكر والحروب واختص الحسبان والديوان برتبة اخرى

يسمى متوليها بصاحب الأشغال ينظر فيها النظر المطلق في الدخل والخرج ويحاسب
ويستخلص الأموال ويعاقب على التفريط وكان من شرطه أن يكون من الموحدين واختص عندهم
القلم أيضاً بمن يجيد الترسيل ويؤتمن على الأسرار لأن الكتابة لم تكن من منتحل القوم ولا
الترسيل بلسانهم فلم يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لاتساع ملكه وكثرة
المرتزقين في داره إلى قهرمان خاص بداره في أحواله يجريها على قدرها وترتيبها من رزق
وعطاء وكسوة ونفقة في المطابخ والإسطبلات وغيرها وحصر للذخيرة وتنفيذ ما يحتاج إليه
في ذلك على أهل الجباية فخصوه باسم الحاجب وربما أضافوا له كتابة العلامة على السجلات
إذا اتفق أن يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوه لغيره واستمر الأمر على ذلك وحجب
السلطان نفسه عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين أهل الرتب
كلهم ثم جمع له آخر الدولة السيف والحرب ثم الرأي والمشورة فصارت الخطة أرفع الرتب
وأوعبها للخطط ثم جاء الاستبداد والحجر مدة من بعد السلطان الثاني عشر منهم ثم استبد
بعد ذلك حافده السلطان أبو العباس على نفسه وأذهب آثار الحجر والاستبداد
بإذهاب خطة الحجابة التي كانت سلماً إليه وباشر أموره كلها بنفسه من غير استعانة بأحد
والأمر في ذلك لهذا العهد **وأما** دول زناتة بالمغرب وأعظمها دولة بني مرين
فلا أثر لاسم الحاجب عندهم وأما رياسة الحرب والعساكر فهي للوزير ورتبة القلم في
الحسبان والرسائل راجعة إلى من يحسنها من أهلها وإن اختصت ببعض البيوت
من المصطنعين في دولتهم وقد تجمع عندهم وقد تفرق وأما باب السلطان وحجبه
عن العامة فهي رتبة عندهم يسمى صاحبها بالمزوار ومعناه المقدم على الجنادرة المتصرفين
بباب السلطان في تنفيذ أوامره وتصريف عقوباته وإنزال سطواته وحفظ المعتقلين
في سجونه والعريف عليهم في ذلك فالباب له وأخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار
العامة راجع إليه فكأنها وزارة صغرى **وأما** دولة بني عبد الواد فلا أثر عندهم
لشيء من هذه الألقاب ولا تمييز الخطط لبداوة دولتهم وقصورها وإنما يخصون باسم الحاجب
في بعض الأحوال منفذ الخاص بالسلطان في داره كما كان في دولة بني أبي حفص وقد
يجمعون له الحسبان والسجلات كما كان فيها حملهم على ذلك تقليد الدولة بما كانوا في
بيعتها وقائمين بدعوتها منذ أول أمرهم **وأما** أهل الأندلس لهذا العهد فالمخصوص
عندهم بالحسبان وتنفيذ حال السلطان وسائر الأمور المالية يسمونه بالوكيل وأما الوزير
فكالوزير إلا أنه قد يجمع له الترسيل والسلطان عندهم يضع خطه على السجلات كلها فليس
هناك خطة العلامة كما لغيرهم من الدول **وأما** دولة الترك بمصر فاسم الحاجب عندهم
موضوع لحاكم من أهل الشوكة وهم الترك ينفذ الأحكام بين الناس في المدينة وهم
متعددون وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في أهل الدولة
وفي العامة على الإطلاق وللنائب التولية والعزل في بعض الوظائف على الأحيان

ويقطع

ويقطع القليل من الأرزاق ويبتها وينفذ أموره ومراسمه كما ينفذ المراسم السلطانية
وكان له النيابة المطلقة عن السلطان وللحجاب الحكم فقط في طبقات العامة والجند
عند الترافع إليهم وإجبار من أبى الانقياد للحكم وطورهم تحت طور النيابة والوزير في دولة
الترك هو صاحب جباية الأموال في الدولة على اختلاف أصنافها من خراج أو مكس أو جزية
ثم تصريفها في الإنفاقات السلطانية أو الجرايات المقدرة وله مع ذلك التولية والعزل
في سائر العمال المباشرين لهذه الجباية والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وتباين أصنافهم
ومن عوائدهم أن يكون هذا الوزير من صنف القبط القائمين على ديوان الحسبان
والجباية لاختصاصهم بذلك في مصر منذ عصور قديمة وقد يوليها السلطان بعض
الأحيان لأهل الشوكة من رجالات الترك أو أبنائهم على حسب الداعية لذلك والله
مدبر الأمور ومصرفها بحكمته لا إله إلا هو

## ديوان الأعمال والجبايات

هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق
الدولة في الدخل والخرج وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم
في إباناتها والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتبها قومة تلك الأعمال وقهارمة
الدولة وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج مبني على
جزء كبير من الحسبان لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال ويسمى ذلك الكتاب بالديوان
وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها ويقال إن أصل هذه التسمية أن كسرى نظر
يوماً إلى كتاب ديوانه وهم يحسبون مع أنفسهم كأنهم يحادثون فقال ديوانه أي مجانين
بلغة الفرس فسمي موضعهم بذلك وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقيل ديوان
ثم نقل هذا الاسم إلى كتاب هذه الأعمال المتضمن للقوانين والحسبانات وقيل إنه اسم
للشياطين بالفارسية وسمي الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في فهم الأمور ووقوفهم على
الجلي منها والخفي وجمعهم لما شذ وتفرق ثم نقل إلى مكان جلوسهم لتلك الأعمال
وعلى هذا فيتناول اسم الديوان كتاب الرسائل ومكان جلوسهم بباب السلطان
على ما يأتي بعد وقد تفرد هذه الوظيفة بناظر واحد ينظر في سائر هذه الأعمال وقد يفرد
كل صنف منها بناظر كما يفرد في بعض الدول النظر في العساكر وإقطاعاتهم وحسبان
أعطياتهم أو غير ذلك على حسب مصطلح الدولة وما قرره أولوها واعلم أن هذه الوظيفة
إنما تحدث في الدول عند تمكن الغلب والاستيلاء والنظر في أعطاف الملك وفنون
التمهيد وأول من وضع الديوان في الدولة الإسلامية عمر رضي الله عنه يقال بسبب
مال أتى به أبو هريرة من البحرين فاستكثروه وتعبوا في قسمه فسموا إلى إحصاء الأموال
وضبط العطاء والحقوق فأشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رأيت ملوك الشام يدونون

[illegible]

فقبل منه عمر وقيل بل اشار عليه الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان فقال
له ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم فان من تخلف منهم اخل بمكانه وانما يضبط ذلك
الكتاب فاثبت لهم ديوانا وسال عمر عن اسم الديوان ففسر له ولما اجتمع ذلك امر عقيل
ابن ابي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان
العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتديا من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما بعدها الاقرب فالاقرب هكذا كان ابتدا ديوان الجيش وروى الزهري عن سعيد
ابن المسيب ان ذلك كان في المحرم سنة عشرين **واما** ديوان الخراج والجبايات
فبقي بعد الاسلام على ما كان عليه من قبل ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام
بالرومية وكتاب الدواوين من اهل العهد من الفريقين فلما جا عبد الملك بن مروان
واستحال الامر ملكا وانتقل القوم من غضاضة البداوة الى رونق الحضارة ومن سذاجة
الامية الى حذق الكتابة وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتاب والحسبان فامر
عبد الملك سليمان بن سعد والي الاردن لعهده ان ينقل ديوان الشام الى العربية
فاكمله لسنة من يوم ابتداه ووقف عليه سرجون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم اطلبوا
العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم **واما** ديوان العراق فامر الحجاج
كاتبه صالح بن عبد الرحمن وكان يكتب بالعربية والفارسية ولقن ذلك عن زاذان
فروخ كاتب الحجاج قبله ولما قتل زاذان في حرب عبد الرحمن بن الاشعث استخلف
الحجاج صالحا هذا مكانه وامره ان ينقل الديوان من الفارسية الى العربية ففعل ورغم
لذلك كتاب الفرس وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما اعظم منته على الكتاب
ثم جعلت هذه الوظيفة في دولة بني العباس مضافة الى من كان له النظر فيه كما كان
شان بني برمك وبني سهل بن نوبخت وغيرهم من وزرا الدولة فاما ما يتعلق
بهذه الوظيفة من الاحكام الشرعية مما يختص بالجيش او بيت المال في الدخل والخرج
او تمييز النواحي بالصلح والعنوة وفي تقليد هذه الوظيفة لمن يكون وشروط
الناظر فيها والكاتب وقوانين الحسبانات فامر راجع الى كتب الاحكام السلطانية
وهي مسطورة هنالك وليست من غرض كتابنا وانما نتكلم فيها من حيث طبيعة الملك
بل هي بالغة اركانه صح
الذي نحن بصدد الكلام فيه وهذه الوظيفة جز عظيم من الملك لان الملك لا بد له من الجند
والمال والمخاطبة لمن غاب عنه فاحتاج صاحب الملك الى الاعوان في امر السيف
وامر القلم وامر المال فينفرد صاحبها لذلك بجز من رياسة الملك وكذلك كان الامر في دولة
بني امية بالاندلس والطوايف بعدهم واما في دولة الموحدين فكان صاحبها انما يكون
من الموحدين يستقل بالنظر في استخراج الاموال وجمعها وضبطها وتعقب
نظر الولاة والعمال فيها ثم تنفيذها على قدرها وفي مواقيتها وكان يعرف بصاحب
الاشغال وكان ربما يليها في الجهات غير الموحدين ممن يحسنها ولما استبد بنو ابي حفص

بافريقية

بافريقية وكان شان الجالية من الاندلس فقدم عليهم اهل البيوتات ومنهم من كان
يستعمل في ذلك بالاندلس مثل بني سعيد اصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين
ببني ابي الحسين فاستكفوا بهم في ذلك وجعلوا النظر لهم في الاشغال كما كان لهم
بالاندلس ودالوا فيها بينهم وبين الموحدين ثم استقل بها اهل الحسبان والكتاب
وخرجت عن الموحدين ثم لما استغلظ امر الحاجب ونفذ امره في كل شان من
شون الدولة تعطل هذا الرسم وصار صاحبه مروسا للحاجب واصبح من جملة الجباة
وذهبت تلك الرياسة التي كانت له في الدولة واما في دولة بني مرين لهذا العهد
فحسبان الخراج والعطا مجموع لواحد وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسبانات
كلها ويرجع الى ديوانه ونظره معقب بنظر السلطان او الوزير وخطه معتبر في صحة
الحسبان في العطا والخراج هذه اصول الرتب والخطط السلطانية وهي الرتب العالية
التي هي عامة النظر ومباشرة للسلطان واما هذه الرتبة في دولة الترك فمتنوعة وصاحب
ديوان العطا يعرف بناظر الجيش وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في
ديوان الجباية العامة للدولة وهو اعلى رتب الناظرين في الاموال لان النظر في الاموال
عندهم يتنوع الى رتب كثيرة لانفساح دولتهم وعظم سلطانهم واتساع الاموال
والجبايات عن ان يستقل بضبطها الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية مبالغه
فتعين للنظر العام منها هذا المخصوص باسم الوزير وهو مع ذلك رديف لمولى
من موالي السلطان واهل عصبيته وارباب السيوف في الدولة يرجع نظر الوزير
الى نظره ويجتهد جهده في متابعته ويسمى عندهم استاد الدار وهو احد الامرا
الاكابر في الدولة من الجند وارباب السيوف ويتبع هذه الخطة عندهم خطط اخرى كلها
راجعة الى الاموال والحسبان مقصورة النظر على امور خاصة مثل ناظر الخاص
وهو المباشر لاموال السلطان الخاصة به من اقطاعه او سهمانه من اموال الخراج وبلاد
الجباية مما ليس من اموال المسلمين العامة التي لنظره وهو تحت يد الامير استاد الدار
وان كان الوزير من الجند فلا يكون لاستاد الدار نظر عليه وناظر الخاص ايضا
تحت يد الخازن لاموال السلطان من مماليكه المسمى خازن دار لاختصاص وظيفته
بمال السلطان الخاص به هذا بيان هذه الخطة في دولة الترك بالمشرق بعد
ما قدمناه من امرها بالمغرب والله مصرف الامور لا رب غيره

## ديوان الرسايل والكتابة

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك بطبيعته لاستغنا كثير من الدول عنها راسا كما في
الدول العريقة في البداوة التي لم ياخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنايع وانما
اكد الحاجة اليها في الدولة الاسلامية شان اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن

المقاصد مقصار الكتاب يؤدي كنه الحاجة بابلغ من العبارة اللسانية في الاكثر وكان الكاتب
للامير يكون من اهل نسبه ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء وامراء الصحابة بالشام والعراق
لعظم امانتهم وخلوص اسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة اختص بمن يحسنه
وكانت عند بني العباس رفيعة وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقة ويكتب
في اخرها اسمه ويختم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان
او شارته يغمس في طين احمر مذاف بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفي
السجل عند طيه والصاقه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان
ويضع الكاتب فيها علامته اولا او اخرا على حسب الاختيار في محلها وفي لفظها
ثم قد تنزل هذه الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغيره من اهل المراتب
في الدولة او استبداد وزير عليه فتصير علامة هذا الكاتب ملغاة الحكم
بعلامة الرئيس عليه يستدل بها فيكتب صورة علامته المعهودة والحكم لعلامة
ذلك الرئيس كما وقع اخر الدولة الحفصية لما ارتفع شان الحجابة وصار امرها
الى التفويض ثم الاستبداد صار حكم العلامة التي للكاتب ملغى وصورتها ثابتة
اتباعا لما سلف من امرها فصار الحاجب يرسم للكاتب امضاء كتابه ذلك
بخط يصنعه ويتخير له من صيغ الانفاذ ما شاء فيأتمر الكاتب له ويضع العلامة
المعتادة وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك اذا كان مستبدا بامره قائما
على نفسه فيرسم الامر للكاتب ليضع علامته **ومن** خطط الكتابة التوقيع
وهو ان يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص
المرفوعة اليه احكامها والفصل فيها متلقاة من السلطان باوجز لفظ وابلغه
فاما ان تصدر كذلك واما ان يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب
القصة ويحتاج الموقع الى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه وقد كان
جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرمي بالقصة الى صاحبها
فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف فيها على اساليب
البلاغة وفنونها حتى قيل انها كانت تباع كل قصة منها بدينار وهكذا كان
شان الدول واعلم ان صاحب هذه الخطة لا بد ان يتخير من ارفع طبقات
الناس واهل المروءة والحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة فانه معرض
للنظر في اصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد احكامهم من امثال
ذلك مع ما تدعو اليه عشرة الملوك من القيام على الاداب والتخلق بالفضائل
ومع ما يضطر اليه في الترسيل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة واسرارها
وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة الى ارباب السيوف لما يقتضيه طبع
الدولة من البعد عن معاناة العلوم لاجل سذاجة العصبية فيختص السلطان

اهل

**فاما** اهل عصبيته بخطط دولته وسائر رتبه فيقلد المال والسيف والكتابة منهم
رب السيف فيستغني عن معاناة العلم واما المال والكتابة فيضطر الى ذلك للبلاغة
في هذه والحسبان في الاخرى فيختارون لها من هذه الطبقة ما دعت اليه الضرورة ويقلدونه
الا انه يكون بيد اخر من اهل العصبية غالبا عليه ويكون نظره متصرفا عن نظره كما هو
في دولة الترك لهذا العهد بالمشرق فان رئاسة الكتابة عندهم وان كانت لصاحب
الانشاء الا انه تحت يد امير من اهل عصبية السلطان يعرف بالدويدار وتعويل السلطان
ووثوقه به واستنامته في غالب احواله اليه وتعويله على الاخر في احوال البلاغة وتطبيق المقاصد وغير ذلك من
توابعها **واما** الشروط المعتبرة في صاحب هذه الرتبة التي يلاحظها السلطان في
اختياره وانتقائه من اصناف الناس فهي كثيرة واحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب
في رسالته الى الكتاب وهي هذه **اما بعد** حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة
وحاطكم ووفقكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين
صلوات الله عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين اصنافا وان كانوا في الحقيقة سواء
وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معايشهم وابواب
ارزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والمروءة والعلم
والرواية بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها وبنصائحكم يصلح الله
للخلق سلطانهم ويعمر بلادهم لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم
فموقعكم من الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون وابصارهم التي بها يبصرون
والسنتهم التي بها ينطقون وايديهم التي بها يبطشون فامتعكم الله بما خصكم
من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما اضفاه من النعمة عليكم وليس احد من اهل
الصناعات احوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة
منكم ايها الكتاب اذا كنتم على ما ياتي في هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب
يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ان يكون حليما
في موضع الحلم فهيما في موضع الحكم مقداما في موضع الاقدام محجاما في موضع
الاحجام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف كتوما للاسرار وفيا عند الشدائد
عالما بما ياتي من النوازل يضع الامور مواضعها ~~والطوارق في اماكنها~~ والطوارق
اماكنها قد نظر في كل فن من فنون العلم فاحكمه فان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتفي
به يعرف بغريزة عقله وحسن ادبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة
ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل امر عدته وعتاده ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته
فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الاداب وتفقهوا في الدين وابدؤوا بعلم كتاب
الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف السنتكم ثم اجيدوا الخط فانه حلية
كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والعجم واحاديثها

الحادي عشر

٢٠٤

يعرف بالدويدار وتعويل السلطان

خلال

وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسموا اليه هممكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه
قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الامور
ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناات واربوا
بانفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه اهل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة
فانها عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي
هو اليق باهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا
عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه امره وان اقعد احدكم الكبر عن مكسبه
ولقا اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته
وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه احوط منه على ولده
واخيه فان عرضت في الشغل محمدة فلا يضيفها الا الى صاحبه وان عرضت
مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب
اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى القراء وهو لكم افسد منه لها فقد علمتم ان الرجل
منكم اذا صحبه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه ان
يعتقد له من وفايه وشكره واحتماله وصبره ونصيحته وكتمان سره وتدبير امره
ما هو جزا لحقه ويصدق ذلك بفعاله عند الحاجة اليه والاضطرار الى ما لديه
فاستشعروا ذلك وفقكم الله من انفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة
والاحسان والسراء والضراء فنعمت الشيمة لمن وسم بها من اهل هذه الصناعة
الشريفة واذا ولي الرجل منكم او صير اليه من امر خلق الله وعياله امر فليراقب
ربه عز وجل وليوثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا وللمظلوم منصفا فان الخلق
عيال الله واحبهم اليه ارفقهم بعياله ثم ليكن بالعدل حاكما وللاشراف مكرما
وللفي موفرا وللبلاد عامرا وللرعية متالفا وعن اذاهم متخلفا وليكن في مجلسه
متواضعا حليما وفي سجلات خراجه واستقضا حقوقه رفيقا واذا صحب
احدكم رجلا فليختبر خلايقه فاذا عرف حسنها وقبيحها اعانه على ما يوافقه من الحسن
واحتال لصرفه عما يهواه من القبيح بالطف حيلة واجمل وسيلة وقد علمتم ان سايس
البهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت رموحا لم يهجها
اذا ركبها وان كانت شبوبا اتقاها من قبل يديها وان خاف منها شرودا توقاها من
ناحية راسها وان كانت حرونا قمع برفق هواها في طرقها فان استمرت عطفها
يسيرا فيسلس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلايل لمن ساس الناس وعاملهم
وجربهم وداخلهم والكاتب بفضل ادبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته
لمن يحاوره من الناس ويناظره ويفهم عنه او يخاف سطوته اولى بالرفق لصاحبه ومداراته
وتقويم اوده من سايس البهيمة التي لا تحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا

بلغ

الا بقدر

الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها الا فارفقوا رحمكم الله في النظر واعملوا فيه
ما امكنكم من الروية والفكر تامنوا باذن الله ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة
ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المواخاة والشفقة ان شا الله ولا يجاوزن
الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنايه وخدمه وغير
ذلك من فنون امره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة
لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم افعال التضييع والتبذير
واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف
السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان اهلهما
ولا سيما الكتاب وارباب الاداب وللامور اشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا
على موتنف اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها
محجة واصدقها حجة واحمدها عاقبة واعلموا ان للتدبير افة متلفة وهو الوصف
الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي
من منطقه وليوجز في ابتدايه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله
ومدفعة للتشاغل عن اكثاره وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده
مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وادبه فانه ان ظن منكم ظان او قال
قايل ان الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن
تدبيره فقد تعرض بظنه او مقالته الى ان يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير
منها الى غير كاف وذلك على من تامله غير خاف ولا يقل احد منكم انه ابصر بالامور
واحمل لعب التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته فان اعقل
الرجلين عند ذوي الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره وراى ان صاحبه اعقل
منه واحمد في طريقته وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناوه
من غير اغترار برايه ولا تزكية لنفسه ولا تكاثر على اخيه او نظيره وصاحبه
وعشيره وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل
لعزته والتحدث بنعمته وانا اقول في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه
النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر
الله عز وجل فلذلك جعلته اخره وتممته به تولانا الله واياكم يا معشر الطلبة
والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

## الشرطة

ويسمى صاحبها لهذا العهد
بافريقية الحاكم وفي دولة اهل الاندلس صاحب المدينة وفي دولة الترك الوالي
وهي وظيفة مرؤوسة لصاحب السيف في الدولة وحكمه نافذ في صاحبها في بعض
الاحيان وكان اصل وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم احكام الجرايم في

حالًا استبرائها او لاتمام الحدود بعد استيفائها فان التهم التي تعرض في الجرائم لا نظر للشرع الا في استيفاء حدودها وللسياسة النظر في استبرا موجباتها باقرار يكرهه عليه الحاكم اذا احتفت به القراين لما توجبه المصلحة العامة في ذلك فكان الذي يقوم بهذا الاستبرا وباستيفاء الحدود بعده اذا تنزه عنه القاضي يسمى صاحب الشرطة وربما جعلوا اليه النظر في الدما والحدود باطلاق وافردوها من نظر القاضي ونوهوا بهذه الرتبة وقلدوها كبار القواد وعظما الخاصة من مواليهم ولم تكن عامة التنفيذ في طبقات الناس انما كان حكمه على الدهما واهل الريب والضرب على ايدي الاغمار والفجرة ثم عظمت نباهتها في دولة بني امية بالاندلس ونوعت الى شرطة كبرى وشرطة صغرى وجعل حكم الكبرى على الخاصة والدهما وجعل له الحكم على دوي المراتب السلطانية والضرب على ايديهم في الظلامات وعلى ايدي اقاربهم ومن اليهم من اهل الجاه وجعل صاحب الصغرى مخصوصا بالعامة ونصب لصاحب الكبرى كرسي بباب دار السلطان ورجل يتبوؤن المقاعد بين يديه فلا يبرحون عنها الا في تصريفه وكانت ولايتها للاكابر من رجالات الدولة حتى كانت ترشيحا للوزارة والحجابة واما في دولة الموحدين بالمغرب فكان لها حظ من التنويه وان لم يجعلوها عامة وكان لا يليها الا رجالات الموحدين وكبراؤهم ولم يكن لهم التحكم على اهل المراتب السلطانية ثم فسد اليوم منصبها وخرجت عن ولاية رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من المصطنعين واما في دولة بني مرين لهذا العهد بالمغرب فولايتها في بيوت من مواليهم واهل اصطناعهم وفي دولة الترك بالمشرق في رجالات الترك او اعقاب اهل الدولة قبلهم من الكرد يتخيرونهم لها في النظر بما يظهر منهم من الصلابة والمضا في الاحكام لقطع مواد الفساد وحسم ابواب الدعارة وتخريب مواطن الفسوق وتفريق مجامعه مع اقامة الحدود الشرعية والسياسية كما تقتضيه رعاية المصالح العامة في المدينة والله مقلب الليل والنهار

## قيادة الاساطيل

وهي من مراتب الدولة وخططها في ملك المغرب وافريقية ومرؤوسة لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الاحوال ويسمى صاحبها في عرفهم بالملند بتفخيم اللام منقولا من لغة الافرنجة فانه اسمها في اصطلاح لغتهم وانما اختصت هذه الرتبة بملك افريقية والمغرب لانهما جميعا على ضفة البحر الرومي من جهة الجنوب وعلى عدوته الجنوبية بلاد البربر كلهم من سبتة الى الاسكندرية الى الشام وعلى عدوته الشمالية بلاد الاندلس والافرنجة والصقالبة

والروم

والروم الى بلاد الشام ايضا ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة الى اهل عدوته والساكنون بسيف هذا البحر وسواحله من عدوتيه يعانون من احواله ما لا تعانيه امة من امم البحار فقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي وكانت اكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في اساطيله ولما اسف من اسف منهم الى ملك العدوة الجنوبية مثل الروم الى افريقية والقوط الى المغرب اجازوا في الاساطيل وملكوها وتغلبوا على البربر بها وانتزعوا من ايديهم امرها وكان لهم بها المدن الحافلة مثل قرطاجنة وسبيطلة وجلولا ومرناق وشرشال وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب رومة ويبعث الاساطيل لحربه مشحونة بالعساكر والعدد فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين حفافيه معروفة في القديم والحديث ولما ملك المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص ان صف لي البحر فكتب اليه ان البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود فاوعز حينئذ بمنع المسلمين من ركوبه ولم يركبه احد من العرب الا من افتات على عمر في ركوبه ونال من عقابه كما فعل بعرفجة بن هرثمة الازدي سيد بجيلة لما اغزاه عمان فبلغه فانكر عليه وعنفه انه ركب البحر للغزو ولم يزل الشان ذلك حتى اذا كان لعهد معوية اذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على اعواده والسبب في ذلك ان العرب لبداوتهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والافرنجة لممارستهم احواله ومرباهم في التقلب على اعواده مرنوا عليه واحكموا الدربة بثقافته فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت امم العجم خولا لهم وتحت ايديهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية امما وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا بصرا بها فشرهوا الى الجهاد فيه وانشؤوا السفن والشواني وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من امم الكفر واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان اقرب الى هذا البحر وعلى ضفته مثل الشام وافريقية والمغرب والاندلس واوعز الخليفة عبد الملك الى حسان بن النعمان عامل افريقية باتخاذ دار صناعة بتونس لانشاء الآلات البحرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها كان فتح صقلية ايام زيادة الله الاول ابن ابراهيم بن الاغلب على يد اسد بن الفرات شيخ الفتيا وفتح قوصرة ايضا في ايامه بعد ان كان معوية بن حديج اغزى صقلية ايام معوية بن ابي سفيان فلم يفتح الله على يديه وفتح على يد ابن الاغلب وقايده اسد بن الفرات وكانت من بعد ذلك اساطيل افريقية والاندلس في دولة العبيديين والامويين تتعاقب الى بلادهما في سبيل الفتنة فتجوس خلال السواحل بالافساد والتخريب وانتهى اسطول الاندلس ايام عبد الرحمن الناصر الى مايتي مركب او نحوها

ابن هرثمة صح

قوصرة صح

٢٢٦

واسطول افريقية نحوه او قريبا منه وكان قايد الاساطيل بالاندلس ابن رماحس
ومرفأها للحط والاقلاع بجاية والمرية وكانت اساطيلها مجتمعة من ساير الممالك
من كل بلد تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره الى قايد من النواتية يدبر امر حربه وسلاحه
ومقاتلته ورايس يدبر امر جريته بالريح او بالمجاذف وامر ارسايه في مرفأيه فاذا
اجتمعت الاساطيل لغزو محتفل او غرض سلطاني مهم عسكرت بمرفأها المعلوم
وشحنها السلطان برجاله وانجاد عساكره ومواليه وجعلهم لنظر امير واحد من اعلى
طبقات اهل مملكته يرجعون كلهم اليه ثم يسرحهم لوجههم وينتظر ايابهم بالفتح
والغنيمة فكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع
جوانبه وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه فلم يكن للامم النصرانية قبل باساطيلهم
في شيء من جوانبه وامتطوا ظهره للفتح ساير ايامهم وكانت لهم المقامات المعلومة
من الفتح والغنايم وملكوا ساير الجزاير المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة
ومنرقة ويابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص
وساير ممالك الروم والفرنج وكان ابو القاسم الشيعي وابناؤه يغزون اساطيلهم
من المهدية جزيرة جنوة فتنقلب بالظفر والغنيمة وافتتح مجاهد العامري صاحب
دانية من ملوك الطوايف جزيرة سردانية في اساطيله سنة خمس واربعماية وارتجعها
النصارى لوقتها والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على الاكثر من لجة هذا البحر
وسارت اساطيلهم فيه جايية وذاهبة والعساكر الاسلامية تجيز البحر في
الاساطيل من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من العدوة الشمالية فتوقع
بملوك الفرنج وتثخن في ممالكهم كما وقع في ايام بني ابي الحسين ملوك صقلية القايمين
فيها بدعوة العبيديين وانحازت امم النصرانية باساطيلهم الى الجانب الشمالي
الشرقي منه من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزاير الرومانية لا يعدونها
واساطيل المسلمين قد ضريت عليهم ضراء الاسد بفريسته وقد ملات
الاكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا واختلفت في طرقه سلما وحربا فلم تسبح
للنصرانية فيه الواح حتى اذا ادرك الدولة العبيدية والاموية الفشل والوهن
وطرقها الاعتلال مد النصارى ايديهم الى جزاير البحر الشرقية مثل صقلية
واقريطش ومالطة فملكوها ثم الحوا على سواحل الشام في تلك الفترة وملكوا
طرابلس وعسقلان وصور وعكا واستولوا على جميع الثغور بسواحل الشام
وغلبوا على بيت المقدس وبنوا عليها كنيسة لمظهر دينهم وعبادتهم وغلبوا بني
خزرون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس ووضعوا عليهم الجزية ثم ملكوا
المهدية مقر ملك العبيديين من يد اعقاب بلكين ابن زيري وكانت لهم في
الماية الخامسة الكرة بهذا البحر وضعف شان الاساطيل في دولة مصر والشام

الي

الى ان انقطع ولم يعتنوا بشيء من امره لهذا العهد بعد ان كان لهم به في الدولة العبيدية
عناية تجاوزت الحد كما هو معروف في اخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك
وبقيت بافريقية والمغرب فصارت مختصة بها وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا
العهد موفور الاساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به كرة فكان
قايد الاسطول به لعهد لمتونة بنو ميمون رؤسا جزيرة قادس ومن ايديهم اخذها
عبد المومن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد اساطيلهم الى الماية من بلاد العدوتين
جميعا ولما استفحلت دولة الموحدين في الماية السادسة وملكوا العدوتين اقاموا
خطة هذا الاسطول على اتم ما عرف واعظم ما عهد وكان قايد اساطيلهم احمد
الصقلي اصله من صدغيان الموطنين بجزيرة جربة من سدويكش اسره النصارى
من سواحلها وربي عندهم واستخلصه صاحب صقلية واستكفاه ثم هلك وولي
ابنه فاسخطه ببعض النزعات وخشي على نفسه فلحق بتونس ونزل على السيد بها
من بني عبد المومن واجاز الى مراكش فتلقاه الخليفة يوسف العشري ابن عبد المومن
بالمبرة والكرامة واجزل الصلة وقلده امر اساطيله فجلّا في جهاد امم النصرانية
وكانت له اثار ومقامات مذكورة في دولة الموحدين وانتهت اساطيل المسلمين
على عهده في الكثرة والاستجادة ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه ولما قام صلاح
الدين يوسف بن ايوب ملك مصر والشام لعهده باسترجاع ثغور الشام من يد الامم
النصرانية وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر وبنايه تتابعت اساطيلهم
الكفرية بالمدد لتلك الثغور من كل ناحية قريبة لبيت المقدس الذي كانوا قد
استولوا عليه فامدوهم بالعدد والاقوات ولم تقاومهم اساطيل الاسكندرية لاستمرار
الغلب لهم في ذلك الجانب الشرقي من البحر وتعدد اساطيلهم فيه وضعف
المسلمين منذ زمان طويل عن ممانعتهم هنالك كما اشرنا اليه قبل فاوفد صلاح الدين
على يعقوب المنصور سلطان المغرب لعهده من الموحدين رسوله عبد الكريم بن منقذ
من بيت بني منقذ ملوك شيزر وكان ملكها من ايديهم وابقى عليهم في دولته
فبعث عبد الكريم هذا منهم الى ملك المغرب طالبا مدد الاساطيل لتحول في البحر
بين اساطيل الكفرة وبين مرادهم من امداد النصرانية بثغور الشام واصحبه
كتابه اليه في ذلك من انشاء الفاضل البيساني يقول في افتتاحه فتح الله لحضرة
سيدنا ابواب المناجح والميامن حسبما نقله العماد الاصبهاني في كتاب الفتح القدسي
فنقم عليهم المنصور تجافيهم عن خطابه بامير المومنين واسرها في نفسه وحملهم
على مناهج البر والكرامة وردهم الى مرسلهم ولم يجبه الى حاجته من ذلك
وفي هذا اختصاص ملك المغرب بالاساطيل وما حصل للنصرانية في الجانب
الشرقي من هذا البحر من الاستطالة وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد

وما بعد بشان الاساطيل البحرية والاستعداد منها للدول ولما هلك يعقوب المنصور
واعتلت دولة الموحدين واستولت امم الجلالقة على الاكثر من بلاد الاندلس والجأوا
المسلمين الى سيف البحر وملكوا الجزاير التي بالجانب الشرقي من البحر الرومي قويت
ريحهم في بسيط هذا البحر واشتدت شوكتهم وكثرت فيه اساطيلهم وتراجعت
قوة المسلمين فيه الى المساواة معهم كما وقع لعهد السلطان ابي الحسن ملك زناتة
بالمغرب فان اساطيله كانت عند مرامه الجهاد مثل عدد النصرانية وعديدهم
ثم تراجعت عن ذلك قوة المسلمين في الاساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد
البحر بكثرة العوائد البدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الاندلسية ورجع النصارى
فيه الى دينهم المعروف من الدربة فيه والمران عليه والبصر باحواله وغلب الامم في لجته
وعلى اعواده وصار المسلمون فيه كالاجانب الا قليلا من اهل البلاد الساحلية
لهم المران عليه لو وجدوا كثرة من الانصار والاعوان او قوة من الدول تستجيش
لهم اعوانا وتوضح لهم في هذا الغرض مسلكا وبقيت الرتبة لهذا العهد في الدول
المغربية محفوظة والرسم في معاناة الاساطيل بالانشاء والركوب معهودا لما عساه
تدعو اليه الحاجة من الاغراض السلطانية في البلاد البحرية والمسلمون يستهبون الريح
على الكفر واهله فمن المشتهر بين اهل المغرب عن كتب الحدثان انه لابد للمسلمين من الكرة
على النصرانية وافتتاح ما وراء البحر من بلاد الافرنجة وان ذلك يكون في الاساطيل
والله ولي المومنين

## فصل في التفاوت بين السيف والقلم في الدول

اعلم ان السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على امره الا ان الحاجة
الى السيف في اول الدولة ما دام اهلها في تمهيد امرهم اشد من الحاجة
الى القلم اذ القلم في تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم السلطاني والسيف شريك
في المعونة وكذلك في اخر الدولة حيث تضعف عصبيتها كما ذكرناه ويقل اهلها
بما ينالهم من الهرم الذي قدمناه فتحتاج الدولة الى الاستظهار بارباب السيوف
وتقوى الحاجة اليهم في حماية الدولة والمدافعة عنها كما كان الشان اول الامر
في تمهيدها فيكون للسيف مزية في الحالتين على القلم ويكون ارباب السيف
حينئذ اوسع جاها واكثر نعمة واسنى اقطاعا واما في وسط الدولة ه
فيستغني صاحبها بعض الشي عن السيف لانه قد تمهد امره ولم يبق همه الا
في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الاحكام
والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة الى تصريفه وتكون السيوف مهملة
في مضاجع غمودها الا اذا نابت نائبة او دعيت الى سد فرجة وما سوى

ذلك

ذلك فلا حاجة اليها فيكون ارباب الاقلام في هذه الحاجة اوسع جاها واعلى رتبة واعظم نعمة
وثروة واقرب من السلطان مجلسا واكثر اليه ترددا وفي خلواته نجيا لانه حينئذ آلته
التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنظر في اعطافه وتثقيف اطرافه والمباهاة
باحواله ويكون الوزراء حينئذ واهل السيوف مستغنى عنهم مبعدين عن باطن السلطان
حذرين على انفسهم من بوادره وفي معنى ذلك ما كتب به ابو مسلم للمنصور حين امره بالقدوم
اما بعد فانه مما حفظناه من وصايا الفرس اخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء سنة الله
في عباده

## فصل في شارات الملك والسلطان الخاصة به

اعلم ان للسلطان شارات واحوالا تقتضيها الابهة والبذخ فيختص بها ويتميز بانتحالها
عن الرعية والبطانة وساير الرؤسا في دولته فلنذكر ما هو مشتهر منها بمبلغ المعرفة
وفوق كل ذي علم عليم **الآلة** فمن شارات الملك اتخاذ الآلة من نشر الالوية والرايات
وقرع الطبول والنفخ في الابواق والقرون وقد ذكر ارسطو في الكتاب المنسوب
اليه في السياسة ان السر في ذلك ارهاب العدو في الحرب فان الاصوات الهائلة لها
تاثير في النفوس بالروعة ولعمري انه امر وجداني في مواطن الحروب يجده كل احد من
نفسه وهذا السبب الذي ذكره ارسطو ان كان ذكره فهو صحيح ببعض الاعتبارات
واما الحق في ذلك فهو ان النفس عند سماع النغم والاصوات يدركها الفرح والطرب
بلا شك فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ه
ويستميت في ذلك الوجه الذي هو فيه وهذا موجود حتى في الحيوانات العجم بانفعال
الابل بالحداء والخيل بالصفير والصريخ كما علمت ويزيد ذلك تاكيدا اذا كانت الاصوات
متناسبة كما في الغناء وانت تعلم ما يحدث لسامعه من مثل هذا المعنى ولاجل
ذلك يتخذ العجم في مواطن حروبهم الآلات الموسيقارية لا طبلا ولا بوقا فيحدق
المغنون بالسلطان في موكبه بآلاتهم ويغنون فيحركون نفوس الشجعان بضربهم
الى الاستماتة ولقد راينا في حروب العرب من يتغنى امام الموكب بالشعر ويطرب
فتجيش همم الابطال بما فيها ويسارعون الى مجال الحرب وينبعث كل قرن الى
قرنه وكذلك زناتة من امم المغرب يتقدم الشاعر عندهم امام الصفوف ويتغنى فيحرك
بغنائه الجبال الرواسي ويبعث على الاستماتة من لا يظن بها ويسمون ذلك
الغناء تاصوكايت واصله كله فرح يحدث في النفس فتنبعث عنه الشجاعة
كما تنبعث عن نشوة الخمر بما حدث عنها من الفرح والله اعلم **واما** تكثير الرايات
وتلوينها واطالتها فالقصد به التهويل لا اكثر وربما يحدث في النفوس من التهويل
زيادة في الاقدام واحوال النفوس وتلوناتها غريبة والله الخلاق العليم

ثم ان الملوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه الشارات فمن مكثر ومقلل بحسب
اتساع الدولة وعظمها فاما الرايات فانها شعار الحروب من عهد الخليقة ولم تزل
الامم تعقدها في مواطن الحروب والغزوات ولعهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده
من الخلفاء واما قرع الطبول والنفخ في الابواق فكان المسلمون لاول الملة متجافين
عنه تنزها عن غلظة الملك ورفضا لاحواله واحتقارا لابهته التي ليست من الحق
في شي حتى اذا انقلبت الخلافة ملكا وتبجحوا زهرة الدنيا ونعيمها ولابسهم
الموالي من الفرس والروم اهل الدول السالفة واروهم ما كان اولئك ينتحلونه
من مذاهب البذخ والترف فكان مما استحسنوه اتخاذ الالة فاخذوها واذنوا
لعمالهم في اتخاذها تنويها بالملك واهله فكثيرا ما كان العامل صاحب الثغر
او قايد الجيش يعقد له الخليفة من العباسيين او العبيديين لواه ويخرج الى بعثه
او عمله من دار الخليفة او داره في موكب من اصحاب الرايات والالة فلا يميز بين
موكب العامل والخليفة الا بكثرة الرايات الالوية او قلتها او بما اختص به الخليفة
من الالوان لرايته كالسواد في رايات بني العباس فان راياتهم كانت سودا
حزنا على شهدايهم من بني هاشم ونعيا على بني امية في قتلهم ولذلك سموا المسودة
ولما افترق امر الهاشميين وخرج الطالبيون على العباسيين في كل جهة وعصر
ذهبوا الى مخالفتهم في ذلك فاتخذوا الرايات بيضا وسموا المبيضة لذلك
ساير ايام العبيديين ومن خرج من الطالبيين في ذلك العهد بالمشرق كالداعي
بطبرستان وداعي صعدة او من دعي الى بدعة الرافضة من غيرهم كالقرامطة ولما
نزع المامون عن لبس السواد وشعاره في دولته عدل الى لون الخضرة فجعل
رايته خضرا واما الاستكثار منها فلا ينتهي الى حد وقد كانت الة العبيديين
لما خرج العزيز نزار الى فتح الشام خمسماية من البنود وخمسماية من الابواق واما
ملوك البربر بالمغرب من صنهاجة وغيرهم فلم يختصوا بلون واحد بل وشوها
بالذهب واتخذوها من الحرير الخالص ملونة واستمروا على الاذن فيها لعمالهم حتى
اذا جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم من زناتة قصروا الالة من الطبول والبنود
على السلطان وحظروها على من سواه من عماله وجعلوا لها موكبا خاصا يتبع اثر السلطان
في مسيره يسمى الساقة وهم فيه بين مكثر ومقلل باختلاف مذاهب الدول
في ذلك فمنهم من يقتصر على سبع من العدد تبركا بالسبعة كما هو في دولة الموحدين
وبني الاحمر بالاندلس ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين كما هو عند زناتة وقد
بلغت ايام السلطان ابي الحسن فيما ادركناه ماية من الطبول وماية من البنود ملونة
بالحرير ومنسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير وياذنون للولاة والعمال والقواد في اتخاذ

راية

راية واحدة صغيرة من الكتان بيضا وطبل صغير ايام الحرب لا يتجاوزون ذلك واما
دولة الترك لهذا العهد بالمشرق فيتخذون اولا راية واحدة عظيمة وفي راسها
خصلة كبيرة من الشعر ويسمونها الجاليش والجتر ومع العسكر على عمومه ثم تعلى على راس
السلطان راية اخرى تسمى العصابة والشطفة وهي شعار السلطان عندهم
ثم تتعدد الرايات ويسمونها السناجق واحدها سنجق وهو الراية بلسانهم
واما الطبول فيبالغون في الاستكثار منها ويسمونها الكوسات ويبيحون لكل
امير او قايد عسكر ان يتخذ من ذلك ما شا الا العصابة فانه خاص بالسلطان
واما الجلالقة لهذا العهد من امم الافرنجة بالاندلس فاكثر شانهم اتخاذ الالوية
القليلة ذاهبة في الجو صعدا ومعها قرع الاوتار من الطنابير ونفخ الغيطات
يذهبون فيها مذهب الغنا وطريقه في مواطن حروبهم هكذا يبلغنا عنهم وعمن وراءهم
من ملوك العجم وفي خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ايات للعالمين

**السرير**

واما السرير والمنبر والتخت والكرسي وهو اعواد منصوبة او ارايك
منضدة لجلوس السلطان عليها مرتفعا عن اهل مجلسه ان يساويهم في الصعيد
ولم يزل ذلك من سنن الملوك قبل الاسلام وفي دول العجم وقد كانوا يجلسون على اسرة الذهب
وكان لسليمان بن داود صلوات الله وسلامه عليه سرير من عاج مغشى بالذهب
الا انه لا تاخذ به الدول الا بعد الاستفحال والترف شان الابهة كلها كما قلناه واما في اول
الدولة عند البداوة فلا يتشوفون اليه واول من اتخذه في الاسلام معوية واستاذن الناس
فيه وقال لهم اني قد بدنت فاذنوا له فاتخذه واتبعه الملوك الاسلاميون فيه وصار
من منازع الابهة ولقد كان عمرو بن العاص بمصر يجلس في قصره على الارض مع العرب
وياتيه المقوقس الى قصره ومعه سرير من الذهب محمول على الايدي لجلوسه شان
الملوك فيجلس عليه وهم امامه ولا يغيرون عليه وفاء له بما اعتقد معهم من الذمة واطراحا
لابهة الملك ثم كان بعد ذلك لبني العباس والعبيديين وساير ملوك الاسلام شرقا
وغربا من الاسرة والمنابر والتخوت ما عفا عن الاكاسرة والقياصرة والله مقلب
الليل والنهار

**السكة**

وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها
بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور او كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار
او الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد ان يعتبر عيار
النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد اخرى وبعد تقدير اشخاص الدنانير والدراهم
بوزن معين يصطلح عليه فيكون التعامل بها عددا وان لم تقدر اشخاصها يكون التعامل
بها وزنا ولفظ السكة كان اسما للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك ثم نقل الى اثرها
وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ثم نقل الى القيام على ذلك والنظر في
استيفا حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علما عليها في عرف الدول وهي

وظيفة ضرورية للملك اذ بها يتميز الخالص من البهرج بين الناس في النقود عند
المعاملات ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش
المعروفة وكان ملوك العجم يتخذونها وينقشون فيها تماثيل تكون مخصوصة بها مثل
تمثال السلطان لعهدها او تمثال حصن او حيوان او مصنوع او غير ذلك ولم يزل هذا
الشان عند العجم الى اخر امرهم ولما جاء الاسلام اغفل ذلك لسذاجة الدين وبداوة العرب
وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزنا وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين ايديهم
يردونها في معاملتهم الى الوزن ويتصارفون بها بينهم الى ان تفاحش الغش
في الدنانير والدراهم لغفلة الدولة عن ذلك وامر عبد الملك الحجاج على ما نقل
سعيد بن المسيب وابو الزناد بضرب الدراهم وتمييز المغشوش من الخالص وذلك سنة
اربع وسبعين وقال المدائني سنة خمس وسبعين ثم امر بضربها في سائر النواحي سنة
ست وسبعين وكتب عليها الله احد الله الصمد ثم ولي ابن هبيرة العراق ايام يزيد
ابن عبد الملك فجود السكة ثم بالغ خالد القسري في تجويدها ثم يوسف بن عمر بعده
وقيل اول من ضرب الدنانير والدراهم مصعب بن الزبير بالعراق سنة سبعين
بامر اخيه عبد الله لما ولي بالحجاز وكتب عليها في احد الوجهين بركة وفي الاخر
اسم الله ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها اسم الحجاج وقدر وزنها
على ما كانت استقرت ايام عمر وذلك ان الدرهم كان وزنه اول الاسلام ستة
دوانيق والمثقال وزنه درهم وثلاثة اسباع درهم فيكون عشرة دراهم
بسبعة مثاقيل وكان السبب في ذلك ان اوزان الدراهم ايام الفرس كانت
مختلفة وكان منها على وزن المثقال عشرون قيراطا ومنها اثنا عشر ومنها
عشرة فلما احتيج الى تقديره في الزكاة اخذ الوسط من الثلاثة وذلك اربعة عشر
قيراطا فكان المثقال درهما وثلاثة اسباع درهم وقيل كان منها البغلي
بثمانية دوانيق والطبري اربعة دوانيق واليمني دانق فامر عمر ان ينظر الاغلب (والمغربي ثلاثة دوانيق)
في التعامل فكان البغلي والطبري وهما اثنا عشر دانقا فكان الدرهم ستة دوانيق
وان زدت ثلاثة اسباعه كان مثقالا واذا نقصت ثلاثة اعشار المثقال
كان درهما فلما راى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة النقدين الجاريين في
معاملة المسلمين من الغش عين مقدارها على هذا الذي استقر لعهد عمر رضي الله عنه
واتخذ طابع الحديد ونقش فيه كلمات لا صورا لان العرب كان الكلام والبلاغة
اقرب مناحيهم واظهرها مع ان الشرع ينهى عن الصور فلما فعل ذلك استمر بين الناس
في ايام الملة كلها وكان الدينار والدرهم على شكلين مدورين والكتابة عليهما في دوائر
متوازية يكتب فيها من احد الوجهين اسماء الله تهليلا وتحميدا وصلاة على النبي وآله
وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة وهكذا ايام العباسيين والعبيديين
والامويين

والامويين واما صنهاجة فلم يتخذوا سكة الا اخر الامر اتخذها المنصور صاحب بجاية
ذكر ذلك ابن حماد في تاريخه ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخاذ
سكة الدرهم مربع الشكل وان يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ويملأ من احد
الجانبين تهليلا وتحميدا ومن الجانب الاخر كتبا في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده
ففعل ذلك الموحدون وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد ولقد كان المهدي فيما
نقل ينعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع نعته بذلك المتكلمون بالحدثان من قبله
المخبرون في ملاحمهم عن دولته واما اهل المشرق لهذا العهد فسكتهم غير مقدرة
وانما يتعاملون بالدنانير والدراهم وزنا بالصنجات المقدرة بعدة منها ويطبعون
عليها بالسكة نقوش الكلمات بالتهليل والصلاة واسم السلطان كما يفعله اهل المغرب
ذلك تقدير العزيز العليم **تنبيه** ونختم الكلام في السكة بذكر حقيقة
الدرهم والدينار الشرعيين وبيان مقدارهما وذلك ان الدرهم والدينار مختلفا
السكة في المقادير والموازين بالافاق والامصار وسائر الاعمال والشرع قد تعرض
لذكرهما وعلق كثيرا من الاحكام بهما في الزكاة والانكحة والحدود وغيرها فلا بد لهما
عنده من حقيقة ومقدار يعين في تقديره وارادة تجري عليهما احكامه دون غير الشرعي
منهما فاعلم ان الاجماع منعقد منذ صدر الاسلام وعهد الصحابة والتابعين ان الدرهم
الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب والاوقية منه اربعين
درهما وهو على هذا سبعة اعشار الدينار ووزن المثقال من الذهب اثنتان
وسبعون حبة من الشعير الوسط فالدرهم الذي هو سبعة اعشاره خمسون حبة وخمسا
حبة وهذه المقادير كلها ثابتة بالاجماع فان الدرهم الجاهلي كان بينهم على انواع اجوده
الطبري وهو ثمانية دوانق والبغلي وهو اربعة دوانق فجعلوا الشرعي بينهما
ستة دوانق وكانوا يوجبون الزكاة في مائة درهم بغلية ومائة طبرية خمسة دراهم
وسطا وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك واجماع الناس
بعد عليه كما ذكرناه ذكر ذلك الخطابي في كتاب معالم السنن والماوردي في كتاب
الاحكام السلطانية وانكره المحققون من المتاخرين لما يلزم منه ان يكون الدرهم
والدينار الشرعيان مجهولين في عصر الصحابة ومن بعدهم مع تعلق الحقوق الشرعية
بهما في الزكاة والحدود والانكحة وغيرها كما ذكرناه والحق انهما كانا معلومي المقدار
في ذلك العصر لجريان الاحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوق وكان مقدارهما
غير مستخص في الخارج وانما كان متعارفا بينهم بالحكم الشرعي المتقرر في مقدارهما
ووزنهما حتى استفحلت الدولة الاسلامية وعظمت احوالها ودعت الحال الى
تشخيصهما في المقدار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كلفة التقدير
وقارن ذلك ايام عبد الملك فشخص مقدارهما وعينهما في الخارج كما هو في الذهن

ونقش عليها السكة باسمه وتاريخه اثر الشهادتين الايمانيتين وطرح النقود الجاهلية
راسا حتى خلصت ونقشت عليها سكته ولا شي وجودها وهذا هو الحق الذي لا محيد
عنه ثم من بعد ذلك وقع اختيار اهل السكة في الدولة على مخالفة المقدار الشرعي
في الدينار والدرهم واختلفت في ذلك الاقطار والافاق ورجع الناس الى تصور مقاديرها
الشرعية ذهنا كما كان في الصدر الاول وصار اهل كل افق يستخرجون الحقوق الشرعية
من سكتهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية واما وزن الدينار
باثنتين وسبعين حبة من الشعير الوسط فهو الذي نقله المحققون وعليه الاجماع الا ابن حزم
خالف ذلك وزعم انه اربعة وثمانون حبة نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق ورده المحققون
وعدوه وهما او غلطا وهو الصحيح والله يحق الحق بكلماته وكذلك تعلم ان الاوقية
الشرعية [redacted] ليست هي المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة
باختلاف الاقطار والشرعية متحدة ذهنا لا اختلاف فيها والله خلق كل شي فقدره تقديرا

## الخاتم

واما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية
والختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام
وبعده وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يكتب الى قيصر
فقيل له ان العجم لا يقبلون كتابا الا ان يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش
فيه محمد رسول الله قال البخاري جعل الثلاث كلمات في ثلاثة اسطر وختم به وقال
لا ينقش احد مثله قال وتختم به ابو بكر وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان في
بير اريس وكانت قليلة الما فلم يدرك قعرها بعد واغتم لذلك عثمان وتطير منه وصنع اخر
على مثاله وفي كيفية نقش الخاتم والختم به وجوه وذلك ان الخاتم يطلق
على الالة التي تجعل في الاصبع ومنه تختم اذا لبسه ويطلق على النهاية والتمام ومنه
ختمت الامر اذا بلغت اخره وختمت القران كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتمة الامر ويطلق على
السداد الذي تسد به الاواني والدنان ويقال فيه ختام ومنه قوله تعالى ختامه مسك
وقد غلط من فسر هذا بالنهاية والتمام قال لان اخر ما يجدونه في شرابهم ريح المسك
وليس المعنى عليه وانما هو من الختام الذي هو السداد لان الخمر يجعل لها في الدن سداد
الطين او القار يحفظها ويطيب عرفها وذوقها فبولغ في وصف خمر الجنة بان سدادها من المسك
وهو اطيب عرفا وذوقا من الطين والقار المعهودين في الدنيا فاذا صح اطلاق الخاتم على
هذه كلها صح اطلاقه على اثرها الناشي عنها وذلك ان الخاتم اذا نقشت فيه كلمات او اشكال
ثم غمس في مداف من طين او مداد ووضع على صفح القرطاس بقي اكثر الكلمات في
ذلك الصفح وكذلك اذا طبع به على جسم لين كالشمع فانه يبقى نقش ذلك المكتوب فيه
مرتسما واذا كانت كلمات وارتسمت فقد تقرا من الجهة اليسرى ان كان النقش
على الاستقامة من اليمنى وقد تقرا من الجهة اليمنى ان كان النقش من الجهة اليسرى

٥١

لان الختم يقلب جهة الخط في الصفح عما كان في النقش من يمين او يسار فيحتمل
ان يكون الختم بهذا الخاتم بغمسه في المداد او الطين ووضعه على الصفح فتنتقش
الكلمات فيه ويكون هذا من معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه كان الكتاب
انما يتم العمل به بهذه العلامة وهو من دونها ملغى ليس بتام وقد يكون هذا الختم
بالخط اخر الكتاب او اوله بكلمات منتظمة من تحميد او تسبيح او باسم السلطان او [redacted]
الامير او صاحب الكتاب من كان او شي من نعوته يكون ذلك الخط علامة على صحة الكتاب
ونفوذه ويسمى ذلك في المتعارف علامة ويسمى ختما تشبيها له باثر الخاتم الاصفي
في النقش ومن هذا خاتم القاضي الذي يبعث به للخصوم اي علامته وخطه التي
ينفذ بها احكامه ومنه خاتم السلطان او الخليفة اي علامته قال الرشيد ليحيى بن خالد
لما اراد ان يستوزر جعفرا ويستبدل به من الفضل اخيه فقال لابيهما يحيى يا ابت اني
اردت ان احول الخاتم من يميني الى شمالي فكنى له بالخاتم عن الوزارة لما كانت
العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة لعهدهم ويشهد لصحة هذا الاطلاق
ما نقله الطبري ان معوية ارسل الى الحسن عند مراوضته اياه في الصلح صحيفة بيضاء
ختم على اسفلها وكتب اليه ان اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت اسفلها ما شئت
فهو لك ومعنى الختم هنا علامة في اخر الصحيفة بخطه او غيره ويحتمل ان يختم به في جسم
لين فتنتقش فيه حروفه ويجعل على موضع الحزم من الكتاب اذا حزم وعلى المودعات
وهو من السداد كما مر وهو في الوجهين اثار الخاتم فيطلق عليه خاتم واول من اطلق
الختم على الكتب اي العلامة معاوية لانه امر لعمرو بن الزبير عند زياد في الكوفة
بمائة الف ففتح الكتاب وصير المائة مائتين ورفع زياد حسابه فانكرها معوية وطلب بها
عمروا وحبسه حتى قضاها عنه اخوه عبد الله واتخذ معوية عند ذلك ديوان الخاتم ذكره الطبري
وقال اخرون وحزم الكتب ولم تكن تحزم اي جعل لها السداد وديوان الختم عبارة عن
الكتاب القائمين على انفاذ كتب السلطان والختم عليها اما بالعلامة او بالحزم وقد يطلق
الديوان على مكان جلوس هولاء الكتاب كما ذكرناه في ديوان الاعمال والحزم للكتب
يكون اما بدس الورق كما في عرف كتاب المغرب واما بلصق راس الصحيفة على ما تنطوي
عليه من الكتاب كما في عرف اهل المشرق وقد يجعل مكان الدس او اللصاق علامة يومن معها
من فتحه والاطلاع على ما فيه فاهل المغرب يجعلون على الدس قطعة من الشمع ويختمون عليها بخاتم
نقشت فيه علامة لذلك فيرتسم النقش في الشمع وكان في المشرق في الدولة القديمة
يختم على مكان اللصق بخاتم منقوش ايضا قد غمس في مداف من الطين معد لذلك صبغه
احمر فيرتسم ذلك النقش عليه وكان هذا الطين معروفا في الدولة العباسية بطين الختم
وكان يجلب من سيراف فيظهر انه مخصوص بها فهذا الخاتم الذي هو العلامة المكتوبة او
النقش للسداد والحزم على الكتب خاص بديوان الرسائل وكان ذلك للوزير في [redacted]

الدولة العباسية ثم اختلف العرف وصار لمن اليه الترسيل وديوان الكتاب في الدول ثم صار في دول المغرب يعدون من علامات الملك وشارات الخاتم للاصبع فيستجيدون صوغه من الذهب ويرصعونه بالفصوص من الياقوت والفيروزج والزمرد ويلبسه السلطان شارة في عرفهم كما كانت البردة والقضيب في الدولة العباسية والمظلة في الدولة العبيدية والله مصرف الامور بحكمته

## الطراز

ومن ابهة الملك والسلطان ومذاهب الدول ان يرسم اسماؤهم او علامات تختص بهم في طراز اثوابهم المعدة للباسهم من الحرير او الديباج او الابريسم تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب لحاما وسدى بخيط الذهب او ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكمه الصناع في تقدير ذلك ووضعه في صناعة نسجهم فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصد التنويه بلابسها من السلطان فمن دونه او التنويه بمن يختصه السلطان بملبوسه اذا قصد تشريفه بذلك او ولايته لوظيفة من وظايف دولته وكان ملوك العجم من قبل الاسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك واشكالهم او اشكال وصور معينة لذلك ثم اعتاض ملوك الاسلام عن ذلك بكتب اسمايهم مع كلمات اخرى تجري مجرى الفال او السجلات وكان ذلك في الدولتين من ابهة الامور وافخم الاحوال وكانت الدور المعدة لنسج اثوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز لذلك وكان القايم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز ينظر في امور الصناع والالة والحاكة فيها واجراء ارزاقهم وتسهيل الاتهم ومشارفة اعمالهم وكانوا يقلدون ذلك لخواص دولتهم وثقات مواليهم وكذلك كان الحال في دولة بني امية بالاندلس والطوائف من بعدهم وفي دولة العبيديين بمصر ومن كان على عهدهم من ملوك العجم بالمشرق ثم لما ضاق نطاق الدول عن الترف والتفنن فيه لضيق نطاقها في الاستيلا وتعددت الدول تعطلت هذه الوظيفة والولاية عليها من اكثر الدول بالجملة ولما جاءت دولة الموحدين بالمغرب بعد بني امية اول المائة السادسة لم ياخذوا بذلك اول دولتهم لما كانوا عليه من منازع الديانة والسذاجة التي لقنوها عن امامهم محمد بن تومرت المهدي وكانوا يتورعون عن لبس الحرير والذهب فسقطت هذه الوظيفة من دولتهم واستدرك منها اعقابهم اخر الدولة طرفا لم يكن بتلك النباهة واما لهذا العهد فادركنا بالمغرب في الدولة المرينية لعنفوانها وشموخها رسما جليلا لقنوه من دولة ابن الاحمر معاصرهم بالاندلس واتبع هو في ذلك ملوك الطوائف فاتي منه بلمحة شاهدة بالاثر واما دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد ففيها من الطراز تحرير اخر على مقدار ملكهم وعمران بلادهم الا ان ذلك لا يصنع في دورهم وقصورهم وليست من وظايف دولتهم وانما ينسج ما تطلبه الدولة من ذلك عند صناعه من الحرير ومن الذهب الخالص ويسمونه الزركش لفظة [redacted] العجمية ويرسم اسم السلطان او الامير عليه ويعده الصناع لهم





فيما يعدونه للدولة من طرف الصناعة اللايقة بها والله مقدر الليل والنهار وهو خير الوارثين

## الفساطيط والسياج

اعلم ان من شارات الملك وترفه اتخاذ الاخبية والفساطيط والفازات من ثياب الكتان والصوف والقطن بجدل الكتان والقطن فيباهي بها في الاسفار وتنوع منها الالوان ما بين كبير وصغير على نسبة الدولة في الثروة واليسار وانما يكون الامر في اول الدولة في بيوتهم التي جرت عادتهم باتخاذها قبل الملك وكان العرب لعهد الخلفا الاولين من بني امية انما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياما من الوبر والصوف ولم تزل العرب لذلك العهد بادين الا الاقل منهم فكانت اسفارهم لغزواتهم وحروبهم بظعونهم وساير حللهم واحيايهم من الاهل والولدان كما هو شان العرب لهذا العهد فكانت عساكرهم لذلك كثيرة الحلل بعيدة ما بين المنازل متفرقة الاحيا يغيب كل واحد منها عن نظر صاحبه من الاخرى كشان العرب ولذلك ما كان عبد الملك يحتاج الى ساقة تحشر الناس على اثره ان يقيموا اذا ظعن ونقل انه استعمل في ذلك الحجاج حين اشار به روح بن زنباع [redacted] وقصته في احراق فساطيط روح وخيامه لاول [redacted] ولايته حين وجدهم مقيمين في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة ومن هذه الولاية تعرف رتبة الحجاج بين العرب فانه لا يتولى ارادتهم على الظعن الا من يامن بوادر السفها من احيايهم بما له من العصبية الحايلة دون ذلك ولهذا اختصه عبد الملك بهذه الرتبة ثقة بغنايه فيها بعصبيته وصرامته فلما تفننت الدولة العربية في مذاهب الحضارة والبذخ ونزلوا المدن والامصار وانتقلوا من سكنى الخيام الى سكنى القصور ومن ظهر الخف الى ظهر الحافر اتخذوا للسكنى في اسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها بيوتا مختلفة الاشكال مقدرة الامثال من القورا والمستطيلة والمربعة ويحتفلون فيها بابلغ مذاهب الاحتفال والزينة ويدير الامير والقايد للعساكر على فساطيطه وفازاته من بينهم سياجا من الكتان يسمى في المغرب باللسان البربري الذي هو لسان اهله افراك بالكاف التي بين الكاف والقاف ويختص به السلطان [redacted] بذلك القطر لا يكون لغيره واما في المشرق فيتخذه كل امير وان كان دون السلطان ثم جنحت الدعة بالنسا والولدان الى المقام بقصورهم ومنازلهم فخف لذلك ظهرهم وتقاربت السياج بين منازل العسكر واجتمع الجيش والسلطان في معسكر واحد يحصره البصر في بسيطة زهوا انيقا لاختلاف الوانه واستمر الحال على ذلك في مذاهب الدول في بذخها وترفها وكذا كانت دولة الموحدين وزناتة التي اظلتنا كان سفرهم اول امرهم في بيوت سكناهم قبل الملك من الخيام والقياطين حتى اذا اخذت الدولة في مذاهب الترف وسكنى القصور عادوا الى اتخاذ

الاخبية والفساطيط وبلغوا من ذلك فوق ما ارادوه وهو من الترف بمكان الا
ان العساكر به تصير عرضة للبيات لاجتماعهم في مكان واحد تشملهم فيه الصيحة
ويخفتهم من الاهل والولد الذين تكون الاستماتة دونهم فيحتاج في ذلك الى
تحفظ اخر كما نذكره والله القوي العزيز

## المقصورة للصلاة والدعا في الخطبة

وهما من الامور الخلافية ومن شارات الملك الاسلامي ولم تعرف في غير دول الاسلام
فاما البيت المقصورة لصلاة السلطان يتخذ سياجا على المحراب فيحوزه وما يليه
فاول من اتخذها معوية بن ابي سفيان حين طعنه الخارجي والقصة معروفة وقيل اول من
اتخذها مروان بن الحكم حين طعنه اليماني ثم اتخذها الخلفاء من بعدهما وصارت سنة في
تمييز السلطان عن الناس في الصلاة وهي انما تحدث عند حصول الترف في الدول والاستفحال
شان احوال الابهة كلها وما زال الشان ذلك في الدول الاسلامية كلها وعند افتراق
الدولة العباسية وتعدد الدول بالمشرق وكذا بالاندلس عند انقراض الدولة الاموية وتعدد
ملوك الطوائف واما المغرب فكان بنو الاغلب يتخذونها بالقيروان ثم خلفاء
العبيديين ثم ولاتهم على المغرب من صنهاجة بنو باديس بالقيروان وبنو حماد بالقلعة
ثم ملك الموحدون سائر المغرب والاندلس ومحوا ذلك الرسم على طريقة البداوة
التي كانت شعارهم ولما استفحلت الدولة فاتخذ هذه المقصورة وبقيت من
بعده سنة لملوك المغرب والاندلس وهكذا الشان في سائر الدول سنة الله في عباده

**واما الدعا** على المنابر في الخطبة فكان الشان اولا عند الخلفاء ولاية الصلاة
بانفسهم فكانوا يدعون لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضا عن اصحابه
واول من اتخذ المنبر عمرو بن العاص لما بنا جامعه بمصر وكتب اليه عمر اما بعد
فقد بلغني انك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين اوما يكفيك ان تقوم قايما
والمسلمون تحت عقبيك فعزمت عليك لما كسرته فلما حدثت الابهة وحدث
في الخلفاء المانع من الخطبة والصلاة واستنابوا فيهما فكان الخطيب يشيد بذكر
الخليفة على المنبر تنويها باسمه ودعا له بما جعل الله مصلحة العالم فيه ولان تلك
الساعة مظنة للاجابة ولما ثبت عن السلف في قولهم من كانت له دعوة صالحة
فليضعها في السلطان واول من دعا للخليفة في الخطبة ابن عباس دعا لعلي رضي الله
عنه في خطبته وهو بالبصرة عامل له عليها فقال اللهم انصر عليا الحق واتصل العمل
على ذلك فيما بعد وكان الخليفة يفرد بذلك فلما جاء الحجر والاستبداد صار المتغلبون
على الدولة كثيرا ما يشاركون الخليفة في ذلك ويشاد باسمهم عقب اسمه
وذهب ذلك بذهاب تلك الدول وصار الامر الى اختصاص السلطان بالدعا له على

المنبر

واتخذت بخطها من الترف وجاء
يعقوب المنصور ثالث ملوكهم بعد

المنبر دون من سواه وحظر ان يشاركه فيه احد او يسمو اليه وكثيرا ما يغفل الماهدون
من اهل الدول هذا الرسم عندما تكون الدولة في اسلوب الغضاضة ومناحي البداوة
في التغافل والخشونة ويقنعون بالدعا على الابهام والاجمال لمن ولي امور المسلمين
ويسمون مثل هذه الخطبة اذا كانت على هذا المنحى عباسية يعنون بذلك ان
الدعا على الاجمال انما يتناول العباسي تقليدا في ذلك لما سلف من الامر ولا يحفلون
بما ورا ذلك من تعيينه والتصريح باسمه يحكى ان يغمراسن بن زيان ماهد دولة
بني عبد الواد لما غلبه الامير ابو زكريا يحيى بن ابي حفص على تلمسان ثم بدا له
في اعادة الامر اليه على شروط شرطها كان فيها ذكر اسمه على منابر عمله فقال يغمراسن
اعوادهم يذكرون عليها من شاوا وكذلك يعقوب بن عبد الحق ماهد دولة
بني مرين حضره رسول المستنصر الخليفة بتونس من بني ابي حفص وثالث ملوكهم
وتخلف بعض ايامه عن شهود الجمعة فقيل له لم يحضر هذا الرسول لخلو الخطبة من
ذكر سلطانه فاذن في الدعا له وكان ذلك سببا لاخذهم بدعوته وهكذا شان الدول
في بدايتها وتمكنها في الغضاضة والبداوة فاذا انتبهت عيون سياستهم ونظروا
في اعطاف ملكهم واستتموا شيات الحضارة ومعاني البذخ والابهة انتحلوا
جميع هذه السمات وتفننوا فيها وتجاوزوا الى غايتها وانفوا من المشاركة فيها وجزعوا
من افتقادها وخلو دولهم من اثارها والعالم بستان والله على كل شي رقيب

## فصل في الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها

اعلم ان الحروب وانواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ براها الله واصلها
ارادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منها اهل عصبيته فاذا تذامروا
لذلك وتوافقت الطايفتان احداهما تطلب الانتقام والاخرى تدافع كانت الحرب
وهو امر طبيعي في البشر لا تخلو عنه امة ولا جيل وسبب هذا الانتقام في الاكثر اما غيرة
ومنافسة واما عدوان واما غضب لله ولدينه واما غضب للملك وسعي في تمهيده
فالاول اكثر ما يجري بين القبايل المتجاورة والعشاير المتناظرة والثاني وهو العدوان
اكثر ما يكون من الامم الوحشية الساكنين بالقفر كالعرب والترك والتركمان والاكراد
واشباههم لانهم جعلوا ارزاقهم في رماحهم ومعاشهم فيما بايدي غيرهم ومن دافعهم
عن متاعه اذنوه بالحرب ولا بغية لهم فيما ورا ذلك من رتبة ولا ملك
وانما همهم ونصب اعينهم غلب الناس على ما في ايديهم والثالث هو المسمى في
الشريعة بالجهاد والرابع هي حروب الدول مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها
فهذه اربعة اصناف من الحروب الصنفان الاولان منها حروب بغي وفتنة
والصنفان الاخران حروب جهاد وعدل وصفة الحروب الواقعة بين اهل

فاما الخليقة منذ اول وجودهم على نوعين نوع بالزحف صفوفا ونوع بالكر والفر
الذي بالزحف فهو قتال العجم كلهم على تعاقب اجيالهم واما الذي بالكر والفر فهو قتال
العرب والبربر من اهل المغرب وقتال الزحف اوثق واشد من قتال الكر والفر وذلك
ان قتال الزحف ترتب فيه الصفوف وتسوى كما تسوى القداح او صفوف
الصلاة ويمشون بصفوفهم الى العدو قدما فلذلك اثبت عند المصاع واصدق في
القتال وارهب للعدو لانه كالحائط الممتد والقصر المشيد لا يطمع في ازالته وفي
التنزيل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص اي يشد
بعضهم بعضا بالثبات وفي الحديث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا
ومن هنا يظهر لك حكمة ايجاب الثبات وتحريم التولي في الزحف فان المقصود
بالصف في القتال حفظ النظام كما قلناه فمن ولى العدو ظهره فقد اخل بالمصاف
وباء باثم الهزيمة كانه جرها على المسلمين وامكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم
المفسدة وتعديها الى الدين بخرق سياجه فعد من الكبائر ويظهر من هذه الادلة
ان قتال الزحف اشد عند الشارع واما قتال الكر والفر فليس فيه من الشدة
والامن من الهزيمة ما في قتال الزحف الا انهم قد يتخذون وراءهم في القتال مصافا
ثابتا يلجؤون اليه في الكر والفر ويقوم لهم مقام قتال الزحف كما نذكره بعد
ثم ان الدول القديمة الكثيرة الجنود المتسعة الممالك كانوا يقسمون الجيوش
والعساكر اقساما لانه لما كثرت جنودهم الكثرة البالغة وحشدوا من قاصية النواحي
استدعى ذلك ان يجهل بعضهم بعضا اذا اختلطوا في مجال الحرب واعتوروا
مع عدوهم الطعن والضرب فيخشى من تدافعهم فيما بينهم لاجل النكراء والجهل
بعضهم ببعض فلذلك كانوا يقسمون العساكر جموعا جموعا ويضمون المتعارفين
بعضهم الى بعض ويرتبونها قريبا من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع
ورئيس العساكر كلها من سلطان او قائد في القلب ويسمون هذا الترتيب
التعبية وهو مذكور في اخبار فارس والروم والدولتين صدر الاسلام فيجعلون
بين يدي الملك عسكرا منفردا بصفوفه متميزا بقائده ورايته ويسمونه المقدمة
ثم عسكرا اخر من ناحية اليمين عن موقف الملك يسمونه الميمنة ثم عسكرا اخر من ناحية
الشمال يسمونه الميسرة ثم عسكرا اخر من وراء العساكر يسمونه الساقة ويقف الملك
واصحابه في الوسط بين هذه الاربع ويسمون موقفه القلب فاذا تم لهم هذا الترتيب
المحكم اما في مدى واحد للبصر او على مسافة بعيدة اكثرها اليوم واليومان بين كل
عسكرين منها او كيفما اعطاه حال العساكر في القلة والكثرة فحينئذ يكون
الزحف من بعد هذه التعبية وانظر ذلك في اخبار الفتوحات واخبار الدولتين
وكيف كانت العساكر لعهد عبد الملك تتخلف عن رحلته لبعد المدى في التعبية

فاحتيج

فاحتيج الى من يسوقها من خلفه وعين لذلك الحجاج بن يوسف كما اشرنا اليه وكما هو معروف
في اخباره وكان في الدولة الاموية بالاندلس ايضا كثير منه وهو مجهول فيما لدينا لانا انما
ادركنا دولا قليلة العساكر لا تنتهي في مجال الحرب الى التناكر بل اكثر الجيوش من الطائفتين
معا يجمعهم لدينا حلة او مدينة ويعرف كل منهم قرنه ويناديه في حومة الحرب باسمه ولقبه
فاستغني عن تلك التعبية

## فصل

ومن مذاهب اهل الكر والفر في الحروب
ضرب المصاف وراء عساكرهم من الجمادات والحيوانات العجم فيتخذونها ملجأ للخيالة في
كرهم وفرهم يطلبون به ثبات المقاتلة ليكون ادوم للحرب واقرب الى الغلب وقد يفعله
اهل الزحف ايضا ليزيدهم ثباتا وشدة فقد كان الفرس وهم اهل الزحف يتخذون
الفيلة في الحروب ويحملون عليها ابراجا من الخشب امثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح
والرايات ويصفونها وراءهم في حومة الحرب كانها الحصون فتقوى بذلك نفوسهم
ويزداد وثوقهم وانظر ما وقع من ذلك في القادسية وان فارس في اليوم الثالث اشتدوا
بهم على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب فخالطوها ونخسوها بالسيوف على خراطيمها
فنفرت ونكصت على اعقابها الى مرابطها بالمدائن فجفا معسكر فارس لذلك وانهزموا
في اليوم الرابع واما الروم وملوك القوط بالاندلس بل واكثر العجم فكانوا يتخذون
لذلك الاسرة ينصبون للملك سريره في حومة الحرب ويحف به من خدمه وحاشيته
وجنوده من هو زعيم بالاستماتة دونه وترفع الرايات في اركان السرير ويحدق به سياج
اخر من الرماة والرجالة فيعظم هيكل السرير ويصير فئة للمقاتلة وملجأ للكر والفر وجعل
ذلك الفرس ايام القادسية وكان رستم جالسا فيها على سرير نصبه لجلوسه حتى
اختلفت صفوف فارس وخالطه العرب في سريره ذلك فتحول عنه الى الفرات وقتل
واما اهل الكر والفر من العرب واكثر الامم البدوية الرحالة فيصفون لذلك الابل والظهر
الذي يحمل ظعائنهم فيكون فئة لهم ويسمونها المجبودة وليس امة من الامم الا وهي تفعل
ذلك في حروبها وتراه اوثق في الجولة وامن من الغرة والهزيمة وهو امر مشاهد وقد
اغفلته الدول لعهدنا بالجملة واعتاضوا عنه بالظهر الحامل للاثقال والفساطيط
يجعلونها ساقة من خلفهم ولا تغني غناء الفيلة والابل فصارت بذلك عرضة للهزائم
مستشعرة للفرار في المواقف وكان الحرب اول الاسلام كله زحفا وكان العرب
انما يعرفون الكر والفر لكن حملهم على ذلك اول الاسلام امران احدهما ان عدوهم كانوا
يقاتلون زحفا فيضطرون الى مقاتلتهم بمثل قتالهم الثاني انهم كانوا مستميتين في
جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما رسخ فيهم من الايمان والزحف الى الاستماتة اقرب
واول من ابطل الصف في الحرب وصار الى التعبية كراديس مروان بن الحكم في قتال
الضحاك الخارجي والخيبري بعده قال الطبري لما ذكر قتال الخيبري فولى الخوارج عليهم
شيبان بن عبد العزيز اليشكري ويلقب ابا الدلفاء وقاتلهم مروان بعد ذلك

العساكر صح
وان صح

بالكراديس وابطل الصف من يومئذ انتهى فتنوسي قتال الزحف بابطال الصف
ثم تنوسي الصف وراء المقاتلة بما داخل الدول من الترف وذلك انها حين ما كانت بدوية
وسكناهم الخيام كانوا يستكثرون من الابل وسكنى النساء والولدان معهم في الاحياء
فلما حصلوا على ترف الملك والفوا سكنى القصور والحواضر وتركوا شان البادية والقفر
نسوا لذلك عهد الابل والظعاين وصعب عليهم اتخاذها فخلفوا النساء في الاسفار
وحملهم الملك والترف على اتخاذ الفساطيط والاخبية فاقتصروا على الظهر الحامل للاثقال
والابنية وكان ذلك صفتهم في الحرب ولا يغني كل الغناء لانه لا يدعو الى الاستماتة
كما يدعو اليها الاهل والمال فيخف الصبر من اجل ذلك وتصرفهم الهيعات وتخرم صفوفهم

**فصل** ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العسكر وتاكده في قتال الكر والفر
صار ملوك المغرب يتخذون طوايف من الفرنج في جندهم واختصوا بذلك لان قتال
اهل وطنهم كله بالكر والفر والسلطان يتاكد في حقه ضرب المصاف ليكون ردءا للمقاتلة
امامه فلا بد وان يكون اهل ذلك الصف من قوم متعودين للثبات في الزحف والا
اجفلوا على طريقة اهل الكر والفر فانهزم السلطان والعسكر باجفالهم فاحتاج الملوك
بالمغرب ان يتخذوا جندا من هذه الامة المتعودة الثبات في الزحف وهم الافرنج
ويرتبون مصافهم المحدق بهم منها هذا على ما فيه من الاستعانة باهل الكفر وانما
استخفوا ذلك للضرورة التي اريناكها من تخوف الاجفال على مصاف السلطان
والفرنج لا يعرفون غير الثبات في ذلك لان عادتهم في القتال الزحف فكانوا اقوم
بذلك من غيرهم مع ان الملوك في المغرب انما يفعلون ذلك عند الحرب مع امم العرب
والبربر وقتالهم على الطاعة واما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذرا من ممالاتهم على
المسلمين هذا هو الواقع بالمغرب لهذا العهد وقد ابدينا سببه والله بكل شيء عليم

**فصل** وبلغنا عن امم الترك لهذا العهد قتالهم مناضلة بالسهام
وان تعبية الحرب عندهم بالمصاف وانهم يقسمون عسكرهم ثلاثة صفوف يضربون
صفا وراء صف ويترجلون عن خيولهم ويفرغون سهامهم بين ايديهم ثم يتناضلون
جلوسا وكل صف ردء للذي امامه ان يكبسهم العدو الى ان يتهيا النصر
لاحدى الطايفتين على الاخرى وهي تعبية محكمة غريبة

**فصل** وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم عندما يتقاربون للزحف
حذرا من معرة البيات والهجوم على المعسكر بالليل لما في الظلمة سترا من مضاره
فاذا اتساوا واي ذلك ارجف المعسكر ووقعت الهزيمة فكانوا لذلك
يحتفرون الخنادق على معسكرهم اذا نزلوا وضربوا ابنيتهم ويديرون الحفاير
نطاقا عليهم من جميع جهاتهم حرصا ان يخالطهم العدو بالبيات فيتخاذلوا
وكانت للدول في امثال هذا قوة وعليه اقتدار باحتشاد الرجال وجمع الايدي

عليه

[هامش: ... قوله واختلط القلعة ... يحسن كتابته ... ان الرجل ... وذلك في نسخ ... المقابل عليها ... من النسخه ... محروم]

[هامش: ظلمة ووحشة من مضاعفة الخوف فيلوذ الجيش بالفرار وتجد النفوس في ...]

عليه في كل منزل من منازلهم بما كانوا عليه من وفور العمران وضخامة الملك
فلما خرب العمران وتبعه ضعف الدول وقلة الجنود وعدم الفعلة نسي ذلك
جملة كانه لم يكن والله خير القادرين وانظر في وصية علي رضي الله عنه وتحريضه
لاصحابه يوم صفين تجد كثيرا من علم الحرب ولم يكن احد ابصر بها منه قال في كلام
له فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع واخروا الحاسر وعضوا
على الاضراس فانه انبا للسيوف عن الهام والتووا في اطراف الرماح فانه
اصون للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجاش واسكن للقلوب واميتوا
الاصوات فانه اطرد للفشل واولى بالوقار واقيموا راياتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها
ولا تجعلوها الا بايدي شجعانكم واستعينوا بالصدق والصبر فانه بعد الصبر ينزل النصر
وقال الاشتر يومئذ يحرض الازد عضوا على النواجذ من الاضراس واستقبلوا القوم
بهامكم وشدوا شدة قوم موتورين يثارون بابايهم واخوانهم حنقا على عدوهم
قد وطنوا على الموت انفسهم كيلا يسبقوا بوتر ولا يلحقهم في الدنيا عار وقد اشار
الى كثير من ذلك ابو بكر الصيرفي شاعر لمتونة واهل الاندلس في كلمة يمدح فيها تاشفين
ابن علي بن يوسف ويصف ثباته في حرب شهدها ويذكره بامور الحرب في وصايا
وتحذيرات تنبهك على كثير معرفة الكثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا ايها الملاء الذي يتقنع … من منكم الملك الهمام الاروع
ومن الذي غدر العدو به دجى … فانفض كل وهو لا يتضعضع
تمضي الفوارس والطعان يصدها … عنه ويدمرها الوفاء فترجع
والليل من وضح الترايك انه … صبح على هام الجيوش ملمع
انا فرعتم يا بني صنهاجة … واليكم في الروع كان المفزع
وصددتم عن تاشفين وانه … لعقابه لو شاء فيكم موضع
انسان عين لم يصبه منكم … جفن وقلب اسلمته الاضلع
ما انتم الا اسود خفية … كل بكل كريهة مستضلع
يا تاشفين اقم لجيشك عذره … بالليل والعذر الذي لا يدفع

ومنها سياسة الحرب

اهديك من ادب السياسة ما به … كانت ملوك الفرس قبلك تولع
لا انني ادري بها لكنها … ذكرى تخص المؤمنين وتنفع
البس من الحلق المضاعفة التي … وصى بها صنع الصنايع تبع
والهندواني الرقيق فانه … امضى على حد الدلاص واقطع
واركب من الخيل السوابح عدة … حصنا حصينا ليس فيه مدفع
خندق عليك اذا ضربت محلة … سيان تتبع ظافرا او تتبع

والواد لا تعبره وازل عنده ... بين العدو وبين جيشك تقطع
واجعل منازلة العدو عشية ... ووراك الصف الذي هو امنع
واذا تضايقت الجيوش بمعرك ... ضنك فاطراف الرماح توسع
واصدمه اول وهلة لا تكترث ... شيا فاظهار النكول تضعضع
واجعل من الطلاع اهل شهامة ... الصدق فيهم شيمة لا تخدع
لا تسمع الكذاب جاك مرجفا ... لا راي للكذوب فيما يصنع

الصف

قوله واصدمه اول وهلة مخالف لما عليه الناس من امر الحرب فقد قال عمر لابي عبيد بن مسعود الثقفي لما ولاه حرب فارس والعراق فقال له اسمع من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واشركهم في الامر ولا تجيبن مسرعا حتى تتبين فانها الحرب ولا يصلح لها الا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف وقال له اخرى انه لن يمنعني ان اومر سليطا الا سرعته في الحرب وفي التسرع في الحرب الا عن بيان ضياع والله لولا ذلك لامرته لكن الحرب لا يصلحها الا المكيث هذا كلام عمر وهو شاهد بان التثاقل في الحرب اولى من الخفوف حتى يتبين حال تلك الحرب وذلك عكس ما قاله الصيرفي الا ان يريد ان الصدم بعد البيان فله وجه والله اعلم

## فصل

ولا وثوق في الحرب بالظفر وان حصلت اسبابه من العدة والعديد وانما الظفر فيها والغلب من قبيل البخت والاتفاق وبيان ذلك ان اسباب الغلب في الاكثر مجتمعة من امور ظاهرة وهي الجيوش ووفورها وكمال الاسلحة واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف وصدق القتال وما جرى مجرى ذلك ومن امور خفية وهي اما من خداع البشر وحيلهم في الارجاف والتشانيع الذي يقع بها التخذيل وفي التقدم الى الاماكن المرتفعة ليكون الحرب من علو فيتوهم المنخفض لذلك ويتخاذل وفي الكمون في الغياض ومطمئن الارض والتواري بالكدا عن العدو حتى يتداولهم العسكر دفعة وقد تورطوا فيتلفتون الى النجاة وامثال ذلك واما ان تكون الاسباب الخفية امورا سماوية لا قدرة للبشر على اكتسابها تلقى في القلوب فيستولي الرهب عليهم من اجلها فتختل مراكزهم وتقع الهزيمة واكثر ما تقع الهزايم عن هذه الاسباب الخفية لكثرة ما يعتمد كل واحد من الفريقين فيها حرصا على الغلب فلا بد من وقوع التاثير في ذلك لاحدهما ضرورة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة ومن امثال العرب رب حيلة انفع من قبيلة فقد تبين ان وقوع الغلب في الحروب غالبا عن اسباب خفية غير ظاهرة ووقوع الاشياء عن الاسباب الخفية هو معنى البخت كما تقرر في موضعه فاعتبره وتفهم من وقوع الغلب عن الامور السماوية كما شرحناه معنى قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وما وقع من غلبه للمشركين في حياته بالعدد القليل

وغلب

وغلب المسلمين اياهم بعده كذلك في الفتوحات فان الله سبحانه وتعالى تكفل لنبيه بالقا الرعب في قلوب الكافرين حتى يستولي على قلوبهم فينهزموا معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان الرعب في القلوب سببا للهزايم في الفتوحات الاسلامية كلها الا انه خفي عن العيون وقد ذكر الطرطوشي ان من اسباب الغلب في الحرب ان تفضل عدة الفرسان المشاهير من الشجعان في احد الجانبين على عدتهم في الجانب الاخر مثل ان يكون احد الجانبين فيه عشرة او عشرون من الشجعان المشاهير وفي الجانب الاخر ثمانية او ستة عشر فالجانب الزايد ولو بواحد يكون له الغلب واعاد في ذلك وابدا وهو راجع الى الاسباب الظاهرة التي قدمنا وليس بصحيح وانما الصحيح المعتبر في الغلب حال العصبية ان يكون في احد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم وفي الجانب الاخر عصايب متعددة والجانبان معا متقاربان في العدة فان الجانب الذي عصبيته واحدة اقوى واغلب من الجانب الذي عصبيته متعددة لان العصايب اذا كانت متعددة يقع بينها من التخاذل ما يقع في الوحدان المفترقين الفاقدين للعصبية اذ تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصابته متعددة لا يقاوم الجانب الذي عصبيته واحدة لاجل ذلك فتفهمه واعلم انه اصح في الاعتبار مما ذهب اليه الطرطوشي ولم يحمله على ذلك الا نسيان شان العصبية في حلة وبلده وانهم انما يرون الدفاع والحماية والمطالبة الى الوحدان والجماعة الناشية عنهم ولا يعتبرون في ذلك عصبية ولا نسبا وقد بينا ذلك اول الكتاب مع ان هذا وامثاله على تقدير صحته انما هو من الاسباب الظاهرة مثل اتفاق الجيش في العدة وصدق القتال وكثرة الاسلحة وما اشبهها فكيف يجعل ذلك كفيلا بالغلب ونحن قد قررنا الان ان شيا منها لا يعارض الاسباب الخفية مثل الحيل والخدع ولا الامور السماوية من الرعب والخذلان الالهي فاعلمه وتفهم احوال الكون فالله مقدر الليل والنهار

## فصل

ويلحق بمعنى الغلب في الحروب وان اسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل ان تصادف موضعها في احد من طبقات الناس من الملوك او العلما والصالحين او المنتحلين للفضايل على العموم فكثير ممن اشتهر وبعد صيته وليس هناك وكثير ممن اشتهر بالشر وهو بخلافه وكثير ممن تجاوزت عنه الشهرة وهو احق بها واهلها وقد تصادف موضعها وتكون طبقا على صاحبها والسبب في ذلك ان الشهرة والصيت انما هي بالاخبار والاخبار يدخلها الذهول عن المقاصد عند التناقل ويدخلها التعصب والتشيع ويدخلها الاوهام ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للاحوال لخفايها بالتلبيس والتصنع او لجهل الناقل ويدخلها التقرب لاصحاب التجلة والمراتب الدنيوية بالثنا والمدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك والنفوس مولعة بحب الثنا والناس متطاولون الي

الدنيا واسبابها من جاه او ثروة وليسوا الاكثر براغبين في التغلب ولا منافسين في
اهلها واما مطابقة الحق فمن اين لها فتحصل الشهرة عن اسباب خفية من اين وتكون
غير مطابقة وكل ما حصل بسبب خفي فهو الذي يعبر عنه بالبخت كما تقرر والله اعلم

## فصل في الجباية وسبب نقصها ووفورها

اعلم ان الجباية اول الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة واخر الدولة تكون كثيرة
الوزائع قليلة الجملة والسبب في ذلك ان الدولة ان كانت على سنن الدين فليست الا
المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية وهي قليلة الوزائع لان مقدار الزكاة من
المال قليل كما علمت وكذا زكاة الحبوب والماشية وكذا الجزية والخراج وجميع المغارم
الشرعية وهي حدود لا تتعدى وان كانت على سنن التغلب والعصبية فلا بد من البداوة في
اولها كما تقدم والبداوة تقتضي المسامحة والمكارمة وخفض الجناح والتجافي عن اموال
الناس والغفلة عن تحصيل ذلك الا في النادر فيقل لذلك مقدار الوظيفة
الواحدة والوزيعة التي تجمع الاموال من مجموعها واذا قلت الوزائع والوظائف
على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه فيكثر الاعتمار ويتزايد لحصول الاغتباط
بقلة المغرم واذا كثر الاعتمار كثرت اعداد تلك الوظائف والوزائع فكثرت الجباية
التي هي جملتها فاذا استمرت الدولة واتصلت وتعاقب ملوكها واحدا بعد واحد
واتصفوا بالكيس وذهب سر البداوة والسذاجة وخلقها من الاغضاء والتجافي
وجاء الملك العضوض والحضارة الداعية الى الكيس وتخلق اهل الدولة حينئذ
بخلق التحذلق وتكثرت عوائدهم وحاجاتهم بسبب ما انغمسوا فيه من النعيم والترف
فيكثرون الوظائف والوزائع حينئذ على الرعايا والاكرة والفلاحين وسائر اهل
المغارم ويزيدون في كل وظيفة ووزيعة مقدارا عظيما لتكثر لهم الجباية ويضعون
المكوس على المبايعات وفي ابواب المدينة كما نذكر بعد ثم تتدرج الزيادات فيها مقدارا
بعد مقدار لتدرج عوائد الدولة في الترف وكثرة الحاجات والانفاق بسببه حتى
تثقل المغارم على الرعايا وتهضمهم وتصير عادة مفروضة لان تلك الزيادة تدرجت
قليلا قليلا ولم يشعر احد بمن زادها على التعيين ولا من هو واضعها انما تثبت
على الرعايا كانها عادة مفروضة ثم تزيد الى الخروج عن حد الاعتدال فتذهب غبطة
الرعايا في الاعتمار لذهاب الامل من نفوسهم بقلة النفع اذا قابل بين نفقته
ومغارمه وبين ثمرته وفائدته فتنقبض كثير من الايدي عن الاعتمار جملة فتنقص
جملة الجباية حينئذ بنقصان تلك الوزائع منها وربما يزيدون في مقدار الوظائف
اذا راوا ذلك النقص في الجباية ويحسبونه جبرا لما نقص حتى تنتهي كل وظيفة ووزيعة الى
غاية ليس وراءها نفع ولا فائدة لكثرة الانفاق حينئذ في الاعتمار وكثرة المغارم وعدم وفاء



الغاية المرجوة به فلا تزال الجملة في نقص ومقدار الوزائع والوظائف في
زيادة لما يعتقدونه من جبر الجملة بها الى ان ينتقص العمران بذهاب الامال من الاعتمار
ويعود وبال ذلك على الدولة لان فائدة الاعتمار عائدة اليها واذا فهمت ذلك علمت
ان اقوى الاسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظائف على المعتمرين ما امكن فبذلك تنبسط
النفوس اليه لثقتها بادراك المنفعة فيه والله مالك الامور

## فصل في ضرب المكوس اواخر الدول

اعلم ان الدول تكون في اولها بدوية كما قلنا فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف
وعوائده فيكون خرجها وانفاقها قليلا فيكون في الجباية حينئذ وفاء بازيد منها بل
يفضل منها كثير عن حاجاتها ثم لا يلبث ان تاخذ بدين الحضارة والترف وعوائدها
وتجري على نهج الدول السالفة قبلها فيكثر لذلك خرج اهل الدولة ويكثر خرج السلطان
خصوصا كثرة بالغة بنفقته على خاصته وكثرة عطائه ولا تفي بذلك الجباية فتحتاج
الدولة الى الزيادة في الجباية لما تحتاج اليه الحامية من العطاء والسلطان من النفقة
فيزيد في مقدار الوظائف والوزائع اولا كما قلناه ثم يزيد الخرج والحاجات بالتدريج في عوائد
الترف وفي العطاء للحامية ويدرك الدولة الهرم وتضعف عصابتها عن جباية الاموال
من الاعمال والقاصية فتقل الجباية وتكثر العوائد ويكثر بكثرتها ارزاق الجند وعطاؤهم
فيستحدث صاحب الدولة انواعا من الجباية يضربها على البياعات ويفرض لها قدرا
معلوما على الاثمان في الاسواق وعلى اعيان السلع في ابواب المدينة وهو مع هذا
مضطر لذلك بما دعاه اليه ترف الناس من كثرة العطاء مع زيادة الجيوش والحامية
وربما يزيد ذلك في اواخر الدول زيادة بالغة فتكسد الاسواق لفساد الامال ويؤذن
ذلك باختلال العمران ويعود على الدولة ولا يزال ذلك يتزايد الى ان تضمحل وقد
كان وقع منه بامصار المشرق في اخريات الدولة العباسية والعبيدية كثير وفرضت
المغارم حتى على الحاج في الموسم واسقط صلاح الدين بن ايوب تلك الرسوم جملة واعاضها
بآثار الخير وكذلك وقع بالاندلس لعهد الطوائف حتى محى رسمه يوسف بن تاشفين
امير المرابطين وكذلك وقع بامصار الجريد بافريقية لهذا العهد حين
استبد بها رؤساؤها والله لطيف بعباده

## فصل في ان التجارة من السلطان مضرة بالرعايا مفسدة

اعلم ان الدولة اذا ضاقت جبايتها بما قدمناه من الترف وكثرة العوائد والنفقات
وقصر الحاصل من جبايتها على الوفاء بحاجاتها ونفقاتها واحتاجت الى مزيد المال

والجباية فتارة بوضع المكوس على بياعات الرعايا واسواقهم كما قدمنا ذلك في الفصل
قبله وتارة بالزيادة في القاب المكوس ان كانت قد استحدثت قبل وتارة بمقاسمة
العمال والجباة وامتكاك عظامهم لما يرون انهم قد حصلوا على طائل من اموال الجباية لا يظهره
الحسبان وتارة باستحداث التجارة والفلح للسلطان حرصا على تنمية الجباية لما يرون
التجار والفلاحين يحصلون على الفوائد والغلات مع يسارة اموالهم وان الارباح
تكون على نسبة رؤوس الاموال فياخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله
وفي شراء البضائع والتعرض بها لحوالة الاسواق ويحسبون ذلك من ادرار الجباية وتكثير
الفوائد وهو غلط عظيم وادخال الضرر على الرعايا من وجوه متعددة فاولا مضايقة
الفلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع وتيسير اسباب ذلك فان الرعايا
متكافئون في اليسار او متقاربون ومزاحمة بعضهم بعضا تنتهي الى غاية موجودهم
او تقرب واذا رافقهم السلطان في ذلك وماله اعظم كثيرا منهم فلا يكاد احد منهم يحصل
على غرضه في شيء من حاجاته ويدخل على النفوس من ذلك غم ونكد ثم ان السلطان
قد ينتزع الكثير من ذلك اذا تعرض له غصبا وبايسر ثمن اذ لا يجد من ينافسه فيبخس ثمنه
على بائعه ثم اذا حصلت فوائد الفلاحة ومغلها كله من زرع او حرير او عسل او سكر او غير
ذلك من انواع الغلات وحصلت بضائع التجارة من سائر الانواع فلا ينظرون به حوالة
الاسواق ولا نفاق البياعات لما تدعوهم اليه تكاليف الدولة فيكلفون اهل تلك
الاصناف من تاجر او فلاح بشراء تلك البضائع ولا يرضون في اثمانها الا القيم وازيد
فيستوعبون في ذلك ناض اموالهم وتبقى تلك البضائع بايديهم عروضا جامدة ويمكثون
عطلا من الادارة التي فيها كسبهم ومعاشهم وربما تدعوهم الضرورة الى شيء من المال
فيبيعون تلك السلع على كساد من الاسواق بابخس ثمن وربما يتكرر ذلك على التاجر
او الفلاح منهم بما يذهب براس ماله فيقعد عن سوقه ويتعدد ذلك ويتكرر
ويدخل به على الرعايا من العنت والمضايقة وفساد الارباح ما يقبض امالهم عن السعي
في ذلك جملة ويؤدي الى فساد الجباية فان معظم الجباية انما هي من الفلاحين والتجار
لا سيما بعد وضع المكوس ونمو الجباية بها فاذا انقبض الفلاحون عن الفلاحة وقعد
التجار عن التجارة ذهبت الجباية جملة او دخلها النقص المتفاحش واذا قايس
السلطان بين ما يحصل له من الجباية وبين هذه الارباح القليلة وجدها بالنسبة الى الجباية
اقل من القليل ثم انه ولو كان مفيدا فيذهب له بحظ عظيم من الجباية اقل ~~من القليل~~
~~ثم انه ولو كان مفيدا فيذهب~~ فيما يعانيه من شراء او بيع فانه من البعيد ان يوخذ
منه فيه مكس ولو كان غيره في تلك الصفقات لكان تكسبها كلها حاصلا من جملة الجباية
ثم فيه التعرض لفساد عمرانه واختلال الدولة بفساده ونقصه فان الرعايا اذا قعدوا عن تنمية
اموالهم بالفلاحة والتجارة نقصت وتلاشت بالنفقات وكان فيها تلاف احوالهم فافهم ذلك

ولقد

**ولقد** كان الفرس لا يملكون عليهم الا من اهل بيت المملكة ثم يختارونه من اهل الدين
والفضل والادب والسخاء والشجاعة والكرم ثم يشترطون عليه مع ذلك العدل
وان لا يتخذ صنيعة فيضر بجيرانه ولا يتاجر فيحب غلاء الاسعار في البضائع وان لا يستخدم
العبيد فانهم لا يشيرون بخير ولا مصلحة واعلم ان السلطان لا ينمي ماله ولا يدر موجوده
الا الجباية وادرارها انما يكون بالعدل في اهل الاموال والنظر لهم بذلك فبذلك تنبسط
امالهم وتنشرح صدورهم للاخذ في تثمير الاموال وتنميتها فتعظم منها جباية السلطان
واما غير ذلك للسلطان من تجارة او فلح فانما هو مضرة عاجلة للرعايا وفساد للجباية
ونقص للعمارة ولقد ينتهي الحال بهولاء المنتحلين للتجارة والفلاحة من الامراء
والمتغلبين في البلدان انهم يتعرضون لشراء الغلات والسلع من اربابها الواردين الى
بلدهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاؤون ويبيعونها في وقتها لمن تحت ايديهم
من الرعايا بما يفرضونه من الثمن وهذه اشد من الاولى واقرب الى فساد الرعية
واختلال احوالهم وربما يحمل السلطان على ذلك من يداخله من هذه الاصناف
اعني التجار والفلاحين بما هي صناعته التي نشا عليها فيحمل السلطان على ذلك
ويضرب معه بسهم لنفسه ليحصل على غرضه من جمع المال سريعا سيما مع ما يحصل
له من التجارة بلا مغرم ولا مكس فانها اجدر بنمو الاموال واسرع في تثميرها ولا
يفهم مع ذلك ما يدخل على السلطان من الضرر بنقص جبايته فينبغي للسلطان ان يحذر من
هؤلاء ويعرض عن سعايتهم المضرة بجبايته وسلطانه والله تعالى
يلهمنا رشدنا وينفعنا بصالح اعمالنا لا رب غيره

## فصل في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة

والسبب في ذلك ان الجباية في اول الدولة تتوزع على القبيل واهل العصبية بمقدار
غنائهم وعصبيتهم ولان الحاجة اليهم في تمهيد الدولة كما قلناه فرئيسهم في ذلك
متجاف لهم عما يسمون اليه من الجباية معتاض عن ذلك بما هو يروم من الاستبداد
عليهم فلهم عليه عزة وله اليهم حاجة فلا يطير في سهمانه من الجباية الا الاقل من حاجته
فتجد حاشيته لذلك واذياله من الوزراء والكتاب والموالي مملقين في الغالب
وجاههم متقلص لانه من جاه مخدومهم ونطاقه قد ضاق بمن يزاحمه فيه من اهل
عصبيته فاذا استفحلت طبيعة الملك وحصل لصاحب الدولة الاستبداد على قومه
قبض ايديهم عن الجبايات الا ما يطير لهم بين الناس في سهمانهم وتقل حظوظهم
اذ ذاك لقلة غنائهم في الدولة بما انكبح من اعنتهم وصار الموالي والصنائع
مساهمين لهم في القيام بالدولة وتمهيد الامر فينفرد صاحب الدولة حينئذ
بالجباية او معظمها ويحتوي على الاموال ويحتجنها للنفقة في مهمات الاحوال

فتكثر ثروته وتمتلئ خزائنه ويتسع نطاق جاهه ويعتز على سائر قومه فيعظم حال حاشيته
وذويه من وزير وكاتب وحاجب ومولى وشرطي ويتسع جاههم ويقتنون الاموال
ويتأثلونها ثم اذا اخذت الدولة في الهرم بتلاشي العصبية وفناء القبيل المعاهدين
للدولة احتاج صاحب الامر حينئذ الى الاعوان والانصار لكثرة الخوارج والمنازعين والثوار
وتوهم الانتقاض فصار خراجه لظهرائه واعوانه وهم ارباب السيوف واهل العصبيات
وانفق خزائنه وحاصله في مهمات حجر الدولة وقلت مع ذلك الجباية لما قدمناه من كثرة
العطاء والانفاق فيقل الخراج وتشتد حاجة الدولة الى المال فيتقلص ظل النعمة
والترف عن الخواص والحجاب والكتاب بتقلص الجاه عنهم وضيق نطاقه على صاحب
الدولة ثم تشتد حاجة صاحب الدولة الى المال وتنفق ابناء البطانة والحاشية ما تأثل
اباؤهم من الاموال في غير سبيلها من اعانة صاحب الدولة ويقبلون على غير ما كان عليه
اباؤهم وسلفهم من المناصحة ويرى صاحب الدولة انه احق بتلك الاموال التي اكتسبت
في دولة سلفه وبجاههم فيصطلمها وينتزعها منهم لنفسه شيئا فشيئا وواحدا بعد
واحد على نسبة رتبهم وتنكر الدولة لهم ويعود وبال ذلك على الدولة بفناء حاشيتها
ورجالاتها واهل الثروة والنعمة من بطانتها ويتقوض بذلك كثير من مباني المجد
بعد ان يدعمه اهله ويرفعوه وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة العباسية في بني
قحطبة وبني برمك وبني سهل وبني طاهر وامثالهم ثم في الدولة الاموية بالاندلس
عند انحلالها ايام الطوائف في بني شهيد وبني ابي عبدة وبني حدير وبني برد وامثالهم
وكذا في الدول التي ادركناها لعهدنا سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا

**فصل** ولما يتوقعه اهل الدولة من امثال هذه المعاطب صار الكثير منهم ينزعون
الى الفرار عن الرتب والتخلص من ربقة السلطان بما حصل بايديهم من مال الدولة
الى قطر اخر ويرون انه اهنا لهم واسلم في انفاقه وحصول ثمرته وهو من الاغلاط
الفاحشة والاوهام المفسدة لاحوالهم ودنياهم واعلم ان الخلاص من ذلك بعد
الحصول فيه عسير ممتنع فان صاحب هذا الغرض ان كان هو الملك بنفسه فلا تمكنه
الرعية من ذلك طرفة عين ولا اهل العصبية المزاحمون له بل في ظهور ذلك منه هدم
ملكه واتلاف نفسه لمجاري العادة بذلك لان ربقة الملك يعسر الخلاص منها سيما عند
استفحال الدولة وضيق نطاقها وما يعرض فيها من البعد عن المجد والخلال والتخلق
بالشر واما ان كان صاحب هذا الغرض من بطانة السلطان وحاشيته واهل الرتب
في دولته فقل ان يخلى بينه وبين ذلك اما اولا فلما يراه الملوك ان ذويهم وحاشيتهم
بل وسائر رعاياهم مماليك لهم مطلعون على ذات صدورهم فلا يسمحون بحل ربقته
من الخدمة ضنانة باسرارهم واحوالهم ان يطلع عليها احد وغيرة من خدمته لسواهم
ولقد كان بنو امية بالاندلس يمنعون اهل دولتهم من السفر لفريضة الحج لما يتوهمونه

من

من وقوعهم بايدي بني العباس فلم يحج سائر ايامهم احد من اهل دولتهم وما ابيح الحج لاهل
الدول من الاندلس الا بعد فراغ شان الاموية ورجوعها الى الطوائف واما ثانيا
فانهم وان سمحوا بحل ربقته فلا يسمحون بالتجافي عن ذلك المال لما يرون انه جزء من
مالهم كما كان ربه جزءا من دولتهم اذ لم يكتسب الا بها وفي ظل جاهها فتحوم نفوسهم
على انتزاع ذلك المال وابتلاعه كما هو جزء من الدولة ينتفعون به ثم اذا توهمنا انه خلص
بذلك المال الى قطر اخر وهو في النادر الاقل فتمتد اليه اعين الملوك بذلك القطر
وينتزعونه بالارهاب والتخويف تعريضا او بالقهر ظاهرا لما يرون انه مال الجباية
والدول وانه مستحق للانفاق في المصالح فاذا كانت تمتد الى اهل الثروة واليسار
المكتسبين من وجوه المعاش كما ذكرنا فاحرى بها ان تمتد الى مال الجبايات والدول
التي تجد السبيل اليه بالشرع والعادة وانظر ما وقع لقاضي جبلة الثائر بها
على ابن عمار صاحب طرابلس لما غلبه الفرنج عليها ونجا الى دمشق ثم الى بغداد
ومنها السلطان بركيارق بن ملكشاه وذلك اخر المائة الخامسة فجاءه وزير السلطان
واستقرض منه غالب ماله ثم استصفوه جميعا وكان لا يعبر عنه كثرة ولقد حاول السلطان
ابو يحيى زكريا بن احمد اللحياني تاسع او عاشر ملوك الحفصيين بافريقية الخروج عن عهدة
الملك واللحاق بمصر فرارا من طلب صاحب الثغور الغربية لما استجمع لغزو تونس
فاستعمل اللحياني الرحلة الى ثغر طرابلس يوري بتمهيده وركب السفين من هنالك
وخلص الى الاسكندرية بعد ان حمل جميع ما وجد ببيت المال من الصامت والذخيرة
وباع كل ما كان بخزائنهم من المتاع والعقار والجوهر حتى الكتب واحتمل ذلك كله الى
مصر ونزل على الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة تسع عشرة من المائة الثامنة فاكرم
نزله ورفع مجلسه ولم يزل يستخلص ذخيرته شيئا فشيئا بالتعريض الى ان حصل
عليها ولم يبق معاش ابن اللحياني الا في جرايته التي فرض له الى ان هلك سنة ثمان وعشرين
حسبما نذكره في اخباره فهذا وامثاله من جملة الوساوس التي تعتري اهل الدول لما
يتوقعونه من ملوكهم من المعاطب وانما يخلصون ان اتفق لهم الخلاص بانفسهم وما يتوهمونه
من الحاجة فغلط ووهم والذي حصل لهم من الشهرة بخدمة الدول كاف في وجدان
المعاش لهم بالجرايات السلطانية او بالجاه في انتحال طرق الكسب من التجارة والفلاحة
والدول انساب لكن النفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع والله الرزاق ذو
القوة المتين

## فصل في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية

والسبب في ذلك ان الدولة والسلطان هي السوق الاعظم للعالم ومنه مادة العمران فاذا احتجن
السلطان الاموال والجبايات او فقدت فلم يصرفها في مصارفها قل حينئذ ما بايدي الحاشية

وانقطع ايضا ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم وقلت نفقاتهم جملة وهم معظم
السواد ونفقاتهم اكثر مادة للاسواق من سواهم فيقع الكساد حينئذ في الاسواق
وتضعف الارباح في المتاجر لقلة الاموال فيقل الخراج كذلك لان الخراج والجباية انما تكون
من الاعتمار والمعاملات ونفاق الاسواق وطلب الناس للفوايد والارباح ووبال ذلك
عايد على الدولة بالنقص لقلة اموال السلطان حينئذ بقلة الخراج فان الدولة كما قلناه هي
السوق الاعظم ام الاسواق كلها واصلها ومادتها في الدخل والخرج فاذا كسدت وقلت مصارفها
فاجدر بما بعدها من الاسواق ان يلحقها مثل ذلك واشد منه فالمال انما هو متردد بين الرعية وايضا صح
والسلطان منهم اليه ومنه اليهم فاذا حبسه السلطان عنده فقدته الرعية سنة الله في عباده

## فصل في ان الظلم موذن بخراب العمران

اعلم ان العدوان على الناس في اموالهم ذاهب بامالهم في تحصيلها واكتسابها
لما يرونه حينئذ من ان غايتها ومصيرها انتهابها من ايديهم واذا ذهبت امالهم في
اكتسابها وتحصيلها انقبضت ايديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته
يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب فان كان الاعتداء كثيرا عاما في
جميع ابواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالامال جملة بدخوله من
جميع ابوابها وان كان الاعتداء يسيرا كان الانقباض عن الكسب على نسبته والعمران
ووفوره ونفاق اسواقه انما هو بالاعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين
وجائين فاذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت ايديهم عن المكاسب كسدت اسواق
العمران وانتقضت الاحوال وابذعر الناس في الافاق من غير تلك الايالة في طلب
الرزق فيما خرج عن نطاقها فخف ساكن القطر وخلت دياره وخربت امصاره واختل
باختلاله حال الدولة والسلطان لما انها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة
وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي في اخبار الفرس عن الموبذان صاحب الدين عندهم
ايام بهرام بن بهرام وما عرض به للملك في انكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن
عايدته في الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان البوم حين سمع الملك اصواتها
وسال عن فهم كلامها فقال له ان بوما ذكرا يروم نكاح بوم انثى وانها شرطت عليه عشرين
قرية من الخراب في ايام بهرام لتنوح فيها فقبل شرطها وقال لها ان دامت ايام
الملك اقطعتك الف قرية وهذا اسهل مرام فتنبه الملك من غفلته وخلا بالموبذان
وساله عن مراده فقال ايها الملك ان الملك لا يتم عزه الا بالشريعة والقيام لله
بطاعته والتصرف تحت امره ونهيه ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك
الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل
للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب وجعل له

قيما



قيما وهو الملك وانك ايها الملك عمدت الى الضياع فانتزعتها من اربابها وعمارها
وهم ارباب الخراج ومن توخذ منهم الاموال واقطعتها الحاشية والخدم
واهل البطالة فتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع وسومحوا
في الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على من بقي من ارباب الخراج وعمار
الضياع فانجلوا عن ضياعهم وخلوا ديارهم واووا الى ما بعد او تعذر من الضياع
فسكنوها فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال وهلكت الجنود والرعية
وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك لعلمهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم
الملك الا بها فلما سمع الملك ذلك اقبل على النظر في ملكه وانتزعت الضياع من
ايدي الخاصة وردت الى اربابها وحملوا على رسومهم السالفة واخذوا في العمارة
وقوي من ضعف منهم فعمرت الارض واخصبت البلاد وكثرت الاموال عند
جباة الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور واقبل الملك على
مباشرة اموره بنفسه فحسنت ايامه وانتظم ملكه فتفهم من هذه الحكاية ان الظلم مخرب
للعمران وان عائدة الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانتقاض ولا تنظر
في ذلك الى ان الاعتداء قد يوجد بالامصار العظيمة من الدول التي بها ولم يقع فيها
خراب واعلم ان ذلك انما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء واحوال اهل المصر
فلما كان المصر كبيرا وعمرانه كثيرا واحواله متسعة بما لا ينحصر كان وقوع النقص
فيه بالاعتداء والظلم يسيرا اذ النقص انما يقع بالتدريج فاذا خفي بكثرة الاحوال
واتساع الاعمال في المصر لم يظهر اثره الا بعد حين وقد تذهب تلك الدولة المعتدية
من اصلها قبل خراب المصر وتجي الدولة الاخرى فترقعه بجدتها وتجبر النقص الذي
كان خفيا فيه فلا يكاد يشعر به الا ان ذلك في الاقل والمراد من هذا ان حصول
النقص في العمران عن الظلم والعدوان امر واقع لا بد منه لما قدمناه ووباله عايد
على الدول ولا تحسبن الظلم انما هو اخذ المال او الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب
كما هو المشهور بل الظلم اعم من ذلك وكل من اخذ ملك احد او غصبه في عمله او طالبه بغير
حق او فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه فجباة الاموال بغير حقها ظلمة والمعتدون
عليها ظلمة والمنتهبون لها ظلمة والمانعون لحقوق الناس ظلمة وغصاب الاملاك
على العموم ظلمة ووبال ذلك كله عايد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لذهاب
الامال من اهله واعلم ان هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم
وهو ما ينشا عنه من فساد العمران وخرابه وذلك موذن بانقطاع النوع البشري
وهي الحكمة العامة المراعاة للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين
والعقل والنفس والنسل والمال فلما كان الظلم كما رايت موذنا بانقطاع النوع لما
ادى اليه من تخريب العمران كانت حكمة الحظر فيه موجودة فكان تحريمه مهما وادلته من القران

والسلطة كثيرة الكثير ان ياخذها قانون الضبط والحصر ولو كان كل احد قادرا عليه لوضع
بازايه من العقوبات الزاجرة ما وضع بازا غيره من المفسدات للنوع التي يقدر كل احد
على اقترافها من الزنا والقتل والسكر الا ان الظلم لا يقدر عليه الا من لا يقدر عليه لانه
انما يقع من اهل القدرة والسلطان فبولغ في ذمه وتكثير الوعيد فيه عسى ان يكون
الوازع فيه للقادر عليه من نفسه وما ربك بظلام للعبيد ولا تقولن ان العقوبة
قد وضعت بازا الحرابة في الشرع وهي من ظلم القادر لان المحارب زمن حرابته قادر فان
الجواب عن ذلك من طريقين احدهما ان تقول العقوبة التي وضعت في ذلك انما هي
بازا ما يقترفه من الجنايات في نفس او مال على ما ذهب اليه كثير وذلك انما يكون بعد
القدرة عليه والمطالبة بجنايته واما نفس الحرابة فهي خلو من العقوبة الطريق الثاني
ان تقول المحارب لا يوصف بالقدرة لانا انما نعني بقدرة الظالم اليد المبسوطة
التي لا يعارضها قدرة فهي المؤذنة بالخراب واما قدرة المحارب فانما هي اخافة
يجعلها ذريعة لاخذ الاموال والمدافعة عنها بيد الكل موجودة شرعا وسياسة
فليست من القدر المؤذنة بالخراب والله قادر على ما يشا

**فصل**

ومن اشد الظلامات واعظمها افسادا للعمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير
حق وذلك ان الاعمال من قبيل المتمولات لما سنبين في باب الرزق ان الكسب
والرزق انما هو قيم اعمال اهل العمران فاذا مساعيهم واعمالهم كلها متمولات
ومكاسب لهم بل لا مكاسب لهم سواها فان الرعية المعتملين في العمارة انما معاشهم
ومكاسبهم من اعتمالهم ذلك فاذا كلفوا العمل في غير شانهم واتخذوا سخريا في
غير معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو متمولهم فدخل عليهم الضرر
وذهب لهم حظ كبير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وان تكرر ذلك عليهم افسد
امالهم في العمارة وقعدوا عن السعي فيها جملة فادى ذلك الى انتقاض العمران وتخريبه
والله يرزق من يشا بغير حساب

**فصل**

واعظم من ذلك في الظلم وافساد
للعمران والدولة التسلط على اموال الناس بشرا ما بايديهم بابخس الاثمان
ثم فرض البضايع عليهم بارفع الاثمان على وجه الغصب والاكراه في الشرا والبيع وربما
تفرض عليهم تلك الاثمان على التراخي والتاجيل فيتعللون في الخسارة التي تلحقهم
بما تحدثهم به المطامع من جبر ذلك بحوالة الاسواق في تلك البضايع التي فرضت عليهم
بالغلا ثم يطالبون بتلك الاثمان معجلة فيضطرون الى بيعها بابخس الثمن
وتعود خسارة ما بين الصفقتين على روس اموالهم وقد يعم ذلك اصناف التجار
المقيمين بالمدينة والواردين من الافاق في البضايع وساير السوقة واهل الدكاكين
في الماكل والفواكه واهل الصنايع فيما يتخذ من الالات والمواعين فتشمل الخسارة
ساير الاصناف والطبقات وتتوالى على الساعات وتجحف بروس الاموال ولا يجدون

عنها

عنها وليجة الا القعود عن الاسواق لذهاب روس الاموال عن جبرها بالارباح ويتثاقل
الواردون من الافاق لشرا البضايع وبيعها من اجل ذلك فتكسد الاسواق ويبطل
معاش الرعايا لان عامته من البيع والشرا واذا كانت الاسواق عطلا منها
بطل معاشهم وتنقص جباية السلطان او تفسد لان معظمها من اواسط الدولة
وما بعدها انما هو من المكوس على البياعات كما قدمناه ويؤول ذلك الى تلاشي
الدولة وفساد عمران المدينة ويتطرق هذا الخلل على التدريج ولا يشعر به هذا فيما كان
بامثال هذه الذرايع والاسباب الى اخذ الاموال واما اخذها مجانا والعدوان
على الناس في اموالهم وحرمهم ودمايهم وابشارهم واعراضهم فهو يفضي الى الخلل
والفساد دفعة وتنتقض الدولة سريعا لما ينشا عنه من الهرج المفضي الى
الانتقاض ومن اجل هذه المفاسد حظر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة في البيع
والشرا وحظر اكل اموال الناس بالباطل سدا لابواب المفاسد المفضية الى
انتقاض العمران بالهرج او بطلان المعاش واعلم ان الداعي لذلك كله
انما هو حاجة الدولة والسلطان الى الاكثار من الاموال بما يعرض لهم من الترف في
الاحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة
فيستحدثون القابا ووجوها يوسعون بها الجباية ليفي لهم الدخل بالخرج ثم لا يزال
الترف يزيد والخرج بسببه يكثر والحاجة الى اموال الناس تشتد ونطاق
الدولة بذلك يضيق الى ان يمحي دايرها ويذهب رسمها ويغلبها
طالبها والله مقدر الامور لا رب غيره

## فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وانه يعظم عند الهرم

اعلم ان الدولة في اول امرها تكون بعيدة عن منازع الملك كما قدمناه لانها
لا بد لها من العصبية التي بها يتم امرها ويحصل استيلاوها والبداوة هي شعار
العصبية والدولة ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع الملك وان كان
قيامها بعز الغلب فقط فالبداوة التي بها يحصل الغلب بعيدة ايضا عن منازع
الملك ومذاهبه فاذا كانت الدولة في اول امرها بدوية كان صاحبها على حال الغضاضة
والبداوة والقرب من الناس وسهولة الاذن فاذا رسخ عزه وصار الى الانفراد بالمجد
واحتاج الى الانفراد بنفسه عن الناس للحديث مع اوليايه في خواص شونه
لما يكثر حينيذ من غاشيته فيطلب الانفراد من العامة ما استطاع ويتخذ الاذن
ببابه على من لا بد منه من اوليايه واهل دولته فيكون حاجبا له عن الناس ويقيمه ببابه
لهذه الوظيفة ثم اذا استفحل الملك وجات مذاهبه ومنازعه استحالت خلق صاحب
الدولة الى خلق الملك وهي خلق غريبة مخصوصة يحتاج مباشرها الى مداراتها ومعاملتها

بما يجب لها وربما جهل تلك الخلق منهم بعض من يباشرهم فوقع فيما لا يرضيهم فسخطوه
وصاروا الى حالة الانتقام منه فانفرد بمعرفة هذه الاداب معهم الخواص من اوليايهم
وحجبوا غير اولئك الخاصة عن لقايهم في كل وقت حفظا على انفسهم من معاينة
ما يسخطهم وعلى الناس من التعرض لعقابهم فصار لهم حجاب اخر اخص من الحجاب
الاول يفضي اليهم منه خواصهم من الاوليا ويحجب دونه من سواهم والحجاب الثاني
يفضي الى مجالس الاوليا ويحجب دونه من سواهم من العامة فالحجاب الاول يكون في
اول الدولة كما ذكرنا كما حدث ايام معوية وعبد الملك وخلفا بني امية وكان القايم على ذلك
الحجاب يسمى عندهم الحاجب جريا على مذهب الاشتقاق الصحيح ثم لما جات دولة بني
العباس وحدث للدولة من الترف والعز ما هو معروف وكملت خلق الملك على ما يجب
فيها فدعى ذلك الى الحجاب الثاني وصار اسم الحاجب اخص به وصار بباب الخلفا داران
للعباسيه دار للخاصة ودار للعامة كما هو مسطور في اخبارهم ثم حدث في الدول حجاب
ثالث اخص من الاولين وهو عند محاولة الحجر على صاحب الدولة وذلك ان اهل الدولة
وخواص الملك اذا نصبوا الابنا من الاعقاب وحاولوا الاستبداد عليهم فاول ما يبدا به
ذلك المستبد ان يحجب عنه بطانة ابيه وخواص اوليايه يوهمه ان في مباشرتهم
اياه خرق حجاب الهيبة وفساد قانون الادب ليقطع بذلك عنه لقا الغير ويعوده
ملابسة اخلاقه هو حتى لا يتبدل به سواه الى ان يستحكم الاستيلا عليه فيكون هذا الحجاب
من دواعيه وهذا الحجاب لا يقع في الغالب الا اواخر الدول كما قدمناه في الحجر ويكون
دليلا على هرم الدولة ونفاد قوتها وهو مما يخشاه اهل الدول على انفسهم لان القايمين
بالدولة يحاولون على ذلك بطباعهم عند هرم الدولة وذهاب الاستبداد من اعقاب
ملوكها لما ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك وخصوصا مع الترشيح
لذلك وحصول دواعيه ومباديه والله غالب على امره

## فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين

اعلم ان اول ما يقع من اثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك ان الملك
عندما يستفحل ويبلغ احوال الترف والنعيم الى غايتها ويستبد صاحب الدولة
بالمجد وينفرد به ويانف حينيذ عن المشاركة ويصير الى قطع اسبابها ما استطاع
باهلاك من استراب به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه فربما ارتاب المساهمون له
في ذلك بانفسهم ونزعوا الى القاصية واجتمع اليهم من يلحق بهم في مثل حالهم
من الاسترابة والاحتراز ويكون نطاق الدولة قد اخذ في التضايق ورجع عن
القاصية فيستبد ذلك النازع من القرابة فيها ولا يزال امره يعظم بتراجع نطاق الدولة



حتى يقاسم الدولة او يكاد وانظر ذلك في الدولة الاسلامية العربية حين كان امرها
عزيزا مجتمعا ونطاقها ممتدا في الاتساع وعصبية بني عبد مناف واحدة غالبة
على ساير مضر فلم ينبض عرق من الخلاف ساير ايامهم الا ما كان من نزعة الخوارج
المستميتين في شان بدعتهم لم يكن ذلك لنزعة ملك ولا رياسة ولم يتم امرهم لمزاحمتهم
العصبية القوية ثم لما خرج الامر من بني امية واستقل بنو العباس بالامر وكانت
الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف واذنت بالتقلص عن القاصية
نزع عبد الرحمن الداخل الى الاندلس قاصية دولة الاسلام فاستحدث بها ملكا واقتطعها
عن دعوتهم وصير الدولة دولتين ثم نزع ادريس الى المغرب وخرج به وقام بامره
وامر ابنه من بعده البرابرة من اوربة ومغيلة وزناتة واستولى على ناحية المغربين
ثم ازدادت الدولة تقلصا فاضطرب الاغالبة على الامتناع عليهم ثم خرج
الشيعة وقام بامرهم كتامة وصنهاجة واستولوا على افريقية والمغرب ثم مصر
والشام والحجاز وغلبوا على الادارسة وقسموا الدولة دولتين اخريين وصارت
الدولة العربية ثلاث دول دولة بني العباس بمركز العرب واصلهم ومادة الاسلام ودولة
بني امية المجددين بالاندلس ملكهم القديم وخلافتهم بالمشرق ودولة العبيديين بافريقية
ومصر والشام والحجاز ولم تزل هذه الدول الى ان كان انقراضها متقاربا او جميعا
وكذلك انقسمت دولة بني العباس بدول اخرى فكان بالجزيرة والموصل بنو حمدان
وبنو عقيل بعدهم وبمصر والشام بنو طولون وبنو طغج بعدهم وكان بالقاصية
بنو سامان فيما وراء النهر وخراسان والعلوية في الديلم وطبرستان وال ذلك
الى استيلا الديلم على فارس والعراقين وعلى بغداد والخلفا ثم جا السلجوقية
فملكوا جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم ايضا بعد الاستفحال كما هو معروف في اخبارهم
وكذلك اعتبره في دولة صنهاجة بالمغرب وافريقية لما بلغت الى غايتها ايام
باديس بن المنصور خرج عليه عمه حماد واقتطع ممالك المغرب لنفسه ما بين جبل
اوراس الى تلمسان وملوية واختط القلعة بجبل كتامة حيال المسيلة ونزلها
واستولى على مركزهم اشير بجبل تيطرى واستحدث ملكا اخر قسيما لملك ال باديس
وبقي ال باديس بالقيروان وما اليها ولم يزل ذلك الى ان انقرض امرهما جميعا
وكذلك دولة الموحدين لما تقلص ظلها ثار بافريقية بنو ابي حفص فاستقلوا
بها واستحدثوا ملكا لاعقابهم بنواحيها ثم لما استفحل امرهم واستولى على الغاية
خرج بالممالك الغربية من اعقابهم الامير ابو زكريا يحيى بن السلطان ابي اسحاق ابرهيم
رابع خلفايهم واستحدث ملكا ببجاية وقسنطينة وما اليها اورثه بنيه وقسموا
به الدولة قسمين ثم استولوا على كرسي الحضرة بتونس ثم انقسم الملك ما بين اعقابهم
ثم عاد الاستيلا فيهم وقد ينتهي الانقسام الى اكثر من دولتين وثلاثة في غير اعياص

[illegible] الى جانبه واختط القلعة [illegible] سنة ١٢ [illegible]

الملك من قومه كما وقع في ملوك الطوائف بالأندلس وملوك العجم بالمشرق وفي ملك صنهاجة
بإفريقية فقد كان آخر دولتهم في كل حصن من حصون إفريقية ثائر مستقل بأمره كما نذكره وكذا
حال الجريد والزاب من إفريقية قبيل هذا العهد كما نذكره أيضا وهكذا شأن كل دولة
لا بد أن تعرض فيها عوارض الهرم بالترف والدعة وتقلص ظل الغلب فيقتسم أعياصها أو من يغلب
من رجال دولتها الأمر وتتعدد فيها الدول والله وارث الأرض ومن عليها

## فصل في أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع

قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم وأسبابه واحدا بعد واحد وبينا أنها تحدث
للدولة بالطبع وأنها كلها أمور طبيعية لها وإذا كان الهرم طبيعيا في الدولة كان حدوثه
بمثابة حدوث الأمور الطبيعية كما يحدث الهرم في المزاج الحيواني والهرم من الأمراض
المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها لما أنه طبيعي والأمور الطبيعية لا تتبدل
وقد يتنبه كثير من أهل الدول ممن له يقظة في السياسة فيرى ما نزل بدولتهم من عوارض
الهرم وأسبابه ويحسبه ممكن الارتفاع فيأخذ نفسه بتلافي العلة وإصلاح مزاجها
عن ذلك الهرم ويظن أنه لحقها بتقصير من قبله من أهل الدولة أو غفلتهم وليس كذلك
فإنها أمور طبيعية للدولة والعوائد هي المانعة له من تلافيها والعوائد تتنزل منزلة طبيعة
أخرى فإن من أدرك مثلا أباه وأكثر أهل بيته يلبسون الحرير والديباج ويتحلون بالذهب
في السلاح والمراكب ويحتجبون عن الناس في المجالس والصلوات فلا يمكنه مخالفة سلفه
في ذلك إلى الخشونة في اللباس والزي والاختلاط بالناس إذ العوائد حينئذ تمنعه وتقبح
عليه مرتكبه ولو فعله لرمي بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد ومخالفتها لولا التأييد
الإلهي والنصر السماوي وربما تكون العصبية قد ذهبت فتكون الأبهة تعوض عن موقعها
من النفوس فإذا أزيلت تلك الأبهة مع ضعف العصبية تجاسرت الرعايا
على الدولة بذهاب أوهام الأبهة فتتدرع الدولة بتلك الأبهة ما أمكنها حتى ينقضي الأمر
وربما تحدث عند آخر الدولة قوة توهم أن الهرم قد ارتفع عنها ويومض ذبالها إيماضة الخمود
كما يقع في الذبال المشتعل فإنه عند مقاربة انطفائه يومض إيماضة توهم أنها اشتعال
وهي انطفاء فاعتبر ذلك ولا تغفل سر الله وحكمته في اطراد وجوده على ما قدر فيه ولكل أجل كتاب

ونعمة وخشي عليه ما ينال ذلك من عاقبة تحكيمهم
وانظر شأن الأنبياء في إنكار العوائد
علانه وانظر

## فصل في كيفية طروق الخلل للدول

اعلم أن مبنى الملك على أساسين لا بد منهما فالأول الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه
بالجند والثاني المال الذي هو قوام أولئك الجند وإقامة ما يحتاج إليه الملك من الأحوال
والخلل إذا طرق الدولة طرقها في هذين الأساسين فلنذكر أولا طروق الخلل في الشوكة
والعصبية ثم نرجع إلى طروقه في المال والجباية واعلم أن تمهيد الدولة وتأسيسها

كما



كما قلناه إنما يكون بالعصبية وأنه لا بد من عصبية كبرى جامعة للعصائب مستتبعة
لها وهي عصبية صاحب الدولة الخاصة به من عشيرة وقبيلة فإذا جاءت الدولة طبيعة
الملك من الترف وجدع أنوف أهل العصبية كان أول ما يجدع أنوف عشيرته وذوي قرباه
المقاسمين له في اسم الملك فيستبد في جدع أنوفهم بما بلغ من سواهم ويأخذهم الترف أيضا
أكثر من سواهم لمكانهم من الملك والعز والغلب فيحيط بهم هادمان وهما الترف والقهر
ثم يصير القهر آخرا إلى القتل لما يحصل في مرض قلوبهم عند رسوخ الملك لصاحب الأمر
فيقلب غيرته منهم إلى الخوف على ملكه فيأخذهم بالقتل والإهانة وسلب النعمة
والترف الذي تعودوا الكثير منه فيهلكون ويقلون وتفسد عصبية صاحب الدولة منهم
وهي العصبية الكبرى التي كانت تجمع بها العصائب وتستتبعها فتنحل عروتها وتضعف
شكيمتها ويستبدل منها بالبطانة من موالي النعمة وصنائع الإحسان ويتخذ منهم عصبية
إلا أنها ليست مثل تلك في شدة الشكيمة لفقدان الرحم والقرابة منها وقد كنا قدمنا أن
شأن العصبية وقوتها إنما هي بالقرابة والرحم لما جعل الله في ذلك فينفرد صاحب الدولة
عن العشير والأنصار أهل النعرة الطبيعية ويحس بذلك أهل العصائب الأخرى
فيتجاسرون عليه وعلى بطانته تجاسرا طبيعيا فيهلكهم صاحب الدولة ويتبعهم بالقتل واحدا بعد
بالفعل صح
واحد ويقلد الآخر من أهل الدولة في ذلك الأول مع ما يكون قد نزل بهم من مهلكة الترف
الذي قدمناه فيستولي عليهم الهلاك بالترف والقتل حتى يخرجوا عن صبغة تلك العصبية
وينسوا نعرتها وسورتها ويصيروا أجراء على الحماية ويقلون لذلك فتقل الحامية التي
تنزل بالأطراف والثغور فتتجاسر الرعايا على نقض الدعوة في الأطراف ويبادر الخوارج
على الدولة من الأعياص وغيرهم إلى تلك الأطراف لما يرجون حينئذ من حصول غرضهم
بمتابعة أهل القاصية لهم وأمنهم من وصول الحامية إليهم ولا يزال ذلك يتدرج ونطاق
الدولة يتضايق حتى تصير الخوارج في أقرب الأماكن إلى مركز الدولة وربما انقسمت
الدولة عند ذلك بدولتين أو ثلاث على قدر قوتها في الأصل كما قلناه ويقوم بأمرها غير أهل
عصبيتها لكن إذعانا لأهل عصبيتها ولغلبهم المعهود واعتبر هذا في دولة العرب
في الإسلام انتهت أولا إلى الأندلس والهند والصين وكان أمر بني أمية نافذا في جميع العرب
بعصبية عبد مناف حتى لقد أمر سليمان بن عبد الملك من دمشق بقتل عبد العزيز بن موسى
ابن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد أمره ثم تلاشت عصبية بني أمية بما أصابهم من الترف
فانقرضوا وجاء بنو العباس فغضوا من أعنة بني هاشم وقتلوا الطالبيين وشردوهم
فانحلت عصبية عبد مناف وتلاشت وتجاسر العرب عليهم فاستبد عليهم أهل
القاصية مثل بني الأغلب بإفريقية وأهل الأندلس وغيرهم وانقسمت الدولة
ثم خرج بنو إدريس بالمغرب وقام البربر بأمرهم إذعانا للعصبية التي لهم وأمنا أن يصلهم
مقاتلة أو حامية للدولة فإذا خرج الدعاة آخرا فيتغلبون على الأطراف والقاصية

ويحصل لهم هنالك دعوى وملك تنقسم به الدولة وربما يزيد ذلك متى زادت الدولة
تقلصا الى ان تنتهي الى المركز وتضعف البطانة بعد ذلك بما اخذ منها الترف
فتهلك وتضمحل وتضعف الدولة المنقسمة كلها وربما طال امدها بعد ذلك
فتستغني عن العصبية بما حصل لها من الصبغة في نفوس اهل ايالتها وهي
صبغة الانقياد والتسليم منذ السنين الطويلة التي لا يعقل احد من الاجيال مبداها
ولا اوليتها فلا يعقلون الا التسليم لصاحب الدولة فتستغني بذلك عن قوة
العصايب ويكفي صاحبها في تمهيد امرها الاجرا على الحماية من جندي ومرتزق ويعضد
ذلك ما وقر في النفوس عامة من عقيدة التسليم فلا يكاد احد ان يتصور عصيانا او خروجا
الا والجمهور منكرون عليه مخالفون له فلا يقدر على التصدي لذلك ولو جهد جهده
وربما كانت الدولة في هذا الحال اسلم من الخوارج والمنازعة لاستحكام صبغة التسليم
والانقياد لهم فلا تكاد النفوس تحدث سرها بمخالفة ولا يختلج في ضميرها انحراف
عن الطاعة فتكون اسلم من الهرج والانتقاض الذي يحدث من العصايب والعشاير
ثم لا يزال امر الدولة كذلك وهي تتلاشى في ذاتها شان الحرارة الغريزية في البدن
العادم للغذا الى ان تنتهي الى وقتها المقدور فلكل اجل كتاب ولكل دولة امد والله يقدر الليل والنهار
**واما** الخلل الذي يطرق من جهة المال فاعلم ان الدولة في اولها تكون بدوية كما
فيكون لها خلق الرفق بالرعايا والقصد في النفقات والتعفف عن الاموال
فتتجافى عن الامعان في الجباية والتحذلق والكيس في جمع المال وحسبان العمال
ولا داعية حينئذ الى الاسراف في النفقة فلا تحتاج الدولة الى كثرة المال ثم يحصل
الاستيلا ويعظم ويستفحل الملك فيدعو الى الترف ويكثر الانفاق بسببه فتعظم
نفقات السلطان واهل الدولة على العموم بل يتعدى ذلك الى اهل المصر ويدعو
الى الزيادة في اعطيات الجند وارزاق اهل الدولة فيكثر الاسراف في النفقات
وينتشر ذلك في الرعية لان الناس على دين الدولة وعوايدها ويحتاج السلطان الى ضرب
المكوس على اثمان البياعات في الاسواق لادرار الجباية لما يراه من ترف المدينة
الشاهد عليهم بالرفه ولما يحتاج هو اليه من نفقات سلطانه وارزاق جنده ثم تزيد
عوايد الترف فلا تفي بها المكوس وتكون الدولة قد استفحلت في الاستطالة والقهر
لمن تحت يدها من الرعايا فتمتد ايديهم الى جمع المال من اموال الرعايا من مكس او تجارة
او نقد في بعض الاحوال بشبهة او بغير شبهة ويكون الجند في ذلك الطور قد تجاسروا
على الدولة بما لحقها من الفشل والهرم في العصبية فيتوقع ذلك منهم ويداوي
بسكينة بافاضة العطا وكثرة الانفاق فيهم ولا يجد عن ذلك وليجة ويكون جباة
الاموال في الدولة قد عظمت ثروتهم في هذا الطور بكثرة الجباية وكونها بايديهم وبما اتسع
لذلك جاههم فتتوجه التهم اليهم باحتجان الاموال من الجباية وتفشو السعاية فيهم

بعضهم



بعضهم من بعض للمنافسة والحسد فتعمهم النكبات والمصادرات واحدا واحدا الى ان
تذهب ثروتهم وتتلاشى احوالهم ويفقد ما كان للدولة من الابهة والجمال بهم واذا اصطلمت
نعمتهم تجاوزتهم الدولة الى اهل الثروة من الرعايا سواهم ويكون الوهن في هذا
الطور قد لحق الشوكة وضعفت عن الاستطالة والقهر فتنصرف سياسة صاحب الدولة
حينئذ الى مداراة الامور ببذل المال ويراه ارفع من السيف لقلة غنايه فتعظم حاجته
الى الاموال زيادة على النفقات وارزاق الجند ولا تغني فيما يريد ويعظم الهرم بالدولة ويتجاسر
عليها اهل النواحي والدولة تنحل عراها في كل طور من هذه الى ان تفضي الى الهلاك وتتعرض
لاستيلا الطلاب فان قصدها طالب انتزعها من ايدي القايمين بها والا بقيت وهي تتلاشى
الى ان تضمحل كالذبال في السراج اذا فني زيته وطفي والله مالك الامور ومدبر الاكوان
لا اله الا هو

## فصل في اتساع نطاق الدولة اولا الى نهايته ثم تضايقه طورا بعد طور الى فناء الدولة واضمحلالها

قد كان تقدم لنا في فصل الخلافة والملك وهو الثالث من هذه المقدمة ان كل دولة
لها حصة من الممالك والعمالات لا تزيد عليها واعتبار ذلك بتوزيع عصابة الدولة
على حماية اقطارها وجهاتها فحيث نفد عددهم فالطرف الذي انتهى عنده هو الثغر
ويحيط بالدولة من ساير جهاتها كالنطاق وقد تكون النهاية هي نطاق الدولة الاول وقد
يكون اوسع منه اذا كان عدد العصابة اوفر من الدولة قبلها وهذا كله عندما تكون الدولة
في شعار البداوة وخشونة الباس فاذا استفحل العز والغلب وتوفرت النعم والارزاق
بدرور الجبايات وزخر بحر الترف والحضارة ونشأت الاجيال على اعتبار ذلك لطفت
اخلاق الحامية ورقت حواشيهم وعاد من ذلك الى نفوسهم هيئات الجبن والكسل بما يعانونه
من خنث الحضارة المودي الى الانسلاخ من شعار الباس والرجولية بمفارقة
البداوة وخشونتها وباخذهم العز بالتطاول الى الرياسة والتنازع فيها فيفضي
الى قتل بعضهم بعضا ويكبحهم السلطان عن ذلك بما يودي الى قتل اكابرهم واهلاك
روسايهم فتفقد الامرا والكبرا ويكثر التابع والمروس فيفل ذلك من حد الدولة
ويكسر من شوكتها ويقع الخلل الاول في الدولة وهو الذي من جهة الجند والحامية كما
تقدم ويساوق ذلك السرف في النفقات بما يعتريهم من ابهة العز وتجاوز الحدود
في البذخ بالمناغاة في المطاعم والملابس وتشييد القصور واستجادة السلاح
وارتباط الخيول فيقصر دخل الدولة حينئذ عن خرجها ويطرق الخلل الثاني في الدولة
وهو الذي من جهة المال والجباية ويحصل العجز والانتقاص بوجود الخللين وربما
تنافس روساوهم فتنازعوا وعجزوا عن مغالبة المجاورين والمنازعين ومدافعتهم

وربما انتزى اهل الثغور والاطراف بما يحسون من ضعف الدولة وراءهم فيصيرون الى الاستقلال والاستبداد بما في ايديهم من العمالات ويعجز صاحب الدولة عن حملهم على الجادة فيضيق نطاق الدولة عما كانت انتهت اليه في اولها وترجع العناية في تدبيرها بنطاق دونه الى ان يحدث في النطاق الثاني ما حدث في الاول بعينه من العجز والكسل في العصابة وقلة الاموال والجباية فيذهب القائم بالدولة الى تغيير القوانين التي كانت عليها سياسة الدولة من قبل في الجند والمال والولايات ليجري حالها على استقامة بتكافؤ الدخل والخرج والحامية والعمالات وتوزيع الجباية على الارزاق ومقايسة ذلك باول الدولة في سائر الاحوال والمفاسد مع ذلك متوقعة من كل جهة فيحدث في هذا الطور من اخر الدولة ما حدث في الاول من قبل ويعتبر صاحب الدولة ايضا ما اعتبره الاول ويقايس بالوزان الاول احوالها الثانية يروم دفع مفاسد الخلل الذي يتجدد في كل طور ويأخذ من كل طرف حتى يضيق نطاقها الاخر الى نطاق دونه كذلك ويقع فيه ما وقع في الاول وكل واحد من هولاء المغيرين للقوانين قبله كانهم منشئ دولة اخرى ومجدد دولة حتى تنقرض الدولة وتتطاول الامم حولها الى التغلب عليها وانشاء دولة اخرى لهم فيقع من ذلك ما قدر الله وقوعه واعتبر ذلك في الدولة الاسلامية كيف اتسع نطاقها بالفتوحات والتغلب على الامم ثم تزايد الحامية وتكاثر عددهم بما تخولوه من النعم والارزاق الى ان انقرض امر بني امية وغلب بنو العباس ثم تزايد الترف ونشأت الحضارة وطرق الخلل فضاق النطاق من الاندلس والمغرب بحدوث الدولة الاموية والعلوية واقتطعوا ذينك الثغرين عن نطاقها الى ان وقع الخلاف بين بني الرشيد وظهر دعاة العلوية في كل جانب وتمهدت لهم دول ثم قتل المتوكل واستبد الامراء على الخلفاء وحجروهم واستقل الولاة بالعمالات في الاطراف وانقطع الخراج منها وتزايد الترف وجاء المعتضد فغير قوانين الدولة الى قانون اخر من السياسة اقطع فيه ولاة الاطراف ما غلبوا عليه مثل بني سامان وراء النهر وبني طاهر العراق وخراسان وبني الصفار السند وفارس وبني طولون مصر وبني الاغلب افريقية الى ان افترق امر العرب وغلب العجم واستبد بنو بويه والديلم بدولة الاسلام وحجروا الخلافة وبقي بنو سامان في استبدادهم وراء النهر وتطاول الفاطميون من المغرب الى مصر والشام فملكوه ثم قامت الدولة السلجوقية من الترك فاستولوا على ممالك الاسلام وابقوا الخلفاء في حجرهم الى ان تلاشت دولهم واستبد الخلفاء منذ عهد الناصر في نطاق اضيق من هالة القمر وهو عراق العرب الى اصبهان وفارس والبحرين واقامت الدولة كذلك بعض الشيء الى ان انقرض امر الخلفاء على يد هولاكو بن طولي بن دوشي خان ملك التتر والمغل حين غلبوا السلجوقية وملكوا ما كان بايديهم من ممالك الاسلام وهكذا يتضايق نطاق كل دولة على نسبة نطاقها الاول ولا يزال طورا بعد طور الى ان تنقرض الدولة واعتبر ذلك في كل دولة عظمت

قبلهم

او صغرت

او صغرت فهكذا سنة الله في الدول الى ان ياتي ما قدر الله من الفناء على خلقه وكل شيء هالك الا وجهه

## فصل في حدوث الدول وتجددها كيف يقع

اعلم ان نشاة الدول وبدايتها اذا اخذت الدولة المستقرة في الهرم والانتقاص يكون على نوعين اما بان يستبد ولاة الاعمال في الدولة بالقاصية عندما يتقلص ظلها عنهم فيكون لكل واحد منهم دولة يستجدها لقومه وملك يستقر في نصابه يرثه عنه ابناؤه او مواليه ويستفحل لهم الملك بالتدريج وربما يزدحمون على ذلك الملك ويتقارعون عليه ويتنازعون في الاستئثار به ويغلب منهم من يكون له فضل قوة على صاحبه وينتزع ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين اخذت دولتهم في الهرم وتقلص ظلها عن القاصية واستبد بنو سامان بما وراء النهر وبنو حمدان بالموصل والشام وبنو طولون بمصر وكما وقع في الدولة الاموية بالاندلس وافترق ملكها في الطوائف الذين كانوا ولاتها في الاعمال وانقسمت دولا وملوكا اورثوها من بعدهم من قرابتهم او مواليهم وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرب لانهم مستقرون في رياستهم ولا يطمعون في الاستيلاء على الدولة المستقرة وانما الدولة ادركها الهرم فتقلص ظلها عن القاصية وعجزت عن الوصول اليها والنوع الثاني بان يخرج على الدولة خارج ممن يجاورها من الامم والقبائل اما بدعوة يحمل الناس عليها كما اشرنا اليه او بان يكون صاحب شوكة وعصبية كبيرا في قومه قد استفحل امره فيسمو بهم الى الملك وقد حدثوا به انفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرة وما نزل بها من الهرم فيتعين له ولقومه الاستيلاء عليها ويمارسونها بالمطالبة الى ان يظفروا بها ويرثون امرها كما وقع للسلجوقية مع بني سبكتكين ولبني مرين بالمغرب مع الموحدين والله غالب على امره

## فصل في ان الدولة المستجدة انما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاولة لا بالمناجزة

قد ذكرنا ان الدول الحادثة المتجددة نوعان نوع من ولاة الاطراف اذا تقلص ظل الدولة عنهم وانحسر تيارها وهولاء لا يقع منهم مطالبة للدولة في الاكثر كما قدمناه لان قصاراهم القنوع بما في ايديهم وهو نهاية قوتهم والنوع الثاني نوع الدعاة والخوارج على الدولة وهولاء لا بد لهم من المطالبة لان قوتهم وافية بها فان ذلك انما يكون في نصاب يكون له من العصبية والاعتزاز ما هو كفاء ذلك وواف به فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حروب سجال تتكرر وتتصل الى ان يقع لهم الاستيلاء والظفر بالمطلوب ولا يحصل

لهم في الغالب الظفر بالمناجزة والسبب في ذلك ان الظفر في الحروب انما يقع غالبا كما قدمناه
بامور نفسانية وهمية وان كان العدد والسلاح وصدق القتال كفيلا به لكنه قاصر
مع تلك الامور الوهمية كما مر ولذلك كان الخداع من انفع ما يستعمل في الحرب واكثر ما يقع
الظفر به وفي الحديث الحرب خدعة والدولة المستقرة قد صيرت العوائد المالوفة طاعتها
ضرورية واجبة كما تقدم في غير موضع فتكثر بذلك العوائق لصاحب الدولة المستجدة
ويكسر من همم اتباعه واهل شوكته وان كان الاقربون من بطانته على بصيرة في طاعته
ومؤازرته الا ان الاخرين قد اخلهم الفشل والكسل بعقائد التسليم للدولة
المستقرة فيحصل الفتور منهم ولا يكاد صاحب الدولة المستجدة لذلك يقاوم صاحب
الدولة المستقرة فيرجع الى الصبر والمطاولة حتى يتضح هرم الدولة المستقرة فتضمحل
عقائد التسليم لها من قومه وتنبعث منهم الهمم لصدق المطالبة معه فيقع الظفر
والاستيلا وايضا فالدولة المستقرة كثيرة الترف بما استحكم لهم من الملك وتسوغوه
من النعم واللذات واختصوا به دون غيرهم من اموال الجباية فيكثر عندهم ارتباط الخيول
واستجادة الاسلحة وتعظم فيهم الابهة الملكية ويفيض العطا بينهم من ملوكهم اختيارا
واضطرارا فيرهبون بذلك كله عدوهم واهل الدولة المستجدة بمعزل عن ذلك لما هم
فيه من البداوة واحوال الفقر والخصاصة التي يفقد معها الاستعداد من ذلك فتسبق
الى قلوبهم اوهام الرعب لما يبلغهم من احوال الدولة المستقرة وكثرة استعدادها فيحجمون
عن قتالهم من اجل ذلك فيضطر اميرهم الى المطاولة حتى تاخذ الدولة المستقرة ماخذها
من الهرم ويستحكم الخلل فيها في العصبية والجباية فينتهز حينئذ صاحب الدولة المستجدة
فرصته في الاستيلا عليها بعد حين منذ المطالبة سنة الله في عباده وايضا فاهل
الدولة المستجدة كلهم مباينون لاهل الدولة المستقرة بانسابهم وعوائدهم وفي ساير
مناحيهم ثم مفاخرون لهم ومنابذون بما وقع من هذه المطالبة وبطمعهم في الاستيلا عليهم
فتتمكن المباعدة بين اهل الدولتين سرا وجهرا ولا يصل الى اهل الدولة المستجدة
خبر عن اهل الدولة المستقرة يصيبون به غرة باطنا ولا ظاهرا لانقطاع المداخلة
بين الدولتين فيقيمون على المطالبة وهم في احجام ونكول عن المناجزة حتى ياذن
الله بزوال الدولة المستقرة ونفاذ عمرها ووفور الخلل في جميع جهاتها واتضح لاهل
الدولة المستجدة مع الايام ما كان يخفى عنهم من هرمها وتلاشيها وقد عظمت قوتهم
بما اقتطعوه من اعمالها ونقصوه من اطرافها فتنبعث هممهم يدا واحدة للمناجزة
ويذهب ما كان يبعث في عزائمهم من التوهمات وتنتهي المطاولة الى حدها ويقع الاستيلا
اخرا بالمناجزة واعتبر ذلك في دولة بني العباس عند ظهورها وبدايتها كيف اقام
الشيعة بخراسان بعد انعقاد الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشر سنين او تزيد
وحينئذ تم لهم الظفر واستولوا على الدولة الاموية وكذا العلوية بطبرستان عند

وهم الاكثر

فيهم صحيح الموالاة

ظهور



ظهور دعوتهم في الديلم كيف كانت مطاولتهم حتى استولوا على تلك الناحية ثم لما انقضى
امر العلوية وسما الديلم الى ملك فارس والعراقين فمكثوا سنين كثيرة يطاولون
حتى اقتطعوا اصبهان وفارس ثم استولوا على الخليفة ببغداد وكذا العبيديون
اقام داعيتهم بالمغرب ابو عبد الله الشيعي بين كتامة من قبائل البربر عشر سنين وتزيد
يطاول بني الاغلب بافريقية حتى ظفر بهم واستولوا على المغرب كله ثم سموا الى
ملك مصر فمكثوا ثلثين سنة او نحوها في طلبها يجهزون اليها العساكر والاساطيل في كل
وقت ويجي المدد لمدافعتهم من بغداد والشام وملكوا الاسكندرية والفيوم
والصعيد وتخطت دعوتهم من هنالك الى الحجاز واقيمت بالحرمين ثم نازل قائدهم
جوهر الكاتب بعساكره مدينة مصر واستولى عليها واقتلع دولة بني طغج من اصولها
واختط القاهرة فجا خليفته معد المعز لدين الله فنزلها لستين سنة او نحوها منذ
استيلايهم على الاسكندرية وكذا السلجوقية ملوك الترك لما استولوا على بني سامان
واجازوا من وراء النهر مكثوا نحوا من ثلثين سنة يطاولون ابن سبكتكين بخراسان
حتى استولوا على دولته ثم زحفوا الى بغداد فاستولوا عليها وعلى الخليفة
بها بعد ايام من الدهر وكذا التتر من بعدهم خرجوا من المفازة عام سبعة عشر
وستماية فلم يتم لهم الاستيلا الا بعد اربعين سنة وكذا اهل المغرب خرج به المرابطون
من لمتونة على ملوكه من مغراوة فطاولوهم سنين حتى استولوا عليهم ثم خرج الموحدون
بدعوتهم على لمتونة فمكثوا نحوا من ثلثين سنة يحاربونهم حتى استولوا على كرسيهم
بمراكش وكذا ابنو مرين من زناتة خرجوا على الموحدين فمكثوا يطاولونهم
نحوا من ثلاثين سنة واستولوا على فاس واقتطعوها واعمالها من ملكهم ثم اقاموا
في محاربتهم ثلثين اخرى حتى استولوا على كرسيهم بمراكش حسبما ذلك كله مذكور
في تواريخ هذه الدول فهكذا حال الدول المستجدة مع المستقرة في المطالبة
والمطاولة سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تعترض ذلك بما وقع في
الفتوحات الاسلامية وكيف كان الاستيلا على فارس والروم لثلاث او اربع من
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من غير مطاولة واعلم ان ذلك انما كان معجزة من
معجزات نبينا صلوات الله وسلامه عليه سرها استماتة المسلمين في جهاد عدوهم
استبصارا بالايمان وما اوقع الله في قلوب عدوهم من الرعب والتخاذل
فكان ذلك كله خارقا للعادة المعلومة في مطاولة الدول المستجدة للمستقرة
واذا كان ذلك خارقا فهو من معجزات نبينا صلوات الله عليه المتعارف ظهورها
في الملة الاسلامية والمعجزات لا يقاس عليها الامور العادية ولا يعترض بها

## فصل في وفور العمران اواخر الدول

## وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات

انه قد تقرر لك فيما سلف ان الدولة في اول امرها لا بد من الرفق في ملكتها والاعتدال
في ايالتها اما من الدين ان كانت الدعوة دينية او من المكارمة والمحاسنة التي
تقتضيها البداوة الطبيعية للدول واذا كانت الملكة رفيقة محسنة انبسطت
امال الرعايا وانتشطوا للعمران واسبابه فتوفر وكثر التناسل واذا كان ذلك كله
بالتدريج فانما يظهر اثره بعد جيل او جيلين في الاقل وفي انقضاء الجيلين تشرف
الدولة على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ العمران في غاية الوفور والنماء ولا
تقولن انه قدم لك ان اواخر الدول يكون فيها الاجحاف بالرعايا وسوء الملكة
فذلك صحيح ولا يعارض ما قلناه لان الاجحاف وان حدث حينئذ وقلت الجبايات
فانما يظهر اثره في تناقص العمران بعد حين من اجل التدريج في الامور الطبيعية
ثم ان المجاعات والموتان يكثر عند ذلك في اواخر الدول والسبب فيه اما المجاعات
فلقبض الناس ايديهم عن الفلح في الاكثر بسبب ما يقع في اواخر الدولة من العدوان
في الاموال والجبايات وفي البياعات بالمكوس او من الفتن الواقعة من انتقاض الرعايا
وكثرة الخوارج لهرم الدولة فيقل احتكار الزرع غالبا وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر
الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الامطار وقلتها مختلفة والمطر
يقوى ويضعف ويقل ويكثر والزرع والثمار والضرع على نسبته الا ان الناس
واثقون في اقواتهم بالاحتكار فاذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات
فغلى الزرع وعجز عنه اولو الخصاصة فهلكوا وكان بعض السنوات والاحتكار
مفقود فشمل الناس الجوع واما كثرة الموتان فلها اسباب من كثرة المجاعات
كما ذكرناه او كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل او وقوع الوباء
وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات
الفاسدة واذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيواني وملابسه دائما فيسري الفساد
الى مزاجه فان كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين
وامراضها مخصوصة بالرئة وان كان الفساد دون القوي والكثير فيكثر العفن
ويتضاعف فتكثر الحميات في الامزجة وتمرض الابدان وتهلك وسبب كثرة العفن
والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفوره اخر الدولة لما كان في اوائلها
من حسن الملكة ورفقها وقلة المغرم وهو ظاهر ولهذا تبين في
موضعه في الحكمة ان تخلل الخلا والقفر بين العمران ضروري ليكون تموج الهواء يذهب
بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالطة الحيوانات وياتي بالهواء الصحيح ولهذا
ايضا فان الموتان يكون في المدن الموفورة العمران اكثر من غيرها بكثير كمصر بالمشرق وفاس

بالمغرب

بالمغرب والله يقدر ما يشا

## فصل في ان العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها امره

انه قد تقدم لنا في غير موضع ان الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران الذي نتكلم فيه
وانه لا بد لهم في الاجتماع من وازع وحاكم يرجعون اليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا
الى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم اليه ايمانهم بالثواب والعقاب عليه
الذي جاء به مبلغه وتارة الى سياسة عقلية يوجب انقيادهم اليها ما يتوقعونه
من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم فالاولى يحصل نفعها في الدنيا والاخرة
لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة ولمراعاة نجاة العباد في الاخرة والثانية
انما يحصل نفعها في الدنيا فقط وما تسمعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب
وانما معناه عند الحكماء ما يجب ان يكون عليه كل واحد من اهل ذلك المجتمع
في نفسه وخلقه حتى يستغنوا عن الحكام راسا ويسمون المجتمع الذي يحصل فيه
ما ينبغي من ذلك بالمدينة الفاضلة والقوانين المراعاة في ذلك بالسياسة المدنية وليس
مرادهم السياسة التي يحمل عليها اهل الاجتماع بالاحكام للمصالح العامة فان هذه
غير تلك وهذه المدينة الفاضلة عندهم نادرة او بعيدة الوقوع وانما يتكلمون عليها
على جهة الفرض والتقدير ثم ان السياسة العقلية التي قدمناها تكون على وجهين
احدهما تراعى فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكه على الخصوص
وهذه كانت سياسة الفرس وهي على وجه الحكمة وقد اغنانا الله عنها في الملة
ولعهد الخلافة لان الاحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة
والاداب واحكام الملك مندرجة فيها الوجه الثاني ان تراعى فيها مصلحة السلطان
وكيف يستقيم له الملك مع القهر والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذه تبعا وهذه
السياسة هي التي لساير الملوك في العالم من مسلم وكافر الا ان ملوك المسلمين يجرون
منها على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية بحسب جهدهم فقوانينها اذا مجتمعة
من احكام شرعية واداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعية واشياء من مراعاة
الشوكة والعصبية ضرورية والاقتداء فيها بالشرع اولا ثم الحكماء في ادابهم والملوك
في سيرهم ومن احسن ما كتب في ذلك واودعه كتاب طاهر بن الحسين قائد المامون
لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المامون الرقة ومصر وما بينهما فكتب
اليه ابوه كتابه المشهور عهد اليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه من
الاداب الدينية والخلقية والسياسات الشرعية والملوكية وحثه على مكارم الاخلاق
ومحاسن الشيم بما لا يستغني عنه ملك ولا سوقة ونص الكتاب منقولا من كتاب
الطبري وهو هذا

بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له
وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك في الليل والنهار والزم ما البسك
الله من العافية بالذكر لمعادك وما انت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعمل
في ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه واليم عذابه فان الله
سبحانه قد احسن اليك واوجب عليك الرافة بمن استرعاك امرهم من عباده
والزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم
وبيضتهم والحقن لدمائهم والامن لسبلهم وادخال الراحة عليهم ومواخذك بما فرض عليك
وموقفك عليه ومسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت واخرت ففرغ لذلك فهمك
وعقلك وبصرك ولا يشغلك عنه شاغل فانه راس امرك وملاك شانك واول ما يوفقك
الله عز وجل به لرشدك وليكن اول ما تلزم به نفسك وتنسب اليه فعالك المواظبة على
ما افترض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك وتوقعها
على سننها في اسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها وترتل في قراءتك وتمكن
في ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصدق فيها لربك نيتك واحضض عليها جماعة
من معك وتحت يدك وادأب عليها فانها كما قال الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر
ثم اتبع ذلك بالاخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلائقه واقتفاء
اثار السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك امر فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل
وتقواه وبلزوم ما انزل الله عز وجل في كتابه من امره ونهيه وحلاله وحرامه وائتمام ما جاءت
به الاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بما يحق الله عز وجل عليك ولا تميلن
عن العدل فيما احببت او كرهت لقريب من الناس او بعيد واثر الفقه واهله
والدين وحملته وكتاب الله عز وجل والعاملين به فان افضل ما تزين به المرء الفقه
في الدين والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به منه الى الله عز وجل فانه الدليل	خ في دين الله
على الخير كله والقائد اليه والامر به والناهي عن المعاصي والموبقات كلها وبها مع
توفيق الله عز وجل يزداد العبد معرفة له واجلالا له ودركا للدرجات العلى في المعاد
مع ما في ظهوره للناس من التوقير لامرك والهيبة لسلطانك والانسة بك والثقة
بعدلك وعليك بالاقتصاد في الامور كلها فليس شيء ابين نفعا ولا احضر امنا
ولا اجمع فضلا منه والقصد داعية الى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق
قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد فاثره في دنياك
كلها ولا تقصر في طلب الاخرة والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد
ولا غاية للاستكثار في البر والسعي له اذا كان يطلب به وجه الله تعالى ومرضاته
ومرافقة اولياء الله تعالى في دار كرامته واعلم ان القصد في شان الدنيا يورث
العز ويحصن من الذنوب وانك لن تحوط نفسك ومن يليك ولا تستصلح امورك

بافضل



بافضل منه فاته واهتد به تتم امورك وتزيد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك
واحسن ظنك بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة اليه في
الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تتهمن احدا من الناس فيما توليه من عملك
قبل ان تكشف امره فان ايقاع التهم بالبرآء والظنون السيئة بهم مأثم فاجعل
من شانك حسن الظن باصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعنك ذلك
على اصطناعهم ورياضتهم ولا يجدن عدو الله الشيطان في امرك مغمزا فانه انما يكتفي
بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينغص لذاذة عيشك
واعلم انك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفي به ما احببت كفايته من امورك
وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة في الامور كلها ولا يمنعك حسن الظن باصحابك
والرافة برعيتك ان تستعمل المسألة والبحث عن امورك والمباشرة لامور الاولياء والحياطة
للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها بل لتكن المباشرة لامور الاولياء والحياطة للرعية
في النظر في حوائجهم وحمل مؤوناتهم آثر عندك مما سوى ذلك فانه اقوم للدين واحيا
للسنة واخلص نيتك في جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم انه مسؤول
عما صنع ومجزي بما احسن ومأخوذ بما اساء فان الله عز وجل جعل الدين عزا وحرزا
ورفع من اتبعه وعززه فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى	خ الاهوي
واقم حدود الله تعالى في اصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل
ذلك ولا تتهاون فيه ولا تؤخر عقوبة اهل العقوبة فان في تفريطك في ذلك
ما يفسد عليك حسن ظنك واعزم على امرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب
البدع والشبهات يسلم لك دينك وتتم لك مروتك واذا عاهدت عهدا فاوف به	خ ففي به
واذا وعدت الخير فانجزه واقبل الحسنة وادفع بها واغمض عن عيب كل ذي عيب
من رعيتك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض اهل النميمة فان
فساد امورك في عاجلها واجلها تقريب الكذوب والجراءة على الكذب لان الكذب
راس المآثم والزور والنميمة خاتمتها لان النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم
له صاحب ولا يستقيم لمطيعها امر واحبب اهل الصلاح والصدق واعن
الاشراف بالحق وواصل الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى واعزاز
امره والتمس فيه ثوابه والدار الاخرة واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف عنهما
رايك واظهر براءتك من ذلك لرعيتك وانعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة
التي تنتهي بك الى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب واثر الوقار والحلم
واياك والحدة والطيش والغرور فيما انت بسبيله واياك ان تقول انا مسلط
افعل ما اشاء فان ذلك سريع فيك الى نقص الراي وقلة اليقين بالله وحده
لا شريك له واخلص لله النية فيه واليقين به واعلم ان الملك لله يؤتيه من يشاء

ونبزعم مما يشا ولن تجد تغيير النعمه وحلول النقمه الي احد اسرع منه الى جهلة النعمة
من اصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة اذا كفروا انعم الله عز وجل واحسانه واستطالوا
بما اتاهم الله عز وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخايرك وكنوزك التي
تدخر وتكنز البر والتقوى والعدل واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم
والحفظ لدمايهم والاغاثة [redacted] لملهوفهم واعلم ان الاموال اذا كثرت وذخرت
في الخزاين لا تثمر واذا كانت في اصلاح الرعية واعطا حقوقهم وكف المونة عنهم نمت
وزكت وصلحت العامة وتزينت به الولاه وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنعة
فليكن كنز خزاينك تفريق الاموال في عمارة الاسلام واهله ووفر منه على اولياء امير
المومنين قبلك حقوقهم واوف رعيتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح امورهم
ومعاشهم فانك اذا فعلت ذلك قرت النعمه عليك واستوجبت المزيد من الله عز وجل
وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع اموال رعيتك وعملك اقدر وكان الجميع لما
شملهم من عدلك واحسانك اسلس لطاعتك واطيب نفسا بكل ما اردت فاجهد
بنفسك بما حددت لك في هذا الباب وليعظم حسبتك فيه فانما يبقى من المال
ما انفق في سبيل الله حقه واعرف للشاكرين شكرهم واثبهم عليه واياك ان تنسيك
الدنيا وغرورها هول الاخرة فتتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط
والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارج الثواب فان الله سبحانه
قد اسبغ عليك نعمته في الدنيا واظهر لديك فضله فاعتصم بالشكر وعليه فاعتمد
يزدك الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة
المحسنين وقضى الحق فيما حمل من النعم والبس من الكرامة ولا تحقرن ذنبا ولا تمالين
حاسدا ولا ترحمن فاجرا ولا تصلن كفورا ولا تداهنن عدوا ولا تصدقن نماما
ولا تامنن غدارا ولا توالين فاسقا ولا تتبعن غاويا ولا تحمدن مرايا ولا تحقرن
انسانا ولا تردن سايلا فقيرا ولا تحسنن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تخلفن
موعدا ولا ترهبن فخرا ولا تظهرن غضبا ولا تاتين بذخا ولا تمشين مرحا ولا تزكين
سفيها ولا تفرطن في طلب الاخرة ولا تدفع الايام عتابا ولا تغمضن عن ظالم
رهبة منه او محاباه ولا تطلبن ثواب الاخرة في الدنيا واكثر مشاورة الفقهاء واستعمل
نفسك بالحلم وخذ عن اهل التجارب وذوي العقل والراي والحكمة ولا تدخلن
في مشورتك اهل الرفه والبخل ولا تسمعن لهم قولا فان ضررهم اكثر من نفعهم وليس
شي اسرع فسادا لما استقبلت فيه امر رعيتك من الشح واعلم انك اذا كنت
حريصا كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم لك امرك الا قليلا
فان رعيتك انما تعتقد على محبتك بالكف عن اموالهم وترك الجور عليهم ويدوم الك من صفا
لك من اوليايك بالافضال عليهم وحسن العطية لهم فاجتنب الشح واعلم انه اول

ما عصي

ما عصى به الانسان ربه وان العاصي بمنزلة خزي وهو قول الله عز وجل ومن يوق شح نفسه
فاوليك هم المفلحون فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم من فييك حظا وايقن
ان الجود من افضل اعمال العباد فاعدده لنفسك خلقا وسهل طريق الجود بالحق وارض
به عملا ومذهبا وتفقد الجند في دواوينهم ومكاتبهم وادرر عليهم ارزاقهم ووسع عليهم في
معايشهم ليذهب الله عز وجل بذلك فاقتهم فيقوي لك امرهم وتزيد به قلوبهم في طاعتك
وامرك خلوصا وانشراحا وحسب ذي السلطان من السعادة ان يكون على جنده ورعيته
رحمة في عدله وحيطته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته فزايل مكروه احد
البابين باستشعار فضيلة الباب الاخر ولزوم العمل به تلق ان شا الله نجاحا وصلاحا
وفلاحا واعلم ان القضا من الله تعالى بالمكان الذي ليس به شي من الامور لانه
ميزان الله الذي يعتدل عليه احوال الناس في الارض وباقامة الفضل والعدل
في القضا تصلح احوال الرعية وتامن السبل وينتصف المظلوم وتاخذ الناس حقوقهم
وتحسن المعيشة وتودى حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين
وتجري السنن والشرايع على مجاريها وتنجز الحق والعدل في القضا واشتد في امر الله
عز وجل وتورع عن النطف وامض لاقامة الحدود واقلل العجلة وابعد عن الضجر
والقلق واقنع بالقسم وليسكن ريحك ويقر حدك وانتفع بتجربتك وانتبه
في صمتك واشدد في منطقك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ في
الحجة ولا تاخذك في احد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ولا لومة لايم وتثبت وتان
وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط
الحق على نفسك ولا تسرع الى سفك دم فان الدما من الله عز وجل بمكان عظيم
انتهاكا لها بغير حقها وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله
للاسلام عزا ورفعة ولاهله توسعة ومنعة ولعدوه وعدوهم كبتا وغيظا ولاهل
الكفر من معاهدتهم ذلا وصغارا فوزعه بين اصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم
فيه ولا ترفعن منه شيا عن شريف لشرفه ولا عن غني لغناه ولا عن كاتب لك
ولا عن احد من خاصتك ولا حاشيتك ولا تاخذن منه فوق الاحتمال ولا تكلفن
امرا فيه شططا واحمل الناس كلهم على مر الحق فان ذلك اجمع لالفتهم والزم لرضا العامة
واعلم انك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمي اهل عملك
رعيتك لانك راعيهم وقيمهم تاخذ منهم ما اعطوك من عفوهم وتنفقه في قوام امرهم
وصلاحهم وتقويم اودهم واستعمل عليهم ذوي الراي والتدبير والتجربة والخبرة
بالعلم والعمل بالسياسة والعفاف ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من
الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت واسند اليك ولا يشغلك عنه شاغل
ولا يصرفك عنه صارف فانك متى اثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة

وليسكن ريحك ويقر حدك

من ربك وحسن الاحدوثة في عملك واحرزت به المحبة من رعيتك واعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب في كورك وكثر خراجك وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وارضاء العامة باقاضة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضي العدل في ذلك عند عدوك وكنت في امورك كلها ذا عدل واله وقوة وعدة فتنافس في هذا ولا تقدم عليه شيئا تحمد مغبة امرك ان شاء الله تعالى واجعل في كل كورة من عملك امينا يخبرك اخبار عمالك ويكتب اليك بسيرهم واعمالهم حتى كانك مع كل عامل في عمله معاين لاموره وان اردت ان تامرهم بامر فانظر في عواقب ما اردت من ذلك فان رايت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والنصح والصنع فامضه والا فتوقف عنه وراجع اهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل في امر من امره وقد اتاه على ما يهوى فاغواه ذلك واعجبه فان لم ينظر في عواقبه اهلكه ونقض عليه امره فاستعمل الحزم في كل ما اردت وباشره بعد عون الله تعالى بالقوة واكثر من استخارة ربك في جميع امورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره واكثر مباشرته بنفسك فان لغد امورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي اخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه فاذا اخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشغلك ذلك حتى تمرض منه واذا امضيت لكل يوم عمله ارحت بدنك ونفسك واحكمت امور سلطانك وانظر احرار الناس وذوي السن منهم ممن تستيقن صفاء طويتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على امرك فاستخلصهم واحسن اليهم وتعاهد اهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مؤنتهم واصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مسا وافرد نفسك للنظر في امور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمة اليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فسل عنه احفى مسالة ووكل بامثاله اهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك لتنظر فيها بما يصلح الله به امرهم وتعاهد ذوي البأساء وايتامهم وارامله واجعل لهم ارزاقا من بيت المال اقتداء بامير المؤمنين اعزه الله تعالى في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة واجر للاضراء من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لاكثره في الجراية على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دورا تؤويهم وقواما يرفقون بهم واطباء يعالجون اسقامهم واسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك الى سرف في بيت المال واعلم ان الناس اذا اعطوا حقوقهم وافضل امانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطب انفسهم دون رفع حوائجهم الى ولاتهم طمعا في نيل الزيادة وفضل الرفق منهم وربما تبرم المتصفح لامور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذهنه وفكره منها ما يناله به مؤنة ومشقة

وليس

وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن اموره في العاجل وفضل ثواب الاجل كالذي يستقبل ما يقربه الى الله تعالى ويلتمس رحمته فاكثر الاذن للناس عليك وارهم وابرز لهم وجهك وسكن لهم حواسك واخفض لهم جناحك واظهر لهم بشرك ولن لهم في المسالة والنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك واذا اعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والتماس للصنيعة والاجر من غير تكدير ولا امتنان والتمس الصنيعة والاجر غير مكدر ولا منان فان العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترى من امور الدنيا ومن مضى من قبلك من اهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتصم في احوالك كلها بامر الله سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته واقامة دينه وكتابه واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا الى سخط الله عز وجل واعرف ما يجمع عمالك من الاموال وينفقون منها ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا واكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن واقامتها وايثار مكارم الامور ومعاليها وليكن اكرم دخلائك عليك وخاصتك عليك من اذا راى عيبا فيك فلا تمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك في سر واعلامك بما فيه من النقص فان اولئك انصح اوليائك ومظاهريك لك وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامراته وما عنده من حوائج عمالك وامور كورك ورعيتك ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه والتدبير له فما كان موافقا للحق والحزم فامضه واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى التثبت فيه والمسالة عنه منهم ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تؤتيه اليهم ولا تقبل من احد الا الوفاء والاستقامة والعون في امور المسلمين ولا تضعن المعروف الا على ذلك وتفهم كتابي اليك واكثر النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع امورك واستخره فان الله عز وجل مع الصلاح واهله وليكن اعظم سيرتك وافضل رغبتك ما كان لله عز وجل رضى ولدينه نظاما ولاهله عزا وتمكينا وللملة وللذمة عدلا وصلاحا وانا اسال الله عز وجل ان يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك والسلام وحدث الاخباريون ان هذا الكتاب لما ظهر وشاع امره اعجب به الناس واتصل بالمامون فلما قرئ عليه قال ما ابقى ابو الطيب يعني طاهرا شيئا من امر الدنيا والدين والتدبير والراي والسياسة واصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد احكمه واوصى به ثم امر المامون فكتب به الى جميع العمال في النواحي ليقتدوا به ويعملوا بما فيه هذا احسن ما وقفت عليه في هذه السياسة والله يلهم من يشاء من عباده

## فصل في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس

## في شانه وكشف الغطاء عن ذلك

اعلم ان من المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على ممر الاعصار انه لا بد في اخر
الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يويد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون
ويستولي على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده
من اشراط الساعة الثابتة في الصحيح على اثره وان عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال
او ينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته ويحتجون في الباب
باحاديث خرجها الايمة وتكلم فيها المنكرون لذلك وربما عارضوها ببعض الاخبار
وللمتصوفة المتاخرين في امر هذا الفاطمي طريقة اخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتمدون
في ذلك على الكشف الذي هو اصل طرايقهم ونحن الآن نذكر هنا الاحاديث الواردة
في هذا الباب وما للمنكرين فيها من المطاعن وما لهم في انكارهم من المستند ثم نتبعه بذكر
كلام المتصوفة وارايهم ليتبين لك الصحيح من ذلك ان شاء الله تعالى فنقول ان جماعة
من الايمة خرجوا احاديث المهدي منهم الترمذي وابو داود والبزار وابن ماجه والحاكم
والطبراني وابو يعلى الموصلي واسندوها الى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس
وابن عمر وطلحة وابن مسعود وابي هريرة وانس وابي سعيد الخدري وام حبيبة وام سلمة
وثوبان وقرة بن اياس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحرث بن جزء باسانيد ربما
يتعرض لها المنكرون كما نذكره الا ان المعروف عند اهل الحديث ان الجرح مقدم على
التعديل فاذا وجدنا طعنا في بعض رجال الاسناد بغفلة او سوء حفظ او قلة
ضبط او ضعف او سوء راي تطرق ذلك الى صحة الحديث واوهن منه ولا تقولن ان مثل
ذلك ربما يتطرق الى رجال الصحيحين فان الاجماع من المحدثين على صحة ما فيهما كما في البخاري
ومسلم والاجماع ايضا قد اتصل في الامة على تلقيهما بالقبول والعمل بما فيهما وفي الاجماع
اعظم حماية واحسن دفع وليس غير الصحيحين بمثابتهما في ذلك فقد تجد مجالا
للكلام في اسانيدها بما نقل عن ايمة الحديث في ذلك ولقد توغل ابو بكر بن ابي خيثمة
على ما نقل السهيلي عنه في جمعه للاحاديث الواردة في المهدي فقال ومن اغربها اسنادا
ما ذكره ابو بكر الاسكاف في فوايد الاخبار مسندا الى مالك بن انس عن محمد بن المنكدر
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالمهدي فقد كفر ومن كذب
بالدجال فقد كذب وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما احسب
وحسبك هذا غلوا والله اعلم بصحة طريقه الى مالك بن انس على ان ابا بكر الاسكاف
عندهم متهم وضاع واما الترمذي فخرج هو وابو داود بسندهما الى ابن مسعود
من طريق عاصم بن ابي النجود احد القراء السبعة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يبق من الدنيا الا يوم قال زايدة لطول الله ذلك اليوم
حتى يبعث فيه رجلا مني او من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي

هذا

هذا لفظ ابي داود وسكت عليه وقال في رسالته المشهورة ان ما سكت عليه في كتابه فهو
صالح ولفظ الترمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه
اسمي وفي لفظ اخر حتى يلي رجل من اهل بيتي وقال في كليهما حديث حسن صحيح
ورواه ايضا من طريق عاصم موقوفا على ابي هريرة وقال الحاكم رواه الثوري وشعبة
وزايدة وغيرهم من ايمة المسلمين عن عاصم قال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها
صحيحة على ما اصلته من الاحتجاج باخبار عاصم اذ هو امام من ايمة المسلمين انتهى
الا ان عاصما قال فيه احمد بن حنبل كان رجلا صالحا قاريا للقران خيرا ثقة
والاعمش احفظ منه وكان شعبة يختار الاعمش عليه في تثبيت الحديث وقال
العجلي كان يختلف عليه في زر وابي وايل يشير بذلك الى ضعف روايته عنهما وقال
محمد بن سعد كان ثقة الا انه كثير الخطا في حديثه وقال يعقوب بن سفيان
في حديثه اضطراب وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم قلت لابي ان ابا زرعة يقول عاصم
ثقة فقال ليس محله هذا وقد تكلم فيه ابن علية فقال كل من اسمه عاصم سيئ الحفظ
وقال ابو حاتم محله عندي محل الصدق صالح الحديث ولم يكن بذلك الحافظ واختلف
فيه قول النسائي وقال ابن خراش في حديثه نكرة وقال ابو جعفر العقيلي لم يكن فيه الا سوء
الحفظ وقال الدارقطني في حفظه شيء وقال يحيى القطان ما وجدت رجلا
اسمه عاصم الا وجدته رديء الحفظ وقال ايضا سمعت شعبة يقول حدثنا عاصم بن
ابي النجود وفي الناس ما فيها وقال الذهبي ثبت في القراءة وهو في الحديث
دون الثبت صدوق يهم وهو حسن الحديث وان احتج احد بان الشيخين اخرجا له
فانما اخرجا له مقرونا بغيره لا اصلا والله اعلم وخرج ابو داود في الباب عن علي رضي
الله عنه من رواية فطر بن خليفة عن القاسم بن ابي بزة عن ابي الطفيل عن علي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله رجلا من اهل
بيتي يملاها عدلا كما ملئت جورا وفطر بن خليفة وان وثقه احمد ويحيى بن القطان وابن
معين والنسائي وغيرهم الا ان العجلي قال حسن الحديث وفيه تشيع قليل وقال
ابن معين مرة ثقة شيعي وقال احمد بن عبد الله بن يونس كنا نمر على فطر وهو مطروح
لا نكتب عنه وقال مرة كنت امر به وادعه مثل الكلب وقال الدارقطني لا يحتج به
وقال ابو بكر بن عياش ما تركت الرواية عنه الا لسوء مذهبه وقال الجوزجاني زايغ غير
ثقة انتهى **وخرج** ابو داود ايضا بسنده الى علي رضي الله عنه عن هرون
ابن المغيرة عن عمرو بن ابي قيس عن شعيب بن خالد عن ابي اسحق السبيعي
قال قال علي ونظر الى ابنه الحسن فقال ان ابني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق
ثم ذكر قصة يملا الارض عدلا وقال هرون حدثنا عمرو بن ابي قيس عن مطرف بن طريف

عن ابي الحسن عن هلال بن عمرو سمعت عليا يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج
رجل من وراء النهر يقال له الحارث حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ او يمكن
لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مؤمن نصره وقال اجابته
سكت عليه ابو داود وقال في موضع اخر هرون من الشيعة وقال السليماني فيه
نظر قال ابو داود في عمرو بن ابي قيس لا باس به في حديثه خطأ وقال الذهبي صدوق
له اوهام واما ابو اسحق السبيعي وان خرج عنه في الصحيحين فقد ثبت انه اختلط اخر
عمره وروايته عن علي منقطعة وكذا رواية ابي داود عن هرون بن المغيرة **واما**
السند الثاني فابو الحسن فيه وهلال بن عمرو مجهولان ولم يعرف ابو الحسن الا من رواية
مطرف بن طريف عنه انتهى **وخرج** ابو داود ايضا عن ام سلمة وكذا ابن ماجه
والحاكم في المستدرك من طريق علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن ام سلمة
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة لفظ
ابي داود وسكت عليه ولفظ ابن ماجه المهدي من ولد فاطمة ولفظ الحاكم سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر المهدي فقال نعم هو حق وهو من بني فاطمة ولم يتكلم عليه
بتصحيح ولا غيره وقد ضعفه ابو جعفر العقيلي وقال لا يتابع علي بن نفيل عليه
ولا يعرف الا به **وخرج** ابو داود عن ام سلمة ايضا من رواية صالح ابي الخليل
عن صاحب له عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون اختلاف عند موت
خليفة فيخرج رجل من اهل المدينة هاربا الى مكة فياتيه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو
كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء
بين مكة والمدينة فاذا راى الناس ذلك اتاه ابدال الشام وعصائب اهل العراق
فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش اخواله كلب فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم
وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس
بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقي الاسلام بجرانه الى الارض فيلبث سبع سنين
ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون قال ابو داود قال بعضهم عن هشام تسع سنين
وقال بعضهم سبع سنين ثم رواه ابو داود من رواية ابي الخليل عن عبد الله بن الحارث
عن ام سلمة فتبين بذلك المبهم في الاسناد الاول ورجاله رجال الصحيحين لا مطعن
فيهم ولا مغمز وقد يقال انه من رواية قتادة عن ابي الخليل وقتادة مدلس لا يقبل
وقد عنعنه والمدلس
من حديثه الا ما صرح فيه بالسماع مع ان الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدي نعم ذكره
ابو داود في ابوابه **وخرج** ابو داود ايضا وتابعه الحاكم عن ابي سعيد الخدري
من طريق عمران القطان عن قتادة عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم المهدي مني اجلى الجبهة اقنى الانف يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت
جورا وظلما يملك سبع سنين هذا لفظ ابي داود وسكت عليه ولفظ الحاكم المهدي منا اهل

البيت

البيت اشم الانف اقنى اجلى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعيش
هكذا وبسط يساره واصبعين من يمينه السبابة والابهام وعقد ثلاثة قال الحاكم هذا حديث
صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه انتهى وعمران القطان مختلف في الاحتجاج به وانما اخرج
له البخاري استشهادا لا اصلا وكان يحيى القطان لا يحدث عنه وقال يحيى بن معين
ليس بالقوي وقال مرة ليس بشيء وقال احمد بن حنبل ارجو ان يكون صالح الحديث
وقال يزيد بن زريع كان حروريا وكان يرى السيف على اهل القبلة وقال النسائي ضعيف
وقال ابو عبيد الآجري سالت ابا داود عنه فقال من اصحاب الحسن وما سمعت الا خيرا
وسمعته ذكره مرة اخرى فقال ضعيف افتى في ايام ابراهيم بن عبد الله بن حسن بفتوى
شديدة فيها سفك الدماء **وخرج** الترمذي وابن ماجه والحاكم عن ابي سعيد الخدري
من طريق زيد العمي عن ابي الصديق الناجي عن ابي سعيد الخدري قال خشينا ان يكون
بعد نبينا حدث فسالنا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال ان في امتي المهدي يخرج
يعيش خمسا او سبعا او تسعا زيد الشاك قال قلنا وما ذاك قال سنين قال
فيجيء اليه الرجل فيقول يا مهدي اعطني قال فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله
لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن وقد روي من غير وجه عن ابي سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم ولفظ ابن ماجه والحاكم يكون في امتي المهدي ان قصر فسبع والا فتسع
فتنعم فيه امتي نعمة لم يسمعوا مثلها قط تؤتى الارض اكلها ولا تدخر منهم شيئا
والمال يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول خذ انتهى وزيد
العمي وان قال فيه الدارقطني ويحيى بن معين واحمد بن حنبل انه صالح وزاد احمد انه
فوق يزيد الرقاشي وفضل بن عيسى الا انه قال فيه ابو حاتم ضعيف يكتب حديثه
ولا يحتج به وقال يحيى بن معين في رواية اخرى لا شيء وقال مرة يكتب حديثه وهو ضعيف
وقال الجوزجاني متماسك وقال ابو زرعة ليس بقوي واهي الحديث ضعيف
وقال ابو داود ليس بذاك وقد حدث عنه شعبة وقال النسائي ضعيف وقال
ابن عدي عامة ما يرويه ومن يروي عنهم ضعفاء على ان شعبة قد روى عنه ولعل شعبة
لم يرو عن اضعف منه وقد يقال ان حديث الترمذي وقع تفسيرا لما رواه مسلم
في صحيحه من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في اخر امتي خليفة
يحثي المال حثيا لا يعده عدا ومن حديث ابي سعيد قال من خلفائكم خليفة يحثو
المال حثيا ومن طريق اخر عنهما قال يكون في اخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده
انتهى واحاديث مسلم لم يقع فيها ذكر المهدي ولا دليل يقوم على انه المراد بها ورواه
الحاكم ايضا من طريق عوف الاعرابي عن ابي الصديق الناجي عن ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تملأ الارض ظلما وجورا وعدوانا ثم يخرج
من اهل بيتي من يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا وقال فيه الحاكم هذا حديث

صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الحاكم ايضا من طريق سليمان بن عبيد
عن ابي الصديق الناجي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج في
اخر امتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الارض نباتها ويعطي المال صحاحا وتكثر
الماشية وتعظم الامة يعيش سبعا او ثمانيا يعني حججا وقال فيه حديث صحيح الاسناد
ولم يخرجاه مع ان سليمان بن عبيد لم يخرج له احد من الستة لكن ذكره ابن حبان في الثقات
ولم يرد ان احدا تكلم فيه ثم رواه الحاكم ايضا من طريق اسد بن موسى عن حماد بن سلمة
عن مطر الوراق وابي هرون العبدي عن ابي الصديق الناجي عن ابي سعيد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال تملا الارض جورا وظلما فيخرج رجل من عترتي فيملك سبعا
او تسعا فيملا الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وقال فيه الحاكم هذا حديث
صحيح على شرط مسلم وانما جعله على شرط مسلم لانه اخرج عن حماد بن سلمة وعن شيخه
مطر الوراق واما شيخه الاخر وهو ابو هرون العبدي فلم يخرج له وهو ضعيف جدا متهم
بالكذب ولا حاجة الى بسط اقوال الائمة في تضعيفه واما الراوي له عن حماد بن سلمة
وهو اسد بن موسى يلقب اسد السنة وان قال البخاري مشهور الحديث واستشهد
به في صحيحه واحتج به ابو داود والنسائي الا انه قال مرة اخرى ثقة لو لم يصنف
كان خيرا له وقال فيه ابو محمد بن حزم منكر الحديث ورواه الطبراني في معجمه الاوسط
من رواية ابي الواصل عبد الحميد بن واصل عن ابي الصديق الناجي عن الحسن
بن يزيد السعدي احد بني بهدلة عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يخرج رجل من امتي يقول بسنتي ينزل الله عز وجل له القطر من السماء
وتخرج له الارض من بركتها تملا الارض منه قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعمل
على هذه الامة سبع سنين وينزل بيت المقدس وقال فيه الطبراني رواه جماعة عن
ابي الصديق ولم يدخل احد بينه وبين ابي سعيد احدا الا ابا الواصل فانه رواه عن
الحسن بن يزيد ذكره ابن ابي حاتم ولم يعرفه باكثر مما في هذا الاسناد من روايته عن ٥
ابي سعيد ورواية ابي الصديق عنه وقال الذهبي في الميزان انه مجهول لكن ذكره
ابن حبان في الثقات واما ابو الواصل الذي رواه عن ابي الصديق فلم يخرج
له احد من الستة وذكره ابن حبان في الثقات في الطبقة الثانية وقال فيه يروي عن انس
وروى عنه شعبة وعتاب بن بشير وخرج ابن ماجه في كتاب السنن له عن
عبد الله بن مسعود من طريق يزيد بن ابي زياد عن ابراهيم بن علقمة عن عبد الله
قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل فتية من بني هاشم فلما راهم
النبي صلى الله عليه وسلم اغرورقت عيناه وتغير لونه قال فقلت ما نزال نرى في
وجهك شيئا نكرهه فقال انا اهل بيت اختار الله لنا الاخرة على الدنيا وان
اهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا حتى ياتي قوم من قبل المشرق

عن ابي سعيد انتهى وهذا الحسن بن يزيد صح

معهم



معهم رايات سود فيسالون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سالوا
فلا يقبلونه حتى يدفعوها الى رجل من اهل بيتي فيملاها قسطا كما ملاوها جورا فمن
ادرك ذلك منكم فلياتهم ولو حبوا على الثلج انتهى وهذا الحديث يعرف عند المحدثين
بحديث الرايات ويزيد بن ابي زياد راويه قال فيه شعبة كان رفاعا يعني يرفع
الاحاديث التي لا تعرف مرفوعة وقال محمد بن فضيل كان من كبار ائمة الشيعة
وقال احمد بن حنبل لم يكن بالحافظ وقال مرة حديثه ليس بذاك وقال يحيى بن معين
ضعيف وقال العجلي جائز الحديث وكان باخرة يلقن وقال ابو زرعة لين يكتب
حديثه ولا يحتج به وقال ابو حاتم ليس بالقوي وقال الجوزجاني سمعتهم يضعفون
حديثه وقال ابو داود لا اعلم احدا ترك حديثه وغيره احب الي منه وقال ابن عدي هو من
شيعة اهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه وروى له مسلم لكن مقرونا بغيره وبالجملة
فالاكثرون على ضعفه وقد صرح الائمة بتضعيف هذا الحديث الذي رواه عن ابراهيم
عن علقمة عن عبد الله وهو حديث الرايات فقال وكيع بن الجراح فيه ليس بشيء وكذلك
قال احمد بن حنبل وقال ابو قدامة سمعت ابا اسامة يقول في حديث يزيد عن ابراهيم
في الرايات لو حلف عندي خمسين يمينا قسامة ما صدقته اهذا مذهب ابراهيم
اهذا مذهب علقمة اهذا مذهب عبد الله واورد العقيلي هذا الحديث في الضعفاء
وقال الذهبي ليس بصحيح وخرج ابن ماجه عن علي رضي الله عنه من رواية ياسين
العجلي عن ابراهيم بن محمد الحنفية عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم المهدي منا اهل البيت يصلحه الله في ليلة وياسين العجلي وان قال
فيه ابن معين ليس به باس فقد قال البخاري فيه نظر وهذه اللفظة في اصطلاحه
قوية في التضعيف جدا واورد له ابن عدي في الكامل والذهبي في الميزان هذا
الحديث على وجه الاستنكار له وقال هو معروف به وخرج الطبراني في معجمه
الاوسط عن علي رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم امنا المهدي
ام من غيرنا يا رسول الله قال بل منا بنا يختم الله كما بنا فتح وبنا يستنقذون من
الشرك وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينة كما بنا الف بين قلوبهم بعد
عداوة الشرك قال علي امؤمنون ام كافرون قال مفتون وكافر انتهى وفيه عبد الله
بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال وفيه عمر بن جابر الحضرمي وهو اضعف منه
قال احمد بن حنبل روى عن جابر مناكير وبلغني انه كان يكذب وقال النسائي ليس بثقة
وقال ابن لهيعة كان شيخا احمق ضعيف العقل وكان يقول علي في السحاب
ويجلس معنا فيبصر سحابة فيقول هذا علي قد مر في السحاب وخرج الطبراني
ايضا عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في اخر الزمان فتنة
يحصل الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن فلا تسبوا اهل الشام ولكن سبوا اشرارهم

فان فيهم الابدال يوشك ان يرسل على اهل الشام سبب من السماء فيفرق جماعتهم حتى لو
قاتلتهم الثعالب غلبتهم فعند ذلك يخرج خارج من اهل بيتي في ثلث رايات المكثر
يقول هم خمسة عشر الفا والمقلل يقول هم اثنا عشر الفا امارتهم امت امت يلقون
سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك فيقتلهم الله جميعا ويرد الله الى
المسلمين الفتهم ونعمتهم وقاصيتهم ورايهم انتهى وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف
معروف الحال ورواه الحاكم في مستدركه فقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وفي روايته ثم يظهر
الهاشمي فيرد الله الناس الى الفتهم الى اخره وليس في طريقه ابن لهيعة وهو اسناد
صحيح كما ذكر وخرج الحاكم في المستدرك عن علي رضي الله عنه من رواية ابي الطفيل عن محمد
ابن الحنفية قال كنا عند علي رضي الله عنه فسأله رجل عن المهدي فقال علي هيهات
ثم عقد بيده سبعا فقال ذاك يخرج في اخر الزمان اذا قال الرجل الله الله قتل
فيجمع الله تعالى له قوما قزع كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم لا يستوحشون
الى احد ولا يفرحون باحد دخل فيهم على عدة اصحاب بدر لم يسبقهم الاولون ولا يدركهم
الاخرون وعلى عدد اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر قال ابو الطفيل
قال ابن الحنفية اتريده قلت نعم قال فانه يخرج من بين هذين الخشبين قلت لا جرم والله
لا اريمهما حتى اموت فمات بها يعني مكة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين
انتهى وانما هو على شرط مسلم فقط فان فيه عمار الذهبي ويونس بن ابي اسحق
ولم يخرج لهما البخاري وفيه عمرو بن محمد العنقزي ولم يخرج له البخاري احتجاجا بل
استشهادا كما مع ما ينضم الى ذلك من تشيع عمار الذهبي وهو وان وثقه احمد
وابن معين وابو حاتم والنسائي وغيرهم فقد قال علي بن المديني عن سفيان ان بشر
ابن مروان قطع عرقوبيه قلت في اي شيء قال في التشيع وخرج ابن ماجه
عن انس بن مالك رضي الله عنه من رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي
ابن زياد اليمامي عن عكرمة بن عمار عن اسحق بن عبد الله عن انس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن ولد عبد المطلب سادة اهل الجنة انا وحمزة
وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي انتهى وعكرمة بن عمار وان اخرج له مسلم
فانما اخرج له متابعة وقد ضعفه بعض ووثقه اخرون وقال ابو حاتم الرازي
هو مدلس فلا يقبل الا ان يصرح بالسماع وعلي بن زياد قال الذهبي في الميزان
لا يدرى من هو ثم قال الصواب فيه عبد الله بن زياد وسعد بن عبد الحميد
وان وثقه يعقوب بن شيبة وقال فيه يحيى بن معين ليس به باس فقد تكلم فيه
الثوري قالوا لانه راه يفتي في مسائل ويخطئ فيها وقال ابن حبان كان ممن فحش
خطاؤه فلا يحتج به وقال احمد بن حنبل سعد بن عبد الحميد يدعي انه سمع عرض
كتب مالك والناس ينكرون عليه ذلك هو هاهنا ببغداد لم يحج فكيف سمعها

وجعله

وجعله الذهبي ممن لم يقدح فيه كلام من تكلم فيه وخرج الحاكم في مستدركه من
رواية مجاهد عن ابن عباس موقوفا عليه قال مجاهد قال لي عبد الله بن عباس
لو لم اسمع انك مثل اهل البيت ما حدثتك بهذا الحديث قال فقال مجاهد فانه في
ستر لا اذكره لمن يكره قال فقال ابن عباس منا اهل البيت اربعة منا السفاح
ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدي قال فقال له مجاهد بين لي هؤلاء الاربعة
فقال اما السفاح فربما قتل انصاره وعفا عن عدوه واما المنذر اراه قال فانه يعطي
المال الكثير ولا يتعاظم في نفسه ويمسك القليل من حقه واما المنصور فانه يعطي
النصر على عدوه الشطر مما كان يعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرعب منه عدوه
على مسيرة شهرين والمنصور يرعب منه عدوه على مسيرة شهر واما المهدي الذي يملا
الارض عدلا كما ملئت جورا وتامن البهائم السباع وتلقي الارض افلاذ كبدها
قال قلت وما افلاذ كبدها قال امثال الاسطوانة من الذهب والفضة انتهى
وقال الحاكم هذا الحديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهو من رواية اسمعيل بن ابراهيم
ابن مهاجر عن ابيه واسمعيل ضعيف وابوه ابراهيم وان خرج له مسلم فالاكثرون
على تضعيفه وخرج ابن ماجه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقتتل عند كنزكم ثلثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير الى واحد منهم ثم تطلع الرايات
السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم ثم ذكر شيئا لا احفظه فقال
فاذا رايتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدي انتهى ورجاله
رجال الصحيح الا ان فيه ابا قلابة الجرمي وذكر الذهبي وغيره انه مدلس وفيه
سفيان الثوري وهو مشهور بالتدليس وكل واحد منهما عنعن ولم يصرح بالسماع
فلا يقبل وفيه عبد الرزاق بن همام وكان مشهورا بالتشيع وعمي في اخر عمره
فخلط قال ابن عدي حدث باحاديث في الفضائل لم يوافقه عليها احد ونسبوه
الى التشيع انتهى وخرج ابن ماجه عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي
من طريق ابن لهيعة عن ابي زرعة عمرو بن جابر الحضرمي عن عبد الله بن الحارث
ابن جزء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي
يعني سلطانه قال الطبراني تفرد به ابن لهيعة وقد تقدم لنا في حديث علي الذي
خرجه الطبراني في معجمه الاوسط ان ابن لهيعة ضعيف وان شيخه عمرو بن جابر
اضعف منه وخرج البزار في مسنده والطبراني في معجمه الاوسط واللفظ
للطبراني عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في امتي المهدي ان
قصر فسبع والا فثمان والا فتسع تنعم امتي فيها نعمة لم ينعموا بمثلها ترسل
السماء عليهم مدرارا ولا تدخر الارض شيئا من النبات والمال كدوس يقوم
الرجل يقول يا مهدي اعطني فيقول خذ قال الطبراني والبزار تفرد به محمد بن مروان

العجلي زاد البزار ولا نعلم تابعه عليه احد وهو وان وثقه ابو داود وابن حبان ايضا
بما ذكره في الثقات وقال فيه يحيى بن معين صالح وقال مرة ليس به باس فقد اختلفوا
فيه وقال ابو زرعة ليس عندي بذاك وقال عبد الله بن احمد بن حنبل رايت محمد بن مروان
العجلي وحدث باحاديث وانا شاهد لم اكتبها تركتها على عمد وكتب بعض اصحابنا
عنه كانه ضعفه **وخرج** ابو يعلى الموصلي في مسنده عن ابي هريرة قال حدثني
خليلي ابو القاسم صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من اهل
بيتي فيضربهم حتى يرجعوا الى الحق قال قلت وكم يملك قال خمسا واثنين قال قلت
ما خمس واثنين قال لا ادري انتهى وهذا السند وان كان فيه بشير بن نهيك وقال
فيه ابو حاتم لا يحتج به فقد احتج به الشيخان ووثقه الناس ولم يلتفتوا الى قول ابي حاتم
لا يحتج به الا ان فيه مرجى بن رجاء اليشكري وهو مختلف فيه قال ابو زرعة ثقة وقال
يحيى بن معين ضعيف وقال ابو داود ضعيف وقال مرة صالح وعلق له البخاري في
صحيحه حديثا واحدا **وخرج** ابو بكر البزار في مسنده والطبراني في معجمه الكبير
والاوسط عن قرة بن اياس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتملان الارض
جورا وظلما فاذا ملئت جورا وظلما بعث الله رجلا مني اسمه اسمي واسم ابيه
اسم ابي يملاها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما فلا تمنع السماء شيئا من قطرها
ولا الارض شيئا من نباتها يلبث فيكم سبعا او ثمانيا او تسعا يعني سنين انتهى
وفيه داود بن المحبر بن قحذم عن ابيه وهما ضعيفان جدا **وخرج**
الطبراني في معجمه الاوسط عن ام حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يخرج ناس من قبل المشرق يريدون رجلا عند البيت حتى اذا كانوا ببيدا
من الارض خسف بهم فيلحق بهم من تخلف فيصيبهم ما اصابهم قلت يا رسول الله كيف
بمن كان اخرج مكرها قال يصيبهم ما اصاب الناس ثم يبعث الله كل امرئ على
نيته انتهى وفيه سلمة بن الابرش وهو ضعيف وفيه محمد بن اسحاق وهو مدلس
وقد عنعن ولا يقبل الا ان يصرح بالسماع **وخرج** الطبراني في معجمه
الاوسط عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المهاجرين
والانصار علي بن ابي طالب عن يساره والعباس عن يمينه اذ تلاحى العباس
ورجل من الانصار فاغلظ الانصاري للعباس فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد العباس
وبيد علي فقال سيخرج من صلب هذا فتى يملا الارض جورا وظلما وسيخرج من صلب
هذا فتى يملا الارض قسطا وعدلا فاذا رايتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي فانه يقبل
من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي انتهى وفيه عبد الله بن عمر العمري وعبد الله
ابن لهيعة وهما ضعيفان انتهى **وخرج** الطبراني في معجمه الاوسط عن طلحة
ابن عبيد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة لا يهدا منها جانب الا

جاش

جاش منها جانب حتى ينادي مناد من السماء ان اميركم فلان انتهى وفيه المثنى ابن
الصباح وهو ضعيف جدا وليس في الحديث تصريح بذكر المهدي وانما ذكروه في ابوابه
وترجمته استئناسا فهذه جملة الاحاديث التي خرجها الائمة في شان المهدي
وخروجه اخر الزمان وهي كما رايت لم يخلص منها على النقد الا القليل او الاقل منه
**وربما** تمسك المنكرون لشانه بما رواه محمد بن خالد الجندي عن ابان بن صالح
عن ابي عياش عن الحسن البصري عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا مهدي الا عيسى بن مريم وقال يحيى بن معين في محمد بن خالد الجندي انه ثقة وقال
البيهقي تفرد به محمد بن خالد وقال الحاكم فيه انه رجل مجهول واختلف عليه في اسناده
فمرة يرويه كما تقدم وينسب ذلك الى محمد بن ادريس الشافعي ومرة يروى عن محمد
ابن خالد عن ابان عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا قال البيهقي فرجع الى
رواية محمد بن خالد وهو مجهول عن ابان بن ابي عياش وهو متروك عن الحسن
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو منقطع وبالجملة فالحديث ضعيف مضطرب
وقد قيل ان معنى لا مهدي الا عيسى اي لا يتكلم في المهد الا عيسى يحاولون بهذا التاويل
رد الاحتجاج به او الجمع بينه وبين الاحاديث وهو مدفوع بحديث جريج ومثله
من الخوارق **واما** المتصوفة فلم يكن المتقدمون منهم يخوضون في شيء من هذا وانما كان
كلامهم في المجاهدة بالاعمال وما يحصل عنها من نتائج المواجد والاحوال وكان كلام الامامية
والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله عنه والقول بامامته وادعاء الوصية
له من النبي صلى الله عليه وسلم والتبري من الشيخين كما ذكرناه في مذاهبهم ثم حدث من
بعد ذلك فيهم القول بالامام المعصوم وكثرت التواليف في مذاهبهم وجاء الاسماعيلية منهم
يدعون الوهية الامام بنوع الحلول واخرون يدعون رجعة من مات من الائمة بنوع
التناسخ او الحقيقة واخرون ينتظرون مجيء من يقطع بموته منهم واخرون
ينتظرون عود الامر في اهل البيت مستدلين على ذلك بما قدمناه من احاديث
المهدي وغيرها ثم حدث ايضا عند المتاخرين من المتصوفة الكلام في الكشف
وفيما وراء الحس فظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول والوحدة
فشاركوا فيها الامامية والرافضة لقولهم بالوهية الائمة او حلول الاله فيهم فظهر
منهم القول بالقطب والابدال وكانه يحاكي مذهب الرافضة في الامام والنقباء
واشربوا اقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم حتى لقد جعلوا
مستند طريقتهم في لباس الخرقة ان عليا رضي الله عنه البسها الحسن البصري
واخذ عليه العهد بالتزام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالجنيد من شيوخهم
ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه
بل الصحابة كلهم اسوة في طرق الدين وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة

من التشيع قوية تغيم منها وخبرها مما تقدم دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه
فامتلأت كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك
في الفاطمي المنتظر وكان بعضهم يمليه على بعض ويلقنه بعض عن بعض وكله مبني على
اصول واهية من الفريقين وربما يستند بعضهم في ذلك الى كلام المنجمين في
القرانات وهو من نوع الكلام في الملاحم ويأتي الكلام عليها في الباب الذي يلي هذا
واكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن الفاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب
عنقاء مغرب وابن قسي في كتاب خلع النعلين واكثر كلماتهم في شأنه الغاز
وعبد الحق بن سبعين وابن ابي واطيل من تلاميذه في شرحه لكتاب خلع النعلين
وامثال وربما يصرحون في الاقل او يصرح مفسرو كلامهم وحاصل مذهبهم فيه على
ما ذكر ابن ابي واطيل ان النبوة بها ظهر الحق والهدى بعد الضلال والعمى وانها تعقبها
الخلافة ثم يعقب الخلافة الملك ثم يعود تجبرا وتكبرا وباطلا قالوا ولما كان في المعهود
من سنة الله رجوع الامور الى ما كانت وجب ان يحيا امر النبوة والحق بالولاية
ثم بخلافتها ثم يعقبها الدجل مكان الملك والتسلط ثم يعود الكفر بحاله كما كان
قبل النبوة يشيرون بهذا الى ما وقع بعد النبوة من الخلافة ثم بعدها الملك وهي ثلث
مراتب فكذلك ايضا الولاية التي لهذا الفاطمي الذي يحيي امر النبوة والحق ثم خلافة
امره بعده ثم الدجل بعدها وهو الباطل الذي كني عنه بخروج الدجال فهذه ثلث
مراتب على نسبة الثلاثة مراتب الاول ثم يعود الكفر كما كان قبل النبوة **قالوا** ولما
كان امر الخلافة لقريش حكما شرعيا بالاجماع الذي لا يوهنه انكار من لم يزاول علمه
وجب ان تكون الامامة فيمن هو اخص من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم اما ظاهرا
فكبني عبد المطلب واما باطنا فمن كان من حقيقة الآل والآل من اذا حضر لم
يغب من هو آله وابن العربي الحاتمي سماه في كتاب عنقاء مغرب من تأليفه
خاتم الاولياء ويكنى عنه بلبنة الفضة اشارة الى حديث البخاري في باب خاتم
النبيين قال صلى الله عليه وسلم مثلي فيمن قبلي من الانبياء كمثل رجل ابتنى بيتا
واكمله حتى اذا لم يبق منه الا موضع لبنة فانا تلك اللبنة فيفسرون خاتم النبيين
باللبنة التي اكملت البنيان ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة
ويمثلون الولاية في تفاوت مراتبها بالنبوة ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتما
للاولياء اي حائز الرتبة التي هي خاتمة الولاية كما كان خاتم الانبياء حائز الرتبة
التي هي خاتمة النبوة وكنى الشارع عن تلك الرتبة الخاتمة بلبنة البيت
في الحديث المذكور وهي على نسبة واحدة فيهما فهي لبنة واحدة في التمثيل
ففي النبوة لبنة ذهب وفي الولاية لبنة فضة للتفاوت بين الرتبتين كما بين
الذهب والفضة فيجعلون لبنة الذهب كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولبنة الفضة كناية عن هذا الولي الفاطمي المنتظر وذلك خاتم الانبياء وهذا خاتم الاولياء

وقال

وقال ابن العربي فيما نقل ابن ابي واطيل عنه وهذا الامام المنتظر هو [redacted] من اهل البيت
من ولد فاطمة وظهوره يكون بعد مضي **خ ف ج** من الهجرة ورسم حروفا ثلثة يريد
عددها بحساب الجمل وهي الخاء المعجمة بواحدة من فوق بستمائة والفاء اخت القاف بثمانين
والجيم المعجمة بواحدة من اسفل بثلاثة وذلك ستمائة وثلث وثمانون سنة وهي في اخر القرن
السابع ولما انصرم هذا [redacted] العصر ولم يظهر حمل ذلك بعض المقلدين لهم على ان المراد بتلك المدة
[redacted] مولده وعبر بظهوره عن مولده وان خروجه يكون عند العشر والسبعماية وانه
الامام الناجم من ناحية المغرب قال واذا كان مولده كما زعم ابن العربي سنة ثلث
وثمانين وستمائة فيكون عمره عند خروجه ستا وعشرين سنة قال وزعموا ان خروج الدجال
يكون سنة ثلاث واربعين وسبعمائة من اليوم المحمدي وابتداء اليوم المحمدي عندهم من يوم
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى تمام الالف سنة **وقال** ابن ابي واطيل في شرحه
كتاب خلع النعلين الولي المنتظر القائم بامر الله المشار اليه بمحمد المهدي وخاتم
الاولياء وليس هو بنبي وانما هو ولي ابتعثه روحه وحبيبه قال صلى الله عليه وسلم
العالم في قومه كالنبي في امته وقال علماء امتي كانبياء بني اسرائيل ولم تزل البشرى
تتتابع به من اول اليوم المحمدي الى قبيل الخمسمائة نصف اليوم وتأكدت وتضاعفت
بتباشير المشايخ بتقريب وقته وازدلاف زمانه منذ انقضت الى هلم جرا **قال**
وذكر الكندي [redacted] ان هذا الولي هو الذي يصلي بالناس صلاة الظهر ويجدد الاسلام
ويظهر العدل ويفتح جزيرة الاندلس ويصل الى رومة فيفتحها ويسير الى المشرق
فيفتحه ويفتح قسطنطينية ويصير له ملك الارض فيتقوى المسلمون ويعلو الاسلام
ويظهر دين الحنيفية فان من صلاة الظهر الى صلاة العصر وقت صلاة قال عليه السلام
ما بين هذين وقت **وقال** الكندي ايضا الحروف العربية غير المعجمة يعني المفتتح
بها سور القرآن جملة عددها بحساب الجمل سبعمائة وثلاثة واربعون وسبعة دجالية
ثم ينزل عيسى في وقت صلاة العصر فيصلح الدنيا وتمشي الشاة مع الذئب ثم مبلغ ملك
العجم بعد اسلامهم مع عيسى مائة وستون عاما عدد الحروف المعجمة وهي
**ق ي ن** دولة العدل منها اربعون عاما **قال** ابن ابي واطيل وما ورد
من قوله لا مهدي الا عيسى فمعناه لا مهدي تساوي هدايته وقيل لا يتكلم في المهد
الا عيسى وهذا مدفوع بحديث جريج وغيره وقد جاء في الصحيح انه قال لا يزال هذا الامر
قائما حتى تقوم الساعة او يكون عليهم اثنا عشر خليفة يعني قرشيا وقد اعطى الوجود ان
منهم من كان في اول الاسلام ومنهم من سيكون في اخره وقال الخلافة بعدي ثلثون او احد وثلثون
او ستة وثلثون وانقضاؤها في خلافة الحسن واول امر معاوية فيكون اول امر معاوية
خلافة اخذا باوائل الاسماء فهو سادس الخلفاء واما سابع الخلفاء فعمر بن عبد العزيز
ثم الباقون خمسة من اهل البيت من ذرية علي يؤيده قوله انك لذو قرنيها يريد الامة

اي انك خليفة في اولها ودونيك في اخرها وربما استدل بهذا الحديث القايلون
بالرجعة فالاول هو المشار اليه عندهم بطلوع الشمس من مغربها وقد قال صلى الله عليه وسلم
اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن
كنوزهما في سبيل الله وقد انفق عمر بن الخطاب كنوز كسرى في سبيل الله والذي
يهلك قيصر وينفق كنوزه في سبيل الله هذا هو المنتظر حين يفتح القسطنطينية
فنعم الامير اميرها ونعم الجيش ذلك الجيش كذا قال صلى الله عليه وسلم ومدة حكمه
بضع والبضع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر وجاء ذكر اربعين وفي بعض الروايات
سبعين واما الاربعون فانها مدته ومدة الخلفا الاربعة الباقين من اهله القايمين
بامره من بعده عليهم جميعهم السلام **قال** وذكر اصحاب النجوم والقرانات ان مدة بقاء امره
واهل بيته من بعده ماية وتسعة وخمسون عاما فيكون الامر على هذا جاريا على الخلافة
والعدل اربعين او سبعين ثم تختلف الاحوال فيكون ملكا انتهى كلام ابن ابي واطيل
**وقال** في موضع اخر نزول عيسى يكون في وقت صلاة العصر في اليوم المحمدي حين تمضي
ثلاثة ارباعه **قال** وذكر الكندي يعقوب بن اسحاق في كتاب الجفر الذي ذكر فيه القرانات انه
اذا وصل القران الى الثور على راس **ضح** بحرفين الضاد المعجمة والحا المهملة يريد ثمانية
وتسعين وستماية من الهجرة ينزل المسيح فيحكم في الارض ما شاء الله قال وقد ورد في الحديث
ان عيسى ينزل عند المنارة البيضا شرقي دمشق ينزل بين مهرودتين يعني حلتين
مزعفرتين صفراوين ممصرتين واضعا كفيه على اجنحة الملايكة الملكين له لمة كانما
اخرج من ديماس اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللولو كثير خيلان
الوجه وفي حديث اخر مربوع الخلق والى البياض والحمرة وفي اخر انه يتزوج
في المغرب والغرب دلو البادية يريد انه يتزوج منها وتلد زوجته وذكر وفاته بعد
اربعين عاما وجا ان عيسى يموت بالمدينة ويدفن الى جانب عمر بن الخطاب وجا
ان ابا بكر وعمر يحشران بين نبيين **قال** ابن ابي واطيل والشيعة تقول
انه هو المسيح مسيح المسايح من ال محمد وعليه حمل بعضهم حديث لا مهدي الا عيسى
اي لا يكون مهدي الا المهدي الذي نسبته الى الشريعة المحمدية نسبة عيسى
الى الشريعة الموسوية في الاتباع وعدم النسخ الى كلام من امثال هذا كثير يعينون فيه
الوقت والرجل والمكان فينقضي الزمان ولا اثر لشي من ذلك فيرجعون الى تجديد
راي اخر منتحل كما تراه من مفهومات لغوية واشيا تخييلية واحكام نجومية في
هذا انقضت اعمار الاول منهم والاخر **واما المتصوفة** الذين عاصرناهم
فاكثرهم يشيرون الى ظهور رجل مجدد لاحكام الملة ومراسم الحق ويتحينون ظهوره
لما قرب من عصرنا فبعضهم يقول من ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيه سمعناه
من جماعة اكبرهم ابو يعقوب البادسي كبير الاوليا بالمغرب كان في اول هذه الماية



الثامنة واخبرني به كذلك حافده ابو زكريا يحيى عن ابيه ابي محمد عبد الله عن ابيه الولي
ابي يعقوب المذكور **هذا** اخر ما اطلعنا عليه او بلغنا من كلام هولاء
المتصوفة وما اورده اهل الحديث من اخبار المهدي قد استوفينا جميعه بمبلغ
طاقتنا **والحق** الذي ينبغي ان يتقرر لديك انه لا تتم دعوة من الدين او الملك
الا بوجود شوكة وعصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم امر الله فيه وقد
قررنا ذلك من قبل بالبراهين الطبيعية التي اريناكها هنالك وعصبية الفاطميين
والطالبيين بل وقريش اجمع قد تلاشت من جميع الافاق ووجد امم اخرون استعلت
عصبيتهم على عصبية قريش الا ما بقي بالحجاز في مكة والينبع والمدينة من الطالبيين بني
حسن وبني حسين وبني جعفر منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها وهم عصايب
بدوية متفرقون في مواطنهم وامارتهم وارايهم يبلغون الالاف من الكثرة فان صح
ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته الا بان يكون منهم ويولف الله بين قلوبهم
في اتباعه حتى تتم له شوكة وعصبية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها واما غير هذا الوجه
مثل ان يدعو الناس فاطمي منهم الى مثل ذلك الامر في افق من افاق الارض
من غير عصبية ولا شوكة الا مجرد نسبة في اهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن لما
اسلفناه من البراهين الصحيحة **فاما** ما تدعيه العامة والاغمار من الدهما
ممن لا يرجع في ذلك الى عقل يهديه ولا علم يفيده فيتحينون ذلك على غير نسبة وفي غير
مكان تقليدا لما اشتهر من ظهور رجل فاطمي ولا يعلمون حقيقة الامر فيه
كما بيناه واكثر ما يتحينون في القاصية من الممالك واطراف العمران مثل الزاب
بافريقية والسوس من المغرب ونجد الكثير من ضعفا البصاير يقصدون رباطا
بماسة من ارض السوس من المغرب يتحينون هنالك لقاءه زعما منهم انه يظهر بذلك
الرباط وانه يبايع هنالك ولما كان ذلك الرباط بالقرب من الملثمين من كدالة واعتقادا
انه منهم او قايمون بدعوته من غير ما مستند لهم الا غرابة تلك الامم وبعدهم عن يقين المعرفة
باحوالها من كثرة او قلة او ضعف او قوة ولبعد القاصية عن منال الدولة وخروجها
عن نطاقها فتقوى عندهم الاوهام في ظهوره هنالك لخروجه عن ربقة الدولة ومنال
الاحكام والقهر ولا محصول لديهم في ذلك الا هذا ولقد يقصد ذلك الموضع كثير من
ضعفا العقول للتلبيس بدعوة تمنيه النفس تمامها وسواسا وحمقا وقتل
كثير منهم اخبرني شيخنا محمد بن ابراهيم الابلي قال خرج برباط ماسة لاول الماية
الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب رجل من منتحلي التصوف يعرف
بالتويزري نسبة الى تويزر مصغرا وادعى انه الفاطمي المنتظر واتبعه الكثير من اهل
السوس من صناكة وكزولة وعظم امره وكاد يستفحل وخافه روسا المصامدة
على امرهم فدس عليه السكسيوي من قتله بياتا وانحل امره وكذلك ظهر في غمارة في اخر

المائة السابعة والعشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس وادعى انه الفاطمي واتبعه
الدهماء من غمارة ودخل مدينة بادس عنوة وحرق اسواقها وارتحل الى بلد المزمة
فقتل بها غيلة ولم يتم امره وكثير من هذا النمط واخبرني شيخنا المذكور بغريبة
في مثل هذا وهو انه صحب في حجه من رباط العباد وهو مدفن الشيخ ابي مدين في جبل
تلمسان المطل عليها رجلا من اهل البيت من سكان كربلا كان متبوعا معظما كثير
التلميذ والخادم قال وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالنفقات في اكثر البلدان
قال وتاكدت الصحبة بيننا في ذلك الطريق فانكشف لي امرهم وانهم انما جاءوا من موطنهم
بكربلا لطلب هذا الامر وانتحال دعوة الفاطمي بالمغرب فلما عاين دولة بني مرين ويوسف
ابن يعقوب يومئذ منازل لتلمسان قال لاصحابه ارجعوا فقد ازرى بنا الغلط وليس هذا
الوقت وقتنا ويدل هذا القول من هذا الرجل على انه مستبصر في ان الامر لا يتم
الا بالعصبية المكافية لاهل الوقت فلما علم انه غريب في ذلك الوطن ولا شوكة له وان
عصبية بني مرين لذلك العهد لا يقاومها احد من اهل المغرب استكان ورجع الى
الحق واقصر عن مطامعه وبقي عليه ان يستيقن ان عصبية الفواطم وقريش اجمع
قد ذهبت لا سيما في المغرب الا ان التعصب لشانه لم يتركه لهذا القول والله يعلم وانتم
لا تعلمون **وقد** كانت بالمغرب لهذه العصور القريبة نزعة من الدعاة الى الحق والقيام بالسنة لا ينتحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره وانما ينزع منهم
في بعض الاحيان الواحد فالواحد الى اقامة السنة وتغيير المنكر ويعتني بذلك
ويكثر تابعه واكثر ما يعنون باصلاح السابلة لما ان اكثر فساد الاعراب فيها لما قدمناه
من طبيعة معاشهم فياخذون انفسهم في تغيير المنكر باصلاح السابلة ما استطاعوا
الا ان الصبغة الدينية فيهم لا تستحكم لان توبة العرب ورجوعهم الى الدين انما هي
يقصدون بها الاقصار عن الغارة والنهب لا يعقلون في توبتهم واقبالهم على مناحي
الديانة غير ذلك لانها المعصية التي كانوا عليها قبل التوبة ومنها توبتهم فتجد
تابع ذلك المنتحل للدعوة والقائم بزعمه بالسنة غير متعمقين في فروع الاقتداء والاتباع
انما دينهم الاعراض عن النهب والبغي وافساد السابلة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش
باقصى جهدهم وشتان بين طلب هذا الامر من صلاح الخلق ومن طلب الدنيا فاتفاقهما
ممتنع لا تستحكم له صبغة في الدين ولا يكمل لهم نزوع عن الباطل على الجملة ولا يكثرون
ويختلف حال صاحب الدعوة معهم في استحكام دينه وولايته في نفسه دون تابعه فاذا
هلك انحل امرهم وتلاشت عصبيتهم وقد وقع ذلك بافريقية لرجل من بني كعب من سليم
يسمى قاسم بن مرا في المائة السابعة ثم من بعده لرجل اخر من بادية رياح من بطن منهم
يعرفون بمسلم وكان يسمى سعادة وكان اشد دينا من الاول واقوم طريقة في نفسه
ومع ذلك فلم يستتب امر تابعه لما ذكرناه حسبما ياتي ذكر ذلك في موضعه عند ذكر قبائل سليم

ورياح



ورياح ومن بعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوى يتشبهون بمثل ذلك ويلبسون فيها وينتحلون اسم السنة
وليسوا عليها الا الاقل فلا يتم لهم ولا لمن بعدهم شيء من امرهم انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم بغيبه وهو اعلم بعباده

# فصل في حدثان الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر

اعلم ان من خواص النفوس البشرية التشوف الى عواقب امورهم وعلم ما يحدث لهم من
حياة او موت او خير او شر سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا ومعرفة
مدد الدول او تفاوتها فالتطلع الى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها ولذلك تجد
الكثير من الناس يتشوفون الى الوقوف على ذلك في المنام والاخبار من الكهان
لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة ولقد نجد في المدن صنفا من
الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم في
الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسالهم عنه فتغدو عليهم وتروح نسوان
المدينة وصبيانها بل وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب امورهم
في الكسب والجاه والمعاش والعشرة والعداوة وامثال ذلك ما بين خط في الرمل
ويسمونه المنجم وطراق بالحصا والحبوب ويسمونه الحاسب ونظر في المرايا والمياه
ويسمونه ضارب المندل وهو من المنكرات الفاشية في الامصار لما تقرر في
الشريعة من ذم ذلك وان البشر محجوبون عن الغيب الا من اطلعه الله عليه من عنده
في نوم او ولاية واكثر ما يعتني بذلك ويتطلع اليه الملوك والامراء في اماد دولهم
ولذلك انصرفت العناية من اهل العلم اليه وكل امة من الامم يوجد لهم كلام
من كاهن او منجم او ولي في مثل ذلك من ملك يرتقبونه او دولة يحدثون انفسهم
بها وما سيحدث لهم مع الامم من الحروب والملاحم ومدة بقاء الدولة وعدد الملوك
فيها والتعرض لاسمائهم ويسمى مثل هذا الحدثان وكان في العرب الكهان
والعرافون يرجعون اليهم في ذلك وقد اخبروا بما سيكون للعرب من الملك
والدولة كما وقع لشق وسطيح في تاويل رؤيا ربيعة بن نصر من ملوك اليمن
اخبرهم بملك الحبشة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهور الملة والدولة للعرب
من بعد ذلك وكذا تاويل سطيح لرؤيا الموبذان بعث اليه بها كسرى مع عبد
المسيح واخبره بظهور الدولة للعرب وكذا كان في جيل البربر كهان وكان من
اشهرهم موسى بن صالح من بني يفرن ويقال من غمرة وله كلمات حدثانية
على طريقة الشعر برطانتهم وفيها حدثان كثير ومعظمه فيما يكون لزناتة من الملك
والدولة بالمغرب وهي متداولة بين اهل الجيل وهم يزعمون تارة انه ولي

وتارة انه كاهن وقد يزعمون في بعض مزاعمهم انه كان نبيا تاريخه عندهم قبل الهجرة
بكثير والله اعلم وقد يستند الجيل في ذلك الى خبر الانبيا ان كانوا لعهدهم
كما وقع لبني اسرايل فان انبياهم المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم بمثله عند ما يعنتونهم
في السوال عنه واما في الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع الى بقا الدنيا
ومدتها على العموم وفيما يرجع الى الدول واعمارها على الخصوص وكان المعتمد في ذلك
صدر الاسلام اثار منقولة عن الصحابة وخصوصا مسلمة بني اسرايل مثل كعب الاحبار
ووهب بن منبه وامثالهما وربما اقتبسوا بعض ذلك من ظواهر ماثورة وتاويلات
محتملة ووقع لجعفر الصادق وامثاله من اهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه
والله اعلم الكشف بما كانوا عليه من الولاية واذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الاوليا
في ذويهم واعقابهم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان فيكم محدثين فهم اولى الناس
بهذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة واما بعد صدر الملة وحين عكف
الناس على العلوم والاصطلاحات وترجمت كتب الحكما الى اللسان العربي فاكثر
معتمدهم في ذلك كلام المنجمين في الملك والدول وساير الامور العامة من القرانات
وفي المواليد والمسايل وساير الامور الخاصة من الطوالع لها وهي شكل الفلك عند
حدوثها **فلنذكر** الان ما وقع لاهل الاثر في ذلك ثم نرجع الى كلام المنجمين
**اما اهل الاثر** فلهم في مدة الملة وبقا الدنيا ما وقع في كتاب السهيلي
فانه نقل عن الطبري ما يقتضي ان مدة بقا الدنيا منذ الملة خمسمايه سنة ونقض
ذلك بظهور كذبه ومستند الطبري في ذلك انه نقل عن ابن عباس ان الدنيا جمعة
من جمع الاخرة ولم يذكر لذلك دليلا وسره والله اعلم تقدير الدنيا بايام خلق السموات
والارض وهي سبعة ثم اليوم بالف سنة لقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون قال وقد ثبت في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال اجلكم في اجل من كان
قبلكم من صلاة العصر الى غروب الشمس وقال بعثت انا والساعة كهاتين واشار
بالسبابة والوسطى وقدر ما بين صلاة العصر وغروب الشمس عند صيرورة ظل كل شي
مثليه يكون على التقريب نصف سبع وكذلك فضل الوسطى على السبابة فتكون مثل
هذه المدة نصف سبع الجمعة كلها وهو خمسمايه سنة ويويده قوله صلى الله عليه وسلم
لن يعجز الله ان يوخر هذه الامة نصف يوم فدل ذلك على ان مدة الدنيا قبل الملة خمسة
الاف سنة وخمسمايه سنة وعن وهب بن منبه انها خمسة الاف وستمايه اعني
الماضي وعن كعب ان مدة الدنيا كلها ستة الاف سنة ثم قال السهيلي
وليس في الحديثين ما يشهد لشي مما ذكره مع وقوع الوجود بخلافه فاما قوله لن
يعجز الله ان يوخر هذه الامة نصف يوم فلا يقتضي نفي الزيادة على النصف
واما قوله بعثت انا والساعة كهاتين فانما فيه الاشارة الى القرب وانه ليس

بينه

١٢٩

بينه وبين الساعة نبي غيره ولا شرع غير شرعه ثم رجع السهيلي الى تعيين امد
الملة من مدرك اخر لو ساعده التحقيق ان جمع الحروف المقطعة في اوايل السور
بعد حذف المكرر قال وهي اربعة عشر حرفا يجمعها قولك الم يسطع نص
حق فاخذ عددها بحساب الجمل فكان تسعمايه وثلاثة تضاف الى المنقضي من
الالف الاخرة قبل بعثته فهذه هي مدة الملة قال ولا يبعد ان يكون ذلك من
مقتضيات هذه الحروف وفوايدها **قلت** وكونه لا يبعد لا يقتضي ظهوره
ولا التعويل عليه والذي حمل السهيلي على ذلك انما هو ما وقع في كتاب السير
لابن اسحاق في حديث ابني اخطب من احبار اليهود وهما ابو ياسر واخوه حيي
حين سمعا الم من الحروف المقطعة وتاولاها على بيان المدة بهذا الحساب فبلغت
احدى وسبعين فاستقلا المدة وجا حيي الى النبي صلى الله عليه وسلم يساله هل مع هذا
غيره فقال المص ثم استزاد فقال الر ثم استزاد المر فكانت احدى وسبعين
ومايتين فاستطال المدة وقال قد لبس علينا امرك يا محمد حتى ما ندري اقليلا اعطيت
ام كثيرا ثم ذهبوا عنه وقال لهم ابو ياسر ما يدريكم لعله اعطي عددها كلها تسعمايه واربع
سنين قال ابن اسحاق فنزل قوله تعالى منه ايات محكمات هن ام الكتاب الايات انتهى
ولا يقوم من القصة دليل على تقدير الملة بهذا العدد لان دلالة هذه الحروف على تلك
الاعداد ليست طبيعية ولا عقلية وانما هي بالتواضع والاصطلاح الذي يسمونه
حساب الجمل نعم انه قديم مشهور وقدم الاصطلاح لا يصير حجة وليس ابو ياسر واخوه حيي
ممن يوخذ رايه في ذلك دليلا ولا من علما اليهود لانهم كانوا بادية بالحجاز غفلا من
الصنايع والعلوم حتى من علم شريعتهم وفقه كتابهم وملتهم وانما يتلقفون مثل هذا
الحساب كما تتلقفه العوام في كل ملة فلا ينهض للسهيلي دليل على ما ادعاه من ذلك
**ووقع** في الملة في حدثان دولها على الخصوص مستند من الاثر اجمالي في
حديث خرجه ابو داود عن حذيفة بن اليمان من طريق شيخه محمد بن يحيى الذهلي
عن سعيد بن ابي مريم عن عبد الله بن فروخ عن اسامة بن زيد الليثي عن ابن لقبيصة
ابن ذويب عن ابيه قال قال حذيفة بن اليمان والله ما ادري انسي اصحابي
ام تناسوا والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قايد فتنة الى ان تنقضي
الدنيا يبلغ من معه ثلثمايه فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه واسم قبيلته
وسكت عليه ابو داود وقد تقدم انه قال في رسالته ما سكت عليه في كتابي فهو صالح
وهذا الحديث اذا كان صحيحا فهو مجمل ويفتقر في بيان اجماله وتعيين مبهماته
الى اثار اخرى يجود اسانيدها وقد وقع هذا الحديث في غير كتاب السنن على غير
هذا الوجه فوقع في الصحيحين من حديث حذيفة ايضا قال قام فينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم خطيبا فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه

المنقطعة صح

كره صح

حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابه هولا ولفظ البخاري ما ترك شيا الى قيام
الساعة الاذكره وفي كتاب الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري قال صلى بنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع شيا يكون الى قيام
الساعة الا اخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه انتهى وهذه الاحاديث
كلها محمولة على ما ثبت في الصحيح من احاديث الفتن والاشراط لا غير لان المعهود من الشارع
صلوات الله عليه في امثال هذه العمومات وهذه الزيادة التي انفرد بها ابو داود في هذا الطريق
شاذة منكرة مع ان الايمة اختلفوا في رجاله فقال ابن ابي مريم في ابن فروخ احاديثه
مناكير وقال البخاري نعرف منه وتنكر وقال ابن عدي احاديثه غير محفوظة واسامة بن زيد
وان خرج له في الصحيحين ووثقه ابن معين فانما خرج له البخاري استشهادا
وضعفه يحيى بن سعيد واحمد بن حنبل وقال ابو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به وابن
قبيصة بن ذويب مجهول فتضعف هذه الزيادة التي وقعت لابي داود في هذا
الحديث من هذه الجهات مع شذوذها كما مر **وقد** يستندون في حدثان الدول
على الخصوص الى كتاب الجفر ويزعمون ان فيه علم ذلك كله من طريق الاثار والنجوم لا يزيدون
على ذلك ولا يعرفون اصل ذلك ولا مستنده واعلم ان كتاب الجفر كان اصله
ان هرون بن سعيد العجلي وهو راس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق
وفيه علم ما سيقع لاهل البيت على العموم ولبعض الاشخاص منهم على الخصوص وقع
ذلك لجعفر ونظرايه من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الاولياء
وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير فرواه عنه هرون العجلي وكتبه وسماه
الجفر باسم الجلد الذي كتب منه لان الجفر في اللغة هو الصغير وصار هذا الاسم
علما على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القران وما في باطنه من المعاني
غرايب مروية عن جعفر الصادق وهذا الكتاب لم تتصل روايته ولا عرف عينه
وانما تطير عنه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل ولو صح السند الى جعفر الصادق
لكان فيه نعم المستند من نفسه او من رجال قومه فهم اهل الكرامات وقد صح عنه
انه كان يحذر بعض قرابته بوقايع تكون لهم فتصح كما يقول وقد حذر يحيى بن عمه
زيد من مصرعه وعصاه فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف واذا كانت
الكرامات تقع لغيرهم فما ظنك بهم علما ودينا واثارة من النبوة وعناية من الله
بالاصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة وقد ينقل بين اهل البيت كثير من هذا
الكلام غير منسوب الى الجفر وفي اخبار دولة العبيديين كثير منه وانظر ما حكاه
ابن الرقيق في لقاء ابي عبد الله الشيعي لعبيد الله المهدي مع ابنه محمد الحبيب
وما حدثاه به وكيف بعثاه الى ابن حوشب داعيتهم باليمن فامره بالخروج الى
المغرب وبث الدعوة فيه على علم لقنه ان دولتهم تتم هنالك وان عبيد الله لما

بني

بني المهدية بعد استفحال دولتهم بافريقية قال بنيتها ليعتصم بها الفواطم ساعة من
نهار واراهم موقف صاحب الحمار بساحتها وبلغ هذا الخبر حافده اسمعيل المنصور
فلما حاصره صاحب الحمار ابو يزيد بالمهدية كان يسايل عن منتهى موقفه حتى جاءه
الخبر ببلوغه الى المكان الذي عينه جده عبيد الله فايقن بالظفر وبرز من البلد
فهزمه واتبعه الى ناحية الزاب فظفر به وقتله ومثل هذه الاخبار عنهم كثيرة **واما**
**المنجمون** فيستندون في حدثان الدول الى الاحكام النجومية اما في الامور
العامة مثل الملك والدول فمن القرانات وخصوصا بين العلويين وذلك ان العلويين
زحل والمشتري يقترنان في كل عشرين سنة مرة ثم يعود القران الى برج اخر في تلك
المثلثة من التثليث الايمن ثم بعده الى اخر كذلك الى ان يتكرر في المثلثة الواحدة
اثنتي عشرة مرة يستوفي بروجها الثلاثة في ستين سنة ثم يعود فيستوفيها في
ستين اخرى ثم يعود ثالثة ثم رابعة فيستوفي المثلثة باثنتي عشرة مرة واربع عودات
في مايتين واربعين سنة ويكون انتقاله في كل برج على التثليث الايمن وينتقل
من المثلثة الى المثلثة التي تليها اعني الى البرج الذي يلي البرج الاخير من القران الذي
قبله في المثلثة وهذا القران الذي هو قران العلويين ينقسم الى كبير وصغير ووسط
فالكبير هو اجتماع العلويين في درجة واحدة من الفلك الى ان يعود اليها بعد
تسعماية وستين سنة مرة واحدة والوسط هو اقتران العلويين في كل مثلثة اثنتي عشرة
مرة وبعد مايتين واربعين سنة ينتقل الى مثلثة اخرى والصغير هو اقتران العلويين
في برج وبعد عشرين سنة يقترنان في برج اخر على تثليثه الايمن في مثل درجه او دقايقه
مثال ذلك وقع القران اول دقيقة من الحمل وبعد عشرين يكون اول دقيقة من القوس
وبعد عشرين في الاسد وهذه كلها نارية وهذا كله قران صغير ثم يعود الى اول الحمل
بعد ستين سنة ويسمى دور القران وعود القران وبعد مايتين واربعين ينتقل
من النارية الى الترابية لانها بعدها وهذا قران وسط ثم ينتقل الى الهوائية ثم
المائية ثم يرجع الى اول الحمل في تسعماية وستين سنة وهو الكبير والقران الكبير
يدل على عظايم الامور مثل تغيير الدول والملك وانتقال الملك من قوم الى قوم والوسط
على ظهور المتغلبين والطالبين للملك والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب
المدن او عمرانها **و**يقع اثناء هذه القرانات قران النحسين في برج السرطان في
كل ثلثين سنة مرة ويسمى الرابع وبرج السرطان هو طالع العالم وفيه وبال زحل وهبوط
المريخ فتعظم دلالة هذا القران في الفتن والحروب وسفك الدما وظهور الخوارج
وحركة العساكر وعصيان الجند والوبا والقحط ويدوم ذلك او ينتهي على قدر
السعادة والنحوسة في وقت قرانهما وعلى قدر تسيير الدليل فيه قال جراش
ابن احمد الحاسب في الكتاب الذي الفه لنظام الملك ورجوع المريخ في العقرب

له اثر عظيم في الملة الاسلامية لانه كان دليلها فان المولد النبوي كان عند قران
العلويين ببرج العقرب فكلما رجع هنالك حدث تشويش على الخلفا وكثر المرج
في اهل العلم والدين ونقصت احوالهم وربما انهدم بعض بيوت العبادات ولقد
يقال انه كان عند قتل علي رضي الله عنه ومروان من بني امية والمتوكل من بني العباس
فاذا روعيت هذه الاحكام مع احكام القرانات كانت في غاية الاحكام وذكر شاذان
البلخي ان الملة تنتهي الى سبعماية وعشر سنين وقد ظهر كذب هذا القول وقال
ابو معشر تظهر بعد المايه والخمسين منها اختلافات كثيرة ولم يصح ذلك وقال جاماسب
رايت في كتب القدما ان المنجمين اخبروا كسرى عن ملك العرب وظهور النبوة فيهم
وان دليلهم الزهرة وكانت في شرفها فيبقى الملك فيهم اربعين سنة وقال ابو معشر
في كتاب القرانات ان القسمة اذا انتهت الى السابعة والعشرين من الحوت
وفيها شرف الزهرة ووقع القران مع ذلك ببرج العقرب وهو دليل العرب ظهرت
حينيذ دولة العرب وكان منهم نبي ويكون قوة ملكه ومدته على قدر ما بقي من درجات
شرف الزهرة وهي احد عشر درجا بتقريب من برج الحوت ومع ذلك ستماية وعشر
سنين وكان ظهور ابي مسلم عند انتقال الزهرة ووقوع القسمة اول الحمل وصاحب
الحد المشتري وقال يعقوب بن اسحاق الكندي ان مدة الملة تنتهي الى ستماية وثلث
وتسعين سنة قال لان الزهرة كانت عند قران الملة في ثمان وعشرين درجة وتنقلي
واربعين دقيقة من الحوت فالباقي احد عشر درجة وثمان عشر دقيقة ودقايقها
ستون فيكون ستماية وثلثا وتسعين سنة قال وهذا مدة الملة باتفاق الحكما
وتعضده الحروف الواقعة في اوايل السور بحذف المكرر واعتباره بحساب الجمل
**قلت** وهذا هو الذي ذكره السهيلي والغالب ان الاولى مستند السهيلي
فيما نقلنا عنه قال جاماسب وسئل هرمز دافريد الحكيم عن ملك ازدشير وولده
ملوك الساسانية فقال دليل ملكه المشتري وكان في شرفه فيعطي اطول السنين
واصلحها واجودها اربع ماية وسبعا وعشرين سنة ثم تدبر الزهرة ويكون في شرفها
وهي دليل ان العرب يملكون لان طالع القران الميزان وصاحبه الزهرة وكانت
عند القران في شرفها فدل انهم يملكون الف سنة وستين سنة **وسال**
كسرى انوشروان وزيره بزرجمهر الحكيم عن خروج الملك من فارس الى العرب فاخبره
ان القايم منهم يولد لخمس واربعين من دولته ويملك المشرق والمغرب والمشتري
يفوض التدبير الى الزهرة وينتقل القران من الهوايية الى العقرب وهو مايي وهو
دليل العرب فهذه الادلة تقتضي للملة بعد دور الزهرة وهي الف وستون سنة
**وسال** كسرى ابرويز اليوس الحكيم عن ذلك فقال الحق قول بزرجمهر وقال نوفيل
الرومي المنجم ايام بني امية ان دولة الاسلام تبقى مدة القران الكبير تسعماية



وستين سنة فاذا عاد القران الى برج العقرب كما كان في ابتدا الملة وتغير وضع الكواكب
عن هيئتها في قران الملة فحينيذ اما يفتر العمل به واما تتجدد من الاحكام ما يوجب خلاف
الظن **قال** جاماسب واتفقوا ان خراب العالم يكون باستيلا الما والنار حتى
تهلك سائر المكونات وذلك عند ما يقطع قلب الاسد اربعا وعشرين درجة الذي هو
حد المريخ وذلك بعد مضي سبعماية وستين سنة **وذكر** جاماسب ان ملك زابلستان
وهي غزنة بعث الى المامون بحكيمه دوبان اتحفه به في هديته وانه تصرف للمامون في
الاختيارات لحروب اخيه ولعقد الولا لطاهر وان المامون اعظم حكمته فساله
عن مدة ملكهم فاخبره بانقطاع الملك من عقبه واتصاله في ولد اخيه وان العجم يتغلبون
على الخلافة الديلم اولا في دولة خمسين سنة ثم تسوء حالهم حتى يظهر الترك من شمال
المشرق فيملكون الى الشام والفرات ويفتحون بلاد الروم ثم يكون ما يريد الله فقال
له المامون من اين لك هذا قال من كتب الحكما ومن احكام صصه بن داهر الهندي
الذي وضع الشطرنج **قلت** والترك الذين اشار الى ظهورهم بعد الديلم هم
السلجوقية وقد انقضت دولتهم اول القرن السابع **قال** جاماسب وانتقال القران
الى المثلثة المايية في برج الحوت يكون سنة ثلث وثلثين وثمانماية ليزدجرد وبعدها
الى برج العقرب حيث كان قران الملة سنة ثلث وخمسين قال والذي في الحوت
هو اول الانتقال والذي في العقرب تستخرج منه دلايل الملة قال وتحويل السنة
الاول من القران الاول في المثلثات المايية في ثاني رجب سنة ثمان وستين وثمانماية
ولم يستوف الكلام على ذلك **واما** مستند المنجمين في دولة ● دولة على
الخصوص فمن القران الاوسط وهيية الفلك عند وقوعه لان له دلالة عندهم على حدوث
الدول وجهاتها من العمران والقايمين بها من الامم وعدد ملوكهم واسمايهم واعمارهم
ونحلهم واديانهم وعوايدهم وحروبهم كما ذكر ابو معشر في كتابه القرانات وقد يوخذ
من الدلالة من القران الاصغر اذا كان الاوسط دالا عليه فمن هذا يوخذ الكلام في
الدول وقد كان يعقوب بن اسحاق الكندي منجم الرشيد والمامون وضع في القرانات
الكاينة في الملة كتابا سماه الشيعة بالجفر باسم كتابهم المنسوب الى جعفر الصادق وذكر
فيه فيما يقال حدثان دولة بني العباس وانها نهايته واشار الى انقراضها والحادثة
على بغداد انه يقع في منتصف المايه السابعة وان انقراضها يكون بانقراض [redacted]
الملة ولم نقف على شي من خبر هذا الكتاب ولا راينا من وقف عليه ولعله غرق
في كتبهم التي طرحها هولاكو ملك التطر في دجلة عند استيلايهم على بغداد وقتل
المستعصم اخر الخلفا وقد وقع بالمغرب جز منسوب الى هذا الكتاب يسمونه
الجفر الصغير والظاهر انه وضع لبني عبد المومن لذكر الاولين من ملوك الموحدين على التفصيل
ومطابقته ما تقدم من ذلك من حدثانه وكذب ما بعده وكان في دولة بني العباس

ثم بعد الكندي منجمون وكتب في الحدثان وانظر ما نقل الطبري في اخبار المهدي عن ابي بديل من
من صنائع الدولة قال بعث الي الربيع والحسن في غزاتهما مع الرشيد ايام ابيه فجئتهما جوف
الليل فاذا عندهما كتاب من كتب [redacted] الدولة يعني الحدثان واذا مدة المهدي فيه عشر سنين
فقلت هذا الكتاب [redacted] لا يخفى على المهدي وقد مضى من دولته ما مضى فاذا وقف
عليه كنتم قد نعيتم اليه نفسه قالا فما الحيلة فاستدعيت عنبسة الوراق مولى آل بديل
وقلت له انسخ هذه الورقة واكتب مكان عشرة اربعين ففعل فوالله لولا اني رايت
العشرة في تلك الورقة والاربعين في هذه ما شككت انها هي ثم كتب الناس من بعد ذلك
في حدثان الدول منظوما ومنثورا ورجزا ما شاء الله ان يكتبوه وبايدي الناس متفرقة
كثير منها وتسمى الملاحم وبعضها في حدثان الملة وبعضها في دولة دولة على الخصوص
وكلها منسوبة الى مشاهير من اهل الخليقة وليس منها اصل يعتمد على روايته عن واضعه المنسوب
اليه فمن هذه الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مرانة من بحر الطويل على روي الراء معلقها
وهي متداولة بين الناس وتحسب العامة انها من الحدثان العام فيطبقون كثيرا منها
على الحاضر والمستقبل والذي سمعناه من شيوخنا انها مخصوصة بدولة لمتونة لان الرجل
كان قبيل دولتهم وذكر فيها استيلاءهم على سبتة من ايدي موالي بني حمود وملكهم لعدوة
الاندلس ومن الملاحم بايدي اهل المغرب ايضا قصيدة تسمى التبعية اولها

طربت وما ذاك مني طرب    وقد يطرب الطاير المغتصب
وما ذاك مني للهو اراه    ولكن لتذكار بعض السبب

قريبا من خمسمائة بيت او الف بيت فيما يقال ذكر فيها كثيرا من دولة الموحدين واشار
الى الفاطمي وغيره والظاهر انها مصنوعة ومن الملاحم بالمغرب ايضا ملعبة من الشعر
الزجلي منسوبة لبعض اليهود ذكر فيها احكام القرانات لعصره العلويين والنحسين
وغيرهما وذكر ميتته قتيلا بفاس وكان كذلك فيما زعموه واوله

في صبغ ذا الازرق لشرفه خيارا    فافهموا يا قوم هذي الاشارا
نجم زحل اخبر بذي العلاما    وبدل الاشكال وهي سلاما
شاشية زرقا بدل العماما    وطاشر الازرق بدل العقارا

وفي آخرها يقول

قد تم ذا التجنيس لانسان يهودي يصلب على واد فاس
في يوم عيد حتى يجيه الناس من البوادي وقتل يا قوم على النهارا

وابياته نحو الخمسمائة وهي في احكام القرانات التي دلت على دولة الموحدين
ومن ملاحم المغرب ايضا قصيد من عروض المتقارب على روي الباء في حدثان
دولة بني ابي حفص بتونس من الموحدين منسوبة لابن الابار وقال لي قاضي
قسنطينة الخطيب الكبير ابو علي بن باديس وكان بصيرا بما يقول وله قدم في علم النجوم

فقال

فقال لي ان هذا ابن الابار ليس هو الحافظ الكاتب مقتول المستنصر وانما هو
رجل خياط من اهل تونس تواطأت شهرته مع شهرة الحافظ وكان والدي رحمه الله
ينشد في الابيات من هذه الملحمة وبقي بعضها في حفظي مطلعها

عذيري من زمن قلب    يغر ببارقه الاشنب

ومنها في ذكر اللحياني تاسع ملوك الدولة

فيبعث من جيشه قايدا    ويبقى هناك على مرقب
وتاتي الى الشيخ اخباره    فيقبل كالجمل الاجرب
ويظهر من عدله سيرة    وتلك سياسة مستجلب

ومنها في ذكر احوال تونس على العموم

فاما رايت الرسوم امحت    ولم يرع حق لذي منصب
فخذ في الترحل عن تونس    وودع معالمها واذهب
فسوف تكون بها فتنة    تضيف البري الى المذنب

ووقفت بالمغرب على ملحمة اخرى في دولة بني ابي حفص هؤلاء بتونس فيها بعد
السلطان ابي يحيى الشهير عاشر ملوكهم ذكر اخيه محمد يقول فيه

وبعد ابو عبد الاله شقيقه    ويعرف بالوثاب في نسخة الاصل

الا ان هذا الرجل لم يملك بعد اخيه وكان يمني بذلك نفسه الى ان هلك ومن ملاحم المغرب
ايضا الملعبة المنسوبة الى الهوشني على لغة العامة في عروض البلد اولها

دعني يا دمعي الهتان    فترتنا الامطار ولم تغتر
واشتغلت كلها الوديان    واتى تملا وتتغدر
البلدان كلها تروى    فاوقاتا مثل ما تدري
وانقضى الصيف والشتوا والغاكا والربيع تجري
فاحيى صحت الدعوى    دعني نبكي ومن عذري
ايا دبري في ذي الازمان ذا القرن اشتد وانتم

وهي طويلة ومحفوظة بين عامة اهل المغرب الاقصى والغالب عليها الوضع لانه لم يصح
منها قول الا على تاويل يحرفه العامة او يجازف فيه من ينتحله من الخاصة ووقفت
بالمشرق على ملحمة منسوبة لابن العربي الحاتمي في كلام طويل شبه الالغاز لا يعلم تاويله
الا الله تتخللها اوفاق عددية ورموز ملغوزة واشكال حيوانات تامة ورؤوس
مقطعة وتماثيل من حيوانات غريبة وفي آخرها قصيدة على روي اللام والغالب
انها كلها غير صحيحة لانها لم تبن على اصل علمي من نجامة ولا غيرها ومن غريب ما سمعت
بعض الخواص يتحدثون به عن ملحمة ابن العربي ولعلها غيرها انه تكلم على طلوع ابناء العاصم
وانه جعل من عمرها اربعمائة وستين سنة من دلالات الطوالع النجومية وينتهي ذلك الى

سوى الثلثين بعد الثمانماية لانا اذا حملنا على الاربع ماية والستين حساب القمري لانها
شمسية فنزيد عليها بحساب ثلثة لكل ماية اربع عشرة سنة فتكون اربع ماية واربعا وسبعين
سنة نحملها على ثلثماية وثمان وخمسين من الهجرة تاريخ بنائها يكون ثمانماية سنة واثنين وثلثين
سنة هذا ان صح كلام ابن المعزني وصدقت الدلايل النجومية وذكر لي من اثق بمعرفته من اهل
مصر ان الذي في ملحمة ابن المعزني ان [redacted] العشرين الثلاثماية وتنقضي
بان المنقولات ان الثلثين كلها وقت لذلك وسمعت ايضا ان هناك ملاحم اخرى منسوبة
لابن سينا وابن عقب وليس في شي منها دليل على الصحة لان ذلك انما يؤخذ من القرانات
ووقفت بالمشرق ايضا على ملحمة باصبهان دولة الترك منسوبة الى رجل من اهل الصوفية
يسمى الباجربقي وكلها الغاز بالحروف اولها

ان شيت تكشف سر الجفر يا سكني … من علم جبر وصي والد الحسن
فانهم وكن واعيا حرفا وجملته … والوصف فافعل كفعل الحاذق الفطن
اما الذي قبل عصري لست اذكره … لكنني اذكر الاتي من الزمن
بعيبرس يبقى بحا بعد خمستها … وحا ميم بطليس نام في الكفن

ومنها

شين له اثر من تحت سرته … له القضا قضاي دي المنن
مصر والشام مع ارض العراق له … وادربجان من ملك الى اليمن

ومنها

وال نوار لما نال ظاهرهم … الغائك البائك المعني بالسجن
اشلع سعيد اضعف السن ايدي … لالا وقاف ونون لزيني قرن
قرم شجاع له عقل ومشورة … يسلخ بحا وابن بعد ذو شجن

ومنها

من بعد باخر الاعوام فتلته … يلي المشوه ميم الملك ذو اللسن
هذا هو الاعرج الكلبي فاعن به … في عصره فتن ناهيك من فتن
ياتي من الشرق جيش الترك يقدمهم … غاز من القاف قاف مجرم بالفتن
فقبل ذاك فويل ان من اجمعها … فاندب لنجو على الاهلين والوطن
اذا اذا زلزلت يا ويح مصر من … الزلزال ما زال عاما غير مقتطن
حا او طا وعني كلهم حبسوا … هلكي وينفق اموالا بلا ثمن
بسيد القاف فانحو احمدهم … هو اته ان ذاك الحصن في ملكي
وينصبون اخاه وهو صالحهم … لام الف شين لذاك سيبني

ومنها … وينصبون اخاه وهو صالحهم … لام الف شين لذاك نبي
ثمت ولايتهم بالحا والا احد … من البنين يدان الملك في الزمن

ومنها

وذكر في صح

[illegible] ابي العقب [illegible] ابن خلكان [illegible] القرنية [illegible] ابن العقب [illegible] الامور التي [illegible] والله اعلم

ومنها

ومنها وقيل انه اشارة الى الملك الظاهر برقوق وقدوم ابيه عليه بمصر
ياتي اليه ابوه بعد هجرته … وطول غيبته والشخص والوطن
وابياتها كثيرة والغالب انها مصنوعة ومثل صنعها كان في القديم كثيرا ومعروف
الانتحال حكى المورخون لاخبار بغداد انه كان بها ايام المقتدر وراق ذكي
يعرف بالدانيالي يبلي الاوراق ويكتب فيها بخط عتيق يرمز فيه بحروف من اسما
اهل الدولة ويشير بها الى ما يعرف ميلهم اليه من احوال الرفعة والجاه كانها
ملاحم ويحصل بذلك على ما يريد منهم من الدنيا وانه وضع في بعض دفاتره ميم مكرره
ثلث مرات وجا به الى مفلح مولى المقتدر وكان عظيما في الدولة فقال له هذا
كناية عنك وهو مفلح مولى مقتدر ميم من كل واحد وذكر عندها ما يعلم فيه رضاه
وما يناله من الملك والسلطان ونصب له علامات لذلك من احواله المتعارفة موه بها
عليه فبذل له ما اغناه به ثم وضعه للوزير الحسن بن القاسم بن وهب على مفلح هذا
وكان معزولا نجاه باوراق مثلها وذكر اسم الوزير بمثل هذه الحروف وبعلامات
ذكرها وانه يلي الوزارة للثاني عشر من الخلفا وتستقيم الامور على يديه ويقهر الاعدا
وتعمر الدنيا في ايامه ووقف مفلح على الاوراق وذكر فيها كوائن اخرى وملاحم من هذا
النوع بما وقع وما لم يقع ونسب جميعه الى دانيال فاعجب به مفلح ووقف عليه
المقتدر فاهتدى من تلك الرموز والعلامات الى ابن وهب لظهورها وكان ذلك
سببا لوزارته بمثل هذه الحيل العريقة في الكذب والجهل بمثل هذه الالغاز
والظاهر ان هذه الملحمة التي ينسبونها الى الباجربقي من هذا النوع ولقد
سالت اكمل الدين شيخ الحنفية من العجم بالديار المصرية عن هذه الملحمة وعن هذا
الرجل الذي تنسب له من الصوفية وهو الباجربقي وكان عارفا بطرايقهم فقال كان من
المعروفين بالقرندلية المبتدعين في حلق اللحية وكان يتحدث عما يكون من الملوك لبعض
بطريق الكشف ويومي الى رجال معينين عنده ويلغز عليهم بحروف يعينها في ضمنها
لمن يراه منهم وربما نظم ذلك في ابيات قليلة كان يتعاهدها فتنوقلت
عنه وولع الناس بها وجعلوها ملحمة مرموزة وزاد فيها الخراصون من ذلك
الجنس في كل عصر وشغل العامة بفك رموزها وهو امر ممتنع اذ الرمز انما
يهدي الى كشفه قانون يعرف قبله او يوضع له واما مثل هذه الحروف فدلالتها
على المراد منها مخصوصة بهذا النظم فرايت من كلام هذا الرجل
الفاضل شفا لما كان في النفس من امر هذه
الملحمة وما كنا لنهتدي لولا
ان هدانا الله
والحمد لله

## الفصل الرابع من الكتاب الاول في البلدان والامصار والمدن وساير العمران الحضري وما يعرض في ذلك من الاحوال

وفيه سوابق ولواحق

### فصل في ان الدول اقدم من المدن والامصار وانها انما توجد ثانية عن الملك

وبيانه ان البنا واختطاط المنازل انما هو من منازع الحضارة التي يدعو اليها الترف والدعة كما قدمناه وذلك متاخر عن البداوة ومنازعها وايضا فالمدن والامصار ذات هياكل واجرام عظيمة وبنا كبير اذ هي موضوعة للعموم لا للخصوص فيحتاج الى اجتماع الايدي وكثرة التعاون وليست من الامور الضرورية للناس التي تعم البلوى بها حتى يكون نزوعهم اليها ضروريا واضطرارا بل لا بد من اكراههم على ذلك وسوقهم اليه مضطهدين بعصا الملك او مرغبين في الثواب والاجر الذي لا يفي به لكثرته الا الملك والدولة فلا بد في تمصير الامصار واختطاط المدن من الدولة والملك ثم اذا بنيت المدينة وكمل تشييدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضته الاحوال السماوية والارضية فيها فعمر الدولة حينيذ عمر لها فان كان امد الدولة قصيرا وقف الحال فيها عند انتها الدولة وتراجع عمرانها وخربت وان كان امد الدولة طويلا ومدتها منفسحة فلا تزال المصانع فيها تشاد والمنازل الرحيبة تكثر وتتعدد ونطاق الاسوار يتباعد وينفسح الى ان تتسع الخطة وتبعد المسافة وينفسح ذرع المساحة كما وقع ببغداد وامثالها ذكر الخطيب في تاريخه ان الحمامات بلغ عددها ببغداد لعهد المامون خمسة وستين الف حمام وكانت مشتملة على مدن وامصار متلاصقة ومتقاربة تجاوز الاربعين ولم تكن مدينة واحدة يجمعها سور واحد لافراط العمران وكذا حال القيروان وقرطبة والمهدية في الملة الاسلامية وحال مصر والقاهرة بعدها فيما يبلغنا لهذا العهد

واما

واما بعد انقراض الدولة المشيدة للمدينة فاما ان يكون لضواحي تلك المدينة وما قاربها من الجبال والبسايط بادية تمد العمران دايما فيكون ذلك حافظا لوجودها ويستمر عمرها بعد الدولة كما تراه بفاس وبجاية من المغرب وبعراق العجم من المشرق الموجود لها العمران من الجبال لان اهل البدو اذا انتهت احوالهم الى غاياتها من الرفه والكسب تدعوا الى الدعة والسكون الذي في طبيعة البشر فينزلون المدن والامصار ويتاهلون فيها واما ان لم يكن لتلك المدينة المؤسسة مادة تفيدها العمران بترادف الساكن من بدوها فيكون انقراض الدولة خرقا لسياجها فيزول حفظها ويتناقص عمرانها شيا فشيا الى ان يتبذعر ساكنها وتخرب كما وقع في بغداد ومصر والكوفة بالمشرق والقيروان والمهدية وقلعة ابن حماد بالمغرب وامثالها فتفهمه وربما ينزل المدينة بعد انقراض مختطيها الاولين ملك اخر ودولة ثانية تتخذها قرارا وكرسيا وتستغني بها عن اختطاط مدينة لنزلها فتحفظ تلك الدولة سياجها وتتزيد مبانيها ومصانعها بتزايد احوال الدولة الثانية ورفهها وتستجد بعمرها عمرا اخر كما وقع بفاس والقاهرة لهذا العهد فاعتبر ذلك وافهم سر الله في خليقته

### فصل في ان الملك يدعو الى نزول الامصار

وذلك ان القبايل والعصايب اذا حصل لهم الملك اضطروا للاستيلا على الامصار لامرين احدهما ما يدعو اليه الملك من الدعة والراحة وحط الاثقال واستكمال ما كان ناقصا من امور العمران في البدو والثاني دفع ما يتوقع على الملك من امر المنازعين والمشاغبين لان المصر الذي يكون في نواحيهم ربما يكون ملجا لمن يروم منازعتهم والخروج عليهم وانتزاع ذلك الملك الذي سموا اليه من ايديهم فيعتصم بذلك المصر ويغالبهم ومغالبة المصر على نهاية من الصعوبة والمشقة والمصر يقوم مقام العساكر المتعددة بما فيه من الامتناع ونكاية الحرب من ورا الجدران من غير حاجة الى كبير عدد ولا عظيم شوكة والعصابة انما احتيج اليها في الحرب للثبات بما يقع من كرة القوم بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هولا بالجدران فلا يضطرون الى كبير عصابة ولا عدد فيكون حال هذا المصر ومن يعتصم به من المنازعين مما يفت في عضد الامة التي تروم الاستيلا ويخضد شوكة استيلايها فاذا كانت بين احيايهم امصار انتظموها في استيلايهم للامن من مثل هذا الانخرام وان لم يكن هنالك مصر استحدثوه ضرورة لتكميل عمرانهم اولا وحط اثقالهم وليكون ثانيا شجا في حلق من يروم العزة والامتناع عليهم من طوايفهم وعصايبهم فتعين ان الملك يدعو الى نزول الامصار والاستيلا عليها والله غالب على امره

### فصل في ان المدن العظيمة والهياكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكبير

قد قدمنا ذلك في اثار الدول من المباني وغيرها وانها تكون على نسبتها وذلك ان تشييد
المدن انما يحصل باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فاذا كانت الدولة عظيمة
متسعة الممالك حشر الفعلة من اقطارها وجمعت ايديهم على عملها وربما استعين
في ذلك اكثر الامر بالهندام الذي يضاعف القوى والقدر في حمل اثقال البنا لعجز القدر
البشرية عن ذلك كالمخال وغيره وربما يتوهم كثير من الناس اذا نظر الى اثار القدما
ومصانعهم العظيمة مثل ايوان كسرى واهرام مصر وحنايا المعلقة وشرشال بالمغرب
انها كانت بقدرهم متفرقين او مجتمعين فيتخيل لهم اجساما تناسب ذلك اعظم من
هذه بكثير في اطوالها وعروضها واقطارها لتناسب بينها وبين القدر التي صدرت
تلك المباني عنها ويغفل عن شان الهندام والمخال وما اقتضته في ذلك الصناعة
الهندسية وكثير من المتقلبين في البلاد يعاين من شان البنا واستعمال الحيل
في نقل الاجرام عند اهل الدول المعتنين بذلك من العجم ما يشهد له بما قلناه عيانا
واكثر اثار الاقدمين لهذا العهد تسميها العامة عادية نسبة الى قوم عاد لتوهمهم
ان مباني عاد ومصانعهم انما عظمت لعظم اجسامهم وتضاعف قدرهم وليس
كذلك فقد نجد اثارا كثيرة من اثار الذين نعرف مقادير اجسامهم من الامم في مثل ذلك وصح
العظم واعظم كايوان كسرى ومباني العبيديين من الشيعة بافريقية والصنهاجيين
واثرهم باد الى اليوم في صومعة قلعة ابن حماد وكذلك بنا الاغالبة في جامع
القيروان وبنا الموحدين في رباط الفتح وبنا السلطان ابي الحسن لعهد
اربعين سنة في المنصورة بازا تلمسان وكذلك الحنايا التي جلب اهل قرطاجنة
اليها الماء في القناة الراكبة عليها ماثلة ايضا لهذا العهد وغير ذلك من المباني
والهياكل التي نقلت الينا اخبار اهلها قريبا وبعيدا وتيقنا انهم لم يكونوا
بافراط في مقادير اجسامهم وانما هذا راي ولع به القصاص عن قوم عاد وثمود
والعمالقة ونحن نجد بيوت ثمود في الحجر منحوتة الى هذا العهد وقد ثبت
في الحديث الصحيح انها بيوتهم يمر بها الركب الحجازي اكثر السنين ويشاهدونها
لا تزيد في جوها ومساحتها وسمكها على المتعاهد وانهم ليبالغون فيما
يعتقدون من ذلك حتى انهم ليزعمون ان عوج ابن عناق من جيل الكنعانيين
[redacted] كان يتناول السمك من البحر طريا فيشويه في الشمس يزعمون
بذلك ان الشمس حارة فيما قرب منها ولا يعلمون ان الحر فيما لدينا هو الضوء
لانعكاس الشعاع بمقابلة سطح الارض والهوا واما الشمس في نفسها
فغير حارة ولا باردة وانما هي كوكب مضي لا مزاج له وقد تقدم شي
من هذا في الفصل الثاني حيث ذكرنا ان الدول على نسبة قوتها
في اصلها والله يخلق ما يشاء

والسبب



## فصل في ان الهياكل العظيمة جدا لا يستقل ببنائها الدولة الواحدة

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البنا الى التعاون ومضاعفة القدر البشرية
وقد تكون المباني في عظمها اكبر من القدر مفردة او مضاعفة بالهندام كما قلناه فتحتاج الى معاودة
قدر اخرى مثلها في ازمنة متعاقبة الى ان تتم فيبتدي الاول منهم بالبنا ويعقبه الثاني والثالث
وكل واحد منهم قد استكمل شانه في حشر الفعلة وجمع الايدي حتى يتم القصد من ذلك ويكون ماثلا
للعيان يظنه من يراه من الاخرين انه بنا دولة واحدة وانظر في ذلك ما نقله المورخون
في بنا سد مارب وان الذي بناه سبا بن يشجب وساق اليه سبعين واديا وعاقه
الموت عن اتمامه فاتمه ملوك حمير من بعده ومثل هذا ما نقل في بنا قرطاجنة وقناتها الراكبة
على الحنايا العادية واكثر المباني العظيمة في الغالب هذا شانها ويشهد لذلك ان
المباني العظيمة لعهدنا نجد الملك الواحد يشرع في اختطاطها وتاسيسها فاذا
لم يتبع اثره من بعده من الملوك في اتمامها بقيت بحالها ولم يكمل القصد فيها
ويشهد لذلك ايضا انا نجد اثارا كثيرة من المباني العظيمة تعجز الدول عن هدمها وتخريبها
مع ان الهدم ايسر من البنا بكثير لان الهدم رجوع الى الاصل الذي هو العدم والبنا
على خلاف الاصل فاذا وجدنا بنا تضعف قدرتنا البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم
علمنا ان القدرة التي اسسته مفرطة القوة وانها ليست اثر دولة واحدة وهذا
مثل ما وقع [redacted] للعرب في ايوان كسرى لما اعتزم الرشيد على هدمه وبعث
الى يحيى بن خالد وهو في محبسه يستشيره في ذلك فقال يا امير المومنين لا تفعل
واتركه ماثلا يستدل به على عظم [redacted] ملك ابائك الذين سلبوا الملك لاهل ذلك
الهيكل فاتهمه في النصيحة وقال اخذته النعرة للعجم والله لاصرعنه وشرع في هدمه
وجمع الايدي عليه واتخذ له الفوس وحماه بالنار وصب عليه الخل حتى اذا ادركه العجز
بعد ذلك كله وخاف الفضيحة بعث الى يحيى يستشيره ثانيا في التجافي عن
الهدم فقال يا امير المومنين لا تفعل واستمر على ذلك لئلا يقال عجز امير المومنين
وملك العرب عن هدم مصنع من مصانع العجم فعرفها الرشيد واقصر عن هدمه
وكذلك اتفق للمامون في هدم الاهرام التي بمصر وجمع الفعلة لهدمها فلم يحل
بطائل وشرعوا في نقبه فانتهوا الى جو بين [redacted] الحائط الظاهر وما بعده
من الحيطان وهناك كان منتهى هدمهم وهو الى اليوم فيما يقال منفذ ظاهر ويزعم
زاعمون انه وجد هنالك ركازا بين تلك الحيطان والله اعلم وكذلك حنايا المعلقة
بقرطاجنة الى هذا العهد يحتاج اهل مدينة تونس الى انتخاب الحجارة لبنايهم
ويستجيد الصناع حجارة تلك الحنايا فيحاولون على هدمها الايام العديدة
ولا يسقط الصغير من جدرانها الا بعد [redacted] وتجتمع له المحافل المشهورة

انا نجد صح

عصب الريح صح

شهدت منها في ايام صباي كثيرا والله على كل شيء قدير

## فصل فيما تجب مراعاته في اوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن المراعاة

المدن قرار تتخذه الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتوثر
الدعة والسكون وتتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك للقرار والماوى
وجب ان يراعي فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق
لها فاما الحماية من المضار فيراعي لها ان يدار على منازلها معا سياج الاسوار
وان يكون وضع ذلك في متمنع من الامكنة اما على هضبة متوعرة من الجبل واما
باستدارة بحر او نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر او قنطرة
فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها ومما يراعى
في ذلك للحماية من الافات السماوية طيب الهوا للسلامة من الامراض فان الهوا اذا
كان راكدا خبيثا او مجاورا للمياه فاسدة ومناقع متعفنة او مروج خبيثة
اسرع اليه العفن من مجاورتها فاسرع المرض للحيوان الكاين فيه لا محالة وهذا
مشاهد والمدن التي لم يراع فيها طيب الهوا كثيرة الامراض في الغالب وقد
اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قابس من بلاد الجريد بافريقية فلا يكاد ساكنها
او طارقها يخلص من حمى العفن بوجه ولقد يقال ان ذلك حادث فيها ولم تكن كذلك
من قبل ونقل البكري في سبب حدوثه انه وقع فيها حفر ظهر فيه على اناء من
نحاس مختوم بالرصاص فلما فض ختامه صعد منه دخان الى الجو وانقطع
وكان ذلك بدء امراض الحميات فيه واراد بذلك ان الاناء كان مشتملا على بعض
اعمال الطلسمات لوبائه وانه ذهب سره بذهابه فرجع اليه العفن والوباء وهذه
الحكاية من مذاهب العامة ومباحثهم الركيكة والبكري لم يكن من متانة العلم واستنارة
البصيرة بحيث يدفع مثل هذا او يتبين خرقه فنقله كما سمعه والذي يكشف الحق
في ذلك ان هين العفنة اكثر ما يهيئها لتعفين الاجسام وامراض الحميات الاهوية صح
ركودها فاذا تخللها الريح وتفشت وذهب بها يمينا وشمالا خف شان العفن
والمرض المتادي منها للحيوانات والبلد اذا كان كثير الساكن وكثرت حركات
اهله فيتموج الهوا ضرورة ويحدث الريح المتخلل للهوا الراكد ويكون ذلك معينا له
على الحركة والتموج واذا خف الساكن لم يجد الهوا معينا على حركته وتموجه
فبقي راكدا وعظم عفنه وكثر ضرره وبلد قابس هذه كانت عندما كانت افريقية
مستبحرة العمران كثيرة الساكن تموج باهلها موجا فكان ذلك معينا على تموج
الهوا واضطرابه وتخفيف الاذى منه فلم يكن فيها كبير عفن ولا مرض وعندما
خف ساكنها ركد هواها المتعفن بفساد مياهها فكثر العفن والمرض فهذا
وجهه لا غير ذلك وقد راينا عكس ذلك في بلاد وضعت ولم يراع فيها طيب

الهوا

الهوا كانت اولا قليلة الساكن فكانت امراضها كثيرة فلما كثر ساكنها انتقل
حالها عن ذلك وهذا مثل دار الملك بفاس لهذا العهد المسمى بالبلد الجديد وكثير
من ذلك في العالم فتفهمه تجد ما قلته لك وقد ذهب لهذا العهد القريب فساد الهوا
من قابس ونزل عفنها لما حاصرها سلطان تونس وقطع الغابة من النخل التي كانت
محيطة بها فانفرج لجانب منها وتموج الهوا المحيط بها وتخللته الرياح فذهب
منه العفن والله مصرف الامور واما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى
فيه امور منها الما وان يكون البلد على نهر او بازائها عيون عذبة ثرة فان وجود
الما قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الما وهي ضرورية فيكون لهم في وجوده
مرفقة عامة ومما يراعى من المرافق في المدن طيب المراعي لسايمتهم اذ صاحب
كل قرار لابد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ولابد لها من المرعى
فاذا كان قريبا طيبا كان ذلك ارفق لهم مما يعانون من المشقة في بعده
ومما يراعى ايضا المزارع فان الزرع هو القوت فاذا كانت مزارع البلد بالقرب
منها كان ذلك اسهل في اتخاذه واقرب في تحصيله ومن ذلك الشجر للحطب
والبنا فان الحطب مما تعم البلوى في اتخاذه لوقود النيران للاصطلا والخشب
ايضا ضروري لسقفهم وكثير مما يستعمل فيه الخشب من ضرورياتهم وقد يراعى ايضا
قربها من البحر لتسهيل الحاجات القصية من البلاد النائية الا ان ذلك ليس بمثابة
الاول وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجة وما تدعو اليه ضرورة الساكن
وقد يكون الواضع غافلا عن حسن الاختيار الطبيعي وانما يراعي ما هو اهم على
نفسه او قومه ولا يذكر حاجة غيرهم كما فعله العرب لاول الاسلام في المدن التي
اختطوها بالعراق والحجاز وافريقية فانهم لم يراعوا فيها الا الاهم عندهم
من مراعي الابل وما يصلح لها من الشجر والما الملح ولم يراعوا الما ولا المزارع ولا
الحطب ولا مراعي السايمة من ذوات الظلف ولا غير ذلك كالقيروان والكوفة
والبصرة وسجلماسة وامثالها ولهذا كانت اقرب الى الخراب لما لم تراع فيها الامور
الطبيعية **فصل** ومما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر ان تكون
في جبل او تكون بين امة من الامم موفورة العدد تكون صريخا للمدينة متى طرقها
طارق من العدو والسبب في ذلك ان المدينة اذا كانت حاضرة البحر
ولم يكن بساحتها عمران للقبايل اهل العصبيات ولا موضعها في متوعر من
الجبال كانت في غرة للبيات وسهل طروقها في الاساطيل البحرية على عدوها
وتحيفه لها لما يامن من وجود الصريخ لها وان الحضر المتعودين للدعة قد صاروا
عيالا وخرجوا عن حكم المقاتلة وهذا كالاسكندرية من المشرق وطرابلس
من المغرب وبونة وسلا ومتى كانت القبايل والعصبيات موطنين بقربها

بحيث يبلغهم الصريخ والنفير وكانت متوعرة المسالك على من يرومها باختطاطها في هضاب
الجبال او على اسنمتها كان لها بذلك منعة من العدو وييأسون من طروقها لما يكابدهم
من وعرها وما يتوقعونه من اجابة صريخها كما في سبتة وبجاية وبلد القل على صغرها
فافهم ذلك واعتبره في اختصاص الاسكندرية باسم الثغر من لدن الدولة العباسية
مع ان الدعوة كانت من ورائها ببرقة وافريقية وانما اعتبر في ذلك المخافة المتوقعة فيها
من البحر لسهولة وضعها ولذلك والله اعلم كان طروق العدو للاسكندرية وطرابلس
في الملة مرات متعددة

## فصل في المساجد والبيوت المعظمة في العالم

اعلم ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعا اختصها بتشريفه وجعلها مواطن لعبادته يضاعف
فيها الثواب وتنمو بها الاجور واخبرنا بذلك على السنة رسله وانبيائه لطفا بعباده
وتسهيلا لطرق السعادة لهم وكانت المساجد الثلاثة هي افضل بقاع الارض
فيما علمناه حسبما ثبت في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس فمكة بيت ابراهيم
صلوات الله عليه امره الله ببنائه وان يؤذن في الناس بالحج اليه فبناه هو وابنه اسمعيل
كما قصه القران وقام بما امره الله فيه وسكن اسمعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم
الى ان قبضهما الله ودفنا بالحجر منها وبيت المقدس هو بيت داود وسليمان عليهما السلام
امرهما الله [redacted] ببناء مسجده ونصب هياكله ودفن كثير من الانبياء من ولد اسحق
عليه السلام حواليه والمدينة مهاجر نبينا صلوات الله عليه [redacted] امره الله بالهجرة اليها واقامة
دين الاسلام بها وبنى مسجده الحرام بها وكان ملحده الشريف في تربتها فهذه
المساجد الثلاثة قرة عين المسلمين ومهوى افئدتهم وعظمة دينهم وفي الاثار من فضلها
ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروف فلنذكر [redacted] الان شيئا
من الخبر عن اولية هذه المساجد الثلثة وكيف تدرجت احوالها الى ان كمل ظهورها في العالم

فاما مكة فاوليتها فيما يقال ان ادم صلوات الله عليه بناها قبالة البيت المعمور
ثم هدمها الطوفان بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح يعول عليه وانما اقتبسوه من محتمل الاية
في قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت ثم بعث الله ابراهيم وكان من شانه
وشان زوجته سارة وغيرتها من هاجر ما هو معروف واوحى الله اليه ان يفارق هاجر
وينفيها مع ابنها اسمعيل الى فاران وهي جبال مكة مما وراء الشام وبلد ايلة فانتهى بها
الى هنالك ولحقت بمكان البيت وادركها العطش وكيف الله لهما من اللطف في نبع
ماء زمزم ومرور الرفقة من جرهم بهما حتى احتملوهما وسكنوا اليهما ونزلوا معهما حوالي زمزم
كما عرف في موضعه فاتخذ اسمعيل بموضع الكعبة بيتا ياوي اليه وادار عليه سياجا من
الدوم وجعله زربا لغنمه وجاء ابراهيم صلوات الله عليه مرارا لزيارته من الشام امر في اخرها
ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب فبناه واستعان فيه بابنه اسمعيل ودعا الناس الى



حجه وبقي اسمعيل ساكنا به ولما قبضت امه هاجر دفنها فيه ولم يزل قائما بخدمته
الى ان قبضه الله تعالى ودفن مع امه هاجر وقام بنوه بعده بامر البيت مع اخوالهم من جرهم
ثم العمالقة من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهوون اليها من كل افق من جميع اهل
الخليقة لا من بني اسمعيل ولا من غيرهم ممن دنا او نأى فقد نقل ان التبابعة كانت تحج
البيت وتعظمه وان تبع الذي يسمى ابا كرب اسعد كساها الملاء والوصائل وامر بتطهيرها
وجعل لها مفتاحا ونقل ايضا ان الفرس كانت تحجه وتقرب اليه وان غزالي الذهب
الذين وجدهما عبد المطلب حين احتفر زمزم كان من قرابينهم ولم يزل لجرهم الولاية عليه
بعد بني اسمعيل من قبل خؤولتهم حتى اخرجتهم خزاعة واقاموا بها بعدهم ما شاء الله
ثم كثر ولد اسمعيل وانتشروا وتشعبوا الى كنانة ثم كنانة الى قريش وغيرهم وساءت
ولاية خزاعة فغلبتهم قريش على امره واخرجوهم من البيت وملكوها وعليهم يومئذ قصي
ابن كلاب فبنى البيت وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل قال الاعشى

حلفت بثوبي راهب والتي بناها قصي وحده وابن جرهم

ثم اصاب البيت سيل في ولايتهم ويقال حريق وتهدم فاعادوا بناءه وجمعوا النفقة
لذلك من اموالهم وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشتروا خشبها للسقف وكانت
جدرانه فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا وكان الباب لاصقا بالارض فجعلوه
فوق القامة لئلا تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن اتمامه فقصروا عن قواعده
وتركوا منه ستة اذرع وشبرا اداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر وبقي البيت
على هذا البناء الى ان تحصن ابن الزبير بمكة حين دعا لنفسه وزحفت اليه جيوش
يزيد بن معوية مع الحصين بن نمير السكوني سنة اربع وستين فاصاب البيت حريق يقال
من النفط الذي رموا به على ابن الزبير فتصدعت حيطانه فهدمه ابن الزبير واعاد
بناءه احسن ما كان بعد ان اختلفت عليه الصحابة في بنائه واحتج عليهم بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعائشة لولا قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد
ابراهيم ولجعلت له بابين شرقيا وغربيا فهدمه وكشف عن اساس ابراهيم عليه السلام
وجمع الوجوه والاكابر حتى عاينوه واشار عليه ابن عباس بالتحري في حفظ القبلة
على الناس فادار على الاساس الخشب ونصب من فوقها الستور حفظا للقبلة
وبعث الى صنعاء في الفضة والكلس فجلبها وسال عن مقطع الحجارة الاول فجمع
منها ما احتاج اليه ثم شرع في البناء على اساس ابراهيم ورفع جدرانها سبعا
وعشرين ذراعا وجعل لها بابين لاصقين بالارض كما روي في حديثه وجعل
فرشها وازرها بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصفائح الابواب من الذهب ثم جاء
الحجاج لحصاره ايام عبد الملك ورمى على المسجد بالمنجنيقات الى ان تصدعت
حيطانه ثم لما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فيما بناه وزاده في البيت

فامر بهدمه ورد البيت على قواعد قريش كما هي اليوم ثم قيل انه ندم على ذلك حين علم
صحة رواية ابن الزبير لحديث عائشة وقال وددت اني كنت حملت ابا خبيب
من امر البيت وبنايه ما تحمل فهدم الحجاج منها ستة اذرع وشبرا مكان الحجر وبناها
على اساس قريش وسد الباب الغربي ورفع عتبة بابها اليوم من الباب الشرقي
وترك سايرها لم يغير منه شيئا فكل بنائها اليوم بناء ابن الزبير وبناء الحجاج في الحائط
صلة ظاهرة للعيان لحمة بين البنائين والبناء متميز عن البناء بمقدار اصبع شبه الصدع
وقد لحم ويعرض هنا اشكال قوي لمنافاته لما يقوله الفقهاء في امر الطواف ويحذر
الطائف ان يميل الى الشاذروان الدائر باساس الجدر من اسفلها فيقع طوافه داخل
البيت بناء على ان الجدار انما قام على بعض الاساس وترك بعضه وهو مكان
الشاذروان وكذا قالوا في تقبيل الحجر الاسود لا بد من رجوع الطائف من
التقبيل حتى يستوي قائما لئلا يقع بعض طوافه داخل البيت واذا كانت الجدر
كلها من بناء ابن الزبير وهو انما بنى على اساس ابراهيم فكيف يقع هذا الذي قالوه
ولا مخلص من ذلك الا باحد امرين اما ان يكون الحجاج هدم جميعه واعاده وقد نقل
ذلك جماعة الا ان العيان في شواهد البناء بالتحام ما بين البنائين وتمييز احد
الشقين من اعلاه عن الاخر في الصناعة يرد ذلك واما ان يكون ابن الزبير لم يرد
البيت على اساس ابراهيم من جميع جهاته وانما فعل ذلك في الحجر فقط ليدخله
فهي الان مع كونها من بناء ابن الزبير ليست على قواعد ابراهيم وهذا بعيد ولا محيص
عنهما والله اعلم ثم ان ساحة البيت وهو المسجد كان فضاء للطائفين
ولم يكن عليه جدار ايام النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر من بعده ثم كثر الناس
فاشترى عمر دورا هدمها وزادها في المسجد وادار عليه جدارا دون القامة
وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير ثم الوليد بن عبد الملك وبناه بعمد الرخام
ثم زاد فيه المنصور وابنه المهدي من بعده ووقفت الزيادة واستقر على
ذلك لعهدنا وتشريف الله لهذا البيت وعنايته اعظم من ان يحاط به وكفى
من ذلك ان جعله مهبطا للوحي والملائكة ومكانا للعبادة وفرض فيه شعائر الحج
ومناسكه واوجب لحرمه من ساير نواحيه من حقوق التعظيم والحق ما لم
يوجبه لغيره فمنع كل من خالف دين الاسلام من دخول ذلك الحرم واوجب على
داخله ان يتجرد من المخيط الا ازارا يستره وحمى العائذ به والرائع في مساربه
من مواقع الآفات فلا يراع فيه خائف ولا يصاد له وحش ولا يحتطب له شجر
وحد الحرم الذي يختص بهذه الحرمة من طريق المدينة ثلثة اميال الى التنعيم
ومن طريق العراق سبعة اميال الى ثنية جبل المنقطع ومن طريق الجعرانة
تسعة اميال الى الشعب ومن طريق الطائف سبعة اميال الى بطن نمرة

ودين بنايه صح

على صح

ومن

ومن طريق جدة عشرة اميال الى منقطع العشاير هذا شأن مكة وخبرها وتسمى
ام القرى وتسمى الكعبة لعلوها من اسم الكعب ويقال لها ايضا بكة قال الاصمعي
لان الناس يبك بعضهم بعضا اليها اي يدفع وقال مجاهد انما هي باكة ابدلوها
ميما كما قالوا لازم ولازب لقرب المخرجين وقال النخعي بل بالباء للبيت وبالميم
للبلد وقال الزهري بالباء للمسجد كله وبالميم للحرم وقد كانت الامم منذ عهد
الجاهلية تعظمه والملوك تبعث اليه بالاموال والذخاير ككسرى وغيره وقصة
الاسياف وغزالي الذهب التي وجدها عبد المطلب حين احتفر زمزم معروفة
وقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة في الجب الذي كان فيها
سبعين الف اوقية من الذهب مما كان الملوك تهدي الى البيت فيها
الفا الف دينار مكررة مرتين بمايتي قنطار وزنا وقال له علي بن ابي طالب
يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابي بكر
فلم يحركه هكذا قال الازرقي وفي البخاري بسنده الى ابي وايل قال جلست
الى شيبة بن عثمان وقال جلس الي عمر بن الخطاب فقال هممت ان لا ادع
فيها صفراء ولا بيضاء الا قسمتها بين المسلمين قلت ما انت بفاعل قال
ولم قلت لم يفعله صاحباك قال هما المرآن يقتدى بهما وخرجه ابو داود وابن
ماجه واقام ذلك المال الى ان كانت فتنة الافطس وهو الحسين بن الحسن
ابن علي بن زين العابدين سنة تسع وتسعين ومائة حين غلب على مكة عمد الى
الكعبة فاخذ ما في خزاينها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا فيها
لا ينتفع به نحن احق به نستعين به على حربنا واخرجه وتصرف فيه وبطلت
الذخيرة من الكعبة من يومئذ **واما بيت المقدس** وهو المسجد الاقصى
فكان اول امره ايام الصابئة موضعا لهيكل الزهرة وكانوا يقربون اليه الزيت
فيما يقربونه ويصبونه على الصخرة التي هنالك ثم دثر ذلك الهيكل واتخذها بنو اسرايل
حين ملكوها قبلة لصلاتهم وذلك ان موسى صلوات الله عليه لما خرج ببني اسرائيل
من مصر ليملكهم بيت المقدس كما وعد الله اباهم اسرائيل واباه اسحاق ويعقوب من
قبله واقاموا بارض التيه امره الله باتخاذ قبة من خشب السنط عين بالوحي
مقدارها وصفتها وهياكلها وتماثيلها وان يكون فيها تابوت وماين بصحافها ومنائرها
وقناديلها وان يصنع مذبحا للقربان ووصف ذلك كله في التوراة اكمل وصف
فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه الالواح المصنوعة
عوضا عن الالواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت ووضع المذبح عندها وعهد الله
الى موسى بان يكون هارون صاحب القربان ونصبوا تلك القبة بين خيامهم في
التيه يصلون اليها ويقربون في المذبح امامها ويتعرضون للوحي عندها ولما ملكوا

ارض الشام انزلوها بكلكال من بلاد الارض المقدسة ما بين قسم بني يامين وبني
افرايم وبقيت هنالك اربع عشرة سنة سبعا مدة الحرب وسبعا بعد الفتح
ايام قسمة البلاد ولما توفي يوشع عليه السلام نقلوها الى بلد شيلو قريبا من كلكال وادار[وا]
عليها الحيطان واقامت على ذلك ثلثمائة سنة حتى ملكها بنو فلسطين من ابنيهم كما مر
وتغلبوا عليهم ثم ردوا عليهم القبة ونقلوها [redacted] بعد وفاة عالي الكوهن الى نوف
ثم نقلت ايام طالوت الى كبعون في بلاد بني يامين فلما ملك داود عليه السلام نقل
القبة والتابوت الى بيت المقدس وجعل عليها خباء خاصا ووضعها على الصخرة
وبقيت تلك القبة قبلتهم واراد داود عليه السلام بناء مسجد على الصخرة مكانها فلم يتم له
ذلك وعهد به الى ابنه سليمان فبناه لاربع سنين من ملكه ولخمسمائة سنة من وفاة
موسى عليه السلام واتخذ عمده من الصفر وجعل فيه صرح الزجاج وغشى ابوابه وحيطانه
بالذهب وصاغ هياكله وتماثيله واوعيته ومناوره ومفاتيحه من الذهب وجعل
ظهره مقبوا ليودع فيه تابوت العهد وجاء به من صهيون بلد ابيه داود نقله اليها
ايام عمارة المسجد فجيء به تحمله الاسباط والكهنونية حتى وضع في القبو ووضعت
القبة والاوعية والمذبح كل حيث اعد له من المسجد واقام كذلك ما شاء الله
ثم خربه بختنصر بعد ثمانمائة سنة من بنائه واحرق التوراة والعصاة وسبك
الهياكل ونثر الاحجار ثم لما اعادهم ملوك الفرس بناه عزير نبي بني اسرائيل العهد
باعانة بهمن ملك الفرس الذي كانت الولادة لبني اسرائيل عليه من سبي بختنصر
وحد لهم في بنائه حدودا دون [redacted] بناء سليمن عليه السلام فلم يتجاوزوها
واما الاواوين التي تحت المسجد يركب بعضها بعضا عمودا الاعلى منها على
قوس الاسفل في طبقتين ويتوهم كثير من الناس انها اصطبلات سليمن عليه السلام
وليس كذلك وانما بناها [redacted] تنزيها للبيت المقدس عما يتوهمون من
النجاسات لان النجاسة في شريعتهم واذا كانت في باطن الارض [redacted]
بحيث يصل ما بينها وبين الظاهر خط مستقيم [redacted]
[redacted] ينجس ذلك الظاهر بالتوهم والمتوهم عندهم كالمحقق فبنوا هذه الاواوين
على هذه الصورة [redacted] بعمود الاواوين السفلية الى اقواسها وينقطع خط كان
[redacted] ليكون ذلك ابلغ في الطهارة
[redacted] والتقديس ثم تداولتهم ملوك يونان والفرس والروم واستفحل الملك
لبني اسرائيل في هذه المدة لبني حشمناي من كهنونيتهم ثم لصهرهم هيردوس
ولبنيه من بعدهم وبنى هيردوس بيت المقدس على حدود سليمان عليه السلام
وتأنق فيه حتى اكمله في ست [redacted] سنين فلما جاء طيطش من ملوك الروم
وغلبهم وملك امرهم خرب بيت المقدس ومسجدها وامر ان يزرع مكانه ثم اخذ الروم

وكان ما بينها وبين ظاهر الارض محشوا بالتراب صح

يلتقي صح

فلا تتصل النجاسة ابدا على خط مستقيم وتنزه البيت عن هذه النجاسة المتوهمة

بدين

بدين المسيح عليه السلام ودانوا بتعظيمه ثم اختلف حال ملوك الروم في الاخذ بدين
النصرانية تارة وتركه اخرى الى ان جاء قسطنطين وتنصرت امه هيلانة وارتحلت
الى القدس في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعمهم فاخبروها القمامسة
بانه رمي بخشبته على الارض والقي عليه القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة
وبنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة كانها على قبره بزعمهم وخربت ما وجدت
من عمارة البيت وامرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها وخفي مكانها
جزاء بزعمها لما فعلوه في قبر المسيح ثم بنوا ازاء القمامة بيت لحم وهو البيت
الذي ولد فيه عيسى عليه السلام وبقي الامر كذلك الى ان جاء الاسلام وحضر
عمر لفتح بيت المقدس وسال عن الصخرة فاري مكانها وقد علاها الزبل والتراب
فكشف عنها وبنى عليها مسجدا على طريق البداوة وعظم من شانه ما اذن الله في
تعظيمه وما سبق في ام الكتاب من فضله حسبما ثبت ثم احتفل الوليد بن عبد الملك
في تشييد مسجده على سنن مساجد الاسلام بما شاء الله من الاحتفال كما فعل
في المسجد الحرام وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وفي مسجد دمشق
وكانت العرب تسميه بلاط الوليد والزم ملك الروم ان يبعث الفعلة
والمال لبناء هذه المساجد وان ينمقوها بالفسيفساء فاطاع لذلك وتم بناؤها
على ما اقترحه ثم لما ضعف امر الخلافة اعوام الخمسمائة من الهجرة وفي آخرها
وكانت في ملكة العبيديين خلفاء القاهرة من الشيعة واختل امرهم زحف
الفرنجة الى بيت المقدس فملكوه وملكوا معه عامة ثغور الشام وبنوا على
الصخرة المقدسة منه كنيسة كانوا يعظمونها ويفتخرون ببنائها حتى اذا
استقل صلاح الدين بن ايوب الكردي بملك مصر والشام ومحا اثر العبيديين
وبدعهم زحف الى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة حتى غلبهم على البيت المقدس
وعلى ما كانوا ملكوه من ثغور الشام وذلك لنحو ثمانين وخمسمائة من الهجرة
وهدم تلك الكنيسة واظهر الصخرة وبنى المسجد على النحو الذي هو عليه
لهذا العهد ولا يعرض لك الاشكال المعروف في الحديث الصحيح ان النبي صلى
الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع فقال مكة فقيل بيت المقدس فقيل
فكم بينهما قال اربعون سنة فان المدة بين بناء مكة وبين بناء بيت المقدس
بمقدار ما بين ابراهيم وسليمن لان سليمن بانيها وهو ينيف على الالف بكثير
واعلم ان المراد بالوضع في الحديث ليس البناء وانما المراد اول بيت عين
للعبادة ولا يبعد ان يكون بيت المقدس عين للعبادة قبل سليمن بمثل
هذه المدة وقد نقل ان الصابئة بنوا على الصخرة هيكل الزهرة فلعل ذلك لانها
كانت مكانا للعبادة كما كانت الجاهلية تضع الاصنام والتماثيل حول الكعبة

ثم اي قال صح

من جوفها [stain] والصابئة الذين بنوا هيكل الزهرة كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام فلا تبعد
مدة الاربعين سنه بين وضع مكة للعبادة ووضع بيت المقدس وان لم يكن هناك
بنا كما هو المعروف وان اول من بنا بيت المقدس سليمان عليه السلام فتفهمه ففيه
حل هذا الاشكال **واما المدينة** وهي المسماة يثرب فهي من بنا يثرب بن مهلايل
من العمالقة وبه سميت وملكها بنو اسرايل من ايديهم فيما ملكوه من ارض الحجاز ثم جاورهم
ابنا قيلة من غسان وغلبوهم عليها وعلى حصونها ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة اليها
لما سبق من عناية الله لها فهاجر اليها ومعه ابو بكر وتبعه اصحابه ونزل بها وبنى
مسجده وبيوته في الموضع الذي كان الله قد اعده لذلك وشرفه في سابق ازله واواه
ابنا قيلة ونصروه وبذلك سموا الانصار وتمت كلمة الاسلام من المدينة حتى علت على
الكلمات وظهر على قومه وفتح مكة وملكها وظن الانصار انه يتحول عنهم الى بلده
فاهمهم ذلك فخطبهم صلى الله عليه وسلم واخبرهم انه غير متحول حتى اذا قبض صلى الله عليه
وسلم كان ملحده الشريف بها وجا في فضلها من الاحاديث الصحيحة ما لا خفا فيه
ووقع الخلاف بين العلما في تفضيلها على مكة وقال به مالك رحمه الله لما ثبت عنده
في ذلك من النص الصحيح عن رافع بن خديج ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المدينة خير من
مكة نقل ذلك عبد الوهاب في المعونة الى احاديث اخرى تدل بظاهرها
على ذلك وخالف ابو حنيفة والشافعي واصبحت على كل حال ثانية المسجد الحرام
وجنح اليها الامم بافيدتهم من كل اوب فانظر كيف تدرجت الفضيلة في هذه
المساجد المعظمة لما سبق من عناية الله لها وتفهم سر الله في الكون وتدريجه على
ترتيب محكم في امور الدين والدنيا **واما** غير هذه المساجد الثلثة فلا نعلمه في
الارض الا ما يقال من شان مسجد ادم عليه السلام بسرنديب من جزاير الهند لكنه
لم يثبت فيه شي يعول عليه وقد كانت للامم في القدم مساجد يعظمونها على جهة
الديانة بزعمهم منها بيوت النار للفرس وهياكل يونان وبيوت العرب بالحجاز
التي امر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمها في غزواته وقد ذكر المسعودي منها بيوتا لسنا
من ذكرها في شي اذ هي غير مشروعة ولا هي على طريق ديني فلا يلتفت اليها ولا الى الخبر عنها
ويكفي في ذلك ما وقع في التواريخ فمن اراد معرفة الاخبار فعليه بها والله يهدي من يشا

## فصل في ان الامصار والمدن بافريقية والمغرب قليلة

والسبب في ذلك ان هذه الاقطار كانت للبربر منذ الاف من السنين قبل الاسلام
وكان عمرانها كله بدويا ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل احوالها والدول
التي ملكتهم من الافرنجة والعرب لم يطل امد ملكهم فيهم حتى ترسخ الحضارة منها فلم تزل
عوايد البداوة وشونها فكانوا اليها اقرب فلم تكثر مبانيهم وايضا فالصنايع بعيدة
عن البربر لانهم اعرق في البدو والصنايع من توابع الحضارة وانما تتم المباني



بها فلا بد من الحذق في تعلمها ولما لم يكن للبربر انتحال لها لم يكن لهم تشوف الى المباني
فضلا عن المدن وايضا فهم اهل عصبيات وانساب لا يخلو عن ذلك جمع منهم
والانساب والعصبية انجح الى البدو وانما يدعو الى المدن الدعة والسكون ويصير
ساكنها عيالا على حاميتها فتجد اهل البدو لذلك يستنكفون من سكنى المدينة
او المقامة بها ولا يدعوهم لذلك الا الترف والغنى وقليل ما هو في ايدي الناس فلذلك
كان عمران افريقية والمغرب كله او اكثره بدويا اهل خيام وظواعن وقياطن وكنن في
الجبال وكان عمران بلاد العجم كله او اكثره قرى وامصارا ورساتيق في بلاد
الاندلس والشام ومصر وعراق العجم وامثالها لان العجم في الغالب ليسوا باهل
انساب يحافظون عليها ويتباهون في صراحتها والتحامها الا في الاقل واكثر
ما يكون سكنى البدو لاهل الانساب لان لحمة النسب اقرب واشد
فتكون عصبيته كذلك وتنزع بصاحبها الى سكنى البدو والتجافي عن المصر الذي
يذهب بالبسالة ويصيره عيالا على غيره فافهمه وقس عليه

## فصل في ان المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول

والسبب في ذلك ما ذكرنا مثله في البربر بعينه اذ العرب ايضا اعرق في البدو وابعد
عن الصنائع وايضا فكانوا اجانب من الممالك التي استولوا عليها قبل الاسلام
ولما تملكوها لم ينفسح الامد حتى تستوفي رسوم الحضارة مع انهم استغنوا بما وجدوا
من مباني غيرهم وايضا فكان الدين اول الامر مانعا من المغالاة في البنيان
والاسراف فيه في غير القصد كما عهد لهم عمر حين استاذنوه في بنا الكوفة بالحجارة
وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل فقال افعلوا ولا يزيدن احد
على ثلثة ابيات ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة وعهد
الى الوفد وتقدم الى الناس ان لا يرفعوا بنيانا فوق القدر قالوا وما القدر قال ما لا يقربكم
من السرف ولا يخرجكم عن القصد فلما بعد العهد بالدين والتحرج في امثال هذه المقاصد
وغلبت طبيعة الملك والترف واستخدم العرب امة الفرس واخذوا عنهم الصنائع والمباني
ودعتهم اليها احوال والمصانع وكان عهد ذلك قريبا بانقراض الدولة ولم ينفسح
الامد لكثرة البنا واختطاط المدن والامصار الا قليلا وليس كذلك غيرهم من الامم
فالفرس طالت مدتهم الافا من السنين وكذلك القبط والنبط وكذلك العرب الاولى
من عاد وثمود والعمالقة والتبابعة طالت امادهم ورسخت الصنائع فيهم فكانت مبانيهم
وهياكلهم اكثر عددا وابقى على الايام اثرا واستبصر في هذا تجده كما قلت لك والله وارث
الارض ومن عليها

الدعة والترف وحينئذ
شيدوا المباني
والمدن

## فصل في ان المباني التي تختطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل

والسبب في ذلك شان البداوة والبعد عن الصنائع كما قدمناه فلا تكون المباني
وثيقة في تشييدها وله والله اعلم وجه اخر وهو امس به وذلك قلة مراعاتهم

لحسن الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه من المكان وطيب الهوا والمياه والمزارع فان
بالتفاوت في هذه تتفاوت جودة المصر ورداءته من حيث العمران الطبيعي والعرب
بمعزل عن هذا وانما يراعون مراعي ابلهم خاصة لا يبالون بالماء طاب ام خبث ولا قل ام كثر
ولا يسألون عن زكي المزارع والمنابت والاهوية لانتقالهم في الارض ونقلهم الحبوب
من البلد البعيد واما الرياح فالقفر مختلف للمهاب كلها والظعن كفيل لهم بطيبها لان
الرياح انما تخبث مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة
والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها الا مراعي ابلهم وما يقرب من القفر ومسالك
الظعن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن ولم تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم
كما قدمنا انه يحتاج اليه في حفظ العمران فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار ولم تكن
في وسط الامم فيعمرها الناس فلاول وهلة من انحلال امرهم وذهاب عصبيتهم التي
كانت سياجا لها اتى عليها الخراب والانحلال كان لم تكن والله يحكم لا معقب لحكمه

## فصل في مبادي الخراب في الامصار

اعلم ان الامصار
اذا اختطت اولا تكون قليلة المساكن وقليلة آلات البناء من الحجر والكلس وغيرهما
مما يعالى على الحيطان عند التأنق كالزليج والرخام والفسيفساء والسبج
والصدف والزجاج فيكون بناؤها يومئذ بدويا والاتها فاسدة فاذا عظم
عمران المدينة وكثرت ساكنها كثرت الاتها بكثرة الاعمال حينئذ وكثرة الصنايع الى ان
تبلغ غايتها من ذلك كما سبق في شأنها فاذا تراجع عمرانها وقل ساكنها
قلت الصنايع لاجل ذلك ففقدت الاجادة في البناء والاحكام والمغالاة عليه
بالتنميق ثم تقل الاعمال لعدم الساكن فيقل جلب الالات من الحجر والرخام وغيرها
فتفقد ويصير بناؤهم وتشييدهم من الالات [illegible] التي في مبانيهم ينقلونها
من مصنع الى مصنع لاجل خلاء اكثر المصانع والقصور والمنازل لقلة العمران وقصوره
عما كان اولا ثم لا تزال تنقل من قصر الى قصر ومن دار الى دار الى ان يفقد الكثير منها
جملة فيعودون الى البداوة في البناء واتخاذ الطوب عوضا عن الحجارة والقصور عن
التنميق بالكلية فيعود بناء المدينة مثل بناء القرى والمداشر ويظهر عليها ميسم البداوة ثم تمر
في التناقص الى غايتها في الخراب ان قدر لها به سنة الله في خلقه

## فصل في ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرفه ونفاق الاسواق انما هو بتفاضل عمرانها في الكثرة والقلة

والسبب في ذلك انه قد عرف وثبت ان الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل
حاجاته في معاشه وانهم متعاونون جميعا في عمرانهم على ذلك والحاجة التي
تحصل بتعاون طايفة منهم تسد ضرورة الاكثر من عددهم اضعافا فالقوت
من الحنطة مثلا لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه واذا انتدب لتحصيله الستة



او العشرة من حداد ونجار للالات وقايم على البقر واثارة الارض وحصاد السنبل
وساير مؤن الفلح وتوزعوا على تلك الاعمال او اجتمعوا وحصل بعملهم ذلك مقدار
من القوت فانه حينئذ قوت لاضعافهم مرات فالاعمال بعد الاجتماع زايدة على
حاجات العاملين وضروراتهم واهل مدينة او مصر اذا وزعت اعمالهم كلها على
مقدار ضروراتهم وحاجاتهم اكتفي فيها بالاقل من تلك الاعمال وبقيت الاعمال
كلها زايدة على الضرورات فتصرف في حالات الترف وعوايده وما يحتاج اليه
غيرهم من اهل الامصار ويستجلبونه منهم باعواضه وقيمته فيكون لهم بذلك حظ
من الغنى وقد تبين لك في الفصل الخامس في باب الكسب والرزق ان
المكاسب انما هي قيم الاعمال فاذا كثرت الاعمال كثرت قيمتها بينهم فكثرت
مكاسبهم ضرورة ودعتهم احوال الرفه والغنى الى الترف وحاجاته من التانق
في المساكن والملابس واستجادة الانية والماعون واتخاذ الخدم والمراكب
وهذه كلها اعمال تستدعى بقيمها ويختار المهرة في صناعتها والقيام عليها
فتنفق اسواق الاعمال والصنايع ويكثر دخل المصر وخرجه ويحصل اليسار لمنتحلي
ذلك من قبل اعمالهم ومتى زاد العمران زادت الاعمال ثانية ثم زاد الترف
تابعا للكسب وزادت عوايده وحاجاته واستنبطت الصنايع لتحصيلها
فزادت قيمها وتضاعف الكسب في المدينة لذلك ثانية ونفقت سوق الاعمال بها اكثر
من الاول وكذا في الزيادة الثانية والثالثة لان الاعمال الزايدة كلها تختص بالترف
والغنى بخلاف الاعمال الاصلية التي تختص بالمعاش فالمصر اذا فضل المصر بعمران
واحد فضله بزيادة كسب ورفه وبعوايد من الترف لا توجد في الاخر فما كان
عمرانه من الامصار اكثر واوفر كان حال اهله في الترف ابلغ من حال المصر الذي دونه
على وتيرة واحدة في الاصناف القاضي مع القاضي والتاجر مع التاجر والصانع
مع الصانع والامير مع الامير والشرطي مع الشرطي واعتبر ذلك في المغرب
مثلا بحال فاس مع غيرها من امصاره الاخرى مثل بجاية وتلمسان وسبتة
تجد بينهما بونا كثيرا على الجملة ثم على الخصوصيات فحال القاضي بفاس اوسع
من حال القاضي بتلمسان وكذا كل صنف مع اهل صنفه وكذا ايضا حال تلمسان
مع وهران والجزاير وحال وهران والجزاير مع ما دونهما الى ان تنتهي الى المداشر
الذين اعمالهم في ضرورات معاشهم فقط او يقصرون عنها وما ذاك الا
لتفاوت الاعمال فيها فكانها كلها اسواق للاعمال والخرج في كل سوق على
نسبته فالقاضي بفاس دخله كفاء خرجه وكذا القاضي بتلمسان وحيث الدخل
والخرج اكثر تكون الاحوال اعظم واوسع وهما بفاس اكثر لنفاق سوق الاعمال
بما يدعو اليه الترف فالاحوال اضخم ثم هكذا حال وهران وقسنطينة والجزاير

والسوقي مع السوقي صح

وبسكره حتى ننتهي كما قلنا الى الامصار التي لا تفي اعمالها بضروراتها ولا تعد في الامصار
اذ هي من قبيل القرى والمداشر فلذلك ما تجد اهل هذه الامصار الصغيرة ضعفاء
الحال متقاربين في الفقر والخصاصة لما ان اعمالهم لا تفي بضروراتهم ولا يفضل لهم عنها
ما يتأثلونه كسبا فلا تنمو امكاسبهم فهم لذلك محاويج مساكين الا في اقل النادر
واعتبر ذلك حتى في احوال الفقراء والسوال فان السايل بفاس احسن حالا من
السايل بتلمسان او وهران ولقد شاهدت السوال [redacted] بفاس يسالون
اثمان ضحاياهم ورايتهم يسالون كثيرا من احوال الترف واقتراح الماكل مثل
سوال اللحم والسمن ومثل علاج الطبخ والملابس والماعون كالغربال والانية ولو
سال السايل هذا بتلمسان او وهران لاستنكر وعنف وزجر ويبلغنا لهذا
العهد عن احوال اهل القاهرة ومصر من الغنى والترف في عوايدهم ما نقضي منه العجب
حتى ان كثيرا من فقراء المغرب ينزعون الى النقلة الى مصر لذلك ولما يبلغهم من
ان شان الرفه بمصر اعظم من غيرها وتعتقد العامة من الناس ان ذلك لزيادة الاموال
في تلك الافاق وان الاموال مختزنة لديهم وانهم اكثر صدقة وايثارا من جميع
اهل الامصار وليس كذلك وانما هو لما تعرفه من ان عمران مصر والقاهرة اكثر
من عمران هذه الامصار التي لديك فعظمت لذلك احوالهم واما حال الدخل والخرج
فمتكافي في جميع الامصار ومتى عظم الدخل عظم الخرج بالعكس ومتى عظم الدخل
والخرج اتسعت احوال الساكن ووسع المصر كل شي يبلغك من هذا فلا تنكره
واعتبره بكثرة العمران وما يكون عنه من كثرة المكاسب التي يسهل بسببها
البذل والايثار على مبتغيه ومثله بشان الحيوانات العجم مع بيوت المدينة
الواحدة وكيف تختلف احوالها في هجرانها او غشيانها فان بيوت اهل النعم والثروة
والموايد الخصبة منها يكثر بساحتها وافنيتها نثير الحبوب وسواقط الفتات
فيزدحم عليها غواشي النمل والخشاش ويكثر في اسرابها الجرذان وتاوي اليها السنانير
وتحلق فوقها عصايب الطيور حتى تروح بطانا وتمتلي شبعا وريا وبيوت اهل
الخصاصة والفقر الكاسدة ارزاقهم لا يسري بساحتها دبيب ولا تحلق بجوها طاير
ولا تاوي الى اسراب بيوتها فارة ولا هر كما قال

يسقط الطير حيث يلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء

فتامل سر الله في ذلك واعتبر غاشية الاناسي بغاشية العجم من الحيوانات
وفتات الموايد بفضلات الرزق والترف وسهولتها على من يبذلها لاستغنايهم
عنها في الاكثر بوجود امثالها لديهم واعلم ان اتساع الاحوال وكثرة
النعم في العمران تابع لكثرته والله غني عن العالمين

## فصل في اسعار المدن

اعلم



اعلم ان الاسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فمنها الضروري ومنها الاقوات
من الحنطة والشعير وما في معناهما كالباقلا والحمص والجلبان وساير حبوب
الاقوات ومصلحاتها كالبصل والثوم واشباهه ومنها الحاجي والكمالي من الادم
والفواكه والملابس والماعون والمراكب وساير الصنايع والمباني فاذا استبحر
المصر وكثر ساكنه رخصت اسعار الضروري من القوت وما في معناه وغلت
اسعار الكمالي من الادم والفاكهة وما يتبعها واذا قل ساكن المصر وضعف عمرانه
كان الامر بالعكس من ذلك والسبب في ذلك ان الحبوب من ضرورات القوت
فتتوفر الدواعي على اتخاذها اذ كل احد لا يهمل قوت نفسه ولا قوت منزله لشهره
او سنته فيعم اتخاذها اهل المصر اجمع او الاكثر منهم في ذلك المصر او فيما
قرب منه لا بد من ذلك وكل متخذ لقوته فتفضل عنه وعن اهل بيته فضلة
كبيرة تسد خلة كثيرين من اهل ذلك المصر فتفضل الاقوات عن اهل المصر من غير
شك فترخص اسعارها في الغالب الا ما يصيبها في بعض السنين من الافات
السماوية ولولا احتكار الناس لها لما يتوقع من تلك الافات لبذلت دون ثمن
ولا عوض لكثرتها بكثرة العمران واما ساير المرافق من الادم والفواكه وما اليها
فانها لا تعم بها البلوى ولا يستغرق اتخاذها اعمال اهل المصر اجمعين ولا
الكثير منهم ثم ان المصر اذا كان مستبحرا موفور العمران كثير حاجات الترف
توفرت حينئذ الدواعي على طلب تلك المرافق والاستكثار منها كل بحسب
حاله فيقصر الموجود منها على الحاجات قصورا بالغا ويكثر المستامون
لها وهي قليلة في نفسها فتزدحم الاغراض ويبذل اهل الرفه والترف اثمانها
باسراف في الغلا لحاجتهم اليها اكثر من غيرهم فيقع فيها الغلا كما تراه
واما الصنايع والاعمال في الامصار الموفورة العمران فسبب الغلا فيها امور ايضا صح
ثلاثة الاول كثرة الحاجة لمكان الترف في المصر بكثرة عمرانه والثاني اعتزاز اهل
الاعمال بخدمتهم وامتهان انفسهم لسهولة المعاش في المدينة بكثرة اقواتها
والثالث كثرة المترفين وكثرة حاجاتهم الى امتهان غيرهم والى استعمال الصناع
في مهنهم فيبذلون في ذلك لاهل الاعمال اكثر من قيمة اعمالهم مزاحمة ومنافسة
في الاستيثار بها فيعتز العملة والصناع واهل الحرف وتغلو اعمالهم وتكثر
نفقات اهل المصر في ذلك واما الامصار الصغيرة والقليلة الساكن فاقواتهم
قليلة لقلة العمل فيها وما يتوقعونه لصغر مصرهم من عدم القوت فيتمسكون
بما يحصل منه بايديهم ويحتكرونه فيعز وجوده لديهم ويغلو ثمنه على مستامه
واما مرافقهم فلا تدعو [redacted] اليها ايضا لقلة الساكن وضعف الاحوال فلا تنفق حاجة صح
لديهم سوقه فيختص بالرخص في سعره وقد يدخل في قيمة الاقوات ما يفرض عليها

من المكوس والمغارم للسلطان في الأسواق وأبواب المصر وللجباة في منافع يفرضونها على البياعات لأنفسهم ولذلك كانت الأسعار في الأمصار أغلى من أسعار البادية إذ المكوس والمغارم والفرائض قليلة لديهم أو معدومة وفي الأمصار بالعكس سيما في آخر الدولة وقد يدخل أيضا في قيمة الأقوات قيمة علاجها في الفلح ويحافظ على ذلك في أسعارها كما وقع بالأندلس لهذا العهد وذلك أنهم لما ألجأهم النصارى إلى سيف البحر وبلاده المتوعرة الخبيثة الزراعة النكدة النبات وملكوا عليهم الأرض الزاكية والبلد الطيب فاحتاجوا إلى علاج المزارع والفدن لإصلاح نباتها وفلحها وكان ذلك العلاج بأعمال ذات قيم ومواد من الزبل وغيره لها مؤونة وصارت في فلحهم نفقات لها خطر فاعتبروها في سعرهم واختص قطر الأندلس بالغلاء منذ اضطرهم النصارى إلى هذا المعمور بالإسلام مع سواحلها لأجل ذلك ويحسب الناس إذا سمعوا بغلاء الأسعار في قطرهم أنها لقلة الأقوات والحبوب بأرضهم وليس كذلك فهم أكثر أهل المعمور فلحا فيما علمناه وأقومهم عليه وقل أن يخلو منهم سلطان أو سوقة عن فدان أو مزرعة أو فلح إلا قليلا من أهل الصناعات والمهن أو الطراء على الوطن من الغزاة المجاهدين ولهذا يختصهم السلطان في عطائهم بالعولة وهي أقواتهم وعلوفتهم من الزرع وإنما السبب في غلاء سعر الحبوب عندهم ما ذكرناه ولما كانت بلاد البربر بالعكس من ذلك في زكاء منابتهم وطيب أرضهم ارتفعت عنهم المؤن جملة في الفلح مع كثرته وعمومه فصار ذلك سببا لرخص [redacted] الأقوات ببلدهم والله مقدر الليل والنهار

بلدهم صح

١٣

## فصل في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران

والسبب في ذلك أن المصر الكثير العمران يكثر ترفه كما قدمناه وتكثر حاجات ساكنيه من أجل الترف وتعتاد تلك الحاجات لما يدعو إليها فتنقلب ضرورات وتصير الأعمال فيه كلها مع ذلك عزيزة والمرافق غالية بازدحام الأغراض عليها من أجل الترف وبالمغارم السلطانية التي توضع على الأسواق والبياعات وتعتبر في قيم المبيعات ويعظم فيها الغلاء في المرافق والأقوات والأعمال فتكثر لذلك نفقات ساكنيه كثرة بالغة على نسبة عمرانه ويعظم خرجه فيحتاج حينئذ إلى المال الكثير للنفقة على نفسه وعياله في ضرورات عيشهم وسائر مؤنهم والبدوي لم يكن دخله كثيرا إذ هو ساكن بمكان كاسد الأسواق في الأعمال التي هي سبب الكسب فلم يتأثل كسبا ولا مالا فيتعذر عليه من أجل ذلك سكنى المصر الكبير لغلاء مرافقه وعزة حاجاته وهو في بدوه يسد خلته بأقل الأعمال لأنه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤنه فلا يضطر إلى المال وكل من يتشوف إلى المصر وسكناه من أهل البادية فسريعا ما يظهر عجزه ويفتضح في استيطانه إلا من يقدم منهم تأثل المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويجري إلى الغاية الطبيعية لأهل العمران من الدعة والترف

فحينئذ

فحينئذ ينتقل إلى المصر وينتظم حاله مع أحوال أهله في عوائدهم وترفهم وهكذا شأن بداية عمران الأمصار والله بكل شيء محيط

## فصل في أن الأقطار في اختلاف أحوالها بالرفه والفقر مثل الأمصار

اعلم أن [redacted] ما توفر عمرانه من الأقطار وتعددت الأمم في جهاته وكثر ساكنه اتسعت أحوال أهله وكثرت أموالهم وأمصارهم وعظمت دولهم وممالكهم والسبب في ذلك كله ما ذكرناه من كثرة الأعمال وما سيأتي ذكره من أنها سبب للثروة بما يفضل عنها بعد الوفاء بالضروريات في حاجات الساكن من الفضلة البالغة على مقدار العمران وكثرته فيعود على الناس كسبا يتأثلونه حسبما نذكر ذلك في فصل المعاش وبيان الرزق والكسب فيتزيد الرفه لذلك وتتسع الأحوال ويجيء الترف والغنى وتكثر الجباية للدولة بنفاق الأسواق فيكثر مالها ويشمخ سلطانها ويتفنن في اتخاذ المعاقل والحصون واختطاط المدن وتشييد الأمصار واعتبر ذلك بأقطار المشرق مثل مصر والشام وعراق العجم والهند والصين وناحية الشمال كلها وأقطارها وراء البحر الرومي لما كثر عمرانها كيف كثر المال فيهم وعظمت دولهم وتعددت مدنهم وحواضرهم وعظمت متاجرهم وأحوالهم فالذي نشاهده لهذا العهد من أحوال تجار الأمم النصرانية الواردين على المسلمين بالمغرب في رفههم واتساع أحوالهم أكثر من أن يحيط به الوصف وكذا تجار أهل المشرق وما يبلغنا عن أحوالهم وأبلغ منها أحوال أهل المشرق الأقصى من عراق العجم والهند والصين فإنه يبلغنا عنهم في باب الغنى والرفه أحوال غريبة تسير الركبان بحديثها وربما تتلقى بالإنكار في غالب الأمر ويحسب من يسمعها من العامة أن ذلك لزيادة في أموالهم أو لأن المعادن الذهبية والفضية أكثر بأرضهم أو لأن ذهب الأقدمين من الأمم استأثروا به دون غيرهم وليس كذلك فمعدن الذهب الذي نعرفه في هذه الأقطار إنما هو من بلاد السودان وهي إلى المغرب أقرب وجميع ما في أرضهم من البضاعة فإنما يجلبونه إلى غير بلادهم للتجارة فلو كان المال عتيدا موفورا لديهم لما جلبوا بضائعهم إلى سواهم يبتغون بها أموال الناس ولاستغنوا عن أموال الناس بالجملة ولقد ذهب المنجمون لما رأوا مثل ذلك واستغربوا ما في المشرق من كثرة الأحوال واتساعها ووفور أموالها فقالوا بأن عطايا الكواكب والسهام في مواليد أهل المشرق أكثر منها حصصا في مواليد أهل المغرب وذلك صحيح من جهة المطابقة بين الأحكام النجومية والأحوال الأرضية كما قلناه وهم إنما أعطوا في ذلك السبب النجومي وبقي عليهم أن يعطوا السبب الأرضي وهو ما ذكرناه من كثرة العمران واختصاصه بأرض المشرق وأقطاره وكثرة العمران تفيد كثرة الكسب بكثرة الأعمال التي هي سببه فلذلك

اختص المشرق بالرفه من بين الافاق لا ان ذلك لمجرد الاثر النجومي فقد فهمت مما اشرنا
لك اولا انه لا يستقل بذلك فان المطابقة بين حكمه وعمران الارض وطبيعتها امر لا بد منه
واعتبر حال هذا الرفه من العمران في قطر افريقية وبرقة لما خف ساكنها وتناقص
عمرانها كيف تلاشت احوال اهلها وانتهوا الى الفقر والخصاصة وضعفت جباياتها
فقلت اموال دولها بعد ان كانت دول الشيعة وصنهاجة بها على ما بلغك من الرفه
وكثرة الجبايات واتساع الاحوال في نفقاتهم واعطياتهم حتى لقد كانت الاموال
ترفع من القيروان الى صاحب مصر لحاجاته ومهماته في غالب [redacted] الاوقات
وكانت اموال الدولة بحيث حمل جوهر [redacted] الكاتب في سفره الى فتح مصر الف حمل
من المال يستعدها لارزاق الجنود واعطياتهم ونفقات الغزاة وقطر المغرب وان
كان في القديم دون افريقية فلم يكن بالقليل في ذلك وكانت احواله في دول الموحدين
متسعة وجباياته موفورة وهو لهذا العهد قد اقصر عن ذلك لقصور العمران فيه
وتناقصه فقد ذهب من عمران البربر فيه اكثره ونقص عن معهوده نقصا ظاهرا محسوسا
وكاد ان يلحق في احواله بمثل احوال افريقية بعد ان كان عمرانه متصلا من البحر الرومي الى بلاد
السودان في طول ما بين السوس الاقصى وبرقة وهي اليوم كلها او اكثرها قفار وخلاء وصحار
الا ما هو منها بسيف البحر او ما يقاربه من التلول والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

## فصل في تاثل العقار والضياع في الامصار وحال فوائدها ومستغلاتها

اعلم ان تاثل العقار والضياع الكثيرة لاهل المدن والامصار لا يكون دفعة ولا في
عصر واحد اذ ليس يكون لاحد منهم من الثروة ما يملك به الاملاك التي تخرج قيمتها عن الحد
ولو بلغت احوالهم في الرفه ما عسى ان تبلغ وانما يكون ملكهم لها وتاثلهم تدريجا اما
بالوراثة من ابائه وذوي رحمه حتى تتادى املاك الكثير منهم الى الواحد واكثر كذلك
او يكون بحوالة الاسواق فان العقار في اواخر الدولة واول الاخرى عند فناء الحامية
وخرق السياج وتداعي المصر الى [redacted] الخراب تقل الغبطة به لقلة المنفعة فيها
بتلاشي الاحوال فترخص قيمها وتتملك بالاثمان اليسيرة وتتخطى بالميراث الى ملك
الاخر [redacted] وقد استجد المصر شبابه باستفحال الدولة الثانية وانتظمت
له احوال حسنة يحصل معها الغبطة في العقار والضياع لكثرة منافعها حينئذ
فتعظم قيمها ويكون لها خطر لم يكن في الاول وهذا معنى الحوالة فيها ويصبح مالكها
فيها من اغنى اهل المصر وليس ذلك بسعيه واكتسابه اذ قدرته تعجز عن مثل
ذلك واما فوائد العقار والضياع فهي غير كافية لمالكها في حاجات معاشه اذ هي
لا تفي بعوائد الترف واسبابه وانما هي في الغالب لسد الخلة وضرورة المعاش
والذي سمعناه من مشيخة البلدان ان القصد باقتناء الملك من العقار والضياع انما
هو الخشية على من يترك خلفه من الذرية الضعاف ليكون مرباهم به ورزقهم فيه ونشوهم

بغايته

بغايته ما داموا عاجزين عن الاكتساب فاذا اقتدروا على تحصيل المكاسب سعوا فيها
بانفسهم وربما يكون من الولد من يعجز عن التكسب لضعف في بدنه او افة في عقله المعاشي
فيكون ذلك العقار قواما لحاله هذا قصد المترفين في اقتنائه واما التمول منه واجراء
احوال المترفين فلا وقد يحصل ذلك منه للقليل او النادر بحوالة الاسواق وحصول الكثرة
البالغة منه والعالي في جنسه وقيمته في المصر الا ان ذلك اذا حصل فربما امتدت اليه
اعين الامراء والولاة واغتصبوه في الغالب او ارادوه على بيعه منهم ونالت اصحابه [redacted]
منه مضار ومعاطب والله غالب على امره

## فصل في حاجة المتمولين من اهل الامصار الى الجاه والمدافعة

وذلك ان
الحضري اذا عظم تموله وكثر للعقار والضياع تاثله واصبح اغنى اهل المصر ورمقته العيون
بذلك وانفسحت احواله في الترف والعوائد زاحم عليها الامراء والملوك وغصوا به
ولما في طباع البشر من العدوان تمتد اعينهم الى تملك ما بيده وينافسونه فيه
ويتحيلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلونه في ربقة حكم [redacted] سلطاني وسبب
من المؤاخذة ظاهر ينتزع به ماله واكثر الاحكام السلطانية جائرة في الغالب اذ العدل
المحض انما هو في الخلافة الشرعية وهي قليلة اللبث قال صلى الله عليه وسلم الخلافة
بعدي ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضوضا فلا بد حينئذ لصاحب المال والثروة الشهيرة
في العمران من حامية تذود عنه وجاه ينسحب عليه من ذي قرابة للملك او خالصة
له او عصبية يتحاماها السلطان فيستظل هو بظلها ويرتع في امنها من طوارق
التعدي وان لم يكن له ذلك اصبح نهبا بوجوه التحيلات واسباب الحكام والله يحكم
لا معقب لحكمه

## فصل في ان الحضارة في الامصار من قبل الدول وانها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها

والسبب في ذلك ان الحضارة هي احوال
عادية زائدة على الضروري من احوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه
وتفاوت الامم في القلة والكثرة تفاوتا غير منحصر ويقع فيها عند كثرة التفنن
في انواعها واصنافها فتكون بمنزلة الصنائع ويحتاج كل صنف منها الى
القومة عليه المهرة فيه وبقدر ما يتزيد من اصنافها تتزيد اهل صناعتها ويتلون ذلك
الجيل بها ومتى اتصلت الايام وتعاقبت تلك الصناعات حذق اولئك
الصناع في صناعتهم ومهروا في معرفتها والاعصار بطولها وانفساح امدها وتكرر
امثالها تزيدها استحكاما ورسوخا واكثر ما يكون ذلك في الامصار لاستبحار العمران
وكثرة الرفه في اهلها وذلك كله انما يجيء من قبل الدولة لان الدولة تجمع اموال
الرعية وتنفقها في بطانتها ورجالها وتتسع احوالهم بالجاه اكثر من اتساعها
بالمال فيكون دخل تلك الاموال من الرعايا وخرجها في اهل الدولة ثم في من تعلق
بهم من اهل المصر وهم الاكثر فتعظم لذلك ثروتهم ويكثر غناهم وتتزيد عوائد الترف

وانفسحت

ومذاهبه وتستحكم لديهم الصنايع في ساير فنونه وهذه هي الحضارة ولهذا تجد
الامصار التي في القاصية ولو كانت موفورة العمران تغلب عليها احوال البداوة
وتبعد عن الحضارة في جميع مذاهبها بخلاف المدن المتوسطة في الاقطار التي
هي مركز الدولة ومقرها وما ذاك الا لمجاورة السلطان لهم وفيض امواله فيهم كالماء
يخضر ما قرب منه فما قرب من الارض الى ان ينتهي الى الجفوف على البعد وقد قدمنا
ان السلطان والدولة سوق للعالم فالبضايع كلها موجودة في السوق وما قرب
منه واذا ابعدت عن السوق افتقدت البضايع جملة ثم انه اذا اتصلت تلك
الدولة وتعاقب ملوكها في ذلك المصر واحدا بعد واحد استحكمت الحضارة فيهم
وزادت رسوخا واعتبر ذلك في اليهود لما طال ملكهم في الشام نحو من الف
واربعماية سنة رسخت حضارتهم وحذقوا في احوال المعاش وعوايده والتفنن
في صناعاته من المطاعم والملابس وساير احوال المنزل حتى انها لتوخذ عنهم في الغالب
الى اليوم ورسخت الحضارة ايضا وعوايدها في الشام منهم ومن دولة الروم بعدهم
ستماية سنة فكانوا في غاية الحضارة وكذلك ايضا القبط دام ملكهم في الخليقة
ثلثة الاف من السنين فرسخت عوايد الحضارة في بلدهم مصر واعقبهم بها ملك
اليونانيين والروم ثم ملك الاسلام الناسخ للكل فلم تزل عوايد الحضارة بها متصلة
وكذلك ايضا رسخت عوايد الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بها منذ
عهد العمالقة والتبابعة الاف من السنين واعقبهم ملك مضر وكذلك الحضارة
بالعراق لاتصال دولة النبط والفرس بها من لدن الكلدانيين والكينية والكسروية
والعرب بعدهم الاف من السنين فلم يكن على وجه الارض لهذا العهد احضر من
اهل الشام والعراق ومصر وكذلك ايضا رسخت عوايد الحضارة بالاندلس
لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط ثم ما اعقبها من ملك بني امية الاف من
السنين وكلا الدولتين عظيم فاتصلت فيها عوايد الحضارة واستحكمت
واما افريقية والمغرب فلم يكن فيها قبل الاسلام ملك ضخم انما قطع الروم
والافرنجة [redacted] الى افريقية البحر وملكوا الساحل وكانت طاعة البربر
اهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على قلعة واوفاز واهل المغرب
لم تجاورهم دولة وانما كانوا يبعثون بطاعتهم الى القوط من وراء البحر ولما جاء
الله بالاسلام وملك العرب افريقية والمغرب لم يلبث فيهم ملك العرب الا قليلا
اول الاسلام وكانوا لذلك العهد في طور البداوة ومن استقر منهم بافريقية
والمغرب لم يجد بهما من الحضارة ما يقلد فيه من سلفه اذ كانوا برابر منغمسين
في البداوة ثم انتقض برابرة المغرب الاقصى لاقرب العهود على يد ميسرة
المطغري ايام هشام بن عبد الملك ولم يراجعوا امر العرب بعد واستقلوا
بام

بامر انفسهم وان بايعوا لادريس فلا تعد دولته فيهم عربية لان البرابرة هم
الذين تولوها ولم يكن من العرب فيها كثير عدد وبقيت افريقية للاغالبة ومن
اليهم من العرب فكان لهم من الحضارة بعض الشي بما حصل لهم من ترف الملك
ونعيمه وكثرة عمران القيروان وورث ذلك عنهم كتامة ثم صنهاجة من بعدهم
وذلك كله قليل لم يبلغ اربعماية سنة وانصرمت دولتهم واستحالت صبغة الحضارة
بما كانت غير مستحكمة وتغلب بدو العرب الهلاليين عليها وخربوها وبقي اثر
خفي من حضارة العمران فيها والى هذا العهد يونس فيمن سلف له بالقلعة
او القيروان او المهدية سلف فتجد له من احوال الحضارة في شوون منزله
وعوايد احواله اثارا ملتبسة بغيرها يميزها الحضري البصير بها وكذا في اكثر امصار
افريقية وليس ذلك في المغرب وامصاره لرسوخ الدولة بافريقية اكثر
امدا منذ عهد الاغالبة والشيعة وصنهاجة واما المغرب فانتقل اليه
منذ دولة الموحدين من الاندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوايدها
بما كان لدولتهم من الاستيلا على بلاد الاندلس وانتقل الكثير من اهلها اليهم طوعا
وكرها وكانت من اتساع النطاق ما علمت فكان فيها حظ صالح من الحضارة
واستحكامها ومعظمها من اهل الاندلس ثم انتقل اهل شرق الاندلس عند
جالية النصارى الى افريقية فابقوا بها وبامصارها من الحضارة اثارا ومعظمها
بتونس امتزجت بحضارة مصر وما ينقله المسافرون من عوايدها فكان
بذلك للمغرب وافريقية حظ من الحضارة صالح عفا عليه الخلا ورجع على اعقابه
وعاد البربر بالمغرب الى اديانهم من البداوة والخشونة وعلى كل حال فاثار الحضارة
بافريقية اكثر منها بالمغرب وامصاره لما تداول فيها من الدول السالفة
اكثر من المغرب ولقرب عوايدهم من عوايد اهل مصر بكثرة المترددين بينهم
فتفطن لهذا السر فانه خفي عن الناس واعلم انها امور متناسبة
وهي حال الدولة في القوة والضعف وكثرة الامة او الجيل وعظم المدينة او المصر
وكثرة النعمة واليسار وذلك ان الدولة والملك صورة الخليقة والعمران
وكلها مادة لها من الرعايا والامصار وساير الاحوال واموال الجباية عايدة
عليهم ويسارهم في الغالب من اسواقهم ومتاجرهم واذا افاض السلطان عطاه
وامواله في اهلها انبثت فيهم ورجعت اليه ثم اليهم منه فهي ذاهبة
عنهم في الجباية والخراج عايدة عليهم في العطا فعلى نسبة حال الدولة
يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال
الدولة واصله كله العمران وكثرته فاعتبره وتامله تجده والله
سبحانه وتعالى يحكم لا معقب لحكمه

## فصل في ان الحضارة غاية للعمران ونهاية لعمره وانها موذنة بفساده

قد بينا لك فيما سلف ان الملك والدولة غاية للعصبية وان الحضارة غاية للبداوة وان العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوقة له عمر محسوس كما ان للشخص الواحد من اشخاص المكونات عمرا محسوسا وتبين في المعقول والمنقول ان الاربعين للانسان غاية في تزايد قواه ونموها وانه اذا بلغ سن الاربعين وقفت الطبيعة عن اثر النشو والنمو برهة ثم تاخذ بعد ذلك في الانحطاط فلتعلم ان الحضارة في العمران ايضا كذلك لانه غاية لا مزيد وراها وذلك ان الترف والنعمة اذا حصل لاهل العمران دعاهم بطبعه الي مذاهب الحضارة والتخلق بعوايدها والحضارة كما علمت هي التفنن في الترف واستجادة احواله والكلف بالصنايع التي تونق من اصنافه وساير فنونه كالصنايع المهيية للمطابخ او الملابس او المباني او الفرش او الانية ولساير احوال المنزل وللتانق في كل واحد من هذه صنايع كثيرة لا يحتاج اليها عند البداوة وعدم التانق فيها واذا بلغ التانق في هذه الاحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات فتتلون النفس من تلك العوايد بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها اما دينها فلاستحكام صبغة العوايد التي يعسر نزعها واما دنياها فلكثرة الحاجات والموونات التي تطالب بها العوايد ويعجز الكسب عن الوفا بها وبيانه ان المصر بالتفنن في الحضارة تتعظم نفقات اهله والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران فمتي كان العمران اكثر كانت الحضارة اكمل وقد كنا قدمنا ان المصر الكثير العمران يختص بالغلاء في اسواقه واسعار حاجاته ثم تزيدها المكوس غلاء لان كمال الحضارة انما يكون عند نهاية الدولة في استفحالها وهو زمن وضع المكوس في الدول لكثرة خرجها حينيذ كما تقدم والمكوس تعود علي البياعات بالغلاء لان السوقة والتجار كلهم يحتسبون علي سلعهم وبضايعهم جميع ما ينفقونه حتي موونة انفسهم فيكون المكس لذلك داخلا في قيم المبيعات واثمانها فتعظم نفقات اهل الحاضرة وتخرج عن القصد الي الاسراف ولا يجدون وليجة عن ذلك لما ملكهم من اسر العوايد وطاعتها وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات ويتتابعون في الاملاق والخصاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للبضايع فتكسد الاسواق ويفسد حال المدينة وداعية ذلك كله افراط الحضارة والترف وهذه مفسدات في المدينة علي العموم في الاسواق والعمران واما فساد اهلها من ذواتهم واحدا واحدا علي الخصوص فمن الكد والتعب في حاجات العوايد والتلون بالوان الشر في تحصيلها وما يعود علي النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون اخر من الوانها فلذلك يكثر منهم الفسق والشر والسفسفة والتحيل علي تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتنصرف النفس الي الفكر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له فتجدهم اجريا علي الكذب والمقامرة والغش والخلابة والسرقة





والفجور في الايمان والربا في البياعات ثم تجدهم لكثرة الشهوات والملاذ الناشية عن الترف ابصر بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة به وبدواعيه واطراح الحشمة في الخوض فيه حتي بين الاقارب وذوي المحارم الذي تقتضي البداوة الحيا منهم في الاقذاع بذلك وتجدهم ايضا ابصر بالمكر والخديعة يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر وما يتوقعونه من العقاب علي تلك القبايح حتي يصير ذلك عادة وخلقا لاكثرهم الا من عصمه الله ويموج بحر المدينة بالسفلة من اهل الاخلاق الذميمة ويجاريهم فيها كثير من ناشية الدولة وولدانهم ممن اهمل عن التاديب واهملته الدولة من عدادها وغلب عليه خلق الجوار والصحابة وان كان اصحابه اهل انساب وابوات وذلك ان الناس بشر متماثلون وانما تفاضلوا وتميزوا بالخلق واكتساب الفضايل واجتناب الرذايل فمن استحكمت فيه صبغة الرذيلة باي وجه كان وفسد خلق الخير فيه لم ينفعه زكا نسبه ولا طيب منبته ولهذا تجد كثيرا من اعقاب البيوت وذوي الاحساب والاصالة واهل الدول منطرحين في الغمار منتحلين للحرف الدنية في معاشهم بما فسد من اخلاقهم وما تلونوا به من صبغة الشر والسفسفة واذا كثر ذلك في المدينة او الامة تاذن الله بخرابها وانقراضها وهو معني قوله تعالي واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ووجهه ان مكاسبهم حينيذ لا تفي بحاجاتهم لكثرة العوايد ومطالبة النفس بها فلا تستقيم احوالهم واذا فسدت احوال الاشخاص واحدا واحدا اختل نظام المدينة وخربت وهذا معني ما يقوله بعض اهل الخواص ان المدينة اذا كثر بها غرس النارنج تاذنت بالخراب حتي ان كثيرا من العامة يتحامي غرس النارنج بالدور تطيرا به وليس المراد ذلك ولا انه طيرة في النارنج وانما معناه ان البساتين واجرا المياه هو من توابع الحضارة ثم ان النارنج والليم والسرو وامثال ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة هو من غايات الحضارة اذ لا يقصد بها في البساتين الا اشكالها فقط ولا تغرس الا بعد التفنن في مذاهب الترف وهذا هو الطور الذي يخشي معه هلاك المصر وخرابه كما قلناه ولقد قيل مثل ذلك في الدفلا وهو من هذا الباب اذ الدفلا لا يقصد بها الا تلون البساتين بنورها ما بين احمر وابيض وهو من مذاهب الترف ومن مفاسد الحضارة ايضا الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفنن في شهوات البطن من الماكل وملاذها والمشارب وطيبها ويتبع ذلك التفنن في شهوات الفرج بانواع المناكح من الزنا واللواط فيفضي ذلك الي فساد النوع اما بواسطة اختلاط الانساب كما في الزنا فيجهل كل احد ابنه اذ هو لغير رشدة لان المياه مختلطة في الارحام فتفقد الشفقة الطبيعية علي البنين والقيام عليهم فيهلكون ويودي ذلك الي انقطاع النوع او يكون فساد النوع بغير واسطة كما في اللواط المودي الي عدم النسل راسا وهو اشد في فساد النوع اذ هو يودي الي ان لا يوجد النوع

والزنا يؤدي الى عدم ما يوجد منه ولهذا كان مذهب مالك رحمه الله في اللواط اظهر من مذهب
غيره ودل على انه ابصر بمقاصد الشريعة واعتبارها للمصالح فافهم ذلك واعتبر به ان غاية
العمران هي الحضارة والترف وانه اذا بلغ غايته انقلب الى الفساد واخذ في الهرم
كالاعمار الطبيعية للحيوانات بل نقول ان الخلق الحاصلة من الحضارة والترف هي
عين الفساد لان الانسان انما هو انسان باقتداره على جلب منافعه ودفع مضاره
واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحضري لا يقدر على مباشرة حاجاته اما عجزا لما حصل
له من الدعة او ترفعا لما حصل له من المربا في النعيم والترف وكلا الامرين ذميم وكذلك
لا يقدر على دفع المضار بما فقده من خلق البأس بالترف والمربا في قهر التاديب
والتعليم فهو لذلك عيال على الحامية التي تدافع عنه ثم هو فاسد ايضا في دينه غالبا بما
افسدت منه العوائد وطاعتها وما تلونت به النفس من ملكاتها كما قررناه الا في
الاقل النادر واذا فسد الانسان في قدرته ثم في اخلاقه ودينه فقد فسدت انسانيته
وصار مسخا على الحقيقة وبهذا الاعتبار كان الذين يتقربون من جند السلطان الى
البداوة والخشونة انفع من الذين يربون على الحضارة وخلقها وهذا موجود في كل دولة
فقد تبين ان الحضارة سن الوقوف لعمران العالم من العمران والدول والله الواحد القهار

## فصل في ان الامصار التي تكون كراسي للملك تخرب بخراب الدولة وانتقاضها

قد استقر بنا في العمران ان الدولة اذا انتقضت واختلت فان المصر الذي يكون كرسيا
لسلطانها ينتقض عمرانه وربما ينتهي في انتقاضه الى الخراب ولا يكاد ذلك يتخلف
والسبب فيه امور الاول ان الدولة لا بد في اولها من البداوة المقتضية للتجافي عن اموال
الناس والبعد عن التحذلق ويدعو ذلك الى تخفيف الجباية والمغارم التي منها مادة
الدولة فتقل النفقات ويقصر الترف فاذا صار المصر الذي كان كرسيا للملك
في ملكة هذه الدولة المتجددة ونقصت احوال الترف فيها نقص الترف فيمن تحت ايديها
من اهل المصر لان الرعايا تبع للدولة فيرجعون الى خلق الدولة اما طوعا لما في طباع البشر
من تقليد متبوعهم او كرها لما تدعو اليه خلق الدولة من الانقباض عن الترف في جميع
الاحوال وقلة الفوائد التي هي مادة العوائد فتقصر لذلك حضارة المصر ويذهب
منه كثير من عوائد الترف وهو معنى ما نقوله من خراب المصر الامر الثاني ان الدولة انما
يحصل لها الملك والاستيلاء بالغلب وانما يكون بعد العداوة والحروب والعداوة
تقتضي منافاة بين اهل الدولتين وتكبر احدهما على الاخر في العوائد والاحوال
وغلب احد المتنافيين يذهب بالمنافي الاخر فتكون احوال الدولة السابقة منكرة
عند اهل الدولة الجديدة ومستبشعة وقبيحة وخصوصا احوال الترف
فتفقد في عرفهم بنكير الدولة لها حتى تنشأ لهم بالتدريج عوائد اخرى من الترف
يكون عنها حضارة مستأنفة وفيما بين ذلك قصور الحضارة الاولى ونقصها

وهو

وهو معنى اختلال العمران في المصر الامر الثالث ان كل امة لا بد لهم من وطن هو منشأهم
ومنه اولية ملكهم واذا ملكوا وطنا اخر صار تبعا للاول وامصاره تابعة لامصار الاول
واتسع نطاق الملك عليهم ولا بد من توسط الكرسي بين تخوم الممالك التي للدولة لانه شبه
المركز للنطاق فيبعد مكانه عن مكان الكرسي الاول وتهوي افئدة الناس اليه من اجل الدولة
والسلطان فينتقل اليه العمران ويخف من مصر الكرسي الاول والحضارة انما هي توفر
العمران كما قدمناه فتنتقص حضارته وتمدنه وهو معنى اختلاله وهذا كما وقع للسلجوقية
في عدولهم بكرسيهم عن بغداد الى اصبهان وللعرب قبلهم في العدول عن المداين الى الكوفة
والبصرة ولبني العباس في العدول عن دمشق الى بغداد ولبني مرين بالمغرب في
العدول عن مراكش الى فاس وبالجملة فاتخاذ الدولة الكرسي في مصر يخل بعمران
الكرسي الاول الامر الرابع ان الدولة المتجددة اذا غلبت على الدولة السابقة لا بد
فيها من تتبع اهل الدولة السابقة واشياعها بتحويلهم الى قطر اخر تؤمن فيه غائلتهم
على الدولة واكثر اهل المصر الكرسي اشياع للدولة اما من الحامية الذين نزلوا به
اول الدولة او من اعيان المصر لان لهم في الغالب مخالطة للدولة على طبقاتهم
وتنوع اصنافهم بل اكثرهم ناشئ في الدولة فهم شيعة لها وان لم يكونوا بالشوكة
والعصبية فهم بالميل والمحبة والعقيدة وطبيعة الدولة المتجددة محو آثار الدولة
السابقة فينقلهم من مصر الكرسي الى وطنها المتمكن في ملكها فبعضهم على نوع التغريب
والحبس وبعضهم على نوع الكرامة والتلطف بحيث لا يؤدي الى النفرة حتى لا يبقى
في مصر الكرسي الا الباعة والهمل من اهل الفلح والعيارة وسواد العامة وينزل
مكانهم من حاميتها واشياعها من يشتد به المصر واذا ذهب من المصر اعيانه على
طبقاتهم نقص ساكنه وهو معنى اختلال عمرانه ثم لا بد ان يستجد عمرانا اخر في ظل
الدولة الجديدة وتحصل فيه حضارة اخرى على قدر الدولة وانما ذلك بمثابة من له
بيت داخله البلى والكثير من اوضاعه في بيوته ومرافقه لا يوافق مقترحه وله قدرة
على تغيير تلك الاوضاع واعادة بنائها على ما يختاره ويقترحه فيخرب ذلك البيت
ثم يعيد بناءه ثانيا وقد وقع من ذلك كثير في الامصار التي هي كراسي للملك
وشاهدناه وعلمناه والله يقدر الليل والنهار والسبب الطبيعي الاول في ذلك على
الجملة ان الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه
لوجودها وقد تقرر في علم الحكمة انه لا يمكن انفكاك احدهما عن الاخر فالدولة دون العمران
لا تتصور والعمران دون الدولة والملك متعذر لما في طباع البشر من التعاون الداعي
الى الوازع فتتعين السياسة لذلك اما الشرعية او الملكية وهو معنى الدولة واذا كانا
لا ينفكان فاختلال احدهما مؤثر في اختلال الاخر كما كان عدمه مؤثرا في عدمه
والخلل العظيم انما يكون من خلل الدولة الكلية مثل دولة الفرس او الروم او العرب

على العموم او بني امية او بني العباس كذلك واما الدول الشخصية مثل دولة انوشروان او هرقل او عبد الملك بن مروان او الرشيد فاشخاصها متعاقبة على العمران حافظة لوجوده وبقائه وقريبة الشبه بعضها من بعض فلا تؤثر كثير اختلال لان الدولة بالحقيقة الفاعلة في مادة العمران انما هي العصبية والشوكة وهي مستمرة مع اشخاص الدول فاذا ذهبت تلك العصبية ودفعتها عصبية اخرى مؤثرة في العمران ذهبت اهل الشوكة باجمعهم عظم الخلل كما قررناه والله قادر على ما يشاء ان يشا يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز

## فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض

وذلك انه من البين ان اعمال اهل المصر يستدعي بعضها بعضا لما في طبيعة العمران من التعاون وما يستدعي من الاعمال يختص ببعض اهل المصر فيقومون عليه ويستبصرون في صناعته ويختصون بوظيفته ويجعلون معاشهم فيه ورزقهم منه لعموم البلوى به في المصر والحاجة اليه وما لا يستدعي في المصر يكون غفلا اذ لا فائدة لمنتحله في الاحتراف به وما يستدعي من ذلك لضرورة المعاش فيوجد في كل مصر كالخياط والحداد والنجار وامثالها وما يستدعي لعوائد الترف واحواله فانما يوجد في المدن المستبحرة في العمارة الاخذة في عوائد الترف والحضارة مثل الزجاج والصائغ والدهان والطباخ والصفار والسفاج والهراس والدباج وامثال هذه وهي متفاوتة وبقدر ما تزيد عوائد الحضارة وتستدعي احوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع فيوجد بذلك المصر دون غيره ومن هذا الباب الحمامات لانها انما توجد في الامصار المستحضرة المستبحرة العمران لما يدعو اليه الترف والغنى من التنعم ولذلك لا يكون في المدن المتوسطة وان نزع بعض الملوك والرؤساء اليها فيختطها ويجري احوالها الا انها اذا لم تكن لها داعية من كافة الناس فسرعان ما تهجر وتخرب وتفر عنها القومة لقلة فائدتهم ومعاشهم منها والله يقبض ويبسط

## فصل في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض

من البين ان الالتحام والاتصال موجود في طباع البشر وان لم يكونوا اهل نسب واحد الا انه كما قدمناه اضعف مما يكون بالنسب وانه تحصل به العصبية بعضا مما تحصل بالنسب واهل الامصار كثير منهم ملتحمون بالصهر يجذب بعضهم بعضا الى ان يكونوا لحما لحما وقرابة قرابة وتجد بينهم من العداوة والصداقة ما يكون بين القبائل والعشائر فيفترقون شيعا وعصائب فاذا نزل الهرم بالدولة وتقلص ظل الملك عن القاصية احتاج اهل امصارها الى القيام على امرهم والنظر في حماية بلدهم ورجعوا الى الشورى وتميز العلية عن السفلة والنفوس بطباعها متطاولة الى الغلب والرياسة فتطمح المشيخة لخلاء الجو من السلطان والدولة القاهرة الى الاستبداد وينازع كل صاحبه ويستوصلون بالاتباع من الموالي والشيع والاحلاف ويبذلون ما في ايديهم للاوغاد والاوشاب فيعصوصب كل لصاحبه ويتعين الغلب لبعضهم فيعطف

على

على الكفاية ليغض من اعنتهم ويتتبعهم بالقتل او التغريب حتى يخضد منهم الشوكات النافذة ويقلم الاظفار الخادشة ويستبد بمصره اجمع ويرى انه قد استحدث ملكا يورثه عقبه فيحدث في ذلك الملك الاصغر ما يحدث في الملك الاعظم من عوارض الجدة والهرم وربما يسمو بعض هولاء الى منازع الملوك الاعاظم اصحاب القبائل والعشائر والعصبيات والزحوف والحروب والاقطار والممالك فينتحلون من الجلوس على السرير واتخاذ الالة واعداد المواكب للسير في اقطار البلد والتختم والتحية والخطاب والتهويل ما يسخر منه من يشاهد احوالهم لما انتحلوه من شارات الملك التي ليسوا لها باهل انما دفعهم الى ذلك تقلص الدولة والتحام بعض القرابات حتى صارت عصبية وقد يتنزه بعضهم عن ذلك ويجري على مذهب السذاجة فرارا من التعريض بنفسه للسخرية والعبث

وقد وقع هذا بافريقية لهذا العهد في اخر الدولة الحفصية لاهل بلاد الجريد من طرابلس وقابس وتوزر ونفطة وقفصة وبسكرة والزاب وما الى ذلك سموا الى مثلها عند تقلص ظل الدولة عنهم منذ عقود من السنين فاستغلبوا على امصارهم واستبدوا بامرها على الدولة في الاحكام والجباية واعطوا طاعة معروفة وصفقة ممرضة واقطعوها جانبا من الملاينة والملاطفة والانقياد وهم بمعزل عنه واورثوا ذلك اعقابهم لهذا العهد وحدث في خلفهم من الغلظة والتجبر ما يحدث لاعقاب الملوك وخلفهم ونظموا انفسهم في عداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوقة وقد كان مثل ذلك وقع في اخر الدولة الصنهاجية واستقل بامصار الجريد اهلها واستبدوا على الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين وملكهم عبد المؤمن بن علي ونقلهم كلهم من اماراتهم بها الى المغرب ومحا من تلك البلاد اثارهم كما نذكر في اخباره وكذلك وقع بسبتة لاخر دولة بني عبد المؤمن وهذا التغلب يكون غالبا في اهل السروات والبيوتات المرشحين للمشيخة والرياسة في المصر وقد تحدث التغلب لبعض السفلة من الدهماء والغوغاء واذا حصلت له العصبية والالتحام بالاوغاد لاسباب يجرها له المقدار فيتغلب على المشيخة والعلية اذا كانوا فاقدين للعصابة والله غالب على امره

## فصل في لغات اهل الامصار

اعلم ان لغات اهل الامصار انما تكون بلسان الامة او الجيل الغالبين عليها او المختطين لها ولذلك كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية وان كان اللسان العربي المضري قد فسدت ملكته وتغير اعرابه والسبب في ذلك ما وقع للدولة الاسلامية من الغلب على الامم والدين والملة صورة للوجود وللملك وكلها مواد له والصورة مقدمة على المادة والدين انما يستفاد من الشريعة وهي بلسان العرب لما ان النبي صلى الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من الالسن

في جميع ممالكها واعتبر ذلك في نهي عمر رضي الله عنه عن رطانة الاعاجم
وقال انها خب يعني مكر وخديعة فلما هجر الدين اللغات الاعجمية وكان
لسان القايمين بالدولة الاسلامية عربيا هجرت كلها في جميع ممالكها
لان الناس تبع للسلطان وعلى دينه فصار اللسان العربي استعماله من
شعاير الاسلام وطاعة العرب وهجر الامم لغاتهم والسنتهم في
جميع الامصار والممالك وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة
في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الالسن الاعجمية دخيلة فيها وغريبة
ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض احكامه وتغير اواخره وان
كان بقي في الدلالات على اصله وسمي لسانا حضريا في جميع امصار
الاسلام وايضا فاكثر اهل الامصار في الملة لهذا العهد من اعقاب
العرب المالكين لها الهالكين في ترفها بما كثروا العجم الذين كانوا
بها وورثوا ارضهم وديارهم واللغات متوارثة فبقيت لغة الاعقاب
على حيال لغة الابا وان فسدت احكامها بمخالطة الاعجام شيا فشيا
وسميت لغتهم حضرية منسوبة الى اهل الحواضر والامصار بخلاف
لغة البدو من العرب فانها كانت اعرق في العروبية ولما تملك
العجم من الديلم والسلجوقية بعدهم بالمشرق وزناتة والبربر
بالمغرب وصار لهم الملك والاستيلا على جميع الممالك الاسلامية
فسد اللسان العربي لذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية
المسلمين بالكتاب والسنة الذين بهما حفظ الدين وصار ذلك مرجحا
لبقا اللغة المضرية بالامصار عربية فلما ملك التطر والمغل
بالمشرق ولم يكونوا على دين الاسلام ذهب ذلك المرجح وفسدت
اللغة العربية على الاطلاق ولم يبق لها رسم في الممالك
الاسلامية بالعراق وخراسان وبلاد فارس وارض السند
والهند وما وراء النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم وذهبت
اساليب اللغة العربية من الشعر والكلام الا قليلا يقع في
تعاليمه صناعيا بالقوانين المتدارسة من علوم العرب
وحفظ كلامهم لمن يسره الله تعالى لذلك وربما بقيت
اللغة العربية الحضرية بمصر والشام والاندلس
والمغرب لبقا الدين طالبا لها فانحفظت
ببعض الشي واما في ممالك العراق وما وراه
فلم يبق له اثر ولا عين حتى ان كتب العلوم

صارت

صارت تكتب باللسان العجمي وكذا تدريسه في المجالس
والله مقدر الليل والنهار
وصلى الله على سيدنا
محمد واله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

# الفصل الخامس من الكتاب الاول في المعاش ووجوهه من الكسب والصنايع وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مسايل

## فصل في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية

اعلم ان الانسان مفتقر بالطبع الى ما يقوته ويمونه في حالاته واطواره من لدن نشوه الى اشده الى كبره والله الغني وانتم الفقرا والله سبحانه وتعالى خلق جميع ما في العالم للانسان وامتن به عليه في غير ما اية فقال تعالى خلق لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وسخر لكم الشمس والقمر وسخر لكم البحر وسخر لكم الفلك وسخر لكم الانعام وكثير من شواهده ويد الانسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف وايدي البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الاخر الا بعوض فالانسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضعف سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما اتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الاعواض عنها قال تعالى فابتغوا عند الله الرزق وقد يحصل له ذلك بغير سعي كالمطر المصلح للزراعة وامثاله الا انها انما تكون معينة ولا بد من سعيه معها كما ياتي فتكون له تلك المكاسب معاشا ان كانت بمقدار الضرورة والحاجة ورياشا ومتمولا ان زادت على ذلك ثم ان ذلك الحاصل او المقتنى ان عادت منفعته على العبد وحصلت له ثمرته من انفاقه في مصالحه وحاجاته سمي رزقا قال صلى الله عليه وسلم انما لك من مالك ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وان لم ينتفع به في شي من مصالحه ولا حاجاته فلا يسمى رزقا والمتملك منه حينئذ بسعي العبد وقدرته يسمى كسبا وهذا مثل التراث فانه يسمى بالنسبة الى الهالك كسبا ولا

ما كان به مو

يسمى

يسمى رزقا اذ لم يحصل له به منتفع وبالنسبة الى الوارثين متى انتفعوا به يسمى رزقا هذا حقيقة مسمى الرزق عند اهل السنة وقد اشترط المعتزلة في تسميته رزقا ان يكون بحيث يصح تملكه وما لا يتملك عندهم فلا يسمى رزقا واخرجوا المغصوبات والحرام كله عن ان يسمى شي منها رزقا والله تعالى يرزق الغاصب والظالم والمومن والكافر ويختص برحمته وهدايته من يشا ولهم في ذلك حجج ليس هذا موضع بسطها ثم اعلم ان الكسب انما يكون بالسعي في الاقتنا والقصد الى التحصيل فلا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغايه من وجوهه قال تعالى فابتغوا عند الله الرزق والسعي اليه انما يكون باقدار الله والهامه فالكل من عند الله فلا بد من الاعمال الانسانية في كل مكسوب ومتمول لانه ان كان عملا بنفسه مثل الصنايع فظاهر وان كان مقتنى من الحيوان او النبات او المعدن فلا بد فيه من العمل الانساني كما تراه والا لم يحصل ولم يقع به انتفاع ثم ان الله سبحانه خلق الحجرين المعدنيين من الذهب والفضة قيمة لكل متمول وهما الذخيرة والقنية لاهل العالم في الغالب وان اقتني سواهما في بعض الاحيان فانما هو لقصد تحصيلهما بما يقع في غيرهما من حوالة الاسواق التي هما عنها بمعزل فهما اصل المكاسب والقنية والذخيرة واذا تقرر هذا كله فاعلم ان ما يفيده الانسان ويقتنيه من المتمولات ان كان من الصنايع فالمفاد المقتنى منه هو قيمة عمله وهو القصد بالقنية اذ ليس هناك الا العمل وليس بمقصود بنفسه للقنية وقد يكون مع الصنايع في بعضها غيرها مثل النجارة والحياكة معها الخشب والغزل الا ان [redacted] العمل فيهما اكثر فقيمته اكثر وان كان من غير الصنايع فلا بد في قيمة ذلك المفاد والقنية من دخول قيمة العمل الذي حصلت به اذ لولا العمل لم تحصل قنيتها وقد تكون ملاحظة العمل ظاهرة في الكثير منها فتجعل له حصة من القيمة عظمت او صغرت وقد تخفى ملاحظة العمل كما في اسعار الاقوات بين الناس فان اعتبار الاعمال والنفقات فيها ملاحظة في اسعار الحبوب كما قدمناه لكنه خفي في الاقطار التي علاج الفلح فيها ومونته يسيرة فلا يشعر به الا القليل من اهل الفلح فقد تبين ان المفادات والمكتسبات كلها او اكثرها انما هي قيم الاعمال الانسانية وتبين مسمى الرزق وانه المنتفع به فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح مسماهما واعلم انه اذا فقدت الاعمال او قلت بانتقاص العمران تاذن الله برفع الكسب الا ترى الى الامصار القليلة الساكن كيف يقل الرزق

فيها او تفقد لقلة الاعمال الانسانيه وكذلك الامصار التي تكون اعمالها اكثر يكون اهلها (والكسب)
اوسع احوالا واشد رفاهية كما قدمناه قبل ومن هذا الباب تقول العامة في
البلاد اذا تناقص عمرانها قد ذهب رزقها حتى ان العيون والانهار ينقطع جريها
في القفر لما ان فور العيون انما يكون بالانباط والامتراء الذي هو بالعمل الانساني
كالحال في ضروع الانعام فما لم يكن امتراء ولا انباط نضبت وغارت بالجملة كما يجف
الضرع اذا ترك امتراؤه وانظره في البلاد التي تعهد فيها العيون لايام عمرانها ثم ياتي
عليها الخراب كيف تغور مياهها جملة كان لم تكن والله مقدر الليل والنهار

## فصل في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه

اعلم ان المعاش هو عبارة عن ابتغا الرزق والسعي في تحصيله وهو مفعل من العيش كانه
لما كان العيش الذي هو الحياة لا يحصل الا بهذه جعلت موضعا له
على طريق المبالغة ثم ان تحصيل الرزق وكسبه اما ان يكون باخذه من يد
الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسمى مغرما وجباية
واما ان يكون من الحيوان الوحشي باقتراسه واخذه برميه من البر او البحر ويسمى
اصطيادا واما ان يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المتصرفة بين الناس
في منافعهم كاللبن من الانعام والحرير من دوده والعسل من نحله او يكون من النبات
في الزرع والشجر بالقيام عليه واعداده لاستخراج ثمرته ويسمى هذا كله فلحا واما ان يكون
الكسب من الاعمال الانسانية اما في مواد معينة وتسمى الصنائع من كتابة ونجارة وخياطة
وحياكة وفروسية وامثال ذلك او في مواد غير معينة وهي جميع الامتهانات والتصرفات
واما ان يكون الكسب من البضائع واعدادها للاعواض اما بالتقلب بها في البلاد او احتكارها
وارتقاب حوالة الاسواق فيها ويسمى هذا تجارة فهذه وجوه المعاش واصنافه وهي معنى ما ذكره المحققون (واصنافه صح)
من اهل الادب والحكمة كالحريري وغيره قالوا المعاش امارة وتجارة وفلاحة وصناعة فاما
الامارة فليست بمذهب طبيعي للمعاش فلا حاجة بنا الى ذكرها وقد تقدم شيء من احوال
الجبايات السلطانية واهلها في الفصل الثاني واما الفلاحة والصناعة والتجارة
فهي وجوه طبيعية للمعاش اما الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات اذ هي بسيطة
وطبيعية فطرية لا تحتاج الى نظر ولا الى علم ولهذا تنسب في الخليقة الى ادم ابي البشر
وانه معلمها والقائم عليها اشارة الى انها اقدم وجوه المعاش وانسبها الى الطبيعة
واما الصنائع فهي ثانيتها ومتاخرة عنها لانها مركبة وعلمية تصرف فيها الافكار
والانظار ولهذا لا توجد غالبا الا في اهل الحضر الذي هو متاخر عن البدو وثان عنه
ومن هذا المعنى نسبت الى ادريس الاب الثاني للخليقة وانه مستنبطها لمن بعده
من البشر بالوحي من الله تعالى واما التجارة وان كانت طبيعية في الكسب فالاكثر من
طرقها ومذاهبها انما هي تحيلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشرا والبيع

ليحصل

ليحصل فايدة الكسب من تلك الفضلة ولذلك اباح الشرع فيه المكايسة لما انه من باب
المقامرة الا انه ليس اخذ لمال الغير مجانا فلهذا اختص بالمشروعية والله اعلم

## فصل في ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعي

اعلم ان السلطان لا بد له من اتخاذ الخدمة في سائر ابواب الامارة والملك الذي هو بسبيله
من الجندي والشرطي والكاتب ويستكفي في كل باب بمن يعلم غناه فيه ويتكفل
بارزاقهم من بيت ماله وهذا كله مندرج في الامارة ومعاشها اذ كلهم ينسحب عليهم حكم الامارة
والملك الاعظم هو ينبوع جداولهم واما ما دون ذلك من الخدمة فسببها ان اكثر المترفين يترفع
عن مباشرة حاجاته او يكون عاجزا عنها لما ربي عليه من خلق التنعم والترف فيتخذ من يتولى
ذلك له ويقطعه عليه اجرا من ماله وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرجولية الطبيعية
للانسان اذ الثقة بكل احد عجز ولانها تزيد في الوظائف والخرج وتدل على العجز
والخنث الذي ينبغي في مذاهب الرجولية التنزه عنهما الا ان العوائد تقلب
طباع الانسان الى مالوفها فهو ابن عوائده لا ابن نسبه ومع ذلك فالخديم الذي
يستكفى به ويوثق بغنائه كالمفقود اذ الخديم القائم بذلك لا يعدو اربع حالات
اما مضطلع بامره موثوق فيما يحصل بيده واما بالعكس فيهما وهو ان يكون غير
مضطلع بامره ولا موثوق فيما يحصل بيده واما بالعكس في احداهما فقط مثل
ان يكون مضطلعا غير موثوق او موثوقا غير مضطلع فاما الاول وهو المضطلع الموثوق
فلا يمكن احدا استعماله بوجه اذ هو باضطلاعه وثقته غني عن اهل الرتب
الدنية ومحتقر لمنال الاجر من الخدمة لاقتداره على اكثر من ذلك فلا يستعمله الا الامرا
اهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه واما الصنف الثاني وهو من ليس
بمضطلع ولا موثوق به فلا ينبغي لعاقل استعماله لانه يجحف بمخدومه في الامرين
معا فيضيع عليه بعدم الاضطلاع تارة ويذهب ماله بالخيانة اخرى فهو كل على مولاه فهذان
الصنفان لا يطمع احد في استعمالهما ولم يبق الا استعمال الصنفين الاخرين
موثوق غير مضطلع ومضطلع غير موثوق وللناس في الترجيح بينهما مذهبان ولكل
من الترجيحين وجه الا ان المضطلع ولو كان غير موثوق ارجح لانه يؤمن من
تضييعه ويحاول على التحرز من خيانته جهد الاستطاعة واما المضيع ولو كان مامونا
فضرره بالتضييع اكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذه قانونا في الاستكفاء بالخدمة والله قادر على ما يشاء

## فصل في ان ابتغا الاموال من الدفاين والكنوز ليس بمعاش طبيعي

اعلم ان كثيرا من ضعفا العقول في الامصار يحرصون على استخراج الاموال
من تحت الارض ويبتغون الكسب من ذلك ويعتقدون ان اموال الامم السالفة
مختزنة كلها تحت الارض مختوم عليها بطلاسم سحرية لا يفض ختامها الا من
عثر على علمه واستحضر ما يحله من البخور والدعاء والقربان فاهل الامصار بافريقية

يرون ان الافرنجة الذين كانوا بها قبل الاسلام دفنوا اموالهم كذلك واودعوها في
الصحف بالكتاب الى ان يجدوا السبيل الى استخراجها واهل الامصار بالمشرق
يرون مثل ذلك في امم القبط والروم والفرس ويتناقلون ذلك في احاديث
تشبه حديث خرافة من انتهاء بعض الطالبين لذلك الى حفر موضع المال ممن لم
يعرف طلسمه ولا خبره فيجدونه خاليا او معمورا بالديدان او يشاهد الاموال
والجواهر موضوعة والحرس دونها منتضين سيوفهم او تميد به الارض حتى
يظنه خسفا او مثل ذلك من الهذر ونجد كثيرا من طلبة البربر بالمغرب العاجزين
عن المعاش الطبيعي واسبابه يتقربون الى اهل الدنيا بالاوراق المتخرمة
الحواشي اما بخطوط عجمية او بما ترجم بزعمهم منها من خطوط اهل الدفاين
باعطاء الامارات عليها في اماكنها يبتغون بذلك الرزق منهم بما يبعثونهم
على الحفر والطلب ويموهون عليهم بانه انما حملهم على الاستعانة بهم طلب الجاه في
مثل هذا من منال الحكام والعقوبات وربما يكون عند بعضهم نادرة او غريبة من الاعمال
السحرية يموه بها على تصديق ما بقي من دعواه وهو بمعزل عن السحر وطرقه فيولع
الكثير من ضعفاء العقول بجمع الايدي على الاحتفار والتستر فيه بظلمات الليل مخافة الرقباء
وعيون اهل الدول فاذا لم يعثروا على شي ردوا ذلك الى الجهل بالطلسم الذي ختم
به على ذلك المال يخادعون به انفسهم عن اخفاق مطامعهم والذي يحمل
على ذلك في الغالب زيادة على ضعف العقل انما هو العجز عن طلب المعاش
بالوجوه الطبيعية للكسب من التجارة والفلح والصناعة فيطلبونه بالوجوه المنحرفة
وعلى غير الوجه الطبيعي من هذا وامثاله عجزا عن السعي في المكاسب وركونا الى
تناول الرزق من غير تعب ولا نصب في تحصيله واكتسابه ولا يعلمون انهم يوقعون
انفسهم بابتغاء ذلك من غير وجهه في نصب ومتاعب وجهد شديد اشد من الاول
ويعرضون انفسهم مع ذلك لمنال العقوبات وربما يحمل في الاكثر على ذلك زيادة
الترف وعوايده وخروجها عن حد النهاية حتى يقصر عنها وجوه الكسب ومذاهبه
ولا تفي بمطالبها فاذا عجز له الكسب بالمجرى الطبيعي لم يجد وليجة في نفسه الا التمني
لوجود المال العظيم دفعة من غير كلفة ليفي ذلك بالعوايد التي حصل في اسرها فيحرص
على ابتغاء ذلك ويسعى فيه جهده ولهذا اكثر من تراهم يحرصون على ذلك هم المترفون
من اهل الدولة ومن سكان الامصار الكثيرة الترف المتسعة الاحوال مثل مصر وما في
معناها نجد الكثير منهم مغرمين بابتغاء ذلك وتحصيله ومسايلة الركبان عن شواذه
كما يحرصون على الكيميا هكذا يبلغنا عن اهل مصر في مفاوضة من يلقونه من طلبة المغاربة
لعلهم يعثرون منه على دفين او كنز ويزيدون الى ذلك البحث عن تغوير المياه لما يرون
ان غالب هذه الاموال الدفينة كلها في مجاري النيل وانه اعظم ما يستر دفينا او مخزونا



في تلك الافاق ويموه عليهم اصحاب تلك الدفاتر المستقبلة في الاعتذار عن الوصول
اليها بجرية النيل تسترا بذلك من الكذب حتى يحصل على معاشه فيحرص سامع ذلك
منهم على نضوب الماء بالاعمال السحرية ليحصل ما ابتغاه من بعض كلفا بشان
السحر متوارثا في ذلك القطر عن اوليهم فعلومهم السحرية وآثارها باقية بارضهم
في البرابي وغيرها وقصة سحرة فرعون شاهدة باختصاصهم بذلك وقد تناقل اهل
المغرب قصيدة ينسبونها الى حكماء المشرق يعطي فيها كيفية العمل في التغوير بصناعة سحرية حسبما تراه فيها
وهي

يا طالبا للسر في التغوير … اسمع كلام الصدق من خبير
دع عنك ما قد صنفوا في كتبهم … من قول بهتان ولفظ غرور
واسمع لصدق مقالتي ونصيحتي … ان كنت ممن لا يرى بالزور
فاذا اردت تغور البير التي … حارت لها الاوهام في التدبير
صور كصورتك التي اوقفتها … والراس راس الشبل في التغوير
ويداه ماسكتان للحبل الذي … في الدلو ينشل من قرار البير
وبصدره هاء كما عاينتها … عدد الطلاق احذر من التكرير
ويطا على الطاآت غير ملامس … مشي اللبيب الكيس النحرير
ويكون حول الكل خط داير … تربيعه اولى من التكوير
واذبح عليه الطير والطخه به … واقصد عقيب الذبح بالتبخير
بالسندروس وباللبان وميعة … والقسط والبسه بثوب حرير
من احمر او اصفر لا ازرق … لا اخضر فيه ولا تكدير
ويشده خيطان صوف ابيض … او احمر من خالص التحمير
والطالع الاسد الذي قد بينوا … ويكون بدر الشهر غير منير
والبدر متصل بسعد عطارد … في يوم سبت ساعة التدبير

يعني تكون الطاآت بين قدميه كانه يمشي عليها وعندي ان هذه القصيدة من
تمويهات المتخرقين فلهم في ذلك احوال غريبة واصطلاحات عجيبة وتنتهي
المخرقة والكذب بهم الى ان يسكنوا المنازل المشهورة والدور المعروفة بمثل
هذا ويحفرون بها الحفر ويضعون فيها المطابق والشواهد التي يكتبونها في
صحايف كتبهم ثم يقصدون ضعفاء العقول بامثال هذه الصحايف ويبعثونه
على اكتراء ذلك المنزل وسكناه ويوهمون ان به دفينا من المال لا يعبر عن كثرته ويطالبونه
بالمال لاشتراء العقاقير والبخورات لحل الطلاسم ويعدونه بظهور الشواهد
التي اعدوها هنالك بانفسهم ومن فعلهم فينبعث بما يراه من ذلك وهو قد
خدع ولبس عليه من حيث لا يشعر وبينهم في ذلك اصطلاح في كلامهم يلبسون
به عليهم ليخفى عنهم محاورتهم فيما يتناولونه من حفر وبخور وذبح حيوان وامثال ذلك

١٦٤

واما الكلام في ذلك على الحقيقة فلا اصل له في علم ولا خبر واعلم ان الكنوز وان كانت
توجد لكنها في حكم النادر وعلى وجه الاتفاق لا على وجه القصد اليها وليس
ذلك بامر تعم به البلوى حتى يدخر الناس اموالهم تحت الارض ويختمون عليها بالطلاسم
لا في القديم ولا في الحديث والركاز الذي ورد في الحديث وفرضه الفقهاء وهو دفن الجاهلية
انما يوجد بالعثور والاتفاق لا بالقصد والطلب وايضا فمن اختزن ماله وختم عليه
بالاعمال السحرية فقد بالغ في اخفائه فكيف ينصب عليه الامارات والادلة لمن
يبتغيه ويكتب ذلك في الصحايف حتى يطلع على ذخيرته اهل الاعصار والافاق هذا
يناقض قصد الاخفا وايضا فافعال العقلا لا بد ان يكون لغرض مقصود في الانتفاع
ومن اختزن المال فانما يختزنه لولده او قريبه او من يوثره به واما ان يقصد اخفاه
بالكلية عن كل احد وانما هو للبلى والهلاك او لمن لا يعرفه بالكلية ممن سياتي من الامم فهذا
ليس من مقاصد العقلا بوجه واما قولهم اين اموال الامم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة
والوفور فاعلم ان الاموال من الذهب والفضة والجواهر والامتعة انما هي معادن
ومكاسب مثل الحديد والنحاس والرصاص وساير العقارات والمعادن والعمران يظهرها
بالاعمال الانسانية ويزيد فيها او ينقصها وما يوجد منها بايدي الناس فهو متناقل
متوارث وربما انتقل من قطر الى قطر ومن دولة الى اخرى بحسب اغراضه والعمران
الذي يستدعيه فان نقص المال في المغرب وافريقية فلم ينقص في بلاد الصقالبة
والافرنجة وان نقص بمصر والشام فلم ينقص بالهند والصين وانما هي الالات
والمكاسب والعمران يوفرها او ينقصها مع ان المعادن يدركها البلا كما يدرك ساير
الموجودات ويسرع الى اللولو والجوهر مما يسرع الى غيره وكذا الذهب والفضة
والنحاس والحديد والرصاص والقصدير ينالها من البلا والفنا ما يذهب باعيانها
لاقرب وقت واما ما وقع في مصر من امر المطالب والكنوز فسببه ان مصر كانت
في ملكة القبط منذ الفين او يزيد من السنين وكان موتاهم يدفنون بموجودهم
من الذهب والفضة والجواهر واللالي على مذهب من تقدم من اهل الدول فلما انقرضت
دولة القبط وملكوا الفرس بلادهم نقروا على ذلك من قبورهم وكشفوا عنه فاخذوا من
قبورهم ما لا يوصف كالاهرام من قبور الملوك وغيرها وكذا فعل اليونانيون من بعدهم
وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد ويعثر على الدفين فيها في كثير من الاوقات
اما ما يدفنونه من اموالهم او ما يكرمون به موتاهم في الدفن من اوعية وتوابيت من
الذهب والفضة معدة لذلك فصارت قبور القبط منذ الاف من السنين مظنة لوجود
ذلك فيها فلذلك عني اهل مصر بالبحث عن المطالب لوجود ذلك فيها واستخراجها
حتى انهم حين ضربت المكوس على الاصناف اخر الدول ضربت على اهل المطالب
وصارت ضريبة على من يشتغل بذلك من الحمقى والمهوسين فوجد بذلك المتعاطون لها

من

من اهل الاطماع الذريعة الى الكشف عنه والزعم باستخراجه وما حصلوا الا على
الخيبة في جميع مساعيهم نعوذ بالله من الخسران فيحتاج من دفع الى شي من هذا
الوسواس او ابتلي به ان يتعوذ بالله من العجز والكسل في طلب معاشه كما تعوذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينصرف عن طرق الشيطان ووسواسه ولا
يشغل نفسه بالمحالات والكاذب من الحكايات والله يرزق من يشا بغير حساب

## فصل في ان الجاه مفيد للمال

وذلك انا نجد صاحب الجاه والحظوة في جميع اصناف المعاش اكثر يسارا وثروة
من فاقد الجاه والسبب في ذلك ان صاحب الجاه مخدوم بالاعمال يتقرب بها اليه
في سبيل التزلف والحاجة الى جاهه فالناس معينون له باعمالهم في جميع حاجاته
من ضروري او حاجي او كمالي فتحصل قيمة تلك الاعمال كلها من كسبه وجميع ما شانه
ان تبذل فيه الاعواض من العمل يستعمل فيها الناس من غير عوض فتتوفر قيم
تلك الاعمال عليه فهو بين قيم للاعمال يكتسبها وقيم اخرى تدعوه الضرورة الى
اخراجها فتتوفر عليه والاعمال لصاحب الجاه كثيرة فيفيد الغنى لاقرب وقت
ويزداد مع الايام يسارا وثروة ولهذا المعنى كانت الامارة احد اسباب المعاش
كما قدمناه وفاقد الجاه بالكلية ولو كان صاحب مال فلا يكون يساره الا بمقدار
ماله وعلى نسبة سعيه وهولاء هم اكثر التجار ولهذا تجد اهل الجاه منهم يكونون
ايسر بكثير ومما يشهد لذلك انا نجد كثيرا من الفقها واهل الدين والعبادة اذا اشتهر
حسن الظن بهم واعتقد الجمهور معاملة الله في ارفادهم فاخلص الناس في اعانتهم
على احوال دنياهم والاعتمال في مصالحهم اسرعت اليهم الثروة واصبحوا مياسير
من غير مال مقتنى الا ما يحصل لهم من قيم الاعمال التي وقعت المعونة بها من الناس
لهم راينا من ذلك اعدادا في الامصار والمدن وفي البدو يسعى لهم الناس في
الفلح والتجر وهو قاعد في منزله لا يبرح من مكانه فينمو ماله ويعظم كسبه ويتاثل الغنى
من غير سعي ويعجب من لا يفطن لهذا السر في حال ثروته واسباب غناه ويساره
والله يرزق من يشا بغير حساب

## فصل في ان السعادة والكسب انما يحصل غالبا لاهل الخضوع والملق وان هذا الخلق من اسباب السعادة

قد سبق لنا فيما سلف ان الكسب الذي يستفيده البشر انما هو قيم اعمالهم
ولو قدر احد عطل عن العمل جملة لكان فاقد الكسب بالكلية وعلى
قدر عمله وشرفه بين الاعمال وحاجة الناس اليه يكون قدر قيمته وعلى قدر ذلك
نمو كسبه او نقصانه وقد بينا انفا ان الجاه يفيد المال لما يحصل لصاحبه
من تقرب الناس اليه باعمالهم واموالهم في دفع المضار وجلب المنافع وكان

الكسب

ما يتقربون به من عمل او مال عوضا عما يحصلون عليه بسبب الجاه من كثير الاغراض
في صالح او طالح وتصير تلك الاعمال في كسبه وقيمها اموال وثروة له فيستفيد
الغنى واليسار لاقرب وقت ثم ان الجاه متوزع في الناس ومترتب فيهم طبقة بعد
طبقة ينتهي في العلو الى الملوك الذين ليس فوقهم يد غالبة وفي السفل الى من
لا يملك ضرا ولا نفعا بين ابنا جنسه وبين ذلك طبقات متعددة حكمة من الله
في خليقته بما ينتظم معاشهم وتتيسر مصالحهم ويتم بقاوهم لان النوع الانساني
لما كان لا يتم وجوده وبقاوه الا بتعاون ابنايه على مصالحهم لانه قد تقرر ان الواحد
منهم لا يتم وجوده وانه وان ندر ذلك في صورة مفروضة فلا يصح بقاوه ثم ان هذا
التعاون لا يحصل الا بالاكراه عليه لجهلهم في الاكثر بمصالح النوع ولما جعل لهم
من الاختيار وان افعالهم انما تصدر بالفكر والروية لا بالطبع فقد يمتنع من المعاونة
فيتعين حمله عليها فلا بد من حامل يكره ابنا النوع على مصالحهم لتتم الحكمة الالهية
في بقا هذا النوع وهذا معنى قوله وجعلنا بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون فقد تبين ان معنى الجاه
هو القدرة الحاصلة للبشر على التصرف فيمن تحت ايديهم من ابنا جنسهم بالاذن
والمنع والتسلط فيهم بالقهر والغلبة ليحملهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في
العدل باحكام الشرايع او السياسة وعلى اغراضه فيما سوى ذلك لكن الاول
معقود في العناية الربانية والثاني داخل فيها بالعرض كساير الشرور الداخلة في
القضا الالهي لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر يسير من اجل المواد فلا
يفوت الخير لذلك بل يقع على ما ينطوي عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع
الظلم في الخليقة فتفهم ثم ان كل طبقة من طباق اهل العمران من مدينة او اقليم
لها قدرة على من دونها من الطباق وكل واحد من الطبقة السفلى يستمد بذي الجاه من
اهل الطبقة التي فوقه ويزداد كاسبه تصرفا فيمن تحت يده على قدر ما يستفيد منه
والجاه مع ذلك داخل على الناس في جميع ابواب المعاش ويتسع ويضيق بحسب
الطبقة والطور الذي فيه صاحبه فان كان الجاه متسعا كان الكسب الناشي
عنه كذلك وان كان ضيقا قليلا فمثله وفاقد الجاه ولو كان له مال فلا يكون
يساره الا بمقدار عمله او ماله وعلى نسبة سعيه ذاهبا وجاييا في تنميته
كاكثر التجار واهل الفلاحة في الغالب واهل الصنايع كذلك اذا فقدوا الجاه واقتصروا
على فوايد صنايعهم فانهم يصيرون الى الفقر والخصاصة في الاكثر ولا تسرع اليهم ثروة
انما يرمقون العيش ترميقا ويدفعون ضرورة الفقر مدافعة واذا تقرر ذلك
وان الجاه متوزع وان السعادة والخير مقترنان بحصوله علمت ان بذله و
افادته من اعظم النعم واجلها وان باذله من اجل المنعمين وانما يبذله لمن تحت

بالذات

من

يده فيكون بذله بيد عالية وعزة فيحتاج طالبه ومبتغيه الى خضوع وتملق
كما يسال اهل العز والملوك والا فيتعذر حصوله فلذلك قلنا ان الخضوع والملق
من اسباب حصول هذا الجاه المحصل للسعادة والكسب وان اكثر اهل الثروة
والسعادة بهذا الخلق ولهذا نجد الكثير ممن يتخلق بالترفع والشمم لا يحصل
لهم غرض من الجاه فيقتصرون في التكسب على اعمالهم ويصيرون الى الفقر والخصاصة
واعلم ان هذا الكبر والترفع من الاخلاق المذمومة انما يحصل من توهم الكمال وان
الناس يحتاجون الى بضاعته من علم او صناعة كالعالم المتبحر في علمه والكاتب المجيد
في كتابته والشاعر البليغ في شعره وكل محسن في صناعته يتوهم ان الناس
محتاجون الى ما بيده فيحدث له ترفع عليهم بذلك وكذا يتوهم اهل الانساب
ممن كان في ابايه ملك او عالم مشهور او كامل في طور يعتزون بما راوه او سمعوه
من حال ابايهم في المدينة ويتوهمون انهم استحقوا مثل ذلك بقرابتهم ووراثتهم
عنهم فهم مستمسكون في الحاضر بالامر المعدوم اذ الكمال لا يورث وكذلك اهل الحنكة
والتجارب والبصر بالامور قد يتوهم بعضهم كمالا في نفسه بذلك واحتياجا اليه
ونجد هولا الاصناف كلهم مترفعين لا يخضعون لصاحب جاه ولا يتملقون
لمن هو اعلى منهم ويستصغرون من سواهم لاعتقادهم الفضل على الناس فيستنكف
احدهم عن الخضوع ولو كان للملك ويعده مذلة وهوانا وسفها ويحاسب الناس
في معاملتهم اياه بمقدار ما يتوهم في نفسه ويحقد على من قصر له في شي مما يتوهمه
من ذلك وربما يدخل على نفسه الهموم والاحزان من تقصيرهم فيه ويستمر في عنا
عظيم من ايجاب الحق لنفسه وابايه الناس له من ذلك ويحصل له المقت من الناس
لما في طباع البشر من التاله وقل ان يسلم احد منهم لاحد في الكمال والترفع عليه
الا ان يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاستطالة وهذا كله في ضمن الجاه
فاذا فقد صاحب هذا الخلق الجاه وهو مفقود له كما تبين لك مقته الناس
بهذا الترفع ولم يحصل له حظ من احسانهم وفقد الجاه لذلك من اهل الطبقة
التي هي اعلا منه لاجل المقت وما يحصل له بذلك من القعود عن تعاهدهم وغشيان
منازلهم ففسد معاشه وبقي في خصاصة وفقر او فوق ذلك بقليل واما الثروة فلا
تحصل له اصلا ومن هذا اشتهر بين الناس ان الكامل في المعرفة محروم من الحظ وانه
قد حوسب بما رزق من المعرفة واقتطع له ذلك من الحظ وهذا معناه ومن خلق لشي
يسر له والله المقدر لا رب سواه ولقد يقع في الدول اضطراب في المراتب من اجل
هذا الخلق ويرتفع فيها كثير من السفلة وينزل كثير من العلية بسبب ذلك
وذلك ان الدول اذا بلغت نهايتها من التغلب والاستيلا وانفرد منها منبت
الملك بملكهم وسلطانهم وييس سواهم من ذلك وانما صاروا في مراتب دون مرتبة

اليهم

الملك وتحت يد السلطان وكانهم خول له فاذا استمرت الدولة وشمخ الملك تساوى
حينئذ في المنزلة عند السلطان كل من انتمى الى خدمته وتقرب اليه بنصيحة
واصطنعه السلطان لغنائه في كثير من مهماته فتجد كثيرا من السوقة يسعى في
التقرب من السلطان بجده ونصحه ويتزلف اليه بوجوه خدمته ويستعين
على ذلك بعظيم من الخضوع والتملق له ولحاشيته واهل نسبه حتى يترسخ قدمه
معهم وينظمه السلطان في جملته فيحصل له بذلك حظ عظيم من السعادة
وينتظم في عداد اهل الدولة وناشئة الدولة حينئذ من ابناء قومها الذين
ذللوا صعابها ومهدوا اكنافها معتزون بما كان لابائهم في ذلك من الاثار تشمخ
به نفوسهم على السلطان ويعتدون باثاره ويجرون في مضمار الدالة بسببه
فيمقتهم السلطان لذلك ويباعدهم ويميل الى هولاء المصطنعين الذين
لا يعتدون بقديم ولا يذهبون الى دالة ولا ترفع انما دابهم الخضوع له والتملق
والاعتمال في غرضه متى ذهب اليه فيتسع جاههم وتعلو منازلهم وتنصرف
اليهم الوجوه والخواطر بما يحصل لهم من ميل السلطان والمكانة عنده ويبقى
ناشئة الدولة فيما هم فيه من الترفع والاعتداد بالقديم لا يزيدهم ذلك الا
بعدا من السلطان ومقتا وايثارا لهولاء المصطنعين عليهم الى ان تنقرض
الدولة وهذا امر طبيعي في الدول ومنه جاء شان المصطنعين في الغالب والله فعال لما يريد

## فصل في ان القائمين بامور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب

والسبب في ذلك كما قدمناه ان الكسب قيمة الاعمال وانها متفاوتة بحسب الحاجة
اليها فاذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة البلوى فيه كانت قيمتها
اعظم وكانت الحاجة اليها اشد واهل هذه البضائع الدينية لا تضطر اليهم عامة
الخلق وانما يحتاج الى ما عندهم الخواص ممن اقبل على دينه وان احتيج
الى القضاء والفتيا في الخصومات فليس على وجه الاضطرار والعموم فيقع
الاستغناء عن هولاء في الاكثر وانما يهتم بهم وباقامة مراسمهم صاحب الدولة
بما له من النظر في المصالح فيقسم لهم حظا من الرزق على نسبة الحاجة
اليهم على النحو الذي قررناه لا يساويهم باهل الشوكة ولا باهل الصنائع الضرورية
وان كانت بضاعتهم اشرف من حيث الدين والمراسم الشرعية لكنه يقسم
بحسب عموم الحاجة وضرورة اهل العمران فلا يصح في قسمهم الا القليل وهم ايضا
لشرف بضائعهم اعزة على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لاهل الجاه حتى
ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق بل ولا تفرغ اوقاتهم لذلك لما هم فيه من
الشغل بهذه البضائع الشريفة المشتملة على الفكر والبدن بل ولا يسعهم ابتذال

انفسهم

انفسهم لاهل الدنيا لشرف بضائعهم فهم بمعزل عن ذلك فلذلك لا تعظم ثروتهم
في الغالب ولقد باحثت بعض الفضلاء فنكر علي ذلك فوقع بيدي اوراق
مخرقة من حسبانات الدواوين بدار المامون تشتمل على كثير من الدخل والخرج
يومئذ وكان فيما طالعت فيه ارزاق القضاة والايمة والموذنين فوقفته
عليه وعلم منه صحة ما قلته ورجع اليه وقضينا العجب من اسرار الله تعالى
في خليقته وحكمته في عوالمه والله الخالق المقدر

## فصل في ان الفلاحة من معاش المستضعفين واهل العافية من البدو

وذلك لانه اصل في الطبيعة وبسيط في منحاه ولهذا لا تجده ينتحله احد من اهل
الحضر في الغالب ولا من المترفين ويختص منتحله بالمذلة قال صلى الله عليه وسلم
وقد راى السكة ببعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الا دخله الذل
وحمله البخاري على الاستكثار منه وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال
بالة الزرع او تجاوز الحد الذي امر به والسبب فيه والله اعلم ما يتبعها من
المغرم المفضي الى التحكم واليد العالية فيكون الغارم ذليلا بائسا بما تتناوله
ايدي القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة
مغرما اشارة الى الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط والجور
ونسيان حقوق الله تعالى في المتمولات واعتبار الحقوق كلها مغارم للملوك والدول والله قادر
على ما يشاء

## فصل في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها

اعلم ان معنى التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلعة بالرخص
وبيعها بالغلاء ما كانت السلعة من رقيق او زرع او حيوان او سلاح او قماش
وذلك القدر النامي يسمى ربحا والمحاولة لذلك الربح اما بان يختزن السلعة
ويتحين بها حوالة السوق من الرخص الى الغلاء فيعظم ربحه واما بان ينقله
الى بلد اخر تنفق فيه تلك السلعة اكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم
ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطالب الكشف عن حقيقة التجارة
انا اعلمكها في كلمتين اشتراء الرخيص وبيع الغالي فقد حصلت التجارة
اشارة له بذلك الى المعنى الذي قررناه والله الرزاق ذو القوة المتين

## فصل في نقل التاجر للسلع

التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع الا ما تعم الحاجة اليه من الغني
والفقير والسلطان والسوقة اذ في ذلك نفاق سلعته واما اذا اختص
نقله بما يحتاج اليه البعض فقط فقد يتعذر نفاق سلعته حينئذ باعواز
الشراء على ذلك البعض لعارض من العوارض فتكسد سوقه وتفسد ارباحه
وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج اليها فانما ينقل الوسط من صنفها فان

فان العال من كل صنف من السلع انما يختص به اهل الثروة وحاشية الدولة
وهم الاقل وانما يكون الناس اسوة في الحاجة الى الوسط من كل صنف
فليتحر ذلك جهده ففيه نفاق سلعته او كسادها وكذلك نقل السلع من البلد
البعيد المسافة او في شدة الخطر في الطرقات يكون اكثر فائدة للتجار
واعظم ارباحا واكفل بحوالة الاسواق لان السلع المنقولة حينئذ تكون
قليلة معوزة لبعد مكانها او شدة الغرر في طريقها فيقل حاملوها ويعز وجودها
واذا قلت وعزت غلت اثمانها واذا كان البلد قريب المسافة والطريق سابل
بالامن فانه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص اثمانها ولهذا نجد التجار الذين
يولعون بالدخول الى بلاد السودان ارفه الناس واكثرهم اموالا لبعد طريقهم
ومشقته واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش لا يوجد فيها الما الا في
اماكن معلومة يهتدي اليها ادلاء الركاب فلا يرتكب هذا الطريق وبعده الا الاقل
من الناس فتجد سلع بلاد السودان قليلة لدينا فتختص بالغلا وكذا سلعنا
لديهم فتعظم بضائع التجار من تناقلها ويسرع اليهم الغنى والثروة من اجل ذلك
وكذلك المسافرون من بلادنا الى المشرق لبعد الشقة ايضا واما المترددون
في الافق الواحد ما بين امصاره وبلدانه ففائدتهم قليلة وارباحهم
تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقليها والله الرزاق ذو القوة المتين

## فصل في الاحتكار

ومما اشتهر عند ذوي البصر والتجربة في الامصار ان احتكار الزرع لتحين اوقات
الغلا مشؤوم وانه يعود على فائدته بالتلف والخسران وسببه والله اعلم
ان الناس لحاجتهم الى الاقوات مضطرون الى ما يبذلون فيها من المال اضطرارا
فتبقى النفوس متعلقة به وفي تعلق النفوس بما لها سر كبير في وباله على من ياخذه
مجانا ولعله الذي اعتبره الشارع في اخذ اموال الناس بالباطل وهذا
وان لم يكن مجانا فالنفوس متعلقة به لاعطائه ضرورة من غير سعة في العذر
فهو كالمكره وما عدا الاقوات والماكولات من المبيعات لا اضطرار للناس اليها
وانما يبعثهم عليها التفنن في الشهوات فلا يبذلون اموالهم فيها الا باختيار
وحرص ولا يبقى لهم تعلق بما اعطوه فلهذا يكون من عرف بالاحتكار تجتمع القوى
النفسانية على متابعته لما ياخذ من اموالهم فيفسد ربحه والله تعالى اعلم
وسمعت فيما يناسب هذا حكاية ظريفة عن بعض مشيخة المغرب اخبرني شيخنا
ابو عبد الله الابلي قال حضرت عند القاضي بفاس لعهد السلطان ابي سعيد
وهو الفقيه ابو الحسن المليلي وقد عرض عليه ان يختار بعض الالقاب المخزنية
لجرايته فاطرق مليا ثم قال من مكس الخمر فاستضحك الحاضرون من اصحابه

وعجبوا وسالوه عن حكمة ذلك فقال اذا كانت الجبايات كلها حراما فاختار منها ما لا
تتابعه نفوس معطيه والخمر قل ان يبذل احد فيها ماله الا وهو طرب
مسرور بوجدانه غير اسف عليه ولا متعلق به وهذه ملاحظة غريبة والله اعلم

## فصل في ان رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخص

وذلك ان الكسب والمعاش كما قدمناه انما هو بالصنائع او التجارة والتجارة هي
شرا البضائع والسلع وادخارها يتحين بها حوالة الاسواق بالزيادة في اثمانها ويسمى
ربحا ويحصل منه الكسب والمعاش للمحترفين بالتجارة دايما فاذا استديم الرخص في سلعة
او عرض من ماكول او ملبوس او متمول على الجملة ولم يحصل للتاجر حوالة الاسواق
فيه فسد الربح والنما بطول تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف ولم يحصل التاجر
الا على العنا فقعد التجار عن السعي فيها وفسدت رؤوس اموالهم واعتبر ذلك
مثلا بالزرع فانه اذا استديم رخصه يفسد به احوال المحترفين به في ساير اطواره
من الفلح والزراعة لقلة الربح فيه وندارته او فقده فيفقدون النما في اموالهم
او يجدونه على قلة ويعودون بالانفاق على رؤوس اموالهم وتفسد احوالهم ويصيرون
الى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك فساد حال المحترفين ايضا بالطحن والخبز وساير
ما يتعلق بالزرع من الحرث الى ان يصيره ماكولا وكذا يفسد حال الجند
اذا كانت ارزاقهم من السلطان عند اهل الفلح زرعا فانها تقل جبايتهم
من ذلك ويعجزون عن اقامة الجندية التي هم بسببها ومطالبون بها من السلطان
عليها فينقطع عنهم الرزق وتفسد احوالهم وكذا اذا استديم الرخص في العسل
والسكر فسد جميع ما يتعلق به وقعد المحترفون عن التجارة فيه وكذا سائر الملبوسات
اذا استديم فيها الرخص وكذا الغلا المفرط ايضا وربما يكون في النادر سببا
لنما المال بسبب احتكاره وعظم فائدته وانما معاش الناس وكسبهم في
التوسط من ذلك وسرعة حوالة الاسواق ومعرفة ذلك ترجع الى العوائد المتقررة
بين اهل العمران وانما يحمد الرخص في الزرع من بين المبيعات لعموم
الحاجة اليه واضطرار الناس الى الاقوات من بين الغني والفقير والعالة
من الخلق هم الاكثر في العمران فيعم الرفق بذلك ويرجح جانب القوت على جانب
التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القوة المتين

## فصل في اي اصناف الناس ينتفع بالتجارة وايهم ينبغي له تركها

قد تقدم لنا ان معنى التجارة تنمية المال بشرا البضائع ومحاولة بيعها
باغلى من ثمن الشرا اما بانتظار حوالة الاسواق او نقلها الى بلد هي فيه انفق
واغلى او بيعها بالغلا على الآجال وهذا الربح بالنسبة الى اصل المال يسير
لان المال اذا كان كثيرا عظم الربح لان القليل في الكثير كثير ثم لا بد في

محاولة بين التنمية الذي هو الربح في حصول هذا المال بايدي الباعة في شرا
البضايع وبيعها وتقاضي اثمانها واهل النصفة منهم قليل فلا بد من الغش
والتطفيف المجحف بالبضايع والمطل في الاثمان المجحف بالربح لتعطيل المحاولة
في تلك المدة وبها نماوه ومن الجحود والانكار المسحت لراس المال ان لم يتقيد
بالكتاب والشهادة وغنا الحكام في ذلك قليل لان الحكم انما هو على الظاهر فيعاني
التاجر من ذلك احوالا صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه من الربح الا بعظيم العنا
والمشقة او لا يحصل او يتلاشا راس ماله فان كان جريا على الخصومة بصيرا
بالحسبان شديد المماحكة مقداما على الحكام كان ذلك اقرب له الى النصفة منهم
بجراته ومماحكته والا فلا بد له من جاه يدرع به فيوقع له الهيبة عند الباعة
ويحمل الحكام على انصافه من غرمايه فيحصل له بذلك النصفة واستخلاص ماله منهم
طوعا في الاول وكرها في الثاني واما من كان فاقد الجراة والاقدام من نفسه
وفاقد الجاه من الحكام فينبغي ان يجتنب التجارة لانه يعرض بماله
للذهاب ويصير ماكلة للباعة ولا يكاد ينتصف منهم لان الناس في الغالب
متطلعون الى ما بايدي الناس ولولا وازع الحكام ما سلم لاحد شي مما في يده خصوصا
الباعة وسفلة الناس ورعاعهم ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض
ولكن الله ذو فضل على العالمين

## فصل في ان خلق التجار نازلة عن خلق الرؤسا وبعيدة عن المروة

قد قدمنا في الفصل قبله ان التاجر مدفوع الى معاناة البيع والشرا وجلب
الفوايد والارباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمماحلة والتحذلق وممارسة
الخصومات واللجاج وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الاوصاف تغض من الذكا
والمروة وتجرح فيها لان الافعال لا بد من عود اثارها على النفس فافعال الخير
تعود باثار الخير والذكا وافعال الشر والسفسفة تعود بضد ذلك فيتمكن
وترسخ ان سبقت وتنقص من خلال الخير ان تاخرت عنها بما ينطبع من اثارها
المذمومة في النفس شان الملكات الناشية عن الافعال وتتفاوت هذه
الاثار بتفاوت اصناف التجار في اطوارهم فمن كان منهم سافل الطور مخالطا لشرار
الباعة اهل الغش والخلابة والفجور في الايمان على البياعات والاثمان
اقرارا وانكارا كانت رداة تلك الخلق عنده اشد وغلبت عليه السفسفة
وبعد عن المروات واكتسابها بالجملة والا فلا بد له من تاثير المكايسة والمماحكة
في مروته وفقدان ذلك فيهم بالجملة قليل ووجود الصنف الثاني منهم الذي قدمناه
في الفصل قبله انهم يدرعون بالجاه ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر واقل من النادر
وذلك ان يكون المال قد توفر عنده دفعة بنوع غريب او ورثه عن احد من اهل بيته



والمضيعة صح

وتكرر شهو

تحصلت له ثروة تعينه على الاتصال باهل الدولة وتكسبه ظهورا وشهرة بين اهل
عصره فيترفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه الى من يقوم له به من وكلايه وحشمه
ويسهل لهم الحكام النصفة في حقوقهم بما يونسونه من بره واتحافه فيبعدون عن تلك
الخلق بالبعد عن معاناة الافعال المقتضية لها كما مر فتكون مروتهم ارسخ وابعد عن
المحرجات الا ما يسري من اثار تلك الافعال من ورا الحجاب فانهم يضطرون الى المشاهدة
احوال اولئك الوكلا ووفاقهم او خلافهم فيما ياتون ويذرون من ذلك الا انه قليل
ولا يكاد يظهر اثره والله خلقكم وما تعملون

## فصل في ان الصنايع لا بد لها من المعلم

[redacted]
اعلم ان الصناعة
هي ملكة في امر عملي فكري وبكونه عمليا هو جسماني محسوس
[redacted]
والاحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشرة اوعب لها واكمل لان المباشرة في
الاحوال الجسمانية المحسوسة اتم فايدة والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال
ذلك الفعل وتكرره مرة بعد اخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الاصل تكون الملكة
ونقل المعاينة اوعب واتم من نقل الخبر وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم
يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته ثم ان الصنايع منها البسيط
ومنها المركب والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون
للكماليات والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته اولا ولانه مختص
بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله فيكون سابقا في التعليم ويكون تعليمه
لذلك ناقصا ولا يزال الفكر يخرج اصنافها ومركباتها من القوة الى الفعل بالاستنباط
شيا فشيا على التدريج حتى تكمل ولا يحصل ذلك دفعة وانما [redacted]
يحصل في ازمان واجيال اذ خروج الاشيا من القوة الى الفعل لا يكون دفعة لا سيما
في الامور الصناعية فلا بد له اذا من زمان ولهذا تجد الصنايع في الامصار الصغيرة
ناقصة ولا يوجد منها الا البسيط فاذا تزيدت حضارتها ودعت
امور الترف فيها الى استعمال الصنايع خرجت من القوة الى الفعل والله سبحانه وتعالى اعلم

## فصل في ان الصنايع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته

والسبب في ذلك ان الناس ما لم يستوف العمران الحضري وتتمدن المدينة
انما همهم في الضروري من المعاش وهو تحصيل الاقوات من الحنطة وغيرها
فاذا تمدنت المدينة وتزيدت فيها الاعمال ووفت بالضروري وزادت عليه صرف
الزايد حينيذ الى الكمالات من المعاش ثم ان الصنايع والعلوم انما هي للانسان
من حيث فكره الذي يتميز به عن الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية
والغذايية فهو مقدم لضرورته على العلوم والصنايع وهي متاخرة عن الضروري

والعلم فالملكة اكمل صفة راسخة اكمل واتم
والملكة اكمل صلة من الخبر صح

وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنايع للتانق فيها حينيذ وجودة ما يطلب منها
بحيث دواعي الترف والثروة واما العمران البدوي او القليل فلا يحتاج من
الصنايع الا البسيط خاصة المستعمل في الضرورات من نجار او حداد او خياط
او جزار او حايك واذا وجدت هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستجادة وانما يوجد
منها بمقدار الضرورة اذ هي كلها وسايل الى غيرها وليست مقصودة لذاتها
واذا زخر بحر العمران وطلبت فيها الكمالات كان من جملتها التانق في الصنايع
واستجادتها فكملت بجميع متماتها وتزيدت صنايع اخرى معها مما تدعو اليه عوايد
الترف واحواله من جزار ودباغ وحرار وصايغ وامثال ذلك وقد تنتهي هذه الاصناف
اذا استبحر العمران ان يوجد فيها كثير من الكمالات ويتانق فيها في الغاية وتكون
من وجوه المعاش في المصر لمنتحلها بل تكون فايدتها من اعظم فوايد الاعمال
لما يدعو اليه الترف في المدينة مثل الدهان والصفار والحمامي والطباخ والسفاج
والهراس ومعلم الغنا والرقص وقرع الطبول على التوقيع ومثل الوراقين الذين
يعانون صناعة انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها فان هذه الصناعة
انما يدعو اليها الترف في المدينة من الاشتغال بالامور الفكرية وامثال ذلك وقد
تخرج عن الحد اذا كان العمران خارجا عن الحد كما بلغنا عن اهل مصر ان فيهم
من يعلم الطيور العجم والحمر الانسية ويتخيل اشيا من العجايب بايهام قلب الاعيان
وتعليم الحدا والرقص والمشي على الخيوط في الهوا ورفع الاثقال من الحيوانات
والحجارة وغير ذلك من الصنايع التي لا توجد عندنا بالمغرب لان عمران
امصاره لم يبلغ عمران مصر والقاهرة والله الحكيم العليم

## فصل في ان رسوخ الصنايع في الامصار برسوخ الحضارة وطول امدها

والسبب في ذلك ظاهر وهو ان هذه كلها عوايد للعمران والالوان والعوايد
انما ترسخ بكثرة التكرار وطول الامد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الاجيال
واذا استحكمت الصبغة عسر نزعها ولهذا انا نجد الامصار التي كانت
استبحرت في الحضارة لما تراجع عمرانها وتناقص بقيت فيها اثار من هذه
الصنايع ليست في غيرها من الامصار المستحدثة العمران ولو بلغت مبالغها في
الوفور والكثرة وما ذاك الا لان احوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة
بطول الاحقاب وتداول الاحوال وتكررها وهذه لم تبلغ الغاية بعد وهذا
كالحال في الاندلس لهذا العهد فانا نجد فيها رسوم الصنايع قايمة واحوالها
مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو اليه عوايد امصارها كالمباني والطبخ واصناف
الغنا واللهو من الالات والاوتار والرقص وتنضيد الفرش في القصور وحسن
الترتيب والاوضاع في البنا وصوغ الانية من المعادن والخزف وجميع المواعين

واقامة

واقامة الولايم والاعراس وساير الصنايع التي يدعو اليها الترف وعوايده فنجدهم
اقوم الناس عليها وابصرهم بها ونجد صنايعها مستحكمة لديهم فهم على حصة موفورة
من ذلك وحظ متميز بين جميع الامصار وان كان عمرانها قد تناقص والكثير منه لا يساوي
عمران غيرها من بلاد العدوة وما ذاك الا لما قدمناه من رسوخ الحضارة فيهم برسوخ
الدولة الاموية وما قبلها من دولة القوط وما بعدها من دولة الطوايف الى هلم
فبلغت الحضارة فيها مبلغا لم تبلغه في قطر الا ما ينقل عن العراق والشام ومصر
ايضا لطول اماد الدول فيها فاستحكمت فيها الصنايع [illegible] وكملت جميع اصنافها
على الاستجادة والتنميق وبقيت صبغتها ثابتة في ذلك العمران لا تفارقه الى ان ينتقض
بالكلية حال الصبغ اذا رسخ في الثوب وكذا ايضا حال تونس فيما حصل فيها من الحضارة
بالدولة الصنهاجية والموحدين من بعدهم وما استكمل لها ذلك من الصنايع في
ساير الاحوال وان كان ذلك دون الاندلس الا انه متضاعف برسوم منها تنتقل
اليها من مصر لقرب المسافة بينهما وتردد المسافرين من قطرها الى قطر مصر في كل سنة
وربما سكن اهلها هناك عصورا فينقلون من عوايد ترفهم ومحكم صنايعهم ما يقع
لديهم موقع الاستحسان فصارت احوالها في ذلك متشابهة من احوال مصر لما ذكرناه
ومن احوال الاندلس لما ان اكثر ساكنها من شرق الاندلس حين الجلا[illegible] لعهد
المايه السابعة ورسخ فيها من ذلك احوال وان كان عمرانها ليس بمناسب لذلك لهذا
العهد الا ان الصبغة اذا استحكمت فقليلا ما تحول الا بزوال محلها وكذا نجد
بالقيروان ومراكش وقلعة ابن حماد اثرا باقيا من ذلك وان كانت هذه كلها
اليوم خرابا او في حكم الخراب ولا يتفطن لها الا البصير من الناس فيجد من هذه
الصنايع اثارا تدله على ما كان بها كاثر الخط الممحو في الكتاب والله الخلاق العليم

## فصل في ان الصنايع انما تستجاد وتكثر اذا كثر طالبها

والسبب في ذلك ان الانسان لا يسمح بعمله ان يقع مجانا لانه كسبه ومنه معاشه
١٧١ اذ لا فايدة له في جميع عمره في شي مما سواه فلا يصرفه الا فيما له قيمة في مصره
ليعود عليه بالنفع واذا كانت الصناعة مطلوبة وتوجه اليها النفاق كانت
حينيذ الصناعة بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتجلب للبيع فتجتهد الناس
في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم واذا لم تكن الصناعة مطلوبة
لم تنفق سوقها ولا توجه قصد الى تعلمها فاختصت بالترك وفقدت للاهمال
ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه قيمة كل امرئ ما يحسن بمعنى ان صناعته
هي قيمته اي قيمة عمله الذي هو معاشه وايضا فهنا سر اخر وهو ان
الصنايع واجادتها انما تطلبها الدولة فهي التي تنفق سوقها
وتوجه الطلبات اليها وما لم تطلبه الدولة وانما يطلبه غيرها من اهل

المصر فليس على نسبتها لان الدولة هي السوق الاعظم وفيها نفاق كل شي
والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فما نفق فيها كان اكثريا ضرورة والسوقة
وان طلبوا الصناعة فليس طلبهم بعام ولا سوقهم بنافقة والله قادر على ما يشا

### فصل في ان الامصار اذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنايع

وذلك لما بيناه من ان الصنايع انما تستجاد اذا احتيج اليها وكثر طالبها فاذا ضعفت
احوال المصر واخذ في الهرم بانتقاص عمرانه وقلة ساكنه تناقص فيه الترف
ورجعوا الى الاقتصار على الضروري من احوالهم فتقل الصنايع التي كانت من
توابع الترف لان صاحبها حينيذ لا يصح له بها معاشه فيفر الى غيرها او يموت
ولا يكون خلف منه فيذهب رسم تلك الصنايع جملة كما يذهب النقاشون والصواغون
والكتاب والنساخ وامثالهم من الصناع لحاجات الترف ولا تزال الصناعات
في تناقص ما دام المصر يتناقص الى ان يضمحل والله الخلاق العليم

### فصل في ان العرب ابعد الناس عن الصنايع

والسبب في ذلك انهم اعرق في البدو وابعد عن العمران وما يدعو اليه من الصنايع وغيرها
والعجم من اهل المشرق وامم النصرانية عدوة البحر الرومي اقوم الناس عليها لانهم اعرق
في العمران الحضري وابعد عن البدو وعمرانه حتى ان الابل التي اعانت العرب
على التوحش في القفر والاعراق في البدو مفقودة لديهم بالجملة ومفقودة مراعيها
والرمال المهيية لنتاجها ولهذا نجد اوطان العرب وما ملكوه في الاسلام قليل الصنايع
بالجملة حتى تجلب اليه من قطر اخر وانظر بلاد العجم من الصين والهند وارض الترك
وامم النصرانية كيف استكثرت فيها الصنايع واستجلبها الامم من عندهم
وعجم المغرب من البربر بمثابة العرب لرسوخهم في البداوة منذ احقاب من السنين ويشهد
لك بذلك قلة الامصار بقطرهم كما قدمناه فالصنايع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكمة
الا ما كان من صناعة الصوف في نسجه والجلد في خرزه ودبغه فانهم لما استحضروا
بلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها وكون هذين اغلب السلع في قطرهم
لما هم عليه من حال البداوة واما المشرق فقد رسخت الصنايع فيه منذ ملك الامم
الاقدمين من الفرس والنبط والقبط وبني اسرايل ويونان والروم احقابا
متطاولة فرسخت فيهم احوال الحضارة ومن جملتها الصنايع كما قدمناه فلم يمح
رسمها واما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة وان ملكها العرب الا انهم تداولوا ملكه
الافا من السنين في امم كثيرين منهم واختطوا ايضا امصاره ومدنه وبلغوا المبالغ
من الحضارة والترف مثل عاد وثمود والعمالقة وحمير من بعدهم والتبابعة والاذواء
فطال امد الملك والحضارة واستحكمت صبغتها وتوفرت الصنايع ورسخت فلم تبل
ببلى الدولة كما قلناه فبقيت مستجدة حتى الان واختصت بذلك الوطن كصناعة الوشي

المضر ح

في ذلك صح

والعصب

والعصب وما يستجاد من حوك الثياب والحرير فيها والله وارث الارض ومن عليها

### فصل في ان من حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجيد بعد ملكة في اخرى

ومثال ذلك الخياط اذا اجاد ملكة الخياطة واحكمها ورسخت في نفسه فلا يجيد
من بعدها ملكة النجارة او البنا الا ان تكون الاولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صبغتها
والسبب في ذلك ان الملكات صفات للنفس والوان فلا تزدحم دفعة ومن كان على
الفطرة كان اسهل لقبول الملكات واحسن استعدادا لحصولها فاذا تلونت
النفس بالملكة خرجت عن الفطرة وضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه
الملكة فكان قبولها للملكة الاخرى اضعف وهذا بين يشهد له الوجود فقل ان تجد
صاحب صناعة يحكمها ثم يحكم من بعدها اخرى ويكون فيهما معا على رتبة واحدة من الاجادة
حتى ان اهل العلم الذين ملكتهم فكرية فهم بهذه المثابة ومن حصل منهم على ملكة
علم من العلوم واجادها في الغاية فقل ان يجيد ملكة علم اخر على نسبته
بل يكون مقصرا فيه ان طلبه الا في الاقل النادر من الاحوال ومبنا سببه على ما ذكرناه
من الاستعداد وتلوينه بلون الملكة الحاصلة في النفس والله اعلم

### فصل في الاشارة الى امهات الصنايع

اعلم ان الصنايع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الاعمال المتداولة في العمران
فهي بحيث تشذ عن الحصر ولا ياخذها العد الا ان منها ما هو ضروري في العمران
او شريف بالموضوع فنخصها بالذكر ونترك ما سواها فاما الضروري فكالفلاحة
والبنا والخياطة والنجارة والحياكة واما الشريفة بالموضوع فكالتوليد والكتابة
والوراقة والغنا والطب فاما التوليد فانها ضرورية في العمران وعامة البلوى
اذ بها تحصل حياة المولود وتتم غالبا وموضوعها مع ذلك المولودون وامهاتهم
واما الطب فهو حفظ الصحة للانسان ودفع المرض عنه ويتفرع عن علم الطبيعة
وموضوعه مع ذلك بدن الانسان واما الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهي حافظة على
الانسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان ومبلغة ضماير النفس الى البعيد الغايب
ومخلدة نتايج الافكار والعلوم في الصحف ورافعة رتب الوجود للمعاني واما
الغنا فهو نسب الاصوات ومظهر جمالها للاسماع وكل هذه الصنايع الثلاثة
داع الى مخالطة الملوك الاعاظم في خلواتهم ومجالس انسهم فلها بذلك شرف
ليس لغيرها وما سوى ذلك من الصنايع فتابعة وممتهنة في الغالب
وقد يختلف ذلك باختلاف الاغراض والدواعي والله الخلاق العليم

### فصل في صناعة الفلاحة

هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الاقوات والحبوب بالقيام على اثارة الارض لها
وازدراعها وعلاج نباتها وتعاهده بالسقي والتنمية الى بلوغ غايته ثم حصاد

سنبله واستخراج حبه من غلافه واحكام الاعمال لذلك وتحصيل اسبابه ودواعيه
وهي اقدم الصنايع لما انها محصلة للقوت المكمل لحياة الانسان غالبا اذ يمكن وجوده
من دون جميع الاشيا الا من دون القوت ولهذا اختصت هذه الصناعة بالبدو اذ قدمنا
انه اقدم من الحضر وسابق عليه فكانت هذه الصناعة بدوية لذلك لا يقوم عليها الحضر ولا
يعرفونها لان احوالهم كلها ثانية عن البداوة فصنايعهم ثانية عن صنايعها وتابعة لها والله
الخلاق العليم

## فصل في صناعة البنا

هذه اول صنايع العمران الحضري واقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت
والمنازل للكن والماوي وذلك ان الانسان بما جبل عليه من الفكر في عواقب احواله
لا بد له ان يفكر في موانع اذاية الحر والبرد عنه باتخاذ البيوت ذوات الحيطان والسقف
الحايلة دون ذلك من جهاته والبشر مختلفون في هذه الجبلة الفكرية التي هي معنى
الانسانية فالمعتدلون فيها ولو على التفاوت يتخذون ذلك باعتدال كاهل الاقليم الثاني
وما بعده الى الاقليم السادس واما اهل الاول والسابع فيبعدون عن اتخاذ ذلك
لانحرافهم وقصور افكارهم عن كيفية العمل في الصنايع الانسانية فياوون الى الغيران
والكهوف كما يتناولون الاغذية من غير علاج ولا نضج ثم المعتدلون المتخذون البيوت
للماوي قد يتكاثرون فتكثر بيوتهم في البسيط الواحد بحيث يتناكرون ولا يتعارفون
فيخشى من طروق بعضهم بعضا بياتا فيحتاجون الى حفظ مجتمعهم بادارة سياج
الاسوار التي تحوطهم ويصير جميعها مدينة ومصرا واحدا يحوطهم فيه الحكام بدفاع بعضهم
عن بعض وقد يحتاجون الى الاعتصام من العدو فيتخذون المعاقل والحصون لهم
ولمن تحت ايديهم وهولا مثل الملوك ومن في معناهم من الامرا وكبرا القبايل ثم تختلف
احوال البنا في المدن كل مدينة على ما يتعارفونه ويصطلحون عليه ويناسب مزاج هوايهم
واختلاف احوالهم في الغنا والفقر وكذا حال اهل المدينة الواحدة فمنهم من يتخذ القصور
والمصانع العظيمة الساحة المشتملة على عدة الدور والبيوت والغرف الكبيرة لكثرة ولده
وحشمه وعياله وتابعه ويوسس جدرانها بالحجارة ويلحم بينها بالكلس ويعالي عليها
بالاصبغة والجص ويبالغ في كل ذلك بالتنجيد والتنميق اظهارا للبسطة في العناية
بشان الماوي ويهي مع ذلك الاسراب والمطامير لاختزان اقواته والاصطبلات
لربط مقرباته ان كان من اهل الجنود وكثرة التابع والحاشية كالامرا ومن في معناهم
ومنهم من يبني الدويرة والبويت لنفسه وسكنه وولده لا يبتغي ما ورا ذلك
لقصور حاله عنه واقتصاره على الكن الطبيعي للبشر وبين ذلك مراتب غير منحصرة
وقد يحتاج الى هذه الصناعة ايضا عند تاسيس الملوك واهل الدول المدن العظيمة
والهياكل المرتفعة ويبالغون في اتقان الاوضاع وعلو الاجرام مع الاحكام لتبلغ
الصناعة مبالغها وهذه الصناعة هي التي تحصل الدواعي لذلك كله

واكثر

واكثر ما تكون في الاقاليم المعتدلة من الرابع وما حوله اذ الاقاليم المنحرفة لا بنا فيها
وانما يتخذون البيوت حظاير من القصب والطين او ياوون الى الكهوف والغيران
واهل هذه الصناعة القايمون عليها متفاوتون فمنهم البصير الماهر ومنهم القاصر
ثم هي تتنوع انواعا كثيرة فمنها البنا بالحجارة المنجدة او بالاجر يقام بها الجدران
ملصقا بعضها الى بعض بالطين والكلس الذي يعقد معها ويلتحم كانها جسم
واحد ومنها البنا بالتراب خاصة تقام منه الحيطان بان يتخذ له لوحان من
الخشب مقدران طولا وعرضا باختلاف العادات في التقدير واوسطه اربعة اذرع
في ذراعين فينصبان على اساس وقد بوعد بينهما على ما يراه صاحب البنا في عرض
الاساس ويوصل بينهما باذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدل ويسد
الجهتان الباقيتان من ذلك الخلا بينهما بلوحين اخرين صغيرين ثم يوضع فيه
التراب مختلطا بالكلس ويبلط بالمراكز [redacted] ثم يزاد
المعد لذلك حتى ينعم ركزه وتختلط اجزاوه بالكلس ثم
التراب ثانيا وثالثا الى ان يمتلي ذلك الخلا بين اللوحين وقد تداخلت
اجزا الكلس والتراب وصارت جسما واحدا ثم يعاد نصب اللوحين على الصورة
الاولى ويركز كذلك الى ان يتم وتنتظم الالواح كلها سطرا من فوق سطر الى ان ينتظم
الحايط كله ملتحما كانه قطعة واحدة ويسمى الطابية وصانعه الطواب
ومن صنايع البنا ايضا ان تجلل الحيطان بالكلس بعد ان يحل بالما ويخمر اسبوعا
او اسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه عن افراط النارية المفسدة للالحام فاذا تم
له ما يرضاه من ذلك علاه من فوق الحايط وذلك الى ان يلتحم ومن صنايع البنا
عمل السقف بان تمد الخشب المحكمة النجارة او الساذجة على حايطي البيت ومن فوقها
الالواح كذلك موصولة بالدساير ويصب عليها التراب والكلس ويبلط بالمراكز حتى
تتداخل اجزاوها وتلتحم ويعالى عليه الكلس كما عولي على الحايط ومن صناعة البنا
ما يرجع الى التنميق والتزيين كما يصنع من فوق الحيطان الاشكال المجسمة من الجص
يعقد بالما ثم يرفع مجسدا وفيه بقية البلل فيشكل على التناسب تخريما بمثاقب
الحديد الى ان يبقى له رونق ورواء وربما عولي على [redacted] ايضا بقطع الرخام
او الاجر او الخزف او الصدف او [redacted] يفصل اجزا متجانسة او مختلفة وتوضع
في الكلس على نسب واوضاع مقدرة عندهم يبدو به الحايط للعيان كانه قطع الرياض
المنمنمة الى غير ذلك من بنا الجباب والصهاريج لسفح الما بعد ان تعد في البيوت
قصاع الرخام القوراء المحكمة الخرط بالفوهات في وسطها لنبع الما الجاري الى الصهريج
يجلب اليها من خارج في القنوات المفضية به الى البيوت وامثال ذلك
من انواع البنا وتختلف الصناع في ذلك باختلاف الحذق والبصر ويعظم عمران المدينة
ويتسع فيكثرون وربما يرجع الحكام الى نظرهم فيما هم ابصر به من احوال البنا

الحيطان [redacted]

السيح صح

جميع صح

وذلك ان الناس في المدن الكثيرة الازدحام والعمران يتشاحون حتى في الفضاء والهوا
للاعلى والاسفل وفي الانتفاع بظاهر البنا مما يتوقع معه حصول الضرر في الحيطان
فيمنع جاره من ذلك الا ما كان له فيه حق ويختلفون ايضا في استحقاق الطرق والمنافذ
للمياه الجارية والفضلات المسربة في القنوات وربما يدعي بعضهم على بعض في
حايط او علوه او قناة لتضايق الجوار او يدعي بعض على جاره اعتلال حايطه
وخشية سقوطه ويحتاج الى الحكم عليه بهدمه ودفع ضرره عن جاره عند من يراه
او يحتاج الى قسمة دار او عرصة بين شريكين بحيث لا يقع معها فساد في الدار ولا
اهمال لمنفعتها وامثال ذلك ويخفى جميع ذلك الا على اهل البصر بالبنا العارفين
باحواله المستدلين عليها بالمعاقد والقمط ومراكز الخشب وميل الحيطان واعتدالها
وقسم المساكن على نسبة اوضاعها ومنافعها وتسريب المياه في القنوات مجلوبة
ومدفوعة بحيث لا تضر بما مرت عليه من البيوت والحيطان وغير ذلك فلهم بهذا كله
البصر والخبرة التي ليست لغيرهم وهم مع ذلك يختلفون بالجودة والقصور في
الاجيال باعتبار الدول وقوتها فانا قدمنا ان الصنايع وكمالها انما هو بكمال الحضارة
وكثرتها بكثرة الطالب لها فلذلك عندما تكون الدولة بدوية في اول امرها تفتقر في امر البنا
الى غير قطرها كما وقع للوليد بن عبد الملك حين اجمع بنا مسجد المدينة والقدس
ومسجده بالشام فبعث الى ملك الروم بالقسطنطينية في الفعلة المهرة في البنا
فبعث اليه منهم بمن كمل له غرضه من تلك المساجد وقد يعرف صاحب هذه الصناعة
اشيا من الهندسة مثل تسوية الحيطان بالوزن واجرا المياه باخذ الارتفاع وامثال
ذلك فيحتاج الى البصر بشي من مسايله وكذلك في جر الاثقال بالهندام فان الاجرام
العظيمة اذا شيدت بالحجارة الكبيرة تعجز قدر الفعلة عن رفعها الى مكانها
من الحايط فيتحيل لذلك بمضاعفة قوة الحبل بادخاله في المعالق من اثقاب مقدرة
على نسب هندسية تصير الثقيل عند معاناة الرفع خفيفا وتسمى الالة لذلك بالمنجال
فيتم المراد من ذلك بغير كلفة وهذا انما يتم باصول هندسية معروفة متداولة بين البشر
وبمثلها كان بنا الهياكل الماثلة لهذا العهد التي يحسب الناس انها من بنا
الجاهلية وان ابدانهم كانت على نسبتها في عظم الجثمان وليس كذلك وانما تم
لهم ذلك بالحيل الهندسية كما ذكرناه فتفهم ذلك والله يخلق ما يشا

## فصل في صناعة النجارة

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك ان الله سبحانه وتعالى
جعل للادمي في كل مكون من المكونات منافع يكمل بها ضروراته او حاجاته وكان منها
الشجر فان له فيه من المنافع ما لا ينحصر مما هو معروف لكل احد ومن منافعها اتخاذها
خشبا اذا يبست واول منافع الخشب ان يكون وقودا للنيران في معاشهم وعصيا

للاتكا

ع مقابلة

٢٥



للاتكا والذود وغيرها من ضروراتهم ودعايم لما يخشى ميله من اثقالهم ثم بعد ذلك
منافع اخرى لاهل البدو والحضر فاما اهل البدو فيتخذون منها العمد والاوتاد لخيامهم
والحدوج لظعاينهم والرماح والقسي والسهام لسلاحهم واما اهل الحضر فالسقف
لبيوتهم والاغلاق لابوابهم والكراسي لجلوسهم وكل واحد من هذه فالخشب مادة لها
ولا تصير الى الصورة الخاصة بها الا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل
واحد من صورها هي النجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها الى تفصيل الخشب
اولا اما بخشب اصغر منه او بالواح ثم تركيب تلك الفصايل بحسب الصورة المطلوبة
وهو في ذلك كله يحاول بصنعته اعداد تلك الفصايل بالانتظام الى ان تصير اعضا لذلك
الشكل المخصوص والقايم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران ثم اذا عظمت
الحضارة وجا الترف وتانق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف او باب
او كرسي او ماعون حدث التانق في صناعة ذلك واستجادته بغرايب من الصنعة
كمالية ليست من الضروري في شي مثل التخطيط في الابواب والكراسي ومثل تهيئة
القطع من الخشب بصناعة الخرط يحكم بريها وتشكيلها ثم تولف على نسب مقدرة
وتلحم بالدساتر فتبدو لمراي العين ملتحمة وقد اخذ منها اختلاف الاشكال على
تناسب يصنع هذا في كل شي يتخذ من الخشب فيجي انق ما يكون وكذلك جميع ما يحتاج
اليه من الالات المتخذة من الخشب من اي نوع كانت وكذلك قد يحتاج الى هذه
الصناعة في انشا السفن البحرية ذات الالواح والدسر وهي اجرام هندسية صنعت
على قالب الحوت واعتبار سبحه في الما بقوادمه وكلكله ليكون ذلك الشكل اعون لها
على مصادمة الما وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسمك تحريك الرياح
وربما اعينت بحركة المجاذيف كما في الاساطيل وهذه الصناعة من اصلها محتاجة
الى جز كبير من الهندسة في جميع اصنافها لان اخراج الصور من القوة الى الفعل
على وجه الاحكام محتاج الى معرفة التناسب في المقادير اما عموما او خصوصا وتناسب
المقادير لا بد من الرجوع فيه الى المهندس ولهذا كان ايمة الهندسة اليونانيين
كلهم ايمة في هذه الصناعة فكان اوقليدس صاحب كتاب الاصول في الهندسة نجارا
وبها كان يعرف وكذلك ابلونيوس صاحب كتاب المخروطات وميلاوشس وغيرهم
وفيما يقال ان معلم هذه الصناعة في الخليقة هو نوح عليه السلام وبها انشا سفينة
النجاة التي كانت بها معجزته عند الطوفان وهذا الخبر وان كان ممكنا
اعني كونه نجارا الا ان كونه اول من علمها لا دليل يقوم عليه لبعد الاماد وانما
معناه الاشارة الى قدم النجارة لانه لم تصح حكاية عنها قبل خبر نوح عليه الصلاة والسلام
فجعل كانه اول من تعلمها فتفهم اسرار الصنايع في الخليقة والله الخلاق العليم

## فصل في صناعة الحياكة والخياطة

بلغ

اعلم ان المعتدلين من البشر في معنى الانسانية لا بد لهم من الفكر في الدف كالفكر في الكن
وتحصل الدف باشتمال المنسوج للوقاية من الحر والبرد ولا بد لذلك من الحام الغزل
حتى يصير ثوبا واحدا وهو النسج والحياكة فان كانوا بادية اقتصروا عليه وان مالوا
الى الحضارة فصلوا تلك المنسوجة قطعا يقدرون منها ثوبا على البدن بشكله
وتعدد اعضايه واختلاف نواحيها ثم يلايمون بين تلك القطع بالوصايل حتى
تصير ثوبا واحدا معتدرا على البدن ويلبسونها والصناعة المحصلة لهذه الملايمة
هي الخياطة وهاتان الصنعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج اليه البشر
من الدف فالاولى لنسج الغزل من الصوف والقطن سدوا في الطول والحاما في العرض واحكاما
لذلك النسج بالالتحام الشديد فيتم منها قطع مقدرة فمنها الاكسية من الصوف للاشتمال
ومنها الثياب من القطن والكتان للباس والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات
على اختلاف الاشكال والعوايد بتفصيل اولا بالمقراض قطعا مناسبة للاعضا
البدنية ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلا او حبكا او تنبيتا او تفتيحا
على حسب نوع الصناعة وهذه الثانية مختصة بالعمران الحضري لما ان اهل
البدو يستغنون عنها وانما يشتملون الاثواب اشتمالا وانما تفصيل الثياب
وتقديرها والحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها وتفهم هذا في سر
تحريم المخيط في الحج لما ان مشروعية الحج مشتملة على نبذ العلايق الدنيوية كلها
والرجوع الى الله تعالى كما خلقنا اول مرة حتى لا يعلق العبد قلبه بشي من عوايد ترفه
لا طيبا ولا نسا ولا مخيطا ولا خفا ولا يتعرض لصيد ولا لشي من عوايده التي تلونت
بها نفسه وخلقه مع انه يفقدها بالموت ضرورة وانما يجي كانه وارد على المحشر ضارعا
بقلبه مخلصا لربه وكان جزاوه ان تم له اخلاصه في ذلك ان يخرج من ذنوبه كيوم ولدته
امه سبحانك ما ارفقك بعبادك وارحمك بهم في طلب هدايتهم اليك وهاتان الصناعتان
قديمتان في الخليقة لما ان الدف ضروري للبشر في العمران المعتدل واما المنحرف
الى الحر فلا يحتاج اهله الى دف ولهذا يبلغنا عن اهل الاقليم الاول
من السودان انهم عراة في الغالب ولقدم هذه الصنايع تنسبها العامة
الى ادريس عليه السلام وهو اقدم الانبيا وربما ينسبونها الى هرمس
وقد يقال ان هرمس هو ادريس والله الخلاق العليم

## فصل في صناعة التوليد

وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الادمي من بطن امه من
الرفق في اخراجه من رحمها وتهيئة اسباب ذلك ثم ما يصلحه بعد الخروج على
ما نذكر وهي مختصة بالنسا في غالب الامر لما انهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض
وتسمى القايمة منهن على ذلك القابلة استعير فيه معنى الاعطا والقبول كان



النفسا تعطيها الجنين وكانها تقبله وذلك ان الجنين اذا استكمل خلقه في
الرحم واطواره وبلغ الى غايته والمدة التي قدر الله لمكثه وهي تسعة اشهر في الغالب فيطلب
الخروج بما جعل الله فيه من النزوع لذلك ويضيق عليه المنفذ فيعسر وربما فرق بعض
جوانب الفرج بالضغط وربما انقطع ما كان في الاغشية من الالتصاق والالتحام بالرحم
وهذه كلها الام تشتد لها الوجع وهو معنى الطلق فتكون القابلة معينة في ذلك بعض
الشي بغمز الظهر والوركين وما يحاذي الرحم من الاسافل تساوق بذلك فعل الدافعة
في اخراج الجنين وتسهيل ما يصعب منه بما يمكنها وعلى ما تهتدي الى معرفة عسره
ثم اذا خرج الجنين بقيت بينه وبين الرحم الوصلة التي كان يتغذى منها متصلة
من سرته بمعاه وتلك الوصلة عضو فضل لتغذية المولود خاصة فتقطعها
القابلة من حيث لا يتعدى مكان الفضلة ولا يضر بمعاه ولا برحم امه ثم تدمل
مكان الجراحة منه بالكي او بما تراه من وجوه الاندمال ثم ان الجنين عند خروجه
من ذلك المنفذ الضيق وهو رطب العظام سهل الانعطاف والانثناء فربما تتغير
اشكال اوضاعه واعضايه لقرب التكون ورطوبة المواد فتتناوله القابلة بالغمز
والاصلاح حتى يرجع كل عضو الى شكله الطبيعي ووضعه المقدر له ويرتد خلقه سويا
ثم بعد ذلك تراجع النفسا وتحاذيها بالغمز والملاينة لخروج اغشية الجنين لانها
ربما تتاخر عن خروجه قليلا وتخشى عند ذلك ان تراجع الماسكة حالها الطبيعية
قبل استكمال خروج الاغشية وهي فضلات فتتعفن ويسري عفنها الى الرحم فيقع
الهلاك فتحاذر القابلة هذا وتحاول في اعانة الدفع الى ان تخرج تلك الاغشية
ان كانت قد تاخرت ثم ترجع الى المولود فتمرخ اعضاه بالادهان والذرور القابضة
لتشدها وتجفف رطوبات الرحم وتحنكه لرفع لهاته وتسعطه لاستفراغ بطون
دماغه وتغرغره باللعوق لدفع السدد من معاه وتجويفها عن الالتصاق ثم تداوي
النفسا بعد ذلك من الوهن الذي اصابها بالطلق وما لحق رحمها من الم الانفصال
اذ المولود وان لم يكن عضوا طبيعيا فحالة التكون في الرحم صيرته بالالتحام كالعضو
المتصل فلذلك كان في انفصاله الم يقرب من الم القطع وتداوي مع ذلك ما يلحق
الفرج من جراحة التمزيق عند الضغط في الخروج وهذه كلها ادوا نجد
هولا القوابل ابصر بدوايها وكذلك ما يعرض للمولود مدة الرضاع من ادوا
في بدنه الى حين الفصال نجدهن ابصر من الطبيب الماهر وما ذاك الا ان بدن الانسان
في تلك الحالة انما هو بدن انساني بالقوة فقط فاذا جاوز الفصال صار بدنا انسانيا
بالفعل فكانت حاجته حينئذ الى الطبيب اشد وهذه الصناعة كما تراه ضرورية
في العمران للنوع الانساني لا يتم كون اشخاصه في الغالب دونها وقد يعرض
لبعض اشخاص النوع الاستغنا عن هذه الصناعة اما بخلق الله ذلك لهم معجزة

خ الطلق

وخرقا للعادة كما في حق الانبيا صلوات الله عليهم او بالالهام وهداية يلهم لها المولود
ويفطر عليها فيتم وجودهم ثم هذه الصناعة فاما شان المعجزة من ذلك
فقد وقع كثيرا ومنه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مسرورا واضعا
يديه على الارض شاخصا ببصره الى السما وكذلك شان عيسى في المهد وغير ذلك
واما شان الالهام فلا ينكر واذا كانت الحيوانات العجم تختص بغرايب من الالهامات
كالنحل وغيرها فما ظنك بالانسان المفضل عليها وخصوصا من اختص بكرامة الله
ثم الالهام العام للمولودين في الاقبال على الثدي من اوضح شاهد على وجود الالهام
لهم فشان العناية الالهية اعظم من ان يحاط به ومن هنا يفهم بطلان راي الفارابي
وحكما الاندلس فيما احتجوا به لعدم انقراض الانواع واستحالة انقطاع المكونات
وخصوصا في النوع الانساني وقالوا لو انقطعت اشخاصه لاستحال وجودها
بعد ذلك لتوقفه على وجود هذه الصناعة التي لا يتم كون الانسان الا بها
اذ لو قدرنا مولودا دون هذه الصناعة وكفالتها الى حين الانفصال
لم يتم بقاوه اصلا ووجود الصنايع دون الفكر ممتنع لانها ثمرته وتابعة له
وتكلف ابن سينا في الرد على هذا الراي لمخالفته اياه وذهابه الى امكان
انقطاع الانواع وخراب عالم التكوين ثم عوده ثانية لاقتضاءات فلكية
واوضاع غريبة تندر في الاحقاب بزعمه فتقتضي تخمير طينة مناسبة لمزاجه
بحرارة مناسبة فيتم كونه انسانا ثم يقيض له حيوان يخلق فيه الهام لتربيته
والحنو عليه الى ان يتم وجوده وفصاله واطنب في بيان ذلك في الرسالة
التي سماها رسالة حي بن يقظان وهذا الاستدلال غير صحيح وان كنا
نوافقه على انقطاع الانواع لكن من غير ما استدل به فان دليله مبني على
اسناد الافعال الى العلة الموجبة ودليل القول بالفاعل المختار يرد عليه
ولا واسطة على القول بالفاعل المختار بين الافعال والقدرة القديمة
ولا حاجة الى هذا التكلف ثم لو سلمناه جدلا فغاية ما يبنى عليه اطراد وجود
هذا الشخص بخلق الالهام لتربيته في الحيوان الاعجم وما الضرورة الداعية لذلك
واذا كان الالهام يخلق في الحيوانات الاعجم فما المانع من خلقه للمولود نفسه
كما قررناه اولا وخلق الالهام في شخص لمصالح نفسه اقرب من خلقه فيه
لمصالح غيره فكلا المذهبين شاهد على انفسهما بالبطلان في مناحيهما لما
قررناه لك والله الخلاق العليم

## فصل في صناعة الطب وانها محتاج اليها في الحواضر والامصار دون البادية

هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فايدتها فان ثمرتها
حفظ الصحة للاصحا ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البر



من ادوايهم واعلم ان اصل الامراض كلها انما هو من الاغذية كما قال صلى الله
عليه وسلم في الحديث الجامع للطب كما ينقل بين اهل الصناعة وان طعن فيه
العلما وهو قوله المعدة بيت الدا والحمية راس الدوا واصل كل دا البردة
فاما قوله المعدة بيت الدا فظاهر واما قوله الحمية راس الدوا فالحمية الجوع وهو الاحتما
من الطعام والمعنى ان الجوع هو الدوا العظيم الذي هو اصل الادوية واما قوله واصل
كل دا البردة فمعنى البردة ادخال الطعام على الطعام في المعدة قبل ان يتم هضم
الاول وشرح هذا ان الله سبحانه خلق الانسان وحفظ حياته بالغذا يستعمله بالاكل
وينفذ فيه القوى الهاضمة والغاذية الى ان يصير دما ملايما لاجزا البدن من اللحم
والعظم ثم تاخذه النامية فينقلب لحما وعظما ومعنى الهضم طبخ الغذا بالحرارة الغريزية
طورا بعد طور حتى يصير جزا من البدن بالفعل وتفسيره ان الغذا اذا حصل
في الفم ولاكته الاشداق اثرت فيه حرارة الفم طبخا يسيرا وقلبت مزاجه بعض الشي
كما تراه في اللقمة اذا تناولتها طعاما ثم اجدتها مضغا فترى مزاجها غير مزاج الطعام
ثم يحصل في المعدة فتطبخه حرارة المعدة الى ان يصير كيموسا وهو صفو ذلك
المطبوخ وترسله الى الكبد وترسل ما رسب منه في المعا ثفلا ينفذ الى المخرجين
ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس الى ان يصير دما عبيطا وتطفو عليه رغوة من
الطبخ هي الصفرا وترسب منه اجزا يابسة هي السودا ويقصر الحار الغريزي
بعض الشي عن طبخ الغليظ منه وهو البلغم ثم ترسلها الكبد كلها في العروق
والجداول وياخذها طبخ الحار الغريزي هنالك فيكون عن الدم الخالص بخار حار رطب
يمد الروح الحيواني وتاخذ النامية ماخذها في الدم فيكون لحما ثم غليظه عظاما ثم
يرسل البدن ما يفضل عن حاجته من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللعاب
والمخاط والدمع هذه صورة الغذا وخروجه من القوة الى الفعل لحما ثم ان اصل الامراض
ومعظمها هي الحميات وسببها ان الحار الغريزي قد يضعف عن تمام
النضج في طبخه في كل طور من هذه فيبقى ذلك الغذا دون نضج وسببه غالبا كثرة الغذا
في المعدة حتى يكون اغلب على الحار الغريزي او ادخال الطعام الى المعدة قبل ان
تستوفي طبخ الاول فيشتغل به الحار الغريزي ويترك الاول بحاله او يتوزع
عليهما فيقصر عن تمام الطبخ والنضج وترسله المعدة كذلك الى الكبد فلا تقوى حرارة
الكبد ايضا على انضاجه وربما بقي في الكبد من الغذا السابق فضلة غير ناضجة
وترسل الكبد جميع ذلك الى العروق غير ناضج كما هو فاذا اخذ البدن حاجته الملايمة
ارسله مع الفضلات الاخرى من العرق والدمع واللعاب ان اقتدر على ذلك
وربما يعجز عن الكثير منه فيبقى في العروق والكبد والمعدة ويتزايد مع الايام وكل ذي
رطوبة من الممتزجات اذا لم ياخذه الطبخ والنضج تعفن فيتعفن ذلك الغذا غير الناضج

وهو المسمى بالخلط وكل متعفن ففيه حرارة غريبة وتلك هي المسماة في بدن الانسان
بالحمى واعتبر ذلك في الطعام اذا ترك حتى يتعفن وفي الزبل اذا تعفن كيف تنبعث
فيه الحرارة وتأخذ مأخذها فهذا معنى الحميات في الابدان وهي رأس الامراض
واصلها كما وقع في الحديث ولهذه الحميات علاج بقطع الغذاء عن المريض اسابيع
معلومة ثم تناوله الاغذية الملائمة حتى يتم برؤه وكذلك في حال الصحة له علاج في
التحفظ من هذا المرض وغيره وقد يكون ذلك التعفن في عضو مخصوص فيتولد عنه
مرض في ذلك العضو او تحدث جراحات في البدن اما في الاعضاء الرئيسة او في
غيرها وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض القوى الموجودة له هذه كلها جماع الامراض
واصلها في الغالب من الاغذية وهذا كله مدفوع الى الطبيب ووقوع هذه الامراض
في اهل الحضر والامصار اكثر لخصب عيشهم وكثرة ماكلهم وقلة اقتصارهم على نوع
واحد من الاغذية وعدم توقيتهم لتناولها وكثيرا ما يخلطون بالاغذية من التوابل
والبقول والفواكه رطبا ويابسا في سبيل العلاج بالطبخ ولا يقتصرون في ذلك
على نوع ولا انواع فربما عددنا في اللون الواحد من الوان الطبخ اربعين نوعا من النبات
والحيوان فيصير للغذاء مزاج غريب وربما يكون بعيدا عن ملاءمة البدن واجزائه
ثم ان الاهوية في الامصار تفسد بمخالطة الابخرة العفنة من كثرة الفضلات
والاهوية منشطة للارواح ومقوية بنشاطها لاثر الحار الغريزي في الهضم
ثم الرياضة مفقودة لاهل الامصار اذ هم في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ
منهم الرياضة شيئا ولا تؤثر اثرا فكان وقوع الامراض كثيرا في المدن والامصار
وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم الى هذه الصناعة فاما اهل البدو فماكولهم قليل
في الغالب والجوع اغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار ذلك لهم عادة وربما يظن انها
جبلة لاستمرارها ثم الادم قليلة لديهم او مفقودة بالجملة وعلاج الطبخ
بالتوابل والفواكه انما يدعو اليه ترف الحضارة الذي هم عنه بمعزل فيتناولون
اغذيتهم بسيطة بعيدة عما يخالطها ويقرب مزاجها من ملاءمة البدن واما اهويتهم
فقليلة العفن لقلة الرطوبات والعفونات ان كانوا اهلين او لاختلاف الاهوية
ان كانوا ظواعن ثم ان الرياضة موجودة فيهم من كثرة الحركة في ركض الخيل او الصيد
او طلب الحاجات او مهنة انفسهم في حاجاتهم فيحسن بذلك الهضم كله ويجود
ادخال الطعام على الطعام فتكون امزجتهم اصلح وابعد عن الامراض فتقل حاجتهم
الى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية بوجه وما ذاك الا للاستغناء عنه اذ لو احتيج
اليه لوجد لانه يكون له بذلك في البدو معاش يدعوه الى سكناه سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله
تبديلا

## فصل في ان الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية

وهو رسوم واشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهو ثاني رتبة



عن الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة اذ الكتابة من خواص الانسان التي يتميز بها
عن الحيوان وايضا فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الاغراض الى البلد البعيد
فتقضى الحاجات وقد دفعت مؤنة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف
وصحف الاولين وما كتبوه من علومهم واخبارهم فهي شريفة بجميع هذه الوجوه والمنافع
وخروجها في الانسان من القوة الى الفعل انما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع
والعمران والتناغي في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط في المدينة اذ هو من
جملة الصنائع وقد قدمنا ان هذا شانها وانها تابعة للعمران ولهذا نجد اكثر البدو
اميين لا يقرؤن ولا يكتبون ومن قرأ منهم او كتب فيكون خطه قاصرا وقراءته غير نافذة
ونجد تعليم الخط في الامصار الخارج عمرانها عن الحد ابلغ واسهل واحسن طريقا
لاستحكام الصبغة فيها كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد وان بها معلمين منتصبين
لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين واحكاما في وضع كل حرف ويزيدون الى
ذلك المباشرة بتعليم وضعه فتعتضد لديه رتبة العلم والحس في التعليم
وتاتي ملكته على اتم الوجوه وانما اتى هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثرة العمران
وانفساح الاعمال وليس الشان في تعلم الخط بالاندلس والمغرب كذلك في تعلم كل حرف
بانفراده على قوانين يلقيها المعلم للمتعلم وانما يتعلم بمحاكاة الخط من كتابة الكلمات
جملة ويكون ذلك من المتعلم ومطالعة المعلم له الى ان يحصل له الاجادة ويتمكن
في بنانه الملكة فيسمى مجيدا وقد كان الخط العربي بالغا مبالغه من الاحكام
والاتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى
بالخط الحميري وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء
التبابعة في العصبية والمجددين لملك العرب بارض العراق ولم يكن الخط عندهم
من الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين فكانت الحضارة
وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنه اهل الطائف وقريش
فيما ذكر يقال ان الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن امية ويقال حرب
ابن امية واخذها من اسلم بن سدرة وهو قول ممكن واقرب ممن ذهب الى
انهم تعلموها من اياد اهل العراق لقول شاعرهم

قوم لهم ساحة العراق اذا … ساروا جميعا والخط والقلم

وهو قول بعيد لان ايادا وان نزلوا ساحة العراق فلم يزالوا على شانهم من
البداوة والخط من الصنائع الحضرية وانما معنى قول الشاعر انهم اقرب الى
الخط والقلم من غيرهم من العرب لقربهم من ساحة الامصار وضواحيها فالقول بان
اهل الحجاز انما لقنوها من الحيرة ولقنها اهل الحيرة من التبابعة وحمير
هو الاليق من الاقوال وقد رايت في كتاب التكملة لابن الابار عند التعريف

بابن فروخ القيرواني الفارسي الاندلسي من اصحاب مالك واسمه عبد الله بن فروخ بن عبد الرحمن
ابن زياد بن انعم عن ابيه قال قلت لعبد الله بن عباس يا معشر قريش خبروني عن هذا الكتاب
العربي هل كنتم تكتبونه قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم تجمعون منه
ما اجتمع وتفرقون منه ما افترق مثل الالف واللام والميم والنون قال نعم
قلت وممن اخذتموه قال من حرب بن امية قلت وممن اخذه حرب قال من عبد الله
ابن جدعان قلت وممن اخذه عبد الله بن جدعان قال من اهل الانبار قلت وممن
اخذه اهل الانبار قال من طارئ طرا عليهم من اهل اليمن قلت وممن اخذه ذلك الطارئ
قال من الخلجان بن القسم كاتب الوحي لهود النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي يقول

أفي كل عام سنة تحدثونها ... ورأي على غير الطريق يعبر
وللموت خير من حياة تسبنا ... بها جرهم فيمن يسب وحمير

انتهى ما نقله ابن الابار في كتاب التكملة وزاد في اخره حدثني بذلك ابو بكر بن ابي جمرة
في كتابه عن ابي بحر بن العاصي عن ابي الوليد الوقشي عن ابي عمر الطلمنكي
عن ابي عبد الله بن مفرج ومن خطه نقلته عن ابي سعيد بن يونس عن محمد بن
موسى بن النعمان عن يحيى بن محمد بن حشيش عن عمر بن ايوب المعافري التونسي
عن بهلول بن عبيدة الحجري عن عبد الله بن فروخ انتهى وكان لحمير كتابة تسمى المسند
حروفها منفصلة وكانوا يمنعون من تعلمها الا باذنهم ومن حمير تعلمت مضر الكتابة
العربية الا انهم لم يكونوا مجيدين لها شان الصنائع اذا وقعت بالبدو
فلا تكون محكمة المذاهب ولا مائلة الى الاتقان والتنميق لبون ما بين البدو
والصناعة واستغناء البدو عنها في الاكثر فكانت كتابة العرب بدوية مثل
او قريبا من كتابتهم لهذا العهد او نقول ان كتابتهم لهذا العهد احسن صناعة
لان هولاء اقرب الى الحضارة ومخالطة الامصار والدول واما مضر فكانوا اعرق
في البدو وابعد عن الحضر من اهل اليمن والشام ومصر واهل العراق
وكان الخط العربي لاول الاسلام غير بالغ الى الغاية من الاحكام والاتقان والاجادة
ولا الى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع
وانظر ما وقع لاجل ذلك في رسم المصحف حيث كتبه الصحابة بخطوطهم
وكانت غير مستحكمة في الاجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته اقيسة
رسوم صناعة الخط عند اهلها ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها
تبركا بما رسمه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير الخلق من بعده
المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه كما يقتفى لهذا العهد خط ولي او عالم
تبركا ويتبع رسمه خطا او صوابا واين نسبة ذلك من الصحابة وما كتبوه فاتبع ذلك
واثبت رسما ونبه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفتن في ذلك الى ما يزعمه

بعض

بعض المغفلين من انهم كانوا محكمين لصناعة الخط وان ما يتخيل من مخالفة خطوطهم
لاصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه ويقولون في مثل زيادة الالف في لا اذبحنه
انه تنبيه على ان الذبح لم يقع وفي زيادة الياء في قوله بايد انه تنبيه على كمال
القدرة الربانية وامثال ذلك مما لا اصل له الا التحكم المحض وما حملهم على ذلك
الا اعتقادهم ان في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص في قلة اجادة
الخط وحسبوا ان الخط كمال فنزهوهم عن نقصه ونسبوا اليهم الكمال
باجادته وطلبوا تعليل ما خالف الاجادة من رسمه وذلك ليس بصحيح واعلم
ان الخط ليس بكمال في حقهم اذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية
كما رايته فيما مر والكمال في الصنائع اضافي وليس بكمال مطلق اذ لا يعود نقصه
على الذات في الدين ولا في الخلال وانما يعود على اسباب المعاش وبحسب
العمران والتعاون عليه لاجل دلالته على ما في النفوس وقد كان النبي صلى
الله عليه وسلم اميا وكان ذلك كمالا في حقه وبالنسبة الى مقامه وتنزهه عن
الصنائع العملية التي هي اسباب المعاش والعمران كلها وليست الامية كمالا
في حقنا نحن اذ هو منقطع الى ربه ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شان
الصنائع كلها حتى العلوم الاصطلاحية فان الكمال في حقه هو تنزهه عنها جملة
بخلافنا ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الامصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة
والكوفة واحتاجت الدولة الى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلموه
وتداولوه فترقت الاجادة فيه واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان
الا انها كانت دون الغاية والخط الكوفي معروف الرسم لهذا العهد ثم انتشر
العرب في الاقطار والممالك وافتتحوا افريقية والاندلس واختط بنو العباس
بغداد وترقت الخطوط فيها الى الغاية لما استبحرت العمران وكانت دار الاسلام
ومركز الدولة العربية وخالفت اوضاع الخط ببغداد اوضاعه بالكوفة في الميل
الى اجادة الرسوم وجمال الرونق وحسن الرواء واستحكمت هذه المخالفة في
الامصار الى ان رفع رايتها ببغداد علي بن مقلة الوزير ثم تلاه في ذلك علي بن هلال
الكاتب الشهير بابن البواب ووقف سند تعليمها عليه في المائة الثالثة
وما بعدها وبعدت رسوم الخط البغدادي واوضاعه عن الكوفي حتى انتهى الى
المباينة ثم ازدادت المخالفة بعد تلك العصور بتفنن الجهابذة في احكام رسومه
واوضاعه حتى انتهت الى المتاخرين مثل ياقوت والولي علي العجمي ووقف
سند تعليم الخط عليهم وانتقل ذلك الى مصر وخالفت طريقة العراق بعض
الشيء ولقنها العجم هنالك فظهرت مخالفة لخط اهل مصر او مباينة وكان
الخط الافريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد يقرب من اوضاع الخط

صح

المشرق وتحيز ملك الاندلس بالامويين فتميزوا باحوالهم من الحضارة والصنائع
والخطوط فتميز صنف خطهم الاندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد وطما بحر العمران
والحضارة في الدول الاسلامية في كل قطر وعظم الملك ونفقت اسواق العلوم
وانتسخت الكتب واجيد كتبها وتجليدها وملئت بها القصور والخزاين الملوكية
بما لا كفاء له وتنافس اهل الاقطار في ذلك وتناغوا فيه ثم لما انحل نظام الدولة
الاسلامية وتناقصت تناقص ذلك اجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة
فانتقل شانها من الخط والكتابة بل والعلم الى مصر والقاهرة فلم تزل اسواقه بها
نافقة لهذا العهد وللخط بها معلمون يرسمون للمتعلم الحروف بقوانين في
وضعها واشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلم ان يحكم اشكال تلك الحروف
على تلك الاوضاع وقد لقنها حسا وحذق فيها دربة وكتابا واخذها قوانين
علمية فتجي احسن ما يكون واما اهل الاندلس فافترقوا في الاقطار عند تلاشي
ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم امم النصرانية فانتشروا في
عدوة المغرب وافريقية من لدن الدولة اللمتونية الى هذا العهد وشاركوا اهل
العمران بما لديهم من الصنائع وتعلقوا باذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الافريقي
وعفى عليه ونسي خط القيروان كلها على الرسم الاندلسي بتونس وما اليها لتوفر اهل
الاندلس بها عند الجالية من شرق الاندلس وبقي منه رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا
كتاب الاندلس ولا تمرسوا بجوارهم اذ انما كانوا يفدون على دار الملك بتونس
فصار خط اهل افريقية من احسن خطوط اهل الاندلس حتى اذا تقلص ظل الدولة
الموحدية بعض الشي وتراجع امر الحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذ
حال الخط وفسدت رسومه وجهل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران
وبقيت فيه اثار الخط الاندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك لما قدمناه من ان الصنائع
اذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك بالمغرب
الاقصى لون من الخط الاندلسي لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم الى فاس
قريبا واستعمالهم اياهم سائر الدولة ونسي عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك
وداره كان لم يعرف فصارت الخطوط بافريقية والمغربين مائلة الى الرداءة بعيدة
عن الجودة وصارت الكتب اذا انتسخت ان انتسخت فلا فائدة تحصل
لمتصفحها منها الا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير
الاشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد تقرا الا بعد عسر ووقع فيه ما وقع في سائر
الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول والله يحكم لا معقب لحكمه وللاستاذ
ابي الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي الشهير بابن البواب قصيدة من بحر البسيط
على روي الرا يذكر فيها صناعة الخط وموادها من احسن ما كتب في ذلك رايت اثباتها

[في الهامش: والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما صح / وصارت خطوط اهل افريقية]

في هذا الباب لينتفع بها من يريد تعلم هذه الصناعة واولها

يا من يريد اجادة التحرير ... ويروم حسن الخط والتصوير
ان كان عزمك في الكتابة صادقا ... فارغب الى مولاك في التيسير
اعدد من الاقلام كل مثقف ... صلب يصوغ صناعة التحبير
واذا عمدت لبريه فتوخه ... عند القياس باوسط التقدير
انظر الى طرفيه فاجعل بريه ... من جانب التدقيق والتخصير
واجعل لجلفته قواما عادلا ... لا يخلو عن التطويل والتقصير
والشق وسطه ليبقى بريه ... من جانبيه مشاكل التقدير
حتى اذا اتقنت ذلك كله ... اتقان طب بالمراد خبير
فاصرف لراي القط عزمك كله ... فالقط فيه جملة التدبير
لا تطمعن في ان ابوح بسره ... اني اضن بسره المستور
لكن جملة ما اقول بانه ... ما بين تحريف الى تدوير
والق دواتك بالدخان مدبرا ... بالخل او بالحصرم المعصور
واضف اليه مغرة قد صولت ... مع اصفر الزرنيخ والكافور
حتى اذا ما خمرت فاعمد الى ... الورق النقي الناعم المخبور
فاكبسه بعد القطع بالمعصار كي ... ينأى عن التشعيث والتغيير
ثم اجعل التمثيل دابك صابرا ... ما ادرك المامول مثل صبور
ابدا بر في اللوح منتضيا له ... عزما تجرده من التشمير
لا تخجلن من الردي تخطه ... في اول التمثيل والتسطير
فالامر يصعب ثم يرجع هينا ... ولرب سهل جا بعد عسير
حتى اذا ادركت ما املته ... اضحيت رب مسرة وحبور
فاشكر الهك واتبع رضوانه ... ان الاله يحب كل شكور
وارغب لكفك ان تخط بنانها ... خيرا تخلفه بدار غرور
فجميع فعل المرء يلقاه غدا ... عند التقاء كتابه المنشور

واعلم ان الخط بيان عن القول والكلام كما ان القول والكلام بيان عما في النفس
والضمير من المعاني فلا بد لكل منهما ان يكون واضح الدلالة قال الله تعالى خلق الانسان
علمه البيان وهو يشتمل بيان الادلة كلها فالخط المجود كماله ان تكون دلالته
واضحة بابانة حروفه المتواضعة واجادة وضعها ورسمها كل واحد على حدته متميز
عن الاخر الا ما اصطلح عليه الكتاب من ايصال حروف الكلمة الواحدة بعضها ببعض
سوى حروف اصطلحوا على قطعها مثل الالف المتقدمة في الكلمة وكذا الرا والزاي
والدال والذال وغيرها بخلاف ما اذا كانت متاخرة وهكذا الى اخرها ثم ان المتاخرين

من الكتاب اصطلحوا على وصل كلمات بعضها ببعض وحذف حروف معروفة عندهم
لا يعرفها الا اهل مصطلحهم فتستعجم على غيرهم وهؤلا كتاب دواوين السلطان وسجلات
القضاة كانهم انفردوا بهذا الاصطلاح عن غيرهم لكثرة موارد الكتابة عليهم وشهرة
كتابتهم [redacted] والاحاطة بكثير من دونهم بمصطلحهم فان
كتبوا ذلك لمن لا خبرة له بمصطلحهم فينبغي ان يعدلوا عن ذلك الى البيان ما استطاعوه
والا كان بمثابة الخط الاعجمي لانهما [redacted] بمنزلة واحدة من عدم التواضع عليه
وليس بعذر في هذا القدر الا كتاب الاعمال السلطانية في الاموال والجيوش لانهم
مطلوبون بكتمان ذلك عن الناس فانه من الاسرار السلطانية التي يجب اخفاوها
فيبالغون في رسم اصطلاح خاص بهم ويصير بمثابة المعمى وهو الاصطلاح على العبارة
عن الحروف بكلمات من اسما الطيب والفواكه او الطيور او الازهار ووضع
اشكال الحروف المتعارفة يصطلح عليها المتخاطبون لتادية ما في ضمايرهم بالكتابة
وربما وضع الكتاب للعثور على ذلك وان لم يضعوه اولا قوانين بمقاييس استخرجوها
لذلك بمداركهم يسمونها فك المعمى وللناس في ذلك دواوين مشهورة والله العليم الحكيم

اشكال الحروف غيره صح

## فصل في صناعة الوراقة

كانت العناية قديما بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها
بالرواية والضبط وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة
وقد ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدول وتناقص العمران بعد ان كان منه في الملة
الاسلامية بحر زاخر بالعراق والاندلس اذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدول
ونفاق اسواق ذلك لديها فكثرت [redacted] التواليف العلمية وحرص الناس
على تناقلها في الآفاق والاعصار فانتسخت [redacted] وجلدت وجاءت صناعة
الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وساير امور الكتب والدواوين
واختصت بالامصار العظيمة العمران وكانت السجلات اولا لانتساخ العلوم
وكتب الرسايل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهيئة بالصناعة
من الجلد لكثرة الرفه وقلة التواليف صدر الملة كما نذكره وقلة الرسايل السلطانية
والصكوك مع ذلك فاقتصروا على الكتاب في الرق تشريفا للمكتوبات وميلا بها
الى الصحة والاتقان ثم طما بحر التواليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان
وصكوكه وضاق الرق عن ذلك فاشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه
وكتب فيه رسايل السلطان وصكوكه واتخذه الناس من بعده صحفا لمكتوباتهم
السلطانية والعلمية وبلغت الاجادة في صناعته ما شاءت ثم وقفت عناية
اهل العلوم وهمم اهل الدول على ضبط الدواوين العلمية وتصحيحها بالرواية المسندة
الى مولفيها وواضعيها لانه الشان الاهم من التصحيح والضبط فبذلك تسند

والدواوين صح

الاقوال



مدونيها صح

الاقوال الى قايلها والفتيا الى الحاكم بها المجتهد في طريق استنباطها وما لم يكن تصحيح
المتون باسنادها الى [redacted] فلا يصح اسناد قول لهم ولا فتيا وهكذا كان شان اهل
العلم وحملته في العصور والاجيال والآفاق حتى لقد قصرت فايدة الصناعة الحديثية
في الرواية على هذه فقط اذ ثمرتها الكبرى من معرفة صحيح الاحاديث وحسنها ومسندها ومرسلها
ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد ذهبت وتمخضت زبدة ذلك في الامهات المتلقاة
بالقبول عند الامة وصار القصد الى ذلك لغوا من العمل ولم يبق ثمرة الرواية والاشتغال
بها الا في تصحيح تلك الامهات الحديثية وسواها من كتب الفقه للفتيا وغير ذلك
من الدواوين والتواليف العلمية واتصال سندها بمولفيها ليصح النقل عنهم
والاسناد اليهم وكانت هذه الرسوم بالمشرق والاندلس معبدة الطرق واضحة
المسالك ولقد نجد الدواوين المنتسخة لذلك العهد في اقطارهم على غاية من
الاتقان والاحكام والصحة ومنها لهذا العهد بايدي الناس في العالم اصول
عتيقة تشهد ببلوغ الغاية لهم في ذلك واهل الآفاق يتناقلونها الى الآن
ويشدون عليها يد الضنانة ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالمغرب
واهله لانقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانتقاص عمرانه وبداوة
اهله وصارت الامهات والدواوين تنتسخ بالخطوط البدوية ينسخها طلبة البربر
صحايف مستعجمة برداة الخط وكثرة الفساد والتصحيف فتستغلق على متصفحها
ولا يحصل منها فايدة الا في الاقل النادر وايضا فقد دخل الخلل من ذلك في الفتيا
فان غالب الاقوال المعزوة غير مروية عن ايمة المذهب وانما تتلقى من تلك الدواوين
على ما هي عليه وتبع ذلك ايضا ما يتصدى اليه بعض ايمتهم من التاليف لقلة بصرهم
بصناعته وعدم الصنايع الوافية بمقاصده ولم يبق من هذا الرسم الا
اثارة بالاندلس خفية بالامحا وهي على الاضمحلال فقد كاد العلم ان ينقطع بالكلية
من المغرب والله غالب على امره ويبلغنا لهذا العهد ان صناعة الرواية قايمة بالمشرق
وتصحيح الدواوين لمن يروم ذلك سهل على مبتغيه لنفاق اسواق العلوم
والصنايع كما نذكره بعد الا ان الخط الذي بقي من الاجادة في الانتساخ هنالك انما هو
للعجم وفي خطوطهم واما النسخ بمصر ففسد كما فسد بالمغرب واشد والله غالب على امره

## فصل في صناعة الغنا

هذه الصناعة هي تلحين الاشعار الموزونة بتقطيع الاصوات على نسب منتظمة
معروفة توقع على كل صوت منها توقيعا عند قطعه فيكون نغمة ثم تولف تلك النغم
بعضها الى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لاجل ذلك التناسب وما يحدث
عنه من الكيفية في تلك الاصوات وذلك انه تبين في علم الموسيقى ان الاصوات
تتناسب فيكون صوت نصف صوت وربع آخر وخمس آخر وجزء من احد عشر من آخر

واختلاف بين النسب عند تاديتها الى السمع يخرج من البسائط الى التركيب وليس
كل تركيب منها ملذوذا عند السمع بل تراكيب خاصة هي التي حصرها اهل علم الموسيقي
وتكلموا عليها كما هو مذكور في موضعه وقد يساوق ذلك التلحين في النغمات الغنائية
بتقطيع اصوات اخرى من الجمادات اما بالقرع او بالنفخ في الات تتخذ لذلك
فتزيدها لذة عند السمع فمنها لهذا العهد بالمغرب اصناف منها المزمار ويسمونه
الشبابة وهي قصبة جوفا بانخاش في جوانبها معدودة ينفخ فيها فتصوت
ويخرج الصوت من جوفها على سدادة من تلك الانخاش ويقطع الصوت بوضع
الاصابع في اليدين جميعا على تلك الانخاش وضعا متعارفا حتى تحدث النسب
بين الاصوات فيه وتتصل كذلك متناسبة فيلتذ السمع بادراكها للتناسب الذي
ذكرناه ومن جنس هذه الالة المزمار الذي يسمى الزلامي وهي شكل القصبة منحوتة
الجانبين من الخشب جوفاء من غير تدوير لاجل ائتلافها من قطعتين منفوذة كذلك بانخاش
معدودة ينفخ فيها بقصبة صغيرة توصل فينفذ النفخ بواسطتها اليها وتصوت
بنغمة حادة ويجري فيها من تقطيع الاصوات من تلك الانخاش بالاصابع مثل ما يجري
في الشبابة ومن احسن الات الزمر لهذا العهد البوق وهو بوق من نحاس اجوف في
مقدار الذراع يتسع الى ان يكون انفراج مخرجه في مقدار دون الكف على شكل بري القلم
وينفخ فيه بقصبة صغيرة تودي الريح من الفم اليه فيخرج الصوت ثخينا دويا وفيه
انخاش ايضا معدودة وتقطع نغمة منها كذلك بالاصابع على التناسب فيكون
ملذوذا ومنها الات الاوتار وهي جوفا كلها اما على شكل قطعة من الكرة كالبربط
والرباب او على شكل مربع كالقانون توضع الاوتار على بسائطها مشدودة في
راسها الى دساتر جائلة ليتاتى رخوها عند الحاجة اليها بادارتها ثم تقرع
الاوتار اما بعود او بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر عليها بعد ان يطلى بالشمع
والكندر ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في امراره او نقله من وتر الى وتر
واليد اليسرى مع ذلك في جميع الات الاوتار توقع باصابعها على اطراف
الاوتار فيما يقرع او يحك بالوتر فتحدث الاصوات متناسبة ملذوذة وقد يكون
القرع في الطسوت بالقضبان او في الاعواد بعضها ببعض على توقيع متناسب
يحدث عنه التذاذ بالمسموع ولنبين لك السبب في اللذة الناشئة عن الغناء وذلك
ان اللذة كما تقرر في موضعه هي ادراك الملائم والمحسوس انما تدرك منه كيفية فاذا
كانت متناسبة للمدرك وملائمة كانت ملذوذة واذا كانت منافية له منافرة كانت
مولمة فالملائم من الطعوم ما ناسبت كيفيته حاسة الذوق في مزاجها وكذا الملائم
من الملموسات وفي الروائح ما ناسب مزاج الروح القلبي البخاري لانه المدرك
واليه تؤديه الحاسة ولهذا كانت الرياحين والازهار العطريات احسن رائحة

واشد

واشد ملائمة للروح لغلبة الحرارة فيها التي هي مزاج الروح القلبي واما المرئيات
والمسموعات فالملائم فيها تناسب الاوضاع في اشكالها وكيفياتها فهو انسب عند
النفس واشد ملائمة لها فاذا كان المرئي متناسبا في اشكاله وتخاطيطه التي له
بحسب مادته بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة والوضع وذلك
هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك كان ذلك حينئذ مناسبا للنفس المدركة فتلتذ
بادراك ملائمها ولهذا تجد العاشقين المستهترين في المحبة يعبرون عن غاية محبتهم
وعشقهم بامتزاج ارواحهم بروح المحبوب ومعناه من وجه اخر ان الوجود يشترك بين
الموجودات كما تقوله الحكماء فتود ان تمتزج بما شاهدت فيه الكمال لتتحد به ولما كان
انسب الاشيا الى الانسان واقربها الى ان يدرك الكمال في تناسب موضوعها
هو شكله الانساني فكان ادراكه للجمال والحسن في تخاطيطه واصواته من المدارك
التي هي اقرب الى فطرته فيلهج كل انسان بالحسن من المرئي او المسموع بمقتضى
الفطرة والحسن في المسموع ان تكون الاصوات متناسبة لا متنافرة وذلك ان
الاصوات لها كيفيات من الهمس والجهر والرخاوة والشدة والقلقلة والضغط وغير
ذلك والتناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن فاولا ان لا يخرج من الصوت
الى ضده دفعة بل بتدريج ثم يرجع كذلك وكذا الى المثل بل لا بد من توسط المغاير
بين الصوتين وتامل هذا من استقباح اهل اللسان التراكيب من الحروف
المتنافرة او المتقاربة المخارج فانه من بابه وثانيها تناسبها في الاجزاء كما مر اول الباب
فيخرج من الصوت الى نصفه او ثلثه او جزء من كذا منه على حسب ما يكون التنقل
مناسبا على ما حصره اهل صناعة الموسيقي فاذا كانت الاصوات على تناسب
في الكيفيات كما ذكره اهل تلك الصناعة كانت ملائمة ملذوذة ومن هذا التناسب
ما يكون بسيطا ويكون الكثير من الناس مطبوعين عليه لا يحتاجون فيه الى تعليم
ولا صناعة كما نجد المطبوعين على الموازين الشعرية وتوقيع الرقص وامثال ذلك
وتسمي العامة هذه القابلية بالمضمار وكثير من القراء بهذه المثابة يقرؤون القران
فيجيدون في تلاحين اصواتهم كانها المزامير فيطربون بحسن مساقهم وتناسب نغماتهم
ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس يستوي في معرفته
ولا كل الطباع توافق صاحبها في العمل به اذا علم وهذا هو التلحين الذي يتكفل به
علم الموسيقي كما نشرحه بعد عند ذكر العلوم وقد انكر مالك رضي الله عنه القراءة بالتلاحين
واجازها الشافعي رضي الله عنه وليس المراد تلحين الموسيقي الصناعي فانه لا ينبغي
ان يختلف في حظره اذ صناعة الغنا مباينة للقران لان القراءة والادا تحتاج الى
مقدار من الصوت يتعين ادا الحروف به من حيث اشباع الحركات في مواضعها
ومقدار المد عند من يطيله او يقصره وامثال ذلك والتلحين ايضا يتعين له مقدار من

الصوت لا يتم الا من اجل التناسب الذي قلناه في حقيقة التلحين فاعتبار احدهما
قد يخل بالاخر اذا تعارضا وتقديم التلاوة متعين فرارا من تغيير الرواية المنقولة
في القراة فلا يمكن اجتماع التلحين والادا المعتبر في القران بوجه وانما المراد في اختلافهم
التلحين البسيط الذي يهتدي اليه صاحب المضمار بطبعه كما قدمنا فيردد اصواته
ترديدا على نسب يدركها العالم بالغنا وغيره وهذا هو محل الخلاف والظاهر تنزيه القران
عن هذا كما ذهب اليه الامام رحمه الله لان القران هو محل خشوع بذكر الموت وما بعده
وليس مقام التلذذ بادراك الحسن من الاصوات وهكذا كانت قراة الصحابة كما في اخبارهم
فاما قوله صلى الله عليه وسلم لقد اوتي مزمارا من مزامير ال داود فليس المراد به الترديد
والتلحين وانما معناه حسن الصوت واداء القراة في مخارج الحروف والنطق بها واذ
قد ذكرنا معنى الغنا فاعلم انه يحدث في العمران اذا توفر وتجاوز حد الضروري
الى الحاجي ثم الى الكمالي وتفننوا فيه فتحدث هذه الصناعة لانه لا يستدعيها الا من
فرغ عن جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره فلا يطلبها الا
الفارغون عن ساير احوالهم تفننا في مذاهب الملذوذات وكان في سلطان العجم قبل
الملة منها بحر زاخر في امصارهم ومدنهم وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به حتى
لقد كان لملوك الفرس اهتمام باهل هذه الصناعة ولهم مكان في دولتهم وكانوا يحضرون
مشاهدهم ومجامعهم ويغنون فيها وهذا شان العجم لهذا العهد في كل افق من
افاقهم ومملكة من ممالكهم واما العرب فكان لهم اولا فن الشعر يولفون فيه الكلام
اجزاء متساوية على تناسب بينها في عدة حروفها المتحركة والساكنة ويفصلون الكلام
في تلك الاجزاء تفصيلا يكون كل جزء منها مستقلا بالافادة لا ينعطف على الاخر
ويسمونه البيت فيلايم الطبع بالتجزية اولا ثم بتناسب الاجزاء في المقاطع والمبادي
ثم بتادية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليه فلهجوا به وامتاز من بين كلامهم
بحظ من الشرف ليس لغيره لاجل اختصاصه بهذا التناسب وجعلوه ديوانا
لاخبارهم وحكمهم وشرفهم ومحكا لقرائحهم في اصابة المعاني واجادة الاساليب
واستمروا على ذلك وهذا التناسب الذي من اجل الاجزاء والمتحرك والساكن
من الحروف قطرة من بحر من تناسب الاصوات كما هو معروف في كتاب الموسيقى
الا انهم لم يشعروا بما سواه لانهم حينيذ لم ينتحلوا علما ولا عرفوا صناعة وكانت
البداوة اغلب نحلهم ثم تغنى الحداة منهم في حداء ابلهم والفتيان في فضاء خلواتهم
فرجعوا الاصوات وترنموا وكانوا يسمون الترنم اذا كان بالشعر غناء واذا كان بالتهليل
او نوع القراة تغبيرا بالغين المعجمة والباء الموحدة وعللها ابو اسحق الزجاج بانها تذكر
بالغابر وهو الباقي اي باحوال الاخرة وربما ناسبوا في غنائهم بين النغمات مناسبة
بسيطة كما ذكره ابن رشيق اخر كتاب العمدة وغيره وكانوا يسمونه السناد وكان اكثر

والابانة صح

ما يكون

ما يكون منهم في الخفيف الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيطرب ويستخف
الحلوم وكانوا يسمون هذا الهزج وهذا البسيط كله من التلاحين هو من اوايلها
ولا يبعد ان يتفطن له الطباع من غير تعليم شان البسايط كلها من الصنايع ولم
يزل هذا شان العرب في بداوتهم وجاهليتهم فلما جا الاسلام واستولوا على ممالك
الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلبوهم عليه وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال
التي عرفت لهم مع غضاضة الدين وشدته في ترك احوال الفراغ وما ليس بنافع
في دين ولا معاش فهجروا ذلك شيا ما ولم يكن الملذوذ عندهم الا ترجيع القران والترنم
بالشعر الذي كان ديدنهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم
من غنايم الامم صاروا الى نضارة العيش ورقة الحاشية واستحلا الفراغ وافترق
المغنون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالي للعرب وغنوا جميعا
بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير وسمع العرب تلحينهم للاصوات فلحنوا عليها
اشعارهم وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسايب خاثر مولى عبد الله بن جعفر
فسمعوا شعر العرب ولحنوه واجادوا فيه وطار لهم ذكر ثم اخذ عنهم معبد وطبقته
وابن سريج وانظاره وما زالت صناعة الغنا تتدرج الى ان كملت ايام بني العباس
عند ابراهيم بن المهدي وابراهيم الموصلي وابنه اسحق وابنه حماد وكان من ذلك
في دولتهم ببغداد ما تبعه الحديث به وبمجالسه لهذا العهد وامعنوا في اللهو
واللعب واتخذت الات الرقص في الملبس والقضبان والاشعار التي يترنم
بها عليه وجعل صنفا وحده واتخذت الات اخرى للرقص تسمى بالكرج وهي
تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة باطراف اقبية يلبسها النسوان ويحاكون
بها امتطا الخيل فيكرون ويفرون ويتثاقفون وامثال ذلك من اللعب المعد
للولايم والاعراس وايام الاعياد ومجالس الفراغ واللهو وكثر ذلك ببغداد
وامصار العراق وانتشر منها فيما سواها وكان للموصليين غلام اسمه زرياب
اخذ عنهم الغنا فاجاد فصرفوه الى المغرب غيرة منه فلحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن
الداخل امير الاندلس فبالغ في تكرمته وركب للقائه واسنى له الجوايز والاقطاعات
والجرايات واحله من دولته وندمايه بمكان فاورث بالاندلس من صناعة
الغنا ما تناقلوه الى ازمان الطوايف وطما منها باشبيلية بحر زاخر وتناقل
منها بعد ذهاب غضارتها الى بلاد العدوة بافريقية والمغرب وانقسم
على امصارها وبها الان منها صبابة على تراجع عمرانها وتناقص دولها
وهذه الصناعة اخر ما يحصل في العمران من الصنايع
لانها كمالية في غير وظيفة من الوظايف الا وظيفة الفراغ والفرح وهي ايضا
اول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه والله الخلاق العليم

## فصل في ان الصنايع تكسب صاحبها عقلا وخصوصا الكتابة والحساب

قد ذكرنا في الكتاب ان النفس الناطقة للانسان انما توجد فيه بالقوة
وان خروجها من القوة الى الفعل انما هو بتجدد العلوم
والادراكات من المحسوسات اولا ثم ما يكتسب بعدها بالقوة
النظرية الى ان يصير ادراكا بالفعل وعقلا محضا فتكون ذاتا
روحانية وتستكمل حينئذ وجودها فوجب لذلك ان يكون
كل نوع من العلم والنظر يفيدها عقلا مزيدا والصنايع ابدا
يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك
الملكة فلهذا كانت الحنكة في التجربة تفيد عقلا والملكات
الصناعية تفيد عقلا والحضارة الكاملة تفيد عقلا لانها
مجتمعة من صنايع في شان تدبير المنزل ومعاشرة ابنا الجنس
وتحصيل الاداب في مخالطتهم ثم القيام بامور الدين واعتبار
ادابها وشرايطها وهذه كلها قوانين تنتظم علوما فيحصل
منها زيادة عقل والكتابة من بين الصنايع اكثر فايدة لذلك
لانها تشتمل على علوم وانظار بخلاف الصنايع وبيانه ان
في الكتابة انتقالا من صور الحروف الخطية الى الكلمات
اللفظية في الخيال ومن الكلمات اللفظية في الخيال
الى المعاني التي في النفس فهو ينتقل ابدا من دليل الى دليل
ما دام ملتبسا بالكتابة وتتعود النفس ذلك دايما فيحصل لها ملكة
الانتقال من الادلة الى المدلولات وهو معنى النظر العقلي
الذي يكتسب به العلوم المجهولة فتكتسب بذلك ملكة
من التعقل يكون زيادة عقل ويحصل به زيادة فطنة
وكيس في الامور بما تعودوه من ذلك الانتقال ولذلك قال
كسرى في كتابه لما راهم بتلك الفطنة والكيس فقال
ديوانه اي شياطين وجنون قالوا وذلك اصل اشتقاق
الديوان لاهل الكتابة ويلحق بذلك الحساب فان في
صناعة الحساب نوع تصرف في العدد بالضم والتفريق
يحتاج فيه الى الاستدلال كبير فيبقى متعودا للاستدلال

والنظر

والنظر وهو معنى العقل والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيا وجعل لكم السمع والابصار
والافيدة لعلكم تشكرون والحمد لله
وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

## الفصل السادس من الكتاب الاول في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وما يعرض في ذلك كله من الاحوال

وفيه مقدمة ولواحق

فالمقدمة في الفكر الانساني الذي تميز به البشر عن الحيوانات
واهتدى به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بابناء جنسه والنظر في معبوده
وما جاءت به الرسل من عنده فصار جميع الحيوانات في طاعته
وملك قدرته وفضله به على كثير من خلقه

### فصل في الفكر الانساني

اعلم ان الله سبحانه ميز البشر عن سائر الحيوانات بالفكر الذي جعله مبدأ كماله
ونهاية فضله على الكائنات وشرفه وذلك ان الادراك وهو شعور المدرك
في ذاته بما هو خارج عن ذاته هو خاص بالحيوان فقط من بين سائر الكائنات
والموجودات فالحيوانات تشعر بما هو خارج عن ذاتها بما ركب الله فيها
من الحواس الظاهرة السمع والبصر والشم والذوق واللمس ويزيد
الانسان من بينها انه يدرك الخارج عن ذاته بالفكر الذي وراء حسه وذلك
بقوى جعلت له في بطون دماغه ينتزع بها صور المحسوسات ويجول بذهنه فيها
فيجرد منها صورا اخرى والفكر هو التصرف في تلك الصور وراء الحس
وجولان الذهن فيها بالانتزاع والتركيب [redacted]
[redacted] وهو معنى الأفئدة في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة والافئدة جمع فؤاد وهو هنا الفكر وهو على مراتب
الاولى تعقل الامور المترتبة في الخارج ترتيبا طبيعيا او وضعيا ليقصد
ايقاعها بقدرته وهذا الفكر اكثره تصورات وهو العقل التمييزي الذي به يحصل
منافعه ومعاشه ويدفع مضاره الثانية الفكر الذي يفيد الآراء والآداب
في معاملة ابناء جنسه وسياستهم واكثرها تصديقات تحصل بالتجربة شيئا فشيئا
الى ان تتم الفائدة منها وهذا هو المسمى بالعقل التجريبي الثالثة الفكر الذي
يفيد العلم او الظن بمطلوب وراء الحس لا يتعلق به عمل وهذا هو العقل
النظري وهو تصورات وتصديقات تنتظم انتظاما خاصا على شروط
خاصة فيفيد معلوما آخر من جنسها في التصور او التصديق ثم ينتظم مع غيره فيفيد

معلوما



معلوما آخر كذلك وغاية افادته تصور الوجود على ما هو عليه باجناسه وفصوله
واسبابه وعلله فيكمل الفكر بذلك في حقيقته ويصير عقلا محضا ونفسا مدركة وهو
معنى الحقيقة الانسانية

### فصل في ان عالم الحوادث الفعلية انما يتم بالفكر

اعلم ان عالم الكائنات يشتمل على ذوات محضة كالعناصر وآثارها
والمكونات الثلاث عنها التي هي المعدن والنبات والحيوان وهذه كلها متعلقات
القدرة الالهية وعلى افعال صادرة عن الحيوانات واقعة بمقصودها متعلقة بالقدرة
التي جعل الله لها عليها فمنها منتظم مترتب وهي الافعال البشرية ومنها غير منتظم
ولا مترتب وهي افعال الحيوانات غير البشر وذلك ان الفكر يدرك الترتيب
بين الحوادث بالطبع او الوضع فاذا قصد ايجاد شيء من الاشيا فلاجل الترتيب
بين الحوادث لا بد من التفطن بسببه او علته او شرطه وهي على الجملة مبادئه
اذ لا يوجد الا ثانيا عنها ولا يمكن ايقاع المتقدم متأخرا ولا المتأخر متقدما
وذلك المبدأ قد يكون له مبدأ آخر من تلك المبادي لا يوجد الا متأخرا عنه
وقد يرتقي ذلك او ينتهي فاذا انتهى الى آخر المبادي في مرتبتين او ثلاث او ازيد
وشرع في العمل الذي يوجد به ذلك الشيء بدأ بالمبدأ الاخير الذي انتهى اليه الفكر
فكان اول عمله ثم تابع ما بعده الى آخر المسببات التي كانت اول فكرته
مثلا لو فكر في ايجاد سقف يكنه انتقل بذهنه الى الحائط الذي يدعمه
ثم الى الاساس الذي يقف عليه الحائط فهو آخر الفكر ثم يبدأ في
العمل بالاساس ثم بالحائط ثم بالسقف وهو آخر العمل وهذا معنى قولهم
اول العمل آخر الفكرة واول الفكرة آخر العمل فلا يتم فعل الانسان في
الخارج الا بالفكر في هذه المترتبات لتوقف بعضها على بعض ثم يشرع في فعلها
واول هذا الفكر هو المسبب الاخير وهو آخرها في العمل واولها في العمل هو المسبب
الاول وهو آخرها في الفكر ولاجل العثور على هذا الترتيب يحصل الانتظام
في الافعال البشرية واما الافعال الحيوانية لغير البشر فليس فيها انتظام
لعدم الفكر الذي يعثر به الفاعل على الترتيب فيما يفعل اذ الحيوانات انما تدرك
بالحواس ومدركاتها متفرقة خلية من الربط لانه لا يكون الا بالفكر ولما كانت الحوادث
المعتبرة في عالم الكائنات هي المنتظمة وغير المنتظمة انما هي تبع لها اندرجت حينئذ
افعال الحيوانات فيها فكانت مسخرة للبشر واستولت افعال البشر على عالم
الحوادث بما فيه فكان كله في طاعته وتسخيره وهذا معنى الاستخلاف المشار اليه في قوله
تعالى اني جاعل في الارض خليفة فهذا الفكر هو الخاصة البشرية التي تميز بها البشر
عن غيره من الحيوان وعلى قدر حصول الاسباب والمسببات في الفكر مرتبة تكون انسانيته

متعلقة صح

فمن الناس من يتوالى له السببية في مرتبتين او ثلاث ومنهم من لا يتجاوزها ومنهم من ينتهي الى خمس او ست فتكون انسانيته اعلا واعتبر ذلك بلاعب الشطرنج فان في اللاعبين من يتصور الثلاث حركات والخمس الذي ترتيبها وضعي ومنهم من يقصر عن ذلك لقصور ذهنه وان كان هذا المثال غير مطابق لان لعب الشطرنج بالملكة ومعرفة الاسباب والمسببات بالطبع لكنه مثال يحتذي به الناظر في تعقل ما يورد عليه من القواعد والله خلق الانسان وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا

## فصل في العقل التجريبي وكيفية حدوثه

انك تسمع في كتب الحكماء قولهم ان الانسان مدني بالطبع يذكرونه في اثبات النبوات وغيرها والنسبة فيه الى المدينة وهي عندهم كناية عن الاجتماع البشري ومعنى هذا القول انه لا تمكن حياة المنفرد من البشر ولا يتم وجوده الا مع ابنا جنسه وذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال وجوده وحياته فهو محتاج الى المعاونة في جميع حاجاته ابدا بطبعه وتلك المعاونة لا بد فيها من المفاوضة اولا ثم المشاركة وما بعدها وربما تفضي المعاملة عند اتحاد الاغراض الى المنازعة والمشاجرة فتنشأ المنافرة والمؤالفة والصداقة والعداوة ويؤول الى الحرب والسلم بين الامم والقبايل وليس ذلك على اي وجه اتفق كما في الهمل من الحيوانات بل للبشر بما جعل الله فيهم من انتظام الافعال وترتيبها بالفكر كما تقدم جعل ذلك منتظما فيهم ويسر لهم ايقاعه على وجوه سياسية وقوانين حكمية ينكبون فيها عن المفاسد الى المصالح وعن الحسن الى القبيح بعد ان يميزوا القبايح والمفاسد بما ينشأ عن الفعل من ذلك عن تجربة صحيحة وعوايد معروفة بينهم فيفارقون الهمل من الحيوان وتظهر عليهم نتيجة الفكر في انتظام الافعال وبعدها عن المفاسد هذه المعاني التي يحصل بها ذلك لا تبعد عن الحس كل البعد ولا يتعمق فيها الناظر بل كلها تدرك بالتجربة وبها تستفاد لانها معان جزئية تتعلق بالمحسوسات وصدقها وكذبها يظهر قريبا في الواقع فيستفيد طالبها حصول العلم بها من ذلك ويستفيد كل واحد من البشر القدر الذي يسر له منها مقتنصا له بالتجربة بين الوقايع في معاملة ابنا جنسه حتى يتعين له ما يجب وينبغي فعلا وتركا وتحصل بملابسته الملكة في معاملة ابنا جنسه ومن تتبع ذلك سائر عمره حصل له العثور على كل قضية ولا بد بما تسعه التجربة من الزمن وقد يسهل الله على كثير من البشر تحصيل ذلك في اقرب من زمن التجربة اذا قلد فيها الابا والمشيخة والاكابر ولقن عنهم ووعى تعليمهم فيستغني عن طول المعاناة في تتبع الوقايع واقتناص هذا المعنى من بينها ومن فقد العلم في ذلك والتقليد فيه او اعرض عن حسن استماعه واتباعه طال عناؤه في التادب بذلك فيجري في غير مالوف ويدركها على غير نسبة فتوجد ادابه ومعاملاته سيئة الاوضاع بادية الخلل ويفسد حاله في معاشه بين



ابنا جنسه وهذا معنى القول المشهور من لم يؤدبه والداه ادبه الزمان اي من لم يلقن الاداب في معاملة البشر من والديه وفي معناهما المشيخة والاكابر ويتعلم ذلك منهم رجع الى تعلمه بالطبع من الواقعات على توالي الايام فيكون الزمان معلمه ومؤدبه لضرورة ذلك بضرورة المعاونة التي في طبعه وهذا هو العقل التجريبي وهو يحصل بعد العقل التمييزي الذي يقع به الافعال كما قدمناه وبعد هذين مرتبة العقل النظري الذي تكفل بتفسيره اهل العلوم فلا يحتاج الى تفسيره في هذا الكتاب والله جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون

## فصل في علوم البشر وعلوم الملائكة

انا نشهد في انفسنا بالوجدان الصحيح وجود ثلاثة عوالم اولها عالم الحس ونعتبره بمدارك الحس الذي شاركنا فيه الحيوانات بالادراك ثم نعتبر الفكر الذي اختص به البشر فنعلم منه وجود النفس الانسانية علما ضروريا بما بين جنبينا من مداركها العلمية التي هي فوق مدارك الحس فنراه عالما اخر فوق عالم الحس ثم نستدل على عالم ثالث فوقنا بما نجد فينا من اثار التي تلقى في افئدتنا كالارادات والوجهات نحو الحركات الفعلية فنعلم ان هناك فاعلا يبعثنا عليها من عالم فوق عالمنا وهو عالم الارواح والملايكة وفيه ذوات مدركة لوجود اثارها فينا مع ما بيننا وبينها من المغايرة وربما يستدل على هذا العالم الاعلى الروحاني وذواته بالرويا وما نجد في النوم ويلقى الينا فيه من الامور التي نحن في غفلة عنها في اليقظة وتطابق الواقع في الصحيحة منها فنعلم انها حق ومن عالم الحق واما اضغاث الاحلام فصور خيالية يخزنها الادراك في الباطن ويجول فيها الفكر بعد الغيبة عن الحس ولا نجد على هذا العالم الروحاني برهانا اوضح من هذا فنعلمه كذلك على الجملة ولا ندرك له تفصيلا وما يزعمه الحكماء الالهيون في تفصيل ذواته وترتيبها المسماة عندهم بالعقول فليس شي من ذلك بيقيني لاختلال شرط البرهان النظري فيه كما هو مقرر في كلامهم في المنطق لان من شرطه ان تكون قضاياه اولية ذاتية وهذه الذوات الروحانية مجهولة الذاتيات فلا سبيل للبرهان فيها ولا يبقى لنا مدرك في تفاصيل هذه العوالم الا ما نقتبسه من الشرعيات التي يوضحها الايمان ويحكمها واعقد هذه العوالم في مداركنا عالم البشر لانه وجداني مشهود في مداركنا الجسمانية والروحانية ويشترك فيه عالم الحس مع الحيوانات وفي عالم العقل والارواح مع الملايكة الذين ذواتهم من جنس ذواته وهي ذوات مجردة عن الجسمانية والمادة وعقل صرف يتحد فيه العقل والعاقل والمعقول وكانه ذات حقيقتها الادراك والعقل فعلومهم حاصلة دايما مطابقة بالطبع لمعلوماتها لا يقع فيها خلل البتة وعلم البشر هو حصول

صورة المعلوم في ذواتهم بعد ان لم تكن حاصلة فهو كله مكتسب والذات التي تحصل فيها صور المعلومات وهي النفس مادة هيولانية تلبس صور الوجود بصور المعلومات الحاصلة فيها شيئا فشيئا حتى تستكمل ويصح وجودها بالموت في مادتها وصورتها فالمطلوبات فيها مترددة بين النفي والاثبات دائما بطلب احدهما بالوسط الرابط بين الطرفين فاذا حصل وصار معلوما افتقر الى بيان المطابقة وربما اوضحها البرهان الصناعي لكنه من وراء الحجاب وليس كالمعاينة التي في علوم الملائكة وقد ينكشف ذلك الحجاب فيصير الى المطابقة بالعيان الادراكي فقد تبين ان البشر جاهل بالطبع للتردد الذي في علمه وعالم بالكسب والصناعة لتحصيله المطلوب بفكره بالشروط الصناعية وكشف الحجاب الذي اشرنا اليه انما هو بالرياضة بالاذكار التي افضلها صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وبالتنزه عن المتناولات المهمة وراسها الصوم وبالوجهة الى الله بجميع قواه والله علم الانسان ما لم يعلم

## فصل في علوم الانبياء عليهم السلام

انا نجد هذا الصنف من البشر تعتريهم حالة الهية خارجة عن منازع البشر واحوالهم فتغلب الوجهة الربانية فيهم على البشرية في القوى الادراكية والنزوعية من الشهوة والغضب وسائر الاحوال البدنية فتجدهم متنزهين عن الاحوال البشرية الا في الضرورات منها مقبلين على الاحوال الربانية من العبادة والذكر لله بما تقتضيه معرفتهم به مخبرين عنه بما يوحى اليهم في تلك الحالة من هداية الامة على طريقة واحدة وسنن معهود منهم لا يتبدل فيهم كانه جبلة فطرهم الله عليها وقد تقدم لنا الكلام في الوحي اول الكتاب في فصل المدركين للغيب وبينا هنالك ان الوجود كله في عوالمه البسيطة والمركبة على ترتيب طبيعي من اعلاها واسفلها متصلة كلها اتصالا لا ينخرم وان الذوات التي في آخر كل افق من العوالم مستعدة لان تنقلب الى الذات التي تجاورها من الاسفل والاعلى استعدادا طبيعيا كما في العناصر الجسمانية البسيطة وكما في النخل والكرم من آخر افق النبات مع الحلزون والصدف من افق الحيوان وكما في القردة التي اجتمع فيها الكيس والادراك مع الانسان صاحب الفكر والروية وهذا الاستعداد الذي في جانبي كل افق من العوالم هو معنى الاتصال فيها وفوق العالم البشري عالم روحاني شهدت لنا به الآثار التي فينا منه بما يعطينا من قوى الادراك والارادة فذوات ذلك العالم ادراك صرف وتعقل محض وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك كله ان يكون للنفس الانسانية استعداد للانسلاخ من البشرية الى الملكية لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتا من الاوقات في لمحة من

اللمحات

اللمحات ثم تراجع بشريتها وقد تلقت في عالم الملكية ما كلفت بتبليغه الى ابناء جنسها من البشر وهذا هو معنى الوحي وخطاب الملائكة والانبياء كلهم مفطورون عليه كانه جبلة لهم ويعالجون في ذلك الانسلاخ من الشدة والغطيط ما هو معروف عنهم وعلومهم في تلك الحالة علم شهادة وعيان لا يلحقه الخطأ والزلل ولا يقع فيه الغلط والوهم بل المطابقة فيه ذاتية لزوال حجاب الغيب وحصول الشهادة الواضحة عند مفارقة هذه الحالة البشرية لا يفارق علمهم الوضوح استصحابا له من تلك الحالة الاولى ولما هم عليه من الذكاء المفضي بهم اليها ترددا ذلك فيهم دائما الى ان تكمل هداية الامة التي بعثوا لها كما في قوله انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه فافهم ذلك وراجع ما قدمناه لك اول الكتاب في اصناف المدركين للغيب يتضح لك شرحه وبيانه فقد بسطناه هنالك بسطا شافيا والله الموفق

## فصل في ان الانسان جاهل بالذات عالم بالكسب

قد بينا اول هذه الفصول ان الانسان من جنس الحيوانات وان الله ميزه عنها بالفكر الذي جعل له يوقع به افعاله على انتظام وهو العقل التمييزي او يقتنص به العلم بالآراء والمصالح والمفاسد من ابناء جنسه وهو العقل التجريبي او يحصل به في تصور الموجودات غائبا وشاهدا على ما هي عليه وهو العقل النظري وهذا الفكر انما يحصل له بعد كمال الحيوانية فيه ويبدأ من التمييز فهو قبل التمييز خلو من العلم بالجملة معدود من الحيوانات لاحق بمبدئه في التكوين من النطفة والعلقة والمضغة وما حصل له بعد ذلك فهو بما جعل الله له من مدارك الحس والافئدة التي هي الفكر قال تعالى في الامتنان علينا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهو في الحالة الاولى قبل التمييز هيولى فقط لجهله بجميع المعارف ثم تستكمل صورته بالعلم الذي يكتسبه بآلاته فتكمل ذاته الانسانية في وجودها وانظر الى قوله تعالى مبدأ الوحي على نبيه اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم اي اكسبه من العلم ما لم يكن حاصلا له بعد ان كان علقة ومضغة فقد كشفت لنا طبيعته وذاته ما هو عليه من الجهل الذاتي والعلم الكسبي واشارت اليه الآية الكريمة تقرر فيه الامتنان عليه باول مراتب وجوده وهي الانسانية وحالتاها الفطرية والكسبية في اول التنزيل ومبدأ الوحي وكان الله عليما حكيما

## فصل في ان تعليم العلم من جملة الصنائع

وذلك ان الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه انما هو بحصول ملكة في الاحاطة بمباديه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من اصوله وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن حاصلا وهذه الملكة

هي غير الفهم والوعي لانا نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد مشتركا بين من
شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العامي الذي لم يحصل علما
وبين العالم النحرير والملكة انما هي للعالم والشادي في الفنون دون من سواهما
فدل على ان هذه الملكة غير الفهم والملكات كلها جسمانية وسواء كانت في
البدن او في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والجسمانيات كلها محسوسة
فتفتقر الى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل علم او صناعة يفتقر الى مشاهير
المعلمين فيها معتبرا عند اهل كل افق وجيل ويدل ايضا على ان تعليم العلم صناعة
اختلاف الاصطلاحات فيه فلكل امام من الايمة المشاهير اصطلاح في
التعليم يختص به شان الصنايع كلها فدل على ان ذلك الاصطلاح ليس من العلم
اذ لو كان من العلم لكان واحدا عند جميعهم الا ترى الى علم الكلام كيف تخالف في
تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتاخرين وكذا اصول الفقه وكذا العربية والفقه
وكذا كل علم يحتاج الى مطالعته تجد الاصطلاحات في تعليمه متخالفة فدل على انها
صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه واذا تقرر ذلك فاعلم ان سند العلم
لهذا العهد قد كاد ينقطع عن اهل المغرب كلهم باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه
وما يحدث عن ذلك من نقص الصنايع وفقدانها كما مر وذلك ان القيروان وقرطبة
كانتا حاضرتي المغرب والاندلس واستبحر عمرانهما وكان فيهما للعلوم والصنايع
اسواق نافقة وبحور زاخرة ورسخ فيهما التعليم لامتداد عصورهما وما كان فيهما من
الحضارة فلما خربتا انقطع التعليم من المغرب الا قليلا كان في دولة الموحدين
بمراكش مستفادا منهما ولم ترسخ الحضارة بمراكش لبداوة الدولة الموحدية في
اولها وقرب عهد انقراضها بمبدئها فلم تتصل احوال الحضارة فيها الا في
الاقل وبعد انقراض الدولة بمراكش ارتحل الى المشرق من افريقية القاضي
ابو القاسم بن زيتون لعهد اواسط المائة السابعة فادرك تلميذ الامام ابن الخطيب
واخذ عنهم ولقن تعليمهم وحذق في العقليات والنقليات ورجع الى تونس
بعلم كثير وتعليم حسن وجاء على اثره من المشرق ابو عبد الله بن شعيب الدكالي كان ارتحل
اليه من المغرب فاخذ عن مشيخة مصر ورجع الى تونس واستقر بها وكان تعليمه
مفيدا فاخذ عنهما اهل تونس واتصل سند تعليمهما في تلاميذهما جيلا بعد جيل حتى
انتهى الى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب وتلميذه وانتقل من تونس
الى تلمسان في ابن الامام وتلميذه فانه قرا مع ابن عبد السلام على مشيخة واحدة وفي
مجالس باعيانها وتلميذ ابن عبد السلام بتونس وابن الامام بتلمسان لهذا العهد
الا انهم من القلة بحيث يخشى انقطاع سندهم ثم ارتحل من زواوة في اخر المائة السابعة
ابو علي ناصر الدين المشذالي وادرك تلميذ ابي عمرو بن الحاجب واخذ عنهم

ولقن

ولقن تعليمهم وقرا مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة وحذق في العقليات
والنقليات ورجع الى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد ونزل بجاية واتصل
سند تعليمه في طلبتها وربما انتقل الى تلمسان عمران المشذالي من تلميذه واوطنها
وبث طريقته فيها وتلميذه لهذا العهد ببجاية وتلمسان قليل او اقل من القليل
وبقيت فاس وسائر امصار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم
قرطبة والقيروان ولم يتصل سند التعليم فيهم فعسر عليهم حصول الملكة والحذق
في العلوم وايسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسايل العلمية
فهو الذي يقرب شانها ويحصل مرامها فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من
اعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم
بالحفظ اكثر من الحاجة ولا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم
ثم بعد تحصيل من يرى منهم انه قد حصل تجد ملكته قاصرة في علمه ان فاوض او ناظر
او علم وما اتاهم القصور الا من قبل التعليم وانقطاع سنده والا فحفظهم ابلغ من
حفظ من سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم انه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك
ومما يشهد بذلك في المغرب ان المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم
ستة عشر سنة وهي بتونس خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف
هي اقل ما يتاتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية او الياس من
تحصيلها فطال امدها بالمغرب لهذه العصور لاجل عسرها من قلة الجودة في التعليم
خاصة لا مما سوى ذلك واما اهل الاندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت
عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران المسلمين بها منذ مئين من السنين ولم يبق من رسم
العلم عندهم الا فن العربية والادب اقتصروا عليه وانحفظ سند تعليمه
بينهم فانحفظ بحفظه واما الفقه عندهم فرسم خلو واثر بعد عين واما العقليات
فلا اثر ولا عين وما ذاك الا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص العمران وتغلب
العدو على عامتها الا قليلا بسيف البحر شغلهم بمعايشهم اكثر من شغلهم بما بعدها
والله غالب على امره واما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه بل اسواقه نافقة
وبحوره زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه وان كانت الامصار
العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة الا ان
الله قد اذال منها بامصار اعظم من تلك وانتقل العلم منها الى عراق العجم
بخراسان وما وراء النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما اليها من المغرب فلم تزل موفورة
وعمرانها متصلا وسند التعليم بها قائما فاهل المشرق على الجملة ارسخ في
صناعة تعليم العلم بل وفي سائر الصنائع حتى انه ليظن كثير من رحالة
اهل المغرب الى المشرق في طلب العلم ان عقولهم على الجملة اكمل من عقول

اهل المغرب وان نفوسهم الناطقة اكمل بفطرتها من نفوس اهل المغرب ويعتقدون التفاوت
بيننا وبينهم في الحقيقة الانسانية لما يرون من كيسهم في العلوم والصنائع وليس كذلك
ولا بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي تتفاوت في الحقيقة الواحدة
اللهم الا الاقاليم المنحرفة مثل الاول والسابع فان الامزجة فيها منحرفة والنفوس
على نسبتها كما مر وانما الذي فضل به اهل المشرق اهل المغرب فهو ما يحصل في النفس
من اثار الحضارة من العقل المزيد كما تقدم في الصنائع ونزيده الان شرحا وتحقيقا
وذلك ان الحضر لهم اداب في احوالهم من المعاش والمسكن والبناء وامور الدين والدنيا
وكذا سائر عاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم فلهم في ذلك اداب يوقف عندها
في جميع ما يتناولونه ويتلبسون به من اخذ وترك حتى كانها حدود لا تتعدى
وهي مع ذلك صنائع يتلقاها الاخر عن الاول منهم ولا شك ان كل صناعة مرتبة
يرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلا جديدا تستعد به لقبول صناعة اخرى
ويتهيا به العقل بسرعة الادراك للمعارف ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن اهل
مصر غايات لا تدرك مثل انهم يعلمون الحمر الانسية والحيوانات العجم من الماشي والطائر
مفردات من الكلام والافعال يستغرب ندورها ويعجز اهل المغرب عن فهمها فضلا عن
تعليمها وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الاحوال العادية تزيد الانسان
ذكاء في عقله واضاءة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس اذ قدمنا ان النفس
انما تنشا بالادراكات وما يرجع اليها من الملكات الحاصلة فيزدادون بذلك كيسا
لما يرجع الى النفس من الاثار العلمية فيظنه العامي تفاوتا في الحقيقة الانسانية
وليس كذلك الا ترى الى الحضر مع اهل البدو كيف ترى الحضري متحليا بالذكاء
ممتليا من الكيس حتى ان البدوي ليظنه انه قد فاته في حقيقة انسانيته
وعقله وليس كذلك وما ذاك الا لاجادته من ملكات الصنائع والاداب في العوائد
والاحوال الحضرية ما لا يعرفه البدوي فلما امتلا الحضري من الصنائع وملكاتها وحسن
تعليمها ظن كل من قصر عن تلك الملكات انها لكمال في عقله وان نفوس اهل البدو
قاصرة بفطرتها وجبلتها عن فطرته وليس كذلك فانا نجد من اهل البدو من هو
في اعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرته وانما الذي ظهر على اهل الحضر
من ذلك فهو رونق الصنائع والتعليم فان لهما اثارا ترجع الى النفس كما قدمناه
وكذا اهل المشرق لما كانوا في التعليم والصنائع ارسخ رتبة واعلى قدما وكان
اهل المغرب اقرب الى البداوة لما قدمناه في الفصل قبل هذا ظن المغفلون
في بادي الراي انه لكمال في حقيقة الانسانية اختصوا به عن اهل المغرب
وليس ذلك بصحيح فتفهمه والله يزيد في الخلق ما يشاء

فصل في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة

والسبب

خ متابلة

والسبب في ذلك ان تعليم العلم كما قلناه من جملة الصنائع وقد كنا قدمنا ان الصنائع
انما تكثر في الامصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون
نسبة الصنائع في الجودة والكثرة لانه امر زائد على المعاش فمتى فضلت اعمال اهل
العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان وهي
العلوم والصنائع ومن تشوف بفطرته الى العلم ممن نشا في القرى والامصار
غير المتمدنة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي لفقدان الصنائع في اهل البدو
كما قدمناه ولا بد له من الرحلة في طلبه الى الامصار المستبحرة شان الصنائع كلها
واعتبر ما قررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها
صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلم وتفننوا في
اصطلاحات التعليم واصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون حتى اربوا على
المتقدمين وفاتوا المتاخرين ولما تناقص عمرانها وابذعر سكانها انطوى ذلك
البساط بما عليه وفقد العلم بها والتعليم وانتقل الى غيرها من امصار الاسلام
ونحن لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما ان عمرانها
مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ الاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع
وتفننت ومن جملتها تعليم العلم واكد ذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بها منذ
مائتين من السنين في دولة الترك من ايام صلاح الدين بن ايوب وهلم جرا وذلك ان
امراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لما له
عليهم من الرق او الولاء ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته فاستكثروا من بناء
المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة يجعلون فيها شركا
لولدهم ينظر عليها او يصيب منها مع ما فيهم غالبا من الجنوح الى الخير
والتماس الاجور في المقاصد والافعال فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت
الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرايتهم منها وارتحل اليها الناس
في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها اسواق العلوم وزخرت
بحارها والله يخلق ما يشاء

فصل في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

اعلم ان العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الامصار تحصيلا
وتعليما هي على صنفين صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه بفكره وصنف نقلي ياخذه
عمن وضعه والاول هي العلوم الحكمية الفلسفية وهي التي يمكن ان يقف
عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها
وانحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطا فيها
من حيث هو انسان ذو فكر والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها

هي

مستندة الى الخبر عن الوضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من
مسايلها بالاصول لان الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي
بمجرد وضعه فتحتاج الى الالحاق بوجه قياسي الا ان هذا القياس يتفرع عن الخبر
بثبوت الحكم في الاصل وهو نقلي فرجع هذا القياس الى النقل لتفرعه عنه
واصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي
مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيؤها للاستفادة
منها ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القران
واصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لان المكلف يجب عليه ان يعلم احكام الله
المفروضة عليه وعلى ابناء جنسه وهي ماخوذة من الكتاب والسنة بالنص او الاجماع
او بالالحاق فلا بد من النظر في الكتاب ببيان الفاظه اولا وهذا هو علم التفسير
ثم باسناد نقله وروايته الى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله
واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات ثم باسناد السنة الى
صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة احوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق
باخبارهم ويعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم الحديث
ثم لا بد في استنباط هذه الاحكام من اصولها من وجه قانوني يفيدنا العلم بكيفية
هذا الاستنباط وهذا هو اصول الفقه وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة احكام الله
في افعال المكلفين وهذا هو الفقه ثم ان التكاليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص
بالايمان وما يجب ان يعتقد مما لا يعتقد وهذه هي العقايد الايمانية في الذات
والصفات وامور الحشر والنعيم والعذاب والقدر والحجاج عن هذه بالادلة
العقلية هو علم الكلام ثم النظر في القران والحديث لا بد ان تتقدمه العلوم
اللسانية لانه متوقف عليها وهي اصناف فمنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان
وعلم الادب حسبما نتكلم عليها كلها وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية
واهلها وان كانت كل ملة على الجملة لا بد فيها من مثل ذلك فهي مشاركة
لها في الجنس البعيد من حيث انها العلوم الشرعية المنزلة من عند الله تعالى على صاحب
الشريعة المبلغ لها واما على الخصوص فمباينة لجميع الملل لانها ناسخة لها وكل
ما قبلها من علوم الملل فمهجورة والنظر فيها محظور فقد نهى الشرع عن النظر في
الكتب المنزلة غير القران وقال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد وراى صلى الله
عليه وسلم في يد عمر رضي الله عنه ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب في
وجهه ثم قال الم اتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي
ثم ان هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت اسواقها في هذه الملة [redacted]



بما لا مزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين الى التي لا فوقها وهذبت الاصطلاحات
ورتبت الفنون فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتنميق وكان لكل فن رجال يرجع اليهم
فيه واوضاع يستفاد منها التعليم واختص المشرق من ذلك والمغرب بما هو مشهور منها
حسبما نذكره الان عند تعديد هذه الفنون وقد كسدت لهذا العهد اسواق العلم بالمغرب
لتناقص العمران فيه وانقطاع سند التعليم كما قدمناه في الفصل قبله وما ادري ما فعل
الله بالمشرق والظن به نفاق العلم فيه واتصال التعليم في العلوم وفي ساير الصنايع
الضرورية والكمالية لكثرة العمران فيه والحضارة ووجود الاعانة لطالب العلم
بالجراية من الاوقاف التي اتسعت بها ارزاقهم والله مقدر الليل والنهار

## علوم القران من التفسير والقراات

القران هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الامة
الا ان الصحابة رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض الفاظه
وكيفيات الحروف في ادائها وتنوقل ذلك واشتهر الى ان استقرت منها سبع طرق
معينة تواتر نقلها ايضا بادائها واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها
من الجم الغفير فصارت هذه القراات السبع اصولا للقراءة وربما زيد بعد ذلك قراات
اخر لحقت بالسبع الا انها عند ايمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراات السبع
معروفة في كتبها وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لانها عندهم كيفيات
للاداء وهو غير منضبط وليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القران وابى ذلك الاكثر
وقالوا بتواترها وقال اخرون بتواتر غير الاداء منها كالمد والتسهيل لعدم
الوقوف على كيفيته بالسمع وهو الصحيح ولم يزل القراء يتداولون هذه القراات
وروايتها الى ان كتبت العلوم ودونت فكتبت فيما كتبت من العلوم وصارت
صناعة [redacted] وعلما منفردا وتناقلها الناس بالمشرق والاندلس
في جيل بعد جيل الى ان ملك بشرق الاندلس مجاهد من موالي العامريين وكان
معتنيا بهذا الفن من بين فنون القران لما اخذه به مولاه المنصور بن ابي عامر
واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من ايمة القراء بحضرته فكان سهمه في ذلك
وافرا واختص مجاهد بعد ذلك بامارة دانية والجزاير الشرقية فنفقت
بها سوق القراءة بما كان هو من ايمتها وبما كان له من العناية بساير العلوم عموما
وبالقراءات خصوصا فظهر لعهده ابو عمرو الداني وبلغ الغاية فيها ووقفت
عليه معرفتها وانتهت الى روايته اسانيدها وتعددت تواليفه فيها وعول
الناس عليها وعدلوا عن غيرها واعتمدوا من بينها كتاب التيسير له ثم ظهر
بعد ذلك فيما يليه من العصور والاجيال ابو القسم بن فيره من اهل شاطبة فعمد
الى تهذيب ما دونه ابو عمرو وتلخيصه فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها

مخصوصة صح

اسما القرا بحروف ابجد على ترتيب احكم ليتيسر عليه ما قصده من الاختصار
ولتكون اسهل للحفظ لاجل نظمها فاستوعب فيها الفن استيعابا حسنا
وعني الناس بحفظها وتلقينها للولدان المتعلمين وجرى العمل على ذلك في امصار
المغرب والاندلس وربما اضيف الى فن القراات فن الرسم ايضا وهي اوضاع
حروف القران في المصحف ورسومه الخطية لان فيه حروفا كثيرة وقع رسمها
على غير المعروف من قياس الخط كزيادة اليا في بايد وزيادة الالف في لا اذبحنه
ولا اوضعوا والواو في جزاو الظالمين وحذف الالف في مواضع دون اخرى
وما رسم فيه من التاات ممدودا والاصل فيه مربوط على شكل الها وغير ذلك وقد مر
تعليل هذا الرسم المصحفي عند الكلام في الخط فلما جات هذه مخالفة لاوضاع
الخط وقانونه احتيج الى حصرها فكتب فيها الناس عند كتبهم في العلوم وانتهت
بالمغرب الى ابي عمرو الداني المذكور فكتب فيها كتبا من اشهرها كتاب المقنع
واخذ به الناس وعولوا عليه ونظمه ابو القسم الشاطبي في قصيدته المشهورة
على روي الرا وولع الناس بحفظها ثم كثر الخلاف في الرسم في كلمات وحروف
اخرى ذكرها ابو داود سليمان بن نجاح من موالي مجاهد في كتبه وهو تلميذ ابي عمرو
الداني المشهور بحمل علومه ورواية كتبه ثم نقل بعده خلاف اخر فنظم
الخراز من المتاخرين بالمغرب ارجوزة اخرى زاد فيها على المقنع خلافا كثيرا
وعزاه لناقليه واشتهرت بالمغرب واقتصر الناس على حفظها وهجروا بها
كتب ابي داود وابي عمرو والشاطبي في الرسم

## واما التفسير

فاعلم ان القران نزل بلغة العرب على اساليب بلاغتهم وكانوا كلهم يفهمونه
ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جملا جملا وايات ايات
لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقايع ومنها ما هو في العقايد
الايمانية ومنها ما هو في احكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها ما يتاخر ويكون ناسخا
له وكان النبي صلى الله عليه وسلم هو المبين لذلك كما قال لتبين للناس ما نزل
اليهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه
اصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الايات ومقتضى الحال منها منقولا
عنه كما علم من قوله اذا جا نصر الله والفتح انها نعي النبي صلى الله عليه وسلم
وامثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله عليهم وتداول ذلك التابعون من
بعدهم ونقل عنهم ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر الاول والسلف حتى صارت
المعارف علوما ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك ونقلت الاثار الواردة
فيه عن الصحابة والتابعين وانتهى ذلك الى الطبري والواقدي والثعالبي وامثالهم
من المفسرين فكتبوا فيه ما شا الله ان يكتبوه من الاثار ثم صارت علوم اللسان



صناعية من الكلام في موضوعات اللغة واحكام الاعراب والبلاغة في التراكيب
فوضعت الدواوين في ذلك بعد ان كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها الى نقل ولا
كتاب فتنوسي ذلك وصارت تتلقى من كتب اهل اللسان فاحتيج الى ذلك في تفسير القران
لانه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم وصار التفسير على صنفين تفسير نقلي
مستند الى الاثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ واسباب
النزول ومقاصد الاي وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين وقد جمع
المتقدمون في ذلك واوعوا الا ان كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين
والمقبول والمردود والسبب في ذلك ان العرب لم يكونوا اهل كتاب ولا علم وانما غلبت
عليهم البداوة والامية فاذا تشوقوا الى معرفة شي مما تتشوق اليه النفوس
الانسانية من اسباب المكونات وبدء الخليقة واسرار الوجود فانما يسالون عنه
اهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم اهل التورية من اليهود ومن تبع دينهم
من النصارى واهل التورية الذين بين العرب يوميذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك
الا ما تعرفه العامة من اهل الكتاب ومعظمهم من حمير الذين اخذوا بدين
اليهودية فلما اسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالاحكام الشرعية التي
يحتاطون لها مثل اخبار بدء الخليقة وما يرجع الى الحدثان والملاحم وامثال ذلك
وهولا مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وامثالهم فامتلات
التفاسير من المنقولات عنهم في امثال هذه الاغراض اخبارا موقوفة عليهم وليست
مما يرجع الى الاحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل وتساهل
المفسرون في مثل ذلك وملوا كتب التفسير بهذه المنقولات واصلها كما قلناه عن اهل
التورية الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك الا
انهم بعد صيتهم وعظمت اقدارهم بما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقيت
بالقبول من يوميذ فلما رجع الناس الى التحقيق والتمحيص وجا ابو محمد بن عطية
من المتاخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو اقرب الى الصحة
منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين اهل المغرب والاندلس حسن المنحى
وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب اخر مشهور بالمشرق
والصنف الاخر من التفسير هو ما يرجع الى اللسان من معرفة اللغة والبلاغة
في تادية المعنى بحسب المقاصد والاساليب وهذا الصنف من التفسير قل
ان ينفرد عن الاول اذ الاول هو المقصود بالذات وانما جا هذا بعد ان صار
اللسان وعلومه صناعات نعم قد يكون في بعض التفاسير غالبا ومن احسن
ما اشتمل عليه هذا الفن من التفسير كتاب الكشاف للزمخشري من اهل خوارزم
العراق الا ان مولفه من اهل الاعتزال في العقايد فياتي [illegible] على مذاهبهم

الناسخ حيث يعرض له في اي القران من طرق البلاغة فصار بذلك للمحققين من
اهل السنة انحراف عنه وتحذير للجمهور من مكامنه مع اقرارهم برسوخ قدمه فيما
يتعلق باللسان والبلاغة واذا كان الناظر فيه واقفا على المذاهب السنية محسنا
للحجاج عنها فلا جرم انه مامون من غوائله فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان ولقد
وصل الينا في هذه العصور تاليف لبعض العراقيين وهو شرف الدين الطيبي من اهل
توريز من عراق العجم شرح فيه كتاب الزمخشري هذا وتتبع الفاظه وتعرض لمذاهبه في
الاعتزال وادلته تزيفها وبين ان البلاغة انما تقع في الاية على ما يراه اهل السنة
لا على مذهب المعتزلة فاحسن في ذلك ما شاء مع امتاعه في ساير فنون البلاغة وفوق كل ذي علم عليم

## علوم الحديث

واما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة فان منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه وذلك
بما ثبت في شرعنا من جواز النسخ ووقوعه لطفا من الله تعالى بالعباد وتخفيفا عنهم
باعتبار مصالحهم التي تكفل لهم بها قال تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها
او مثلها ومعرفة الناسخ والمنسوخ وان كان عاما للقران والحديث الا ان الذي في
القران منه اندرج في تفاسيره وبقي ما كان خاصا بالحديث راجعا الى علومه
فاذا تعارض الخبران بالنفي والاثبات وتعذر الجمع بينهما ببعض التاويل وعلم
تقدم احدهما تعين ان المتاخر ناسخ وهو من اهم علوم الحديث واصعبها
قال الزهري اعيا الفقهاء واعجزهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم من منسوخه وكان للشافعي رضي الله عنه فيه قدم راسخة ومن علوم الحديث
معرفة القوانين التي وضعها ائمة المحدثين لمعرفة الاسانيد والرواة واسمائهم
وكيفية اخذ بعضهم عن بعض واحوالهم وطبقاتهم واختلاف اصطلاحاتهم
وتحصيل ذلك ان الاجماع واقع على وجوب العمل بالخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك بشرط ان يغلب على الظن صدقه فيجب على المجتهد تحقيق الطرق التي
تحصل [redacted] ذلك الظن وذلك بالنظر في اسانيد الحديث بمعرفة رواته بالعدالة
والضبط والاتقان والبراءة من السهو والغفلة بوصف عدول الامة لهم بذلك
ثم تفاوت مراتبهم فيه ثم كيفية رواية بعضهم عن بعض بسماع الراوي من الشيخ
او قراءته عليه او سماعه يقرا عليه وكتابة الشيخ له او مناولته او اجازته في الصحة
والقبول منقول عنهم واعلا مراتب المقبول عندهم الصحيح ثم الحسن وادون
مراتبها الضعيف ويشتمل على المرسل والمنقطع والمعضل والمعلل والشاذ
والغريب والمنكر فمنها ما اختلفوا في رده ومنها ما اجمعوا عليه وكذلك شانهم في الصحيح
فمنه ما اجمعوا على قبوله وصحته ومنه ما اختلفوا فيه وبينهم في تفسير هذه
الالقاب اختلاف كثير ثم اتبعوا ذلك بالكلام في الفاظ تقع في متون الحديث
من

بلغ مقابلة

من غريب او مشكل او تصحيف او مفترق او مختلف ووضعوا لهذه الفصول كلها قانونا
كفيلا ببيان تلك المراتب والالقاب وسلامة الطرق عن دخول النقص فيها واول
من وضع في هذا القانون من فحول ائمة الحديث ابو عبد الله الحاكم وهو الذي هذبه
واظهر محاسنه وتواليفه فيه مشهورة ثم كتب ائمتهم فيه من بعده [redacted] واشهر
كتب المتاخرين فيه كتاب ابي عمرو بن الصلاح كان [redacted] في اوايل المائة السابعة
وتلاه محيي الدين النووي بمثل ذلك والفن شريف في مغزاه لانه معرفة ما يحفظ
به السنن المنقولة عن صاحب الشريعة حتى يتعين قبولها او ردها واعلم
ان رواة السنة من الصحابة والتابعين معروفون في امصار الاسلام منهم بالحجاز
وبالكوفة والبصرة ثم بالشام ومصر مشهورون في اعصارهم وكانت طريقة اهل
الحجاز من بينهم اعلا وامتن في الصحة لتجافيهم عن قبول المستورين المجهولة [redacted] احوالهم
وسيد الطريقة الحجازية بعد السلف الامام مالك عالم المدينة ثم اصحابه [redacted] مثل الامام
ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه وابن وهب وابن بكير والقعنبي
ومحمد بن الحسن ومن بعدهم الامام احمد بن حنبل في اخرين من امثالهم
وكان علم الشريعة في مبدا الامر نقلا صرفا لا نظرا ولا رايا ولا تعمقا في
القياس وشمر لها السلف وتحروا الصحيح حتى اكملوها وكتب مالك رحمه الله كتاب
الموطا على طريقة الحجازيين اودعه اصول الاحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه في
ابواب الفقه ثم [redacted] عني الحفاظ بمعرفة طرق الاحاديث واسانيدها المختلفة الحجازية
والعراقية وغيرهما وقد تتحد في بعض الاحاديث وتتعدد ويتكرر الحديث
في ابواب الفقه باختلاف المعاني التي اشتمل عليها وجاء محمد بن اسمعيل البخاري
فاوسع نطاق الرواية وخرج احاديث السنة على ابوابها في مسنده الصحيح وجمع
طرق [redacted] الحجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد منها ما اجتمعوا عليه
دون ما اختلفوا فيه وتكررت احاديثه في الابواب باختلاف معانيها كما اشرنا
اليه فاشتمل كتابه على سبعة الاف حديث ومايتين تكررت منها ثلاثة الاف
وفرق الطرق والاسانيد عليها مختلفة في كل باب ثم جاء مسلم بن الحجاج القشيري
رحمه الله فالف مسنده الصحيح اتبع فيه البخاري في نقل المجمع عليه وحذف المكرر
منها وجمع الطرق والاسانيد مبوبة على ابواب الفقه وتراجمه ومع ذلك
فلم يستوعبا الصحيح كله واستدرك الناس عليهما بما اغفلا عن شروطهما ثم كتب
ابو داود السجستاني وابو عيسى الترمذي وابو عبد الرحمن النسوي في السنن
باوسع من الصحيح وقصدوا ما توفرت فيه شروط العمل اما من الرتبة العالية
في الاسانيد وهو الصحيح كما هو معروف واما من الذي دونه كالحسن وغيره ليكون
ذلك اماما للعمل بالسنة وهذه المسانيد المعتمدة في الملة وهي امهات

على صحته

كتب الحديث في السنة ولحق بهذه الخمسة مسانيد اخر كمسند ابي داود الطيالسي
والبزار وعبد بن حميد والدارمي وابي يعلى الموصلي والامام احمد فاقصد بن
فيها المسندات عن الصحابة من غير ان تكون محتجا بها هكذا قال ابن الصلاح
ونقل الرواة عن الامام احمد انه كان يقول لابنه عبد الله في كتابه المسند وهو يشتمل
على احد وثلثين الف حديث وعن جماعة من اصحابه انهم قالوا قرا علينا المسند
وقال هذا كتاب انتقيته من سبعمائة الف وخمسين الف حديث فما اختلف
فيه المسلمون من الاحاديث النبوية ولم يجدوه فيه فليس بحجة فهذا يدل على
ان جميع ما في مسنده يصح الاحتجاج به عكس ما قاله ابن الصلاح نقلته من مناقب
الامام احمد لابن الجوزي وقد انقطع لهذا العهد تخريج شيء من الاحاديث
واسندها على المتقدمين اذ العادة تشهد بان هولاء الايمة على تعددهم
وتلاحق عصورهم وكثرة كتابتهم واجتهادهم لم يكونوا ليغفلوا شيئا من السنة
او يتركوه حتى يعثر عليه المتاخر وانما تنصرف العناية لهذا العهد الى تصحيح الامهات
المكتوبة وضبطها بالرواية واسنادها الى مولفيها لتتصل الاسانيد وتحكم
من مبدئها الى منتهاها ولم يزيدوا في ذلك على العناية باكثر من هذه الامهات
الخمسة الا في القليل فاما صحيح البخاري وهو اعلاها رتبة فاستصعب
الناس شرحه واستغلقوا منحاه من اجل ما يحتاج اليه من معرفة الطرق المتعددة
ورجالها من اهل الحجاز والشام والعراق ومعرفة احوالهم واختلاف الناس
فيهم وكذلك يحتاج الى امعان النظر في التفقه في التراجم لانه يترجم الترجمة
ويورد فيها الحديث بسند او طريق ثم يترجم اخرى ويورد فيها ذلك الحديث
بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة وترجمة الى ان
يتكرر الحديث في ابواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها ومن النظر في تراجمه
بيان المناسبة بين الترجمة والاحاديث التي في ضمنها فقد وقع له كثير من
تراجمه خفاء المناسبة بينها وبين الاحاديث التي في ضمنها وطال كلام
الناس في بيانها كما وقع في كتاب العتق في الباب الذي ترجم فيه بقوله باب
تخريب البيت ذو السويقتين من الحبشة ثم قال في الباب قال الله تعالى
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا ولم يزد على ذلك شيئا وخفي على
الناس وجه المناسبة بين هذه الترجمة وما في الباب فمنهم من قال كان
المصنف رحمه الله يكتب التراجم في المسودة ثم يكتب الاحاديث في كل ترجمة
بحسب ما تيسر له وتوفي قبل ان يستوفي حشو التراجم فروى الكتاب كذلك
وسمعت من اصحاب القاضي ابن بكار قاضي غرناطة واستشهد في واقعة
طريف سنة احدى واربعين وسبعمائة وكان قائما على صحيح البخاري انه اراد بالترجمة

متفرقة صح

نفسر

تفسير الاية بان ذلك مشروع لا مقدر لان الاشكال انما جاء من تفسير جعلنا
بقدرنا واذا كان بمعنى شرعنا لم يكن لبس في تخريب ذي السويقتين اياها
سمعت ذلك من شيخنا ابي البركات البلفيقي عنه وكان من جملة تلميذه ومن شرح الكتاب
ولم يستوف هذا كله فيه فلم يوف حق الشرح كابن بطال وابن المهلب
وابن التين ونحوهم ولقد سمعت كثيرا من شيوخنا رحمهم الله يقولون
شرح كتاب البخاري دين على الامة يعنون ان احدا من علماء الامة لم يوف
ما يجب له من الشرح بذلك الاعتبار واما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب
به واكبوا عليه واجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري قال ابن الصلاح وانما
يفضل على كتاب البخاري بما وقع فيه من التخريج بن عمار جزم به البخاري لكتابه من غير
الصحيح مما لم يكتبه على شرطه واكثر ما وقع في التراجم واملا الامام المازري
من فقهاء المالكية عليه شرحا سماه المعلم بفوائد مسلم واشتمل على عيون من
علم الحديث وفنون من الفقه ثم اكمله القاضي عياض من بعده وتممه وسماه اكمال
المعلم وتلاهما محيي الدين النووي بشرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليهما
فجاء شرحا وافيا واما كتب السنن الاخرى الثلاثة وفيها معظم ماخذ
الفقهاء فاكثر شرحها في كتب الفقه الا ما يختص بعلم الحديث فكتب الناس
عليها واستوفوا من ذلك ما يحتاج اليه من علوم الحديث وموضوعاتها والمسانيد
التي اشتملت على الاحاديث المعمول بها من السنة واعلم ان الاحاديث
قد تميزت مراتبها لهذا العهد بين صحيح وضعيف ومعلول وغيرها ميزها ايمة
الحديث وجهابذته وعرفوها ولم يبق طريق في تصحيح ما لم يصحح من قبل
ولقد كان الايمة في الحديث يعرفون الاحاديث بطرقها واسانيدها
بحيث لو روي حديث بغير سنده وطريقه تفطنوا الى انه قد قلب عن وضعه
ولقد وقع مثل ذلك للامام محمد بن اسمعيل البخاري حين ورد على بغداد
وقصد المحدثون امتحانه فسالوه عن احاديث قلبوا اسانيدها
فقال لا اعرف هذه ولكن حدثني فلان ثم اتى بجميع تلك الاحاديث على الوضع
الصحيح ورد كل متن الى سنده فاقروا له بالامامة واعلم ايضا ان الايمة
المجتهدين تفاوتوا في الاكثار من هذه البضاعة والاقلال فابو حنيفة
رحمه الله يقال انه بلغت روايته الى سبعة عشر حديثا او نحوها الى خمسين
ومالك رحمه الله انما صح عنده ما في كتاب الموطا وغايتها ثلثمائة حديث
او نحوها واحمد بن حنبل في مسنده ثلثون الف حديث ولكل على ما اداه اليه
اجتهادهم في ذلك وقد يقول بعض المتعصبين المتعسفين ان منهم من كان
قليل البضاعة في الحديث ولهذا قلت روايته ولا سبيل الى هذا المعتقد

وحسن صح

انما هو

في كبار الايمة لان الشريعة انما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن كان قليل البضاعة من
الحديث فيتعين عليه طلبه وروايته والجد والتشمير في ذلك لياخذ الدين عن اصول
صحيحة ويتلقى الاحكام عن صاحبها المبلغ لها عن الله وانما قلل منهم من قلل الرواية
لاجل المطاعن التي تعترضه فيها والعلل التي تعرض في طرقها سيما والجرح مقدم
عند الاكثر فيؤديه الاجتهاد الى ترك الاخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الاحاديث
وطرق الاسانيد ويكثر ذلك فتقل روايته لضعف الطرق هذا مع ان اهل
الحجاز اكثر رواية للحديث من اهل العراق لان المدينة دار الهجرة ومأوى الصحابة
ومن انتقل منهم الى العراق كان شغلهم بالجهاد اكثر والامام ابو حنيفة
انما قلت روايته لما شدد في شروط الرواية والتحمل فاستضعف وضعف
الحديث اذا عارضه العقل القطعي فاستصعبت روايته فقل حديثه لا انه ترك
رواية الحديث متعمدا فحاشاه من ذلك ويدلك على انه من كبار المجتهدين في علم الحديث
اعتماد مذهبه بينهم والتعويل عليه واعتباره ردا وقبولا واما غيره من المحدثين
وهم الجمهور فتوسعوا في الشروط وكثر [redacted] حديثهم والكل عن اجتهاد
وقد توسع اصحابه من بعده في الشروط وكثرت روايتهم وروى الطحاوي فاكثر
وكتب مسنده وهو جليل القدر الا انه لا يعدل الصحيحين لان الشروط التي اعتمدها
البخاري ومسلم في كتابيهما مجمع عليها بين الامة كما قالوه وشروط الطحاوي
غير متفق عليها كالرواية عن المستور الحال وغيره فلهذا قدم الصحيحان بل
وكتب السنن المعروفة عليه لتاخر شرطه عن شروطهم ومن اجل هذا قيل في
الصحيحين بالاجماع على قبولهما من جهة الاجماع على صحة ما فيهما من الشروط المتفق
عليها فلا تاخذك ريبة في ذلك فالقوم احق الناس بالظن الجميل بهم والتماس
المخارج الصحيحة لهم ثم من علوم الحديث تعريف هذا القانون في الكلام على
الاحاديث واحدا واحدا في ابوابها وتراجمها في تفاسير المسانيد كما فعله
الحافظ ابو عمر بن عبد البر وابو محمد بن حزم والقاضي عياض ومحيي الدين النووي
وابن القطان بعدهما وكثير من ايمة المغاربة والمشارقة وان كان في كلامهم على
تلك الاحاديث غير ذلك من فقه متونها ولغتها واعرابها الا ان كلامهم في اسانيدها
بصناعة الحديث اوعب واكثر هذه اصناف علوم الحديث المتداولة
بين ايمة الاعصار لهذا العهد والله الهادي الى الحق والمعين عليه

## الفقه وما يتبعه من الفرايض

الفقه هو معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب
والكراهة والاباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها
من الادلة فاذا استخرجت الاحكام من تلك الادلة قيل لها فقه وكان السلف يستخرجونها

ر

من تلك الادلة على اختلاف فيما بينهم لابد من وقوعه ضرورة ان الادلة غالبها من
النصوص وهي بلغة العرب وفي اقتضاءات الفاظها لكثير من معانيها خصوصا
الاحكام الشرعية خلاف بينهم معروف وايضا فالسنة مختلفة الطرق في الثبوت
وتتعارض في الاكثر احكامها فتحتاج الى الترجيح وهو مختلف وايضا فالادلة
من غير النصوص مختلف فيها وايضا فالوقايع المتجددة لا توفي بها النصوص
وما كان منها غير داخل في النصوص فيحمل على منصوص لمشابهة بينهما وهذه
كلها مثارات للخلاف ضرورية الوقوع ومن هنا وقع الخلاف بين السلف
والايمة من بعدهم ثم ان الصحابة لم يكونوا كلهم اهل فتيا ولا كان الدين يؤخذ عن
جميعهم وانما كان ذلك مختصا منهم بالحاملين للقران العارفين بناسخه ومنسوخه
ومتشابهه ومحكمه وساير دلالاته بما تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم او ممن
سمعه منهم من عليتهم وكانوا يسمون لذلك القراء اي الذين يقرؤون الكتاب لان العرب
كانوا امة امية فاختص من كان منهم قاريا للكتاب بهذا الاسم لغرابته يوميذ
وبقي الامر كذلك صدر الملة ثم عظمت امصار الاسلام وذهبت الامية عن العرب
بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط وكمل الفقه واصبح صناعة وعلما فبدلوا باسم
الفقهاء والعلماء من القراء وانقسم الفقه فيهم الى طريقتين طريقة اهل الراي والقياس
وهم اهل العراق وطريقة اهل الحديث وهم اهل الحجاز وكان الحديث قليلا في
اهل العراق لما قدمناه فاستكثروا من القياس ومهروا فيه فلذلك قيل لهم اهل
الراي ومقدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي اصحابه الامام ابو حنيفة
وامام اهل الحجاز مالك بن انس والشافعي من بعده ثم انكر القياس طايفة من العلماء
وابطلوا العمل به وهم الظاهرية وجعلوا مدارك الشرع كلها منحصرة في النصوص
والاجماع وردوا القياس الجلي والعلة المنصوصة الى النص لان النص على
العلة نص على الحكم في جميع محالها وكان امام هذا المذهب داود بن علي وابنه
واصحابهما فكانت هذه المذاهب الثلاثة هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الامة
وشذ اهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم في
تناول بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعصمة الايمة ورفع الخلاف عن اقوالهم
وهي كلها اصول واهية وشذ بمثل ذلك الخوارج ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم
بل اوسعوها جانب الانكار والقدح فلا يعرف شيء من مذاهبهم ولا تروى كتبهم
ولا اثر لشيء منها الا في مواطنهم فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم
قايمة في المغرب والمشرق واليمن والخوارج كذلك ولكل منهم كتب وتواليف واراء
في الفقه غريبة ثم درس مذهب اهل الظاهر اليوم بدروس ايمته وانكار الجمهور على
منتحله ولم يبق الا في الكتب المجلدة وربما يعكف كثير من البطالين على تلك

الكتب ممن ينتحل مذهبهم يروم اخذ فقههم منها ومذهبهم فلا يخلو بطائل ويصير
الى مخالفة الجمهور وانكارهم عليه وربما عد بهذه النحلة من اهل البدع بتلقيه
العلم من الكتب من غير مفتاح المعلمين وقد فعل ذلك ابن حزم بالاندلس على علو
رتبته في حفظ الحديث وصار الى مذهب اهل الظاهر ومهر فيه باجتهاد زعمه
في اقوالهم وخالف امامهم داود وتعرض للكثير من ائمة المسلمين فنقم الناس عليه
ذلك واوسعوا مذهبه استهجانا وانكارا وتلقوا كتبه بالاغفال والترك
حتى انها ليحظر بيعها بالاسواق وربما تمزق في بعض الاحيان ولم يبق الا مذاهب
اهل الرأي من العراق واهل الحديث من الحجاز فاما اهل العراق فامامهم الذي
استقرت عنده مذاهبهم ابو حنيفة النعمان بن ثابت ومقامه في الفقه لا يلحق
شهد له بذلك اهل جلدته وخصوصا مالك والشافعي واما اهل الحجاز فكان امامهم
مالك بن انس الاصبحي امام دار الهجرة رحمه الله واختص بزيادة مدرك اخر
للاحكام غير المدارك المعتبرة عند غيره وهو عمل اهل المدينة لانه راى انهم فيما
يتفقون عليه من فعل او ترك متابعون لمن قبلهم ضرورة لدينهم واقتدائهم
وكذا الى الجيل المباشرين لفعل النبي صلى الله عليه وسلم الآخذين ذلك عنه وصار ذلك
عنده من اصول الادلة الشرعية وظن كثير ان ذلك من مسائل الاجماع فانكره
لان دليل الاجماع لا يخص اهل المدينة من سواهم بل هو شامل للامة
واعلم ان الاجماع انما هو الاتفاق على الامر الديني عن اجتهاد ومالك رحمه الله
لم يعتبر عمل اهل المدينة من هذا المعنى وانما اعتبره من حيث اتباع الجيل
بالمشاهدة للجيل الى ان ينتهي الى الشارع صلوات الله عليه وضرورة
اقتدائهم بعين ذلك نعم المسئلة ذكرت في باب الاجماع لانه اليق الابواب بها من حيث
ما فيها من الاتفاق الجامع بينها وبين الاجماع الا ان اتفاق اهل الاجماع
عن اجتهاد ورأي بالنظر في الادلة واتفاق هؤلاء في فعل او ترك مستندين
الى مشاهدة من قبلهم ولو ذكرت المسئلة في باب فعل النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره
او مع الادلة المختلف فيها مثل مذهب من قبلنا ومذهب الصحابي والاستصحاب
لكان اليق بها والله الموفق ثم كان من بعد مالك بن انس محمد بن ادريس
المطلبي الشافعي رضي الله عنه رحل الى العراق من بعد مالك ولقي اصحاب
الامام ابي حنيفة واخذ عنهم ومزج طريقة اهل الحجاز بطريقة اهل العراق
واختص بمذهب وخالف مالكا رحمه الله في كثير من مذهبه وجاء بعدهما احمد بن حنبل
وكان من علية المحدثين وقرأ اصحابه على اصحاب ابي حنيفة مع وفور
بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب اخر ووقف التقليد في الامصار
عند هؤلاء الاربعة ودرس المقلدون لمن سواهم وسد الناس باب الخلاف

وطرقه

وطرقه لما كثر تشعب الاصطلاحات في العلوم ولما عاق عن الوصول الى رتبة
الاجتهاد ولما خشي من اسناد ذلك الى غير اهله ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه
فصرحوا بالعجز والاعواز وردوا الناس الى تقليد هؤلاء كل من اختص به من
المقلدين وحظروا ان يتداول تقليدهم لما فيه من التلاعب ولم يبق الا نقل
مذاهبهم وعمل كل مقلد بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الاصول واتصال سندها
بالرواية لا محصول اليوم للفقه غير هذا ومدعي الاجتهاد لهذا العهد مردود
منكوص على عقبه مهجور تقليده وصار اهل الاسلام اليوم على تقليد هؤلاء الاربعة
فاما ابن حنبل فمقلده قليل واكثرهم بالشام والعراق ونواحيها وهم
اكثر الناس حفظا للسنة ورواية الحديث وميلا بالاستنباط اليه عن القياس
ما امكن وكان لهم ببغداد صولة وكثرة حتى كانوا يتواقعون مع الشيعة
في نواحيها وعظمت الفتنة ببغداد من اجل ذلك ثم انقطع ذلك عند استيلاء
التطر عليها ولم يراجع [illegible] وصارت كثرتهم بالشام واما ابو حنيفة
فمقلده اليوم اهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء النهر وبلاد العجم كلها لما كان
مذهبه اخص بالعراق ودار الاسلام وكان تلميذه صحابة الخلفاء من بني العباس فكثرت تاليفهم
ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في الخلافيات وجاءوا منها بعلم مستظرف
وانظار غريبة وهي بين ايدي الناس وبالمغرب منها شيء قليل نقله اليه القاضي ابن
العربي وابو الوليد الباجي في رحلتهما واما الامام الشافعي رضي الله عنه فمقلدوه
بمصر اكثر مما سواها وقد كان انتشر مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء النهر وقاسموا
الحنفية في الفتوى والتدريس في جميع الامصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم وشحنت
كتب الخلافيات بانواع استدلالاتهم ثم درس ذلك كله بدروس المشرق واقطاره
وكان الامام محمد بن ادريس الشافعي لما نزل على بني عبد الحكم بمصر اخذ عنه جماعة منهم
وكان من تلميذه بها البويطي والمزني وغيرهم وكان بها من المالكية جماعة من بني عبد الحكم
واشهب وابن القاسم وابن المواز وغيرهم ثم الحارث بن مسكين وبنوه ثم القاضي
ابو اسحق بن شعبان واصحابه ثم انقرض فقه اهل السنة والجماعة من مصر بظهور
دولة الرافضة وتداول بها فقه اهل البيت وكاد من سواهم ان يتلاشوا وذهبوا
وارتحل اليها القاضي عبد الوهاب من بغداد اخر المائة الرابعة على ما اعلم من الحاجة
والتقلب في المعاش فتاذن خلفاء العبيديين باكرامه واظهار فضله نعيا على بني
العباس في اطراح مثل هذا الامام والاغتباط به فنفقت سوق المالكية بمصر قليلا
الى ان ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين بن ايوب فذهب
منها فقه اهل البيت وعاد فقه الجماعة الى الظهور بينهم ورجع اليهم فقه الشافعي
واصحابه من اهل العراق والشام فعاد الى احسن ما كان ونفق سوقه واجلب كتاب الرافعي

منها الى الشام ومصر واشتهر فيهم محيي الدين النووي من الحلبة التي ربيت في ظل الدولة
الايوبية بالشام وعز الدين بن عبد السلام ثم ابن الرفعة بمصر وتقي الدين ابن
دقيق العيد ثم تقي الدين السبكي من بعدهما الى ان انتهى ذلك الى شيخ الاسلام
بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقيني فهو كبير الشافعية بها لا بل كبير العلما
من اهل العصر واما مالك فاختص مذهبه باهل المغرب والاندلس وان كان
يوجد في غيرهم الا انهم لم يقلدوا غيره الا في القليل لما ان رحلتهم غالبا كانت
الى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة دار العلم يومئذ ومنها خرج الى العراق ولم
يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الاخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ وامامهم
مالك وشيوخه من قبله وتلميذه من بعده فرجع اليه اهل الاندلس والمغرب وقلدوه دون غيره
ممن لم تصل اليهم طريقته وايضا فالبداوة كانت غالبة على اهل المغرب
والاندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لاهل العراق فكانوا لاهل الحجاز اميل
لمناسبة البداوة ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم ولم ياخذه تنقيح الحضارة
وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب ولما صار مذهب كل امام علما مخصوصا
عند اهل مذهبه ولم يكن لهم سبيل الى الاجتهاد فاحتاجوا الى تنظير المسائل في والقياس صح
الالحاق وتفريقها عند الاشتباه بعد الاستناد الى الاصول المتقررة من مذهب امامهم
وصار ذلك كله يحتاج الى ملكة راسخة يقتدر بها على ذلك النوع من التنظير والتفرقة
واتباع مذهب امامهم فيهما ما استطاعوا وهذه الملكة هي علم الفقه لهذا العهد
واهل المغرب جميعا مقلدون لمالك رضي الله عنه وقد كان تلامذته افترقوا بمصر
والعراق فكان بالعراق منهم القاضي اسمعيل وطبقته مثل ابن خويز منداد
وابن اللبان والقاضي ابو بكر الابهري والقاضي ابو الحسين بن القصار والقاضي عبد الوهاب
ومن بعدهم وكان بمصر ابن القاسم واشهب وابن عبد الحكم والحرث بن مسكين
وطبقتهم ورحل من الاندلس يحيى بن يحيى الليثي ولقي مالكا وروى عنه كتاب
الموطا وكان من جملة اصحابه ورحل بعده عبد الملك بن حبيب فاخذ عن ابن القاسم
وطبقته وبث مذهب مالك بالاندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتبي
من تلامذته كتاب العتبية ورحل من افريقية اسد بن الفرات فكتب عن اصحاب
ابي حنيفة اولا ثم انتقل الى مذهب مالك وكتب عن ابن القسم في سائر ابواب
الفقه وجاء الى القيروان بكتابه وسمى الاسدية نسبة الى اسد بن الفرات
فقراها سحنون على اسد ثم ارتحل الى المشرق ولقي ابن القسم واخذ عنه وعارضه
بمسائل الاسدية فرجع عن كثير منها وكتب سحنون مسائله ودونها
واثبت ما رجع عنه منها وكتب معه ابن القاسم الى اسد ان يمحو من اسديته
ما رجع عنه وان ياخذ بكتاب سحنون فانف من ذلك فترك الناس كتابه واتبعوا

مدونة

مدونة سحنون على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الابواب فكانت تسمى
المدونة والمختلطة وعكف اهل القيروان على هذه المدونة واهل الاندلس
على العتبية والواضحة ثم اختصر ابن ابي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى
بالمختصر ولخصه ايضا ابو سعيد البرادعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى
بالتهذيب واعتمده المشيخة من اهل افريقية واخذوا به وتركوا ما سواه
وكذلك اعتمد اهل الاندلس كتاب العتبية وهجروا الواضحة وما سواها ولم تزل
علما المذهب يتعاهدون هذه الامهات بالشرح والايضاح والجمع فكتب اهل
افريقية على المدونة ما شاء الله ان يكتبوه مثل ابن يونس واللخمي وابن محرز
والتونسي وابن بشير وامثالهم وكتب اهل الاندلس على العتبية ما شاء الله
ان يكتبوه مثل ابن رشد وامثاله وجمع ابن ابي زيد جميع ما في الامهات
من الخلاف والمسايل والاقوال في كتاب النوادر فاشتمل على جميع اقوال المذهب
وفرع الامهات كلها في هذا الكتاب ونقل ابن يونس معظمه في كتابه على المدونة
وزخرت بحار المذهب المالكي في الافقين الى انقراض دولة قرطبة والقيروان
ثم تمسك بهما اهل المغرب بعد ذلك وتميزت للمذهب المالكي ثلاث طرق للقرويين
وكبيرهم سحنون الاخذ عن ابن القاسم وللقرطبيين وكبيرهم ابن حبيب
الاخذ عن مالك ومطرف وابن الماجشون واصبغ وللعراقيين وكبيرهم القاضي
اسمعيل واصحابه وكانت طريقة المصريين تابعة للعراقيين وان القاضي
عبد الوهاب انتقل اليها من بغداد اخر المائة الرابعة واخذ اهلها عنه وكانت
الطريقة المالكية بمصر من لدن الحرث بن مسكين وابن مبشر وابن اللهيب وابن
رشيق وكانت خافية بسبب ظهور الرافضة وفقه اهل البيت واما طريقة العراقيين
فكانت مهجورة عند اهل القيروان والاندلس لبعدها عنهم وخفا مداركها
وقلة اطلاعهم على ماخذهم فيها واكثرهم اهل اجتهاد وان كانوا خاصا لا يرون
التقليد ولا يرضونه طريقا فكذلك تجد اهل المغرب والاندلس لا ياخذون
براي العراقيين فيما لا يجدون فيه رواية عن الامام او احد من اصحابه ثم امتزجت
الطرق بعد ذلك ورحل ابو بكر الطرطوشي من الاندلس في المائة السادسة
ونزل البيت المقدس واوطنه واخذ عنه اهل مصر والاسكندرية ومزجوا طريقة
الاندلسية بطريقتهم المصرية وكان من جملة اصحابه الفقيه سند صاحب الطراز
واصحابه واخذ عنهم جماعة كان منهم بنو عوف واصحابهم واخذ عنهم ابو عمرو
ابن الحاجب وبعده شهاب الدين القرافي واتصل ذلك في تلك الاعصار وكان فقه
الشافعية ايضا قد انقرض بمصر منذ دولة العبيديين اهل البيت فظهر بعدهم
في الفقهاء الذين جددوه الرافعي فقيه خراسان منهم وظهر بالشام محيي الدين النووي

من تلك الحلبة ثم امتزجت طريقة المغاربة من المالكية ايضا بطريقة العراقيين
من لدن الشارمساحي كان بالاسكندرية ظاهرا في الطريقة المغربية والمصرية فنقله
المستنصر العباسي ابو المنصور ابن الظاهر مدرسته ببغداد واستدعاه
لها من خلفاء العبيديين الذين كانوا يومئذ بالقاهرة فاذنوا له في الرحيل
اليها فلما قدم بغداد ولاه تدريس المستنصرية واقام هنالك الى ان استولى
هولاكو على بغداد سنة ست وخمسين من المائة السابعة وخلص من تيار
تلك النكبة وخلا سبيله فعاش هنالك الى ان مات في ايام ابنه احمد ابغا
وتلخصت طرق هولاء المصريين ممتزجة بطرق المغاربة كما ذكرناه في مختصر ابي عمرو
ابن الحاجب يذكر فقه الباب في مسائله المنفرقة ويذكر الاقوال في كل مسئلة
على تعدادها فجا كالبرنامج للمذهب ولما ظهر بالمغرب اخر المائة السابعة
عكف عليه الكثير من طلبة المغرب وخصوصا اهل بجاية لما كان كبير مشيختهم
ابو علي ناصر الدين الزواوي هو الذي جلبه الى المغرب فانه كان قرا على اصحابه
بمصر ونسخ مختصره ذلك وجاء به فانتشر بقطر بجاية في تلميذه ومنهم
انتقل الى سائر امصار المغرب وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون
قرائته ويتدارسونه لما يوثر عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب فيه
وقد شرحه جماعة من شيوخهم كابن عبد السلام وابن رشد وابن هرون
وكلهم من مشيخة اهل تونس وسابق اهل حلبتهم في الاجادة في ذلك ابن عبد السلام
وهم مع ذلك يتعاهدون كتاب التهذيب في دروسهم والله يهدي من يشاء

بتقابله

## واما علم الفرايض

وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة مما تصح باعتبار فروضها
الاصول او مناسختها وذلك اذا هلك احد الورثة وانكسرت سهامه على
فروض ورثته فانه حينئذ يحتاج الى حسبان يصحح الفريضة الاولى حتى يصل
اهل الفروض جميعا في الفريضتين الى فروضهم من غير تجزية وقد تكون هذه
المناسخات اكثر من واحد واثنين وتتعدد لذلك بعدد اكثر وبقدر
ما تتعدد يحتاج الى الحسبان وكذا اذا كانت الفريضة ذات وجهين مثل
ان يقر بعض الورثة بوارث وينكره الاخر فتصحح على الوجهين حينئذ
وتنظر مبلغ السهام ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من اصل
الفريضة وكل ذلك يحتاج الى الحسبان فافردوا هذا الباب من ابواب
الفقه لما اجتمع فيه الى الفقه من الحسبان وكان غالبا فيه وجعلوه فنا مفردا
وللناس فيه تواليف كثيرة اشهرها عند المالكية من متاخري الاندلس كتاب ابن ثابت
ومختصر القاضي ابو القسم الحوفي ثم الجعدي ومن متاخري افريقية ابن المنمر

الطرابلسي

الطرابلسي وامثالهم واما الشافعية والحنفية والحنابلة فلهم فيه تواليف
كثيرة واعمال عظيمة صعبة شاهدة لهم باتساع الباع في الفقه والحساب
وخصوصا ابو المعالي رحمه الله وامثاله من اهل المذهب وهو فن شريف لجمعه
بين المعقول والمنقول والوصول به الى الحقوق في الوراثات عند ما تجهل الحظوظ
وتشكل على القاسمين بوجوه صحيحة يقينية وللعلماء من اهل الامصار بها
عناية ومن المصنفين من يجنح فيها الى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي
يحتاج في استخراج المجهولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والتصرف
في الجذور وامثال ذلك فيملئون بها تواليفهم وهو وان لم يكن متداولا بين الناس
ولا يفيد فيما يتداولونه من وراثاتهم لغرابته وقلة وقوعه فهو يفيد المران
وتحصيل الملكة في المتداول على اكمل الوجوه ويحتج الاكثر من اهل هذا الفن
على فضله بالحديث المنقول عن ابي هريرة ان الفرايض ثلث العلم وانها اول
ما ينسى وفي رواية نصف العلم خرجه ابو نعيم الحافظ واحتج به اهل الفرايض
بناء على ان المراد بالفرايض فروض الوراثة والذي يظهر ان هذا المحمل بعيد
وان المراد بالفرايض انما هي الفروض التكليفية في العبادات والعادات
والمواريث وغيرها وبهذا المعنى يصح فيها النصفية والثلثية واما فروض
الوراثة فهي اقل من ذلك كله بالنسبة الى علوم الشريعة كلها ويعين هذا المراد
ان حمل لفظ الفرايض على هذا الفن المخصوص او تخصيصه بفروض الوراثة
انما هو اصطلاح ناشي للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات ولم يكن صدر
الاسلام يطلق هذا اللفظ الا على عمومه مشتقا من الفرض الذي هو لغة التقدير او القطع
وما كان المراد في اطلاقه الا جميع الفروض كما قلناه وهو حقيقته الشرعية
فلا ينبغي ان يحمل الا على ما كان يحمل في عصرهم فهو الاليق بمرادهم منه والله اعلم

## اصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافيات

اعلم ان اصول الفقه من اعظم العلوم الشرعية واجلها قدرا واكثرها
فائدة وهو النظر في الادلة الشرعية من حيث توخذ منها الاحكام والتكاليف
واصول الادلة الشرعية هي الكتاب والسنة الذي هو القران ثم السنة المبينة له
فعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت الاحكام تتلقى منه بما يوحى اليه من القران
ويبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهي لا يحتاج الى نقل ولا الى نظر وقياس
ومن بعده صلوات الله عليه تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القران بالتواتر
واما السنة فاجمع الصحابة رضوان الله عليهم على وجوب العمل بما يصل
الينا منها قولا او فعلا بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقه
وتعينت دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار

ثم تنزل الاجماع منزلتهما لاجماع الصحابة على النكير على مخالفيهم ولا يكون مثل ذلك
الا عن مستند لان مثلهم لا يتفقون على غير دليل ثابت مع شهادة الادلة
بعصمة الجماعة فصار الاجماع دليلا ثابتا في الشرعيات ثم نظرنا في طرق
استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فاذا هم يقايسون الاشباه
بالاشباه ويناظرون الامثال بالامثال باجماع منهم وتسليم بعضهم لبعض
في ذلك فان كثيرا من الواقعات بعده صلوات الله عليه لم تندرج في النصوص الثابتة
فقايسوها بما ثبت والحقوها بما نص عليه بشروط في ذلك الالحاق تصحح تلك المساواة
بين الشبيهين او المثلين حتى يغلب على الظن ان حكم الله فيهما واحد وصار ذلك
دليلا شرعيا باجماعهم عليه وهو القياس وهو رابع الادلة واتفق جمهور العلما
على ان هذه هي اصول الادلة وان خالف بعضهم في الاجماع والقياس الا انه
شذوذ والحق بعضهم بهذه الادلة الاربعة ادلة اخرى لا حاجة بنا الى ذكرها
لضعف مداركها وشذوذ القول بها فكان من اول مباحث هذا الفن النظر في
كون هذه ادلة فاما الكتاب فدليله المعجزة القاطعة في متنه والتواتر في نقله
فلم يبق فيه مجال للاحتمال واما السنة وما نقل الينا منها فالاجماع على وجوب
العمل بما يصح منها كما قدمناه معتضدا بما كان عليه العمل في حياته صلى الله عليه ٣
وسلم من انفاذ الكتب والرسل الى النواحي بالاحكام والشرايع امرا وناهيا
واما الاجماع فلاتفاقهم رضوان الله عليهم على انكار مخالفتهم مع العصمة
الثابتة للامة واما القياس فباجماع الصحابة رضوان الله عليهم عليه كما قدمناه
هذه اصول الادلة ثم ان المنقول من السنة يحتاج الى تصحيح الخبر بالنظر في
طرق النقل وعدالة الناقلين لتتميز الحالة المحصلة للظن بصدقه
التي هي مناط وجوب العمل بالخبر وهذه ايضا من قواعد الفن ويلحق بذلك عند
التعارض بين الخبرين وطلب المتقدم منهما معرفة الناسخ والمنسوخ وهي من
فصوله ايضا وابوابه ثم بعد ذلك يتعين النظر في دلالة الالفاظ وذلك
ان استفادة المعاني على الاطلاق من تراكيب الكلام على الاطلاق يتوقف
على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين اللسانية في
ذلك هي علوم النحو والتصريف والبيان وحين كان اللسان ملكة لاهله
لم تكن هذه علوما ولا قوانين ولم يكن الفقيه حينئذ يحتاج اليها لانها
جبلة وملكة فلما فسدت الملكة في لسان العرب قيدها الجهابذة المتجردون
لذلك بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علوما يحتاج اليها
الفقيه في معرفة احكام الله ثم ان هنا استفادة اخرى خاصة من تراكيب
الكلام وهي استفادة الاحكام الشرعية بين المعاني من ادلتها الخاصة من تراكيب

الكلام

الكلام وهو الفقه ولا يكفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الاطلاق بل لا بد من
معرفة امور اخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة وبها تستفاد الاحكام
بحسب ما اصل اهل الشرع وجهابذة العلم من ذلك وجعلوه قوانين لهذه
الاستفادة مثل ان اللغة لا تثبت قياسا والمشترك لا يراد به معنياه معا
والواو لا تقتضي الترتيب والعام اذا اخرجت افراد الخاص منه هل يبقى حجة
فيما عداها والامر للوجوب او الندب وللفور او التراخي والنهي يقتضي الفساد
او الصحة والمطلق هل يحمل على المقيد والنص على العلة كاف في التعدي اولا
وامثال ذلك فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية
ثم ان النظر في القياس من اعظم قواعد هذا الفن لان فيه تحقيق الاصل والفرع
فيما يقاس ويماثل من الاحكام وتنقيح الوصف الذي يغلب على الظن ان الحكم
علق به في الاصل من بين اوصاف ذلك المحل ووجود ذلك الوصف في الفرع
من غير معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه الى مسايل اخرى من توابع ذلك كلها قواعد
لهذا الفن واعلم ان هذا الفن من الفنون المستحدثة في الملة وكان السلف
في غنية عنه بما ان استفادة المعاني من الالفاظ لا يحتاج فيها الى ازيد مما عندهم
من الملكة اللسانية واما القوانين التي يحتاج اليها في استفادة الاحكام خصوصا
فعنهم اخذ معظمها واما الاسانيد فلم يكونوا يحتاجون الى النظر فيها لقرب العصر
وممارسة النقلة وخبرتهم بهم فلما انقرض السلف وذهب الصدر الاول وانقلبت
العلوم كلها صناعية كما قررناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون الى تحصيل
هذه القوانين والقواعد لاستفادة الاحكام من الادلة فكتبوها فنا قائما براسه
سموه اصول الفقه وكان اول من كتب فيه الشافعي رضي الله عنه املا فيه رسالته المشهورة
تكلم فيها في الاوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة
من القياس ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققوا تلك القواعد واوسعوا القول
فيها وكتب المتكلمون ايضا كذلك الا ان كتابة الفقهاء فيها امس بالفقه واليق
بالفروع لكثرة الامثلة منها والشواهد وبناء المسايل فيها على النكت الفقهية
والمتكلمون يجردون صور تلك المسايل عن الفقه ويميلون الى الاستدلال
العقلي ما امكن لانه غالب فنونهم ومقتضى طريقتهم فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد
الطولى من الغوص على النكت الفقهية والتقاط هذه القوانين من مسايل الفقه
ما امكن وجاء ابو زيد الدبوسي من ايمتهم فكتب في القياس باوسع من جميعهم وتمم
الابحاث والشروط التي يحتاج اليها فيه فكملت صناعة اصول الفقه بكماله وتهذبت
مسايله وتمهدت قواعده وعني الناس بطريقة المتكلمين فيه وكان من احسن
ما كتب فيه المتكلمون كتاب البرهان لامام الحرمين والمستصفى للغزالي وهما من

الاشعرية وكتاب العهد لعبد الجبار وشرحه المعتمد لابي الحسين البصري وهما من المعتزلة
وكانت الاربعة قواعد هذا الفن واركانه ثم لخص هذه الكتب الاربعة فحلان من
المتكلمين المتاخرين وهما الامام فخر الدين بن الخطيب في كتاب المحصول وسيف الدين
الامدي في كتاب الاحكام واختلفت طرايقهما في الفن بين التحقيق والحجاج فابن
الخطيب اميل الى الاستكثار من الادلة والاحتجاج والامدي مولع بتحقيق
المذاهب وتفريع المسايل فاما كتاب المحصول فاختصره تلميذ الامام مثل
سراج الدين الارموي في كتاب التحصيل وتاج الدين الارموي في كتاب الحاصل
واقتطف شهاب الدين القرافي منها مقدمات وقواعد في كتاب صغير سماه
التنقيحات وكذلك فعل البيضاوي في كتاب المنهاج وعني المبتديون بهذين
الكتابين وشرحهما كثير من الناس واما كتاب الاحكام للامدي وهو اكثر تحقيقا
في المسايل فلخصه ابو عمرو بن الحاجب في كتابه المعروف بالمختصر الكبير ثم اختصره في
كتاب اخر تداوله طلبة العلم وعني اهل المشرق والمغرب بمطالعته وشرحه
وحصلت زبدة طريقة المتكلمين في هذا الفن في هذه المختصرات واما طريقة الحنفية
فكتبوا فيها كثيرا وكان من احسن كتابة المتقدمين فيها تواليف ابي زيد الدبوسي
واحسن تواليف المتاخرين تواليف سيف الاسلام البزدوي من ايمتهم وهو
مستوعب وجا ابن الساعاتي من فقها الحنفية فجمع بين كتاب الاحكام
وكتاب البزدوي في الطريقتين وسمى كتابه بالبديع فجا من احسن الاوضاع
وابدعها وايمة العلما لهذا العهد يتداولونه قراة وبحثا وولع كثير من علما العجم
بشرحه والحال على ذلك لهذا العهد هذه حقيقة هذا الفن وتعيين موضوعاته
وتعديد تواليفه المشهورة لهذا العهد والله ينفعنا بالعلم ويجعلنا من اهله بمنه

## واما الخلافيات

فاعلم ان هذا الفقه المستنبط من الادلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين
باختلاف مداركهم وانظارهم خلافا لا بد من وقوعه لما قدمناه واتسع ذلك
في الملة اتساعا عظيما وكان للمقلدين ان يقلدوا من شاوا منهم ثم لما انتهى
ذلك الى الايمة الاربعة من علما الامصار وكانوا بمكان من حسن الظن بهم اقتصر
الناس على تقليدهم ومنع من تقليد سواهم لذهاب الاجتهاد بصعوبته وتشعب
العلوم التي هي مواده باتصال الزمان وافتقاد من يقوم على سوى هذه المذاهب
الاربعة فاقيمت هذه المذاهب الاربعة اصولا واجري الخلاف بين المتمسكين
بها والاخذين باحكامها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية والاصول الفقهية
وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب امامه تجري على اصول صحيحة
وطرايق قويمة ويحتج بها كل على صحة مذهبه الذي قلده وتمسك به واجريت في

مسايل

مسايل الشريعة كلها وفي كل باب من ابواب الفقه فتارة يكون الخلاف بين الشافعي
ومالك وابو حنيفة يوافق احدهما وتارة بين مالك وابي حنيفة والشافعي يوافق
احدهما وتارة بين الشافعي وابي حنيفة ومالك يوافق احدهما وكان في هذه المناظرات
بيان ماخذ هولا الايمة ومثارات اختلافهم ومواقع اجتهادهم وكان هذا الصنف
من العلم يسمى بالخلافيات ولا بد لصاحبه من معرفة القواعد التي يتوصل بها الى استنباط
الاحكام كما يحتاج اليها المجتهد الا ان المجتهد يحتاج اليها للاستنباط وصاحب
الخلافيات يحتاج اليها لحفظ تلك المسايل المستنبطة من ان يهدمها المخالف بادلته
وهو لعمري علم جليل الفايدة في معرفة ماخذ الايمة وادلتهم ومران المطالعين له على
الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه وتواليف الحنفية فيه والشافعية اكثر
من تواليف المالكية لان القياس عند الحنفية اصل للكثير من فروع مذهبهم
كما عرفت فهم لذلك اهل النظر والبحث واما المالكية فالاثر اكثر
معتمدهم وليسوا باهل نظر وايضا فاكثرهم اهل المغرب وهم بادية غفل من الصنايع
الا في الاقل وللغزالي فيه كتاب الماخذ ولابي بكر بن العربي من المالكية كتاب التلخيص
جلبه من المشرق ولابي زيد الدبوسي كتاب التعليقة ولابن القصار من شيوخ
المالكية عيون الادلة وقد جمع ابن الساعاتي في مختصره في اصول الفقه جميع
ما ينبني عليها من الفقه الخلافي مدرجا في كل مسيلة منه ما ينبني عليها من الخلافيات

## واما الجدل

وهو معرفة اداب المناظرة التي تجري بين اهل المذاهب الفقهية وغيرهم
فانه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا وكل واحد من المناظرين في
الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون
خطا فاحتاج الايمة ان يضعوا ادابا واحكاما يقف المتناظران عند حدودها
في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب وحيث يسوغ له ان يكون
مستدلا وكيف يكون مخصوما منقطعا ومحل اعتراضه او معارضته واين يجب
عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه انه معرفة بالقواعد من
الحدود والاداب في الاستدلال التي يتوصل بها الى حفظ راي او هدمه كان
ذلك الراي من الفقه او غيره وهي طريقتان طريقة البزدوي وهي خاصة بالادلة
الشرعية من النص والاجماع والاستدلال وطريقة العميدي وهي عامة في كل دليل
يستدل به من اي علم كان واكثره استدلال وهو من المناحي الحسنة والمغالطات
فيه في نفس الامر كثيرة واذا اعتبر بالنظر المنطقي كان في الغالب اشبه بالقياس
المغالطي والسوفسطاي الا ان صور الادلة والاقيسة فيه محفوظة مراعاة
يتحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغي وهذا العميدي هو اول من كتب فيها

وقُسبت الطريقة اليه ووضع كتابه المسمى بالارشاد مختصرا وتبعه من بعده من المتاخرين كالنسفي وغيره جاوا على اثره وسلكوا مسلكه وكثرت في الطريقة التواليف وهي لهذا العهد مهجورة لنقص العلم والتعليم في الامصار الاسلامية وهي مع ذلك كالية وليست ضرورية والله غالب على امره

## علم الكلام

وهو علم يتضمن الحجاج عن العقايد الايمانية بالادلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة وسر هذه العقايد الايمانية هو التوحيد فلنقدم هنا لطيفة في برهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على اقرب الطرق والماخذ ثم نرجع الى تحقيق علم الكلام وفيما ينظر ونشير الى سبب حدوثه في الملة وما دعا الى وضعه فنقول اعلم ان الحوادث في عالم الكاينات سوا كانت من الذوات او الافعال البشرية او الحيوانية فلا بد لها من اسباب بهذا المعنى متقدمة عليها بها يقع في مستقر العادة وعنها يتم كونه وكل واحد من تلك الاسباب حادث ايضا فلا بد له من اسباب اخرى ولا تزال تلك الاسباب مترقية حتى تنتهي الى مسبب الاسباب وموجدها وخالقها لا اله الا هو سبحانه وتلك الاسباب في ارتقايها تتضاعف فتنفسح طولا وعرضا ويحار العقل في ادراكها وتعددها فاذن لا يحصرها الا العلم المحيط سيما الافعال البشرية والحيوانية فان من جملة اسبابها في الشاهد القصود والارادات اذ لا يتم كون الفعل الا بارادته والقصد اليه والقصود والارادات امور نفسانية ناشية في الغالب عن تصورات سابقة يتلو بعضها بعضا وتلك التصورات هي اسباب قصد الفعل وقد تكون اسباب تلك التصورات تصورات اخرى وكل ما يقع في النفس من التصورات مجهول سببه اذ لا يطلع احد على مبادي الامور النفسانية ولا على ترتيبها انما هي اشيا يلقيها الله في الفكر يتبع بعضها بعضا والانسان عاجز عن معرفة مباديها وغاياتها وانما يحيط علما في الغالب بالاسباب التي هي طبيعية ظاهرة وتقع في مداركنا على نظام وترتيب لان الطبيعة محصورة للنفس وتحت طورها واما التصورات فنطاقها اوسع من النفس لانها للعقل الذي هو فوق طور النفس فلا تكاد النفس تدرك الكثير منها فضلا عن الاحاطة وتامل من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر الى الاسباب والوقوف معها فانه واد يهيم فيه الفكر ولا يحلو منه بطايل ولا يظفر بحقيقة قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وربما انقطع في وقوفه عن [redacted] الارتقا الى فوقه فزلت قدمه واصبح في الضالين الهالكين نعوذ بالله من الحرمان والخسران



المبين ولا تحسبن ان هذا الوقوف او الرجوع في قدرتك او اختيارك بل هو لون يحصل للنفس وصبغة تستحكم من الخوض في الاسباب على نسبة لا نعلمها اذ لو علمناها لتحرزنا منها فلنتحرز من ذلك بقطع النظر عنها جملة وايضا فوجه تاثير هذه الاسباب في الكثير من مسبباتها مجهول لانها انما يوقف عليها بالعادة وقضية الاقتران الشاهد بالاستناد في الظاهر وحقيقة التاثير وكيفيته مجهولة وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلذلك امرنا بقطع النظر عنها والغايها جملة والتوجه الى مسبب الاسباب كلها وفاعلها وموجدها لترسخ صبغة التوحيد في النفس على ما علمنا الشارع الذي هو اعرف بمصالح ديننا وطرق سعادتنا لاطلاعه على ما ورا الحس قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد ان لا اله الا الله دخل الجنة فان وقف عند تلك الاسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر وان سبح في بحر النظر والبحث عنها وعن اسبابها وتاثيراتها واحدا بعد واحد فانا الضامن له ان لا يعود الا بالخيبة فلذلك نهانا الشارع عن النظر الى الاسباب وامرنا بالتوحيد المطلق قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من انه مقتدر على الاحاطة بالكاينات واسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفه رايه في ذلك واعلم ان الوجود عند كل مدرك في بادي رايه منحصر في مداركه لا يعدوها والامر في نفسه بخلاف ذلك والحق من ورايه الا ترى الاصم كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الاربع والمعقولات ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات وكذلك الاعمى ايضا يسقط من الوجود عنده صنف المرئيات ولولا ما يردهم الى ذلك تقليد الابا والمشيخة من اهل عصرهم والكافة لما اقروا به لكنهم يتبعون الكافة في اثبات هذه الاصناف لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة ادراكهم ولو سيل الحيوان الاعجم ونطق لوجدناه منكرا صنف المعقولات وساقطة لديه بالكلية واذا علمت ذلك فلعل هناك ضربا من الادراك غير مدركاتنا لان ادراكاتنا مخلوقة محدثة وخلق الله اكبر من خلق الناس والحصر مجهول والوجود اوسع نطاقا من ذلك والله من ورايهم محيط فاتهم ادراكك ومدركاتك في الحصر واتبع ما امرك الشارع به في اعتقادك وعملك فهو احرص على سعادتك واعلم بما ينفعك لانه من طور فوق ادراكك ومن نطاق اوسع من نطاق عقلك وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح واحكامه يقينية لا كذب فيها غير انك لا تطمع ان تزن به امور التوحيد والاخرة وحقيقة النبوة وحقايق الصفات الالهية وكل ما ورا طوره

فان ذلك طمع في محال ومثال ذلك مثال رجل راي الميزان الذي يوزن به الذهب
فطمع ان يوزن به الجبال وهذا لا يدل على ان الميزان في احكامه غير صادق
لكن للعقل حد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له ان يحيط بالله
وبصفاته فانه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه وتفطن من هذا الغلط
من يقدم العقل على السمع في امثال هذه القضايا وتصور فهمه واضمحلال
رايه فقد تبين لك الحق من ذلك واذا تبين ذلك فلعل الاسباب اذا تجاوزت
في الارتقاء نطاق ادراكنا ووجودنا خرجت عن ان تكون مدركة فيضل العقل
في بيداء الاوهام ويحار وينقطع فاذا التوحيد هو العجز عن ادراك الاسباب
وكيفيات تاثيراتها وتفويض ذلك الى خالقها المحيط بها اذ لا فاعل غيره وكلها
ترتقي اليه وترجع الى قدرته وعلمنا به انما هو من حيث صدورنا عنه لا غير
وهذا هو معنى ما نقل عن بعض الصديقين العجز عن الادراك ادراك ثم ان
المعتبر في هذا التوحيد ليس هو الايمان فقط الذي هو تصديق حكمي فان ذلك
من حديث النفس وانما الكمال فيه حصول صفة منه تتكيف بها النفس
كما ان المطلوب من الاعمال والعبادات ايضا حصول ملكة الطاعة والانقياد
وتفريغ القلب من شواغل ما سوى المعبود حتى ينقلب المريد السالك ربانيا
والفرق بين الحال والعلم في العقائد فرق ما بين القول والاتصاف
وشرحه ان كثيرا من الناس يعلم ان رحمة اليتيم والمسكين قربة الى الله
مندوب اليها ويقول بذلك ويعترف به ويذكر ماخذه من الشريعة وهو لو
راي يتيما او مسكينا من ابناء المستضعفين لفر عنه واستنكف ان يباشره
فضلا عن التمسح عليه للرحمة وما بعد ذلك من مقامات العطف والحنو والصدقة
فهذا انما يحصل له من رحمة اليتيم مقام الحال و الاتصاف ومن الناس
من يحصل له الاتصاف بالرحمة وحصول ملكتها فمتى راي يتيما او مسكينا
بادر اليه ومسح عليه والتمس الثواب في الشفقة عليه لا يكاد يصبر عن ذلك
ولو دفع عنه ثم يتصدق عليه بما حضره من ذات يده وكذا علمك بالتوحيد
مع اتصافك به والعلم حاصل عن الاتصاف ضرورة وهو اوثق مبنى
من العلم الحاصل قبل الاتصاف وليس الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم
حتى يقع العمل ويتكرر مرارا غير منحصرة فترسخ الملكة ويحصل الاتصاف
والتحقيق ويجيء العلم الثاني النافع في الاخرة فان العلم الاول المجرد عن
الاتصاف قليل الجدوى والنفع وهذا علم اكثر النظار والمطلوب
انما هو العلم الحالي الناشي عن العبادة واعلم ان الكمال عند الشارع
في كل ما كلف به انما هو في هذا فما طلب اعتقاده فالكمال فيه العلم الثاني

العلم ولم يحصل له مقام
مع مقام العلم والاعتراف
بان رحمة المسكين قربة الى الله مقام
اعلى من الاول وهو صح

الحاصل



الحاصل عن الاتصاف وما طلب عمله من العبادات فالكمال فيها حصول الاتصاف
والتحقق بها ثم ان الاقبال على العبادات والمواظبة عليها هو المحصل لهذه الثمرة
الشريفة قال صلى الله عليه وسلم في راس العبادات جعلت قرة عيني في الصلاة فان
الصلاة صارت له صفة وحالا يجد فيها منتهى لذته وقرة عينه واين هذه من صلاة
الناس ومن لهم بها فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اللهم
وفقنا واهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين امين فقد تبين لك من جميع ما قررناه ان المطلوب في
التكاليف كلها حصول ملكة راسخة في النفس ينشا عنها علم اضطراري للنفس هو
التوحيد وهو العقيدة الايمانية وهو الذي تحصل به السعادة وان ذلك
سواء في التكاليف القلبية او البدنية وتتفهم منه ان الايمان الذي هو اصل
التكاليف كلها وينبوعها هو بهذه المثابة وانه ذو مراتب اولها التصديق القلبي
الموافق للسان واعلاها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه من العمل
مستولية على القلب فيستتبع الجوارح وتندرج في طاعتها جميع التصرفات حتى
تنخرط الافعال كلها في طاعة ذلك التصديق الايماني وهذا ارفع مراتب الايمان وهو
الايمان الكامل الذي لا يقارف المومن معه كبيرة ولا صغيرة اذ حصول الملكة ورسوخها
مانع من الانحراف عن مناهجها طرفة عين قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني
حين يزني وهو مومن وفي حديث هرقل لما سال ابا سفيان بن حرب عن النبي صلى
الله عليه وسلم واحواله فقال في اصحابه هل يرتد احد منهم سخطة لدينه بعد ان
يدخل فيه قال لا قال وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب ومعناه ان
ملكة الايمان اذا استقرت عسر على النفس مخالفتها شان الملكات اذا استقرت
فانها تحصل بمثابة الجبلة والفطرة وهذه هي المرتبة العالية من الايمان وهي في المرتبة
الثانية من العصمة لان العصمة واجبة للانبياء عليهم السلام وجوبا سابقا وهذه
حاصلة للمومنين حصولا تابعا لاعمالهم وتصديقهم فبهذه الملكة ورسوخها
يقع التفاوت في الايمان الذي يتلى عليك من اقاويل السلف وفي تراجم
البخاري في باب الايمان كثير منه مثل ان الايمان قول وعمل وانه يزيد وينقص
وان الصلاة والصيام من الايمان وان تطوع رمضان من الايمان والحياء من
الايمان والمراد بهذا كله الايمان الكامل الذي اشرنا اليه والى حصول ملكته
وهو فعلي واما التصديق الذي هو اول مراتبه [redacted] فلا تفاوت فيه فمن اعتبر اوائل
الاسماء وحمله على التصديق منع من التفاوت كما قال ائمة المتكلمين ومن اعتبر اواخر
الاسماء وحمله على هذه الملكة التي هي الايمان الكامل ظهر له التفاوت وليس
ذلك بقادح في اتحاد حقيقته الاولى التي هي التصديق اذ التصديق موجود

في جميع رتبه لانه اقل ما ينطلق عليه اسم الايمان وهو المخلص من عهدة الكفر والفيصل
بين الكافر والمؤمن فلا يجزي اقل منه وهو في نفسه حقيقة واحدة لا تتفاوت وانما
التفاوت في الحلا الحاصلة عن الاعمال كما قلناه فافهمه واعلم ان الشارع وصف
لنا هذا الايمان الذي في الرتبة الاولى الذي هو تصديق وعين امور المخصوصة
كلفنا التصديق بها بقلوبنا واعتقادها في انفسنا مع الاقرار بها بالسنتنا
وهي العقايد التي تقررت في الدين قال صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الايمان
فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره
وهذه هي العقايد الايمانية المقررة في علم الكلام ولنشر اليها مجملة ليتبين
لك حقيقة هذا الفن وكيفية حدوثه فنقول اعلم ان الشارع لما امرنا بالايمان
بهذا الخالق الذي رد الافعال كلها اليه وافرده بها كما قدمناه وعرفنا ان في
هذا الايمان نجاتنا اذا حضرنا عند الموت لم يعرفنا بكنه حقيقة هذا الخالق المعبود
اذ ذلك متعذر على ادراكنا ومن فوق طورنا فكلفنا اولا اعتقاد تنزيهه في ذاته
عن مشابهة المخلوقين والا لما صح انه خالق لهم لعدم الفارق على ذلك التقدير
ثم تنزيهه عن صفات النقص والا لشابه المخلوقين ثم توحيده بالاتحاد والا لم
يتم الخلق للتمانع ثم اعتقاد انه عالم قادر فبذلك تتم الافعال شاهدا لقضيته
لكمال الايجاد والخلق ومريد والا لم يتخصص شي من المخلوقات ومقدر لكل كاين
والا فالارادة حادثة وانه يعيدنا بعد الموت تكميلا لعنايته بالايجاد الاول ولو
كان للفنا الصرف كان عبثا فهو للبقا السرمدي بعد الموت ثم اعتقاد بعثة
الرسل للنجاة من شقا هذا المعاد لاختلاف احواله بالشقا والسعادة وعدم معرفتنا
بذلك وتمام لطفه بنا في الاتيان بذلك وبيان الطريقين وان الجنة للنعيم وجهنم
للعذاب فهذه امهات العقايد الايمانية معللة بادلتها العقلية وادلتها
من الكتاب والسنة كثير وعن تلك الادلة اخذها السلف وارشدنا اليها العلما وحققها
الايمة الا انه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقايد اكثر مثارها من الآي
المتشابهة فدعا ذلك الى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل زيادة الى
النقل فحدث بذلك علم الكلام ولنبين لك تفصيل هذا المجمل وذلك ان
القران ورد فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تاويل
في آي كثيرة وهي سلوب كلها وصريحة في بابها فوجب الايمان بها ووقع
في كلام الشارع صلوات الله عليه وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها
على ظاهرها ثم وردت في القران آي اخر قليلة توهم التشبيه مرة في
الذات واخرى في الصفات فاما السلف فغلبوا ادلة التنزيه لكثرتها
ووضوح دلالتها وعلموا استحالة التشبيه وقضوا بان الايات

في



في كلام الله فامنوا بها ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تاويل وهذا معنى قول
الكثير منهم اقروها كما جاءت اي امنوا بانها من عند الله ولا تتعرضوا لتاويلها
ولا تفسيرها لجواز ان تكون ابتلا فيجب الوقف والاذعان له وشذ لعصرهم مبتدعة
اتبعوا ما تشابه من الايات [redacted] ففريق شبهوا في الذات
باعتقاد اليد والقدم والوجه عملا بظواهر وردت بذلك فوقعوا في التجسيم
الصريح ومخالفة آي التنزيه لان معقولية الجسم تقتضي النقص والافتقار
وتغليب آيات السلوب في التنزيه المطلق التي هي اكثر موارد واوضح دلالة
اولى من التعلق بظواهر هذه التي لنا غنية عنها وجمع بين الدليلين بتاويلها
ثم يفرون من شناعة ذلك بقولهم جسم لا كالاجسام وليس ذلك بدافع عنهم
لانه قول متناقض وجمع بين نفي واثبات ان كانا بالمعقولية واحدة من
الجسم وان خالفا بينهما ونفيا المعقولية المتعارفة فقد وافقونا في
التنزيه ولم يبق الا جعلهم لفظ الجسم اسما من اسمائه ويتوقف مثله على الاذن
وفريق منهم ذهبوا الى التشبيه في الصفات كاثبات الجهة والاستواء والنزول
والصوت والحرف وامثال ذلك وآل قولهم الى التجسيم فنزعوا مثل الاولين
الى قولهم صوت لا كالاصوات جهة لا كالجهات نزول لا كالنزول يعنون من
الاجسام واندفع ذلك بما دفع به الاول ولم يبق في هذه الظواهر الا اعتقادات
السلف ومذاهبهم والايمان بها كما هي لئلا يكر النفي على معانيها بنفيها مع انها
صحيحة ثابتة من القران ولهذا تنظر ما تراه في عقيدة الرسالة لابن ابي زيد
وكتاب المختصر له وفي كتب الحافظ ابن عبد البر وغيرهم فانهم يحومون على هذا
المعنى ولا تغمض عينك عن القراين الدالة على ذلك في غضون كلامهم ثم لما
كثرت العلوم والصنائع وولع الناس بالتدوين والبحث في ساير الانحاء والف
المتكلمون في التنزيه حدثت بدعة المعتزلة في تعميم هذا التنزيه في آي السلوب
فقضوا بنفي صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والحياة زايدة
على احكامها لما يلزم على ذلك من تعدد القديم بزعمهم وهو مردود بان الصفات
[redacted] ليست نفس الذات ولا غيرها وقضوا بنفي صفة الارادة فلزمهم
نفي القدر لان معناه سبق الارادة للكائنات وقضوا بنفي السمع والبصر
لكونهما من عوارض الاجسام وهو مردود بعدم اشتراط البنية في مدلول هذا
اللفظ وانما هو ادراك المسموع والمبصر وقضوا بنفي الكلام لشبه ما في
السمع والبصر ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس فقضوا بان القران
مخلوق بدعة صرح السلف بخلافها وعظم ضرر هذه البدعة ولقنها بعض الخلفا
عن ايمتهم فحمل عليها الناس وخالفهم ايمة السلف فاستباح بخلافهم

انتشار كثير منهم وماهم وكان ذلك سببا لانتهاض اهل السنة بالادلة العقلية على هذه العقائد دفعا في صدور هذه البدع وقام بذلك الشيخ ابو الحسن الاشعري امام المتكلمين فتوسط بين الطرق ونفى التشبيه واثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف وشهدت له الادلة المخصصة لعمومه فاثبت الصفات الاربع المعنوية والسمع والبصر والكلام القائم بالنفس بطريق العقل والنقل والرد على المبتدعة في ذلك كله وتكلم معهم فيما مهدوه لهذه البدع من القول بالصلاح والاصلح والتحسين والتقبيح وكمل العقائد في البعثة واحوال المعاد والجنة والنار والثواب والعقاب والحق بذلك الكلام في الامامة لما ظهر حينئذ من بدعة الامامية في قولهم انها من عقائد الايمان وانه يجب على النبي تعيينها والخروج عن العهدة في ذلك لمن هي له وكذلك على الامة وقصارى الامر في الامامة انها قضية مصلحية اجماعية ولا تلحق بالعقائد فلذلك الحقوها بمسائل هذا الفن وسموا مجموعه علم الكلام اما لما فيه من المناظرة على البدع وهي كلام صرف وليست براجعة الى عمل واما لان سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في اثبات الكلام النفسي وكثر اتباع الشيخ ابي الحسن الاشعري واقتفى طريقته من بعده تلميذه كابن مجاهد وغيره واخذ عنهم القاضي ابو بكر الباقلاني فتصدر للامامة في طريقتهم وهذبها ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الادلة والانظار في ذلك مثل اثبات الجوهر الفرد والخلاء وان العرض لا يقوم بالعرض وانه لا يبقى زمنين وامثال ذلك مما تتوقف عليه ادلتهم وجعل هذه القواعد تبعا للعقائد الايمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الادلة عليها وان بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول فكملت هذه الطريقة وجاءت من احسن الفنون النظرية والعلوم الدينية الا ان صور الادلة فيها بعض الاحيان على غير الوجه الصناعي لسذاجة القوم ولان صناعة المنطق التي تسبر بها الادلة وتعتبر بها الاقيسة لم تكن حينئذ ظاهرة في الملة ولو ظهر منها بعض الشيء لم ياخذ بها المتكلمون لملابستها للعلوم الفلسفية المباينة لعقائد الشرع بالجملة فكانت عندهم مهجورة لذلك ثم جاء بعد القاضي ابي بكر من ائمة الاشعرية امام الحرمين ابو المعالي فاملى في الطريقة كتاب الشامل واوسع القول فيه ثم لخصه في كتاب الارشاد واتخذه الناس اماما لعقائدهم ثم انتشرت من بعد ذلك علوم المنطق في الملة وقراه الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بانه قانون ومعيار للادلة فقط يسبر به الادلة منها كما يسبر من سواها ثم نظروا في تلك القواعد والمقدمات في فن الكلام للاقدمين فخالفوا الكثير منها بالبراهين التي ادتهم الى ذلك وربما ان كثيرا منها مقتبس من

كلام

كلام الفلاسفة في الطبيعيات والالهيات فلما سبروها بمعيار المنطق ردهم الى ذلك فيها ولم يعتقدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما صار اليه القاضي فصارت هذه الطريقة في مصطلحهم مباينة للطريقة الاولى وتسمى طريقة المتاخرين وربما ادخلوا فيها الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد الايمانية وجعلوهم من خصوم العقائد لتناسب الكثير من مذاهب المبتدعة ومذاهبهم واول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله وتبعه الامام ابن الخطيب وجماعة قفوا اثرهم واعتمدوا تقليدهم ثم توغل المتاخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة والتبس عليهم شان الموضوع في العلمين فحسبوه فيهما واحدا من اشتباه المسائل فيهما واعلم ان المتكلمين لما كانوا يستدلون في اكثر احوالهم بالكائنات واحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا والجسم الطبيعي الذي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات هو بعض من هذه الكائنات الا ان نظره فيها مخالف لنظر المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل وكذا نظر الفيلسوف في الالهيات انما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته ونظر المتكلم في الموجود من حيث يدل على الموجد وبالجملة فموضوع علم الكلام عند اهله انما هو العقائد الايمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن ان يستدل عليها بالادلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبه عن تلك العقائد واذا تاملت حال الفن في حدوثه وكيف تدرج كلام الناس فيه صدرا بعد صدر وكلهم يفرض العقائد صحيحة ويستنهض الحجج والادلة علمت حينئذ صحة ما قررناه لك في موضوع الفن وانه لا يعدوه ولقد اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتاخرين والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز احد الفنين من الاخر ولا يحصل طالبه عليه من كتبهم كما فعله البيضاوي في الطوالع ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع تآليفهم الا ان هذه الطريقة قد يعنى بها بعض طلبة العلم للاطلاع على المذاهب والاغراق في معرفة الحجاج لوفور ذلك فيها واما محاذاة طريقة السلف بعقائد علم الكلام فانما هو الطريقة القديمة للمتكلمين واصلها كتاب الارشاد وما حذا حذوه ومن اراد ادخال الرد على الفلاسفة في عقائده فعليه بكتب الغزالي والامام ابن الخطيب فانها وان وقع فيها مخالفة للاصطلاح القديم فليس فيها من الاختلاط في المسائل والالتباس في الموضوع ما في طريقة هؤلاء المتاخرين من بعدهم وعلى الجملة فينبغي ان يعلم ان هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم اذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا والائمة من اهل السنة كفونا شانهم فيما دونوا وكتبوا والادلة العقلية انما احتيج

اليها لما دافعوا ونصروا واما الان فلم يبق منها الا كلام ينزه الباري عن الكثير من ايهاماته
والطاماته ولقد سال الجنيد عن قوم مر بهم من المتكلمين يتغيصون فيه فقال ما هولاء
فقيل قوم ينزهون الله بالادلة عن صفات الحدوث وسمات النقص فقال نفي
العيب حيث يستحيل العيب عيب لكن فايدته في احاد الناس وطلبة العلم
فايدة معتبرة اذا لحسن نجاح السنة الجهل بالحجاج النظرية عن عقايدها وايد [illegible]

## فصل في كشف الغطا عن المتشابه من الكتاب والسنة وما حدث لاجل ذلك من طوايف السنية والمبتدعة في الاعتقادات

اعلم ان الله سبحانه بعث الينا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم يدعونا الى النجاة
والفوز بالنعيم وانزل عليه كتابه الكريم باللسان العربي المبين يخاطبنا فيه بالتكاليف
المفضية بنا الى ذلك وكان في خلال هذا الخطاب ومن ضروراته ذكر صفاته
سبحانه واسمايه ليعرفنا بذاته وذكر الروح المتعلقة بنا وذكر الوحي والملايكة
الوسايط بينه وبين رسله الينا وذكر لنا يوم البعث وانذاراته ولم يعين
لنا الوقت في شي منها وثبت في هذا القران الكريم حروف من الهجا مقطعة
في اوايل بعض سوره لا سبيل لنا الى فهم المراد بها وسمى هذه الانواع كلها من الكتاب
متشابها وذم اتباعها فقال تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات علي صح
هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه
منه ابتغا الفتنة وابتغا تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم
يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب وحمل العلما من سلف
الصحابة والتابعين هذه الاية على ان المحكمات هي المبينات الثابتة الاحكام
ولذلك قال الفقها في اصطلاحهم المحكم المتضح المعنى واما المتشابهات
فلهم فيها عبارات فقيل هي التي تفتقر الى نظر وتفسير يصحح معناها
لتعارضها مع اية اخرى او مع العقل فتخفى دلالتها وتشتبه وعلى هذا قال
ابن عباس المتشابه يومن به ولا يعمل به وقال مجاهد وعكرمة كل ما سوى
ايات الاحكام والقصص متشابه وعليه القاضي ابو بكر وامام الحرمين وقال
الثوري والشعبي وجماعة من علما السلف المتشابه ما لم يكن سبيل الى علمه
كشروط الساعة واوقات الانذارات وحروف الهجا في اوايل السور وقوله
في الاية هن ام الكتاب اي معظمه وغالبه والمتشابه اقله وقد يرد الى المحكم
ثم ذم المتبعين للمتشابه بالتاويل او بحملها على معاني لا تفهم منها في لسان
العرب الذي خاطبنا به وسماهم اهل زيغ اي ميل عن الحق من الكفار
والزنادقة وجهلة اهل البدع وان علتهم في ذلك قصد الفتنة التي هي الشرك
او اللبس على المومنين او قصد التاويل بما يشتهونه فيقتدون به في بدعتهم
ثم

ثم اخبر سبحانه بانه استاثر بتاويلها ولا يعلمه الا هو فقال وما يعلم تاويله الا الله ثم اثنى
على العلما بالايمان بها فقط فقال والراسخون في العلم يقولون امنا به ولهذا جعل
السلف والراسخون مستانفا ورجحوه على العطف لان الايمان بالغيب ابلغ في
الثنا ومع عطفه انما يكون ايمانا بالشاهد لانهم يعلمون التاويل حينئذ فلا يكون
غيبا ويعضد ذلك قوله كل من عند ربنا ويدل على ان التاويل فيها غير معلوم
للبشر ان الالفاظ اللغوية انما نفهم منها المعاني التي وضعها العرب لها فاذا
استحال اسناد الخبر الى المخبر عنه جهلنا مدلول الكلام حينئذ وان جانا من عند الله
فوضنا علمه اليه ولا نشغل انفسنا بمدلول نلتمسه فلا سبيل لنا الى ذلك وقد قالت
عايشة رضي الله عنها اذا رايتم الذين يجادلون في القران فهم الذين عنى الله فاحذروهم
هذا مذهب السلف في الايات المتشابهة وجا في السنة الفاظ مثل ذلك
محملها عندهم محمل الايات لان المنبع واحد واذا تقررت اصناف المتشابهات
على ما قلناه فلنرجع الى اختلاف الناس فيها فاما ما يرجع منها على ما ذكروه الى
الساعة واشراطها واوقات الانذارات وعدد الزبانية وامثال ذلك فليس
هذا والله اعلم من المتشابه لانه لم يرد فيه لفظ محتمل ولا غيره وانما هي ازمنة
لحادثات استاثر الله بعلمها بنص في كتابه وعلى لسان نبيه وقال انما علمها
عند الله والعجب ممن عدها من المتشابه واما الحروف المقطعة اوايل السور
فحقيقتها حروف الهجا وليس ببعيد ان تكون مرادة وقد قال الزمخشري
فيها اشارة الى بعد الغاية في الاعجاز لان القران المنزل مولف منها والبشر
فيها سوا والتفاوت موجود في دلالتها بعد التاليف وان عدل عن هذا الوجه
الذي يتضمن الدلالة على الحقيقة فانما يكون بنقل صحيح كقولهم في طه انه
ندا من طاهر وهادي وامثال ذلك والنقل الصحيح متعذر فيجي المتشابه
من هذا الوجه واما الوحي والملايكة والروح والجن فاشتباهها من خفا
دلالتها الحقيقية لانها غير متعارفة فجا التشابه فيها من اجل ذلك
وقد الحق بعض الناس بها كل ما في معناها من احوال القيامة والجنة والنار
والدجال والفتن والشروط وما هو بخلاف العوايد المالوفة وهو غير بعيد
الا ان الجمهور لا يوافقونهم عليه وسيما المتكلمون فقد عينوا محاملها على ما تراه
في كتبهم ولم يبق من المتشابه الا الصفات التي وصف الله بها نفسه
في كتابه وعلى لسان نبيه مما يوهم ظاهره نقصا او تعجيزا وقد اختلف
الناس في هذه الظواهر من بعد السلف الذين قررنا مذاهبهم وتنازعوا وتطرقت
البدع الى العقايد فلنشر الى بيان مذاهبهم وايثار الصحيح منها على الفاسد
فنقول وما توفيقي الا بالله اعلم ان الله سبحانه وصف نفسه في كتابه بانه

عالم قادر مريد حي سميع بصير متكلم جليل كريم جواد منعم عزيز عظيم وكذا اثبت
لنفسه اليدين والعينين والوجه والقدم واللسان الى غير ذلك من الصفات
فمنها ما يقتضي صحة الالوهية مثل العلم والقدرة والارادة ثم الحياة التي
هي شرط جميعها ومنها ما هي صفة كمال كالسمع والبصر والكلام ومنها ما يوهم
النقص كالاستوا والنزول والمجي وكالوجه واليدين والعينين التي هي صفات
المحدثات ثم اخبر الشارع انا نرى ربنا يوم القيامة كالقمر ليلة البدر لا نضام
في رويته كما ثبت في الحديث الصحيح فاما السلف من الصحابة والتابعين فاثبتوا
له صفات الالوهية والكمال وفوضوا اليه ما يوهم النقص ساكتين عن مدلوله
ثم اختلف الناس من بعدهم وجا المعتزلة فاثبتوا هذه الصفات احكاما
ذهنية مجردة ولم يثبتوا صفة تقوم بذاته وسموا ذلك توحيدا وجعلوا الانسان
خالقا لافعاله ولا تتعلق بها قدرة الله سيما الشرور والمعاصي منها
اذ يمتنع على الحكيم فعلها وجعلوا مراعاة الاصلح للعباد واجبة عليه وسموا
ذلك عدلا بعد ان كانوا اولا يقولون بنفي القدر وان الامر كله مستانف
بعلم حادث وقدرة وارادة كذلك كما ورد في الصحيح وان عبد الله بن عمر تبرا من
معبد الجهني واصحابه القائلين بذلك وانتهى نفي القدر الى واصل بن عطا
الغزال منهم تلميذ الحسن البصري لعهد عبد الملك بن مروان ثم اخر الى معمر السلمي
ورجعوا عن القول به وكان منهم ابو الهذيل العلاف وهو شيخ المعتزلة
اخذ الطريقة عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل وكان من نفاة القدر
واتبع راي الفلاسفة في نفي الصفات الوجودية لظهور مذاهبهم يومئذ
ثم جا ابراهيم النظام وقال بالقدر واتبعوه وطالع كتب الفلاسفة
وشدد في نفي الصفات وقرر قواعد الاعتزال ثم جا الجاحظ والكعبي والجبائي
وكانت طريقتهم تسمى علم الكلام اما لما فيها من الحجاج والجدال وهو الذي يسمى
كلاما واما ان اصل طريقتهم نفي صفة الكلام فلهذا كان الشافعي يقول
حقهم ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم وقرر هولا طريقتهم واثبتوا منها
وردوا الى ان ظهر الشيخ ابو الحسن الاشعري وناظر بعض مشيختهم في
مسائل الصلاح والاصلح فرفض طريقتهم وكان على راي عبد الله بن سعيد بن كلاب
وابي العباس القلانسي والحارث بن اسد المحاسبي من اتباع السلف
وعلى طريقة السنة فايد مقالاتهم بالحجج الكلامية واثبت الصفات القائمة
بذات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة التي يتم بها دليل التمانع وتصح المعجزات
للانبيا وكان من مذهبهم اثبات الكلام والسمع والبصر لانها وان اوهم
ظاهرها النقص بالصوت والحرف الجسمانيين فقد وجد للكلام عند العرب

مدلول



مدلول اخر غير الحروف والصوت وهو ما يدور في الخلد والكلام حقيقة فيه دون الاول
فاثبتوه لله وانتفى ايهام النقص واثبتوا هذه الصفة قديمة عامة التعلق شان
الصفات الاخرى وصار القران اسما مشتركا بين القديم القائم بذات الله وهو الكلام
النفسي والمحدث هو الحروف المولفة المقروة بالاصوات فاذا قيل قديم فالمراد الاول
واذا قيل مقرو مسموع فلدلالة القراة والكتابة عليه وتورع الامام احمد بن حنبل
من اطلاق لفظ الحدوث عليه لانه لم يسمع من السلف قبله لا انه يقول ان
المصاحف المكتوبة قديمة ولا ان القراة الجارية على الالسنة قديمة وهو
يشاهدها محدثة وانما منعه من ذلك الورع الذي كان عليه واما غير ذلك فانكار
للضروريات وحاشاه منه واما السمع والبصر وان كان يوهم ادراك الجارحة
فهو يدل ايضا لغة على ادراك المسموع والمبصر وينتفي ايهام النقص حينئذ
لانه حقيقة لغوية فيهما واما لفظ الاستوا والمجي والنزول والوجه واليدين
والعينين وامثال ذلك فعدلوا عن حقايقها اللغوية لما فيها من ايهام النقص
بالتشبيه الى مجازاتها على طريقة العرب [illegible] حيث تتعذر حقايق الالفاظ
فيرجعون الى المجاز كما في قوله تعالى يريد ان ينقض وامثاله طريقة معروفة لهم غير
منكرة ولا مبتدعة وحملهم على هذا التاويل وان كان مخالفا لمذهب السلف
في التفويض ان جماعة من اتباع السلف وهم المحدثون والمتاخرون من الحنابلة
ارتكبوا في محمل هذه الصفات فحملوها على صفات ثابتة لله تعالى مجهولة
الكيفية فيقولون في استوى على العرش نثبت له استوا بحيث مدلول اللفظ
فرارا من تعطيله ولا نقول بكيفيته فرارا من القول بالتشبيه الذي تنفيه ايات
السلوب من قوله ليس كمثله شي سبحان الله عما يصفون تعالى الله عما يقول
الظالمون لم يلد ولم يولد ولا يعلمون مع ذلك انهم ولجوا من باب التشبيه
في قولهم باثبات استوا والاستوا عند اهل اللغة انما موضوعه الاستقرار
والتمكن وهو جسماني واما التعطيل الذي يشنعون بالزامه وهو تعطيل
اللفظ فلا محذور فيه وانما المحذور في تعطيل الالهة وكذلك يشنعون
بالزام التكليف بما لا يطاق وهو تمويه لان التشابه لم يقع في التكاليف
ثم يدعون ان هذا مذهب السلف وحاش لله من ذلك وانما مذهب
السلف ما قررناه اولا من تفويض المراد بها الى الله والسكوت عن فهمها
وقد يحتجون لاثبات الاستوا لله بقول مالك الاستوا معلوم والكيف مجهول
ولم يرد مالك ان الاستوا معلوم الثبوت لله وحاشاه من ذلك لانه يعلم
مدلول الاستوا وانما اراد ان الاستوا معلوم من اللغة وهو الجسماني وكيفيته
اي حقيقته لان حقايق الصفات كلها كيفيات وهي مجهولة الثبوت لله

الذي صح

وكذلك يحتجون على اثبات المكان بحديث السوداء وانها لما قال لها النبي صلى الله
عليه وسلم اين الله قالت في السما فقال اعتقها فانها مؤمنة والنبي صلى
الله عليه وسلم لم يثبت لها الايمان باثباتها المكان له بل لانها امنت باجابة
من ظواهر ان الله في السما فدخلت في جملة الراسخين الذين يؤمنون بالمتشابه
من غير كشف عن معناه والقطع بنفي المكان حاصل من دليل العقل
النافي للافتقار ومن ادلة السلوب المؤذنة بالتنزيه مثل ليس كمثله شي
ولا شبيه ومن قوله وهو الله في السموات وفي الارض اذ الموجود لا يكون في
مكانين فليست في هذا المكان مطلق والمراد غيره ثم طردوا ذلك المحمل
الذي ابتدعوه في ظواهر الوجه والعينين واليدين والمجي والنزول والكلام
بالحرف والصوت يجعلون لها مدلولات اعم من الجسمانية وينزهونه عن مدلول
الجسماني منها وهذا شي لا يعرف في اللغة وقد درج على ذلك الاول والاخر منهم
ونافرهم اهل السنة من المتكلمين الاشعرية والحنفية ورفضوا اعتقادهم في ذلك
ووقع بين متكلمي الحنفية ببخارا وبين الامام محمد بن اسمعيل البخاري ما هو معروف
واما المجسمة ففعلوا مثل ذلك في اثبات الجسمية وانها لا كالاجسام
ولفظ الجسم لم يثبت في منقول الشرعيات وانما جراهم عليه اثبات هذه
الظواهر فلم يقتصروا عليه بل توغلوا واثبتوا الجسمية يزعمون فيها مثل ذلك
[redacted] لا كالاجسام والجسم في لغة العرب هو العميق
المحدود وغير هذا التفسير من انه القائم بالذات او المركب من الجواهر وغير ذلك
فاصطلاحات للمتكلمين يريدون بها غير المدلول اللغوي فلهذا كان المجسمة
اوغل في البدعة بل والكفر حيث اثبتوا لله وصفا موهما يوهم النقص لم يرد في
كلام الله ولا كلام نبيه فقد تبين لك الفرق بين مذاهب السلف والمتكلمين السنية
والمحدثين والمبتدعة من المعتزلة والمجسمة بما اطلعناك عليه وفي المحدثين غلاة
يسمون المشبهة لتصريحهم بالتشبيه حتى انه يحكى عن بعضهم انه قال اعفوني من
اللحية والفرج وسلوني عما بعد ذلك من سواهما وان لم يتاول ذلك لهم فانهم يرون
حصر ما ورد من هذه الظواهر الموهمة وحملها على ذلك المحمل الذي لا يتمهم
والا فهو كفر صريح والعياذ بالله وكتب اهل السنة مشحونة بالحجاج على هذه
البدع وبسط الرد عليهم بالادلة الصحيحة وانما اومانا الى ذلك ايما يتميز به
فصول المقالات وجملها والحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
واما الظواهر الخفية الدلالة كالوحي والملائكة والروح والجن والبرزخ
واحوال القيامة والدجال والفتن والشروط وسائر ما هو متعذر على الفهم او مخالف
للعاديات فان حملناه على ما ذهب اليه الاشعرية في تفاصيله وهم اهل السنة

وينزهونه بقول متناقض سفسطائي وهو قولهم جسم صح

بلغ مقابلة



فلا نقول به وان قلنا فيه بالبت به فلنوضح القول في كشف الحجاب عنه فنقول
اعلم ان العالم البشري اشرف العوالم من الموجودات وارفعها وهو وان اتحدت
حقيقته الانسانية فيه فله اطوار يخالف كل واحد منها الاخر باحوال تختص به
حتى كان الحقائق فيها مختلفة فالطور الاول عالمه الجسماني بحسه الظاهر
وفكره المعاشي وساير تصرفاته التي اعطاه اياها وجوده الحاضر الطور الثاني
عالم النوم وهو تصور الخيال بانفاذ تصوراته جائلة في باطنه فيدرك منها
بحواسه الظاهرة مجردة عن الازمنة والامكنة وساير الاحوال الجسمانية
ويشاهدها في مكان ليس هو فيه ويحدث للصالح منها البشرى بما يترقب من
مسراته الدنيوية والاخروية كما وعد به الصادق صلوات الله عليه وهذان الطوران
عامان في جميع اشخاص البشر [redacted] وهما مختلفان في المدارك
كما تراه الطور الثالث طور النبوة وهو خاص باشرف صنف البشر بما خصهم الله به
من معرفته وتوحيده وتنزل ملائكته عليهم بوحيه وتكليفهم باصلاح البشر في احوال كلها
مغايرة للاحوال البشرية الظاهرة الطور الرابع طور الموت الذي تفارق اشخاص
البشر فيه حياتهم الظاهرة الى وجود قبل القيامة يسمى البرزخ يتنعمون فيه
ويعذبون على حسب اعمالهم ثم يفضون الى القيامة الكبرى وهي دار الجزا الاكبر نعيما
وعذابا في الجنة او في النار والطوران الاولان شاهدهما وجداني والطور الثالث
النبوي شاهده المعجزة والاحوال المختصة بالانبيا والطور الرابع شاهده ما تنزل
على الانبيا من وحي الله في المعاد واحوال البرزخ والقيامة مع ان العقل يقتضي
به كما نبهنا الله عليه في كثير من ايات البعث ومن اوضح الادلة على صحتها ان اشخاص
الانسان لو لم يكن لهم وجود اخر بعد الموت غير هذه المشاهد يتلقى فيه احوالا
تليق به لكان ايجاده الاول عبثا اذ الموت اذا كان عدما كان مال الشخص
الى العدم فلا يكون لوجوده الاول حكمة والعبث على الحكيم محال واذا تقررت
هذه الاطوار الاربعة فلناخذ في بيان مدارك الانسان فيها كيف تختلف
اختلافا بينا يكشف لك عن غور المتشابه فاما مداركه في الطور الاول فواضحة جلية
قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة فبهذه المدارك يستولي على ملكات المعارف ويستكمل
حقيقة انسانيته ويوفي حق العبادة المفضية به الى النجاة واما مداركه في
الطور الثاني وهو طور النوم فهي المدارك التي في الحس الظاهر بعينها لكن ليست في
الجوارح كما هي في اليقظة لكن الرائي يتيقن كل شي ادركه في نومه لا يشك فيه
ولا يرتاب مع خلو الجوارح عن الاستعمال العادي لها والناس في حقيقة هذه الحال
فريقان الحكما يزعمون ان الصور الخيالية يدفعها الخيال بحركة الفكر الى الحس

يوم صح

المشترك الذي هو الفصل المشترك بين الحس الظاهر والحس الباطن فتتصور محسوسة
بالظاهر في الحواس كلها وقد يشكل عليهم هذا بان المرائي الصادقة التي هي من الله تعالى
او من الملك اثبت وارسخ في الادراك من المرائي الخيالية الشيطانية مع ان الخيال
فيهما على ما قرروه واحد فالطريق الثاني للمتكلمين اجملوا فيها القول وقالوا هو
ادراك يخلقه الله في الحاسة فيقع كما يقع في اليقظة وهذا اليق وان كنا
لا نتصور كيفيته وهذا الادراك النومي اوضح شاهد على ما يقع بعد
من المدارك الحسية في الاطوار واما الطور الثالث وهو طور الانبياء فالمدارك
الحسية فيها مجهولة الكيفية عندنا وجدانية عندهم باوضح من اليقين فيرى النبي
الله والملائكة ويسمع كلام الله منه او من الملائكة ويرى الجنة والنار والعرش
والكرسي ويخترق السموات السبع في اسرائه ويركب البراق فيها ويلقى النبيين هنالك
ويصلي بهم ويدرك انواع المدارك الحسية كما يدرك في طوره الجسماني والنومي
بعلم ضروري يخلقه الله له لا بالادراك العادي للبشر في الجوارح ولا يلتفت في ذلك
الى ما يقوله ابن سينا من تنزيله امر النبوة على امر النوم في دفع الخيال صورة الى الحس
المشترك فان الكلام عليهم هنا اشد من الكلام في النوم لان هذا التنزل طبيعي واحد
كما قررناه فيكون على هذا حقيقة الوحي والرؤيا من النبي واحدة في يقينها وحقيقتها
وليس كذلك على ما علمت من رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم قبل الوحي ستة اشهر
وانها كانت بدء الوحي ومقدمته ويشعر ذلك بانها دونه في الحقيقة وكذلك حال الوحي
في نفسه فقد كان يصعب عليه ويقاسي منه شدة كما في الصحيح حتى كان القران
يتنزل عليه ايات مقطعة وبعد ذلك نزلت عليه براءة في غزوة تبوك جملة واحدة وهو
يسير على ناقته فلو كان ذلك من تنزل الفكر الى الخيال فقط ومن الخيال الى الحس المشترك
لم يكن بين هذه الحالات فرق واما الطور الرابع وهو طور الاموات في برزخهم الذي
اوله القبر وهم مجردون عن البدن او في بعثهم عند ما يرجعون الى الاجسام
فمداركهم الحسية موجودة فيرى الميت في قبره الملكين يسائلانه ويرى مقعده من
الجنة او النار بعيني راسه ويرى شهود الجنازة ويسمع كلامهم وخفق نعالهم
في الانصراف عنه ويسمع ما يذكرونه به من التوحيد او من تقرير الشهادتين وغير ذلك
وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر وفيه قتلى المشركين
من قريش وناداهم باسمائهم فقال عمر يا رسول الله اتكلم هولاء الجيف فقال صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده ما انتم باسمع منهم لما اقول ثم في البعث يوم القيمة يعاينون
باسماعهم وابصارهم كما كانوا يعاينون في الحياة من نعيم الجنة على مراتبه
وعذاب النار على مراتبه ويرون الملائكة ويرون ربهم كما ورد في الصحيح انكم ترون
ربكم يوم القيمة كالقمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته وهذه المدارك لم تكن لهم في

الحياة

الحياة الدنيا وهي حسية مثلها وتقع في الجوارح بالعلم الضروري الذي يخلقه الله كما قلنا
وسر هذا ان تعلم ان النفس الانسانية هي تنشا بالبدن وبمداركه فاذا فارقت
البدن بنوم او موت او صار النبي حالة الوحي من المدارك البشرية الى المدارك
الملكية فقد استصحبت ما كان معها من المدارك البشرية مجردة عن الجوارح فيدرك
بها في ذلك الطور اي ادراك شاء منها ارفع من ادراكها وهي في الجسد قاله الغزالي
رحمه الله وزاد على ذلك ان النفس الانسانية صورة تبقى لها بعد المفارقة فيها العينان
والاذنان وسائر الجوارح المدركة امثالا لما كان في البدن وصورا وانا اقول
انما يشير بذلك الى الملكات الحاصلة من تصريف هذه الجوارح في بدنها زيادة على
الادراك فاذا انفصلت لهذا كله علمت ان هذه المدارك موجودة في الاطوار
الاربعة لكن ليس على ما كانت في الحياة الدنيا وانما هي تختلف بالقوة
والضعف بحسب ما يعرض لها من الاحوال ويشير المتكلمون الى ذلك اشارة
مجملة بان الله يخلق فيها علما ضروريا بتلك المدارك اي مدرك كان ويعنون
بهذا القدر الذي اوضحناه وبالجملة فالمدارك الحسية تخلق للانسان
في هذه الحالات كلها ولو لم تكن الجوارح موجودة ومن تامل ذلك في النوم وحال الوحي
علم بالضرورة انه يسمع ويبصر وليست الجارحة موجودة ومن تتبع ذلك
في حال النوم وما وقع في الوحي علمه ضرورة وانظر الاسرا وحديث العنقود
ومجي الملك بالوحي يتمثل له بشرا او امثال ذلك وهذه نبذة او ماتا بها الى
ما يوضح العوائق المتشابه ولو اوسعنا الكلام فيه لقصرت المدارك عنه فلنفزع الى الله في
الهداية والفهم عن انبيائه وكتابه بما يحصل به الحق في توحيدنا والظفر بنجاتنا والله يهدي من يشاء

## علم التصوف

هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة واصله ان طريقة هولاء القوم لم
تزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق
والهداية واصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله والاعراض عن زخرف الدنيا
وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في
الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف فلما فشا الاقبال على الدنيا
في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على
العبادة باسم الصوفية والمتصوفة قال القشيري رحمه الله ولا يشهد لهذا الاسم
اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والظاهر انه لقب ومن قال اشتقاقه من
الصفا او من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي قال وكذلك من الصوف لانهم لم
يختصوا بلبسه قلت والاظهر ان قيل بالاشتقاق انه من الصوف وهم في الغالب
مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس

المضروب عليه زيادة على النسخة المقابل عليها وهي الصحيحة بخط مؤلفها رحمه الله

الصوف فلما اختص هولا بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق والاقبال على العباده اختصوا
بمواجد مدركه لهم وذلك ان الانسان بما هو انسان انما يتميز عن ساير الحيوان
بالادراك وادراكه نوعان ادراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم
وادراك للاحوال القايمة به من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضى والغضب
والصبر والشكر وامثال ذلك فالمعنى العاقل والمتصرف في البدن ينشا من ادراكات
وارادات واحوال وهي التي تميز بها الانسان كما قلناه وبعضها ينشا عن بعض
كانشا العلم عن الادلة والفرح او الحزن عن ادراك المولم والمتلذذ به والنشاط
عن الجمام والكسل عن الاعيا وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته لابدان ينشا عن كل
مجاهدة حال هي نتيجة لتلك المجاهدة وتلك الحال اما ان تكون نوع عبادة فترسخ وتصير
مقاما للمريد واما ان لا تكون عبادة وانما تكون صفة حاصلة للنفس من فرح او سرور
او نشاط او كسل او غير ذلك **والمقامات** لا يزال المريد يترقى فيها من مقام الى
مقام الى ان ينتهى الى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة قال
صلى الله عليه وسلم من مات يشهد ان لا اله الا الله دخل الجنة فالمريد لا بد له من الترقي
في هذه الاطوار واصلها كلها الطاعة والاخلاص ويتقدمها الايمان ويصاحبها وينشا
عنها الاحوال والصفات نتايج وثمرات ثم ينشا عنها اخرى واخرى الى مقام التوحيد
والعرفان واذا وقع تقصير في النتيجة او خلل فيعلم انه انما اتى من قبل التقصير
في الذي قبله وكذلك في الخواطر النفسانيه والواردات القلبيه فلهذا يحتاج
المريد الى محاسبة نفسه في ساير اعماله وينظر في حقايقها لان حصول النتايج عن الاعمال
ضروري وقصورها من الخلل فيها كذلك والمريد يجد ذلك بذوقه ويحاسب نفسه على
اسبابه ولا يشاركهم في ذلك الا القليل من الناس لان الغفلة عن هذا كانها شاملة
وغاية اهل العبادات اذا لم ينتهوا الى هذا النوع انهم ياتون بالطاعة مخلصه من
نظر الفقه في الاجزا والامتثال وهولا يبحثون عن نتايجها بالاذواق والمواجد
ليطلعوا على انها خالصة من التقصير اولا وظهر ان اصل طريقتهم كلها محاسبة
النفس على الافعال والتروك والكلام في هذه الاذواق والمواجد التي تحصل
عن المجاهدات ثم تستقر للمريد مقاما ويترقى منها الى غيرها ثم لهم مع ذلك اداب
مخصوصة بهم واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم اذ الاوضاع اللغوية
انما هي للمعاني المتعارفة فاذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف اصطلحنا
على التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه فلهذا اختص هولا بهذا النوع من العلم الذي ليس
يوجد لغيرهم من اهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين صنف
مخصوص بالفقها واهل الفتيا وهي الاحكام العامة في العبادات والعادات
والمعاملات وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها

والكلام

والكلام في الاذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقي فيها من ذوق الى
ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك فلما كتبت العلوم ودونت والف
الفقها في الفقه واصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من اهل هذه
الطريقة في طريقهم فمنهم من كتب في احكام الورع ومحاسبة النفس على الاقتدا
في الاخذ والترك كما فعله المحاسبي في كتاب الرعاية له ومنهم من كتب في اداب
الطريقة واذواق اهلها ومواجدهم في الاحوال كما فعله القشيري في كتاب الرسالة
والسهروردي في كتاب عوارف المعارف وامثالهم وجمع الغزالي بين الامرين في كتاب
الاحيا فدون فيه احكام الورع والاقتدا ثم بين اداب القوم وسننهم وشرح
اصطلاحاتهم في عباداتهم وصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد ان كانت
الطريقة عبادة فقط وكانت احكامها انما تتلقى من صدور الرجال كما وقع في ساير
العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والاصول وغير ذلك
ثم ان هذه المجاهدة والذكر يتبعها غالبا كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من امر
الله ليس لصاحب الحس ادراك شي منها والروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف
ان الروح اذا رجع عن الحس الظاهر الى الباطن ضعفت احوال الحس وقويت احوال
الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوه واعان على ذلك الذكر فانه كالغذا لتنمية الروح ولا
يزال في نمو وتزيد الى ان يصير شهودا بعد ان كان علما ويكشف حجاب الحس
ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الادراك فيتعرض حينيذ للمواهب
الربانيه والعلوم اللدنيه والفتح الالهي وتقرب ذاته في تحقق حقيقتها من الافق
الاعلى افق الملايكة وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لاهل المجاهدة فيدركون من حقايق
الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك يدركون كثيرا من الواقعات قبل وقوعها
ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية وتصير طوع ارادتهم
فالعظما منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا هذا التصرف ولا يخبرون عن حقيقة
شي لم يومروا بالتكلم فيه بل يعدون ما وقع لهم من ذلك محنة ويتعوذون منه
اذا وقع لهم وقد كان الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم
من هذه الكرامات اوفر الحظوظ لكنهم لم يقع لهم بها عناية وفي فضايل ابي بكر وعمر رضي الله عنهم
كثير منها وتبعهم في ذلك اهل الطريقة ممن اشتملت رسالة القشيري
على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم ثم ان قوما من المتاخرين انصرفت عنايتهم
الى كشف الحجاب والكلام في المدارك التي وراه واختلفت طرق الرياضة عندهم
في ذلك باختلاف تعليمهم في اماتة القوى الحسية وتغذية الروح العاقل بالذكر

بياض

وعلي

حتى تحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها بتمام نشوها وتغذيتها فاذا حصل ذلك
زعموا ان الوجود قد انحصر في مداركها حينئذ وانهم كشفوا ذوات الوجود
وتصوروا حقايقه كلها من العرش الى الطش هكذا قال الغزالي في كتاب الاحياء
بعد ان ذكر صورة الرياضة ثم ان هذا الكشف لا يكون صحيحا كاملا عندهم الا اذا
كان ناشيا عن الاستقامة لان الكشف قد يحصل لصاحب الخلوة والجوع وان
لم يكن هناك استقامة كالسحرة والنصارى وغيرهم من المرتاضين وليس
مرادنا الا الكشف الناشي عن الاستقامة ومثاله ان المراة الصقيلة
اذا كانت محدبة او مقعرة وحوذي بها جهة المرئي فانه يتشكل فيها
معوجا على غير صورته واذا كانت مسطحة تشكل فيها المرئي صحيحا فالاستقامة
للنفس كالانبساط للمراة فيما ينطبع فيها من الاحوال ولما عني المتاخرون
بهذا النوع من الكشف تكلموا في حقايق الموجودات العلوية والسفلية وحقايق
الملك والروح والعرش والكرسي وامثال ذلك وقصرت مدارك من لم يشاركهم
في طريقهم عن فهم اذواقهم ومواجدهم في ذلك فاهل الفتيا بين منكر عليهم
ومسلم لهم وليس البرهان والدليل بنافع في هذا الطريق ردا وقبولا اذ هي
من قبيل الوجدانيات **تفصيل وتحقيق** يقع كثيرا في كلام اهل
العقايد من علماء الحديث والفقه ان الله تعالى مباين لمخلوقاته ويقع للمتكلمين
انه لا مباين ولا متصل ويقع للفلاسفة انه لا داخل العالم ولا خارجه ويقع
للمتاخرين من المتصوفة انه متحد بالمخلوقات اما بمعنى الحلول فيها او بمعنى
انه هو عينها وليس هناك غيره جملة ولا تفصيلا فلنبين تفصيل هذه المذاهب
ونشرح حقيقة كل واحد منها حتى تتضح معانيها فنقول ان المباينة تقال لمعنيين
احدهما المباينة في الحيز والجهة ويقابله الاتصال وتشعر هذه المقابلة
على هذا التقدير بالمكان اما صريحا وهو تجسيم او لزوما وهو تشبيه من قبيل
القول بالجهة وقد نقل مثله عن بعض علماء السلف من التصريح بهذه المباينة
فيحتمل غير هذا المعنى ومن اجل ذلك انكر المتكلمون هذه المباينة وقالوا لا يقال في
الباري انه مباين لمخلوقاته ولا متصل بها لان ذلك انما يكون للمتحيزات وما يقال
من ان المحل لا يخلو عن الاتصاف بالمعنى وضده فهو مشروط بصحة الاتصاف
اولا واما مع امتناعه فلا بل يجوز الخلو عن المعنى وضده كما يقال في الجماد لا عالم
ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ولا كاتب ولا امي وصحة الاتصاف بهذه
المباينة مشروط بالحصول في الجهة على ما تقرر من مدلولها والباري سبحانه منزه
عن ذلك [redacted] ذكره ابن التلمساني في شرح اللمع لامام الحرمين وقال ولا يقال
في الباري مباين للعالم ولا متصل به ولا داخل فيه ولا خارج عنه وهو معنى ما يقوله

ومعنى الفلاسفة

الفلاسفة وانكرها المتكلمون لما يلزم من مساواتها للباري في اخص الصفات وهو مبسوط
في علم الكلام [redacted] واما المعنى الاخر للمباينة فهو المغايرة والمخالفة فيقال
الباري مباين لمخلوقاته في ذاته وهويته ووجوده وصفاته ويقابله الاتحاد
والامتزاج والاختلاط وهذه المباينة هي مذهب اهل الحق كلهم من جمهور السلف
وعلماء الشرايع والمتكلمين والمتصوفة الاقدمين كاهل الرسالة ومن نحا منحاهم
وذهب جماعة من المتصوفة المتاخرين الذين صيروا المدارك الوجدانية علمية نظرية
الى ان الباري تعالى متحد بمخلوقاته في هويته ووجوده وصفاته وربما زعموا انه
مذهب الفلاسفة قبل ارسطو مثل افلاطون وسقراط وهو الذي يعنيه المتكلمون
حيث ينقلونه في علم الكلام عن المتصوفة ويحاولون الرد عليه لانه ذاتان تنتفي احداهما او تندرج
اندراج الجزء فان تلك مغايرة صريحة ولا يقولون بذلك وهذا الاتحاد هو الحلول
الذي تدعيه النصارى في المسيح عليه السلام وهو اغرب لانه حلول قديم في محدث
او اتحاده به وهو ايضا عين ما تقوله الامامية من الشيعة في الايمة وتقرير
هذا الاتحاد في كلامهم على طريقين الاول ان ذات القديم كامنة في المحدثات
محسوسها ومعقولها متحدة بها في التصورين وهي كلها مظاهر له وهو القايم عليها
اي المقوم لوجودها بمعنى لولاه كانت عدما وهو راي اهل الحلول الثانية
طريق اهل الوحدة المطلقة وكانهم استشعروا من تقرير اهل الحلول الغيرية المنافية
لمعقول الاتحاد فنفوها بين القديم وبين المخلوقات في الذات والوجود والصفات
وغالطوا في غيرية المظاهر المدركة بالحس والعقل بان ذلك من المدارك البشرية
وهي اوهام ولا يريدون الوهم الذي هو قسيم العلم والظن والشك وانما يريدون
انها كلها عدم في الحقيقة وجود في المدرك البشري فقط ولا وجود بالحقيقة
الا للقديم لا في الظاهر ولا في الباطن كما نقرره بعد بحسب الامكان والتعويل في
تعقل ذلك على النظر والاستدلال كما في المدارك البشرية غير مفيد لان ذلك انما ينقل
من المدارك الملكية وانما هي حاصلة للانبيا بالفطرة ومن بعدهم للاوليا بهدايتهم
وقصد من يقصد الحصول عليها بالطريقة العلمية ضلال وربما قصد بعض المصنفين
ذلك في كشف الموجودات وترتيب حقايقه فاتى بالاغمض فالاغمض بالنسبة
الى اهل النظر والاصطلاحات والعلوم كما فعل الفرغاني شارح قصيدة ابن الفارض
في الديباجة التي كتب في صدر ذلك الشرح فانه ذكر في صدور الوجود عن الفاعل
وترتيبه ان الوجود كله صادر عن صفة الوحدانية التي هي مصدر الاحدية وهما
معا صادران عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غير ويسمون هذا
الصدور بالتجلي **واول** مراتب التجليات عندهم تجلي الذات على نفسه وهو يتضمن
الكمال بافاضة الايجاد والظهور لقوله في الحديث الذي يتناقلونه كنت كنزا مخفيا

الى الاولى اهل الحلول ... بناء على ... المتصوفة

عن المتصوفة صح

عليه صح

على طريق اهل المظاهر صح

وربما قصد بعض المصنفين بيان مذاهبهم في كشف الوجود وترتيب حقايقه فاتى بالاغمض فالاغمض صح

فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق ليعرفوني وهذا الكمال في الايجاد المتنزل في الوجود
وتفصيل الحقايق وهو عندهم عالم المعاني والحضرة العمائية والحقيقة المحمدية
وفيها حقايق الصفات واللوح والقلم وحقايق الانبيا والرسل اجمعين والكمل من اهل
الامة المحمدية وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية وتصدر عن هذه الحقايق حقايق اخرى
في الحضرة الهبائية وهي مرتبة المثال ثم عنها العرش ثم الكرسي ثم الافلاك ثم عالم العناصر
ثم عالم التركيب هذا في عالم الرتق فاذا تجلت فهي في عالم الفتق انتهى ويسمى
هذا المذهب مذهب اهل التجلي والمظاهر والحضرات وهو كلام لا يقتدر اهل
النظر على تحصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه وبعد ما بين كلام صاحب
المشاهدة والوجدان وصاحب الدليل وربما انكر بظاهر الشرع
هذا الترتيب فانه لا يعرف في شي من نواحيه وكذلك ذهب اخرون منهم الى
القول بالوحدة المطلقة وهو راي اغرب من الاول في تعقله وتفاريعه
يزعمون فيه ان الوجود كله له قوى في تفاصيله بها كانت حقايق الموجودات
وصورها وموادها والعناصر انما كانت بما فيها من القوى وكذلك مادتها لها في نفسها
قوة بها كان وجودها ثم ان المركبات فيها تلك القوى متضمنة في القوة التي
كان بها التركيب كالقوة المعدنية فيها قوى العناصر بهيولاها وزيادة
القوة المعدنية ثم القوة الحيوانية تتضمن القوة المعدنية وزيادة قوتها
في نفسها وكذا القوة الانسانية مع الحيوانية ثم الفلك يتضمن القوة الانسانية
وزيادة وكذا الذوات الروحانية والقوة الجامعة للكل من غير تفصيل هي
القوة الالهية فهي التي انبثت في جميع الموجودات كلية وجزئية وجمعتها
واحاطت بها من كل وجه لا من جهة الظهور ولا من جهة الخفا ولا من جهة الصورة
ولا من جهة المادة فالكل واحد وهو نفس الذات الالهية وهي في الحقيقة
واحدة بسيطة والاعتبار هو المفصل لها كالانسانية مع الحيوانية الا ترى
انها مندرجة فيها وكاينة بكونها فتارة يمثلونها بالجنس مع النوع في كل موجود
كما ذكرناه وتارة بالكل مع الجز على طريقة المثال وهم في هذا كله يفرون من
التركيب والكثرة بوجه من الوجوه وانما اوجبها عندهم الوهم والخيال والذي
يظهر من كلام ابن دهاق في تقرير هذا المذهب ان حقيقة ما يقولونه في الوحدة
شبيه بما يقوله الحكما في الالوان من ان وجودها مشروط بالضو فاذا عدم الضو
لم تكن الالوان موجودة بوجه وكذا عندهم الموجودات المحسوسة كلها مشروطة
بوجود المدرك الحسي بل والموجودات المعقولة والمتوهمة مشروطة بوجود المدرك
العقلي فاذا الوجود المفصل كله مشروط بالمدرك البشري فلو فرضنا عدم المدرك
البشري جملة لم يكن هناك تفصيل الوجود بل هو بسيط واحد فالحر والبرد والصلابة

واللين

واللين بل والارض والما والنار والسما والكواكب انما وجدت لوجود الحواس المدركة لها لما
جعل في المدرك من التفصيل الذي ليس في الوجود وانما هو في المدارك فقط فاذا فقدت
المدارك المفصلة فلا تفصيل انما هو ادراك واحد وهو انا لا غير ويعتبرون ذلك بحال
النايم فانه اذا نام فقد الحس الظاهر فقد كل محسوس وهو في تلك الحالة الا ما يفصله
له الخيال قالوا فكذلك اليقظان انما يعتبر تلك المدركات كلها على التفصيل بنوع مدركه
البشري ولو فقد مدركه فقد التفصيل وهذا هو معنى قولهم الوهم لا الوهم الذي هو
من جملة المدارك البشرية هذا ملخص رايهم على ما يفهم من كلام ابن دهاق وهو في
غاية السقوط لانا نقطع بوجود البلد الذي نحن مسافرون عنه واليه يقينا مع غيبته
عن اعيننا وبوجود السما المظلة والكواكب وساير الاشيا الغايبة عنا
والانسان قاطع بذلك ولا يكابر احد نفسه في اليقين مع ان المحققين من المتصوفة
المتاخرين يقولون ان المريد عند الكشف ربما يعرض له توهم هذه الوحدة ويسمى ذلك
عندهم مقام الجمع ثم يترقى عنه الى التمييز بين الموجودات ويعبرون عن ذلك
بمقام الفرق وهو مقام العارف المحقق ولا بد للمريد عندهم من عقبة الجمع وهي عقبة
صعبة لانه يخشى على المريد من وقوفه عندها فتخسر صفقته فقد تبينت مراتب
اهل هذه الطريق **فصل** ثم ان هولا المتاخرين من المتصوفة المتكلمين في
الكشف وفيما ورا الحس توغلوا في ذلك وذهب كثير منهم الى الحلول والوحدة
كما اشرنا اليه وملوا الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره وتابعهم
ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ثم ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرايلي
في قصايدهم وكان سلفهم مخالطين للاسماعيلية المتاخرين من الرافضة الدانين
ايضا بالحلول والاهية الايمة مذهبا لم يعرف لاولهم فاشرب كل من الفريقين
مذهب الاخر واختلط كلامهم وتشابهت عقايدهم وظهر في كلام المتصوفة
القول بالقطب ومعناه راس العارفين يزعمون انه لا يمكن ان يساويه
احد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لاخر من اهل العرفان
وقد اشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول التصوف منها
فقال جل جناب الحق ان يكون شرعة لكل وارد او يطلع عليه الا الواحد بعد الواحد
وهذا الكلام لا يقوم حمله حجة عقلية ولا دليل شرعي انما هو من انواع الخطابة
وهو بعينه ما يقوله الرافضة من توارث الايمة عندهم فانظر كيف سرقت
طباع هولا القوم هذا الراي من الرافضة ودانوا به ثم قالوا بترتيب
وجود الابدال بعد هذا القطب كما قال الشيعة في النقبا حتى انهم لما
اسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه اصلا لطريقتهم وتخليتهم رفعوه الى
علي رضي الله عنه وهو من هذا المعنى ايضا والا فعلي رضي الله عنه لم يختص

واحد صح

من بين الصحابة بنحلة ولا طريقة في لبوس ولا حال بل كان ابو بكر وعمر رضي الله
عنهما ازهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثرهم عبادة ولم يختص
احد منهم في الدين بشي يوثر عنه على الخصوص بل كان الصحابة كلهم اسوة في الدين
والورع والزهد [redacted] والمجاهدة تشهد بذلك سيرهم واخبارهم نعم ان
الشيعة يخيلون بما ينقلون من ذلك اختصاص علي بالفضايل دون من
سواه من الصحابة ذهابا مع عقايد التشيع المعروفة لهم والذي يظهر ان المتصوفة
بالعراق لما ظهرت الاسماعيلية من الشيعة وظهر كلامهم في الامامة وما
يرجع اليها ما هو معروف فاقتبسوا من ذلك الموازنة بين الظاهر والباطن
وجعلوا الامامة لسياسة الخلق في الانقياد الى الشرع وافردوه بذلك
ان لا يقع اختلاف كما تقرر في الشرع ثم جعلوا القطب لتعليم المعرفة بالله
لانه راس العارفين وافردوه بذلك تشبيها بالامام في الظاهر وان يكون
على وزانه في الباطن وسموه قطبا لمدار المعرفة عليه وجعلوا الابدال كالنقبا
مبالغة في التشبيه فتامل ذلك من كلام هولاء المتصوفة ~~[illegible]~~
~~لك بما قلته كلام هولا المتصوفة~~ في امر الفاطمي وما شحنوا به كتبهم من ذلك
مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي ولا اثبات وانما هو ماخوذ من كلام
الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي الى الحق

تذييل وقد رايت ان اجلب هنا فصلا من كلام شيخنا العارف
كبير الاوليا بالاندلس ابي مهدي عيسى بن الزيات كان يقع له كثيرا الوقوف
على ابيات الهروي التي وقعت له في كتاب المقامات توهم القول بالوحدة
المطلقة او يكاد يصرح بها وهي قوله

ما وحد الواحد من واحد … اذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته … تثنية ابطلها الواحد
توحيده اياه توحيده … ونعت من ينعته لاحد

فيقول رحمة الله عليه على سبيل العذر عنه استشكل الناس اطلاق لفظ الجحود
على من وحد الواحد وكلفظ الالحاد على من نعته ووصفه واستبشعوا
هذه الابيات وحملوا على قايلها واستخفوه ونحن نقول على راي هذه الطايفة
ان معنى التوحيد عندهم انتفاء عين الحدوث بثبوت عين القدم وان
الوجود كله حقيقة واحدة وانية واحدة وقد قال ابو سعيد الخراز من كبار القوم
الحق عين ما ظهر وعين ما بطن ويرون ان وقوع التعدد في تلك الحقيقة
ووجود الاثنينية وهم باعتبار حضرات الحس بمنزلة صور الظلال والصدا
وصور المراي وان كل ما سوى عين القدم اذا استتبع فهو عدم وهذا
معنى

معنى كان الله ولا شي معه وهو الان على ما كان عليه عندهم ومعنى قول لبيد
الذي صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الا كل شي ما خلا الله باطل
قالوا فمن وحد ونعت فقد قال بموجد محدث هو نفسه وتوحيد محدث
هو فعله وموحد قديم هو معبوده وقد تقدم ان معنى التوحيد انتفاء عين
الحدوث وعين الحدوث الان ثابتة بل متعددة والتوحيد مجحود والدعوى
كاذبة كمن يقول لغيره وهما معا في بيت ليس في البيت غيرك فيقول الاخر
بلسان حاله لا يصح هذا الا لو عدمت انت وقد قال بعض المحققين
في قولهم خلق الله الزمان هذه الفاظ تناقض اصولها لان خلق الزمان متقدم على الزمان
وهو فعل لا بد من وقوعه في الزمان وانما حمل على ذلك ضيق العبارة عن الحقايق وعجز
اللغات عن تادية الحق فيها وبيانها فاذا تحقق ان الموحد هو الموحد وعدم ما سواه جملة
صح التوحيد حقيقة وهذا معنى قولهم لا يعرف الله الا الله ولا حرج على من وحد
الحق مع بقا الرسوم والاثار وانما هو من باب حسنات الابرار سيات المقربين لان
ذلك لازم التقييد والعبودية والشفعية ومن ترقى الى مقام الجمع كان في حقه
نقصا مع علمه برتبته وانه متلبس تستلزمه العبودية ويرفعه الشهود ويتطهر
من دنس حدوثه عين الجمع واعرق الاصناف في هذا الزعم القايلون بالوحدة المطلقة
ومدار المعرفة بكل اعتبار على الانتها الى الواحد وانما قصد هذا القول من الناظم
على سبيل التحريض والتنبيه والتفطين لمقام اعلى ترتفع فيه الشفعية ويحصل
التوحيد المطلق عينا لا خطابا وعبارة فمن سلم استراح ومن نازعته حقيقته
انس بقوله كنت سمعه وبصره واذا عرفت المعاني لا مشاحة في الالفاظ والذي
يفيده هذا كله تحقق امر فوق هذا الطور لا نطق فيه ولا خبر عنه وهذا المقدار
من الاشارة كاف والتعمق في مثل هذا حجاب وهو الذي اوقع في المقالات
المعروفة انتهى كلام الشيخ ابي مهدي نقلته من كتاب الوزير ابن الخطيب الذي الفه
في المحبة وسماه التعريف بالحب الشريف وقد سمعته من شيخنا ابي مهدي
مرارا الا اني رايت رسوم الكتاب اوعى له لطول عهدي به والله الموفق

فصل

ثم ان كثيرا من الفقها واهل الفتيا انتدبوا للرد على هولا المتاخرين في هذه المقالات
وامثالها وشملوا بالنكير ساير ما وقع لهم في الطريقة والحق ان كلامهم معهم فيه
تفصيل فان كلامهم في اربعة مواضع احدها الكلام على المجاهدات
وما يحصل من الاذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الاعمال لتحصل تلك
الاذواق التي تصير مقاما ويترقى منه الى غيره كما قلناه وثانيها الكلام في
الكشف والحقايق المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش
والكرسي والملايكة والوحي والنبوة والروح وحقايق كل موجود غايب او شاهد

وترتيب الأكوان في صدورها عن موجدها ومكونها كما مر وثالثها التصرفات
في العوالم والأكوان بأنواع الكرامات ورابعها ألفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثير
من أئمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحات تستشكل ظواهرها فمنكر ومحسن
ومتأول فأما الكلام في المجاهدات والمقامات وما يحصل من الأذواق والمواجد
في نتائجها ومحاسبة النفس على التقصير في أسبابها فأمر لا مدفع فيه لأحد وأذواقهم
فيه صحيحة والتحقق بها هو عين السعادة وأما الكلام في كرامات القوم وإخبارهم
بالمغيبات وتصرفهم في الكائنات فأمر صحيح غير منكر وإن مال بعض العلماء إلى إنكارها
فليس ذلك من الحق وما احتج به الأستاذ أبو إسحق الإسفرايني من أئمة الأشعرية
على إنكارها لالتباسها بالمعجزة فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهما بالتحدي
وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به قالوا ثم إن وقوعها على وفق دعوى الكاذب
غير مقدور لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية فإن صفة نفسها التصديق
فلو وقعت مع الكاذب لاستحالت صفة النفس وهو محال هذا مع أن الوجود شاهد
بوقوع الكثير من هذه الكرامات وإنكارها نوع مكابرة وقد وقع للصحابة وأكابر
السلف كثير من ذلك وهو معلوم مشهور وأما الكلام في الكشف وإعطاء حقائق
العلويات وترتيب صدور الكائنات فأكثر كلامهم فيه من نوع المتشابه لما أنه وجداني
عندهم وفاقد الوجدان بمعزل عن أذواقهم فيه واللغات لا تعطي دلالة على مرادهم
منه لأنها لم توضع إلا للمتعارف وأكثره من المحسوسات فينبغي أن لا نتعرض
لكلامهم في ذلك ونتركه فيما تركناه من المتشابه ومن رزقه الله فهم شيء من هذه
الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكرم بها سعادة وأما الألفاظ الموهمة
التي يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع فاعلم
أن الإنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم
حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور
فمن علم منهم فضله واقتداؤه حمل على القصد الجميل من هذا وأمثاله وإن
العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها كما وقع لأبي يزيد البسطامي
وأمثاله ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فمؤاخذ بما صدر عنه من ذلك إذا لم
يتبين لنا ما يحملنا على تأويل كلامه وأما من تكلم بمثلها وهو حاضر في حسه
ولم يملكه الحال فمؤاخذ أيضا ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر الصوفية بقتل
الحلاج لأنه تكلم في حضور وهو مالك لحاله والسلف المتصوفة من أهل الرسالة
أعلام الملة الذين أشرنا إليهم من قبل لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب ولا هذا
النوع من الإدراك إنما همهم الاتباع والاقتداء ما استطاعوا ومن عرض له شيء من

والله أعلم صح

ذلك

ذلك أعرض عنه ولم يحفل به بل يفرون منه ويرون أنه من العوائق والمحن
وأنه إدراك من إدراكات النفس مخلوق حادث وأن الموجودات لا تنحصر في
مدارك الإنسان وعلم الله أوسع وخلقه أكبر وشريعته بالهداية أملك فلم ينطقوا
بشيء مما يدركون بل حظروا الخوض في ذلك ومنعوا من يكشف له الحجاب
من أصحابهم من الخوض فيه والوقوف عنده بل يلتزمون طريقتهم كما كانوا في عالم
الحس قبل الكشف من الاتباع والاقتداء ويأمرون أصحابهم بالتزامها وهكذا
ينبغي أن يكون حال المريد والله أعلم بحقيقة الحال

## علم تعبير الرؤيا

هذا العلم من العلوم الشرعية وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع
وكتب الناس فيها وأما الرؤيا والتعبير لها فقد كان موجودا في السلف وربما
كان في الملل من قبل إلا أنه لم يصل إلينا للاكتفاء فيه بكلام المعبرين من أهل الإسلام
وإلا فالرؤيا موجودة في صنف البشر على الإطلاق ولا بد من تعبيرها وقد كان
يوسف الصديق صلوات الله عليه يعبر الرؤيا كما وقع في القرآن وكذا ثبت في
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر رضي الله عنه والرؤيا مدرك
من مدارك الغيب قال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين
جزءا من النبوة وقال لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح
أو ترى له وأول ما بدئ به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا فكان لا يرى
رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وكان صلى الله عليه وسلم إذا انفتل من صلاة
الغداة يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا يسألهم عن ذلك ليستبشر
بما يقع من ذلك فيما فيه ظهور الدين وإعزازه وأما السبب في كون الرؤيا مدركا
للغيب فهو أن الروح القلبي وهو البخار اللطيف المنبعث من تجويف
القلب اللحمي ينتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن وبه تكمل أفعال
القوى الحيوانية وإحساسها فإذا أدركه الملال بكثرة التصرف في الإحساس
بالحواس الخمس وتصريف القوى الظاهرة وغشي سطح البدن ما يغشاه من برد
الليل انخنس الروح من سائر أقطار البدن إلى مركزه القلبي فيستجم بذلك
لمعاودة فعله فتعطلت الحواس الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم كما تقدم في
أول الكتاب ثم إن هذا الروح القلبي هو مطية للروح العاقل من الإنسان والروح
العاقل مدرك لجميع ما في عالم الأمر بذاته إذ حقيقته وذاته عين الإدراك
وإنما يمنع من تعقله للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالبدن
وقواه وحواسه فلو قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع إلى حقيقته وهو
عين الإدراك فيعقل كل مدرك فإذا تجرد عن بعضها خفت شواغله فلا بد

كما هو في الخلف صح

والأمم صح

له من ادراك لمحة من عالمه بقدر ما تجرد له وهو في هذه الحالة قد خفت عنه شواغل الحس
الظاهر كلها وهي الشواغل الاعظم فاستعد لقبول ما هنالك من المدارك اللايقة
به من عالمه واذا ادرك ما يدرك من عوالمه رجع به الى بدنه اذ هو ما دام في بدنه
جسماني لا يمكنه التصرف الا بالمدارك الجسمانية والمدارك الجسمانية للعلم
انما هي الدماغية والمتصرف منها هو الخيال فانه ينتزع من الصور المحسوسة
صورا خيالية ثم يدفعها الى الحافظة تحفظها له الى وقت الحاجة اليها عند
النظر والاستدلال وكذلك تجرد النفس منها صورا اخرى نفسانية عقلية
فيترقى التجريد من المحسوس الى المعقول والخيال واسطة بينهما وكذلك
اذا ادركت النفس من عالمها ما تدركه القته الى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة
له ويدفعه الى الحس المشترك فيراه النايم كانه محسوس فيتنزل المدرك
من الروح العقلي الى الحسي والخيال ايضا واسطة هذه حقيقة الرويا
ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرويا الصادقة واضغاث الاحلام
الكاذبة فانها كلها صور في الخيال حالة النوم لكن ان كانت تلك الصور
متنزلة من الروح العقلي المدرك فهي رويا وان كانت ماخوذة من الصور التي
في الحافظة التي كان الخيال اودعها اياها منذ اليقظة فهي اضغاث احلام
واعلم ان للرويا الصادقة علامات تؤذن بصدقها وتشهد بصحتها
فيستشعر الرائي البشارة من الله بما القي اليه في نومه منها سرعة انتباه
الرائي عندما يدرك الرويا كانه يعاجل الرجوع الى الحس باليقظة ولو كان
مستغرقا في نومه لثقل ما القي عليه من ذلك الادراك فيفر من تلك الحالة
الى الحالة الحسية التي تبقى النفس فيها منغمسة بالبدن وعوارضه ومنها
ثبوت ذلك الادراك ودوامه بانطباع تلك الرويا بتفاصيلها في حفظه
فلا يتخللها سهو ولا نسيان ولا تحتاج الى احضارها بالفكر والتذكر
بل تبقى متصورة في ذهنه اذا انتبه ولا يعزب عنه شي منها لان الادراك
النفساني ليس بزماني ولا يلحقه ترتيب بل يدركه دفعة في زمن فرد
واضغاث الاحلام زمانية لانها في القوى الدماغية يستخرجها الخيال
من الحافظة الى الحس المشترك كما قلناه وافعال البدن كلها زمانية فيلحقها
الترتيب في الادراك والمتقدم والمتاخر ويعرض النسيان العارض
للقوى الدماغية وليس كذلك مدارك النفس الناطقة اذ ليست بزمانية
ولا ترتيب فيها وما ينطبع فيها من الادراكات ينطبع دفعة واحدة في
اقرب من لمح البصر وقد تبقى الرويا بعد الانتباه حاضرة في الحفظ اياما من
العمر لا تشذ بالغفلة عن الفكر بوجه اذا كان الادراك الاول قويا واذا كان

انما

انما يتذكر الرويا بعد الانتباه من النوم باعمال الفكر والتوجه اليها وينسى الكثير
من تفاصيلها حتى يتذكرها فليست الرويا بصادقة وانما هي من اضغاث الاحلام
وهذه العلامات من خواص الوحي قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لا تحرك به لسانك
لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه
والرويا لها نسبة من النبوة والوحي كما في الصحيح قال صلى الله عليه وسلم الرويا
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فلخواصها ايضا نسبة الى خواص النبوة
بذلك القدر فلا تستبعد ذلك فهذا وجهه والله الخالق لما يشاء واما معنى التعبير
فاعلم ان الروح العقلي اذا ادرك مدركه والقاه الى الخيال فصوره فانما يصوره
في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشي كما يدرك معنى السلطان الاعظم
فيصوره الخيال بصورة البحر او يدرك العداوة فيصورها الخيال في صورة الحية
فاذا استيقظ وهو لم يعلم من امره الا انه راى البحر او الحية فينظر المعبر
بقوة التشبيه بعد ان يتيقن ان البحر صورة محسوسة وان المدرك وراءها
ويهتدي بقراين اخرى تعين له المدرك فيقول مثلا هو السلطان لان البحر خلق
عظيم يناسب ان يشبه به السلطان وكذا الحية يناسب ان تشبه بالعدو
لعظم ضررها وكذا الاواني تشبه بالنسا لانهن اوعية وامثال ذلك ومن المراي
ما يكون صريحا لا يفتقر الى تعبير لجلايها ووضوحها او لقرب الشبه فيها بين
المدرك وشبهه ولهذا وقع في الصحيح الرويا ثلث رويا من الله ورويا من الملك
ورويا من الشيطان فالرويا التي من الله هي الصريحة التي لا تفتقر الى تاويل
والتي من الملك هي الرويا الصادقة تفتقر الى تاويل والرويا التي من الشيطان
هي الاضغاث واعلم ايضا ان الخيال اذا القي اليه الروح مدركه
فانما يصوره في القوالب المعتادة للحس وما لم يكن الحس ادركه قط من القوالب
فلا يصور فيه شيا فلا يمكن من ولد اعمى اكمه ان يصور له السلطان بالبحر ولا
العدو بالحية ولا النسا بالاواني لانه لم يدرك شيا من هذه وانما يصور له الخيال
امثال هذه في شبهها ومناسبها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمشمومات	بلغ صح
وليتحفظ المعبر من مثل هذا فربما اختلط به التعبير وفسد قانونه ثم ان
علم التعبير علم بقوانين كلية يبني عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتاويله كما
يقولون البحر يدل على السلطان وفي موضع اخر يقولون البحر يدل على الغيظ
وفي موضع اخر على الهم والامر الفادح ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو
وفي موضع اخر يقولون تدل على الحياة وفي موضع اخر يقولون هي كاتم سر
وامثال ذلك فيحفظ المعبر هذه القوانين الكلية ويعبر في كل موضع بما تقتضيه
القراين التي تعين من هذه ما هو اليق بالرويا وتلك القراين منها في اليقظة

ومنامه في النوم ومنها ما ينقدح في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه وكل ميسر لما خلق له ولم يزل هذا العلم متناقلا بين السلف وكان محمد بن سيرين فيه من اشهر العلماء وكتبت عنه في ذلك قوانين وتناقلها الناس لهذا العهد والف الكرماني فيه من بعده ثم الف المتاخرون واكثروا والمتداول بين اهل المغرب لهذا العهد كتب ابن ابي طالب القيرواني من علماء اهل القيروان مثل الممتع وغيره وكتاب الاشارات للسالمي من انفع الكتب فيه واخصرها وكذلك كتاب المرقبة العليا لابن راشد من مشيختنا بتونس وهو علم مضيء بنور النبوة للمناسبة التي بينهما ولكونها كانت من مدارك الوحي كما ثبت في الصحيح والله علام الغيوب

## العلوم العقلية واصنافها

واما العلوم العقلية التي هي طبيعية للانسان من حيث انه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل يوجد النظر فيها لاهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الانساني منذ كان عمران الخليقة وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على اربعة علوم **الاول** علم المنطق وهو علم يعصم الذهن عن الخطا في اقتناص المطالب المجهولة من الامور الحاصلة المعلومة وفائدته تمييز الخطا من الصواب فيما يلتمسه الناظر في التصورات والتصديقات الذاتية والعرضية ليقف على تحقيق الحق في الكائنات نفيا وثبوتا بمنتهى فكره ثم النظر بعد ذلك عندهم اما في المحسوسات من الاجسام العنصرية والمكونة عنها من المعدن والنبات والحيوان والاجسام الفلكية والحركات الطبيعية او النفس التي تنبعث عنها الحركات وغير ذلك ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي وهو العلم الثاني منها **واما** ان يكون النظر في الامور التي وراء الطبيعة من الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وهو العلم الثالث منها والعلم الرابع وهو الناظر في المقادير ويشتمل على اربعة علوم وهي التي تسمى التعاليم اولها علم الهندسة وهو النظر في المقادير على الاطلاق اما المنفصلة من حيث كونها معدودة او المتصلة وهي اما ذو بعد واحد وهو الخط او ذو بعدين وهو السطح او ذو ابعاد ثلاثة وهو الجسم التعليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها اما من حيث ذاتها او من حيث نسبة بعضها الى بعض وثانيها علم الارتماطيقي وهو معرفة ما يعرض للكم المنفصل الذي هو العدد ويوجد له من الخواص والعوارض اللاحقة وثالثها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الاصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد وثمرته معرفة تلاحين الغناء ورابعها علم الهيئة وهو تعيين الاشكال للافلاك وحصر اوضاعها وتعددها لكل كوكب من السيارة والثابتة والقيام

على

على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ومن رجوعها واستقامتها واقبالها وادبارها فهذه اصول العلوم الفلسفية وهي سبعة المنطق وهو المقدم وبعده التعاليم فالارتماطيقي اولا ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الالهيات ولكل واحد منها فروع تتفرع عنه فمن فروع الطبيعيات الطب ومن فروع علم العدد علم الحساب والفرائض والمعاملات ومن فروع الهيئة الازياج وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعديلها للوقوف على مواضعها متى قصد ذلك ومن فروع النظر في النجوم علم الاحكام النجومية ونحن نتكلم عليها واحدا بعد واحد الى اخرها **واعلم** ان اكثر من عني بها في الاجيال الذين عرفنا اخبارهم الامتان العظيمتان في الدولة قبل الاسلام وهما فارس والروم فكانت اسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفورا فيهم والدولة والسلطان قبل الاسلام وعصره لهم فكان لهذه العلوم بحور زاخرة في آفاقهم وامصارهم وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط عناية بالسحر والنجامة وما يتبعها من التاثيرات والطلسمات واخذ ذلك عنهم الامم من فارس ويونان واختص به القبط وطما بحرها فيهم كما وقع في المتلو من خبر هاروت وماروت وشان السحرة وما نقله اهل العلم من شان البرابي بصعيد مصر ثم تتابعت الملل بحظر ذلك وتحريمه فدرست علومه وبطلت كان لم تكن الا بقايا يتناقلها منتحلو هذه الصنائع الله اعلم بصحتها مع ان سيوف الشرع قائمة على ظهورها ومانعة من اختبارها **واما** الفرس فكان شان هذه العلوم العقلية عندهم عظيما ونطاقها متسعا لما كانت عليه دولهم من الضخامة واتساع الملك ولقد يقال ان هذه العلوم انما وصلت الى يونان منهم حين قتل الاسكندر دارا وغلب على مملكة الكينية فاستولى على كتبهم وعلومهم الا ان المسلمين لما افتتحوا بلاد فارس واصابوا من كتبهم وصحائف علومهم مالا ياخذه الحصر كتب سعد بن ابي وقاص الى عمر بن الخطاب يستاذنه في شانها وتنقيلها للمسلمين فكتب اليه عمر ان اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله باهدى منه وان يكن ضلالا فقد كفانا الله فطرحوها في الماء او في النار وذهبت علوم الفرس فيها عن ان تصل الينا **واما** الروم فكانت الدولة منهم ليونان اولا وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب وحملها مشاهير من رجالهم مثل اساطين الحكمة وغيرهم واختص فيها المشاؤون منهم اصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم كانوا يقرؤون في رواق يظلهم من الشمس والبرد

على ما زعموا واتصل فيها سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه
الى سقراط الدن ثم الى تلميذه افلاطون ثم الى تلميذه ارسطو ثم الى تلميذه
الاسكندر الافرودسي وتامسطيوس وغيرهم وكان ارسطو معلما للاسكندر
ملكهم الذي غلب الفرس على ملكهم وانتزع الملك من ايديهم وكان ارسخهم في هذه العلوم
قدما وابعدهم فيها صيتا وشهرة وكان يسمى المعلم الاول فطار له في العالم ذكر
ولما انقرض امر اليونانيين وصار الامر للقياصرة واخذوا بدين النصرانية
هجروا تلك العلوم كما تقتضيه الملل والشرائع فيها وبقيت في صحفها ودواوينها
مخلدة باقية في خزائنهم ثم ملكوا الشام وكتب هذه العلوم باقية فيهم ثم جاء الله بالاسلام
وكان لاهله الظهور الذي لا كفاء له وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه للامم
وابتدا امرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع حتى اذا تبحبح السلطان
والدولة واخذوا من الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتفننوا
في الصنائع والعلوم تشوفوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكمية بما سمعوا من
الاساقفة والاقسة المعاهدين بعض ذكر منها وبما تسمو اليه افكار الانسان فيها
فبعث ابو جعفر المنصور الى ملك الروم ان يبعث اليه بكتب التعاليم مترجمة
فبعث اليه بكتاب اوقليدس وبعض كتب الطبيعيات وقراها المسلمون واطلعوا على
ما فيها وازدادوا حرصا على الظفر بما بقي منها وجاء المامون من بعد ذلك وكانت له
في العلم رغبة بما كان ينتحله فانبعث لهذه العلوم حرصا واوفد الرسل على ملوك الروم
في استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك
فاوعى منه واستوعب وعكف عليها النظار من اهل الاسلام وحذقوا في فنونها وانتهت
الى الغاية انظارهم فيها وخالفوا كثيرا من آراء المعلم الاول واختصوه بالرد والقبول
لوقوف الشهرة عنده ودونوا في ذلك الدواوين واربوا على من تقدمهم في هذه العلوم
وكان من اكابرهم في الملة ابو نصر الفارابي وابو علي بن سينا بالمشرق والقاضي
ابو الوليد بن رشد والوزير ابو بكر بن الصايغ بالاندلس الى آخرين بلغوا الغاية
في هذه العلوم واختص هولاء بالشهرة والذكر واقتصر كثير على انتحال التعاليم وما ينضاف
اليها من علوم النجامة والسحر والطلسمات ووقفت الشهرة في هذا المنتحل على
جابر بن حيان من اهل المشرق ومسلمة بن احمد المجريطي من اهل الاندلس وتلميذه
ودخل على الملة من هذه العلوم واهلها داخلة واستهوت الكثير من الناس بما
جنحوا اليها وقلدوا آراءها والذنب في ذلك لمن ارتكبه ولو شاء الله ما فعلوه
ثم ان المغرب والاندلس لما ركدت ريح العمران بهما وتناقصت العلوم بتناقصه
اضمحل ذلك منهما الا قليلا من رسومه تجدها في تفاريق من الناس وتحت رقبة من علماء
السنة ويبلغنا عن اهل المشرق ان بضائع هذه العلوم لم تزل عندهم موفورة

وخصوصا



وخصوصا في عراق العجم وما بعده فيما وراء النهر وانهم على ثبج من العلوم العقلية
والنقلية لتوفر عمرانهم واستحكام الحضارة فيهم ولقد وقفت بمصر على تآليف
في المعقول متعددة لرجل من عظماء هراة من بلاد خراسان يشهر بسعد الدين التفتازاني
منها في علم الكلام واصول الفقه والبيان تشهد بان له ملكة راسخة في هذه العلوم
وفي اثنائها ما يدل على ان له اطلاعا على العلوم الحكمية وتضلعا وقدما عالية
في سائر العلوم العقلية والله يؤيد بنصره من يشاء وكذلك بلغنا لهذا العهد ان هذه العلوم
الفلسفية ببلاد الفرنجة من ارض رومة وما اليها من العدوة الشمالية نافقة
الاسواق وان رسومها هناك متجددة ومجالس تعليمها متعددة ودواوينها
جامعة وحملتها متوفرون وطلبتها متكثرون والله اعلم بما هنالك وهو يخلق ما يشاء ويختار

## العلوم العددية

واولها الارتماطيقي وهو معرفة خواص الاعداد من حيث التاليف اما على
التوالي او بالتضعيف مثل ان الاعداد اذا توالت متفاضلة بعدد واحد فان
جمع الطرفين منها مساو لجمع كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد ومثل ضعف
الواسطة ان كانت عدة تلك الاعداد فردا مثل الافراد على تواليها والازواج على
تواليها والافراد على تواليها ومثل ان الاعداد اذا توالت على نسبة واحدة بان
يكون اولها نصف ثانيها وثانيها نصف ثالثها الى اخرها او يكون اولها ثلث
ثانيها وثانيها ثلث ثالثها الى اخرها فان ضرب الطرفين احدهما في الاخر كضرب
كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد احدهما في الاخر ومثل مربع الواسطة
ان كانت العدة فردا وذلك مثل اعداد زوج الزوج المتوالية من اثنين فاربعة
فثمانية فستة عشر ومثل ما يحدث من الخواص العددية في وضع المثلثات
العددية والمربعات والمخمسات والمسدسات اذا وضعت متتالية في سطورها
بان تجمع من [illegible] الواحد الى العدد الاخير فيكون مثلثة وتتوالى المثلثات
هكذا في سطر تحت الاضلاع ثم تزيد على كل مثلث مثلث الضلع الذي قبله
فيكون مربعه وتزيد على كل مربع مثلث الذي قبله فيكون مخمسه وهلم جرا وتتوالى
الاشكال على توالي الاضلاع ويحدث جدول ذو طول وعرض ففي عرضه الاعداد
على تواليها ثم المثلثات على تواليها ثم المربعات على تواليها ثم المخمسات الى اخرها
وفي طوله كل عدد واشكاله بالغا ما بلغ ويحدث في جمعها وقسمة بعضها على
بعض طولا وعرضا خواص غريبة استقريت منها وتقررت في دواوينهم
مسائلها وكذلك ما يحدث للزوج والفرد وزوج الزوج وزوج الفرد وزوج الزوج
والفرد فان لكل منها خواص تختص به تضمنها هذا الفن وليست في غيره وهذا
الفن اول اجزاء التعاليم واثبتها ويدخل في براهين الحساب وللحكماء

المتقدمين والمتأخرين فيه تواليف واكثرهم يدرجونه في التعاليم ولا يفردونه بالتاليف فعل ذلك ابن سينا في كتاب الشفا والنجاة وغيره من المتقدمين واما المتأخرون فهو عندهم مهجور اذ هو غير متداول ومنفعته في البراهين لا في الحساب فهجروه لذلك بعد ان استخلصوا زبدته في البراهين الحسابية كما فعله ابن البنا في كتاب رفع الحجاب وغيره والله تعالى اعلم ومن فروع علم العدد

## صناعة الحساب

وهي صناعة عملية في حساب الاعداد بالضم والتفريق فالضم يكون في الاعداد بالافراد وهو الجمع وبالتضعيف اي يضاعف عدد باحاد عدد اخر وهذا هو الضرب والتفريق ايضا يكون في الاعداد اما بالافراد مثل ازالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح او تفصيل عدد باجزا متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة وسوا كان هذا الضم والتفريق في الصحيح من العدد او الكسر ومعنى الكسر نسبة عدد الى عدد وتلك النسبة تسمى كسرا وكذلك يكون الضم والتفريق في الجذور ومعناها العدد الذي يضرب في مثله فيكون منه العدد المربع والعدد الذي يكون مصرحا به يسمى المنطق ومربعه كذلك ولا يحتاج فيه الى تكلف عمل بالحساب والذي لا يكون مصرحا به يسمى الاصم ومربعه اما منطق مثل جذر ثلاثة الذي مربعه ثلثة واما اصم مثل جذر جذر ثلثة الذي مربعه جذر ثلثة وهو اصم ويحتاج الى عمل من الحساب فان تلك الجذور ايضا يدخلها الضم والتفريق وهذه الصناعة الحسابية حادثة احتيج اليها للحساب في المعاملات والف الناس فيها كثيرا وتداولوها في الامصار بالتعليم للولدان ومن احسن التعليم عندهم الابتدا بها لانها معارف متضحة وبراهينها منتظمة فينشا عنها في الغالب عقل مضي درب على الصواب وقد يقال ان من اخذ نفسه بتعليم الحساب اول امره انه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس فيصير له ذلك خلقا ويتعود الصدق ويلازمه مذهبا ومن احسن التواليف المبسوطة لها لهذا العهد صح بالمغرب كتاب الحصار الصغير ولابن البنا المراكشي فيه تلخيص ضابط لقوانين اعماله مفيد ثم شرحه بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مستغلق على المبتدي بما فيه من البراهين الوثيقة المباني وهو كتاب جليل القدر ادركنا المشيخة تعظمه وهو جدير بذلك وسا وقع فيه المولف رحمه الله كتاب فقه الحساب لابن منعم والكامل للاحدب ولخص براهينهما وغيرها عن اصطلاح الحروف فيها الى علل معنوية ظاهرة هي سر الاشارة بالحروف وزبدتها وهي كلها مستغلقة وانما جاءها الاستغلاق من طريق البرهان شان علوم التعاليم لان مسايلها واعمالها



واضحة كلها واذا قصد شرحها فانما هو اعطا العلل في تلك الاعمال وفي ذلك من العسر على الفهم ما لا يوجد في اعمال المسايل فتامله والله يهدي بنوره من يشا ومن فروعه

## الجبر والمقابلة

وهي صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض اذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك فاصطلحوا فيها على ان جعلوا للمجهولات مراتب من طريق التضعيف بالضرب اولها العدد لانه به يتعين المطلوب المجهول باستخراجه من نسبة المجهول اليه وثانيها الشي لان كل مجهول فهو من حيث ابهامه شي وهو ايضا جذر لما يلزم من تضعيفه في المرتبة الثانية وثالثها المال وهو مربع مبهم وما بعد ذلك فعلى نسبة الاس في المضروبين ثم يقع العمل المفروض في المسيلة فيخرج الى معادلة بين مختلفين او اكثر من هذه الاجناس فيقابلون بعضها ببعض ويجبرون ما فيها من الكسر حتى يكون صحيحا ويحطون المراتب الى اقل الاسوس ان امكن حتى تصير الى الثلاثة التي عليها مدار الجبر عندهم وهي العدد والشي والمال فان كانت المعادلة بين واحد وواحد تعين فالمال والجذر يزول ابهامه بمعادلة العدد ويتعين والمال ان عادل الجذور فيتعين بعدتها وان كانت المعادلة بين واحد واثنين اخرجه العمل الهندسي من طريق تفصيل الضرب في الاثنين وهي مبهمة فيعينها ذلك الضرب المفصل ولا تمكن المعادلة بين اثنين واثنين واكثر ما انتهت المعادلة عندهم الى ست مسايل لان المعادلة بين عدد وجذر ومال مفردة او مركبة تجي ستة واول من كتب في هذا الفن ابو عبد الله الخوارزمي وبعده ابو كامل شجاع بن اسلم وجا الناس على اثره فيه وكتابه في مسايله الست من احسن الكتب الموضوعة فيه وشرحه كثير من اهل الاندلس فاجادوا ومن احسن شروحاته كتاب القرشي وقد بلغنا ان بعض ايمة التعاليم من اهل المشرق انهى المعادلات الى اكثر من هذه الستة اجناس وبلغها الى فوق العشرين واستخرج لها كلها اعمالا وثيقة ببراهين هندسية والله يزيد في الخلق ما يشا ومن فروعه ايضا

## المعاملات

وهو تصريف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساحات والزكوات وساير ما يعرض فيه العدد من المعاملات تصرف في ذلك صناعتا الحساب في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها والغرض من تكثير المسايل المفروضة فيها حصول المران والدربة بتكرر العمل حتى ترسخ الملكة في صناعة الحساب ولاهل الصناعة الحسابية من اهل الاندلس فيها تواليف متعددة من اشهرها معاملات الزهراوي وابن السمح وابي مسلم ابن خلدون من تلميذ مسلمة المجريطي وامثالهم ومن فروعه ايضا

## الفرائض

وهي صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثات اذا تعددت
وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامهم على ورثته او زادت الفروض عند اجتماعها
وتزاحمها على كل المال او كان في الفريضة اقرار او انكار من بعض الورثة دون بعض
فيحتاج في ذلك كله الى عمل يعين به سهام الفريضة الى كم تصح وسهام الورثة
من كل بطن مصححا حتى تكون حظوظ الوارثين من المال على نسبة سهامهم من جملة
سهام الفريضة فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسوره وجذوره
ومعلومه ومجهوله وتترتب على ترتيب ابواب الفرائض الفقهية ومسايلها
فتشتمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من الفقه وهو احكام الوراثات
في الفروض والعول والاقرار والانكار والوصايا والتدبير وغير ذلك من مسايلها
وعلى جزء من الحساب وهو تصحيح السهمان باعتبار الحكم الفقهي وهي من اجل العلوم
وقد يورد اهلها احاديث نبوية تشهد بفضلها مثل الفرائض ثلث العلم
وانها اول ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندي ان ظواهر تلك الاحاديث كلها انما
هي في الفرائض العينية كما تقدم لا فرايض الوراثات فانها اقل من ان تكون
في كميتها ثلث العلم واما الفرايض العينية فكثيرة وقد الف الناس في هذا
الفن قديما وحديثا واوعبوا ومن احسن التواليف فيه على مذهب مالك
رحمه الله تعالى كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي ابي القسم الحوفي وكتاب ابن المنمر
والجعدي والصردي وغيرهم لكن الفضل للحوفي وكتابه مقدم على جميعها
وقد شرحه من شيوخنا ابو عبد الله محمد بن سليمن السطي كبير مشيخة فاس
فاوضح واوعب ولامام الحرمين فيها تواليف على مذهب الشافعي تشهد باتساع
باعه في العلوم ورسوخ قدمه وكذا الحنفية والحنابلة ومقامات الناس في العلوم
مختلفة والله يهدي من يشا

## العلوم الهندسية

هذا العلم هو الناظر في المقادير اما المتصلة كالخط والسطح والجسم
او المنفصلة كالاعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية مثل ان كل مثلث
فزواياه مثل قايمتين ومثل ان كل خطين متقاطعين متوازيين لا يلتقيان
في جهة ولو خرجا الى غير نهاية ومثل ان كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان
منهما متساويتان ومثل ان الاربعة المقادير المتناسبة ضرب الاول منها في
الثالث كضرب الثاني في الرابع وامثال ذلك والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة
كتاب اوقليدس ويسمى كتاب الاصول والاركان وهو ابسط ما وضع فيها للمتعلمين
واول ما ترجم من كتب اليونانيين في الملة ايام ابي جعفر المنصور ونسخه مختلفة



باختلاف المترجمين فمنها لحنين بن اسحق ولثابت بن قرة وليوسف بن الحجاج ويشتمل
على خمس عشرة مقالة اربعة في السطوح وواحدة في الاقدار المتناسبة وواحدة في
نسب السطوح بعضها الى بعض وثلاث في العدد والعاشرة في المنطقات والقوية
على المنطقات وخمس في المجسمات وقد اختصره الناس اختصارات كثيرة كما فعله

ومعناه الجذور صح

ابن سينا في تعاليم الشفا افرد له جزءا منها اختصه به وكذلك ابن الصلت في
كتاب الاقتصار وغيرهم وشرحه اخرون شروحا كثيرة وهو مبدا العلوم الهندسية بالاطلاق
واعلم ان الهندسة تفيد صاحبها اضاءة في عقله واستقامة في فكره
لان براهينها كلها بينة الانتظام جلية الترتيب لا يكاد الغلط يدخل اقيستها
لترتيبها وانتظامها فيبعد الفكر بممارستها عن الخطا وينشا لصاحبها عقل على
ذلك المهيع ولقد زعموا انه كان مكتوبا على باب افلاطون من لم يكن مهندسا
فلا يدخل منزلنا وكان شيوخنا رحمهم الله تعالى يقولون ممارسة علم الهندسة للفكر
بمثابة الصابون للثوب الذي يغسل منه الاقذار وينقيه من الاوضار والادران
وانما ذلك لما اشرنا اليه من ترتيبه وانتظامه ومن فروع هذا الفن

## الهندسة المخصوصة بالاشكال الكرية والمخروطات

اما الاشكال الكرية ففيها كتابان من كتب اليونان لثاوذوسيوس
وميلاوش في سطوحها وقطوعها وكتاب ثاوذوسيوس مقدم في التعليم
على كتاب ميلاوش لتوقف كثير من براهينه عليه ولا بد منهما لمن يريد الخوض في
علم الهيئة لان براهينها متوقفة عليهما فالكلام في الهيئة كله كلام في الكرات
السماوية وما يعرض فيها من القطوع والدواير باسباب الحركات كما نذكره
فقد يتوقف على معرفة احكام الاشكال الكرية سطوحها وقطوعها واما
المخروطات فهو من فروع الهندسة ايضا وهو علم ينظر فيما يقع في الاجسام المخروطة
من الاشكال والقطوع ويبرهن على ما يعرض لذلك من العوارض ببراهين هندسية
متوقفة على التعليم الاول وفايدتها تظهر في الصنايع العملية التي موادها
الاجسام مثل النجارة والبناء وكيف تصنع التماثيل [redacted] والهياكل كالقادرة

العربية صح

[redacted] وكيف يتحيل على جر الاثقال ونقل الهياكل بالهندام والمنجال وامثال
ذلك وقد افرد بعض المولفين في هذا الفن كتابا في الحيل العملية
يتضمن من الصناعات الغريبة والحيل المستظرفة كل عجيب وربما
استغلق على الفهوم لصعوبة براهينه الهندسية وهو موجود
بايدي الناس وينسبونه لبني شاكر ومن فروع الهندسة

## المساحة

وهو فن يحتاج اليه في مسح الارض ومعناه استخراج مقدار ارض معلومة

بنسبة شبر او ذراع او غيرهما او نسبة ارض من ارض اذا قويست بمثل ذلك
ويحتاج الى ذلك في توظيف الخراج على المزارع والفدن وبساتين الغراسة وفي
قسمة الحوايط والاراضي بين الشركا او الورثة وامثال ذلك وللناس
فيها موضوعات حسنة كثيرة ومن فروع الهندسة

### المناظر

وهو علم يتبين به اسباب الغلط في الادراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها
بنا على ان ادراك البصر يكون بمخروط شعاعي راسه نقطة الباصر وقاعدته
المرئي ثم يقع الغلط كثيرا في روية القريب كبيرا والبعيد صغيرا وكذا روية الاشباح
الصغيرة تحت الما ووراء الاجسام الشفافة كبيرة وروية النقطة النازلة من
المطر خطا مستقيما والشعلة دايرة وامثال ذلك فيتبين في هذا العلم اسباب
ذلك وكيفياته بالبراهين الهندسية ويتبين به ايضا اختلاف المنظر في القمر
باختلاف العروض التي ينبني عليها معرفة روية الاهلة وحصول الكسوفات
وكثير من امثال هذا وقد الف في هذا الفن كثير من اليونانيين واشهر من الف فيه من
الاسلاميين ابن الهيثم ولغيره فيه ايضا تواليف وهو من العلوم الرياضية وتفاريعها

### علم الهيئة

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحيرة ويستدل بكيفيات تلك
الحركات على اشكال واوضاع للافلاك لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة
بطرق هندسية كما يبرهن على ان مركز الارض مباين لمركز فلك الشمس بوجود حركة
الاقبال والادبار وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود
افلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الاعظم وكما يبرهن على وجود
الفلك الثامن بحركة الكواكب الثابتة وكما يبرهن على تعدد الافلاك للكوكب
الواحد بتعدد الميول له وامثال ذلك وادراك الموجود من الحركات وكيفياتها
واجناسها انما هو بالرصد فانا انما علمنا حركات الاقبال والادبار وكذا ترتيب
الافلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وامثال ذلك وكان اليونانيون
يعتنون بالرصد كثيرا ويتخذون له الالات التي توضع ليرصد بها حركة الكوكب
المعين وكانت تسمى عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبرهان عليه في
مطابقة حركتها لحركة الفلك منقول بايدي الناس واما في الاسلام فلم تقع
به عناية الا في القليل وكان في ايام المامون شي منه وصنع هذه الالة المعروفة
بذات الحلق وشرع في ذلك فلم يتم ولما مات ذهب رسمه واغفل واعتمد من
بعده على الارصاد القديمة وليست بمغنية لاختلاف الحركات باتصال الاحقاب
وان مطابقة حركة الالة في الرصد لحركة الافلاك والكواكب انما هو بالتقريب لا التحقيق

بلغ صح

فاذا

فاذا طال الزمان ظهر تفاوت ذلك التقريب وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست
على ما يفهم في المشهور انها تعطي صورة السماوات وترتيب الافلاك بالحقيقة
بل انما تعطي ان هذه الصور والهيات للافلاك لزمت عن هذه الحركات
وانت تعلم انه لا يبعد ان يكون الشي الواحد لازما لمختلفين وان قلنا
ان الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود الملزوم ولا يعطي الحقيقة
بوجه على انه علم جليل وهو احد اركان التعاليم ومن احسن التواليف فيه كتاب
المجسطي منسوب لبطليموس وليس من ملوك اليونانيين الذين اسماوهم
بطليموس على ما حققه شراح الكتاب وقد اختصره الايمة من حكما الاسلام مثل
ما فعله ابن سينا وادرجه في تعاليم الشفا ولخصه ابن رشد ايضا من حكما الاندلس وابن السمح
وابن الصلت في كتاب الاقتصار ولابن الفرغاني هيئة ملخصة قربها وحذف براهينها الهندسية
والله علم الانسان ما لم يعلم

### حساب الزيج

وهو صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته
وما ادى اليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطو واستقامة ورجوع وغير
ذلك يعرف به مواضع الكواكب في افلاكها لاي وقت فرض من قبل حسبان
حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ولهذه الصناعة قوانين
كالمقدمات والاصول لها في معرفة الشهور والايام والتواريخ الماضية واصول
متقررة من معرفة الاوج والحضيض والميول واصناف الحركات واستخراج
بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهيلا على المتعلمين وتسمى
الازياج ويسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة
تعديلا وتقويما وللناس فيه تواليف كثيرة للمتقدمين والمتاخرين مثل البتاني
وابن الكماد وقد عول المتاخرون لهذا العهد بالمغرب على زيج منسوب
لابن اسحق ويزعمون ان ابن اسحق عول فيه على الرصد وان يهوديا كان
بصقلية ماهرا في الهيئة والتعاليم وكان قد عني بالرصد وكان يبعث
اليه بما يقع من ذلك من احوال الكواكب وحركاتها فكان اهل المغرب لذلك
عنوا به لوثاقة مبناه فيما يزعمون ولخصه ابن البنا في اخر سماه المنهاج
فولع به الناس لما سهل من الاعمال فيه وانما يحتاج الى مواضع الكواكب
من الفلك لتنبني عليها الاحكام النجومية وهو معرفة الاثار التي تحدث
عنها باوضاعها في عالم الانسان من الملل والدول والمواليد البشرية والكواين
الحادثة كما نبينه بعد ونوضح فيه ادلتهم ان شا الله تعالى

### علم المنطق

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة للماهيات والحجج

المفيدة للتصديقات وذلك لان الاصل في الادراك انما هو المحسوسات بالحواس
الخمس وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الادراك من الناطق وغيره وانما يتميز
الانسان عنها بادراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات وذلك بان يحصل
في الخيال من الاشخاص المتفقة صورة منطبقة على جميع تلك الاشخاص المحسوسة
وهي الكلي ثم ينظر الذهن بين تلك الاشخاص المتفقة واشخاص اخرى توافقها
في بعض فيحصل له صورة تنطبق ايضا عليهما باعتبار ما اتفقا فيه ولا يزال يرتقي
في التجريد الى الكلي الذي لا يجد كليا اخر معه يوافقه فيكون لاجل ذلك بسيطا
وهذا مثل ما يجرد من اشخاص الانسان صورة النوع المنطبقة عليها ثم ينظر
بينه وبين الحيوان ويجرد صورة الجنس المنطبقة عليهما ثم بينهما وبين النبات
الى ان ينتهي الى الجنس العالي وهو الجوهر فلا يجد كليا يوافقه في شي
فيقف العقل هنالك عن التجريد ثم ان الانسان لما خلق الله له الفكر
الذي به يدرك العلوم والصنايع وكان العلم اما تصور للماهيات ويعني به
ادراك ساذج من غير حكم معه واما تصديق اي حكم بثبوت امر لامر فصار
سعي الفكر في تحصيل المطلوبات اما بان يجمع تلك الكليات بعض الى بعض
على جهة التاليف فيحصل صورة في الذهن كلية منطبقة على افراد في الخارج
فتكون تلك الصورة الذهنية مفيدة لمعرفة ماهية تلك الاشخاص واما
بان يحكم بامر على امر فيثبت له ويكون ذلك تصديقا وغايته في الحقيقة راجعة
الى التصور لان فايدة ذلك اذا حصل فانما هي معرفة حقايق الاشيا الذي
هو مقتضى العلم الحكمي وهذا السعي من الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد يكون
بطريق فاسد فاقتضى ذلك تمييز الطريق الذي يسعى به الفكر في تحصيل
المطالب العلمية ليتميز بها الصحيح من الفاسد فكان ذلك قانون المنطق
وتكلم فيه المتقدمون اول ما تكلموا اجمالا اجمالا ومتفرقا متفرقا ولم تهذب
طرقه ولم تجمع مسايله حتى ظهر في يونان ارسطو فهذب مباحثه ورتب
مسايله وفصوله وجعله اول العلوم الحكمية وفاتحتها ولذلك يسمى بالمعلم
الاول وكتابه المخصوص بالمنطق يسمى الفص وهو يشتمل على ثمانية كتب
اربعة منها في صورة القياس وخمسة في مادته وذلك ان المطالب
التصديقية على انحا منها ما يكون المطلوب فيه اليقين بطبعه ومنها
ما يكون المطلوب فيه الظن وهو على مراتب فينظر في القياس من حيث المطلوب
الذي يفيده وما ينبغي ان يكون مقدماته بذلك الاعتبار ومن اي جنس
تكون من العلم او الظن وقد ينظر في القياس لا باعتبار مطلوب مخصوص
بل من جهة انتاجه خاصة ويقال للنظر الاول انه من حيث المادة ونعني به

المادة

المادة المنتجة للمطلوب المخصوص من يقين او ظن ويقال للنظر الثاني انه من حيث
الصورة وانتاج القياس على الاطلاق فلذلك كانت كتب المنطق ثمانية الاول
في الاجناس العالية التي ينتهي اليها تجريد المحسوسات في الذهن وهي التي ليس
فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات والثاني في القضايا التصديقية واصنافها
ويسمى كتاب العبارة والثالث في القياس وصورة انتاجه على الاطلاق ويسمى
كتاب القياس وهذا اخر النظر من حيث الصورة ثم الرابع كتاب البرهان وهو النظر
في القياس المنتج لليقين وكيف يجب ان تكون مقدماته يقينية وتختص
بشروط اخرى لافادة اليقين مذكورة فيه مثل كونها ذاتية واولية وغير ذلك
وفي هذا الكتاب الكلام في المعرفات والحدود اذ المطلوب فيها انما هو اليقين
لوجوب المطابقة بين الحد والمحدود لا يحتمل غيرها فلذلك اختصت عند المتقدمين
بهذا الكتاب والخامس كتاب الجدل وهو القياس المفيد قطع المشاغب
وافحام الخصم وما يجب ان يستعمل فيه من المشهورات ويختص ايضا من جهة افادته
لهذا الغرض بشروط اخرى هي مذكورة هنالك وفي هذا الكتاب تذكر المواضع التي
يستنبط منها صاحب القياس قياسه الجامع بين طرفي المطلوب المسمى
بالوسط وفيه عكوس القضايا والسادس كتاب السفسطة وهو القياس
الذي يفيد خلاف الحق ويغالط به المناظر صاحبه وهو فاسد بالغرض الموضوع
وانما كتب ليعرف به القياس المغالطي فيحذر منه والسابع كتاب الخطابة
وهو القياس المفيد ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم وما يجب ان
يستعمل في ذلك من المقالات والثامن كتاب الشعر وهو القياس
الذي يفيد التشبيه والتمثيل خاصة للاقبال على الشي والنفرة عنه وما يجب
ان يستعمل فيه من القضايا التخييلية هذه كتب المنطق الثمانية عند المتقدمين
ثم ان الحكما اليونانيين بعد ان تهذبت الصناعة ورتبت راوا انه لا بد
من الكلام في الكليات الخمس المفيدة للتصور المطابق للماهيات في الخارج
او لاجزايها او عوارضها وهي الجنس والفصل والنوع والخاصة والعرض
العام فاستدركوا فيها مقالة تختص بها مقدمة بين يدي الفن فصارت
مقالاته تسعا وترجمت كلها في الملة الاسلامية وتداولها فلاسفة الاسلام
بالشرح والتلخيص كما فعله الفارابي وابن سينا ثم ابن رشد من فلاسفة
الاندلس ولابن سينا كتاب الشفا استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة
كلها ثم جا المتاخرون فغيروا اصطلاح المنطق والحقوا بالنظر في الكليات
الخمس ثمرته وهي الكلام في الرسوم والحدود نقلوها من كتاب البرهان
وحذفوا كتاب المقولات لان نظر المنطقي فيه بالعرض لا بالذات

بتمييز صح

والحقوا في كتاب العبارة الكلام في العكس وان كان من كتاب الجدل في كتب
المتقدمين لكنه من توابع الكلام في القضايا ببعض الوجوه ثم تكلموا في القياس
من حيث انتاجه للمطالب على العموم لا بحسب مادة وحذفوا النظر فيه بحسب
المادة وهي الكتب الخمسة البرهان والجدل والخطابة والشعر والسفسطة
وربما يلم بعضهم باليسير منها الماما واغفلوها كان لم تكن وهي المهم المعتمد في الفن
ثم تكلموا فيما وضعوه من ذلك كلاما مستبحرا ونظروا فيه من حيث انه فن برأسه
لا من حيث انه آلة للعلوم فطال الكلام فيه واتسع واول من فعل ذلك الامام فخر الدين
ابن الخطيب ومن بعده افضل الدين الخونجي وعلى كتبه معتمد المشارقة لهذا العهد
وله في هذه الصناعة كتاب كشف الاسرار وهو طويل ومختصر الموجز وهو حسن
في التعليم ثم مختصر الجمل في قدر اربعة اوراق اخذ بمجامع الفن واصوله يتداوله
المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كان لم تكن
وهي ممتلية من ثمرة المنطق وفايدته كما قلناه والله الهادي للصواب

**فصل** اعلم ان هذا الفن قد اشتد النكير على انتحاله من متقدمي
السلف والمتكلمين وبالغوا في الطعن عليه والتحذير منه وحظروا تعلمه وتعليمه
وجا المتاخرون من بعدهم من لدن الغزالي والامام ابن الخطيب فسامحوا في ذلك
بعض الشي واكب الناس على انتحاله من يومئذ الا قليلا يجنحون فيه الى الراي المتقدمين
فينفرون عنه ويبالغون في انكاره فلنبين لك نكتة القبول والرد في ذلك لتعلم
مقاصد العلما في مذاهبهم وذلك ان المتكلمين لما وضعوا علم الكلام لنصر العقايد
الايمانية بالحجج العقلية كانت طريقتهم في ذلك بادلة خاصة ذكروها في كتبهم
كالدليل على حدث العالم باثبات الاعراض وحدوثها وامتناع خلو الاجسام
عنها وما لا يخلو عن الحوادث حادث وكاثبات التوحيد بدليل التمانع واثبات
الصفات القديمة بالجوامع الاربعة الحاقا للغايب بالشاهد وغير ذلك
من ادلتهم المذكورة في كتبهم ثم قرروا تلك الادلة بتمهيد قواعد واصول هي كالمقدمات
لها مثل اثبات الجوهر الفرد والزمن الفرد والخلا ونفي الطبيعة والتركيب
العقلي للماهيات وان العرض لا يبقى زمنين واثبات الحال وهي صفة لموجود
لا موجودة ولا معدومة وغير ذلك من قواعدهم التي بنوا عليها ادلتهم الخاصة
ثم ذهب الشيخ ابو الحسن والقاضي ابو بكر والاستاذ ابو اسحق الى ان ادلة العقايد
منعكسة بمعنى انها اذا بطلت بطل مدلولها ولهذا راى القاضي ابو بكر
انها بمثابة العقايد والقدح فيها قدح في العقايد لابتنايها عليها واذا
تاملت المنطق وجدته كله يدور على التركيب العقلي واثبات الكلي الطبيعي في
الخارج لينطبق عليه الكلي الذهني المنقسم الى الكليات الخمس التي هي الجنس والنوع

والفصل

هي صح

والفصل والخاصة والعرض العام وهذا باطل عند المتكلمين والكلي والذاتي
عندهم انما هو اعتبار ذهني ليس في الخارج ما يطابقه او حال عند من يقول
بها فتبطل الكليات الخمس والتعريف المبني عليها والمقولات العشر
ويبطل العرض الذاتي فيبطل ببطلانه القضايا الضرورية الذاتية
المشترطة في البرهان عندهم وتبطل العلة العقلية فيبطل كتاب البرهان
وتبطل المواضع التي هي لباب كتاب الجدل وهي التي يوخذ منها الوسط
الجامع بين الطرفين في القياس ولا يبقى الا القياس الصوري ومن التعريفات
المساوي في الصادقية على افراد المحدود لا يكون اعم منها فيدخل غيرها
ولا اخص فيخرج بعضها وهو الذي يعبر عنه النحاة بالجمع والمنع والمتكلمون
بالطرد والعكس وتنهدم اركان المنطق جملة وان اثبتناها كما في
علم المنطق ابطلنا كثيرا من مقدمات المتكلمين فيودي الى ابطال ادلتهم على
العقايد كما مر فلهذا بالغ المتقدمون من المتكلمين في النكير على انتحال
المنطق وعدوه بدعة او كفرا على نسبة الدليل الذي يبطل والمتاخرون
من لدن الغزالي لما انكروا انعكاس الادلة ولم يلزم عندهم من بطلان الدليل
بطلان مدلوله وصح عندهم راي اهل المنطق في التركيب العقلي ووجود الماهيات
الطبيعية وكلياتها في الخارج قضوا بان المنطق غير مناف للعقايد الايمانية
وان كان منافيا لبعض ادلتها بل قد يستدلون على ابطال كثير من تلك
المقدمات الكلامية كنفي الجوهر الفرد والخلا وبقا الاعراض وغيرها ويستبدلون
من ادلة المتكلمين على العقايد بادلة اخرى يصححونها بالنظر والقياس العقلي
ولم يقدح ذلك عندهم في العقايد السنية بوجه وهذا راي الامام والغزالي
وتابعهما لهذا العهد فتامل ذلك واعرف مدارك العلما وماخذهم
فيما يذهبون اليه والله الهادي والموفق للصواب

## الطبيعيات

وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون فينظر في الاجسام
السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان ونبات ومعدن وما يتكون
في الارض من العيون والزلازل وفي الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق
والصواعق وغير ذلك وفي مبدا الحركة للاجسام وهو النفس على تنوعها
في الانسان والحيوان والنبات وكتب ارسطو فيه موجودة بين ايدي
الناس ترجمت مع ما ترجم من علوم الفلسفة ايام المامون والف
الناس على حدوها مستتبعين لها بالبيان والشرح لها واوعب
من الف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفا جمع فيه العلوم السبعة

رسالة صح

للفلاسفة كما قدمناه ثم لخصه في كتاب النجاة وفي كتاب الاشارات وكانه يخالف
ارسطو في الكثير من مسايلها ويقول فيها برايه واما ابن رشد فلخص كتب
ارسطو وشرحها متبعا له غير مخالف والف الناس بعده في ذلك كثيرا لكن
هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتبرة في الصناعة ولاهل المشرق عناية
بكتاب الاشارات لابن سينا وللامام ابن الخطيب عليه شرح حسن وكذا
الامدي وشرحه نصير الدين الطوسي المعروف بخواجه من اهل العراق وبحث مع الامام
في كثير من مسايله فاوفى على انظاره وبحوثه وفوق كل ذي علم عليم

## علم الطب

وهي صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ
الصحة وبرء المرض بالادوية والاغذية بعد ان يبين المرض الذي يخص
كل عضو [redacted] من اعضاء البدن واسباب تلك الامراض التي تنشا ومالكل
مرض من الادوية مستدلين على ذلك بامزجة الادوية وقواها وعلى المرض بالعلامات
الموذنة بنضجه وقبوله الدوا اولا في السحنة والفضلات والنبض محاذين
بذلك قوة الطبيعة فانها المدبرة في حالتي الصحة والمرض وانما الطبيب
يحاذيها ويعينها بعض الشي بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل
والسن ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب وربما افردوا بعض الاعضاء
بالكلام وجعلوه علما خاصا كالعين وعللها واكحالها وكذلك الحقوا بالفن
منافع الاعضا ومعناه المنفعة التي خلق لاجلها كل عضو من اعضاء
البدن الحيواني وان لم يكن ذلك من موضوع علم الطب الا انهم جعلوه
من لواحقه وتوابعه ولجالينوس في هذا الفن كتاب جليل عظيم المنفعة وهو
امام هذه الصناعة التي ترجمت كتبه فيها من الاقدمين يقال انه كان معاصرا
لعيسى عليه السلام وبقال مات بصقلية في سبيل تقلب ومطاوعة اغتراب
وتواليفه فيها هي الامهات التي اقتدى بها جميع الاطباء بعده وكان في
الاسلام في هذه الصناعة ايمة جاوا من ورا الغاية مثل الرازي والمجوسي
وابن سينا ومن اهل الاندلس ايضا كثير واشهرهم ابن زهر وهي لهذا العهد
في المدن الاسلامية كانها نقصت لخفوف العمران وتناقصه وهي من
الصنايع التي لا يستدعيها الا الترف كما نبينه بعد

## فصل

وللبادية من اهل العمران طب يبنونه في غالب الامر على تجربة قاصرة على
بعض الاشخاص ويتداولونه متوارثا عن مشايخ الحي وعجايزه وربما
يصح منه البعض الا انه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة للمزاج وكان
عند العرب من هذا الطب كثير وكان فيهم اطباء معروفون كالحارث ابن كلدة

الاكثارة

وغيره

وغيره والطب المنقول في النبوات من هذا القبيل وليس من الوحي في شي انما هو
امر كان عاديا للعرب ووقع في ذكر النبي [redacted] صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر
احواله التي هي عادة وجبلة لا من جهة ان ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل
فانه صلى الله عليه وسلم انما بعث ليعرفنا الشرايع [redacted] ولم يبعث لتعريف
الطب ولا غيره من العاديات وقد وقع له في شان تلقيح النخل ما وقع فقال انتم
اعلم باموردنياكم فلا ينبغي ان يحمل شي من الذي وقع من الطب في الاحاديث
الصحيحة المنقولة على انه مشروع فليس هناك ما يدل عليه اللهم الا ان استعمل
على جهة التبرك وصدق العقد الايماني فيكون له اثر عظيم في النفع وليس ذلك
من الطب المزاجي وانما هو من اثار الصدق في الكلمة الايمانية كما وقع
في مداواة المبطون بالعسل ونحوه والله الهادي الى الصواب

## علم الفلاحة

هذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهي النظر في النبات من حيث تنميته ونشوه
بالسقي والعلاج واستجادة المنبت وصلاحية الفصل وتعاهده بما يصلحه ويتمه
من ذلك كله وكان للمتقدمين لهم بها عناية كبيرة وكان النظر فيها عندهم من جهة غرسه
وتنميته [redacted] ومن جهة خواصه وروحانيته ومشاكلتها لروحانية الكواكب
والهياكل المستعمل ذلك في باب السحر فعظمت عنايتهم به لاجل ذلك وترجم
من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة النبطية منسوبة لعلماء النبط مشتملة
من ذلك على علم كبير ولما نظر اهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب وكان
باب السحر مسدودا والنظر فيه محظورا فاقتصروا منه على الكلام في النبات
من جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في النبات من جهته
غرسه وعلاجه وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في الفن الاخر منه جملة واختصر
ابن العوام كتاب الفلاحة النبطية على هذا المنهاج وبقي الفن الاخر منها مغفلا نقل
مسلمة في كتبه السحرية امهات من مسايله كما نذكره عند الكلام على السحر ان شاء الله وكتب
المتاخرين في الفلاحة كثيرة ولا يعدون الكلام فيها في الغراس والعلاج وحفظ
النبات من جوايحه وعوايقه وما يعرض في ذلك كله وهي موجوده

## علم الالهيات

وهو علم ينظر ابن عمه في الوجود المطلق فاولا في الامور العامة للجسمانيات
والروحانيات من الماهيات والوحدة والكثرة والوجوب والامكان وغير
ذلك ثم ينظر في مبادي الموجودات وانها روحانيات ثم في كيفية صدور
الموجودات عنها وترتيبها ثم في احوال النفس بعد مفارقة الاجسام
وعودها الى المبدا وهو عندهم علم شريف يزعمون انه يقفهم على معرفة الوجود

على ما هو عليه وان ذلك غير السعادة بزعمهم وسياتي الرد عليهم بعد وهو تال
للطبيعيات في ترتيبهم ولذلك يسمونه علم ما بعد الطبيعة وكتب المعلم
الاول فيه موجودة بين ايدي الناس ولخصها ابن سينا في كتاب الشفا
والنجا وكذلك لخصها ابن رشد من حكما الاندلس ولما وضع المتاخرون في علوم
القوم ودونوا فيها ورد عليهم الغزالي ما رده منها ثم خلط المتاخرون من المتكلمين
مسايل علم الكلام بمسايل الفلسفة لكثرة اشتراكها في المباحث وتشابه موضوع علم
الكلام بموضوع الالهيات ومسايله بمسايلها فصارت كانها فن واحد ثم غيروا
ترتيب الحكما في مسايل الطبيعيات والالهيات وخلطوهما فنا واحدا قدموا
فيه الكلام في الامور العامة ثم اتبعوه بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات
وتوابعها الي اخر العلم كما فعله الامام ابن الخطيب في المباحث المشرقية
وجميع من بعده من علما الكلام وصار علم الكلام مختلطا بمسايل الحكمة وكتبه محشوة
بها كان الغرض من موضوعهما ومسايلهما واحد والتبس ذلك على الناس وهو
غير صواب لان مسايل علم الكلام انما هي عقايد متلقاة من الشريعة كما نقلها
السلف من غير رجوع فيها الي العقل ولا تعويل عليه بمعنى انها لا تثبت
الا به فان العقل معزول عن الشرع وانظاره وما تحدث فيه المتكلمون من اقامة
الحجج فليس بحثا عن الحق فيها بالتعليل بالدليل بعد ان لم يكن معلوما كما هو شان
الفلسفة بل انما هو التماس حجة عقلية تعضد عقايد الايمان ومذاهب
السلف فيها وتدفع شبه اهل البدع عنها الذين يزعمون ان مداركهم فيها
عقلية وذلك بعد ان تفرض صحتها بالادلة النقلية كما تلقاها السلف
واعتقدوها وكثير ما بين المقامين وذلك ان مدارك صاحب الشريعة
اوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الانظار العقلية فهي فوقها ومحيطة بها
لاستمدادها من الانوار الالهية فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف
والمدارك المحاط بها فاذا هدانا الشارع الي مدرك فينبغي ان نقدمه على
مداركنا ونثق به دونها ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه بل
نعتقد ما امرنا به اعتقادا وعلما ونسكت عما لم نفهم من ذلك ونفوضه
الي الشارع ونعزل العقل عنه والمتكلمون انما دعاهم الي ذلك كلام اهل الالحاد
في معارضات العقايد السلفية بالبدع النظرية فاحتاجوا الي الرد
عليهم من جنس معارضاتهم واستدعى ذلك الحجج النظرية ومحاذاة العقايد السلفية بها
واما النظر في مسايل الطبيعيات والالهيات بالتصحيح والبطلان
فليس من موضوع علم الكلام ولا من جنس انظار المتكلمين فاعلم ذلك
لتميز به بين الفنين فانهما مختلطان عند المتاخرين في الوضع والتاليف

والحجج

والحجج متغايرة كل منهما لصاحبه بالموضوع والمسايل وانما جا الالتباس من اتحاد
المطالب عند الاستدلال وصار احتجاج اهل الكلام كانه انشا لطلب الاعتقاد
بالدليل وليس كذلك بل انما هو رد على الملحدين والمطلوب مفروض الصدق معلومه
وكذا جا المتاخرون من غلاة المتصوفة المتكلمين بالمواجد ايضا فخلطوا مسايل الفنين
بفنهم وجعلوا الكلام واحدا فيها كلها مثل كلامهم في النبوات والاتحاد والحلول
والوحدة وغير ذلك والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متغايرة مختلفة وابعدها
من جنس الفنون والعلوم مدارك المتصوفة لانهم يدعون فيها الوجدان ويفرون
عن الدليل والوجدان بعيد عن المدارك العلمية وانحايها وتوابعها
كما بيناه ونبينه والله الهادي الي الصواب بمنه وكرمه

## علوم السحر والطلسمات

وهي علم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التاثيرات في
عالم العناصر اما بغير معين او بمعين من الامور السماوية والاول هو السحر والثاني
هو الطلسمات ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرايع لما فيها من الضرر ولما يشترط
فيها من الوجهة الي غير الله من كوكب او غيره كانت كتبها كالمفقودة بين الناس
الا ما وجد في كتب الامم الاقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط
والكلدانيين [illegible] فان جميع من تقدمه من الانبيا لم يشرعوا الشرايع ولا
جاوا بالاحكام انما كانت كتبهم مواعظ وتوحيد الله وتذكيرا بالجنة والنار
وكانت هذه العلوم في اهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي اهل مصر من
القبط وغيرهم وكان لهم فيها التواليف والاثار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها الا
القليل مثل الفلاحة النبطية لابن وحشية من اوضاع اهل بابل فاخذ الناس هذا
العلم منها وتفننوا فيه ووضعت بعد ذلك الاوضاع مثل [illegible] مصاحف الكواكب
السبعة وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرهم ثم ظهر بالمشرق جابر
ابن حيان كبير السحرة في هذه الملة فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة
وغاص على زبدتها فاستخرجها ووضع فيها غيرها من التواليف واكثر الكلام فيها
وفي صناعة الكيميا لانها من توابعها لان احالة الاجسام النوعية من صورة
الي اخرى انما تكون بالقوى النفسانية لا بالصناعة العملية فهو من قبيل السحر
كما نذكره في موضعه ثم جا مسلمة بن احمد المجريطي امام اهل الاندلس في
التعاليم فلخص جميع تلك الكتب وهذبها وجمع طرقها في كتابه الذي سماه غاية
الحكيم ولم يكتب احد في هذا العلم بعده ولنقدم هنا مقدمة يتبين لك
منها حقيقة السحر وذلك ان النفوس البشرية وان كانت واحدة بالنوع فهي
مختلفة بالخواص وهي اصناف كل صنف مختص بخاصية لا توجد في

الصنف الاخر وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصنفها فنفوس الانبيا عليهم
السلام لها خاصية تستعد بها للانسلاخ من الروحانية البشرية الي الروحانية
الملكية حتي تصير ملكا في تلك اللمحة التي انسلخت فيها وهذا هو معني الوحي
كامر في موضعه وهي في تلك الحالة محصلة للمعرفة الربانية ومخاطبة الملايكة
عليهم السلام عن الله سبحانه وتعا[لي] كامر وما يتبع ذلك من التاثير في الاكوان
فاما تاثير الانبيا فبمدد الهي وخاصية ربانية ونفوس الكهنة لها خاصية
الاطلاع علي المغيبات بقوي شيطانية وهكذا كل صنف مختص بخاصية
لا توجد في الاخر والنفوس الساحرة علي مراتب ثلاثة ياتي شرحها فاولها المؤثرة
بالهمة فقط من غير الة ولا معين وهذا هو الذي يسميه الفلاسفة السحر
والثاني بمعين من مزاج الافلاك والعناصر او خواص من الاعداد ويسمونه الطلسمات
وهو اضعف رتبة من الاول والثالث تاثير في القوي المتخيلة يعمد صاحب
هذا التاثير الي القوي المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها
انواعا من الخيالات والمحاكاة وصورا مما يقصد من ذلك ثم ينزلها الي الحس من الرايين
بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراوون كانها في الخارج وليس هناك شي كما يحكي
عن بعضهم انه يري البساتين والانهار والقصور وليس هناك شي من ذلك ويسمي
هذا عند الفلاسفة الشعوذة او الشعبذة هذا تفصيل مراتبه ثم هذه الخاصية
تكون في الساحر بالقوة شان القوي البشرية كلها وانما تخرج الي الفعل بالرياضة
ورياضة السحر كلها انما تكون بالتوجه الي الافلاك والكواكب والعوالم العلوية
والشياطين بانواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهة الي غير الله
وسجود له والوجهة الي غير الله كفر فلهذا كان السحر كفرا والكفر من مواده واسبابه
كما رايت ولهذا اختلف الفقهاء في قتل الساحر هل هو لكفره السابق علي فعله
او لتصرفه بالافساد وما ينشا عنه من الفساد في الاكوان والكل حاصل منه ثم لما
كانت المرتبتان الاوليان من السحر لها حقيقة في الخارج والمرتبة الاخيرة الثالثة
لا حقيقة لها اختلف العلماء في السحر هل له حقيقة او انما هو تخييل فالقايلون
بان له حقيقة نظروا الي المرتبتين الاوليين والقايلون بانه لا حقيقة له نظروا
الي المرتبة الثالثة الاخيرة فليس بينهم اختلاف في نفس الامر انما جاء من قبيل
اشتباه هذه المراتب والله اعلم واعلم ان وجود السحر لا مرية فيه بين
العقلاء من اجل التاثير الذي ذكرناه وقد نطق به القران قال الله تعالي ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل علي الملكين ببابل هاروت
وماروت وما يعلمان من احد حتي يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون
منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله

وفي

بونده

ونفوس ... لها خاصية التاثير في الاكوان واستجلاب روحانية الكواكب ... والتاثير بقوة نفسانية ...

وفي الصحيح ان رسول الله صلي الله عليه وسلم سحر حتي كان يخيل اليه انه يفعل الشي
ولا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاقة وجف طلعة ودفن في بير ذروان
فانزل الله عز وجل عليه في المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد قالت عايشة
رضي الله عنها فكان لا يقرا علي عقدة من تلك العقد التي سحر فيها الا انحلت
واما وجود السحر في اهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسريانيين فكثير نطق
به القران وجاءت به الاخبار وكان للسحر في مصر وبابل ايام بعثة موسي عليه السلام
سوق نافقة ولهذا كانت معجزته من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقي من
اثار ذلك في البرابي بصعيد مصر شواهد دالة علي ذلك ورايناه بالعيان من يصور
صورة الشخص المسحور بخواص اشيا مقابلة لما نواه وحاوله موجودة بالمسحور
امثال تلك المعاني من اسما وصفات في التاليف والتفريق ثم يتكلم علي تلك
الصورة التي اقامها مقام الشخص المسحور عينا او معني ثم ينفث من ريقه
بعد اجتماعه في فيه بتكرار مخارج حروف ذلك الكلام السوء ويعقد علي ذلك
المعني في سبب اعده لذلك تفاولا بالعقد واللزام واخذ العهد علي من اشرك
به من الجن في نفثه في فعله ذلك استشعارا للعزيمة بالعزم ولتلك البنية
والاسما السيية روح خبيثة تخرج منه مع النفخ متعلقة بريقه الخارج من
فيه بالنفث فتنزل عنها ارواح خبيثة ويقع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله له
الساحر وشاهدنا ايضا من المنتحلين للسحر وعمله من يشير الي كسا او
جلد ويتكلم عليه في سره فاذا هو مقطوع متخرق ويشير الي بطون الغنم كذلك
في مراعيها بالبعج فاذا امعاها ساقطة من بطونها علي الارض وسمعنا ان
بارض الهند لهذا العهد من يشير الي انسان فيتحتت قلبه ويقع ميتا وينقلب
في حشاه ويشير الي الرمانة فلا يوجد من حبوبها شي وكذلك سمعنا
ان بارض السودان وارض الترك من يسحر السحاب فيمطر الارض المخصوصة
وكذلك راينا من عمل الطلسمات عجايب في الاعداد المتحابة وهي
ر ك د ف ر ف د
احد العددين ماتان وعشرون والاخر مايتان
واربعة وثمانون ومعني المتحابة ان اجزا كل واحد التي فيه من نصف
وربع وسدس وخمس وامثالها اذا جمع كان مساويا للعدد الاخر
صاحبه فتسمي لاجل ذلك المتحابة ونقل اصحاب الطلسمات ان لتلك
الاعداد اثرا في الالفة بين المتحابين واجتماعهما اذا وضع لهما تمثالان
احدهما بطالع الزهرة وهي في بيتها او شرفها ناظرة الي القمر نظر مودة وقبول
ويجعل طالع الثاني سابع الاول ويوضع علي احد التمثالين احد العددين
والاخر علي الاخر ويقصد بالاكثر الذي يراد ايتلافه اعني المحبوب

ونفخ ...

وقع ...

ما ادري الا اكثر كمية او الاكثر اجزا فيكون لذلك من التاليف العظيم بين المتحابين
ما لا يكاد ينفك احدهما عن الاخر قاله صاحب الغاية وغيره من ايمة هذا الشان
وشهدت له التجربة وكذا طابع الاسد ويسمى ايضا طابع الحصى وهو ان يرسم
في قالب هذا الطبع صورة اسد شايلا ذنبه عاضا على حصاة قد قسمها بنصفين
وبين يديه صورة حية منسابة من رجليه الى قبالة وجهه فاغرة فاها
الى فيه وعلى ظهره صورة عقرب تدب ويتحين لرسمه حلول الشمس بالوجه الاول
او الثالث من الاسد بشرط صلاح النيرين وسلامتهما من النحوس فاذا وجد
ذلك وعثر عليه طبع في ذلك الوقت في مقدار المثقال فما دونه من الذهب
وغمس بعد في الزعفران محلولا بما الورد ورفع في خرقة حرير صفرا فانهم يزعمون
ان لممسكه من العز على السلاطين في مباشرتهم وخدمتهم وتسخيرهم له ما لا يعبر
عنه وكذلك السلاطين فيه من القوة والعز على من تحت ايديهم ذكر ذلك ايضا اهل
هذا الشان في الغاية وغيرها وشهدت له التجربة وكذلك وفق المسدس
المختص بالشمس ذكروا انه يوضع عند حلول الشمس في شرفها وسلامتها من النحوس
وسلامة القمر بطالع ملوكي يعتبر فيه نظر صاحب العاشر لصاحب الطالع نظر
مودة وقبول ويصلح فيه ما يكون في مواليد الملوك من الادلة الشريفة ويرفع
في خرقة حرير صفرا بعد ان يغمس في الطيب فزعموا ان له اثرا في صحابة الملوك
وخدمتهم ومعاشرتهم وامثال ذلك كثير وكتاب الغاية لمسلمة بن احمد المجريطي
هو مدونة هذه الصناعة وفيه استيفاوها وكمال مسايلها وذكر لنا ان
الامام الفخر [illegible] بن الخطيب وضع كتابا في ذلك سماه السر المكتوم وانه
بالمشرق يتداوله اهله ونحن لم نقف عليه والامام لم يكن من ايمة هذا الشان
فيما نظن ولعل الامر بخلاف ذلك وبالمغرب صنف من هولا المنتحلين لهذه الاعمال
السحرية يعرفون بالبعاجين وهم الذين ذكرت اولا انهم يشيرون الى الكسا
او الجلد فيتخرق ويشيرون الى بطون الغنم بالبعج فتنبعج ويسمى احدهم
لهذا العهد باسم البعاج لان اكثر ما ينتحل من السحر بعج الانعام يرهب بذلك
اهلها ليعطوه من فضلها وهم متسترون بذلك في الغاية خوفا على انفسهم
من الحكام لقيت منهم جماعة وشاهدت من افعالهم هذه واخبروني ان لهم وجهة
ورياضة خاصة بدعوات كفرية واشراك لروحانية الجن والكواكب سطرت
فيها صحيفة عندهم تسمى الخزيرية يتدارسونها وان بهذه الرياضة والوجهة
يصلون الى حصول هذه الافعال وان التاثير الذي لهم انما هو فيما سوى
الانسان الحر من الامتعة والحيوان والرقيق ويعبرون عن ذلك بما يمشي
فيه الدراهم اي ما يملك ويباع ويشترى من ساير المتملكات هذا ما زعموه وسالت

الذي يوضع على تمثال المحبوب هو العدد الاقل كمية
الاكثر اجزاء وهو رك لانه زائد وعدد رفد على
تمثال المحب لانه عدد ناقص والمحب للشي ناقص
يطلب الكمال بالاتحاد ان امكن والا فبالقرب اهـ

بعضهم

بعضهم فاخبرني به واما افعالهم فظاهرة موجودة وقفنا على الكثير منها
وعاينتها من غير ريبة في ذلك هذا شان السحر والطلسمات واثارهما في
العالم فاما الفلاسفة ففرقوا بين السحر والطلسمات بعد ان اثبتوا انهما
جميعا اثر للنفس الانسانية واستدلوا على وجود الاثر للنفس الانسانية
بان لها اثارا في بدنها على غير المجرى الطبيعي واسبابه الجسمانية بل اثارا عارضة
من كيفيات الارواح تارة كالسخونة الحادثة عن الفرح والسرور ومن جهة التصورات
النفسانية اخرى كالذي يقع من قبل التوهم فان الماشي على حرف حايط او حبل
منتصب اذا قوي عنده توهم السقوط سقط بلا شك ولهذا تجد كثيرا من الناس
يعودون انفسهم ذلك بالدربة عليه حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم يمشون
على حرف الحايط والحبل المنتصب ولا يخافون السقوط فثبت ان ذلك
من اثار النفس الانسانية وتصورها للسقوط من اجل الوهم واذا كان ذلك
اثرا للنفس في بدنها من غير الاسباب الجسمانية الطبيعية فجايز ان يكون لها
مثل هذا الاثر في غير بدنها اذ نسبتها الى الابدان في ذلك النوع من التاثير واحدة
لانها غير حالة في البدن ولا منطبعة فيه فثبت انها موثرة في ساير الاجسام واما
التفرقة عندهم بين السحر والطلسمات فهو ان السحر لا يحتاج الساحر فيه الى معين
وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب واسرار الاعداد وخواص
الموجودات واوضاع الفلك الموثرة في عالم العناصر كما يقوله المنجمون ويقولون
السحر اتحاد روح بروح والطلسم اتحاد روح بجسم ومعناه عندهم ربط
الطبايع العلوية السماوية بالطبايع السفلية والطبايع العلوية هي روحانيات
الكواكب ولذلك يستعين صاحبه في غالب الامر بالنجامة والساحر عندهم غير
مكتسب لسحره بل هو مفطور على تلك الجبلة المختصة بذلك النوع من التاثير والفرق
عندهم بين المعجزة والسحر ان المعجزة قوة الهية تبعث في النفس ذلك التاثير
فهو مويد بروح الله على فعله ذلك والساحر انما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته
النفسانية وبامداد الشياطين في بعض الاحوال فبينهما الفرق في المعقولية
والحقيقة والذات في نفس الامر وانما نستدل نحن على التفرقة بالعلامات
الظاهرة وهي وجود المعجزة لصاحب الخير وفي مقاصد الخير وللنفوس المتمحضة
للخير والتحدي بها على دعوى النبوة والسحر انما يوجد لصاحب الشر وفي
افعال الشر في الغالب من التفريق بين الزوجين وضرر الاعدا وامثال ذلك
وللنفوس المتمحضة للشر هذا هو الفرق بينهما عند الحكما الالاهيين وقد يوجد
لبعض المتصوفة واصحاب الكرامات تاثير ايضا في احوال العالم وليس معدودا من
جنس السحر وانما هو بالامداد الالهي لان نحلتهم وطريقتهم من اثار النبوة

وتوابعها ولهم في المدد الالهي حظ عظيم على قدر حالهم وايمانهم وتمسكهم بكلمة الله
واذا اقتدر احد منهم على افعال الشر فلا ياتيها لانه متقيد فيما ياتيه ويذره
بالامر الالهي فما لا يقع لهم فيه الاذن لا ياتونه بوجه ومن اتاه منهم فقد عدا عن طريق الحق
وربما سلب حاله ولما كانت المعجزة بامداد روح الله والقوى الالهية فلذلك
لا يعارضها شيء من السحر وانظر شان سحرة فرعون مع موسى في معجزة العصى كيف
تلقفت ما يافكون وذهب سحرهم واضمحل كان لم يكن وكذلك لما انزل على النبي صلى الله
عليه وسلم في المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد قالت عايشة رضي الله عنها
فكان لا يقرا على عقدة من العقد التي سحر فيها الا انحلت فالسحر لا يثبت مع
اسم الله وذكره بالهمة الايمانية وقد نقل المؤرخون ان درفش كابيان وهي راية كسرى
كان فيها الوفق المئيني العددي منسوجا بالذهب في طوالع فلكية رصدت لوضع
ذلك فوجدت الراية يوم قتل رستم بالقادسية واقعة على الارض بعد انهزام اهل
فارس وشتاتهم وهو فيما يزعم اهل الطلسمات والاوفاق مخصوص بالغلب
في الحروب وان الراية التي يكون فيها او معها لا تنهزم اصلا الا ان هذه عارضها المدد
الالهي من ايمان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بكلمة الله فانحل معها
كل عقد سحري ولم يثبت وبطل ما كانوا يعملون واما الشريعة فلم تفرق بين السحر
والطلسمات والشعبذة وجعلته كله بابا واحدا محظورا لان الافعال انما اباح
لنا الشارع منها ما يهمنا في ديننا الذي فيه صلاح اخرتنا او في معاشنا الذي فيه
صلاح دنيانا وما لا يهمنا في شيء منهما فان كان فيه ضرر او نوع ضرر كالسحر الحاصل
ضرره بالوقوع ويلحق به الطلسمات لان اثرهما واحد وكالنجامة التي فيها نوع
ضرر باعتقاد التاثير فتفسد العقيدة الايمانية برد الامور الى غير الله فيكون
حينئذ ذلك الفعل محظورا على نسبته في الضرر وان لم يكن مهما علينا ولا فيه
ضرر فلا اقل من تركه قربة الى الله فان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فجعلت
الشريعة باب السحر والطلسمات والشعبذة بابا واحدا لما فيها من الضرر
وخصته بالحظر والتحريم واما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر فالذي ذكره
المتكلمون انه راجع الى التحدي وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه قالوا ووقوع
المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لان دلالة المعجزة على الصدق عقلية
لان صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحالة الصادق كاذبا وهو
محال فاذا لا تقع المعجزة مع الكذب باطلاق واما الحكماء فالفرق بينهما عندهم
كما ذكرناه فرق ما بين الخير والشر في نهاية الطرفين فالساحر لا يصدر منه
الخير ولا يستعمل في اسباب الخير وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل
في اسباب الشر وكانهما على طرفي النقيض في الخير والشر في اصل فطرتهما

والله

والله يهدي من يشاء **فصل** ومن قبيل هذه التاثيرات النفسانية
الاصابة بالعين وهو تاثير من نفس المعيان عندما يستحسن بعينه مدركا
من الذوات او الاحوال ويفرط في استحسانه وينشا عن ذلك الاستحسان
حينئذ انه يروم معه سلب ذلك الشيء عمن اتصف به فيؤثر فساده وهو جبلة
فطرية اعني هذه الاصابة بالعين والفرق بينها وبين التاثيرات النفسانية
ان صدوره فطري جبلي لا يتخلف ولا يرجع الى اختيار صاحبه ولا يكتسبه
وسائر التاثيرات وان كان منها ما لا يكتسب فصدورها راجع الى اختيار فاعلها
والفطري منها قوة صدورها لا نفس صدورها ولهذا قالوا القاتل بالسحر او
بالكرامة يقتل والقاتل بالعين لا يقتل وما ذاك الا لانه ليس مما يريده
ويقصده او يتركه وانما هو مجبور في صدوره عنه والله سبحانه وتعالى اعلم

## علم اسرار الحروف

وهو المسمى لهذا العهد بالسيميا نقل وضعه من الطلسمات اليه في اصطلاح اهل
التصرف من المتصوفة فاستعمل استعمال العام في الخاص وحدث هذا العلم
في الملة بعد صدر منها وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم الى كشف حجاب
الحس وظهور الخوارق على ايديهم والتصرفات في عالم العناصر وتدوين الكتب
والاصطلاحات ومزاعمهم في تنزل الوجود وترتيبه وزعموا ان الكمال
عن الواحد صح
الاسمائي مظاهره ارواح الافلاك والكواكب وان طبائع الحروف واسرارها
سارية في الاسماء فهي سارية في الاكوان على هذا النظام والاكوان من لدن
الابداع الاول تتنقل في اطواره وتعرب عن اسراره فحدث لذلك علم اسرار
الحروف وهو من تفاريع علوم السيميا لا يوقف على موضوعه ولا يحاط
بالعدد مسائله تعددت فيه تواليف البوني وابن العربي وغيرهما ممن اتبع
اثارهما وحاصله عندهم وثمرته تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالاسماء
الحسنى والكلمات الالهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالاسرار السارية
في الاكوان ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف بما هو فمنهم من
جعله للمزاج الذي فيه وقسم الحروف بقسمة الطبائع الى اربعة اصناف
كالعناصر واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرف
في طبيعتها فعلا وانفعالا بذلك الصنف فتنوعت الحروف بقانون صناعي
يسمونه التكسير الى نارية وهوائية ومائية وترابية على حسب تنوع
العناصر فالالف للنار والباء للهواء والجيم للماء والدال للتراب ثم ترجع كذلك
على التوالي من الحروف والعناصر الى ان تنفد فتعين لعنصر النار حروف

سبعة الالف والها والطا والميم والفا والشين والذال وتعين لعنصر الهوا
سبعة ايضا البا والواو والياو والنون والصاد والتا والضاد وتعين لعنصر الما
سبعة ايضا الجيم والزاي والكاف والسين والقاف والثا والظا وتعين لعنصر التراب
سبعة ايضا الدال والحا واللام والعين والرا والخا والغين فالحروف النارية
لدفع الامراض البادرة ولمضاعفة قوى الحرارة حيث تطلب مضاعفتها اما حسا
او حكما كما في تضعيف قوى المريخ في الحروب والقتل والفتك والمائية ايضا
لدفع الامراض الحارة من حميات وغيرها ولتضعيف القوى البارده حيث تطلب
مضاعفتها حسا او حكما كتضعيف قوى القمر وامثال ذلك ومنهم من جعل
سر التصرف الذي في الحروف للنسبة العددية فان حروف ابجد دالة
على اعدادها المتعارفة وضعا وطبعا فبينها من اجل تناسب الاعداد تناسب
في نفسها ايضا كما بين البا والكاف والرا لدلالتها كلها على الاثنين كل في مرتبته
فالبا على اثنين في مرتبة الاحاد والكاف على اثنين في مرتبة العشرات
والرا على اثنين في مرتبة المئين وكالذي بينها وبين الدال والميم والتا
لدلالتها على الاربعة وبين الاربعة والاثنين نسبة الضعف وخرج
للاسما اوفاق كما للاعداد يختص كل صنف من الحروف بصنف من
الاوفاق الذي تناسبه من حيث عدد الشكل او عدد الحروف وامتزج التصرف
من السر الحرفي والسر العددي لاجل التناسب الذي بينهما فاما سر هذا
التناسب الذي بين الحروف وامزجة الطبايع او بين الحروف والاعداد
فامر عسير على الفهم اذ ليس من قبيل العلوم والقياسات وانما مستندهم فيه
الذوق والكشف قال البوني ولا تظنن ان سر الحروف مما يتوصل اليه بالقياس
العقلي وانما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الالهي واما التصرف
في عالم الطبيعة بهذه الحروف والاسما المركبة منها وتاثر الاكوان عن ذلك
فامر لا ينكر لثبوته عن كثير منهم تواترا وقد يظن ان تصرف هولا وتصرف
اصحاب الطلسمات واحد وليس كذلك فان حقيقة الطلسم وتاثيره
على ما حققه اهله انه قوى روحانية من جوهر القهر تفعل فيما له ركب
فعل غلبة وقهر باسرار فلكية ونسب عددية وبخورات جالبة لروحانية
ذلك الطلسم مشدودة فيه بالهمة فايدتها ربط الطبايع العلوية بالطبايع
السفلية وهو عندهم كالخميرة المركبة من ارضية وهوايية ومائية ونارية
حاصلة في جملتها تحيل وتصرف ما حصلت فيه الى ذاتها وتقلبه الى صورتها
وكذلك الاكسير للاجسام المعدنية خميرة تقلب المعدن الذي تسري فيه
الى نفسها بالاحالة ولذلك يقولون موضوع الكيميا جسد في جسد لانه ربط

لان الاكسير اجزاؤه جسدانية ويقولون موضوع الطلسم روح في جسد

الطبايع

الطبايع العلوية بالطبايع السفلية والطبايع السفلية جسد والطبايع
العلوية روحانية وتحقيق الفرق بين تصرف اهل الطلسمات واهل الاسما
بعد ان تعلم ان التصرف في عالم الطبيعة كله انما هو للنفس الانسانية
والهمم البشرية لان النفس الانسانية محيطة بالطبيعة وحاكمة عليها بالذات
الا ان تصرف اهل الطلسمات انما هو في استنزال روحانية الافلاك
وربطها بالصور او بالنسب العددية حتى يحصل من ذلك نوع مزاج يفعل الاحالة
والقلب بطبيعته فعل الخميرة فيما حصلت فيه وتصرف اهل الاسما انما
هو بما حصل لهم بالمجاهدة والكشف من النور الالهي والامداد الرباني فيسخر
الطبيعة لذلك طايعة غير مستعصية ولا يحتاج الى مدد من القوى الفلكية
ولا غيرها وتحتاج اهل الطلسمات الى قليل من الرياضة تفيد النفس قوة
على استنزال روحانية الافلاك واهون بها درجة ورياضة بخلاف
اهل الاسما فان رياضتهم هي الكبرى وليست لقصد التصرف في الاكوان الرياضة صح
اذ هو حجاب وانما التصرف حاصل لهم بالعرض كرامة من كرامات الله لهم
فان خلا صاحب الاسما عن معرفة اسرار الله وحقايق الملكوت الذي هو نتيجة
المشاهدة والكشف واقتصر على مناسبة الاسما وطبايع الحروف والكلمات
وتصرف بها من هذه الحيثية وهولاء هم اهل السيميا المشهورة كان اذن
لا فرق بينه وبين اصحاب الطلسمات بل صاحب الطلسمات اوثق
منه لانه يرجع الى اصول طبيعية علمية وقوانين مترتبة واما صاحب
اسرار الاسما اذا فاته الكشف الذي يطلع به على حقايق الكلمات واثار
المناسبات بفوات الخلوص في الوجهة وليس له في العلوم الاصطلاحية
قانون برهاني يعول عليه فيكون حاله اضعف رتبة وقد يمزج صاحب الاسما
قوى الكلمات والاسما بقوى الكواكب فيعين لذكر الاسما الحسنى او ما
يرسم من اوفاقها بل ولساير الاسما اوقاتا تكون من حظوظ الكوكب
الذي يناسب ذلك الاسم كما فعله البوني في كتابه الذي سماه الانماط وهذه
المناسبة عندهم هي من لدن الحضرة العمائية وهي برزخية الكمال الاسمائي
وانما تنزل تفصيلها في الحقايق على ما هي عليه من المناسبة واثبات
هذه الكلمات عندهم انما هو بحكم المشاهدة فاذا خلا صاحب الاسما عن تلك
المشاهدة وتلقى تلك المناسبة تقليدا كان عمله بمثابة عمل صاحب الطلسم
بل هو اوثق منه كما قلناه وكذلك قد يمزج ايضا صاحب الطلسمات عمله
وقوى كواكبه بقوى الدعوات المولفة من الكلمات المخصوصة لمناسبة بين
الكلمات والكواكب الا ان مناسبة الكلمات عندهم ليس كما هي عند اصحاب

الاسماء الاطلاع على حال الكائنات وانما يرجع الى ما اقتضته اصول طريقتهم في
السحرية من اقسام الكواكب بجميع ما في عوالم المكونات من جواهر واعراض وذوات
ومعان والحروف والاسماء من جملة ما فيه فلكل واحد من الكواكب قسم
منها يخصه ويبنون على ذلك مباني غريبة منكرة من تقسيم سور القرآن وآيه
على هذا النحو كما فعله مسلمة المجريطي في الغاية والظاهر من حال البوني
في انماطه انه اعتبر طريقتهم فان تلك الانماط اذا تصفحتها وتصفحت الدعوات
التي تضمنتها وتقسيمها على ساعات الكواكب السبعة ثم وقفت على
الغاية وتصفحت قيامات الكواكب التي فيها وهي الدعوات التي تختص
بكل كوكب يسمونها قيامات الكواكب اي الدعوة التي يقام له بها شهد
لك ذلك انها بانه من مادتها او بان التناسب الذي كان في اصل الابداع
وبرزخ العلم مقتضى بذلك كله ~~[illegible] كلما حرم الشرع من العمل محظور النبوة~~
وقد ثبت ان السحر حق مع حظره ولكن حسبنا من العلم ما علمنا الله
وما اوتيتم من العلم الا قليلا **تحقيق ونكتة** من
السيميا كما تحقق لك انها ضرب من السحر تحصل برياضات شرعية
وذلك انا قدمنا ان التصرف في عالم الاكوان لصنفين من البشر هما
الانبياء بالقوة الالهية التي فطرهم الله عليها والسحرة بالقوة النفسانية
التي جبلوا عليها وقد تحصل للاولياء تصرف يكتسبونه بالكلمة الايمانية
وهو من نتائج التجريد ولا يقصدون الى تحصيله وانما ياتيهم عفوا حتى
والمتمكنون منهم اذا عرض لهم اعرضوا عنه واستعاذوا بالله منه وعدوه
محنة كما يحكى عن ابي يزيد البسطامي انه وافا شاطئ دجلة عشيا متحفزا
فالتقى له طرفا الوادي فاستعاذ بالله وقال لا ابيع حظي من الله بدانق وركب
السفينة عابرا مع الملاحين واما السحر فلا بد للجبلي منه من الرياضة ليخرج
من القوة الى الفعل وقد يحصل غير الجبلي منه بالاكتساب وهو دون الجبلي فتعانا
فيه الرياضة كما تعانا في الاول وهذه الرياضة السحرية معروفة وقد ذكر انواعها
وكيفيتها مسلمة المجريطي في كتاب الغاية وجابر بن حيان في رسائله وغيرهما
ويتعاطاها كثير ممن يقصد اكتساب السحر وتعلمه على قوانينها وشروطها
الا ان هذه الرياضة السحرية التي للاولين مشحونة بالكفريات كالتوجهات للكواكب
والدعوات لها التي يسمونها قيامات لاستجلاب روحانيتها وكاعتقاد التاثير
من غير الله في ربط الفعل بالطوالع النجومية ومناظرة الكواكب في البروج لتحصيل
الاثر المطلوب فاعتمد لذلك كثير ممن يروم التصرف في عالم الكائنات وقصدوا
طريق تحصيله على وجه يبعد عن ملابسة الكفر وانتحاله وقلبوا تلك

الرياضة

وليس كلما حرمه الشرع من العلوم بمنكر الثبوت فقد ثبت ان السحر حق مع حظره ولكن حسبنا من العلم ما علمنا الله صح

الرياضة شرعية باذكار وتسبيحات ودعوات من القرآن والاحاديث النبوية واهتدوا
الى معرفة المناسب منها للحاجة بما قدمناه من انقسام العالم بما فيه من ذوات وصفات
وافعال باثار الكواكب السبعة ويتحرون مع ذلك الساعات والايام المناسبة
لانقسامها كذلك ويستترون بتلك الرياضة الشرعية تحرجا من السحر المعهود
الذي هو كفر ويتمسكون بالوجهة الشرعية لعمومها وخلوصها كما فعله البوني في كتاب
الانماط وغيره من كتبه وفعله غيره وسموا هذه الطريقة بالسيميا توغلا في
الفرار من اسم السحر وهم في الحقيقة واقعون في معناه وان كانت الوجهة الشرعية
حاصلة لهم فلم يبعدوا كل البعد عن اعتقاد التاثير لغير الله ثم انهم يقصدون
التصرف في عالم الكائنات وهو محظور عند الشارع وما وقع منه للانبياء في
المعجزات فبامر الله واقداره وما وقع للاولياء فباذن من الله يحصل لهم بخلق العلم الضروري
الهاما وغيره [redacted] ولا يتعمدونه من دون اذن فلا تغترن
[redacted] بما يموهوا به هؤلاء في هذه السيميا فانما هي كما قررناه لك
من فنون السحر وضروبه والله الهادي الى الحق بمنه

تم

## فصل

**ومن فروع علم السيميا عندهم استخراج الاجوبة من الاسولة**
بارتباطات بين الكلمات حرفية يوهمون انها اصل في معرفة ما يحاولونه
عليه من الكائنات الاستقبالية وانما هي شبه المعاياة والمسائل السيالة
ولهم في ذلك كلام كثير من اوعبه واعجبه **زايرجة العالم للسبتي**
وقد تقدم ذكرها ونبين هنا ما ذكروه في كيفية العمل بتلك الزايرجة
وننقل القصيدة المنسوبة للسبتي بزعمهم في ذلك وبعدها
صفة الزايرجة بدوايرها وجدولها المكتوب حولها ثم نكشف
عن الحق فيها وانها ليست من الغيب وانما هي مطابقة بين مسئلة وجوابها
في الافادة فقط وقد اشرنا الى ذلك من قبل وليس عندنا رواية نعول

عليها

وهي ملحة من الملح الغريبة في استخراج الجواب من السوال بالصناعة التي يسمونها صناعة التكسير صح

عليها في صحة هذه القصيدة الا انا تحرينا اصح النسخ منها في ظاهر الامر وهي هذه

يقول سبيتي في تحمد ربه … مصل على هاد الى الناس ارسلا
محمد المبعوث خاتم الانبيا … ويرضى عن الصحب ومن له تلا
الا ان زايرجة العالم الذي … تراه بحس كم وبالعقل قد جلا
فمن احكم الوضع فيحكم جسمه … ويدرك احكاما تؤثرها العلا
ومن احكم الربط فيدرك قوة … ويدرك للتقوى وللكل حصلا
وفي عالم الامر تراه محققا … وهذا مقام من بالاذكار تكملا
فهذي سراير عليكم بكتمها … اقمها دواير او بالحا عدلا
وطا لها عرش وفيه نقوشها … بنظم ونثر وتراه محولا
ونسب دواير كنسبة فلكها … وارسم كواكب لادراجها العلا
وانجح لاوتاره واسم حروفها … وكرر بمثلها على حد من خلا
اقم شكل زيرهم وسو بيوته … وحقق بهم حيث نورهم جلا
وحصل علوما للطبايع مهندسا … وعلما بهيات والارباع مثلا
وسو بموسيقا وعلم حروفهم … وعلم باله محقق وحصلا
وسو دواير ونسب حروفها … وعالمها الاطلق والاقاليم جدولا
امير لنا يهوى بجاية دولة … زناتية اتت وحكم لها جلا
وقطر الاندلس فابن لهودهم … وجا بنو نصر وظفرهم تلا
ملوك وفرسان واهل الحكمة … فان شئت نصهم فقطرهم حلا
ومهدي موحد بتونس حكمهم … ملوك لمشرق بالاوفاق نزلا
واغشم على القطر وكن معتقدا … فان شئت بالرومي بالنحو فصلا
فتفتش وتر شلون والاسرفه … واخر نسلهم ذاك وبالطا كملا
ملوك كنا وه وسند مع مس … وفرس سطوطاى ومابعدهم طلا
معتصم جا ويزدجردهم … لكاف وسطهم بلا امد طولا
وعباس كلهم سريف معظم … ولكن تدكى ادا الفعل عطلا
فان شئت تدقيق الملوك وخطهم … محتم سويا ثم نسب وجدولا
على حكم قانون الحروف وعلمها … وعلم طبايعها وكله مسلا
فمن علم العلوم يعلم علمنا … ويعلم اسرار الوجود واجملا
فمن سح علم ويعرف ربه … وعلم صلاحهم بحكم فصلا
وحث الى اسم العروض يسعه … محكم الحكم منه قطعا لمعقلا
وبانك اعرف فشو لضربها … واعرف بسوه بانك فصلا
فمكن بسكر وقابل وعوضن … تزيمك الغالي للاجراء حللا



وفي العقد والمجذور يعرف غالبا … وزد تمح وصفيه ففي العقل كلا
واختر لمطلع وسو بيوته … واطلس محزره وبالدور عدلا
وسوركها المرء فيبلغ قصده … ويعطي حروفها في نظمها اجلا
اذا كان سعدا والكواكب اسعدت … تحبكه في الملك وسل بها العلا
واتقلع دالهم بيوم نحسه … مكتب دنا دسا نحد منه منهلا
واونار زبرهم فلكجاء بهم … ومساهم المملك بحكم قد جلا
وادخل بافلاك وعدل بجدول … وارسم اباجاد وباهه حملا
وحور سدود البحر بحرى وسله … الى في عروض الشعر حمله لا
واصله لنا واصل لفقهنا … وحل لبحونا فاحفظ وحصلا
وادخل لبسطا على العوا جاره … وسبح لاسمه وكبر وهللا
فصح اساسا في كل مطلب … سطح طبعي وسر العلا
ويعمها محورها كواصل عدهم … فعلم العوالم ترى فيه منهلا
فصح اساسا وعشرون شعف … ثم الف صعاقيا صاح جدولا
بركب صيا لعانى الضربا كملت … مصح لك المناوقح لك العلا
وسبح زبرهم واثنى بسعره … اقمها دوار الزير وحصلا
اقمها بالوفاق واصل لعدها … ثم اسرار حرفهم مقدر سلسلا

٣ عر كا اك وكح واه عم بد ٧ سع كط الم ح ع ف ى اعافر

الكلام على استخراج نسبة الاوزان وكيفيتها ومقادير المقابل منها ومواد الدرج المميزة بالنسبة الى موضع المعلومات امتزاج طبايع وعلم طب او صناعة الكيميا

ايا طالبا للطب من علم جابر … وعالم مقدار المقادير بالولا
اذا شئت علم الطب لا تدنسه … لاحكام ميزان تصادف منهلا
فشق عليكم والاكسير محكم … وامراج وشعل صحيح الكلا

## الطب الروحاني

رست الادس كا ع ا بد ودهنه تحلا لهرام رحس وسعة الكملا
لحلل اوحاع الموارد صحوا كذلك والتركيب حيث سعلا
كد سع مهه ٥ ٥ ٢ مع ٦ مع ٦ ى كا ٦ لع ١١١ بد فع ١ ى ٢ ص لا اف
بد بد ع ٧ هع ٢ ح ٢ نا ع ك ٢

## مطالع السعادات في موالد الملوك ونسبهم

وعلم مطارح الشعاعات مسكل … وطلع فيها بمنطقة حلا
ولكن في تح مقام امامنا … وسدوا ادا عرض الكواكب عدلا
مداك مراكز بين طولها وعرض … فمن ادركه تم موصلا

مواقع ربع وبعده لسقط    لعسد لسهم سلب سب الى ملا
براد لكربع وهذا قياسه    لعسا وحوزه وبالعس اعلا
وفي نسبة الربعين ركب    سعاعك نصاد وضعفه وربعه انجلا

احصص ٥ صح عـ ٨ سع ولى هذا العمل هنا بالملوك والعاقول نظر دعمله
ولم يزا عجب منه مقامات الملوك المقام الاول اه المقام الثاني ٩٧ ااا سع
المقام الثالث ح ة المقام الرابع ه المقام الخامس لى المقام السادس ٦
المقام السابع ع ٧ حط الاتصال والانفصال عه ٥ ع ٦ طا ع لح
خط الاتصال ر ١١ ا د ا ح لح حط الانفصال صح ا حـ د ٩ ع
الرر للجميع وبابع الجدر التام ااا ٩ ااا ولح ااا ك لح ى ى
الاتصال والانفصال ع لح الواجب التام في الانفصال ٥ صح ٨ لح ه
اقامة الانوار ٤ ع ٩ ٦ ش هـ الجدر المحبب في العمل صح ٢١ هـ ع ٩ ع
اقامة السوال عن الملوك ١ ٥ ه لا ح لح ١١ ك
مقام الاولاد مقام نور عه ع٩ مقام لها ٤ ح لا

## الانفعال الروحاني والانقياد الرباني

اما طالب السر لتهليل ربه    لدى اسمائه الحسنى تصادف منهلا
تطلعك احبار الامام بعلمهم    لذلك رسمهم وفي السمى اعلا
ترى جانة الناس الذى تقيدوا    وما قبله حقا متى الغير اهملا
طرائقك هذا السبل والسبل الذى    اعوانه عنكم ونصوكم احفلا
كرى السون والحسد مع سر صنعه    وفي سر بسطام اراك مسرلا
وفي العالم العلوى يكون محدما    كذا قالت الهند وصوفيه الملا
طراها رسول الله بالحق ساطع    وماحكم صنع مثل جبر انزلا
فطلسك تهليل وتوسك مطلع    ويوم الخميس البدو الاحد انجلا
وفي جمعه ايضا بالاسما مشلم    وفي اسى للحكم يكون مكملا
وفي طاسه سر وفي هامه اذا    اراك بها مع نسبة الكل اعطلا
وساعد سعد شرطه في نقوشها    وعود ومصطكا بخور تحصلا
وتلى عليها اخر الحشر دعوة    والاخلاص والسبع المثانى مرتلا

اتصال انوار الكواكب بلعالى لا هـ ح طع س لا م سع ن صح ه مـ لح مـ د م

وفي بدك اليمنى حديد وخاتم    وكل براسك وفي دعوه فلا
وآية حشر ما حصل العلا نورها    وائل اذا تام الامام ورتلا
هي السر في الاكوان لا سى غيرها    هي الآية العظمى تحقق وحصلا



يكون بها قطبا اذا احدث جدمه    وتدرك اسرارا من العالم العلا
سرى بها باجا ومعروف بجمع    وباح بها الحلاج جهرا فعطلا
وكان بها الشبلى يداب وانما    الى ان رقا فوق المريدين واعتلا
قصف من الادناس قلبك جاهدا    ولازم لاذكار وصم وسهلا
فما نال سر القوم الا محقق    عليم باسرار العلوم محصلا

ع صح ح ك ٧ ى لى ك لح صـ ـه لح ـ ى ١٤٦٨ لا ى ا ا ح د ف ل ص ح ا ك ا
مقام المحبة وسل النفوس والكاهن والطاعة والعبادة وحب وتعسع وما
العنا وتوحد ومرامه وحط دائمه الانفعال الطبيعي

لبرجيس في المحبة الوفق صرفوا    لتقصد راو بحاس الخلط اعملا
وقل نقصه صحيحا راسه تجعلكه    طالعا حظوظه ماعلا
توخ به زياده النور للقمر    وجعلك للعقول سمسه اصلا
ويومه والبخور عود لهندهم    ووقت لساعه ودعوته الا
ودعوته لعانة فهى اعملت    وعن طلسمان دعوه ولها الا
وقل بدعوه حروف لوضعها    بحر هوا او مطالب اهلا
فتفتش احرفا دال ولامها    في ذلك وفوق للربع حصلا
اذا لم يكن لهوى هواك دلالها    فدال لسعد واوا وورتب معطلا
فحش لسانه وبابهم الى هواك    وباسمهم ملقه حملا
وتعيش مساكل بشرط لبعضهم    ومارد بنسبة لتعلك عدلا
ومصباح مريم ومثلهما سوا    فمودى وقسطاس بسور بها تلا
وجعلها لعصد وكن معتقدا    ادلة وحتى لتقصه مسلا
ما عكس سورتها بالف وتقف    ساطعها سر وفي سرها انجلا

## فصل في الملقات للنهاية

لك العقب صوره من العالم العلا    وتوحد بها دارا وملبسها انجلا
وتوسف في الحس وهذا اشتبهه    سر وبرسل حقيقه انزلا
وفي بين طول وفي العقب باطن    فتحكى ال عود بحادث بلا
ومد حس يطول لعسوح جمالها    وعهد تحلها لبسطام احذلا
وبات احلبه واشرب حبرها    حسنه ونصرى والجسم اهملا
مطلب في التهليل عاشه ومن    باسمائه الحسنى بلا نسبه انجلا
ومن صاحب الحسنى له الفوز بالبقا    ويسمى بالرقى لذى حرة العلا
وتخبر بالغيب اذا احدث جدمه    تريك عجائبا الى كان موئلا
فهذا هو النور وحس سالم    ومنها زيادات لعصرها تلا

## الوصية والنجم والايمان والاسلام والتحريم والاهلية

فهذا قصدنا وتسعون عن    وما زاد خطبة وختما وصدولا
عدة لابيات وتسعون عدها    تولد انبانا وما حصرها الحلا
ممن فهم السر يفهم بنفسه    ويفهم بنفسه امثالها اسكلا
حرام وشرعي لا طها رسرنا    لناس وان حصوا وكانه الاهلا
فان ست اهله معلط لسهم    ويفهم رحله ودس نطو لا
لعلك ان تنحو وسامع سرهم    من العطع بالافشا فتراس بالعلا
محل العاس لسره كانم    فمال سعادات وبالعد علا
وقام رسول الله في الناس خاطبا    فمن راس عشرة فذلك اكملا
ومدرك الارواح احسادا مطهر    فمالك لعلهم بدق سطولا
الى العالم العلوي يعني خماونا    وتلبس ابواب الوجود على الولا
فقد تم نظمنا وصلى الهنا    على خاتم الرسل صلاة لها العلا
وصل اله العرش ذو المجد والعلى    على سيد الانام وكملا
محمد الهادي الشفيع امامنا    واصحابه اهل المكارم والعلا

برته باست عن الخلة بس ح اسع ے صے ۲ [illegible]

تصحيح النيرين وتعديل الكواكب عند كل تاريخ مطلوب

باس كل طووه 18 لو طرح الاوبار الكلية [illegible] ح
الاول م [illegible] ح [illegible]

كملت الزارجه    والله اعلم

## كيفية العمل في استخراج اجوبة المسايل
## من زايرجة العالم بحول الله

السوال له بلثمايه وستون جوابا عدد الدرج وتختلف الاجوبة عن سوال واحد في طالع مخصوص
باختلاف الاسولة المضافة الي حروف الاوتار وتناسب العمل في استخراج الاحرف من بيت القصيدة
تنبيه تركيب حروف الاوتار والجدول على ثلثة اصول حروف عربية تنتقل على هياتها وحروف
برشم الغبار وهي تتبدل فمنها ما ينتقل على هيئة متى لم تزد الادوار عن اربعة فان زادت
عن اربعة نقلت الى المرتبة الثانية من مرتبة العشرات وكذلك المرتبة المثين على حسب العمل
كالسفينة ومنها حروف برشم الزمام كذلك غير ان رشم الزمام يعطى نسبة ثانية
فهي بمنزلة واحد الف وبمنزلة عشرة ولها نسبة من خمسة بالعربي فما يخرج البيت من
الجدول ان توضع فيه ثلاثة حروف في هذا الرشم وحرفين في الرشم فاختصروا
من الجدول بيوتا خالية فمتى كانت اصول الادوار زايدة على اربعة حسبت
في العدد من طول الجدول وان لم تزد على اربعة لم تحسب الا العامر منها والعمل
في السوال يفتقر الى سبع اصول عن حروف الاوتار وحفظ ادوارها بعد طرحها اثنا عشر
وهي ثمانية ادوار في الكامل وستة في الناقص ابدا ومعرفة درج الطالع وسلطان البرج والدور
الاكبر الاصلي وهو واحد ابدا وما يخرج من اضافة الطالع للدور الاصلي وما يخرج من ضرب
الطالع والدور في سلطان البرج ٥ واضافة سلطان البرج للطالع والعمل جميعه ينتج
على ثلاثة ادوار مضروبة في اربعة تكن اثنا عشر دورا ونسبة من الثلثة ادوار التي
هي لكل دور من اربعة ثلثة كل نشاة لها ابتدا ثم انها تضرب ادوار رباعية
ايضا ثلاثية ثم انها من ضرب ستة في اثنين فكان لها نشاة
يظهر ذلك في العمل وتتبع هذه الادوار نتايج وهي الادوار اما
ان تكون نتيجة او اكثر الى ستة فاول ذلك نفرض سوال سايل عن الزايرجة هل هي علم
محدث ام قديم بطالع اول درجة من القوس فوضعنا حروف وتر راس القوس
ونظيره من راس الجوزا وثالثه وتر راس الدلو الى حد المركز واضفنا اليه حروف السوال
ونظرنا عددها واقل ما تكون ثمانية وثمانين واكثر ما تكون ستة وتسعين وهو جملة
دور صحيح فكانت في سوالنا ثلثة وتسعين وتختصر السوال ان زاد على ستة
وتسعين كما تسقط جميع ادواره الاثنا عشرية وتحفظ ما يخرج منها وما بقي فكانت
في سوالنا سبعة ادوار الباقي تسعة اثبتها في الحروف ما لم تبلغ الطالع اثنا عشر
درج فان بلغ لم تثبت لها عدد ولا دور ثم تثبت اعدادها ايضا ان زاد الطالع
عن اربعة وعشرين الوجه الثالث ثم تثبت الطالع وهو واحد وسلطان
الطالع وهو اربعة والدور الاكبر وهو واحد اجمع ما بين الطالع والدور

وهو

وهو اثنان في هذا السوال واضرب ما يخرج منهما في سلطان البرج يبلغ ثمانية
واضف السلطان للطالع يكون خمسة فهذا سبعة اصول فما يخرج من ضرب الطالع
والدور الاكبر في سلطان القوس ما لم يبلغ اثنا عشر فيه فتدخل في ضلع ثمانية من
اسفل الجدول صاعدا وان زاد على اثنى عشر طرح ادوارا وتدخل بالباقي
في ضلع ثمانية وتعلم على منتهى العدد والخمسة المستخرجة من السلطان والطالع يكون
المدخل في ضلع السطح المبسوط الاعلى من الجدول وتعد منوالية خمسات ادوارا
وتحفظها الى ان يقف العدد في مقابلة البيوت العامرة بالعدد من الجدول وان
وقف في مقابلة الخالي من بيوت الجدول على احدها فلا تعتبر على ادوار تك
على حرف من اربعة وهو الف او يا او جيم او زاي فوضع العدد في عملنا على حرف
الف وخلف ثلاثة ادوار فضربنا ثلاثة في ثلاثة كانت تسعة فهو عدد الدور الاول
فاثبته واجمع ما بين الضلعين القايم والمبسوط يكن في بيت ثمانية وادخل بعدد
ما في الدور الاول وذلك تسعة في صدر الجدول مما يلي البيت الذي اجتمعا فيه
مارا الى جهة اليسار وهو ثمانية فوقع على حرف لام الف ولا تخرج ابدا منها
حرف مركب وانما هو اذا حرف تا اربع مايه برشم الزمام فعلم عليها بعد نقلها
من بيت القصيدة واجمع عدد الدور للسلطان يبلغ ثلاثة عشر ادخل بها في حروف
الاوتار واثبت ما وقع عليه العدد وعلم عليه من بيت القصيدة وهو هذا
القانون تدري كم تدور الحروف في النظم الطبيعي وذلك ان تجمع حروف الدور الاول
وهو تسعة لسلطان البرج وهو اربعة يبلغ ثلاثة عشر اضفها لمثلها تكن ستة وعشرين
اسقط منه درج الطالع وذلك واحد من هذا السوال الباقي خمسة وعشرون فعلى
ذلك يكون نظم الحرف الاول ثم ثلثة وعشرون مرتبا ثم اثنان وعشرون مرتبا على
حسب هذا الطرح الى ان ينتهي الى الواحد من اخر البيت المنتظم ولا تقف
على اربعة وعشرين لطرح ذلك الواحد اولا ثم ضع الدور الثاني وضعف
حروف الدور الاول الى ثمانية الخارجة من ضرب الطالع والدور في السلطان تكن سبعة عشر
الباقي خمسة فاصعد في ضلع ثمانية خمسة من حيث انتهيت في الدور الاول وعلم
عليه وادخل في صدر الجدول بسبعة عشر ثم بخمسة ولا تعد الخالي والدور عشر تكن
فوجدنا حرف ثا خمسماية وانما هو ن لان دورنا في مرتبة العشرات وكانت
الخمسماية خمسين لان دورها سبعة عشر فلو تكن سبعة وعشرين لكان مثبتا
فاثبت نونا ثم ادخل بخمسة ايضا من اوله وانظر ما حاذى ذلك من السطح تجد واحدا
فهو العدد واحد ايقع على خمسة اضف لها واحدا السطح يكون ستة
اثبت واو وعلم عليها من بيت القصيدة اربعة وضعفها للثمانية الخارجة من
ضرب الطالع مع الدور في السلطان يبلغ اثنا عشر اضف لها الباقي من الدور

وتسعه صح

الثاني وهو خمسه يبلغ سبعة عشر وهو ما للدور الثاني فدخلنا بسبعة عشر من حروف
الاوتار فوقع العدد على واحد اثبت الف وعلم عليها من بيت القصيد واسقط
من حروف الاوتار ثلثة حروف عدة الخارجة من الدور الثاني وضع الدور الثالث
وضعف خمسه الي ثمانيه يكن ثلثة عشر الباقي واحد انقل الدور في ضلع ثمانية
بواحد وادخل في بيت القصيد بثلاثة عشر في حروف الاوتار واثبت ما خرج
وهو سين وعلم عليه من بيت القصيد ثم ادخل مما يلي السين الخارجة بالباقي
من دور ثلاثة عشر وذلك واحد فخذ ما يلي حرف سين من الاوتار فكان ب اثبتها
وعلم عليها من بيت القصيد وهذا يقال له الدور المعطوف وميزانه صحيح وهو ان
تضعف ثلاثة عشر بمثلها اليها وتضيف اليها الواحد الباقي من الدور يبلغ
سبعة وعشرين وهو حرف با المستخرج من الاوتار من بيت القصيد
وادخل في صدر الجدول بثلاثة عشر وانظر ما قابله من السطح واضعفه بمثله
وزد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر فكان حرف جيم وكانت الجملة سبعة
بمثلها وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكون خمسة عشر وهو الخامس عشر
من بيت القصيد وهذا اخر ادوار الثلاثيات وضع الدور الرابع وله من
العدد تسعة باضافة الباقي من الدور السابق فاضرب الطالع مع الدور في
السلطان وهذا الدور اخر العمل في البيت الاول من الرباعيات فاضرب
على حرفين من الاوتار واصعد بتسعة في ضلع ثمانيه وادخل بتسعة من دور
الحرف الذي اخذته اخرا من بيت القصيد فالتاسع حرف را فاثبته
وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بتسعة وانظر ما قابلها من السطح يكون خمسه
فهو العدد واحد يكون الف وهو الثاني من حرف الرا من بيت القصيد
فاثبته وعلم عليه وعد مما يلي الثاني تسعة يكون الف ايضا اثبته وعلم عليه
واضرب على حرف من الاوتار واضف تسعة لمثلها تبلغ ثمانية عشر وادخل
بها في حروف الاوتار تقف على حرف را اثبتها وعلم عليها من بيت
القصيد ثمانيه واربعة وادخل بثمانية عشر في حروف الاوتار تقف
على را اثبتها وعلم عليها اثنين وضعف اثنين الى تسعة تكن احد عشر
ادخل في صدر الجدول باحد عشر فقابلها من السطح الف اثبتها وعلم عليها
ستة وضع الدور الخامس وعدته سبعة عشر الباقي خمسة اصعد
بخمسة في ضلع ثمانيه واضرب على حرفين من الاوتار واضعف خمسه بمثلها
واضفها الى سبعة عشر عدد دورها الجملة سبعة وعشرين ادخل بها في حروف
الاوتار فيقع على ت اثبتها وعلم عليها اثنين وثلثين واطرح من سبعة عشر اثنين
التي هي في اثنين اثنين وثلثين الباقي خمسة عشر ادخل بها في حروف الاوتار تقف

وخذ ما وقع عليه العدد وهو ق وعلم عليه وادخل بثلاثة عشر صح

فذلك حرف زاي فاثبتناه وعلمنا عليه من بيت القصيد وميزانه ان تضعف سبعة





على قاف اثبتها وعلم عليها ستة وعشرين وادخل في صدر الجدول بستة وعشرين تقف
على اثنين بالغبار وذلك حرف با اثبته وعلم عليه اربعة وخمسين واضرب على حرفين
من الاوتار وضع الدور السادس وعدته ثلاثة عشر الباقي منه واحد فتبين اذ ذاك
ان دور النظم من خمسة وعشرين فان الادوار خمسة وتسعون وسبعة عشر
وخمسة وثلاثة عشر وواحد فاضرب خمسه في خمسة تكن خمسة وعشرين وهو
الدور في نظم البيت فانقل الدور في ضلع ثمانيه بواحد ولكن لم يدخلوا في بيت
القصيد بثلثة عشر كما قدمناه لانه دور ثاني من نشاة تركيبية ثانيه بل اسقطوا
الاربعة التي من اربعة وخمسين الخارجة على حرف با من بيت القصيد الى الواحد
يكون خمسه فضعف خمسه الى ثلثة عشر التي للدور تبلغ ثمانية عشر ادخل في صدر
الجدول بها وخذ ما قبلها من السطح وهو الف اثبته وعلم عليه من بيت القصيد
اثنا عشر واضرب على حرفين من الاوتار ومن هذا الحد تنظر احرف السوال
فما خرج منها رده مع بيت القصيد من اخره وعلم عليه من حروف السوال لكونه
داخلا في العدد في بيت القصيد وكذلك تفعل بكل حرف خرج بعد ذلك
مناسبا لحروف السوال فما خرج منها رده الى بيت القصيد من اخره وعلم عليه وكذلك
تفعل بكل حرف خرج بعد ذلك مناسبا لحروف السوال ثم اضف الى ثمانية عشر ما علمته على
حرف الالف من الاحاد فكان اثنين تبلغ الجملة عشرين ادخل بها في حروف الاوتار تقف
على حرف را اثبته وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين وهو نهاية الدور في الحرف
الوتري فاضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور السابع وهو ابتدا المخرج ثاني من تشكيل
من الاختراعين وبهذا الدور في العدد تسعة تضيف لها واحدا يكن عشرين للنشاة
الثانيه من الوجه ثم بعد الى اثني عشر دورا اذا كان من هذه النسبة او تنقصه
من الاصل تبلغ الجملة عشرة ثم اصعد في ضلع ثمانيه وتسعين وادخل في صدر الجدول بعشرين
تقف على خمسماية وانما هي خمسون لانه مضاعفة بمثلها وذلك قاف فاثبتها
وعلم عليها من بيت القصيد اثنين وخمسين ثم اسقط منه اثنين وخمسين اثنين ثم اسقط
تسعة التي للدور الباقي احد واربعون فادخل بها في حروف الاوتار تقف على را
اثبته وكذلك ادخل بها في بيت القصيد تجده واحدا فهذا ميزان هذه النشاة الثانية
تعلم عليه من بيت القصيد علامتين علامة في الالف الاخير الميزان واخرى على
الالف الاولى فقط والثانية اربعة وعشرون واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور
الثاني وعدده سبعة عشر الباقي خمسة ادخل في ضلع ثمانيه وخمسين وادخل في بيت
القصيد بخمسه تقع على ع سبعين اثبتها وعلم عليها وادخل في الجدول بالخمسة وخذ
ما قابلها من السطح وذلك واحد اثبته وعلم عليه من البلت ثمانيه واربعين واسقط
واحد من ثمانية واربعين لاجل الثاني واضف لها خمسة الدور الجملة اثنان وخمسون

ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف اثنين غبارية وهي مرتبة مثينية لتزايد العدد
فتكون مايتين وهي حرف ر آ اثبتها وعلم عليها من بيت التقصيد اربعة وعشرين فاعقل
الامرين ستة وتسعين الى الابتدا وهو اربعة وعشرون فضعف الى اربعة وعشرين خمسة الدور
واسقط [illegible] واحدا تكون الجملة ثمانية وعشرين ادخل بالنصف منها في بيت التقصيد
تقف على ثمانية اثبتها ح وعلم عليها وضع الدور التاسع وعدده ثلثة عشر الباقي واحد
اصعد في ضلع ثمانية بواحد وليست نسبة العمل هنا كنسبتها في الدور السادس
لتضاعف [illegible] العدد ولانه من النشاة الثانية ولانه اول الثلث الثالث من مربعات
البروج واخر النسبة الرابع من المثلثات فاضرب ثلثة عشر التي للدور في اربعة
التي هي مثلثات البروج تبلغ الجملة ثنان وخمسون ادخل بها في صدر الجدول تقف
على حرف اثنين غبارية وانما هي مثينية لتجاوز زيادة العدد عن مرتبتي الاحاد والعشرات
فاثبته مايتين ر آ وعلم عليها من بيت التقصيد ثمانية واربعين واضف الى ثلثة عشر
الدور واحد الاس وادخل باربعة عشر في بيت التقصيد تبلغ ح فعلم عليها ثمانية
وعشرين واطرح من اربعة عشر سبعة تبقى سبعة اضرب على حرفين من الاوتار وادخل
بسبعة تقف على حرف لام اثبته وعلم عليه من البيت وضع الدور العاشر وعدده
تسعة وهذا ابتدا المثلثة الرابعة واصعد في ضلع ثمانية وضع الدور العاشر وعدده
بتسعة يكون خطا فاصعد بتسعة ثانية تصير الى الرابع من الابتدا اضرب تسعة
في اربعة لصعودنا بتسعتين وانما كانت نضرب في اثنين ادخل في الجدول بستة
وثلثين تقف على اربعة زمامية وهي عشرية [illegible] فاحذ ناها احادية لعلة الادوار
فاثبت حرف دال وان اضفت الى ستة وثلثين واحد الاس كان صدا من بيت
التقصيد فعلم عليها ولو دخلت بتسعة لا غير من غير ضرب في صدر الجدول لوقف على
ثمانية فاطرح من ثمانية واربعين الباقي اربعة وهو المقصود ولو دخلت في صدر الجدول
بثمانية عشر التي هي تسعة في اثنين لوقف على واحد زمامي وهو عشرين فاطرح منه اثنين
تكرار التسعة الباقي ثمانية نصفها المطلوب ولو تدخل في صدر الجدول بسبعة
وعشرين ضربها في ثلاثة لوقف على عشرين زمامية من الشمال واحد ثم ادخل بتسعة
في بيت التقصيد وانت ما خرج وهو الف ثم اضرب تسعة في ثلاثة التي هي
مركز تسعة الماضية واسقط واحدا وادخل في صدر الجدول بستة وعشرين واثبت
ما خرج وهو مايتان بحرف ر آ وعلم عليه من بيت التقصيد ستة وتسعين واضرب
على حرفين من الاوتار وضع الدور الحادي عشر وله سبعة عشر الباقي خمسة اصعد في ضلع
ثمانية بخمسة وبحسب ما تكرر عليه المثنى في الدور الاول وادخل في صدر الجدول باربعة
تقف على خال محذ ما قابله من السطح وهو واحد فادخل بواحد في بيت التقصيد يكون
ر س اثبته وعلم عليه اربعة ولو تكون الوقوف في الجدول على بيت ما ثم لا ثبتنا الواحد

ثلثه



ثلثه واضعف سبعة عشر بمثلها واسقط واحدا منها واحد باربعة تبلغ سبعة وثلثين
ادخل بها في الاوتار تقف [illegible] على ه اثبتها وعلم عليها خمسة واضعفها بمثلها
وادخل في البيت تقف على ل اثبتها وعلم عليها عشرا واضرب على حرفين من الاوتار وضع
الدور الثاني عشر وله ثلثة عشر الباقي واحد اصعد في ضلع ثمانية بواحد وهو الدور
اخر الادوار واخر الاعشاري واخر المربعات الثلاثية واخر المثلثات الرباعية
فالواحد في صدر الجدول يقع على ثمانية زمامية وانما هي احاد ثمانية وليس معنا في الادوار
الا واحد فلو زاد على اربعة من مربعات اثني عشر او ثلثة من مثلثات اثني عشر لكانت
ح وانما هي د فاثبتها وعلم عليها من بيت التقصيد اربعة وتسعين ثم انظر
ما ناسبها من السطح يكن خمسة اضعفها بمثلها للاس تبلغ عشرة اثبت ي
وعلم عليها وانظر في اي المراتب وقعت وجدناها في السابعة فدخلنا بسبعة
في حروف الاوتار وهو المدخل يسمى التوليد الحرفي فكانت ف اثبتها وضعف الى
سبعة واحد الدور الجملة ثمانية ادخل بها في الاوتار تبلغ س اثبتها وعلم عليها
ثمانية واضرب ثمانية في ثلثة الزائدة على عشر الدور فانها اخر مربعات الادوار
بالمثلثات تبلغ اربعة وعشرين ادخل بها في بيت التقصيد وعلم على ما يخرج منها
وهو مايتان وعلامتها ستة وتسعون وهو نهاية الدور الثاني في الادوار الحرفية
واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الاولى لها تسعة وهذا العدد يناسب
ابدا الباقي من حروف الاوتار بعد طرحها ادوارا وذلك تسعة فاضرب تسعة في
ثلاثة التي هي زائدة على تسعين من حروف الاوتار وضعف لها واحدا الباقي من
الدور الثاني عشر يبلغ ثمانية وعشرين فادخل بها في حروف الاوتار تبلغ الف [illegible]
اثبته وعلم عليه ستة وتسعين وان ضربت تسعة التي هي ادوار الحروف التسعينية
في اربعة وهي الثلاثة الزائدة على تسعين والواحد الباقي من الدور الثاني عشر كذلك
واصعد في ضلع ثمانية بتسعة وادخل في الجدول بتسعة تبلغ اثنين زمامية واضرب
تسعة في ما ناسب من السطح وذلك ثلثة واضف لذلك سبعة عدد الادوار الحرفية
واطرح واحد الباقي من دور اثني عشر تبلغ ثلثة وثلثين ادخل بها في البيت تبلغ خمسة
فاضعفها واضعف تسعة بمثلها وادخل في صدر الجدول بثمانية عشر وخذ ما
في السطح وهو واحد ادخل به في حروف الاوتار تبلغ م اثبته وعلم عليه
واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الثانية ولها سبعة عشر الباقي
خمسة فاصعد في ضلع ثمانية وخمسين واضرب خمسة في ثلثة الزائد على تسعين تبلغ
خمسة عشر اضف لها واحد الباقي من الدور الثاني عشر يكن تسعة وادخل بستة
عشر في البيت يبلغ تا اثبته وعلم عليه اربعة وستين وضعف الى خمسة الثلثة الزائدة
على تسعين وزد واحد الباقي من الدور الثاني عشر يكن تسعة وثلثين ادخل بها في

صدر الجدول تبلغ ثلثين زماميه وانظر ما في السطح تجد واحد اثبته وعلم عليه في بيت القصيد
وهو التاسع ايضا في البيت وادخل بتسعة في صدر الجدول تقف على ثلثة وهو عشر ا
فاثبت لام وعلم عليه وضع النتيجة الثالثة وعددها ثلثة عشر الباقي واحد فانتقل في ضلع
ثمانية بواحد وضعف الى ثلثة عشر الثلثة الرابع على تسعين وواحد الباقي في الدور الثاني
عشر تبلغ سبعة عشر وواحد النتيجة يكون ثمانية عشر ادخل بباقي حروف الاوتار تلقي لام اثبتها
فهذا الغرض العمل المثال في هذا السوال بوج اردنا ان نعلم ان هذا الزايرجة
علم محدث ام قديم بطالع اول درج من القوس حروف الاوتار ثم حروف السوال
في الاصول وهي عدد الحروف ثلثة وتسعون ادوارها سبعة الباقي منها تسعة الطالع
واحد سلطان القوس اربعة الدور الاكبر واحد درج الطالع مع الدور اثنان ضرب الطالع
مع الدور في السلطان ثمانية اضافة السلطان للطالع خمسة **بيت القصيد**
سوال عظيم الخلق حزت فصن اذًا غرايب شك ضبطه الجد مثلا

**حروف الاوتار**

ص ط د ط ه ز ث ك ه م ض ص و ن ث ه ش ا ب ل م ن
ص ع ف ض ق ر س ي ك ل م ن ص ع ف ق ر س ت ث خ ذ
ظ غ ش ط ك ن ع ح ص ز و ح ل ص ك ل م ن ص ا ج د ه و ز ح ط ي

**السوال**

ا ل ز ي ر ج ة ع ل م م ح د ث ا م ق د ي م

الدور الاول
تسعه
الدور الثاني
سبعه وعشرين
الباقي خمسه
الدور الثالث
ثلثه عشر
الباقي
واحد
الدور الرابع
تسعه
الدور الخامس
سبعة عشر
الثالث
خمسة
الدور السادس
ثلثة عشر
الباقي
واحد
الدور السابع
تسعة
الدور الثامن
سبعة عشر
الباقي
خمسه

الدور التاسع
ثلثة عشر
الثاني
ا
الدور العاشر
تسعه
الدور الحادي عشر
سبعة عشر
الباقي
خمسة
الدور الثاني عشر
ثلثة عشر
الباقي
واحد
السبحه الاول
تسعة
السبحه الثانيه
سبعة عشر
الباقي
خمسه
السبحه الثالثه
ثلثة عشر
الباقي
واحد

س و ا ل ع ظ ي م ا ه ل خ ل ق ح ن ت ق ص ذ ا ذ ك غ د ا ي ب ش ك ض ب ط ه ا ه ٦

ث ون اق س ب ز د ا ا د س ا ث ق ب ا ر ق ا ع ا د م ح ر ج
ل د ا د س ه ا ل د ي ف س ر ا ه م ث ا ل ل

دورا على خمسة وعشرين ثم على ثلثة وعشرين مرتين ثم على احدى وعشرين مرتين الى ان ينتهي الواحد في اخر البيت وتسقط الحروف جميعها والله اعلم

مت روح ذ روح ا ل ق ا د س ا ب ر ز س ر ه ا ل ا د
د ي س ف ا س ت ر ق ا ب ه ا م ر ث ف ا ا ل ع ل ا

هذا اخر الكلام في استخراج الاجوبة من زايرجة العالم منظومة وللقوم طرايق اخر من غير الزايرجة يستخرجون بها اجوبة المسايل غير منظومة وعندي ان السر في خروج الجواب منظوما من الزايرجة انما هو من جهة بيت ملك بن وهيب وهو سوال عظيم الخلق البيت ولذلك تخرج الجواب على رويه واما الطرق الاخرى فيخرج منها الجواب غير منظوم فمن طرايقهم في استخراج الاجوبة ما ننقله عن بعض المحققين منهم

## فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من جهة الارتباطات الحرفية

اعلم ارشدنا الله واياك ان هذه الحروف اصل الاسولة في كل قضية وانما تستنتج الاجوبة على تجربة بالكلية وهي ثلاثة واربعون حرفا كما ترى

ا و ل ا ع ظ س ا ل م خ ي د ل ز ف ا ث ا ف ذ ص ر ن غ ش
ر ا ك ي ب م ض ب ج ط ل ح ه د ث ل ث ا

وقد نظمها بعض الفضلاء بيتا جعل فيه كل حرف مشدد من حرفين وسماه القطب فقال

سوال عظيم الخلق حزت فصن اذا غرايب شك ضبطه الجد مثلا

فاذا اردت استخراج المسيلة فاحذف ما تكرر من حروفها واثبت ما فضل منها ثم احذف من الاصل وهو القطب لكل حرف فضل من المسيلة حرفا يماثله واثبت ما فضل منه ثم امزج الفضلتين في سطر واحد تبدا بالاول من فضلة الاصل والثاني من فضلة المسيلة وكذلك الى ان يتم الفضلتين او ينفد احدهما قبل الاخر فتضع البقية على ترتيبها فان كان عدد الحروف الخارجة

ما يلي

ثم تاخذ وتر كل حرف بعد ضربه في اسوس اوتاد الفلك الاربعة واسقط الاوتاد وكذلك
السواقط فان نسبتها مضطربة وهذا الخارج هو اول رتبة السريان ثم تاخذ مجموع
العناصر وتحط منها اسوس المولدات تبقى اسوس عالم الخلق بعد عروضه للمداد الكونية
فتحمل عليه بعض المجردات عن المواد وهي عناصر الامداد تخرج افق النفس الاوسط
وتطرح اول رتب السريان من مجموع العناصر يعني عالم التوسط وهذا مخصوص
بعالم الاكوان من البسيطة لا المركبة وتضرب عالم التوسط في افق النفس الاوسط
تخرج الافق الاعلى فتحمل عليه اول رتب السريان ثم تطرح من الرابع اول عناصر
الامداد الاصلي يبقى ثالث رتبة السريان فتضرب مجموع اجزا العناصر ابداً في رابع
مرتبة السريان تخرج اول عالم التفصيل والثاني في الثاني تخرج ثاني عالم التفصيل
والثالث في الثالث تخرج ثالث عالم التفصيل والرابع في الرابع تخرج رابع عالم
التفصيل فتجمع عوالم التفصيل وتحط من عالم الكل يبقى العوالم المجردة فتنقسم
على الافق الاعلى تخرج الجزء الاول وتقسم المنكسر على الافق الاوسط تخرج الجزء
الثاني وما انكسر فهو الثالث وينفي الرابع هذا في الرباعي وان شئت اكثر
من رباعي فتتكثر من عوالم التفصيل ومن رتب السريان ومن الاوفاق بعدد
الحروف والله يرشدنا واياك وكذلك اذا قسم عالم التجريد على اول رتب
السريان تخرج الجزء الاول من عالم التركيب وكذلك الى نهاية الرتبة الاخيرة من
عالم الكون فافهم وتدبر والله المرشد المعين **ومن طرايقهم**
ايضاً في استخراج الجواب قال بعض المحققين منهم اعلم ايدنا الله واياك بروح
منه ان علم الحروف علم جليل يتوصل العالم به لما لا يتوصل بغيره من العلوم
المتداولة بين العالم وللعمل به شرايط تلتزم وقد يستخرج العالم به اسرار الخليقة
وسراير الطبيعة فيطلع بذلك [redacted] على نتيجتي الفلسفة اعني السيميا واختها
ويرفع له حجاب المجهولات ويطلع بذلك على مكنون خبايا القلوب وقد شهد
جماعة بارض المغرب ممن اتصل بذلك فاظهر العجايب وخرق العوايد وتصرف
في الوجود بتاييد الله واعلم ان ملاك كل فضيلة الاجتهاد وحسن الملكة
مع الصبر مفتاح كل خير كما ان الخرق والعجلة راس الحرمان **فاقول**
اذا اردت ان تعلم قوة كل حرف من حروف النافيطوس اعني الجدول الاخر العدد
وهذا اول مدخل من علم الحرف فانظر ما لذلك الحرف من الاعداد فتلك الدرجة
التي هي مناسبة للحرف هي قوته في الجسمانيات ثم اضرب العدد في مثله
تخرج لك قوته في الروحانيات وهي وتره وهذا في الحروف المنقوطة لا ينتم
بل ينتم في الغير منقوطة لان المنقوط منها مراتب لمعان ياتي عليها البيان فيما بعد
واعلم ان لكل شكل من اشكال الحروف شكلا في العالم العلوي اعني الكرسي

ومنها

ومنها المتحرك والساكن والعلوي والسفلي كما هو مرقوم في اماكنه من الجداول الموضوعة
في الزايرجة واعلم ان قوى الحروف ثلاثة اقسام الاول وهو اقلها قوة
يظهر بعد كتابتها فتكون كتابة لعالم روحاني مخصوص بذلك الحرف المرسوم
فمتى خرج ذلك الحرف بقوة نفسانية وجمع همة كانت قوى الحروف مؤثرة في
عالم الاجسام الثاني قوتها في الهيئة الفكرية وذلك ما يصدر عن تصريف الروحانيات
لها فهي قوة في الروحانيات العلويات وقوة شكلية في عالم الجسمانيات
الثالث وهو ما يجمع الباطن اعني القوة النفسانية على تكوينه فتكون قبل النطق
به صورة في النفس وبعد النطق به صورة في الحروف وقوة في النطق
**واما طبايعها** فهي الطبايع المنسوبات للمتولدات وهي الحرارة واليبوسة
والحرارة والبرودة والبرودة والرطوبة والبرودة واليبوسة فهذا اسر العدد
الثماني والحرارة جامعة للهوا والنار **وهما**

ا ه ط م ف ش ذ ب ز ك س ق ث ظ

والبرودة جامعة للارض والما

د ح ل ع ر خ غ ب و ي ن ص ت ض

والرطوبة جامعة للهوا والما

ج ز ك س ق ث ظ د ح ل ع ر خ غ

واليبوسة جامعة للنار والارض

ا ه ط م ف ش د ب و ي ن ص ت ض

فهذه نسبة حروف الطبايع وتداخل اجزا بعضها في بعض وتداخل اجزا
العالم فيها علويا وسفليا باسباب الامهات الاول اعني الطبايع الاربع المفردة
**فصل** ومتى اردت استخراج مجهول من مسئلة ما فحقق طالع السايل
او طالع مسئلة واستنطق حروف اوتادها الاربعة ا د ع د ه د ا
مستويه مرتبة واستخرج اعداد القوى والاوتاد كما سنبين واجمل ونسب
واستنتج الجواب يخرج لك المطلوب اما بصريح اللفظ او بالمعنى وكذلك في كل مسئلة
تقع لك **بيانه** اذا اردت ان تستخرج قوى حروف الطالع مع اسم السايل
والحاجة فاجمع اعدادها بالجمل الكبير فكان الطالع الحمل رابعه السرطان
سابعه الميزان عاشره الجدي وهو اقوى هذه الاوتاد فاسقط من كل برج حرف
التعريف وانظر ما يخص كل برج من الاعداد المنطقة الموضوعة لدوايرها واحذف
اجزا الكسر في النسبة الاستنطاقية كلها واثبت تحت كل حرف ما يخصه من ذلك
من اعداد حروف العناصر الاربعة وما يخصها كالاول وارسم ذلك كله احرفا

ورتب الاوتاد والقوى والعزايز سطرا ممتزجا وكسر واضرب ما يضرب لاستخراج الموازين واجمع واستفتح الجواب تخرج لك الضمير وجوابه **مثال** ذلك افرض ان الطالع الحمل كما تقدم ترسم ح م ل فللحا من العدد ثمانية لها النصف والربع والثمن د ب ا الميم لها من العدد اربعون لها النصف والربع والثمن والعشر ونصف العشر ان اردت التدقيق م ك ى ه د ب اللام لها من العدد ثلثون لها النصف والثلثان والثلث والخمس والسدس والعشر يه ك ي و ه ح وهكذا تفعل بحروف الجملة والاسم من كل النطايق لك **واما** استخراج الاوتار فهو ان تقسم ربع كل حرف على اعظم جز يوجد له مثال الحرف دال له من الاحاد اربعة مربعها ستة عشر اقسمها على اعظم جز يوجد لها وهو اثنان يخرج وتر الدال ثمانية ثم تضع كل وتر مقابلا لحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية كما تقدم في شرح الاستنطاق واما قاعدة تطارد استخراجها من طبع الحروف وطبع البيت الذي يحل فيه من الجدول كما ذكر الشيخ في حرف الاصطلاح

**فصل في الاستدلال على ما في الضماير الخفية بالقوانين الحرفية**

وذلك لو سالك سايل عن عليل ما لم يعرف مرضه ما علته وما الموافق له من الادوية ثم السايل ان يسمي شيا من الاشيا على اسم العلة المجهولة ليجعل ذلك الاسم قاعدة لك ثم استنطق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسايل واليوم والساعة ان اردت التدقيق في المسيلة وان اقتصرت على الاسم الذي سماه السايل وجعلته كما نبين **فاقول** مثلا سمى السايل فرسا فاثبت الحروف الثلثة مع اعدادها المنطقة بيانه ان للفا من العدد ثمانية ولها م ك ح ح د ثم الرا لها من العدد ما يتان ولها ق ق ك ك ي ثم السين لها من العدد ستون ولها م ل ك ي د ح قالوا وعدد تام له د ح والسين مثلثه لها م ل ك ي فاذا انبسطت حروف الاسما فوجدت عنصرا متساويا فاحكم لاكثرها حروفا بالغلبة على الاخر ثم اجمل عدد حروف عناصر اسم المطلوب وحروفه دون بسط وكذلك اسم الطالب واحكم للاكثر والاقوى بالغلبة

**وصفة استخراج قوى العناصر**

| نار | تراب | هوا | ما |
| --- | --- | --- | --- |
| ه ه ه | ى ى ى | ك ك ك | ع |
| م م | ن | ف | ل |

فتكون الغلبة هنا للتراب وطبعه البرد واليبوسة طبع السودا فتحكم على المريض بالسودا فاذا التفت من حروف الاستنطاق كلاما على نسبة تقريبية تخرج موضع الوجع في الحلق ودواوه من الادوية حقنة ومن الاشربة شراب الليمون وهذا ماخوذ من قوى اعداد حروف اسم فرس وهو مثال تقريبي مختصر **واما** استخراج قوى العناصر من الاسما العملية فهو ان تسمي مثلا محمد فترسم احرفه منقطعة ثم تضع اسما

العناصر

العناصر الاربعة على تركيب الفلك تخرج لك باقي كل عنصر من الحروف والعدد **ومثاله**

| نار | تراب | هوا | ما |
| --- | --- | --- | --- |
| ا ا ا | ب ب ب | ج ج | د د د |
| ه ه | و و و | ز ز | ح ح ح |
| م م | ل ل | ك ك ك | ل ل ل |
|  |  | س س | ع ع ع |
|  |  | ق ق | ر ر ر |
|  |  | ن ن | خ خ خ |

فنجد اقوى من العناصر في هذا الاسم المذكور عنصر الما لان عدد حروفه عشرون حرفا فجعلت له الغلبة على بقية عناصر الاسم المذكور وهكذا تفعل بجميع الاسما حينيذ تضاف الى اوتارها او للوتر المنسوب للطالع في الزايرجة او لوتر البيت المنسوب لملك ابن وهيب الذي جعله قاعدة لمزج الاسولة وهو

سوال عظيم الخلق حزت فصن اذن غرايب شك ضبطه الجد مثلا

وهو وتر مشهور لاستخراج المجهولات وعليه كان يعتمد ابن الرقام واصحابه وهو عمل تام قايم بنفسه في المثالات الوضعية

**وصفة العمل بهذا الوتر المذكور**

ان ترسمه منقطعا ممتزجا بالفاظ السوال على قانون صنعة التكسير وعدد حروف هذا الوتر اعني البيت ثلثة واربعون حرفا لان كل حرف مشدد من حرفين ثم تحذف ما يتكرر عند المزج من الحروف ومن الاصل لكل حرف فضلا من المسلة حرفا يماثله وتثبت الفضلتين سطرا ممتزجا بعضه ببعض الحرف الاول من فضلة القطب والثاني من فضلة السوال حتى تتم الفضلتان جميعا فتكون ثلثة واربعين فتضيف اليها خمس نونات لتكون ثمانية واربعين وتعتدل بها الموازين الموسيقية ثم تضع الفضلة على ترتيبها فان كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج يوافق العدد الاصلي قبل الحذف فالعمل صحيح ثم تعمل بما مزجت جدولا مربعا يكون اخر ما في السطر الاول اول ما في السطر الثاني وعلى هذا النسق حتى يعود السطر الاول بعينه وتتوالى الحروف في القطر على نسبة التكسير ثم تخرج وتر كل حرف كما تقدم وتضعه مقابلا لحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية لتعرف قواها الطبيعية وموازينها الروحانية وعزايمها النفسانية واسوسها الاصلية من الجدول الموضوع لذلك

**وصفة استخراج النسب العنصرية**

هو ان تنظر الحرف الاول من الجدول ما طبيعته وطبيعة البيت الذي حل فيه فان اتفقا فخس والا فاستخرج بين الحرفين نسبة وتتبع هذا القانون في جميع الحروف الجدولية وتحقيق

ذلك سهل على من عرف قوانينه كما هي معروفة في ايرنها الموسيقيه ثم تاخذ وتر كل حرف بعد
ضربه في اسوس اوتاد الفلك الاربعة كما تقدم واحذر ما يلي الاوتاد وكذلك السواقط
لان نسبها مضطربه وهذا الذي يخرج لك هو اول رتب السريان ثم تاخذ مجموع
العناصر وتحط منها اسس المولدات يبقى اس عالم الخلق بعد عروضه لتجدد الكونية
فتحمل عليه بعض المجردات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج افق النفس الاوسط
وتطرح اوارث السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا مخصوص بعالم
الاكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في افق النفس الاوسط يخرج الافق
الاعلى فتحمل عليه اوارث السريان ثم تطرح من الرابع اول عناصر الامداد الاصلي
يبقى ثالث رتبة السريان فتضرب مجموع اجزا العناصر ابدا في رابع رتبة السريان يخرج
عالم التفصيل وكذلك الثالث والرابع فتجمع عوالم التفصيل وتحط من عالم الكل تبقى العوالم
المجرده فتقسم على الافق الاعلى يخرج الجز الاول ومن هنا يطرد العمل لتمامه وله مقدمات
في كتب ابن وحشية والبوني وغيرهما وهذا التدبير يجري على القانون الطبيعي الحكمي
في هذا الفن وغيره من فنون الحكمة الالهية وعليه مدار وضع الزيارج الحرفية
والصنعة الالهية والنيرجات الفلسفية والله الملهم وعليه التكلان وحسبنا الله ونعم الوكيل
واعلم ان هذه الاعمال كلها انما يوصل بها الى حصول جواب مطابق للسوال في المعنى فقط
لانه يعثر بها على غيب وهي من قبيل الملح كما تقدم لنا اول الكتاب وكذلك ليست من علم السيميا كما بيناه

## علم الكيميا

وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل
الذي يوصل الى ذلك فيتصفحون المكونات كلها بعد معرفة امزجتها وقواها لعلهم يعثرون على
المادة المستعدة لذلك حتى من الفضلات الحيوانية كالعظام والريش والشعر والبيض
والعذرات فضلا عن المعادن ثم تشرح الاعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة الى الفعل
مثل حل الاجسام الى اجزاها الطبيعية بالتصعيد والتقطير وجمد الذايب منها
بالتكليس وامها الصلب بالفهر والصلاية وامثال ذلك وفي زعمهم انه يخرج بهذه
الصناعات كلها جسم طبيعي يسمونه الاكسير وانه يلقى على الجسم المعدني المستعد
لقبول صورة الذهب او الفضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير
والنحاس بعد ان يحمى بالنار فيعود ذهبا ابريزا ويكنون عن ذلك الاكسير اذا الغزوا
اصطلاحاتهم بالروح وعن الجسم الذي يلقى عليه بالجسد فشرح هذه الاصطلاحات
وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقلب هذه الاجساد المستعدة الى صورة الذهب
والفضة هو علم الكيميا وما زال الناس يولفون فيها قديما وحديثا وربما يعزى فيها الكلام
الى من ليس من اهلها وامام المدونين فيها عندهم جابر بن حيان حتى انهم يخصونها به

فيسمونها علم جابر وله فيها سبعون رسالة كلها شبيهة بالالغاز وزعم انه لا يفتح مقفلها
الا من احاط علما بجميع ما فيها والطغرائي من حكما المشرق المتاخرين له فيها دواوين ومناظرات
مع اهلها وغيرهم من الحكما وكتب فيها مسلمة المجريطي من حكما الاندلس كتابه الذي سماه رتبة الحكيم
وجعله قرينا لكتابه الاخر في السحر والطلسمات الذي سماه غاية الحكيم وزعم ان هاتين
الصناعتين هما نتيجتان للحكمة وثمرتان للعلوم ومن لم يقف عليهما فهو فاقد ثمرة
العلم والحكمة اجمع وكلامه في ذلك الكتاب وكلامهم اجمع في تواليفهم هي الغاز يتعذر
فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم في ذلك ونحن نذكر سبب عدولهم الى هذه الرموز
والالغاز ولابن المغيربي من ايمة هذا الشان كلمات شعرية على حروف
المعجم من ابدع الشعر ملغوزة كلها لغز الاحاجي والمعاياه فلا تكاد تفهم وقد ينسبون
للغزالي بعض التواليف فيها وليس ذلك بصحيح لان الرجل لم تكن مداركه العالية لتقف
على خطا ما يذهبون اليه حتى ينتحله وربما نسبوا بعض المذاهب والاقوال فيها
لخالد بن يزيد بن معوية ربيب مروان بن الحكم ومن المعلوم البين ان خالدا من
الجيل العربي والبداوة اليه اقرب فهو بعيد عن العلوم والصنايع بالجملة فكيف له
بصناعة غريبة المنحى مبنية على معرفة طبايع المركبات وامزجتها وكتب
الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم اللهم الا ان يكون خالد
ابن يزيد اخر من اهل المدارك الصناعية تشبه باسمه فممكن وانا انقل لك هنا رسالة
ابي بكر بن بشرون لابن السمح في هذه الصناعة وكلاهما من تلميذ مسلمة فتستدل
من كلامه فيها على ما ذهب اليه في شانها اذا اعطيته حقه من التامل **قال**
ابن بشرون بعد صدر من الرسالة خارج عن الغرض والمقدمات التي لهذه الصناعة
الكريمة قد ذكرها الاولون واقتص جميعها اهل الفلسفة من معرفة تكوين المعادن
وتخلق الاحجار والجواهر وطباع البقاع والاماكن فمنعنا اشتهارها من ذكرها ولكن
ابين لك من هذه الصنعة ما يحتاج اليه فنبدا بمعرفته فقد قالوا ينبغي لطلاب هذا
العلم ان يعلموا اولا ثلاث خصال اولها هل تكون والثانية من اي شي تكون والثالثة
كيف تكون فاذا عرف هذه الثلاث واحكمها فقد ظفر بمطلوبه وبلغ نهايته من هذا
العلم فاما البحث عن وجودها والاستدلال على تكونها فقد كفيناكه بما بعثنا به اليك
من الاكسير واما من اي شي تكون فانما يريدون بذلك البحث عن الحجر الذي يمكن به العمل
وان كان العمل موجودا من كل شي بالقوة لانها من الطبايع الاربع منها تركبت
ابتدا واليها ترجع انتها ولكن من الاشيا ما يكون فيه بالقوة ولا يكون بالفعل وذلك ان
منها ما يمكن تفصيلها ومنها ما لا يمكن تفصيلها فالتي يمكن تفصيلها تعالج وتدبر
وهي التي تخرج من القوة الى الفعل والتي لا يمكن تفصيلها لا تعالج ولا تدبر لانها فيها
بالقوة فقط وانما لم يمكن تفصيلها لاستغراق بعض طبايعها في بعض وفضل قوة الكبير

على الصغير فينبغي لك وفقك الله ان تعرف اوفق الاحجار المنفصلة التي يمكن منها العمل
وجنسه وقوته وعمله وما يدبر من الحل والعقد والتنقية والتكليس والتنشيف
والتقليب فان من لم يعرف بهذه الاصول التي هي عماد هذه الصنعة لم ينجح ولم يظفر بخير ابدا
وينبغي لك ان تعلم هل يمكن ان يستعان عليه بغيره ام يكتفى به وحده وهل هو واحد
في الابتدا ام اثنان ذكر غير من فضلاء التدبير واحد فسمي حجرا وينبغي لك ان تعلم كيفية
عمله وكمية اوزانه وازمانه وكيف تركيب الروح فيه وادخال النفس عليه وهل
تقدر النار على تفصيلها منه بعد تركيبها فان لم تقدر فلاي علة وما السبب الموجب
لذلك فان هذا هو المطلوب فافهم واعلم ان الفلاسفة كلما طرحت النفس وزعمت انها
المدبرة للجسد والحاملة له والدافعة عنه والفاعلة فيه وذلك ان الجسد اذا خرجت النفس
منه مات وبرد فلم يقدر على الحركة والامتناع من غيره لانه لا حياة فيه ولا نور وانما ذكرت
النفس والجسد لان هذه الصنعة شبيهة بجسد الانسان الذي تركيبه على الغذاء والنمو
وقوامه وتمامه بالنفس الحية النورانية التي بها يفعل العظايم والاشيا المتقابلة التي
لا يقدر عليها غيرها بالقوة الحية التي فيها وانما انفعل الانسان لاختلاف تركيب طبايعه
ولو اتفقت طبايعه وسلمت من الاعراض والتضاد لم تقدر النفس على الخروج من جسده
ولكان خالدا باقيا فسبحان مدبر الاشيا تعالى واعلم ان الطبايع التي تحدث عنها هذا
العمل كيفية دافعة في الابتدا فيضية محتاجة الى الانتها وليس لها اذا صارت في هذا الجسد
ان تستحيل الى ما منه تركبت كما قلناه انفا في الانسان لان طبايع هذا الجوهر قد لزم بعضها
بعضا وصارت شيا واحدا شبيها بالنفس في قوتها وفعلها وبالجسد في تركيبه ومجسته
بعد ان كانت طبايع مؤذية باعيانها فيا عجبا من افاعيل الطبايع ان القوي للضعيف
الذي يقوى على تفصيل الاشيا وتركيبها وتمامها فلذلك قلت قوي وضعيف وانما وقع
التغيير والنفاق في التركيب الاول للاختلاف وعدم ذلك في الثاني للاتفاق وقد قال
بعض الاولين التفصيل والتقطيع في هذا العمل حياة وبقا والتركيب موت وفنا وهذا
الكلام دقيق المعنى لان الحكيم اراد بقوله حياة وبقا بخروجه من العدم الى الوجود لانه
ما دام على تركيبه الاول فهو فان لا محالة فاذا ركب التركيب الثاني عدم الفنا والتركيب
الثاني لا يكون الا بعد التفصيل والتقطيع فاذا التفصيل والتقطيع في هذا العمل
خاصة فان الذي للجسد المحلول انبسط فيه بعدم الصورة لانه صار في الجسد بمنزلة النفس
التي لا صورة لها وذلك انه لا وزن له فيه وسترى ذلك ان شا الله تعالى وقد ينبغي لك ان
تعلم ان اختلاط اللطيف باللطيف اهون من اختلاط الغليظ بالغليظ وانما اريد
بذلك الثبت(?) كل من الارواح والاجساد لان الاشيا تتصل باشكالها وذكرت لك
ذلك لتعلم ان العمل اوفق وايسر من الطبايع اللطايف الروحانية منها من الغليظة
الجسمانية وقد يتصور في العقل ان الاحجار اقوى واصبر على النار من الارواح كما ترى

الذهب



الذهب والحديد والنحاس اصبر على النار من الكبريت والزيبق وغيرهما من الارواح
فلا اصابها صح
فاقول ان الاجساد وقد كانت ارواحها بربها حر الكيان فكلها اجساد لزجة غليظة
فلم تقدر النار على اكلها لافراط غلظها وتلزجها فاذا افرطت النار عليها صيرتها ارواحا
كما كانت اول خلقها وان تلك الارواح اللطيفة ان اصابتها النار ابقت ولم تقدر على البقا
عليها فينبغي لك ان تعلم ما صبر الاجساد في هذه الحالة وصبر الارواح في هذه الحال فهو اجل
ما تعرفه اقول انما ابقت تلك الارواح واحترقت لاشتعالها ولطافتها وانما اشتعلت
لكثرة رطوبتها ولان النار اذا احست بالرطوبة تعلقت بها لانها هوائية مثل النار
ولا تزال تتغذى بها الى ان تفنى وكذلك الاجساد اذا ابقت بوصول النار اليها بقلة
تلزجها وغلظها وانما صارت تلك الاجساد لا تشتعل لانها مركبة من ارض وما صابر على
النار بلطيفه متحد بكثيفه بطول الطبخ الذي لمزاج الاشيا وذلك ان كل متلاشي انما يتلاشى
بالنار لمفارقة لطيفه من كثيفه ودخول بعضه في بعض على غير التحليل والموافقة فصار
ذلك الانضمام والتداخل مجاورة لا ممازجة فسهل بذلك افتراقهما كالما والدهن وما اشبههما
وانما وصفت لك ذلك لتستدل به على تركيب الطبايع وتقابلها فاذا علمت ذلك على شاكلها
فقد اخذت حظك منها وينبغي لك ان تعلم ان الاخلاط التي هي طبايع هذه الصناعة
موافقة بعضها لبعض منفصلة من جوهر واحد يجمعها نظام واحد بتدبير واحد لا يدخل عليه غريب
في الجز منه ولا في الكل كما قال الفيلسوف الكل ان احكمت تدبير الطبايع وتاليفها ولم تدخل
عليها غريبا فقد زاغ عنها ووقع الخطا واعلم ان هذه الطبيعة اذا حل جسد من
لها صح
قرابتها على ما ينبغي من الحل حتى يشاكلها في الرقة واللطافة انبسطت فيه وصبرت معه
حيث ما جرت لان الاجساد ما دامت غليظة جافية لا تنبسط ولا تتزاوج وحل الاجساد لا يكون
بغير الارواح فافهم هداك الله هذا القول واعلم هداك الله ان هذا الحل في جسد الحيوان
هو الحق الذي لا يضمحل ولا ينتقص وهو الذي يقلب الطبايع ويمسكها ويظهر لها الوانا
وازهارا عجيبة وليس كل جسد يحل خلاف هذا هو الحل التام لانه مخالف للحياة
وانما حله بما يوافقه ويدفع عنه حرق النار حتى يزول عن الغلظ وتنقلب الطبايع
عن حالاتها الى ما لها ان تنقلب من اللطافة والغلظ فاذا بلغت الاجساد نهايتها
من التحليل والتلطيف ظهرت لها هناك قوة تمسك وتغوص وتقلب وتنفذ وكل
عمل لا يرى له مصداق في اوله فلا خير فيه واعلم ان البارد من الطبايع هو ييبس
الاشيا ويعقد رطوبتها والحار منها يظهر رطوبتها ويعقد يبسها وانما افردت
الحر والبرد لانهما فاعلان والرطوبة واليبس منفعلان وعن انفعال كل واحد منهما
لصاحبه تحدث الاجسام وتكون وان كان الحر اكثر فعلا في ذلك من البرد لان البرد ليس
له نقل الاشيا ولا تحركها والحر هو علة الحركة ومتى ضعفت علة الكون وهي الحرارة لم يتم
منها شي ابدا كما انه اذا افرطت الحرارة على شي ولم يكن ثم برد احرقته واهلكته

من اجل هذه العلة احتيج الى البارد لان الاعمال البقوي به كل ضد على ضده ويرفع عنه حر
النار ولم تحذر الفلاسفة اكثر شي الا من النيران المحرقة وامرت بتطهير الطبايع
والانغاس واخراج دنسها ورطوبتها ونفي افاتها واوساخها عنها على ذلك استقام رايهم
وتدبيرهم فان علم انما هو مع النار اولا واليها يصير اخيرا فلذلك قالوا اياكم والنيران
المحرقات وانما ارادوا بذلك نفي الافات التي معها فتجمع على الجسد افتين فيكون اسرع
لهلاكه وكذلك كل شي انما يتلاشى ويفسد لتضاد طبايعه واختلافه فيتوسط
بين شيئين فلم تجد ما يقويه ويعينه الا قهرته الافة واهلكته واعلم ان الحكما ذكرت
ترداد الارواح على الاجسام مرارا ليكون الزم اليها واقوى على قتال النار اذا هي باشرتها
عند الالفة اعني بذلك النار العنصرية فاعلمه ولننتقل الآن على الحجر الذي يمكن منه العمل
على ما ذكرته الفلاسفة وقد اختلفوا فيه فمنهم من زعم انه في الحيوان ومنهم من زعم انه في النبات
ومنهم من زعم انه في المعادن ومنهم من زعم انه في الجميع وهذه الدعاوي ليست بنا حاجة
الى استقصايها ومناظرة اهلها عليها لان الكلام يطول جدا وقد قلت فيما تقدم
ان العمل من كل شي بالقوة لان الطبايع موجودة في كل شي فهو كذلك فنريد ان تعلم من
اي شي يكون العمل بالقوة والفعل فنقصد الى ما قاله الحراني ان الصبغ كله احد صبغين
اما صبغ جسد كالزعفران في الثوب الابيض حتى يحول فيه وهو مضمحل منتقض التركيب
والصبغ الثاني تقليب الجوهر من جوهر نفسه الى جوهر غيره ولونه كتقليب
الشجر التراب الى نفسه وقلب الحيوان النبات الى نفسه حتى يصير التراب نباتا
ويصير النبات حيوانا ولا يكون الا بالروح الحي والكيان الفاعل الذي له توليد الاجرام
وقلب الاعيان فاذا كان هذا هكذا فاقول ان العمل لا بد ان يكون اما في
الحيوان واما في النبات وبرهان ذلك انهما مطبوعان على الغذا وبه قوامهما
وتمامهما فاما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوة ولذلك قل خوض
الحكما فيه واما الحيوان فهو آخر الاستحالات الثلث ونهايتها وذلك ان المعدن
يستحيل نباتا والنبات يستحيل حيوانا والحيوان لا يستحيل الى شي هو الطف
منه الآن ينعكس راجعا الى الغلظ وانه ايضا لا يوجد في العالم شي تتعلق
به الروح الحية غيره والروح الطف ما في العالم ولم تتعلق الروح بالحيوان الا لمشاكلته
اياها فاما الروح التي في النبات فانها يسيرة فيها غلظ وكثافة وهي
مع ذلك مستغرقة كامنة فيه لغلظها وغلظ جسد النبات فلم يقدر على الحركة
لغلظه وغلظ روحه والروح المتحركة الطف من الروح الكامنة كثيرا وذلك ان
المتحركة لها قبول الغذا والتنقل والتنفس وليس للكامنة غير قبول الغذا
وحده ولا ترى اذا قيست بالروح الحية الا كالارض عند الما كذلك النبات
عند الحيوان فالعمل في الحيوان اعلى وارفع واهون وايسر فينبغي للعاقل اذا عرف
ذلك

بنفسه صح

ذلك ان يجرب ما كان سهلا ويترك ما يخشى فيه عسرا واعلم ان الحيوان عند الحكما اقساما
من الامهات التي هي الطبايع والحديثة التي هي المواليد وهذا معروف بيسير الفهم فلذلك
قسمت الحكما العناصر والمواليد اقساما حية واقساما ميتة فجعلوا كل متحرك فاعلا
حيا وكل ساكن مفعولا ميتا وقسموا ذلك في جميع الاشيا وفي الاجساد الذائبة وفي
العقاقير المعدنية فسموا كل شي يذوب في النار ويطير ويشتعل حيا وما كان على خلاف
ذلك سموه ميتا فاما الحيوان والنبات فسموا كل ما انفصل منها طبايع اربع حيا وما لم
ينفصل سموه ميتا ثم طلبوا جميع الاقسام الحية فلم يجدوا ما يوافق الى الصناعة
ما ينفصل فصولا اربعة ظاهرة للعيان ولم يجدوه غير الحجر الذي في الحيوان فبحثوا
عن جنسه حتى عرفوه واخذوه ودبروه فكتب لهم منه الذي ارادوه وقد يتكيف
مثل هذا في المعادن والنبات بعد جميع العقاقير وخلطها ثم تنفصل بعد ذلك فاما النبات
فمنه ما ينفصل بعض هذه الفصول مثل الاشنان واما المعادن ففيها اجساد وارواح
وانفاس اذا فرجت ودبرت كان منها ما له تاثير وقد دبرنا كل ذلك فكان الحيوان
منها اعلى وارفع وتدبيره اسهل وايسر فينبغي ان يعلم ما هو الحجر الموجود في الحيوان
وطريق وجوده انا بينا ان الحيوان ارفع المواليد وكذلك ما تركب منه فهو الطف منه
كالنبات من الارض انما كان النبات الطف من الارض لانه انما يكون من جوهره الصافي
وجسده اللطيف فوجب لذلك اللطافة والرقة وكذلك هذا الحجر الحيواني بمنزلة النبات
من التراب وبالجملة انه ليس في الحيوان شي ينفصل طبايع اربع غيره فافهم
هذا القول فانه لا يكاد يخفى الا على جاهل بين الجهالة ومن لا عقل له فقد اخبرتك
بماهية هذا الحجر واعلمتك جنسه وانا ابين لك وجوه تدابيره حتى يكمل لك الذي
شرطناه على انفسنا من الانصاف ان شا الله سبحانه

## التدبير

على بركة الله تعالى خذ الحجر الكريم فاودعه القرعة والانبيق وفصل طبايعه الاربع
التي هي الما والهوى والارض والنار وهي الجسد والروح والنفس والصبغ
فاذا عزلت الما عن التراب والهوا عن النار فارفع كل واحد في انايه على حدته
وخذ الهابط اسفل الانا وهو الثفل فاغسله بالنار الحارة حتى يذهب عنه
سواده ويزول غلظه وجفاوه وبيضه تبييضا محكما وطير عنه فضول الرطوبات
المستجنة فيه فانه يصير عند ذلك ما ابيض لا ظلمة فيه ولا وسخ ولا انتقاض ثم اعمد
الى تلك الطبايع الاول الصاعدة منه فطهرها ايضا من السواد والتضاد وكرر
عليها الغسل والتصعيد حتى تلطف وترق وتصفو فاذا فعلت ذلك فقد فتح
الله عليك فابدا بالتركيب الذي هو مدار العمل وذلك ان التركيب لا يكون
الا بالتزويج والتعفين فاما التزويج فهو اختلاط اللطيف بالغليظ واما التعفين
فهو التمشية والسحق حتى يختلط بعضه ببعض ويصير شيا واحدا لا اختلاف

فيه ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالكلى فعند ذلك يقوى الغليظ على امساك اللطيف
ويقوى الروح على مقابلة النار وتصبر عليها وتقوى النفس على الغوص في الاجساد
والدبيب فيها وانما وجد ذلك بعد التركيب لان الجسد المحلول لما ازدوج بالروح
مازجه بجميع اجزايه ودخل بعضها في بعض لتلك كلها فصار شيا واحدا ووجب من ذلك
ان يعرض للروح من الصلاح والفساد والبقاء والثبوت ما يعرض للجسد لموضع الامتزاج
وكذلك النفس اذا امتزجت بهما ودخلت فيهما بخدمة التدبير اختلطت اجزاوها
بجميع اجزا الاخرين اعني الروح والجسد وصارت هي وهما شيا واحدا لا اختلاف
فيه بمنزلة الجز الكلي الذي سلمت طبايعه واتفقت اجزاوه فاذا القى هذا المركب
الجسد المحلول والح عليه النار واظهر ما فيه من الرطوبة على جسمه فذاب في الجسد
المحلول ومن شان الرطوبة الاشتعال وتعلق النار بها فاذا ارادت النار التعلق
بها منعها من الاتحاد بالنفس ممازجة الما لها فان النار لا تتحد بالدهن حتى يكون
خالصا وكذلك الما من شانه النفور من النار فاذا الحت عليه النار وارادت
تطيره حبسه الجسد اليابس الممازج له في جوفه ومنعه من الطيران فكان الجسد
علة لامساك الما والما علة لبقا الدهن والدهن علة لثبات الصبغ وكان الصبغ
علة لظهور اللون واظهار الذهبية في الاشيا المظلمة التي لا نور لها ولا حياة فيها
فهذا هو الجسد المستقيم وهكذا يكون العمل وهذه البيضة التي سالت عنها
وهي التي سمتها الحكما بيضة وايّاها يعنون لا بيضة الدجاجة واعلم ان الحكما لم
تسمها بهذا الاسم لغير معنى بل اشبهتها ولقد سالت مسلمة عن ذلك يوما
وليس عنده غيري فقلت له ايها الحكيم الفاضل اخبرني لاي شي سمت الحكما مركب
الحيوان بيضة اختيارا منهم لذلك ام لمعنى دعاهم اليه فقال بل لمعنى غامض فقلت
ايها الحكيم وما ظهر لهم من ذلك من المنفعة والاستدلال على الصناعة حتى شبهوها
وسموها بيضة فقال لشبهها وقرابتها من المركب فتفكر فيه فانه سيظهر لك معناه
فبقيت بين يديه متفكرا لا اقدر على الوصول الى معناه فلما راى ما بي من الفكر وان
نفسي قد مضت فيها اخذ بعضدي وهزني هزة خفيفة وقال لي يا ابا بكر ذلك
للنسبة التي بينهما في كمية الالوان عند امتزاج الطبايع وتاليفها فلما قال ذلك
انجلى عني الظلمة واضا لي نور قلبي وقوي عقلي على فهمه فنهضت شاكرا لله تعالى
عليه الى منزلي واقمت عليه شكلا هندسيا يتبرهن به صحة ما قاله مسلمة وانا واضعه
لك في هذا الكتاب مثال ذلك ان المركب اذا تم وكمل كان نسبة ما فيه من طبيعة
الهوا الى ما في البيضة من طبيعة الهوا كنسبة ما في المركب من طبيعة النار الى
ما في البيضة من طبيعة النار وكذلك الطبيعتان الاخرتان الارض والما
فاقول ان كل شيين متناسبين على هذه الصفة فمنهما متشابهان ومثال

ذلك

ذلك ان تجعل سطح البيضة ه ز و ح فاذا اردنا ذلك فانا ناخذ اقل الطبايع
المركب وهي طبيعة اليبوسة ونضيف اليها مثلها من طبيعة الرطوبة وندبرهما
حتى تنشف طبيعة اليبوسة طبيعة الرطوبة وتنقل قوتها وكان في هذا الكلام
رمزا ولكنه لا يخفى عليك ثم نحمل عليهما جميعا مثليهما من الروح وهو الما فيكون
الجميع ستة امثال ثم نحمل على الجميع بعد التدبير مثلا من طبيعة الهوا التي
هي النفس وذلك ثلثة اجزا فيكون الجميع تسعة امثال اليبوسة بالقوة ونجعل
تحت كل ضلعين من هذا المركب الذي طبيعته محيطة بسطح المركب طبيعتين فنجعل
اولا الضلعين المحيطين بسطح طبيعة الما وطبيعة الهوا وهما ضلعا اح ح
وسطح ابجد وكذلك الضلعان المحيطان بسطح البيضة اللذان هما الما والهوا
ضلعا هز زح فاقول ان ابجد يشبه سطح هزوح طبيعة الهوا التي
تسمى نفسا وكذلك بحرم سطح المركب والحكما لم تسم شيا باسم شي الا
لشبهه به والكلمات التي سالت عن شرحها الارض المقدسة هي المنعقدة
من الطبايع العلوية والنحاس هو الذي اخرج سواده وقطع حتى صار هباء ثم حمر
بالزاج فصار نحاسا والمغنيسيا حجرهم الذي تجمد فيه الارواح وتخرجه الطبيعة
العلوية التي تسجن فيها الارواح لتقاتل عليها النار والفرفرة لون احمر قان يحدثه
الكيان والرصاص حجر له ثلث قوى مختلفة الشخوص ولكنها متشاكلة متجانسة
فالواحدة روحانية نيرة صافية وهي الفاعلة والثانية نفسانية وهي متحركة حساسة
غير انها اغلظ من الاولى ومركزها دون مركز الاولى والثالثة قوة ارضية جاسية
قابضة منعكسة الى مركز الارض لثقلها وهي الماسكة الروحانية والنفسانية
جميعا والمحيطة بهما واما ساير الباقية فمبتدعة ومخترعة الباسا على الجاهل
ومن عرف المقدمات استغنى عن غيرها فهذا جميع ما سالتني عنه قد بعثت به اليك
مفسرا ونرجو بتوفيق الله تعالى ان تبلغ امالك والسلام انتهى كلام ابن بشرون وهو لك
كبار تلامذة مسلمة المجريطي شيخ الاندلس في علوم الكيميا والسيميا والسحر في القرن
الثالث وما بعده وانت ترى كيف صرف الفاظهم كلها في الصناعة الى الرمز
والالغاز التي لا تكاد تبين ولا تعرف وذلك دليل على انها ليست بصناعة طبيعية
والذي يجب ان يعتقد في امر الكيميا وهو الحق الذي يعضده الواقع انها من
جنس اثار النفوس الروحانية وتصرفها في عالم الطبيعة اما من نوع الكرامة ان كانت
النفوس خيرة او من نوع السحر ان كانت شريرة فاجرة فاما الكرامة فظاهرة
واما السحر فلان الساحر كما ثبت في مكان تحقيقه يقلب الاعيان المادية بقوته السحرية
ولا بد له مع ذلك عندهم من مادة يقع فعله السحري فيها كتخليق بعض الحيوانات
من مادة التراب او الشعر او النبات وبالجملة من غير مادتها المخصوصة بها

في تخليق بعض الحيوانات

كما وقع لسحرة فرعون في الحبال والعصي وكما ينقل عن سحرة السودان في ناحية
الجنوب والهنود والترك في ناحية الشمال انهم يسحرون الجو للامطار وغير ذلك
ولما كانت هذه تخليقا للذهب في غير مادته الخاصة به كان من قبيل السحر والمتكلمون
فيه من اعلام الحكما مثل جابر ومسلمة ومن كان قبلهم من حكما الامم انما نحوا هذا المنحى
ولهذا كان كلامهم فيه الغازا حذرا من انكار الشرايع على السحر وانواعه لا ان
ذلك يرجع الى الضنانة بها كما هو راي من لم يذهب الى التحقيق في ذلك وانظر
كيف سمى مسلمة كتابه فيها رتبة الحكيم وسمى كتابه في السحر والطلسمات غاية الحكيم
اشارة الى عموم موضوع الغاية وخصوص موضوع هذه لان الغاية اعلى من الرتبة وكان مسايل
الرتبة بعض من مسايل الغاية او تشاركها في الموضوعات ومن كلامه في الفنين يتبين
ما قلناه ونحن نبين فيما بعد غلط من يزعم ان مدارك هذا الامر بالصناعة الطبيعية والله العليم الخبير

## فصل في ابطال الفلسفة وفساد منتحلها

هذا الفصل وما بعده مهم لان هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضررها
في الدين كبير فوجب ان نصدع بشانها ونكشف عن المعتقد الحق فيها وذلك
ان قوما من عقلا النوع الانساني زعموا ان الوجود كله الحسي منه وما ورا الحس
تدرك ذواته واحواله باسبابها وعللها بالانظار الفكرية والاقيسة العقلية
وان تصحيح العقايد الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها بعض من
مدارك العقل وهولا يسمون الفلاسفة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني
محب الحكمة فبحثوا عن ذلك وشمروا له وحوموا على اصابة الغرض منه ووضعوا
قانونا يهتدي به العقل في نظره الى التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق
ومحصل ذلك ان النظر الذي يفيد تمييز الحق من الباطل انما هو للذهن في المعاني
المنتزعة من الموجودات الشخصية فيتجرد اولا منها صور منطبقة على جميع
الاشخاص كما ينطبق الطابع على جميع النقوش التي يرسمها في طين او شمع
وهذه المجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الاوايل ثم تجرد من تلك المعاني الكلية
اذا كانت مشتركة مع معاني اخرى وقد تميزت عنها في الذهن فتجرد منها معاني اخرى
هي التي اشتركت بها ثم تجرد ثانيا ان شاركها غيرها وثالثا الى ان ينتهي
التجريد الى المعاني البسيطة الكلية المنطبقة على جميع المعاني والاشخاص ولا يكون
منها تجريد بعد هذا وهي الاجناس العالية وهذه المجردات كلها من غير المحسوسات
هي من حيث تاليفها بعضها مع بعض لتحصيل العلوم منها تسمى المعقولات
الثواني فاذا نظر الفكر في هذه المعقولات المجردة وطلب منها تصور الوجود كما هو فلا بد
للذهن من اضافة بعضها الى بعض ونفي بعضها عن بعض بالبرهان العقلي اليقيني

لتحصل

لتحصل تصور الوجود تصورا صحيحا مطابقا اذا كان ذلك بقانون صحيح كما مر وصنف التصديق
الذي هو تلك الاضافة والحكم متقدم عندهم على صنف التصور في النهاية والتصور
متقدم عليه في البداية والتعليم لان التصور التام عندهم هو غاية الطلب الادراكي
وانما التصديق وسيلة له وما تسمعه في كتب المنطقيين من تقدم التصور وتوقف
التصديق عليه فبمعنى الشعور لا بمعنى العلم التام هذا هو مذهب كبيرهم ارسطو
ثم يزعمون ان السعادة في ادراك الموجودات كلها ما في الحس وما ورا الحس بهذا النظر
وتلك البراهين وحاصل مداركهم في الوجود على الجملة ما آلت اليه وهو الذي فرعوا
عليه قضايا انظارهم انهم عثروا اولا على الجسم السفلي بحكم الشهود والحس
ثم ترقى ادراكهم قليلا فشعروا بوجود النفس من قبل الحركة والحس في الحيوانات
ثم احسوا من قوى النفس بسلطان العقل ووقف ادراكهم فقضوا على الجسم العالي
السماوي بنحو من القضاء على امر الذات الانسانية ووجب عندهم ان يكون للفلك
نفس وعقل كما للانسان ثم انهوا ذلك نهاية عدد الاحاد وهي العشر تسع مفصلة
ذواتها جمل وواحد اول مفرد وهو العاشر ويزعمون ان السعادة في ادراك الوجود على هذا
النحو من القضا مع تهذيب النفس وتخلقها بالفضايل وان ذلك ممكن للانسان ولو لم يرد
شرع لتمييزه بين الفضيلة والرذيلة من الافعال بمقتضى عقله ونظره وميله الى المحمود
منها واجتنابه للمذموم بفطرته وان ذلك اذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة
وان الجهل بذلك هو الشقا السرمدي وهذا عندهم هو معنى العذاب والنعيم في الاخرة
الى خبط لهم في تفاصيل ذلك معروف من كلماتهم وامام هذه المذاهب الذي حصل
مسايلها ودون علمها وسطر حجاجها فيما بلغنا في هذه الاحقاب هو ارسطو المقدوني
من اهل مقدونية من بلاد الروم من تلميذ افلاطون وهو معلم الاسكندر ويسمونه
المعلم الاول على الاطلاق يعنون معلم صناعة المنطق اذ لم تكن قبله مهذبة وهو
اول من رتب قانونها واستوفى مسايلها واحسن بسطها ولقد احسن في ذلك
القانون ما شا لو تكفل له بقصدهم في الالهيات ثم كان من بعده في
الاسلام من اخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رايه حذو النعل بالنعل الا في القليل
وذلك ان كتب اوليك المتقدمين لما ترجمها الخلفا من بني العباس من اللسان
اليوناني الى اللسان العربي تصفحها كثير من اهل الملة واخذ بمذاهبهم من اضله الله من
منتحلي العلوم وجادلوا عنها واختلفوا في مسايل من تفاريعها وكان اشهرهم
ابو نصر الفارابي في المايه الرابعة لعهد سيف الدولة وابو علي ابن سينا في المايه
الخامسة لعهد بني بويه باصبهان وغيرهما واعلم ان هذا الراي الذي ذهبوا اليه
باطل بجميع وجوهه فاما اسنادهم الموجودات كلها الى العقل الاول واكتفاوهم به
في الترقي الى الواجب فهو قصور عما ورا ذلك من رتب خلق الله فالوجود اوسع نطاقا

بلغ مقابلة

من ذلك ثم تخلص مالا تعلمون وكانهم في اقتصارهم على اثبات العقل فقط والغفلة عما وراءه
بمثابة الطبيعيين المقتصرين على اثبات الاجسام خاصة المعرضين عن النفس
والعقل المعتقدين انه ليس وراء الجسم في حكمة الوجود شي واما البراهين التي يزعمونها
على مدعياتهم في الموجودات ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه فهي قاصرة
وغير وافية بالغرض اما ما كان منها في الموجودات الجسمانية ويسمونه بالعلم
الطبيعي فوجه قصوره ان المطابقة بين تلك النتائج الذهنية التي تستخرج بالحدود
والاقيسة كما في زعمهم وبين ما في الخارج غير يقيني لان تلك احكام ذهنية كلية عامة
والموجودات الخارجية متشخصة بموادها ولعل في المواد ما يمنع من مطابقة
الذهني الكلي للخارجي الشخصي اللهم الا ما يشهد له الحس من ذلك فدليله شهوده
لا تلك البراهين فاين اليقين الذي يجدونه فيها وربما يكون تصرف الذهن
ايضا في المعقولات الاول المطابقة للشخصيات بالصور الخيالية التي تجريدها
في الرتبة الثانية فيكون الحكم حينئذ يقينيا بمثابة المحسوسات اذ المعقولات
الاول اقرب الى مطابقة الخارج لكمال الانطباق فيها فنسلم لهم حينئذ دعاويهم
في ذلك الا انه ينبغي لنا الاعراض عن النظر فيها اذ هو من ترك المسلم لما لا يعنيه
فان مسائل الطبيعيات لا تهمنا في ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها
**واما** ما كان منها في الموجودات التي وراء الحس وهي الروحانية ويسمونه
العلم الالهي وعلم ما بعد الطبيعة فان ذواتها مجهولة راسا ولا يمكن التوصل
اليها ولا البرهان عليها لان تجريد المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية انما هو
ممكن فيما هو مدرك لنا بالحس فينتزع منه الكليات ونحن لا ندرك الذوات الروحانية
حتى نجرد منها ماهيات اخرى لحجاب الحس بيننا وبينها فلا يتاتى لنا برهان عليها
ولا مدرك لنا في اثبات وجودها على الجملة الا ما نجده بين جنبينا من امر النفس
الانسانية واحوال مداركها وخصوصا في الرويا التي هي وجدانية لكل احد وما وراء
ذلك من حقيقتها وصفاتها فامر غامض لا سبيل الى الوقوف عليه وقد صرح بذلك
محققوهم حيث ذهبوا الى ان ما لا مادة له فلا يمكن البرهان عليه لان مقدمات البرهان
من شرطها ان تكون ذاتية وقال كبيرهم افلاطون ان الالهيات لا يوصل فيها الى
يقين وانما يقال فيها بالاخلق والاولى يعني الظن واذا كنا انما نحصل بعد التعب
والنصب على الظن فقط فيكفينا الظن الذي كان اولا فاي فائدة لهذه العلوم
والاشتغال بها ونحن انما عنايتنا بتحصيل اليقين فيما وراء الحس من الموجودات
وهذه هي غاية الافكار الانسانية عندهم **واما** قولهم ان السعادة في
ادراك الوجود على ما هو عليه بتلك البراهين فقول مزيف مردود وتفسيره ان الانسان
مركب من جزئين احدهما جسماني والاخر روحاني ممتزج به ولكل واحد من الجزئين

مدارك



مدارك مختصة به والمدرك فيهما واحد وهو الجزء الروحاني يدرك تارة مدارك روحانية
وتارة مدارك جسمانية الا ان المدارك الروحانية يدركها بذاته بغير واسطة
والمدارك الجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس وكل مدرك فله ابتهاج بما
يدركه واعتبره بحال الصبي في اول مداركه الجسمانية كيف يبتهج بما يبصره من الضوء وبما
يسمعه من الاصوات فلا شك ان الابتهاج بالادراك الذي للنفس من ذاتها بغير واسطة
يكون اشد والذ فالنفس الروحانية اذا شعرت بادراكها الذي لها من ذاتها بغير واسطة
حصل لها ابتهاج ولذة لا يعبر عنها وهذا الادراك لا يحصل بنظر ولا علم وانما يحصل
بكشف حجاب الحس ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة والمتصوفة كثيرا ما يعنون
بحصول هذا الادراك للنفس بحصول هذه البهجة فيحاولون بالرياضة اماتة القوى
الجسمانية ومداركها حتى الفكر من الدماغ ليحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها
عند زوال الشواغب والموانع الجسمانية فيحصل لهم بهجة ولذة لا يعبر عنها
وهذا الذي زعموه بتقدير صحته مسلم لهم وهو مع ذلك غير واف بمقصودهم
**فاما** قولهم ان البراهين والادلة العقلية محصلة لهذا النوع من الادراك والابتهاج
عنه فباطل كما رايته اذ البراهين والادلة من جملة المدارك الجسمانية لانها
بالقوى الدماغية من الخيال والفكر والذكر ونحن اول شي نعني به في تحصيل هذا
الادراك اماتة هذه القوى الدماغية كلها لانها منازعة له قادحة فيه وتجد الماهر منهم
عاكفا على كتاب الشفا والاشارات والنجا وتلاخيص ابن رشد للفص من
تاليف ارسطو وغيره يبعثر اوراقها ويتوثق من براهينها ويلتمس هذا القسط
من السعادة فيها ولا يعلم انه يستكثر بذلك من الموانع عنها ومستندهم في ذلك
ما ينقلونه عن ارسطو والفارابي وابن سينا ان من حصل له ادراك العقل الفعال
واتصل به في حياته الدنيا فقد حصل حظه من السعادة والعقل الفعال عندهم
عبارة عن اول رتبة ينكشف عنها الحس من رتب الروحانيات ويحملون الاتصال
بالعقل الفعال على الادراك العلمي وقد رايت فساده وانما يعني ارسطو واصحابه
بذلك الاتصال والادراك ادراك النفس الذي لها من ذاتها وبغير واسطة وهو
لا يحصل الا بكشف حجاب الحس **واما** قولهم ان البهجة الناشئة عن هذا الادراك
هي عين السعادة الموعود بها فباطل ايضا لانا انما تبين لنا بما قرروه ان وراء الحس
مدركا اخر للنفس من غير واسطة وانها تبتهج بادراكها ذلك ابتهاجا شديدا
وذلك لا يعين لنا انه عين السعادة الاخروية ولا بد بل هي من جملة الملاذ التي لتلك
السعادة **واما** قولهم ان السعادة في ادراك هذه الموجودات على ما هي عليه
فقول باطل مبني على ما كنا قدمناه في اصل التوحيد من الاوهام والاغلاط في
ان الوجود عند كل مدرك منحصر في مداركه وبينا فساد ذلك وان الوجود اوسع

التي هي بواسطة صح

من ان يحاط به او يستوفي ادراكه بجملته روحانيا او جسمانيا والذي يحصل من جميع ما قررناه
من مذاهبهم ان الجزء الروحاني اذا فارق القوى الجسمانية ادرك ادراكا ذاتيا له
مختصا بصنف من المدارك وهي الموجودات التي احاط بها علمنا وليس بعام
الادراك في الموجودات كلها اذ لم تنحصر وانه يبتهج بذلك النحو من الادراك ابتهاجا
شديدا كما يبتهج الصبي بمداركه الحسية في اول نشوه ومن لنا بعد ذلك بادراك
جميع الموجودات او بحصول السعادة التي وعدنا بها الشارع ان لم نعمل لها هيهات
هيهات لما توعدون واما قولهم ان الانسان مستقل بتهذيب نفسه واصلاحها
بملابسة المحمود من الخلق ومجانبة المذموم فامر مبني على ان ابتهاج النفس بادراكها
الذي لها من ذاتها هو عين السعادة الموعود بها لان الرذايل عايقة للنفس عن تمام
ادراكها ذلك بما يحصل لها من الملكات الجسمانية والوانها وقد بينا ان اثر السعادة
والشقاوة وراء الادراكات الجسمانية والروحانية فهذا التهذيب الذي توصلوا الى
معرفته انما نفعه في البهجة الناشئة عن الادراك الروحاني فقط الذي هو على مقاييس
وقوانين واما ما وراء ذلك من السعادة التي وعدنا بها الشارع على امتثال ما امر به من الاعمال
والاخلاق فامر لا تحيط به مدارك المدركين وقد تنبه لذلك زعيمهم ابو علي ابن سينا فقال
في كتاب المبدا والمعاد له ما معناه ان المعاد الروحاني واحواله هو مما يتوصل اليه
بالبراهين العقلية والمقاييس لانه على نسبة طبيعية محفوظة ووتيرة واحدة فلنا
في البراهين عليه سعة واما المعاد الجسماني واحواله فلا يمكن ادراكه
بالبرهان لانه ليس على نسبة واحدة وقد بسطته لنا الشريعة الحقة المحمدية فلينظر
فيها وليرجع في احواله اليها فهذا العلم كما رايته غير واف بمقاصدهم التي حوموا
عليها مع ما فيه من مخالفة الشرايع وظواهرها وليس له فيما علمنا الا ثمرة واحدة وهي
شحذ الذهن في ترتيب الادلة والحجاج لتحصل ملكة الجودة والصواب في البراهين
وذلك ان نظم المقاييس وتركيبها على وجه الاحكام والاتقان هو كما شرطوه في صناعتهم
المنطقية وهم كثيرا ما يستعملونها في علومهم الحكمية من الطبيعيات والتعاليم
وما بعدها فيستولي الناظر فيها بكثرة استعمال البراهين بشروطها على ملكة
الاتقان والصواب في الحجاج والاستدلالات لانها وان كانت غير وافية
بمقصودهم فهي اصح ما علمناه من قوانين الانظار هذه هي
ثمرة هذه الصناعة مع الاطلاع على مذاهب اهل العالم وآرائهم
ومضارها ما علمت فليكن الناظر فيها متحرزا جهده من معاطبها وليكن
نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه
ولا يكبن احد عليها وهو خلو من علوم الملة فقل ان يسلم لذلك من معاطبها
والله الموفق للحق والهادي اليه وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

فصل

## فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها

هذه الصناعة يزعم اصحابها انهم يعرفون بها الكاينات في عالم العناصر قبل
حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب وتاثيرها في المولدات العنصرية مفردة
ومجتمعة فتكون لذلك اوضاع الافلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من
نوع نوع من انواع الكاينات الكلية والشخصية فالمتقدمون منهم يرون ان
معرفة قوى الكواكب وتاثيرها بالتجربة وهو امر تقصر الاعمار كلها عن تحصيله
لو اجتمعت اذ التجربة انما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم
او الظن وادوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرره الى آماد واحقاب
متطاولة تتقاصر عنها اعمار العالم وربما ذهب ضعفاء منهم الى ان معرفة قوى
الكواكب وتاثيراتها كانت بالوحي وهو راي فايل وقد كفونا مؤونة ابطاله ومن
اوضح الادلة فيه ان تعلم ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام ابعد الناس عن
الصنايع وانهم لا يتعرضون للاخبار بالغيب الا ان يكون عن الله فكيف يدعون
استنباطه بالصناعة ويشرعون ذلك لمتبعيهم من الخلق واما بطليموس
ومن تبعه من المتاخرين فيرون ان دلالة الكواكب على ذلك دلالة طبيعية
من قبل مزاج يحصل للكواكب في الكاينات العنصرية قال لان فعل النيرين واثرهما
في العنصريات ظاهر لا يسع احدا جحده مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وامزجتها
ونضج الثمار والزرع وغير ذلك وفعل القمر في الرطوبات والماء وانضاج المواد المتعفنة
وفواكه القثاء وساير افعاله ثم قال ولنا فيما بعدهما من الكواكب طريقان الاولى
التقليد لمن نقل ذلك عنه من ايمة الصناعة الا انه غير مقنع للنفس الثانية الحدس
والتجربة بقياس كل واحد منها الى النير الاعظم الذي عرفنا طبيعته واثره معرفة
ظاهرة فننظر هل يزيد ذلك الكوكب عند القران في قوته ومزاجه فنعرف موافقته
في الطبيعة او ينقص منها فنعرف مضادته ثم اذا عرفنا قواها مفردة عرفناها مركبة
وذلك عند تناظرها باشكال التثليث والتربيع وغيرهما ومعرفة ذلك من قبل
طبايع البروج بالقياس ايضا الى النير الاعظم واذا عرفنا قوى الكواكب كلها فهي
مؤثرة في الهوا وذلك ظاهر والمزاج الذي يحصل منها للهوا يحصل لما تحته
من المولدات وتتخلق به النطف والبزر فتصير حالا للبدن المتكون عنها وللنفس
المتعلقة به الفايضة عليه المكتسبة لكمالها منه ولما يتبع النفس والبدن من الاحوال
لان كيفيات البزرة والنطفة كيفيات لما يتولد عنهما وينشا منهما قال وهو مع
ذلك ظني وليس من اليقين في شي وليس هو ايضا من القضا الالاهي يعني
القدر انما هو من جملة الاسباب الطبيعية للكاين والقضا الالاهي سابق على كل
شي هذا محصل كلام بطليموس واصحابه وهو منصوص في كتابه الاربع وغيره ومنه

ومنه يتبين ضعف مدارك هذه الصناعة وذلك ان العلم الكاين او الظن به انما يحصل عن
العلم بجملة اسبابه من الفاعل والقابل والصورة والغاية على ما تبين في موضعه والقوى
النجومية على ما قرروه انما هي فاعلة فقط والجز العنصري هو القابل ثم ان القوى النجومية
ليست هي الفاعلة بجملتها بل هناك قوى اخرى فاعلة معها في الجز المادي مثل قوة
التوليد للاب والنوع التي في النطفة اذا حصلت على كمالها وحصل العلم بها انما هي
فاعل واحد من جملة الاسباب الفاعلة للكاين ثم انه يشترط مع العلم بقوى النجوم وتاثيراتها
مزيد حدس وتخمين حينيذ يحصل عنده الظن بوقوع الكاين والحدس والتخمين قوى للناظر
في فكره وليس من علل الكاين ولا من اسبابه فاذا فقد هذا الحدس والتخمين رجعت
ادراجها عن الظن الى الشك هذا اذا حصل بالقوى النجومية على سداده ولم تعترضه
آفة وهذا معوز لما فيه من معرفة حسبانات الكواكب في سيرها لتتعرف به
اوضاعها ولما ان اختصاص كل كوكب بقوة لا دليل عليه ومدرك بطلميوس في اثبات
القوى للكواكب الخمسة بقياسها الى الشمس مدرك ضعيف لان قوة الشمس غالبة لجميع
القوى من الكواكب ومستولية عليها فقل ان يشعر بالزيادة فيها او النقصان منها عند
المقارنة كما قال وهذه كلها قادحة في تعريف الكاينات الواقعة في عالم العناصر بهذه
الصناعة ثم ان تاثير الكواكب فيما تحتها باطل اذ قد تبين في باب التوحيد ان لا فاعل
الا الله بطريق استدلالي كما رايته واحتج له اهل علم الكلام بما هو غني عن البيان من ان
اسناد الاسباب الى المسببات مجهول الكيفية والعقل متهم على ما يقضي به فيما
يظهر بادي الراي من التاثير فلعل استنادها على غير صورة التاثير المتعارف
والقدرة الالهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكاينات علوا وسفلا سيما والشرع
يرد الحوادث كلها الى قدرة الله تعالى ويبرا مما سوى ذلك والنبوات ايضا منكرة لشان النجوم
وتاثيراتها واستقرا الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله ان الشمس والقمر لا يخسفان
لموت احد ولا لحياته وفي قوله اصبح من عبادي مومن بي وكافر بي فاما من قال مطرنا بفضل
الله ورحمته فذلك مومن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنو كذا فذلك كافر بي
مومن بالكوكب الحديث الصحيح فقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع
وضعف مداركها من طريق العقل مع ما لها من المضار في العمران الانساني
بما تبعث في عقايد العوام من الفساد اذا اتفق الصدق من احكامها في بعض
الاحايين اتفاقا لا يرجع الى تعليل ولا تحقيق فيلهج بذلك من لا معرفة له ويظن اطراد
الصدق في ساير احكامها وليس كذلك فيقع في رد الاشيا الى غير خالقها ثم ما ينشا
عنها كثيرا في الدول من توقع القواطع وما يبعث عليه ذلك التوقع من تطاول
الاعدا والمتربصين بالدولة الى الفتك والثورة وقد شاهدنا من ذلك كثيرا فينبغي
ان تحظر هذه الصناعة على جميع اهل العمران لما ينشا عنها من المضار في الدين

وقوى الخاصة التي تميز بها صنفه من صنفه من النوع وغير ذلك فالقوى النجومية

العلم صح

مع ذلك صح

والدول

والدول ولا يقدح في ذلك كون وجودها طبيعيا للبشر بمقتضى مداركهم وعلومهم
فالخير والشر طبيعيان في العالم موجودان لا يمكن نزعهما وانما يتعلق التكليف باسباب
حصولهما فيتعين السعي في اكتساب الخير باسبابه ودفع اسباب الشر والمضار
هذا هو الواجب على من عرف مفاسد هذا العلم ومضاره وليعلم من ذلك انها وان
كانت صحيحة في نفسها فلا يمكن احدا من اهل الملة تحصيل علمها ولا ملكتها بل ان نظر فيها
ناظر وظن بها الاحاطة فهو في غاية القصور في نفس الامر فان الشريعة لما حظرت النظر
فيها فقد الاجتماع من اهل العمران لقراءتها والتحليق لتعليمها وصار المولع بها من الناس
وهم الاقل واقل من الاقل انما يطالع كتبها ومقالاتها في كسر بيته متسترا عن الناس
وتحت رقبة من الجمهور مع تشعب الصناعة وكثرة فروعها واعتياصها على الفهم فكيف
يحصل منها على طايل ونحن نجد الفقه الذي عم نفعه دينا ودنيا وسهلت ماخذه من الكتاب
والسنة المتداولة وعكف الجمهور على قراءته وتعليمه ثم بعد التحقيق والتجميع وطول
المدارسة وكثرة المجالس وتعددها فانما يحذق فيه الواحد بعد الواحد في الاعصار
والاجيال فكيف بعلم مهجور للشريعة مضروب دونه سد الحظر والتحريم مكتوم عن الجمهور
صعب الماخذ محتاج بعد الممارسة والتحصيل لاصوله وفروعه الى مزيد حدس
وتخمين يكتنفان به من الناظر فاين التحصيل والحذق فيه مع هذه كلها ومدعي ذلك من
الناس مردود على عقبه ولا شاهد يقوم له بذلك لغرابة الفن بين اهل الملة وقلة حملته
فاعتبر ذلك تتبين صحة ما ذهبنا اليه والله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
ومما وقع في هذا المعنى لبعض اصحابنا من اهل العصر عندما غلب العرب عساكر السلطان
ابي الحسن وحاصروه بالقيروان وكثر ارجاف الفريقين الاوليا والاعدا فقال في ذلك
ابو القاسم الرحوي من شعرا اهل تونس

استغفر الله كل حين    قد ذهب العيش والهناء
اصبح في تونس وامسي    والصبح لله والمساء
١ والناس في مرية وحرب    وما عسى ينفع المراء
٢ الخوف والجوع والمنايا    يحدثها الهرج والوباء
فاحمدي يرى عليا    حل به الهلك والتواء
واخر قال سوف ياتي    به اليكم صبا رخاء
والله من فوق ذا وهذا    يقضي لعبديه ما يشاء
يا راصدي الخنس الجواري    ما فعلت هذه السماء
مطلتمونا وقد زعمتم    انكم اليوم املياء
مر خميس على خميس    وجاء سبت واربعاء
ونصف شهر وعشرتان    وثالث ضمه انقضاء

ولا نرى غير زور قول … اذاك جهل ام ازدراء
انا الى الله قد علمنا … ان ليس يستدفع القضاء
رضيت بالله لي الها … حسبكم البدر او ذكاء
ما هذه الانجم السواري … الا عباد له اماء
يقضي عليها وليس تقضي … وما لها في الورى اقتضاء
ضلت عقول ترى قديما … ما شانه الجرم والفناء
وحكمت في الوجود طبعا … يحدثه الماء والهواء
لم تر حلوا اذاء امر … يغذوهما تربة وماء
الله ربي ولست ادري … ما الجوهر الفرد والخلاء
ولا الهيولى التي تنادي … مالي عن صورة عراء
ولا وجود ولا انعدام … ولا ثبوت ولا انتفاء
ولست ادري ما الكسب الا … ما جلب البيع والشراء
وانما مذهبي وديني … ما كان والناس اولياء
اذ لا فصول ولا اصول … ولا جدال ولا ارتياء
ما تبع الصدر والبقايا … يا حبذا ذاك الاقتفاء
كانوا كما تعلمون منهم … ولم يكن ذلك الهراء
يا اشعري الزمان اني … اشعر في الصيف والشتاء
اني اجزى بالشر شرا … والخير عن مثله جزاء
واني ان اكن مطيعا … فزت واعصي ولي رجاء
وانني تحت حكم بار … اطاعه العرش والثراء
ليس باعطاكم ولكن … اناخه الحكم والقضاء
لو حوسب الاشعري عما … لقال رأيه انتماء
لقال اخبرهم باني … مما يقولونه براء

## فصل في انكار ثمرة الكيميا واستحالة وجودها وما ينشا من المفاسد عن انتحالها

اعلم ان كثيرا من العاجزين عن معاشهم تحملهم المطامع على انتحال هذه الصناعة ويرون انها احد مذاهب المعاش ووجوهه وان اقتناء المال منها ايسر واسهل على مبتغيه فيرتكبون فيها من المتاعب والمشاق ومعانات الصعاب وعسف الحكام وخسارة الاموال في النفقات زيادة الى النيل من غرضه والعطب اخرا اذا ظهر على خيبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وانما اطمعهم في ذلك انهم راوا المعادن تستحيل وتنقلب بالصنعة بعضها الى بعض للمادة المشتركة فيحاولون بالعلاج صيرورة الفضة ذهبا والنحاس والقصدير فضة ويحسبون انها من ممكنات عالم

الطبيعة

الطبيعة ولهم في علاج ذلك طرق مختلفة لاختلاف مذاهبهم في التدبير وصورته وفي المادة الموضوعة للعلاج المسماة عندهم بالحجر المكرم هل هي العذرة او الدم او الشعر او البيض او كذا او كذا مما سوى ذلك وجملة التدبير عندهم بعد تعيين المادة ان تمهى بالفهر على حجر صلد املس وتسقى اثناء امهائها بالماء بعد ان يضاف اليها من العقاقير والادوية ما يناسب القصد منها ويؤثر في انقلابها الى المعدن المطلوب ثم تجفف بالشمس من بعد السقي او تطبخ بالنار او تصعد او تكلس لاستخراج مائها او ترابها فاذا رضي ذلك كله من علاجها وتم تدبيره على ما اقتضته اصول صنعته حصل من ذلك تراب او مائع يسمونه الاكسير ويزعمون انه اذا القي منه على الفضة المحماة بالنار عادت ذهبا او النحاس المحمى بالنار عاد فضة على حسب ما قصد به في عمله ويزعم المحققون منهم ان ذلك الاكسير مادة مركبة من العناصر الاربعة حصل فيها بذلك العلاج الخاص والتدبير مزاج وقوى طبيعية تصرف ما حصلت فيه اليها وتقلبه الى صورتها ومزاجها وتبث فيه ما حصل فيها من الكيفيات والقوى كالخميرة للخبز تقلب العجين الى ذاتها وتعمل فيه ما حصل لها من الانفشاش والهشاشة ليحسن هضمه في المعدة ويستحيل سريعا الى الغذا وكذا اكسير الذهب والفضة فيما يحصل فيه من المعادن يصرفه اليهما ويقلبه الى صورتهما هذا محصل زعمهم على الجملة فنجدهم عاكفين على هذا العلاج يبتغون الرزق والمعاش فيه ويتناقلون احكامه وقواعده من كتب ايمة الصناعة من قبلهم يتداولونها بينهم ويتناظرون في فهم لغوزها وكشف اسرارها اذ هي في الاكثر تشبه المعمى كتواليف جابر بن حيان في رسائله السبعين ومسلمة المجريطي في كتاب رتبة الحكيم والطغرائي والمغربي في قصائده العربية في اجادة النظم وامثالها ولا يحلون من بعد هذا كله بطائل منها فاوضت يوما شيخنا ابا البركات البلفيقي كبير مشيخة الاندلس في مثل ذلك ووقفته على بعض التواليف فيها فتصفحه طويلا ثم رده الي وقال لي وانا الضامن له ان لا يعود الى بيته الا بالخيبة ثم منهم من يقتصر في ذلك على الدلسة فقط اما الظاهرة كتمويه الفضة بالذهب او النحاس بالفضة او خلطهما على نسبة جزء او جزئين او ثلاثة او الخفية كالقاء الشبه بين المعادن بالصناعة مثل تبييض النحاس وتليينه بالزيبق المصعد فيجي جسما معدنيا شبيها بالفضة ويخفى الا على النقاد المهرة فيقدر اصحاب هذه الدلس مع دلستهم هذه سكة يسربونها في الناس ويطبعونها بطابع السلطان تمويها على الجمهور بالخلاص من الغش وهولاء اخس الناس حرفة واسوءهم عاقبة لتلبسهم بسرقة اموال الناس فان صاحب هذه الدلسة انما هو يدفع نحاسا في الفضة وفضة في الذهب ليستخلصها لنفسه فهو سارق او اشر من السارق ومعظم هذا الصنف لدينا بالمغرب من طلبة البربر المنتبذين

باطراف البقاع ومساكن الاغمار ياوون الي مساجد البادية ويموهون على الاغبيا منهم
بان بايديهم صناعة الذهب والفضة والنفوس مولعة بحبهما والاستهلاك في طلبهما
فيحصلون من ذلك على معاش ثم يتبقى ذلك عندهم تحت الخوف والرقبة الي ان يظهر
العجز وتقع الفضيحة فيفر الي مكان اخر ويستجد حالا اخرى في استهوا بعض
اهل الدنيا باطماعهم فيما لديه ولا يزالون كذلك في ابتغا معاشهم وهذا الصنف
لا كلام معهم لانهم بلغوا الغاية من الجهل والرداءة والاحتراف بالسرقة ولا حاسم
لعلتهم الا اشتداد الحكام عليهم وتناولهم من حيث كانوا وقطع ايديهم متى ظهر على
شانهم لان فيه افساد السكة التي يعم بها البلوي وهي متمول الناس كافة والسلطان
مكلف باصلاحها والاحتياط عليها والاشتداد على مفسدها واما من انتحل هذه
الصناعة ولم يرض بحال الدلسة بل استنكف عنها ونزه نفسه عن افساد
سكة المسلمين ونقودهم وانما يطلب احالة الفضة الي الذهب والرصاص والنحاس
والقصدير الي الفضة بذلك النحو من العلاج وبالاكسير الحاصل عنه فلنا مع هولا متكلم
وبحث في مداركهم لذلك مع انا لا نعلم ان احدا من العالم تم له هذا الغرض او حصل منه
على بغية انما تذهب اعمارهم في التدبير والفهر والصلابة والتصعيد والتكليس
واعتيام الاخطار لجمع العقاقير والبحث عنها ويتناقلون في ذلك حكايات وقعت
لغيرهم ممن تم له الغرض منها او وقف على الوصول يقنعون باستماعها والمفاوضة
فيها ولا يستريبون في تصديقها شان الكلفين المغرمين بوساوس الاخبار فيما
يكلفون به فاذا سيلوا عن تحقيق ذلك بالمعاينة انكروه وقالوا انما سمعنا ولم نره هكذا
شانهم في كل عصر وجيل واعلم ان انتحال هذه الصنعة قديم في العالم وقد تكلم
الناس فيها من المتقدمين والمتاخرين فلننقل مذاهبهم في ذلك ثم نتلوه بما يظهر لنا
فيها من التحقيق الذي عليه الامر في نفسه والله الموفق للصواب فنقول
ان مبنى الكلام في هذه الصناعة عند الحكما على حال المعادن السبعة المتطرقة
وهي الذهب والفضة والرصاص والقصدير والنحاس والحديد والخارصيني هل
هي مختلفات بالفصول وكلها انواع قائمة بانفسها او انها مختلفة بخواص من
الكيفيات وهي كلها اصناف لنوع واحد فالذي ذهب اليه ابو نصر الفارابي وتابعه
عليه حكما الاندلس انها نوع واحد وان اختلافها بالكيفيات من الرطوبة واليبوسة
واللين والصلابة والالوان من الصفرة والبياض والسواد وهي كلها اصناف
لذلك النوع الواحد والذي ذهب اليه ابن سينا وتابعه عليه حكما المشرق انها مختلفة
بالفصول وانها انواع متباينة كل واحد منها قائم بنفسه متحقق بحقيقته له
فصل وجنس شان سائر الانواع وبنى ابو نصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها
بالنوع امكان انقلاب بعضها الي بعض لامكان تبدل الاعراض حينئذ وعلاجها بالصنعة

فمن

اهل صح

فمن هذا الوجه كانت صناعة الكيميا عنده ممكنة سهلة المآخذ وبنى ابو علي بن سينا على
مذهبه في اختلافها بالنوع انكار هذه الصنعة واستحالة وجودها بناء على ان الفصل
لا سبيل بالصناعة اليه وانما يخلقه خالق الاشيا ومقدرها وهو الله عز وجل والفصول
مجهولة الحقائق راسا بالتصور فكيف يحاول انقلابها بالصنعة وغلطه الطغرائي
من اكابر اهل هذه الصنعة في هذا القول ورد عليه بان التدبير والعلاج ليس في تخليق
الفصل وابداعه وانما هو في اعداد المادة لقبوله خاصة والفصل ياتي من بعد
الاعداد من لدن خالقه وبارئه كما يفيض النور على الاجسام بالصقل والامها ولا حاجة
بنا في ذلك الى تصوره ومعرفته قال واذا كنا قد عثرنا على تخليق بعض الحيوانات
مع الجهل بفصولها مثل العقرب من التراب والتبن ومثل الحيات المتكونة من الشعر
ومثل ما ذكره اصحاب الفلاحة من تكوين النحل اذا فقدت من عجاجيل البقر وتكوين
القصب من قرون ذوات الظلف وتصييره سكرا بحشو القرون بالعسل بين
يدي ذلك الفلح للقرون فما المانع اذا من العثور على مثل ذلك في المعادن وهذا كله
بالصناعة وهي انما موضوعها المادة فيعدها التدبير والعلاج الى قبول تلك
الفصول لا اكثر قال فنحن نحاول مثل ذلك في الذهب والفضة فنتخذ مادة نضعها
للتدبير بعد ان يكون فيها استعداد اول لقبول صورة الذهب والفضة ثم نحاولها
بالعلاج الى ان يتم فيها الاستعداد لقبول فصلها انتهى كلام الطغرائي بمعناه وهذا
الذي ذكره في الرد على ابن سينا صحيح لكن لنا في الرد على اهل هذه الصناعة
ماخذا اخر يتبين منه استحالة وجودها وبطلان مزعمهم اجمعين لا الطغرائي ولا ابن سينا
وذلك ان حاصل علاجهم انهم بعد الوقوف على المادة المستعدة بالاستعداد
الاول يجعلونها موضوعا ويحاذون في تدبيرها وعلاجها تدبير الطبيعة للجسم في
المعدن حتى احالته ذهبا او فضة ويضاعفون القوى الفاعلة والمنفعلة ليتم في زمان
اقصر لانه تبين في موضعه ان مضاعفة قوة الفاعل تنقص من زمن فعله وتبين ان الذهب
انما يتم كونه في معدنه بعد الف وثمانين من السنين دورة الشمس الكبرى فاذا تضاعفت
القوى والكيفيات في العلاج كان زمان كونه اقصر من ذلك ضرورة على ما قلناه او يتحرون
بعلاجهم ذلك حصول صورة مزاجية لتلك المادة يصيرها كالخميرة فتفعل في الجسم
المعالج الافاعيل المطلوبة في احالته وذلك هو الاكسير على ما تقدم واعلم ان كل
متكون من المولدات العنصرية فلا بد فيه من اجتماع العناصر الاربعة على نسبة متفاوتة
اذ لو كانت متكافئة في النسبة لما تم امتزاجها فلا بد من الجزء الغالب على الكل
ولا بد في كل ممتزج من المولدات من حرارة غريزية هي الفاعلة لكونه الحافظة لصورته
ثم كل متكون في زمان فلا بد من اختلاف اطواره وانتقاله في زمن التكوين
من طور الى طور حتى ينتهي الى غايته وانظر شان الانسان في طور النطفة ثم العلقة

ثم للمضغة ثم التصوير ثم الجنين ثم المولود ثم الرضيع ثم ثم الى نهايته ونسب الاجزا
في كل طور تختلف مقاديرها وكيفياتها والا كان الطور بعينه الاول هو الاخر
وكذا الحرارة الغريزية في كل طور مخالفة لها في الطور الاخر فانظر الى الذهب
ما يكون له في معدنه من الاطوار منذ الف سنة وما بين وما ينتقل فيه من الاحوال
فيحتاج صاحب الكيميا ان يساوق فعل الطبيعة في المعدن ويحاذيه بتدبيره
وعلاجه الى ان يتم ومن شرط الصناعة ابدا تصور ما يقصد اليه بالصنعة
ومن الامثال السايرة في ذلك للحكما اول العمل اخر الفكرة واخر الفكرة اول العمل
فلا بد من تصور هذه الحالات للذهب في احواله المتعددة ونسبتها المتفاوتة
في كل طور واختلاف الحار الغريزي عند اختلافها ومقدار الزمن في كل طور وما ينوب
عنه من مقدار القوى المضاعفة ويقوم مقامه حتى يحاذي بذلك كله فعل الطبيعة في
المعدن او تعد لبعض المواد صورة مزاجية تكون كصورة الخميرة للخبز وتفعل
في هذه المادة بالمناسبة لقواها ومقاديرها وهذه كلها انما يحصرها العلم المحيط
والعلوم البشرية قاصرة عن ذلك وانما حال من يدعي حصوله على الذهب
بهذه الصناعة بمثابة من يدعي بالصنعة تخليق الانسان من المني ونحن اذا سلمنا
الاحاطة باجزايه ونسبه واطواره وكيفية تخليقه في رحمه وعلم ذلك علما محصلا
بتفاصيله حتى لا يشذ منه شي عن علمه سلمنا له تخليق هذا الانسان واني
له ذلك ولنقرب هذا البرهان بالاختصار ليسهل فهمه فنقول حاصل صناعة
الكيميا وما يدعونه بهذا التدبير انه مساوقة الطبيعة المعدنية بالفعل
الصناعي ومحاذاتها به الى ان يتم كون الجسم المعدني او تخليق مادة بقوى
وافعال وصورة مزاجية تفعل في الجسم فعلا طبيعيا فتصيره وتقلبه الى صورتها
والفعل الصناعي مسبوق بتصورات احوال الطبيعة المعدنية التي تقصد مساوقتها
ومحاذاتها وفعل المادة ذات القوى فيها تصورا مفصلا واحدة بعد اخرى
وتلك الاحوال لا نهاية لها والعلم البشري عاجز عن الاحاطة بما دونها وهو بمثابة
من يقصد تخليق انسان او حيوان او نبات هذا محصل هذا البرهان وهو
اوثق ما علمته وليست الاستحالة فيه من جهة الفصول كما رايته ولا من الطبيعة
انما هو من تعذر الاحاطة وقصور البشر عنها وما ذكره ابن سينا بمعزل
عن ذلك وله وجه اخر في الاستحالة من جهة غايته وذلك ان حكمة الله في الحجرين
وندورهما انهما قيم لمكاسب الناس ومتمولاتهم فلو حصل عليها بالصنعة لبطلت
حكمة الله في ذلك وكثر وجودهما حتى لا يحصل احد من اقتنايها على شي
وله وجه اخر من الاستحالة ايضا وهو ان الطبيعة لا تترك اقرب الطرق في
افعالها وترتكب الاعوص والابعد فلو كان هذا الطريق الصناعي الذي

يزعمون

يزعمون انه صحيح وانه اقرب من طريق الطبيعة في معدنها واقل زمانا لما تركته الطبيعة
الى طريقها الذي سلكته في كون الفضة والذهب وتخليقهما واما تشبيه الطغرائي
هذا التدبير بما عثر عليه من مفردات امثاله في الطبيعة كالعقرب والنحل والحية
وتخليقها فامر صحيح في هذه ادى اليه العثور كما زعم واما الكيميا فلم ينقل عن احد من
اهل العالم انه عثر عليها ولا على طريقها وما زال منتحلوها يخبطون فيها عشوا
الى هلم ولا يظفرون الا بالحكايات الكاذبة ولو صح ذلك لاحد منهم لحفظه عنه ولده
او تلميذه واصحابه وتنوقل في الاصدقا وضمن تصديقه صحة العمل بعده الى
ان ينتشر ويبلغ الينا او الى غيرنا واما قولهم ان الاكسير بمثابة الخميرة وانه مركب
يحيل ما حصل فيه ويقلبه الى ذاته فاعلم ان الخميرة انما تقلب العجين وتعده للهضم
وهو فساد والفساد في المواد سهل يقع بايسر شي من الافعال والطبايع والمطلوب
بالاكسير قلب المعدن الى ما هو اشرف منه واعلى فهو تكوين وصلاح والتكوين
اصعب من الفساد فلا يقايس الاكسير على الخميرة وتحقيق الامر في ذلك ان
الكيميا ان صح وجودها كما يزعم الحكما المتكلمون [redacted] فيها مثل جابر بن حيان
ومسلمة بن احمد المجريطي وامثالهم فليس من باب الصنايع الطبيعية ولا
يتم بامر صناعي وليس كلامهم فيها من منحى الطبيعيات انما هو من منحى كلامهم
في الامور السحرية وساير الخوارق وما كان من ذلك للحلاج وغيره وقد ذكر مسلمة
في كتاب الغاية ما يشبه ذلك وكلامه فيها في كتاب رتبة الحكيم من هذا المنحى
وكذا كلام جابر في رسايله ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة بنا الى شرحه
وبالجملة فامرها عندهم من كليات المواليد الخارجة عن حكم الصنايع فكما
لا يتدبر ما منه الخشب والحيوان في يوم او شهر خشبا او حيوانا فيما عدا مجرى
تخليقه كذلك لا يتدبر ذهب من مادة الذهب في يوم ولا شهر ولا يتغير طريق عادته
الا بارفاد مما ورا عالم الطبايع وعمل الصنايع فكذلك من طلب الكيميا طلبا
صناعيا ضيع ماله وعمله ويقال لهذا التدبير الصناعي التدبير العقيم
لان نيلها ان كان صحيحا فهو واقع مما ورا الطبايع والصنايع فهو كالمشي
على الما وامتطا الهوا والنفوذ في كثايف الاجساد ونحو ذلك من كرامات
الاوليا الخارقة للعادة او مثل تخليق الطير ونحوها من معجزات الانبيا قال تعالى
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فتكون طيرا باذن الله وعلى ذلك فسبيل
تيسيرها مختلف بحسب حال من يوتاها فربما اوتيها الصالح ويوتاها غيره فتكون
عنده معارة وربما اوتيها الطالح ولا يملك ايتاها فلا يتم في يد غيره ومن هذا
الباب يكون عملها سحريا فقد تبين انها انما تقع بتاثيرات النفوس وخوارق
العادة اما معجزة او كرامة او سحرا ولهذا كان كلام الحكما فيها الغازا لا يظفر

بتحقيقه الا من خاض لجة من علوم السحر واطلع على تصرفات النفس في عالم الطبيعة
وامور خرق العادة غير منحصرة ولا يقصد احد الى تحصيلها والله بما يعملون محيط
واكثر ما يحمل على التماس هذه الصناعة وانتحالها هو كما قلناه العجز عن الطرق
الطبيعية للمعاش وابتغاؤه من غير وجوهه الطبيعية كالفلاحة والتجارة
والصناعة فيستصعب العاجز ابتغاءه من هذه ويروم الحصول على الكثير من المال
دفعة بوجوه غير طبيعية من الكيميا وغيرها واكثر من يعني بذلك الفقراء من اهل
العمران حتى في الحكما المتكلمين في انكارها واستحالتها فان ابن سينا القايل
باستحالتها كان من علية الوزرا فكان من اهل الغنا والثروة والفارابي القايل
بامكانها كان من اهل الفقر الذين يعوزهم ادنى بلغة من المعاش واسبابه وهذه
تهمة ظاهرة في انظار النفوس المولعة بطرقها وانتحالها والله الرزاق ذو القوة المتين

## فصل في المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتاليف والغا ما سواها

اعلم ان العلوم البشرية خزانتها النفس الانسانية بما جعل الله فيها من
الادراك الذي يفيدها ذلك الفكر المحصل لها ذلك بالتصور للحقايق اولا ثم باثبات
العوارض الذاتية لها او نفيها عنها ثانيا اما بغير وسط او بوسط حتى يستنتج
الفكر بذلك مطالبه التي يعني باثباتها او نفيها فاذا استقرت من ذلك صورة
علمية في الضمير فلا بد من بيانها لاخر اما على وجه التعليم او على وجه المفاوضة تصقل
الافكار في تصحيحها وذلك البيان انما يكون بالعبارة وهي الكلام المركب من الالفاظ
النطقية التي خلقها الله في عضو اللسان مركبة من الحروف وهي كيفيات الاصوات
المقطعة بعضلة اللهاة واللسان ليتبين بها ضماير المتكلمين بعضهم لبعض
في مخاطباتهم وهذه رتبة اولى في البيان عما في الضماير وان كان معظمها
واشرفها العلوم فهي شاملة لكل ما يندرج في الضمير من خبر او انشا على العموم
وبعد هذه الرتبة الاولى من البيان رتبة ثانية يودى بها ما في الضمير لمن توارى
او غاب شخصه وبعد او لمن ياتي بعد ولم يعاصره ولا لقيه وهذا البيان منحصر
في الكتابة وهي رقوم باليد تدل اشكالها وصورها بالتواضع على الالفاظ النطقية
حروفا بحروف وكلمات بكلمات فصار البيان فيها على ما في الضماير بواسطة
الكلام النطقي فلهذا كانت في الرتبة الثانية واحد قسمي هذا البيان
يدل على ما في الضماير من العلوم والمعارف فهو اشرفها واهل الفنون
معتنون بايداع ما يحصل في ضمايرهم من ذلك في بطون الاوراق بهذه الكتابة
لتعم الفايدة في حصوله للغايب والمتاخر وهولاء المولفون والتواليف
بين العوالم البشرية والامم الانسانية كثيرة ومنتقلة في الاجيال والاعصار
وتختلف باختلاف الشرايع والملل والاخبار عن الامم والدول واما العلوم

وكلمات صح

هم صح

الفلسفية

الفلسفية فلا اختلاف فيها لانها انما تاتي على نهج واحد فيما تقتضيه الطبيعة الفكرية
في تصور الموجودات على ما هي عليه جسمانيها وروحانيها وفلكيها وعنصريها ومجردها
وموادها فان هذه العلوم لا تختلف وانما يقع الاختلاف في العلوم الشرعية لاختلاف
الملل او التاريخية لاختلاف خارج الخبر ثم الكتابة مختلفة باصطلاحات البشر في رسومها
واشكالها وتسمى ذلك قلما وخطا فمنها الخط الحميري ويسمى المسند وهو كتابة حمير واهل
اليمن الاقدمين وهو يخالف كتابة العرب المتاخرين من مضر كما يخالف لغتهم وان كان
الكل عربيا الا ان ملكة هولاء في اللسان والعبارة غير ملكة اولئك ولكل منهما قوانين كلية
مستقراة من عبارتهم غير قوانين الاخرين وربما يغلط في ذلك من لا يعرف ملكات
العبارة ومنها الخط السرياني وهو كتابة النبط والكلدانيين وربما يزعم بعض اهل
الجهل انه الخط الطبيعي لقدمه فانهم كانوا اقدم الامم وهذا وهم ومذهب
عامي لان الافعال الاختيارية كلها ليس شي منها بالطبع وانما هو يستمر بالقدم
والمران حتى يصير ملكة راسخة فيظنها المشاهد طبيعية كما هو راي كثير من البلدا
في اللغة العربية فيقولون العرب كانت تعرب بالطبع وتنطق بالطبع وهذا
وهم ومنها الخط العبراني الذي هو كتابة بني عابر بن شالخ من بني اسرايل
وغيرهم ومنها الخط اللطيني خط اللطينيين من الروم ولهم ايضا لسان
مختص بهم ولكل امة من الامم اصطلاح في الكتاب يعزى اليها ويختص بها
مثل الترك والفرنج والهنود وغيرهم وانما وقعت العناية بالاقلام الثلاثة
الاول اما السرياني فلقدمه كما ذكرنا واما العربي [illegible] فلتنزل
القران والتورية بهما بلسانهما وكان هذان الخطان بيانا لمتلوهما فوقعت
العناية بمنظومهما اولا وانبسطت قوانين لاطراد العبارة في تلك اللغة
على اسلوبها لتفهم الشرايع التكليفية من ذلك الكلام الرباني واما اللطيني
فكان الروم وهم اهل ذلك اللسان لما اخذوا بدين النصرانية وهو كله من
التورية كما سبق في اول الكتاب ترجموا التورية وكتب الانبيا الاسرايليين
الى لغتهم ليقتنصوا منها الاحكام على اسهل الطرق وصارت عنايتهم
بلغتهم وكتابتهم اكد من سواها واما الخطوط الاخرى فلم تقع بها عناية وانما هي
لكل امة بحسب اصطلاحها ثم ان الناس حصروا مقاصد التاليف
التي ينبغي اعتمادها والغا ما سواها فعدوها سبعة اولها استنباط
العلم بموضوعه وتقسيم ابوابه وفصوله وتتبع مسايله او استنباط مسايل
ومباحث تعرض للعالم المحقق ويحرص على ايصاله لغيره لتعم المنفعة به فيودع
ذلك بالكتاب في المصحف لعل المتاخر يظهر على تلك الفايدة كما وقع في الاصول
الفقه تكلم الشافعي اولا في الادلة الشرعية اللفظية ولخصها ثم جاء

باصطلاحات

والعبري صح

الحنفية فاستنبطوا مسايل القياس واستوعبوها وانتفع بذلك من بعدهم الى
الآن وثانيها ان يقف على كلام الاولين وتواليفهم فيجدها مستغلقة على الافهام
ويفتح الله له في فهمها فيحرص على ابانة ذلك لغيره ممن عساه يستغلق عليه لتصل
الفايدة لمستحقها وهذه طريقة البيان لكتب المعقول والمنقول وهو فصل شريف
وثالثها ان يعثر المتاخر على غلط او خطا في كلام المتقدمين ممن اشتهر فضله وبعد
في الافادة صيته ويستوثق في ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخل للشك فيه
فيحرص على ايصال ذلك لمن بعده اذ قد تعذر محوه ونزعه بانتشار التاليف
في الآفاق والاعصار وشهرة المولف ووثوق الناس بمعارفه فيودع ذلك
الكتاب ليقف الناظر على بيان ذلك ورابعها ان يكون الفن الواحد قد
نقصت منه مسايل او فصول بحسب انقسام موضوعه فيقصد المطلع على ذلك
ان يتمم ما نقص من تلك المسايل ليكمل الفن بكمال مسايله وفصوله ولا يبقى للنقص
فيه مجال وخامسها ان يكون مسايل العلم قد وقعت غير مرتبة في ابوابها ولا
منتظمة فيقصد المطلع على ذلك ان يرتبها ويهذبها ويجعل كل مسيلة في بابها كما وقع
في المدونة من رواية سحنون عن ابن القاسم وفي العتبية من رواية العتبي عن اصحاب
مالك فان مسايل كثيرة من ابواب الفقه منها قد وقعت في غير بابها فهذب ابن ابي زيد
المدونة وبقيت العتبية غير مهذبة فنجد في كل باب مسايل من غيره واستغنوا بالمدونة
وما فعله ابن ابي زيد فيها والبرادعي وسادسها ان تكون مسايل العلم مفرقة في ابوابها
من علوم اخر فيتنبه بعض الفضلا الى موضوع ذلك الفن وجمع مسايله فيفعل ذلك
ويظهر به فن ينظمه في جملة العلوم التي ينتحلها البشر بافكارهم كما وقع في علم البيان
فان عبد القاهر الجرجاني وابو يوسف السكاكي وجدا مسايله مستقرية في كتب
النحو وقد جمع منها الجاحظ في كتاب البيان والتبيين مسايل كثيرة تنبه الناس فيها
لموضوع ذلك العلم وانفراده عن ساير العلوم فكتبا في ذلك تواليفهم المشهورة وصارت
اصولا لفن البيان ولقنها المتاخرون فاربوا فيها على كل متقدم وسابعها ان يكون
الشي من التواليف التي هي امهات للفنون مطولا مسهبا فيقصد بالتاليف
تلخيص ذلك بالاختصار والايجاز وحذف المتكرر ان وقع مع الحذر من حذف الضروري
لييلا يخل بمقصد المولف الاول فهذه جماع المقاصد التي ينبغي اعتمادها
بالتاليف ومراعاتها وما سوى ذلك ففعل غير محتاج اليه وخطا عن الجادة التي
يتعين سلوكها في نظر العقلا مثل انتحال ما تقدم لغيره من التواليف ان
ينسبه الى نفسه ببعض تلبيس من تبديل الالفاظ وتقديم المتاخر وعكسه
او يحذف ما يحتاج اليه في الفن او ياتي بما لا يحتاج اليه او يبدل الصواب
بالخطا او ياتي بما لا فايدة فيه فهذا شان الجهل والقحة ولهذا قال ارسطو لما عدد

من بعده صح



هذه المقاصد وانتهى الى آخرها فقال وما سوى ذلك ففضل او شره يعني بذلك
الجهل والقحة نعوذ بالله من العمل فيما لا ينبغي للعاقل سلوكه والله يهدي للتي هي اقوم

## فصل في ان كثرة التواليف في العلوم عايقة عن التحصيل

اعلم انه مما اضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التواليف
واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ
باستحضار ذلك وحينيذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها
او اكثرها ومراعاة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها فيقع
القصور ولا بد دون رتبة التحصيل ويمثل ذلك من شان الفقه في المذهب المالكي
بكتاب المدونة مثلا وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس
واللخمي وكتاب ابن بشير والتنبيهات والمقدمات وكذلك كتاب ابن الحاجب
وما كتب عليه ثم انه يحتاج الى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية
والمصرية وطرق المتاخرين عنهم والاحاطة بذلك كله وحينيذ يسلم له منصب الفتيا
وهي كلها متكررة والمعنى واحد والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز
ما بينها والعمر ينقضي في واحد منها ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسايل
المذهبية فقط لكان الامر دون ذلك بكثير وكان التعليم سهلا ومأخذه قريبا ولكنه الى صح
داء لا يرتفع لاستقرار العوايد عليه فصارت كالطبيعة لا يمكن نقلها ولا تحويلها
ويمثل ايضا علم العربية من كتاب سيبويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين
والكوفيين والبغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتاخرين
مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك وكيف يطالب به المتعلم
وينقضي عمره دونه ولا يطمع احد في الغاية منه الا في القليل النادر مثل ما وصل
الينا بالمغرب لهذا العهد من تواليف رجل من اهل صناعة العربية من اهل مصر
يعرف بابن هشام ظهر من كلامه فيها انه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم
تحصل الا لسيبويه وابن جني واهل طبقتهما لعظم ملكته وما احاط به من اصول
ذلك الفن وتفاريعه وحسن تصرفه فيه ودل ذلك على ان الفضل ليس منحصرا في
المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتواليف
ولكن فضل الله يوتيه من يشاء وهذا نادر من نوادر الوجود والا فالظاهر ان المتعلم
لو قطع عمره في هذا كله لا يفي له بتحصيل علم العربية مثلا الذي هو آلة من الآلات
ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة ولكن الله يهدي من يشا

## فصل في ان كثرة الاختصارات الموضوعة في العلوم مخلة بالتعليم

ذهب كثير من المتاخرين الى اختصار الطرق والانحا في العلوم يولعون بها
ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسايله وادلتها باختصار

في الالفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن فصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا
على الفهم وربما عمدوا الى الكتب الامهات المطولة في الفنون فاختصروها تقريبا للحفظ كما
فعله ابن الحاجب في الفقه واصول الفقه وابن مالك في العربية والخونجي في المنطق وامثالهم
وهو فساد من التعليم وفيه اخلال بالتحصيل وذلك لان فيه تخليطا على المبتدي بالقاء
الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم كما سياتي ثم فيه
مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع الفاظ الاختصار العويصة للفهم لتزاحم المعاني عليها
واستخراج المسايل من بينها لان الفاظ المختصرات تجدها لاجل ذلك صعبة عويصة فينقطع في
فهمها حظ صالح من الوقت ثم بعد ذلك كله فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات
اذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات
البسيطة المطولة لكثرة ما يقع في تلك من التكرار والاطالة المفيدين لحصول الملكة
التامة واذا اقتصر عن التكرار قصرت الملكة لقلته كشان هذه الموضوعات
المختصرة فقصدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فاركبوهم صعبا يقطعهم عن تحصيل
الملكات النافعة وتمكنها ومن يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له

## فصل في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته

اعلم ان تلقين المتعلمين للعلوم انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج شيئا فشيئا
وقليلا قليلا يلقي عليه اولا مسايل من كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ويقرب
له في شرحها على سبيل الاجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه
حتى ينتهي الى اخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها قريبة وضعيفة
وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسايله ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في
التلقين عن تلك الرتبة الى اعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال
ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى ان ينتهي الى اخر الفن فتجود ملكته ثم
يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا منغلقا الا وضحه وفتح له مقفله
فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رايت
انما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في اقل من ذلك بحسب ما يخلق
له ويتيسر عليه وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي ادركنا يجهلون
طرق هذا التعليم وافادته ويحضرون المتعلم في اول تعليمه المسايل المقفلة
من العلم ويطالبونه باحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا
فيه ويكلفونه وعي ذلك وتحصيله فيخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون
في مباديها وقبل ان يستعد لفهمها فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه
تنشا تدريجا ويكون المتعلم اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا في الاقل
وعلى سبيل التقريب والاجمال وبالامثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج

قليلا

بلغ

قليلا قليلا بمخالطة مسايل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب الى
الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويحيط بمسايل
الفن واذا القيت عليه الغايات في البداية وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد
عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل
عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه وانما اتى ذلك من سوء التعليم ولا ينبغي للمعلم
ان يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي اكب على التعليم منه بحسب طاقته وعلى نسبة
قبوله للتعليم مبتديا كان او منتهيا ولا يخلط مسايل الكتاب بغيرها حتى يعيه من اوله
الى اخره ويحصل اغراضه ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره لان المتعلم اذا
حصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي وحصل له نشاط في طلب
المزيد والنهوض الى ما فوق حتى يستولي على غايات العلم واذا خلط عليه الامر عجز عن
الفهم وادركه الكلال وانطمس فكره ويئس من التحصيل وهجر العلم والتعليم والله يهدي
من يشاء وكذلك ينبغي ان لا يطول على المتعلم في الفن الواحد او الكتاب الواحد بتقطيع
المجالس وتفريق ما بينها لانه ذريعة الى النسيان وانقطاع مسايل الفن بعضها عن بعض
فيعسر حصول الملكة بتفريقها واذا كانت اوايل العلم واواخره حاضرة عند الفكر
مجانبة للنسيان كانت الملكة ايسر حصولا واحكم ارتباطا واقرب صبغة لملكات
لان الملكات انما تحصل بتتابع الفعل وتكرره واذا تنوسي الفعل تنوسيت
الملكة الناشية عنه والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة
في التعليم ان لا يخلط على المتعلم علمان معا فانه حينئذ قل ان يظفر بواحد منهما لما فيه من
تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما الى تفهم الاخر فيستغلقان معا ويستصعبان
ويعود منهما بالخيبة واذا تفرغ الفكر لتعلم ما هو بسبيله مقتصرا عليه فربما
كان ذلك اجدر بتحصيله والله الموفق للصواب **فصل** واعلم ايها المتعلم اني
اتحفك بفايدة في تعلمك ان تلقيتها بالقبول وامسكتها بيد الصناعة ظفرت
بكنز عظيم وذخيرة شريفة واقدم لك مقدمة تعينك على فهمها وذلك ان الفكر الانساني
طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر ساير مبتدعاته وهو فعل وحركة في النفس بقوة
في البطن الاوسط من الدماغ وتارة يكون مبدا للافعال الانسانية على نظام وترتيب
وتارة يكون مبدا العلم بما لا يكون حاصلا بان يتوجه الى المطلوب وقد تصور طرفيه
ويروم نفيه او اثباته فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما اسرع من لمح البصر ان كان
واحدا وينتقل الى تحصيل وسط اخر ان كان متعددا ويصير الى الظفر بمطلوبه
هذا شان هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من ساير الحيوان ثم الصناعة
المنطقية هي كيفية الفكرية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه لتعلم سداده
من خطايه لانها وان كان الصواب لها ذاتيا الا انه قد يعرض لها الخطا في الاقل

ما هذه الى قوله وكل ميسر لما خلق له
في الورقة الثانية اخر فصل
ان العلوم الالهية لا توسع فيها
الانظار لم تقابل
لعدم وجوده
في النسخة
المقابل
عليها

من قصور الطرفين على غير صورتها ومن اشتباه الهيئات في نظم القضايا وترتيبها للنتاج
فيعينه المنطق على التخلص من ورطة هذا الفساد ان عرض. فالمنطق اذا امر صناعي
مساوق للطبيعة الفكرية ومنطبق على صورة فعلها ولكونه امرا صناعيا استغني عنه
في الاكثر ولذلك تجد كثيرا من فحول النظار في الخليقة يحصلون على المطالب في العلوم
دون صناعة علم المنطق ولا سيما مع صدق النية والتعرض لرحمة الله فان ذلك اعظم
معين ويسلكون بالطبيعة الفكرية على سدادها فيفضي بهم بالطبع الى حصول الوسط
والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه ثم من دون هذا الامر الصناعي الذي هو المنطق مقدمة
اخرى من التعلم وهي معرفة الالفاظ ودلالتها على المعاني الذهنية تردها من مشافهة
الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان بالخطاب فلا بد ايها المتعلم من مجاوزتك هذه
الحجب كلها الى الفكر في مطلوبك فاولا دلالة الكتابة المرسومة على الالفاظ المقولة وهي
اخفها ثم دلالة الالفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني
للاستدلال في قوالبها المعروفة في صناعة المنطق ثم تلك المعاني مجردة في الفكر اشراكا
تقتنص بها المطالب بالطبيعة الفكرية بالتعرض لرحمة الله ومواهبه وليس كل احد
يتجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه الحجب في التعليم بسهولة بل ربما وقف الذهن
في حجب الالفاظ بالمناقشات او عثر في اشراك الادلة بشغب الجدال والشبهات
وقعد عن تحصيل المطلوب ولم يكد يتخلص من تلك الغمرة الا قليلا ممن هداه الله تعالى فاذا
ابتليت بمثل ذلك وعرض لك ارتياب في فهمك او تشغيب بالشبهات في
ذهنك فاطرح ذلك وانتبذ حجب الالفاظ وعوائق الشبهات واترك الامر الصناعي جملة
واخلص الى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه وسرح نظرك فيه وفرغ ذهنك للغوص
على مرامك منه واضعا قدمك حيث وضعها اكابر النظار قبلك متعرضا للفتح من الله
كما فتح عليهم من رحمته وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فاذا فعلت ذلك اشرقت عليك انوار
الفتح من الله بالظفر بمطلوبك وحصل الالهام الوسط الذي جعله الله من مقتضيات
هذا الفكر وفطره عليه كما قلناه. وحينئذ فارجع الى قوالب الادلة وصورها فافرغه
فيها ووفه حقه من القانون الصناعي ثم اكسه صور الالفاظ وابرزه الى عالم الخطاب
والمشافهة وثيق العرى صحيح البنيان واما ان وقفت عند المناقشة في الالفاظ
والشبهة في الادلة الصناعية وتمحيص صوابها من خطئها وهذه امور صناعية وضعية
تستوي جهاتها المتعددة وتتشابه لاجل الوضع والاصطلاح فلا تتميز جهة الحق منها
اذ جهة الحق انما تتميز اذا كانت بالطبع فيستمر ما حصل من الشك والارتياب
وتنسدل الحجب على المطلوب وتقعد بالناظر عن تحصيله وهذا شان الاكثر من النظار
المتاخرين سيما من سبقت له عجمة في لسانه فربطت على ذهنه او من حصل له شغف
بالقانون المنطقي وتعصب له فاعتقد انه الذريعة بالطبع الى درك الحق فيقع في

الحيرة

الحيرة بين شبه الادلة وشكوكها ولا يكاد يتخلص منها والذريعة الى درك الحق
بالطبع انما هو الفكر الطبيعي كما قلناه اذا جرد من جميع الاوهام وتعرض الناظر فيه
لرحمة الله واما المنطق فانما هو واصف لفعل هذا الفكر فيساوقه لذلك في الاكثر
فاعتمد ذلك واستمطر رحمة الله متى اعوزك فهم المسائل تشرق عليك انواره بالالهام
الى الصواب والله الهادي برحمته وما العلم الا من عند الله

## فصل في ان العلوم الالية لا توسع فيها الانظار ولا تفرع المسائل

اعلم ان العلوم المتعارفة بين اهل العمران على صنفين علوم مقصودة
بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام وكالطبيعيات
والالهيات من الفلسفة وعلوم هي آلة ووسيلة لهذه العلوم كالعربية والحساب
وغيرهما للشرعيات وكالمنطق للفلسفة وربما كان آلة لعلم الكلام ولاصول الفقه
على طريقة المتاخرين فاما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها
وتفريع المسائل واستكشاف الادلة والانظار فان ذلك يزيد طالبها تمكنا
في ملكته وايضاحا لمعانيها المقصودة واما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية
والمنطق وامثالهما فلا ينبغي ان ينظر فيها الا من حيث هي آلة لذلك الغير
فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل لان ذلك يخرج بها عن المقصود
اذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار
الاشتغال بها لغوا مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها
وربما يكون ذلك عائقا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها مع
ان شانها اهم والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاشتغال
بهذه العلوم الالية تضييعا للعمر وشغلا بما لا يعني وهذا كما فعله المتاخرون
في صناعة النحو وصناعة المنطق لا بل واصول الفقه لانهم اوسعوا دائرة الكلام فيها
نقلا واستدلالا واكثروا من التفاريع والمسائل بما اخرجها عن كونها آلة وصيرها مقصودة
بذاتها وربما يقع فيها لذلك انظار ومسائل لا حاجة بها في العلوم المقصودة بالذات
فتكون لاجل ذلك لغوا وتضر بالمتعلم على الاطلاق لان اهتمامهم بالعلوم
المقصودة اكثر من هذه الالات والوسائل فاذا قطعوا العمر في هذه الوسائل
فمتى يظفرون بالمقاصد فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الالية ان لا يستبحروا
فيها ولا يستكثروا من مسائلها ويأخذون المتعلم في الغرض منها ويقفوا به عنده
ومن نزعت همته بعد ذلك الى شيء من التوغل ورأى من نفسه قياما بذلك
وكفاية به فليختر لنفسه وكل ميسر لما خلق له

## فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه

اعلم ان تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه

في جميع امصارهم لما يسبق فيه الي القلوب من رسوخ الايمان وعقايده من ايات القران
وبعض متون الاحاديث وصار القران اصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد
من الملكات وسبب ذلك ان تعليم الصغر اشد رسوخا وهو اصل لما بعده لان السابق
الاول الي القلوب كالاساس للملكات وعلي حسب الاساس واساليبه يكون حال ما يبنى
عليه واختلفت طرقهم في تعليم القران للولدان باختلافهم في اعتبار ما ينشا عن ذلك
التعليم من الملكات **فاما** اهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار علي تعليم
القران فقط واخذهم اثنا المدارسة بالرسم ومسايله واختلاف حملة القران فيه
لا يخلطون ذلك بسواه في شي من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر
ولا من كلام العرب الي ان يحذق في ذلك او ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب
انقطاعا عن العلم بالجملة وهذا مذهب اهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر
امم المغرب في ولدانهم الي ان يجاوزوا حد البلوغ الي الشبيبة وكذا في الكبير اذا
راجع مدارسة القران بعد طايفة من عمره فهم لذلك اقوم علي رسم القران وحفظه من سواهم
**واما** اهل الاندلس فمذهبهم تعليم القراة والكتاب من حيث هو وهذا هو الذي
يراعونه في التعليم الا انه لما كان القران اصل ذلك واسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه
اصلا في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية
الشعر في الغالب والترسيل واخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب
ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقران دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط اكثر من جميعها
الي ان يخرج الولد من عمر البلوغ الي الشبيبة وقد شدا بعض الشي في العربية والشعر
والبصر بهما وبرز في الخط والكتاب وتعلق باذيال العلم علي الجملة لو كان فيها سند لتعليم
العلوم لكنهم ينقطعون عند ذلك لانقطاع سند التعليم في افاقهم ولا يحصل بايديهم
الا ما حصل من ذلك التعليم الاول وفيه كفاية لمن ارشده الله تعالى واستعداد اذا وجد المعلم
**واما** اهل افريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القران بالحديث في الغالب
ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسايلها الا ان عنايتهم بالقران واستظهار
الولدان اياه ووقوفهم علي اختلاف رواياته وقراءاته اكثر مما سواه وعنايتهم
بالخط تبع لذلك وبالجملة فطريقتهم في تعليم الولدان اقرب الي طريقة الاندلس
لان سند طريقتهم في ذلك متصل بمشيخة الاندلس الذين اجازوا عند تغلب
النصارى علي شرق الاندلس واستقروا بتونس وعنهم اخذ ولدانهم من بعد ذلك
**واما** اهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك علي ما يبلغنا ولا ادري بم عنايتهم
منها والذي ينقل لنا ان عنايتهم بدراسة القران وصحف العلم وقوانينه في
زمن الشبيبة ولا يخلطونه بتعليم الخط بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون
له علي انفراده كما تتعلم سائر الصنايع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان

واذا

واذا كتبوا لهم الالواح فبخط قاصر عن الاجادة ومن اراد تعلم الخط فعلي قدر ما يسنح
له بعد ذلك من الهمة في طلبه ويبتغيه من اهل صنعته فاما اهل افريقية والمغرب فافادهم
الاقتصار علي القران القصور عن ملكة اللسان جملة وذلك ان القران لا ينشا عنه في
الغالب ملكة لما ان البشر مصروفون عن الاتيان بمثله فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال
علي اساليبه والاحتذا بها وليس لهم ملكة في غير اساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة
في اللسان العربي وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام وربما كان اهل
افريقية في ذلك اخف من اهل المغرب لما يخلطون في تعليمهم القران بعبارات العلوم
في قوانينها كما قلناه فيقتدرون علي شي من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل الا ان ملكتهم
في ذلك قاصرة عن البلاغة لما ان اكثر محفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة كما
سياتي في فصله واما اهل الاندلس فافادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر
والترسيل ومدارسة العربية من اول العمر حصول ملكة صاروا بها اعرف في اللسان العربي
وقصروا في ساير العلوم لبعدهم عن مدارسة القران والحديث الذي هو اصل العلوم
واساسها فكانوا لذلك اهل خط وادب بارع او مقصر علي حسب ما يكون التعليم الثاني
من بعد تعليم الصبا ولقد ذهب القاضي ابو بكر بن العربي في كتاب رحلته الي غريبة
في وجه التعليم واعاد في ذلك وابدا وقدم تعليم العربية والشعر علي ساير العلوم كما هو
مذهب اهل الاندلس قال لان الشعر ديوان العرب ويدعو الي تقديمه وتقديم العربية
في التعليم ضرورة فساد اللغة ثم ينتقل منه الي الحساب فيتمرن فيه حتى يرى
القوانين ثم ينتقل الي درس القران فانه يتيسر عليه بهذه المقدمة ثم قال ويا غفلة
اهل بلادنا في ان يوخذ الطفل بكتاب الله في اول امره يقرا ما لم يفهم وينصب
في امر غيره اهم عليه منه قال ثم ينظر في اصول الدين ثم اصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث
وعلومه ونهى مع ذلك ان يخلط في التعليم علمان الا ان يكون المتعلم قابلا لذلك
بجودة الذهن والنشاط هذا ما اشار اليه القاضي رحمه الله وهو لعمري مذهب
حسن الا ان العوايد لا تساعد عليه وهي املك بالاحوال ووجه ما اختصت به
العوايد من تقديم دراسة القران ايثارا للتبرك والثواب وخشية ما يعرض للولد
في جنون الصبى من الافات والقواطع عن العلم فيفوته القران لانه ما دام
في الحجر منقاد للحكم فاذا تجاوز البلوغ وانحل من ربقة القهر فربما عصفت
به رياح الشبيبة فالقته بساحل البطالة فيغتنمون في زمان الحجر وربقة الحكم تحصيل القران
لئلا يذهب خلوا منه ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقبول التعليم لكان هذا المذهب
الذي ذكره القاضي اولي ما اخذ به اهل المغرب والمشرق ولكن الله يحكم ما يشا لا معقب لحكمه

## فصل في ان الشدة علي المتعلمين مضرة بهم

وذلك ان ارهاف الحد في التاديب مضر بالمتعلم سيما في اصاغر الولد لانه من سوء

الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك او الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه الى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الايدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه او منزله وصار عيالا على غيره في ذلك بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها فارتكس وعاد في اسفل السافلين وهكذا وقع لكل امة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف واعتبره في كل من يملك امره عليه ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة به وتجد ذلك فيهم استقراء وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء حتى انهم يوصفون في كل افق وعصر بالحرج ومعناه في الاصطلاح المشهور التخابث والكيد وسببه ما قلناه فلا ينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده ان لا يستبدوا عليهم في التاديب وقد قال ابو محمد بن ابي زيد في كتابه الذي الفه في حكم المعلمين والمتعلمين لا ينبغي لمؤدب الصبيان ان يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة اسواط شيئا ومن كلام عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا ادبه الله حرصا على صون النفوس عن مذلة التاديب وعلما بان المقدار الذي عينه الشرع لذلك املك له فانه اعلم بمصلحته ومن احسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده قال خلف الاحمر بعث الي الرشيد لتاديب ولده الامين فقال يا احمر ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة فكن له بحيث وضعك امير المؤمنين اقرئه القرآن وعرفه الاخبار وروه الاشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك الا في اوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير ان تحزنه فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويالفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة

## فصل في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم

والسبب في ذلك ان البشر ياخذون معارفهم واخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما والقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة الا ان حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشد استحكاما واقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها والاصطلاحات ايضا في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم انها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك الا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين فلقاء اهل العلوم وتعدد

المشايخ

المشايخ يعينه على تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم انها انحاء تعليم وطرق توصيل وتنهض قواه الى الرسوخ والاستحكام في الملكات ويصحح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهم من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

## فصل في ان العلماء من بين البشر ابعد عن السياسة ومذاهبها

والسبب في ذلك انهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني وانتزاعها من المحسوسات وتجريدها في الذهن امورا كلية عامة ليحكم عليها بامر على العموم لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جيل ولا امة ولا صنف من الناس ويطبقون من بعد ذلك الكلي على الخارجيات وايضا يقيسون الامور على اشباهها وامثالها بما اعتادوه من القياس الفقهي فلا تزال احكامهم وانظارهم كلها في الذهن ولا تصير الى المطابقة الا بعد الفراغ من البحث والنظر او لا تصير بالجملة الى مطابقة وانما يتفرع ما في الخارج عما في الذهن من ذلك كالاحكام الشرعية فانها فروع عما في المحفوظ من ادلة الكتاب والسنة فتطلب مطابقة ما في الخارج لها عكس الانظار في العلوم العقلية التي يطلب في صحتها مطابقتها لما في الخارج فهم متعودون في سائر انظارهم الامور الذهنية والانظار الفكرية لا يعرفون سواها والسياسة يحتاج صاحبها الى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها من الاحوال ويتبعها فانها خفية ولعل ان يكون فيها ما يمنع من الحاقها بشبه او مثال وينافي الكلي الذي يحاول تطبيقه عليها ولا يقاس شيء من احوال العمران على الاخر اذ كما اشتبها في امر واحد فلعلهما اختلفا في امور فتكون العلماء لاجل ما تعودوه من تعميم الاحكام وقياس الامور بعضها على بعض اذا نظروا في السياسة افرغوا ذلك في قالب انظارهم ونوع استدلالاتهم فيقعون في الغلط الكثير ولا يؤمن عليهم ويلحق بهم اهل الذكاء والكيس من اهل العمران لانهم ينزعون بثقوب اذهانهم الى مثل شان الفقهاء من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة فيقعون في الغلط والعامي السليم الطبع المتوسط الكيس لقصور فكره عن ذلك وعدم اعتياده اياه يقتصر لكل مادة على حكمها وفي كل صنف من الاحوال والاشخاص على ما اختص به ولا يعدي الحكم بقياس ولا تعميم ولا يفارق في اكثر نظره المواد المحسوسة ولا يجاوزها في ذهنه كالسابح لا يفارق البر عند الموج قال الشاعر

فلا توغلن اذا ما سبحت  فان السلامة في الساحل

فيكون مامونا من النظر في سياسته مستقيم النظر في معاملة ابناء جنسه فيحسن معاشه وتندفع آفاته ومضاره باستقامة نظره وفوق كل ذي علم عليم ومن هنا تعلم ان صناعة المنطق غير مامونة الغلط لكثرة ما فيها من الانتزاع وبعدها

عن المحسوس فانها نظر في المعقولات الثواني ولعل المواد فيها ما يمانع تلك الاحكام
وينافيها عند مراعاة التطبيق اليقيني واما النظر في المعقولات الاول وهي التي تجريدها
قريب فليست كذلك لانها خيالية وصور المحسوس حافظة مؤذنة بتصديق انطباقه

## فصل في ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم

من الغريب الواقع ان حملة العلم في الملة الاسلامية اكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية
ولا من العلوم العقلية الا في القليل النادر وان كان منهم العربي في نسبته فهو
عجمي في لغته ومرباه ومشيخته مع ان الملة عربية وصاحب شريعتها عربي والسبب
في ذلك ان الملة في اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى احوال السذاجة
والبداوة وانما احكام الشريعة التي هي اوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها في
صدورهم وقد عرفوا ماخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع واصحابه
والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا امر التعليم والتاليف والتدوين ولا دفعوا اليه ولا دعتهم
اليه حاجة وجرى الامر على ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمون المختصين
بحمل ذلك ونقله القراء اي الذين يقرؤون الكتاب وليسوا اميين لان الامية يومئذ
صفة عامة في الصحابة بما كانوا عربا فقيل لحملة القرآن يومئذ قراء اشارة الى
هذا فهم قراء الكتاب الله والسنة الماثورة عن الله لانهم لم يعرفوا الاحكام الشرعية الا منه
ومن الحديث الذي هو في غالب موارده تفسير له وشرح قال صلى الله عليه وسلم
تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي فلما بعد النقل من لدن
دولة الرشيد فما بعد احتيج الى وضع التفاسير القرآنية وتقييد الحديث مخافة
ضياعه ثم احتيج الى معرفة الاسانيد وتعديل الرواة للتمييز بين الصحيح من الاسناد
وما دونه ثم كثر استخراج احكام الواقعات من الكتاب والسنة وفسد مع ذلك اللسان
فاحتيج الى وضع القوانين النحوية وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات في
الاستنباط والاستخراج والتنظير والقياس واحتيج الى علوم اخرى هي وسائل لها
من معرفة قوانين العربية وقوانين ذلك الاستنباط والقياس والذب عن
العقائد الايمانية بالادلة لكثرة البدع والالحاد فصارت هذه الامور كلها علوما ذات
ملكات محتاجة الى التعليم فاندرجت في جملة الصنائع وقد كنا قدمنا ان الصنائع
من منتحل الحضر وان العرب ابعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضرية
وبعد العرب عنها وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم العجم او من في معناهم من الموالي
واهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة واحوالها من الصنائع والحرف
لانهم اقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب
صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما وكلهم عجم في
انسابهم وانما ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب وصيروه

قوانين

قوانين وفنا لمن بعدهم وكذلك حملة الحديث الذين حفظوه على اهل الاسلام اكثرهم عجم
او مستعجمون باللغة والمربى لاتساع الفن بالعراق وما بعده وكان علماء
اصول الفقه كلهم عجما كما تعرف وكذا حملة علم الكلام وكذا اكثر المفسرين ولم
يقم بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم فظهر مصداق قوله صلى الله عليه
وسلم لو تعلق العلم باكناف السماء لناله قوم من فارس واما العرب
الذين ادركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشغلتهم الرياسة
في الدولة العباسية وما دفعوا اليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيه
فانهم كانوا اهل الدولة وحاميتها واولي سياستها مع ما يلحقهم من الانفة
من انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع والرؤساء ابدا يستنكفون
عن الصنائع والمهن وما يجر اليها ودفعوا ذلك الى من قام به من العجم والمولدين وما
زالوا يرون لهم حق القيام به فانه دينهم وعلومهم ولا يحتقرون حملتها كل الاحتقار
حتى اذا خرج الامر من العرب جملة وصار للعجم صارت العلوم الشرعية
غريبة النسب عند اهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبها وامتهن حملتها بما
يرون انهم بعداء عنهم مشغولون بما لا يجدي عليهم في الملك والسياسة كما ذكرناه في
فصل المراتب الدينية فهذا الذي قررناه هو السبب في ان كان حملة الشريعة
او عامتهم عجما واما العلوم العقلية ايضا فلم تظهر في الملة الا بعد ان تميز
حملة العلم ومؤلفوه واستقر العلم كله صناعة فاختصت بالعجم وتركها
العرب وانصرفوا عن انتحالها فلم يحملها الا المعربون من العجم شان الصنائع كما قلناه
اولا ولم يزل ذلك في الامصار الاسلامية ما دامت الحضارة في العجم وبلادهم
من العراق وخراسان وما وراء النهر فلما خربت تلك الامصار وذهبت منها الحضارة
التي هي سر الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم من العجم جملة لما شملهم من البداوة
واختص العلم بالامصار الموفورة الحضارة ولا اوفر اليوم حضارة من مصر فهي
ام العالم وايوان الاسلام وينبوع العلوم والصنائع وبقي بعض الحضارة فيما وراء
النهر لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها فلهم بذلك حصة من العلوم والصنائع
لا تنكر وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم في تواليف وصلت
الى هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازاني واما غيره من العجم فلم نر لهم من
بعد الامام ابن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلاما يعول على نهايته في
الاجادة فاعتبر ذلك وتامله تجد عجبا في احوال الخليقة والله يخلق ما يشاء لا اله الا هو

## فصل في ان العجمة اذا سبقت الى اللسان قصرت بصاحبها في تحصيل العلوم عن اهل اللسان العربي

والسر في ذلك ان مباحث العلوم كلها انما هي في المعاني الذهنية والخيالية من بين العلوم

الشرعية التي اكثر مباحثها في الالفاظ وموادها من الاحكام المتلقاة من الكتاب والسنة ولغاتها المودية لها وهي كلها في الخيال وبين العلوم العقلية وهي في الذهن واللغات انما هي ترجمان عما في الضماير من تلك المعاني يوديها بعض الى بعض بالمشافهة في المناظرة والتعليم وممارسة البحث في العلوم لتحصيل ملكتها بطول المران على ذلك والالفاظ واللغات وسايط وحجب بين الضماير وروابط وختام على المعاني ولابد في اقتناص تلك المعاني من الفاظها بمعرفة دلالتها اللغوية عليها وجودة الملكة للناظر فيها والا فيعتاص عليه اقتناصها زيادة على ما يكون في مباحثها الذهنية من الاعتياص واذا كانت ملكته في تلك الدلالات راسخة بحيث تتبادر المعاني الى ذهنه من تلك الالفاظ عند استعمالها شان البديهي والجبلي زال ذلك الحجاب بالجملة بين المعاني والفهم او خف ولم يبق الا معاناة ما في المعاني من المباحث فقط هذا كله اذا كان التعليم تلقينا وبالخطاب والعبارة واما ان احتاج المتعلم الى الدراسة والتقييد بالكتاب ومشافهة الرسوم الخطية من الدواوين بمسايل العلوم كان هنالك حجاب اخر بين الخط ورسومه في الكتاب وبين الالفاظ المقولة في الخيال لان رسوم الكتابة لها دلالة خاصة على الالفاظ المقولة وما لم تعرف تلك الدلالة تعذرت معرفة العبارة وان عرفت بملكة قاصرة كانت معرفتها منها ايضا قاصرة ويزداد على الناظر والمتعلم بذلك حجاب اخر بينه وبين مطلوبه من تحصيل ملكات العلوم اعوص من الحجاب الاول واذا كانت ملكته في الدلالة اللفظية والخطية مستحكمة ارتفعت الحجب بينه وبين المعاني وصار انما يعاني فهم مباحثها فقط هذا شان المعاني مع الالفاظ والخط بالنسبة الى كل لغة والمتعلمون لذلك في الصغر اشد استحكاما لملكاتهم ثم ان الملة الاسلامية لما اتسع ملكها واندرجت الامم في طيها ودرست علوم الاولين بنبوتها وكتابها وكانت امية النزعة والشعار فاخذ الملك والعزة وسخرية الامم لهم بالحضارة والتهذيب وصيروا علومهم الشرعية صناعة بعد ان كانت نقلا فحدثت فيها الملكات وكثرت الدواوين والتواليف وتشوفوا الى علوم الامم فنقلوها بالترجمة الى علومهم وافرغوها في قالب انظارهم وجردوها من تلك اللغات الاعجمية الى لسانهم واربوا فيها على مداركهم وبقيت تلك الدفاتر التي بلغتهم الاعجمية نسيا منسيا وطللا مهجورا وهباء منثورا واصبحت العلوم كلها بلغة العرب ودواوينها المسطرة بخطهم واحتاج القايمون بالعلوم الى معرفة الدلالات اللفظية والخطية في لسانهم دون ما سواه من الالسن لدروسها وذهاب العناية بها وقد تقدم لنا ان اللغة ملكة في اللسان وكذا الخط ملكة صناعية في اليد فاذا تقدمت في اللسان ملكة العجمة

صار

صار مقصرا في اللغة العربية لما قدمناه من ان الملكة اذا تقدمت في صناعة فقل ان يجيد صاحبها ملكة في صناعة اخرى وهو ظاهر واذا كان مقصرا في اللغة العربية ودلالاتها اللفظية والخطية اعتاص عليه فهم المعاني منها كما مر الا ان تكون ملكة العجمة السابقة لم تستحكم حين انتقل منها الى العربية كاصاغر ابناء العجم الذين يربون مع العرب قبل ان تستحكم عجمتهم فتكون اللغة العربية كانها السابقة لهم ولا يكون عندهم تقصير في فهم المعاني من اللغة العربية وكذا ايضا شان من سبق له تعلم الخط الاعجمي قبل العربي ولهذا نجد الكثير من علما الاعاجم في دروسهم ومجالس تعليمهم يعدلون عن نقل التفاسير من الكتب الى قراتها ظاهرا يخففون بذلك عن انفسهم مؤنة بعض الحجب ليقرب عليهم تناول المعاني وصاحب الملكة في العبارة والخط مستغن عن ذلك لتمام ملكته وانه صار له فهم الاقوال من الخط والمعاني من الاقوال كالجبلة الراسخة وارتفعت الحجب بينه وبين المعاني وربما يكون الدوب على التعليم والمران على اللغة وممارسة الخط يفضيان بصاحبها الى تمكن الملكة كما نجده في الكثير من علما الاعاجم الا انه في النادر واذا قرن بنظيره من علما العرب واهل طبقته منهم كان باع العربي اطول وملكته اقوى لما عند المستعجم من الفتور بالعجمة السابقة التي تؤثر القصور بالضرورة ولا يعترض على ذلك بما تقدم من ان علما الاسلام اكثرهم العجم لان المراد بالعجم هنالك عجم النسب لتداول الحضارة فيهم التي قررنا انها سبب لانتحال الصنايع والملكات ومن جملتها العلوم واما عجمة اللغة فليست من ذلك وهي المرادة هنا ولا يعترض ذلك ايضا بما كان لليونانيين في علومهم من رسوخ القدم فانهم انما تعلموها من لغتهم السابقة لهم وخطهم المتعارف بينهم والاعجمي المتعلم للعلم في الملة الاسلامية ياخذ العلم بغير لسانه الذي سبق اليه ومن غير خطه الذي يعرف ملكته فلهذا يكون له ذلك حجابا كما قلناه وهذا عام في جميع اصناف اهل اللسان الاعجمي من الفرس والروم والترك والبربر والفرنج وساير من ليس من اهل اللسان العربي وفي ذلك ايات للمتوسمين

## فصل في علوم اللسان العربي

واركانها اربعة وهي اللغة والنحو والبيان والادب ومعرفتها ضرورية على اهل الشريعة اذ ماخذ الاحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهما بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن اراد علم الشريعة وتتفاوت في التاكيد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام حسب ما يتبين في الكلام عليها فنا فنا والذي يتحصل ان الاهم المقدم منها هو النحو اذ به يتبين اصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدا من الخبر ولولاه لجهل اصل الافادة وكان من حق علم اللغة التقديم لولا ان اكثر الاوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغير بخلاف الاعراب الدال على

الاسناد والمسند والمسند اليه فانه تغير بالجملة ولم يبق له اثر فلذلك كان علم النحو اهم من اللغة اذ في جهله الاخلال بالتفاهم جملة وليس كذلك اللغة والله اعلم

## علم النحو

اعلم ان اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بافادة الكلام فلا بد ان تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل امة بحسب اصطلاحاتهم وكانت الملكة الحاصلة من ذلك للعرب احسن الملكات واوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور اعني المضاف ومثل الحروف التي تفضي بالافعال اي الحركات الى الذوات من غير تكلف الفاظ اخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب واما غيرها من اللغات فكل معنى او حال لا بد له من الفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطباتهم اطول مما نقدره بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا فصار للحروف في لغتهم والحركات والاوضاع اي الهيئات اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها انما هي ملكة في السنتهم ياخذها الاخر عن الاول كما ياخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في ايدي الامم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما القى اليها السمع من المخالفات التي للمتعربين من العجم والسمع ابو الملكة اللسانية ففسدت بما القي اليها مما يغايرها لجنوحها اليه باعتياد السمع وخشي اهل الحلوم منهم ان تفسد تلك الملكة راسا ويطول العهد فينغلق القران والحديث على الفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر انواع الكلام ويلحقون الاشباه منها بالاشباه مثل ان الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدا مرفوع ثم راوا تغير الدلالة بتغير هذه الحركات فاصطلحوا على تسميته اعرابا وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا وامثال ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو واول من كتب فيها ابو الاسود الدولي من بني كنانة ويقال باشارة علي رضي الله عنه لانه راى تغير الملكة فاشار عليه بحفظها ففزع الى ضبطها بالقوانين المستقراة ثم كتب فيها الناس من بعده الى ان انتهت الى الخليل بن احمد الفراهيدي ايام الرشيد احوج ما كان الناس اليها لذهاب تلك الملكة من العرب فهذب الصناعة وكمل ابوابها واخذها عنه سيبويه فكمل تفاريعها واستكثر من ادلتها وشواهدها ووضع فيها كتابه المشهور الذي كان اماما لكل ما كتب فيها من بعده ثم وضع ابو علي الفارسي وابو القاسم الزجاجي كتبا مختصرة للمتعلمين يحذون فيها حذو الامام في كتابه

الحاضرة صح

ثم

ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين اهلها في الكوفة والبصرة المصرين القديمين للعرب وكثرت الادلة والحجاج بينهم وتباينت الطرق في التعليم وكثر الاختلاف في اعراب كثير من اي القران باختلافهم في تلك القواعد وطال ذلك على المتعلمين وجاء المتاخرون بمذاهبهم في الاختصار فاختصروا كثيرا من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع ما نقل كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وامثاله او اقتصارهم على المبادي للمتعلمين كما فعله الزمخشري في المفصل وابن الحاجب في المقدمة وربما نظموا ذلك نظما مثل ابن مالك في الارجوزتين الكبرى والصغرى وابن معطي في الارجوزة الالفية وبالجملة فالتواليف في هذا الفن اكثر من ان تحصى او يحاط بها وطرق التعليم فيها مختلفة فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتاخرين والكوفيون والبصريون والبغداديون والاندلسيون مختلفة طرقهم كذلك وقد كادت هذه الصناعة ان تؤذن بالذهاب لما راينا من النقص في سائر العلوم والصنائع بتناقص العمران ووصل الينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب الى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى فيه احكام الاعراب مجملة ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والجمل وحذف ما في الصناعة من المتكرر في اكثر ابوابها وسماه بالمغني في الاعراب واشار الى نكت اعراب القران كلها وضبطها بابواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها وكانه ينحو في طريقته منحا نحاة الموصل اقتفوا اثر ابن جني واتبعوا مصطلح تعليمه فاتى من ذلك بشيء عجيب دال على قوة ملكته واضطلاعه والله يزيد في الخلق ما يشاء

اهل صح

## علم اللغة

وهذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك انه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند اهل النحو بالاعراب واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تادى الفساد الى موضوعات الالفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلا مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتيج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشا عنه من الجهل بالقران والحديث فشمر كثير من ائمة اللسان لذلك واملوا فيه الدواوين وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن احمد الفراهيدي الف فيها كتاب العين فحصر فيه مركبات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وهو غاية ما ينتهي اليه التركيب في اللسان العربي وتاتى له حصر ذلك بوجوه عديدة حاصرة وذلك ان جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الاعداد على التوالي من واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد لان الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من

ع

السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ثم الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن والعشرين فيكون واحدا فتكون كلها اعدادا على توالي العدد من واحد الى سبعة وعشرين فتجمع كما هي بالعمل المعروف عند اهل الحساب وهو ان تجمع الاول مع الاخير وتضرب المجموع في نصف العدة ثم تضاعف لاجل قلب الثنائي لان التقديم والتاخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من واحد الى ستة وعشرين على توالي العدد لان كل ثنائية تزيد عليها حرفا فتكون ثلاثية فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفا بعد الثنائية فتجمع من واحد الى ستة وعشرين على توالي العدد وتضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج في ستة جملة تقاليب الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم وكذلك في الرباعي والخماسي فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه ورتب ابوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف واعتمد فيه ترتيب المخارج فبدا بحروف الحلق ثم ما بعده من حروف الحنك ثم الاضراس ثم الشفة وجعل حروف العلة آخرا وهي الحروف الهوائية وبدا من حروف الحلق بالعين لانه الاقصى منها فلذلك سمى الكتاب بالعين لان المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم الى مثل هذا وهو تسميته باول ما يقع فيه من الكلمات والالفاظ ثم بين المهمل منها من المستعمل وكان المهمل في الخماسي والرباعي اكثر لقلة استعمال العرب له لثقله ولحق به الثنائي لقلة دورانه وكان الاستعمال في الثلاثي اغلب فكانت اوضاعه اكثر لدورانه وضمن الخليل ذلك كله كتاب العين واستوعبه احسن استيعاب واوفاه وجاء ابو بكر الزبيدي وكتب لهشام المؤيد بالاندلس في المائة الرابعة فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل كله وكثيرا من شواهد المستعمل ولخصه للحفظ احسن تلخيص والف الجوهري من المشارقة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل البداية منها بالهمزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الاخير من الكلمة لاضطرار الناس في الاكثر الى اواخر الكلم فيحصل ذلك بابا ثم ياتي بالحروف اول الكلمة على ترتيب حروف المعجم ايضا ويترجم عليها بالفصول الى آخرها وحصر اللغة اقتداء بحصر الخليل ثم الف فيها من الاندلسيين ابن سيده من اهل دانية في دولة علي بن مجاهد كتاب المحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب وعلى نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرض لاشتقاقات الكلم وتصاريفها فجاء من احسن الدواوين ولخصه محمد بن ابي الحسين صاحب المستنصر من ملوك الدولة الحفصية بتونس

وقلب

وقلب ترتيبه الى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار اواخر الكلم وبناء التراجم عليها فكانا توامي رحم وسليلي ابوة ولكراع من ائمة اللغة كتاب المنجد ولابن دريد كتاب الجمهرة ولابن الانباري كتاب الزاهر هذه اصول كتب اللغة فيما علمناه وهنالك مختصرات اخرى مختصة بصنف من الكلم ومستوعبة لبعض الابواب او لكلها الا ان وجه الحصر فيها خفي ووجه الحصر في تلك جلي من قبل التراكيب كما رايت ومن الكتب الموضوعة ايضا في اللغة كتاب الزمخشري في المجاز وسماه اساس البلاغة بين فيه كل ما تجوزت به العرب من الالفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف الافادة ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العموم ثم تستعمل في الامور الخاصة الفاظا اخرى خاصة بها فرق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتاج الى فقه في اللغة عزيز الماخذ كما وضع الابيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالاشهب ومن الانسان بالازهر ومن الغنم بالاملح حتى صار استعمال الابيض في هذه كلها لحنا وخروجا عن لسان العرب واختص بالتاليف في هذا المنحى الثعالبي وافرده في كتاب له سماه فقه اللغة وهو من اكد ما ياخذ به اللغوي نفسه ان يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس معرفة الوضع الاول بكاف في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب لذلك واكثر ما يحتاج الى ذلك الاديب في فني نظمه ونثره حذرا من ان يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها وهو اشد من اللحن في الاعراب وافحش وكذلك الف بعض المتاخرين في الالفاظ المشتركة وتكفل بحصرها وان لم يبلغ الى النهاية في ذلك فهو مستوعب للاكثر واما المختصرات الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالمتداول من اللغة الكثير الاستعمال تسهيلا لحفظها على الطالب فكثيرة مثل الالفاظ لابن السكيت والفصيح لثعلب وغيرهما وبعضها اقل لغة من بعض لاختلاف نظرهم في الاهم على الطالب للحفظ والله الخلاق العليم

فصل واعلم ان النقل الذي تثبت به اللغة انما هو النقل عن العرب انهم استعملوا هذه الالفاظ لهذه المعاني لا تقل انهم وضعوها لانه متعذر وبعيد ولم يعرف لاحد منهم وكذلك لا تثبت اللغات بقياس ما لم يعرف استعماله على ما عرف استعماله بشهادة باعتباره في الاوزان كالقياسات الفقهية فيثبت الخمر للنبيذ باستعماله في ماء العنب باعتبار الاسكار الجامع لان شهادة الاعتبار في باب القياس انما مدركها الشرع الدال على صحة القياس من اصله وليس لنا مثله في اللغة الا بالعقل وهو تحكم وعلى هذا جمهور الائمة وان مال الى القياس فيها القاضي وابن سريج وغيرهم لكن القول بنفيه ارجح ولا تتوهمن ان اثبات اللغة في باب الحدود اللفظية لان الحد راجع الى المعاني ببيان ان مدلول اللفظ المجهول الخفي هو مدلول الواضح المشهور واللغة اثبات ان اللفظ كذا لمعنى كذا والفرق في غاية الظهور

## علم البيان

هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم اللسانية لانه متعلق

بالالفاظ وما تعيين ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني وذلك ان الامور التي يقصدها
المتكلم افادة السامع من كلامه هي اما تصور مفردات تسند ويسند اليها ويفضي
بعضها الى بعض والدالة على هذه هي المفردات من الاسما والافعال والحروف واما
تمييز المسندات من المسند اليها والازمنة ويدل عليها بتغيير الحركات وهو الاعراب
وابنية الكلمات وهذه كلها هي صناعة النحو ويبقى من الامور المكتنفة بالواقعات
المحتاجة للدلالة احوال المتخاطبين او الفاعلين وما يقتضيه حال الفعل وهو محتاج
الى الدلالة عليه لانه من تمام الافادة واذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الافادة
في كلامه واذا لم تشتمل منها على شي فليس من جنس كلام العرب فان كلامهم واسع
ولكل مقام عندهم [redacted] مقال يختص به بعد كمال الاعراب والابانة الا ترى ان قولهم
زيد جاءني مغاير لقولهم جاءني زيد من قبل ان المتقدم منهما هو الاهم عند المتكلم فمن
قال جاءني زيد افاد ان اهتمامه بالمجي قبل الشخص المسند اليه ومن قال زيد جاءني
افاد ان اهتمامه بالشخص قبل المجي المسند وكذا التعبير عن اجزاء الجملة بما يناسب
المقام من موصول او مبهم او معرفة وكذا تاكيد الاسناد في الجملة كقولهم زيد قايم
وان زيدا قايم وان زيدا لقايم متغايرة كلها في الدلالة وان استوت من طريق
الاعراب فان الاول العاري عن التاكيد انما يفيد الخالي الذهن والثاني المؤكد بان
يفيد المتردد والثالث يفيد المنكر فهي مختلفة وكذلك تقول جاءني الرجل ثم تقول
مكانه بعينه جاءني رجل اذا قصدت بذلك التنكير تعظيمه وانه رجل لا يعادله
احد من الرجال ثم الجملة الاسنادية تكون خبرية وهي التي لها خارج يطابقها
اولا وانشائية وهي التي لا خارج لها كالطلب وانواعه ثم قد يتعين ترك العاطف
بين الجملتين اذا كان [redacted] للثانية محل من الاعراب فينزل بذلك منزلة التابع المفرد
نعتا او توكيدا او بدلا فلا عطف او يتعين العطف اذا لم يكن للثانية محل من الاعراب
ثم قد يقتضي المحل الاطناب او الايجاز فيورد الكلام عليهما ثم قد تدل باللفظ ولا
تريد منطوقه وتريد لازمه ان كان مفردا كما تقول زيد اسد فلا تريد حقيقته
الاسد المنطوقة وانما تريد شجاعته اللازمة وتسندها الى زيد وتسمى هذه استعارة
وقد تريد باللفظ المركب الدلالة على ملزومه كما تقول زيد كثير رماد القدر وتريد به
ما لزم ذلك عنه من الجود وقرى الضيوف لان كثرة الرماد ناشية عنهما فهي دالة عليهما وهذه
كلها دلالات زايدة على دلالات الالفاظ المفردة والمركبة وانما هي هيآت واحوال كلها
للواقعات جعلت للدلالة عليها احوال وهيآت في الالفاظ بحسب ما يقتضي
مقامه فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات التي
للهيآت والاحوال والمقامات وجعل على ثلاثة اصناف **الصنف الاول**
يبحث فيه عن هذه الهيآت والاحوال حتى يطابق باللفظ جميع مقتضيات

الحال

الحال ويسمى علم البلاغة **والصنف الثاني** يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه
وهو الاستعارة والكناية كما قلناه ويسمى علم البيان والحقوا بهما **صنفا آخر** وهو النظر
في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق اما بسجع يفصله او تجنيس يشابه بين الفاظه
او ترصيع يقطع اوزانه او تورية عن المعنى المقصود بايهام معنى اخفى منه لاشتراك اللفظ
بينهما او طباق بالتقابل بين الاضداد وامثال ذلك ويسمى عندهم علم البديع
واطلق على الاصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان وهو اسم الصنف الثاني
لان الاقدمين اول ما تكلموا فيه ثم تلاحقت مسايل الفن واحدة بعد اخرى وكتب
فيها جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وامثالهم املاءات غير وافية بها ثم لم تزل
مسايل الفن تكمل شيا فشيا الى ان محض السكاكي زبدته وهذب مسايله ورتب
ابوابه على نحو ما ذكرناه انفا من الترتيب والف كتابه المسمى بالمفتاح في النحو والتصريف
والبيان فجعل هذا الفن من بعض اجزايه واخذه المتاخرون من كتابه ولخصوا منه
امهات هي المتداولة [redacted] لهذا العهد كما فعله السكاكي في كتاب التبيان
وابن مالك في كتاب المصباح وجلال الدين القزويني في كتاب الايضاح وفي كتاب
التلخيص وهو اصغر حجما من الايضاح والعناية لهذا العهد به عند اهل المشرق
في الشرح والتعليم منه اكثر من غيره وبالجملة فالمشارقة على هذا الفن اقوى من
المغاربة وسببه والله اعلم انه كمالي في العلوم اللسانية والصنايع الكمالية توجد
في العمران والمشرق اوفر عمرانا من المغرب كما ذكرناه او نقول لعناية العجم
وهم معظم اهل المشرق بتفسير الزمخشري وهو كله مبني على هذا الفن بل هو اصله
وانما اختص باهل المغرب من اصنافه علم البديع خاصة وجعلوه من جملة
علوم الادب الشعرية وفرعوا له القابا وعددوا ابوابا ونوعوا انواعا زعموا انهم
احصوها من لسان العرب وانما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الالفاظ وان
علم البديع سهل الماخذ وصعبت عليهم ماخذ البلاغة والبيان لدقة انظارهما
وغموض معانيهما فتجافوا عنهما ومن الف في البديع من اهل افريقية ابن رشيق
وكتاب العمدة له مشهور وجرى كثير من اهل افريقية والاندلس على منحاه واعلم
ان ثمرة هذا الفن انما هي في فهم الاعجاز من القران لان اعجازه في وفاء الدلالة
منه بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة وهي اعلى مراتب الكلام مع الكمال
فيما يختص بالالفاظ في انتقايها وجودة رصفها وتركيبها [redacted] وهذا هو الاعجاز
الذي تقصر الافهام عن دركه وانما يدرك بعض الشي منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان كاله
[redacted] وحصول ملكته فيدرك من اعجازه على قدر ذوقه فلهذا كانت مدارك
العرب الذين سمعوه من مبلغه اعلى مقاما في ذلك لانهم فرسان الكلام وجهابذته
والذوق عندهم موجود باوفر ما يكون واصحه واحوج ما يكون الى هذا الفن

عند اقتباس آي القرآن بوجوه البلاغة صح

المفسرون واكثر تفاسير المتقدمين غفل منه حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتتبع آي القرآن باحكام هذا الفن بما يبدي البعض من اعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير لولا انه يؤيد عقايد اهل البدع ولاجل هذا انتجاه كثير من اهل السنة مع وفور بضاعته من البلاغة فمن احكم عقايد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشاركة حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه او يعلم انها بدعة فيعرض عنها ولا تضره في معتقده فانه يتعين عليه النظر في هذا الكتاب للظفر بشيء من غرايب الاعجاز مع السلامة من البدع والاهوا والله الهادي من يشاء الى سوا السبيل

## علم الادب

هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه او نفيها وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من حفظ كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الاجادة ومسايل من اللغة والنحو مبثوثة اثنا ذلك متفرقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من ايام العرب يفهم به ما يقع في اشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الانساب الشهيرة والاخبار العامة والمقصود بذلك كله ان لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب واساليبهم ومناحي بلاغتهم اذا تصفحه لانه لا تحصل الملكة من حفظه الا بعد فهمه فيحتاج الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ثم انهم اذا ارادوا حد هذا الفن قالوا الادب هو حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان او العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القران والحديث اذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب الا ما ذهب اليه المتاخرون عند كلفهم بصناعة البديع من التورية في اشعارهم وترسيلهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينيذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قايما على فهمها وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم ان اصول هذا الفن واركانه اربعة دواوين وهي ادب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع عنها وكتب المحدثين في ذلك كثيرة وقد كان الغنا في الصدر الاول من اجزا هذا الفن لما هو تابع للشعر اذ الغنا انما هو تلحينه وقد كان الكتاب والفضلا من الخواص في الدولة العباسية ياخذون انفسهم به حرصا على تحصيل اساليب العرب وفنونه فلم يكن انتحاله قادحا في العدالة والمروة وكان سلف اهل الحجاز بالمدينة وغيرها ينتحلون ذلك وهم الحجة على من سواهم وقد الف القاضي ابو الفرج الاصبهاني وهو ما هو كتابه في الاغاني جمع فيه اخبار العرب واشعارهم وانسابهم وايامهم ودولهم وجعل مبناه على الغنا في المائة صوت التي اختارها

المغنون

ما صح

المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك اتم استيعاب واوفاه ولعمري انه ديوان العرب وجامع اشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغنا وساير الاحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه وهو الغاية التي يسمو اليها الاديب ويقف عندها واني له بها ونحن الان نرجع بالتحقيق على الاجمال فيما تكلمنا عليه من علوم اللسان والله الهادي للصواب

## فصل في ان اللغة ملكة صناعية

اعلم ان اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة اذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة او نقصانها وليس ذلك بالنظر الى المفردات وانما هو بالنظر الى التراكيب فاذا حصلت الملكة التامة في تركيب الالفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التاليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينيذ الغاية من افادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة والملكات لا تحصل الا بتكرار الافعال لان الفعل يقع اولا وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالا ومعنى الحال انها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة اي صفة راسخة فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام اهل جيله واساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها اولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر الى ان يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كاحدهم هكذا تصيرت الالسن واللغات من جيل الى جيل وتعلمها العجم والاطفال وهذا هو معنى ما تقوله العامة من ان اللغة للعرب بالطبع اي بالملكة الاولى التي اخذت عنهم ولم ياخذوها عن غيرهم ثم انه لما فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الاعاجم وسبب فسادها ان الناشي من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات اخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ويسمع كيفيات العرب ايضا فاختلط عليه الامر واخذ من هذه وهذه فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الاولى وهذا معنى فساد اللسان العربي ولهذا كانت لغة قريش افصح اللغات العربية واصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني اسد وبني تميم واما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان واياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لامم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة لمخالطة الاعاجم وعلى نسبة بعدهم عن قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند اهل صناعة العربية والله تعالى اعلم

## فصل في ان لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر ولغة حمير

بلغ مقابلة

وذلك انا نجدها في بيان المقاصد والوفا بالدلالة على سنن اللسان المضري ولم يفقد
منها الا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول فاعتاضوا منها بالتقديم والتاخير
وبقراين تدل على خصوصيات المقاصد الا ان البيان والبلاغة في اللسان المضري
اكثر واعرف لان الالفاظ باعيانها دالة على المعاني باعيانها ويبقى ما تقتضيه الاحوال
ويسمى بساط الحال محتاجا الى ما يدل عليه وكل معنى لا بد وان تكتنفه احوال تخصه
فيجب ان تعتبر تلك الاحوال في تادية المقصود لانها صفاته وتلك الاحوال في جميع الالسن
اكثر ما يدل عليها بالفاظ تخصها بالوضع واما في اللسان العربي فانما يدل عليها باحوال
وكيفيات في تراكيب الالفاظ وتاليفها من تقديم او تاخير او حذف او حركة اعراب
وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة ولذلك تفاوتت طبقات اللسان العربي
بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات كما قدمناه فكان الكلام العربي لذلك اوجز
واقل الفاظا وعبارة من جميع الالسن وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع
الكلم واختصر لي الكلام اختصارا واعتبر ذلك بما يحكى عن عيسى بن عمر وقد قال له بعض
النحاة اني اجد في كلام العرب تكرارا في قولهم زيد قايم وان زيدا قايم وان زيدا لقايم والمعنى
واحد فقال له ان معانيها مختلفة فالاول لافادة الخالي الذهن عن قيام زيد والثاني لمن
سمعه فانكره والثالث لمن عرف بالاصرار على انكاره فاختلفت الدلالة باختلاف الاحوال
وما زالت البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفتن في ذلك
الى خرفشة النحاة اهل صناعة الاعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون
ان البلاغة لهذا العهد ذهبت وان اللسان العربي فسد اعتبارا بما وقع اواخر الكلم
من فساد الاعراب الذي يتدارسون قوانينه وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم
والقاها القصور في افيدتهم والا فنحن اليوم نجد الكثير من الفاظ العرب لم تزل في
موضوعاتها الاول والتعبير عن المقاصد والتفاوت فيه بتفاوت الابانة موجود في
كلامهم لهذا العهد واساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم
وفيهم الخطيب المصقع في محافلهم ومجامعهم والشاعر المفلق على اساليب لغتهم
والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك ولم يفقد من احوال اللسان المدون الا
حركات الاعراب في اواخر الكلم فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومهيعا
معروفا وهو الاعراب وهو بعض من احكام اللسان وانما وقعت العناية بلسان
مضر لما فسد بمخالطتهم الاعاجم حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب
وصارت ملكته على غير الصورة التي كانت اولا فانقلب لغة اخرى وكان القران منزلا به
والحديث النبوي منقولا بلغته وهما اصل الملة فخشي تناسيهما وانغلاق الافهام عنهما
بفقدان اللسان الذي تنزلا به فاحتيج الى تدوين احكامه ووضع مقاييسه واستنباط
قوانينه وصار علما ذا فصول وابواب ومقدمات ومسايل سماه اهله بعلم النحو وصناعة العربية

فاصبح

فاصبح فنا محفوظا وعلما مكتوبا وسلما الى فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وافيا
ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقرينا احكامه نعتاض عن الحركات
الاعرابية التي فسدت في دلالتها بامور اخرى وكيفيات موجودة فيه فتكون لها قوانين تخصها
ولعلها تكون في اواخره على غير المنهاج الاول في لغة مضر فليست اللغات وملكاتها مجانا
ولقد كان اللسان المضري مع اللسان الحميري بهذه المثابة وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات
اللسان الحميري وتصاريف كلماته تشهد بذلك الانقال الموجودة لدينا خلافا لمن يحمله
القصور على انها لغة واحدة ويلتمس اجرا اللغة الحميرية على مقاييس اللغة المضرية وقوانينها
كما يزعم بعضهم في اشتقاق القيل في اللسان الحميري انه من القول وكثير من اشباه
هذا وليس ذلك بصحيح ولغة حمير لغة اخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من اوضاعها
وتصاريفها وحركاتها كما هي لغة العرب لعهدنا مع لغة مضر الا ان العناية
بلسان مضر من اجل الشريعة كما قلناه حمل على ذلك الاستنباط والاستقرا وليس
عندنا نحن لهذا العهد ما يحملنا على مثل ذلك ويدعونا اليه ومما وقع في لغة هذا الجيل
العربي لهذا العهد حيث كانوا من الاقطار شانهم في النطق بالقاف فانهم لا ينطقون
بها من مخرج القاف عند اهل الامصار كما هو مذكور في كتب العربية انه من اقصى اللسان
وما فوقه من الحنك الاعلى ولا ينطقون بها ايضا من مخرج الكاف وان كان اسفل من
موضع القاف وما يليه من الحنك الاعلى كما هي بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف
والقاف وهذا موجود للجيل اجمع حيث كانوا من غرب او شرق حتى صار ذلك علامة
عليهم من بين الامم والاجيال ومختصا بهم لا يشاركهم فيه غيرهم حتى ان من يريد التعرب
والانتساب الى الجيل والدخول فيه يحاكيهم في النطق بها وعندهم انه انما يتميز
العربي الصريح من الدخيل في العروبية او الحضري بالنطق بهذه القاف ويظهر
من ذلك انها لغة مضر بعينها فان هذا الجيل الباقي معظمهم ورياستهم شرقا وغربا
في ولد منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان من سليم بن منصور ومن بني
عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور وهم لهذا العهد اكثر الامم في
المعمور واغلبهم وهم من اعقاب مضر وساير الجيل منهم من بني كهلان في النطق بهذه
القاف اسوة وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة
ويظهر من ذلك انها لغة مضر الاولين ولعلها لغة النبي صلى الله عليه وسلم بعينها
وقد ادعى ذلك فقها اهل البيت وزعموا ان من قرا في ام القران الصراط المستقيم
بغير القاف الذي لهذا الجيل فقد لحن وافسد صلاته ولم ادر من اين جا هذا فان
لغة اهل الامصار ايضا لم يستحدثوها وانما تناقلوها من لدن سلفهم وكان اكثرهم
من مضر لما نزلوا الامصار من لدن الفتح واهل الجيل ايضا لم يستحدثوها الا انهم ابعد عن
مخالطة الاعاجم من اهل الامصار فهذا يرجح فيما يوجد من اللغة لديهم انه من لغة

هذا صح

سلفهم هذا مع اتفاق الجيل كلهم شرقا وغربا في النطق بها وانها الخاصية التي يتميز بها العربي من الهجين والحضري فالظاهر ان القاف التي ينطق بها اهل الجيل العربي البدوي هو من مخرج القاف عند اولهم من اهل اللغة وان مخرج القاف متسع فاوله من اعلى الحنك واخره مما يلي الكاف فالنطق بها من اعلى الحنك هو لغة الامصار والنطق بها مما يلي الكاف هي لغة هذا الجيل البدوي وبهذا يندفع ما قاله اهل البيت من فساد الصلاة بتركها في ام القران فان فقها الامصار كلهم على خلاف ذلك وبعيد ان يكونوا اهملوا ذلك فوجهه ما قلناه نعم نقول ان الارجح والاولى ما ينطق به اهل الجيل البدوي لان تواترها فيهم كما قدمناه شاهد بانها لغة الجيل الاول من سلفهم وانها لغة النبي صلى الله عليه وسلم ويرجح ذلك ايضا ادغامهم لها في الكاف لتقارب المخرجين ولو كانت كما ينطق بها اهل الامصار من اصل الحنك لما كانت قريبة المخرج من الكاف ولم تدغم ثم ان اهل العربية قد ذكروا هذه القاف القريبة من الكاف وهي التي ينطق بها اهل الجيل البدوي من العرب لهذا العهد متوسطة بين مخرجي القاف والكاف على انها حرف مستقل وهو بعيد والظاهر انها من اخر مخرج القاف لاتساعه كما قلناه ثم انهم يصرحون باستهجانه واستقباحه كانهم لم يصح عندهم انها لغة الجيل الاول وفيما ذكرناه من اتصال نطقهم بها لانهم انما ورثوها من سلفهم جيلا بعد جيل وانها شعارهم الخاص بهم دليل على انها لغة ذلك الجيل الاول ولغة النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم ذلك كله وقد يزعم زاعم ان هذه القاف التي ينطق بها اهل الامصار ليست من هذا الحرف وانها انما جاءت من مخالطتهم للعجم وانهم ينطقون بها كذلك فليست من لغة العرب لكن الاقيس ما قدمناه من انهما حرف واحد متسع المخرج فتفهم ذلك والله الهادي المبين

## فصل في ان لغة الحضر والامصار قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر

لغة سحو

اعلم ان عرف التخاطب في الامصار وبين الحضر ليس بلغة مضر القديمة ولا بلغة اهل الجيل [illegible] بل هي لغة اخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجيل العربي الذي لعهدنا وهي عن لغة مضر ابعد فاما انها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التغاير الذي يعد عند صناعة اهل النحو لحنا وهي مع ذلك تختلف باختلاف الامصار في اصطلاحاتهم فلغة اهل المشرق مباينة بعض الشي للغة اهل المغرب وكذا اهل الاندلس معهما وكل منهم متوصل بلغته الى تادية مقصوده والابانة عما في نفسه وهذا معنى اللسان واللغة وفقدان الاعراب ليس بضاير لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد واما انها ابعد عن اللسان الاول من لغة هذا الجيل فلان البعد عن اللسان انما هو بمخالطة العجمة فمن خالط العجم اكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الاصلي ابعد لان الملكة انما تحصل بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الاولى التي كانت للعرب والملكة الثانية التي للعجم فعلى مقدار



ما يسمعونه من العجمة ويربون عليه يبعدون عن الملكة الاولى واعتبر ذلك في امصار افريقية والمغرب والاندلس والمشرق اما افريقية والمغرب فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم لوفور عمرانها بهم ولم يكد يخلو عنهم مصر ولا جيل فغلبت العجمة فيها على اللسان العربي الذي كان لهم وصارت لغة اخرى ممتزجة والعجمة فيها اغلب لما ذكرناه فهي عن اللسان [illegible] الاول ابعد وكذا المشرق لما غلب العرب على امم من فارس والترك فخالطوهم وتداولت بينهم لغاتهم في الاكرة والفلاحين والسبي الذين اتخذوهم خولا ودايات واظئارا ومراضع ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتى انقلبت لغة اخرى وكذا اهل الاندلس مع عجم الجلالقة والافرنجة وصار اهل الامصار كلهم من هذه الاقاليم اهل لغة اخرى مخصوصة بهم تخالف لغة مضر ويخالف ايضا بعضها بعضا كما نذكره وكانها لغة اخرى لاستحكام ملكتها في اجيالهم والله يخلق ما يشاء

## فصل في تعلم اللسان المضري

اعلم ان ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة اهل الجيل كلهم مغايرة للغة مضر التي نزل بها القران وانما هي لغة اخرى من امتزاج العجمة بها كما قدمناه الا ان اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها ممكنا شان سائر الملكات ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها ان ياخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على اساليبهم من القران والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في اسجاعهم واشعارهم وكلمات المولدين ايضا في سائر فنونهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتاليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من اساليبهم وترتيب الفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهما رسوخا وقوة ويحتاج مع ذلك الى سلامة الطبع والتفهم الحسن لمنازع العرب واساليبهم في التراكيب ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الاحوال والذوق يشهد بذلك وهو ينشا من هذه الملكة والطبع السليم فيهما كما نذكر بعد وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المؤلف نظما ونثرا ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها وهكذا ينبغي ان يكون تعلمها والله يهدي من يشاء

## فصل في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم

والسبب في ذلك ان صناعة العربية انما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهو علم بكيفية لا نفس كيفية فليست نفس الملكة وانما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها عملا مثل ان يقول بصير بالخياطة غير محكم لملكتها في التعبير عن بعض انواعها الخياطة هي ان تدخل الخيط في خرت الابرة ثم تغرزها في لفقي الثوب

مجتمعين وتخرجها من الجانب الاخر بمقدار ركزها ثم تردها الى حيث ابتدات وتخرجها قدام
منفذها الاول بمطرح ما بين الثقبين الاولين ثم تتمادى على وصفه الى اخر العمل وتعطي صورة
الحبك والتنبيت والتفتيح وسائر انواع الخياطة واعمالها وهو اذا طولب ان يعمل
ذلك بيده لا يحكم منه شيا وكذا لو سئل عالم بالنجارة عن تفصيل الخشب فيقول هو ان
تضع المنشار على راس الخشبة وتمسك بطرفه واخر قبالك ممسك بطرفه الاخر
وتتعاقبانه بينكما واطرافه المضرسة المحددة تقطع ما مرت عليه ذاهبة وجائية
الى ان ينتهي الى اسفل الخشبة وهو لو طولب بهذا العمل او شي منه لم يحكمه وهكذا
هو العلم بقوانين الاعراب مع هذه الملكة في نفسها فان العلم بقوانين الاعراب
انما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة
والمهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين اذا سئل في كتاب سطرين
الى اخيه او ذي مودته او شكوى ظلامة او قصد من قصوده اخطا فيها الصواب
واكثر من اللحن ولم يجد تاليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود فيه على اساليب
اللسان العربي وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور
وهو لا يحسن اعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولا شيا من قوانين
صناعة العربية فمن هنا تعلم ان تلك الملكة هي غير صناعة العربية وانها مستغنية
عنها بالجملة وقد نجد بعض المهرة في صناعة الاعراب بصيرا بحال هذه الملكة
وهو قليل واتفاقي واكثر ما يقع للمخالطين لكتاب سيبويه فانه لم يقتصر على قوانين
الاعراب فقط بل ملا كتابه من امثال العرب وشواهد اشعارهم وعباراتهم فكان
فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة فتجد العاكف عليه والمحصل له قد حصل على
حظ من كلام العرب واندرج في محفوظه في اماكنه ومفاصل حاجاته وتنبه به لشان
الملكة فاستوفى تعليمها فكان ابلغ في الافادة ومن هولاء المخالطين لكتاب سيبويه
من يغفل عن التفطن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليه ملكة
واما المخالطون لكتب المتاخرين العارية من ذلك الا من القوانين النحوية مجردة عن اشعار
العرب وكلامهم فقلما يشعرون لذلك بامر هذه الملكة او يتنبهون لشانها فتجدهم
يحسبون انهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب وهم ابعد الناس عنه واهل
صناعة العربية [redacted] بالاندلس اقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم
لقيامهم فيها على شواهد العرب وامثالهم والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس
تعليمهم فيسبق الى المبتدي كثير من الملكة اثناء التعليم فتنطبع النفس بها
وتستعد الى تحصيلها وقبولها واما من سواهم من اهل المغرب وافريقية وغيرهم
فاجروا صناعة العربية مجرى العلوم بحثا وقطعوا النظر عن التفقه في تراكيب
كلام العرب الا ان اعربوا شاهدا او رجحوا مذهبا من جهة الاقتضا الذهني لا من

ومعلموها صح

جهة



جهة محاط اللسان وتراكيبه فاصبحت صناعة العربية عندهم كانها من جملة قوانين
المنطق العقلية والجدل وبعدت عن مناحي اللسان وملكته وافاد ذلك حملتها
في هذه الافاق وامصارها البعد عن الملكة بالكلية وكانهم لا ينظرون في كلام العرب
وما ذاك الا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبه وتمييز اساليبه
وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلم فهو احسن ما يفيد الملكة في اللسان وتلك
القوانين انما هي وسائل للتعليم اجروها على غير ما قصد بها واصاروها علما بحتا وبعدوا
عن ثمرتها وتعلم بما قررناه في هذا الباب ان حصول ملكة اللسان العربي انما هو بكثرة
الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه
ويتنزل بذلك منزلة من نشا معهم وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة
المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم والله مقدر الامور

مكنه صح

بلغ مقابله

## فصل في تفسير لفظة الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناها وبيان انها لا تحصل غالبا للمستعربين من العجم

اعلم ان لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ومعناها حصول
ملكة البلاغة للسان وقد مر تفسير البلاغة وانها مطابقة الكلام للمعنى من جميع
وجوهه بخواص تقع للتراكيب في افادة ذلك بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى
الهيئة المفيدة لذلك على اساليب العرب وانحاء مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك
الوجه جهده فاذا اتصلت معاناته لذلك بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة
في نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه امر التركيب حتى لا يكاد يحيد فيه عن منحى البلاغة
التي للعرب وان سمع تركيبا غير جار على ذلك المنحى مجه ونبا عنه سمعه بادنى فكر
بل وبغير فكر الا بما استفاده من حصول هذه الملكة فان الملكات اذا استقرت
ورسخت في محالها ظهرت كانها طبيعة وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من [redacted]
المغفلين ممن لم يعرف شان الملكات ان الصواب للعرب في لغتهم اعرابا وبلاغة
امر طبيعي ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وانما هي ملكة لسانية
في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهر في بادي الراي انها جبلة وطبع وهذه الملكة
كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه
وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها اهل صناعة
البيان فان هذه القوانين انما تفيد علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل
في محلها وقد مر ذلك واذا تقرر ذلك فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ الى وجوه
النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ولو رام صاحب
الملكة حيدا عن هذه السبل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه
عليه لسانه لانه لا يعتاده ولا تهديه اليه ملكته الراسخة عنده

واذا عرض عليه الكلام حايدا عن اسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم اعرض عنه
ومجه وعلم انه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم وربما يعجز عن الاحتجاج
لذلك كما يصنع اهل القوانين النحوية والبيانية فان ذلك استدلالي بما حصل من
القوانين المفادة بالاستقرا وهذا امر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى
يصير كواحد منهم ومثاله لو فرضنا صبيا من صبيانهم نشا وربي في جيلهم
فانه يتعلم لغتهم ويحكم شان الاعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها
وليس من العلم القانوني في شي وانما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه
وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم واشعارهم وخطبهم
والمداومة على ذلك بحيث تحصل الملكة ويصير كواحد ممن نشا في جيلهم وربي
بين اجيالهم والقوانين بمعزل عن هذا واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ
وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه اهل صناعة البيان والذوق انما هو
موضوع لادراك الطعوم لكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق
بالكلام كما هو محل لادراك الطعوم استعير لها اسمه وايضا فهو وجداني
للسان كما ان الطعوم محسوسة له فقيل له ذوق واذا تبين لك ذلك علمت
منه ان الاعاجم الداخلين في اللسان العربي الطارين عليه المضطرين الى النطق
به لمخالطة اهله كالفرس والروم والترك بالمشرق وكالبربر بالمغرب
فانه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة التي قررنا امرها لان
قصاراهم بعد طايفة من العمر وسبق ملكة اخرى الى لسانهم وهي لغاتهم ان
يعتنوا بما يتداوله اهل المصر بينهم في المحاورة من مفرد ومركب لما يضطرون
اليه من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لاهل الامصار وبعدوا عنها كما تقدم وانما
لهم في ذلك ملكة اخرى وليست ملكة اللسان المطلوبة ومن عرف احكام تلك
الملكة من القوانين المسطرة في الكتب فليس من تحصيل الملكة في شي
انما حصل احكامها كما عرفت وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد
والتكرر لكلام العرب فان عرض لك ما تسمعه من ان سيبويه والفارسي
والزمخشري وامثالهم من فرسان الكلام كانوا اعجاما مع حصول هذه الملكة
لهم فاعلم ان اوليك القوم الذين تسمع عنهم انما كانوا اعجاما في نسبهم فقط
واما المربى والمنشا فكانت بين اهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم
فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا وراها وكانهم في اول نشاتهم بمنزلة من
الاصاغر من العرب الذين نشاوا في اجيالهم حتى ادركوا كنه اللغة وصاروا
من اهلها وان كانوا اعجاما في النسب فليسوا باعجام في اللغة والكلام لانهم ادركوا
الملة في عنفوانها واللغة في شبابها ولم تذهب اثار الملكة منها ولا من اهل

نعم صح

الامصار

الامصار ثم عكفوا على الممارسة والمدارسة لكلام العرب حتى استولوا على غايته واليوم الواحد من العجم
اذا خالط اهل اللسان العربي بالامصار فاول ما يجد تلك الملكة المقصودة من اللسان العربي ممتحية
الاثار ويجد ملكتهم الخاصة بهم ملكة اخرى مخالفة لملكة اللسان العربي ثم اذا فرضنا انه اقبل على الممارسة
لكلام العرب واشعارهم بالمدارسة والحفظ ليستفيد تحصيلها فقل ان يحصل له لما قدمناه من
ان الملكة اذا سبقتها ملكة اخرى في المحل فلا تحصل الا ناقصة مخدوشة وان فرضنا عجميا في
النسب سلم من مخالطة اللسان العجمي بالكلية وذهب الى تعلم هذه الملكة بالحفظ والمدارسة فربما يحصل
له ذلك لكنه من الندور بحيث لا يخفى عليك بما تقرر وربما يدعي كثير ممن ينظر في هذه القوانين
البيانية حصول هذا الذوق له بها وهو غلط او مغالطة وانما حصلت له الملكة ان حصلت
في تلك القوانين البيانية وليست من ملكة العبارة في شي والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم

## فصل في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي [illegible] بالتعليم ومن كان منهم ابعد عن اللسان العربي كان حصولها عليه اصعب

فيستفاد صح

والسبب في ذلك ما يسبق الى المتعلم من حصول ملكة منافية للملكة المطلوبة بما سبق اليه من اللسان
الحضري الذي افادته العجمة حتى نزل بها اللسان عن ملكته الاولى الى ملكة اخرى هي لغة الحضر
لهذا العهد ولهذا نجد المعلمين يذهبون الى المسابقة بتعليم اللسان للولدان ويعتقد النحاة
ان هذه المسابقة بصناعتهم وليس كذلك وانما هي بتعليم هذه الملكة بمخالطة اللسان وكلام العرب
نعم صناعة النحو اقرب الى مخالطة ذلك وما كان من لغات اهل الامصار اعرق في العجمة وابعد
عن لسان مضر قصر بصاحبه عن تعلم اللغة المضرية وحصول ملكتها لتمكن المنافاة حينيذ
واعتبر ذلك في اهل الامصار فاهل افريقية والمغرب لما كانوا اعرق في العجمة وابعد عن اللسان
الاول كان لهم قصور تام في تحصيل ملكته بالتعليم ولقد نقل ابن رشيق ان بعض كتاب القيروان
كتب الى صاحب له يا اخي ومن لا عدمت فقده اعلمني ابو سعيد كلاما انك كنت ذكرت
انك تكون مع الذين تاتي وعاقنا اليوم فلم يتهيا لنا الخروج واما اهل المنزل الكلاب
من امر الشين فقد كذبوا هذا باطلا ليس من هذا حرفا واحدا وكتابي اليك وانا مشتاق
اليك وهكذا كانت ملكتهم في اللسان المضري وسببه ما ذكرناه وكذلك اشعارهم
كانت بعيدة عن الملكة نازلة عن الطبقة ولم تزل كذلك لهذا العهد وما كان بافريقية
من مشاهير الشعرا الا ابن رشيق وابن شرف واكثر ما يكون فيها الشعرا طاريين عليها
ولم تزل طبقتهم في البلاغة حتى الان مايلة الى القصور واهل الاندلس اقرب منهم الى
تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتها وامتلايهم من المحفوظات اللغوية نظما ونثرا وكان
فيهم ابن حيان المورخ امام اهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لهم فيها وابن
عبد ربه والقسطلي وامثالهم من شعرا ملوك الطوايف لما زخرت فيها بحار اللسان والادب
وتداول ذلك فيهم مييين من السنين حتى كان الانفضاض والجلا ايام تغلب النصرانية

وشغلوا عن تعلم ذلك وتناقص العمران فتناقص ذلك شأن الصنائع كلها فقصرت الملكة
فيهم عن شأنها حتى بلغت الحضيض وكان من آخرهم صالح بن شريف ومالك بن المرحل
من تلاميذ الطبقة الاشبيليين بسبتة وكتاب دولة بني الاحمر في أولها وألقت الاندلس أفلاذ
كبدها من أهل تلك الملكة بالجلاء الى العدوة من اشبيلية الى سبتة ومن شرق الاندلس الى
افريقية ثم لم يلبثوا ان انقرضوا وانقطع سند تعليمهم في هذه الصناعة لعسر قبول أهل العدوة
لها وصعوبتها عليهم لعوج ألسنتهم ورسوخهم في العجمة البربرية وهي منافية لما قلناه ثم عادت
الملكة بعد ذلك الى الاندلس كما كانت ونجم بها ابن بشرين وابن جابر وابن الجياب وطبقتهم
ثم ابراهيم الساحلي الطويجن وطبقته وقفاهم ابن الخطيب من بعدهم الهالك لهذا العهد
شهيدا بسعاية أعدائه وكان له في اللسان ملكة لا تدرك واتبع أثره تلميذه من بعده
وبالجملة فشأن هذه الملكة بالاندلس أكثر وتعليمها أيسر وأسهل بما هم عليه لهذا
العهد كما قدمناه من معاناة علوم اللسان ومحافظتهم عليها وعلى علوم الادب وسند تعليمها
ولأن أهل اللسان العجمي الذين تفسد ملكتهم انما هم طارئون عليهم وليست عجمتهم أصلا للغة
أهل الاندلس والبربر في هذه العدوة هم أهلها ولسانهم لسانها الا في الامصار فقط
وهم فيها منغمسون في بحر عجمتهم ورطانتهم البربرية فيصعب عليهم تحصيل الملكة اللسانية
بالتعليم بخلاف أهل الاندلس واما المشرق [illegible] العهد الاموية والعباسية فكان شأنه
شأن الاندلس في تمام هذه الملكة وإجادتها لبعدهم لذلك العهد عن الاعاجم ومخالطتهم
الا في القليل فكان أمر هذه الملكة لذلك العهد أقوم وكان فحول الشعراء والكتاب لعهدهم
أوفر لتوفر العرب وأبنائهم بالمشرق وانظر ما اشتمل عليه كتاب الاغاني من نظمهم ونثرهم
فان ذلك الكتاب هو كتاب العرب وديوانهم فيه لغتهم وأخبارهم وأيامهم وملتهم العربية
وسيرة نبيهم صلى الله عليه وسلم وآثار خلفائهم وملوكهم وأشعارهم وغناؤهم وسائر أحوالهم
فلا كتاب أوعب منه لأحوال العرب وبقي أمر هذه الملكة مستحكما بالمشرق في الدولتين
وربما كانت فيهم أبلغ من سواهم ممن كان في الجاهلية كما نذكره بعد حتى تلاشى أمر العرب
ودرست لغتهم وفسد كلامهم وانقضى أمرهم ودولتهم وصار الامر للاعاجم والملك في
أيديهم والتغلب لهم وذلك في دولة الديلم والسلجوقية وخالطوا أهل الامصار وكثروا
فامتلأت الارض بلغاتهم واستولت العجمة على أهل الامصار والحواضر حتى
بعدوا عن اللسان العربي وملكته وصار متعلمها منهم مقصرا عن تحصيلها وعلى ذلك نجد
لسانهم لهذا العهد في فني المنظوم والمنثور وان كانوا مكثرين منه والله يخلق ما يشاء ويختار

## فصل في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر

اعلم ان لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون
المقفى ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية وفي النثر وهو الكلام
غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام فأما الشعر

فمنه

فمنه المدح والشجاعة والرثا وأما النثر فمنه السجع وهو الذي يؤتى به قطعا
ويلتزم فيه او في كل كلمتين منه قافية واحدة تسمى سجعا ومنه المرسل وهو الذي يطلق
فيه الكلام اطلاقا ولا يقطع اجزاء بل يرسل ارسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها
ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم وأما القرآن
وان كان من المنثور الا انه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسلا مطلقا ولا مسجعا
بل هو مفصل آيات تنتهي الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام
في الآية الاخرى بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية وهو معنى قوله
تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم وقال قد فصلنا الآيات ويسمى آخر الآيات فيه فواصل اذ ليست اسجاعا ولا
التزم فيها ما يلتزم في السجع ولا هي ايضا قواف واطلق اسم المثاني على آيات القرآن
كلها على العموم لما ذكرناه واختص بأم القرآن للغلبة فيها كالنجم للثريا ولهذا سميت
السبع المثاني وانظر ما قاله المفسرون في تعليل تسميتها بالمثاني يشهد لك الحق برجحان
ما قلناه واعلم ان لكل واحد من هذه الفنون الشعرية اساليب تختص به عند أهله
ولا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر والحمد والدعا المختص بالخطب
والدعا المختص بالمخاطبات وأمثال ذلك وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه
في المنثور من كثرة الاسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الاغراض وصار
هذا المنثور اذا تأملته من باب الشعر وفنه لم يفترقا الا في الوزن واستمر المتأخرون
من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات السلطانية وقصروا الاستعمال
في هذا المنثور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وخلطوا الاساليب فيه وهجروا المرسل
وتناسوه وخصوصا اهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب
الغفل جارية على هذا الاسلوب الذي اشرنا اليه وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ
في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من احوال المخاطب والمخاطب وهذا الفن المنثور
المقفى ادخل المتأخرون فيه اساليب الشعر فوجب ان تنزه المخاطبات السلطانية
عنه اذ اساليب الشعر تباح فيها اللوذعية وخلط الجد بالهزل والاطناب في الاوصاف
وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو لذلك كله ضرورة في الخطاب
والتزام التقفية ايضا من اللوذعية والتزيين وجلال الملك والسلطان وخطاب الجمهور
من الملوك بالترغيب والترهيب ينافي ذلك ويباينه والمحمود في المخاطبات السلطانية الترسل
وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع الا في الاقل النادر وحيث ترسله الملكة ارسالا
من غير تكلف له ثم اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فان المقامات مختلفة
ولكل مقام اسلوب يخصه من اطناب او ايجاز او حذف او اثبات او تصريح او اشارة
او كناية او استعارة وأما اجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو على

بلغ مقابلة

اساليب الشعر مذموم وما حمل عليه اهل العصر الا استيلا العجمة على السنتهم وقصورهم
لذلك عن اعطا الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فعجزوا عن الكلام المرسل لبعد امده
في البلاغة وانفساح خطوته وولعوا بهذا المسجع يلفقون به ما نقصهم من تطبيق
الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويجبرونه بذلك القدر من التزيين بالاسجاع
والالقاب البديعية ويغفلون عما ورا ذلك واكثر من اخذ بهذا المذهب وبالغ فيه
في ساير انحا كلامهم كتاب المشرق وشعراوه لهذا العهد حتى انهم ليخلون بالاعراب
في الكلمات والتصريف اذا دخلت لهم في تجنيس او مطابقة لا يجتمعان معها فيرجحون ذلك
الصنف من التجنيس ويدعون الاعراب ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادف
التجنيس فتامل ذلك وانتقد بما قدمناه لك تقف على صحة ما ذكرناه والله الموفق

## فصل في انه لا تتفق الاجادة في فني المنظوم والمنثور معا الا للاقل

والسبب في ذلك انه كما بيناه ملكة في اللسان فاذا سبقت الى محله ملكة اخرى قصرت
بالمحل عن تمام الملكة اللاحقة لان قبول الملكات وحصولها للطباع التي على الفطرة الاولى
اسهل وايسر واذا تقدمتها ملكات اخرى كانت منازعة لها في المادة القابلة وعايقة
عن سرعة القبول فوقعت المنافاة وتعذر التمام في الملكة وهذا موجود في الملكات
الصناعية كلها على الاطلاق وقد برهنا عليه في موضعه بنحو من هذا البرهان فاعتبر مثله
في اللغات فانها ملكات اللسان وهي بمنزلة الصناعة وانظر من تقدم له شي من العجمة
كيف يكون قاصرا في اللسان العربي ابدا فالاعجمي الذي سبقت له اللغة الفارسية
لا يستولي على ملكة اللسان العربي ولا يزال قاصرا فيه ولو تعلمه وكذا البربري
والرومي والافرنجي قل ان تجد احدا منهم محكما لملكة اللسان العربي وما ذاك الا
لما سبق الى السنتهم من ملكة اللسان الاخر حتى ان طالب العلم من اهل هذه الالسن
اذا طلبه بين اهل اللسان العربي ومن كتبهم جا مقصرا في معارفه عن الغاية والتحصيل
وما اتي الا من قبل اللسان وقد تقدم لك من قبل ان الالسن واللغات شبيهة
بالصنايع وتقدم لك ان الصنايع وملكاتها لا تزدحم وان من سبقت له اجادة
ملكة فقل ان يجيد اخرى او يستولي فيها على الغاية والله خلقكم وما تعملون

## فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في ساير اللغات الا انا انما
نتكلم الان في الشعر الذي للعرب فان امكن ان تجد اهل الالسن الاخرى مقصودهم من كلامهم والا
فلكل لسان احكام في البلاغة تخصه وهو في لسان العرب غريب النزعة عزيز المنحى اذ هو
كلام مفصل قطعا قطعا متساوية في الوزن متحدة في الحرف الاخير من كل قطعة وتسمى
كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا ويسمى الحرف الاخير من كل قطعة الذي تتفق فيه
رويا وقافية وتسمى جملة الكلام قصيدة وكلمة وينفرد كل بيت منه بافادته في تراكيبه

الفرضه

حتى



حتى كانه كلام وحده مستقل عما قبله وبعده واذا افرد كان تاما في بابه في مدح او نسيب
او رثا فيحرص الشاعر على اعطا ذلك البيت ما يستقل به في افادته ثم يستانف
في البيت الاخر كلاما اخر كذلك ويستطرد للخروج من فن الى فن ومن مقصود الى مقصود بان يوطي
المقصود الاول ومعانيه الى ان يناسب المقصود الثاني ويبعد الكلام عن التنافر
كما يستطرد من النسيب الى المدح ومن وصف البيدا والطلول الى وصف الركاب او الخيل
والطيف ومن وصف الممدوح الى وصف قومه وعساكره ومن التفجع والعزا في الرثا الى
التاثر وامثال ذلك ويراعي فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد حذرا من ان يتساهل
الطبع في الخروج من وزن الى وزن يقاربه فقد يخفى ذلك من اجل المقاربة على كثير من الناس
ولهذه الموازين شروط واحكام تضمنها علم العروض وليس كل وزن يتفق في الطبع
استعملته العرب في هذا الفن وانما هي اوزان مخصوصة يسميها اهل تلك الصناعة
البحور وقد حصروها في خمسة عشر بحرا بمعنى انهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين
الطبيعية نظما **واعلم** ان فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك
جعلوه ديوان علومهم واخبارهم وشاهد صوابهم وخطايهم واصلا يرجعون اليه في الكثير
من علومهم وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم شان ملكاتهم كلها والملكات اللسانية
كلها انما تكتسب بالصناعة والارتياض في الكلام حتى يحصل شبه في تلك الملكة
والشعر من بين فنون الكلام صعب الماخذ على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة
من المتاخرين لاستقلال كل بيت منه بانه كلام تام في مقصوده ويصلح ان ينفرد دون ما سواه
فيحتاج من اجل ذلك الى نوع تلطف في تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه
التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر العرب ويبرزه مستقلا بنفسه ثم ياتي ببيت اخر
كذلك ثم ببيت اخر ويستكمل الفنون الوافية بمقصوده ثم يناسب بين البيوت في
موالاة بعضها مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة ولصعوبة منحاه
وغرابة فنه كان محكا للقرايح في استجادة اساليبه وشحذ الافكار في تنزيل الكلام
في قوالبه ولا يكفي فيه ملكة الكلام العربي على الاطلاق بل يحتاج بخصوصه الى تلطف
ومحاولة في رعاية الاساليب التي اختصته العرب بها وباستعمالها فيه
**ولنذكر** هنا مدلول لفظ الاسلوب عند اهل هذه الصناعة وما يريدون بها في اطلاقهم
فاعلم انها عبارة عندهم عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب او القالب الذي
تفرغ فيه ولا يرجع الى الكلام باعتبار افادته اصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب
ولا باعتبار افادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان
ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم
الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وانما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب
المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن

بلغ مقابلة

في اعيان التراكيب واشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب او المنوال ثم ينتقي التراكيب
الصحيحة عند العرب باعتبار الاعراب والبيان فيرصها فيه رصا كما يفعله البناء في القالب
او النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام
ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه فان لكل فن من الكلام اساليب
تختص به وتوجد فيه على انحاء مختلفة فسؤال الطلول في الشعر يكون بخطاب الطلول

كقوله    يا دار مية بالعلياء فالسند    ويكون باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال
كقوله    قفا نسأل الدار التي خف اهلها    او باستبكاء الصحب عليها
كقوله    قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل    او بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين
كقوله    الم تسأل فتخبرك الرسوم    ومثل تحية الطلول بالامر لمخاطب غير معين بتحيتها
كقوله    حي الديار بجانب الغزل    او بالدعاء لها بالسقيا كقوله

اسقى طلولهم اجش هزيم    وغدت عليهم روضة ونعيم

او بسؤال السقيا لها من البرق كقوله

يا برق طالع منزلا بالابرق    واحد السحاب لها حداء الانيق

ومثل التفجع في الرثاء باستدعاء البكاء كقوله

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر    وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

او باستعظام الحادث كقوله

ارأيت من حملوا على الاعواد    ارأيت كيف خبا ضياء النادي

او بالتسجيل على الاكوان بالمصيبة لفقده كقوله

منابت العشب لا حام ولا راع    مضى الردى بطويل الرمح والباع

او بالانكار على من لم يتفجع له من الجمادات كقول الخارجية

ايا شجر الخابور مالك مورقا    كانك لم تجزع على ابن طريف

او بتهنئة فريقه بالراحة من ثقل وطأته كقوله

القى الرماح ربيعة ابن نزار    اودى الردى بفريقك المغوار

وامثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه وتنتظم التراكيب فيه
بالجمل وغير الجمل انشائية وخبرية اسمية وفعلية متفقة وغير متفقة مفصولة وموصولة
على ما هو شان التراكيب في الكلام العربي في مكان كل كلمة من الاخرى يعرفك به
ما تستفيده بالارتياض في اشعار العرب من القالب الكلي المجرد في الذهن من التراكيب
المعينة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها فان مؤلف الكلام هو كالبناء او كالنساج
والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يبني فيه او كالمنوال الذي ينسج
عليه فان خرج عن القالب في بنائه او عن المنوال في نسجه كان فاسدا ولا تقولن
ان معرفة قوانين البلاغة كافية في ذلك لانا نقول قوانين البلاغة انما هي قواعد علمية



قياسية تفيد جواز استعمال التراكيب على هيئاتها الخاصة بالقياس وهو قياس علمي
صحيح مطرد كما هو قياس القوانين الاعرابية وهذه الاساليب التي نحن نقررها ليست من
القياس في شيء انما هي هيئة ترسخ في النفس من تتبع التراكيب في شعر العرب لجريانها على
اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء بها في كل تركيب
تركيب من الشعر كما قدمناه في الكلام باطلاق وان القوانين العلمية من الاعراب والبيان
لا تفيد تعليمه بوجه وليس كل ما يصح في قياس كلام العرب وقوانينه العلمية استعملوه
وانما المستعمل عندهم من ذلك انحاء معروفة يطلع عليها الحافظون لكلامهم وتندرج صورها
تحت القوانين القياسية فاذا نظر في شعر العرب على هذا النحو وبهذه الاساليب الذهنية
التي تصير كالقوالب كان نظرا في المستعمل من تراكيبهم لا فيما يقتضيه القياس
ولهذا قلنا ان المحصل لهذه القوالب في الذهن انما هو حفظ اشعار العرب وكلامهم وهذه
القوالب كما تكون في المنظوم تكون في المنثور فان العرب استعملوا كلامهم في كلا الفنين
وجاءوا به مفصلا في النوعين ففي الشعر بالقطع الموزونة والقوافي المقيدة واستقلال
الكلام في كل قطعة وفي المنثور يعتبرون الموازنة والتشابه بين القطع غالبا وقد يقيدونه
بالاسجاع وقد يرسلونه وقوالب كل واحد منها معروفة في لسان العرب والمستعمل
منها عندهم هو الذي يبني مؤلف الكلام عليه تاليفه ولا يعرفه الا من حفظ كلامهم حتى يتجرد في ذهنه
من القوالب المعينة الشخصية قالب كلي مطلق يحذو حذوه في التاليف كما يحذو البناء
على القالب والنساج على المنوال فلهذا كان فن تاليف الكلام منفردا عن نظر النحوي
والبياني والعروضي نعم ان مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيه لا يتم بدونها فاذا تحصلت
هذه الصفات كلها في الكلام اختص بنوع من النظر لطيف في هذه القوالب التي يسمونها
اساليب ولا يفيده الا حفظ كلام العرب نظما ونثرا واذا تقرر معنى الاسلوب ما هو فلنذكر
بعده حدا او رسما للشعر يفهمنا حقيقته على صعوبة هذا الغرض فانا لم نقف عليه لاحد
من المتقدمين فيما رايناه وقول العروضيين في حده انه الكلام الموزون المقفى ليس بحد
لهذا الشعر الذي نحن بصدده ولا رسم له وصناعتهم انما تنظر في الشعر من حيث اتفاق ابياته
في عدد المتحركات والسواكن على التوالي ومماثلة عروض ابيات الشعر لضربها وذلك نظر
في وزن مجرد عن الالفاظ ودلالتها فناسب ان يكون حدا عندهم ونحن هنا ننظر في الشعر
باعتبار ما فيه من الاعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة فلا جرم ان حدهم ذلك
لا يصلح له عندنا فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية فنقول الشعر هو الكلام
البليغ المبني على الاستعارة والاوصاف المفصل باجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل
كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على اساليب العرب المخصوصة به
فقولنا الكلام البليغ كالجنس وقولنا المبني على الاستعارة والاوصاف فصل له عما يخلو
من هذه فانه في الغالب ليس بشعر وقولنا المفصل باجزاء متفقة الوزن والروي فصل له

تكلم به

الكلام به

انما

عن الكلام المنثور الذي ليس بشعر عند الكل وقولنا مستقلا كل جزء منها في غرضه ومقصده
عما قبله وبعده بيان للحقيقة لان الشعر لا تكون ابياته الا كذلك ولم يفصل به شي وقولنا الجاري
على الاساليب المخصوصة به فصل له عما لم يجر منه على اساليب الشعر المعروفة فانه حينئذ
لا يكون شعرا انما هو كلام منظوم لان الشعر له اساليب تخصه لا تكون للمنثور وكذا المنثور اساليب
لا تكون للشعر فما كان الكلام منظوما وليس على تلك الاساليب فلا يسمى شعرا وبهذا الاعتبار
كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون ان نظم المتنبي والمعري
ليس من الشعر في شي لانهما لم يجريا على اساليب العرب فيه وقولنا في الحد الجاري على
اساليب العرب فصل له عن شعر غير العرب من الامم عند من يرى ان الشعر يوجد للعرب
ولغيرهم ومن يرى انه لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج الى ذلك ويقول مكانه الجاري على الاساليب
المخصوصة به واذ قد فرغنا من الكلام على حقيقة الشعر فلنرجع الى الكلام في كيفية عمله
فنقول اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا اولها الحفظ من جنسه اي من
جنس شعر العرب حتى تنشا في النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير المحفوظ من
الحر النقي الكثير الاساليب وهذا المحفوظ المختار اقل ما يكفي منه شعر شاعر من
الفحول الاسلاميين مثل ابن ابي ربيعة وكثير وذو الرمة وجرير وابي نواس وحبيب
والبحتري والرضي وابي فراس واكثره شعر كتاب الاغاني لانه جمع شعر اهل الطبقة الاسلامية
كله والمختار من شعر الجاهلية ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر رديء
ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه او عدم لم يكن له شعر
وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر اولى بمن لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء من المحفوظ
وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم وبالاكثار منه تستحكم ملكته وترسخ
وربما يقال ان من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة اذ هي
صادة عن استعمالها بعينها فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش
الاسلوب فيها كانه منوال ياخذ في النسج عليه بامثالها من كلمات اخرى ضرورة
ثم لا بد له من الخلوة واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والازهار وكذلك من
المسموع لاستنارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور ثم مع هذا كله
فشرطه ان يكون على جمام ونشاط فذلك اجمع له وانشط للقريحة ان تاتي بمثل ذلك
المنوال الذي في حفظه قالوا وخير الاوقات لذلك اوقات البكر عند الهبوب من النوم
وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفي هؤلاء الجمام وربما قالوا ان من بواعثه العشق
والانتشاء ذكر ذلك ابن رشيق في كتاب العمدة وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة
واعطى حقها ولم يكتب فيها احد قبله ولا بعده قالوا فان استصعب عليه بعد هذا
كله فليتركه الى وقت اخر ولا يكره نفسه عليه وليكن بنا البيت على القافية من اول
صوغه ونسجه يضعها ويبني الكلام عليها الى اخره لانه ان غفل عن بنا البيت على القافية

صعب

صعب عليه وضعها في محلها فربما تجي نافرة قلقة واذا سمح الخاطر بالبيت ولم يناسب
الذي عنده فليتركه الى موضعه الاليق به فان كل بيت مستقل بنفسه ولم يبق الا
المناسبة فليتخير فيها كما يشا وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد
ولا يضن به على الترك اذا لم يبلغ الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذ هو نبات
فكره واختراع قريحته ولا يستعمل فيه من الكلام الا الافصح من التراكيب والخالص من
الضرورات اللسانية اذ هو صورة الملكة اللسانية فليهجرها فانها تنزل بالكلام عن طبقة
البلاغة وقد حظر ائمة اللسان على المولد ارتكاب الضرورة اذ هو في سعة منها بالعدول
عنها الى الطريقة المثلى من الملكة ويجتنب ايضا المعقد من التراكيب جهده وانما يقصد
منها ما كانت معانيه تسابق الفاظه الى الفهم وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد
فان فيه نوع تعقيد على الفهم وانما المختار منه ما كانت الفاظه طبقا على معانيه او
اوفى منها فان كانت المعاني كثيرة كان حشوا واشتغل الذهن بالغوص عليها فمنع
الذوق عن استيفا مدركه من البلاغة ولا يكون الشعر سهلا الا اذا كانت معانيه
تسابق الفاظه الى الذهن ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيبون شعر ابن خفاجة شاعر
شرق الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيبون شعر المتنبي
والمعري بعدم النسج على الاساليب العربية كما مر فكان شعرهما كلاما منظوما نازلا عن طبقة
الشعر والحاكم في ذلك هو الذوق وليجتنب الشاعر ايضا الحوشي من الالفاظ والمقعر وكذلك
السوقي المبتذل بالتداول في الاستعمال فانه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة وكذلك
المعاني المبتذلة بالشهرة فان الكلام ينزل بها عن البلاغة ايضا فيصير مبتذلا ويقرب
من عدم الافادة فيبعد عن رتبة البلاغة اذ هما طرفان ولهذا كان الشعر في الربانيات
والنبويات قليل الاجادة في الغالب ولا يجيد فيه الا الفحول وفي القليل على العسر لان معانيها
متداولة بين الجمهور فتصير مبتذلة لذلك واذا تعذر الشعر بعد هذا كلها فليراوضه
ويعاوده فان القريحة مثل الضرع يدر بالامترا ويجف ويذهب بالترك والاهمال وبالجملة
فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العمدة لابن رشيق وقد ذكرنا منها
ما حضرنا بحسب الجهد ومن اراد استيفا ذلك فعليه بذلك الكتاب ففيه البغية
وهذه نبذة كافية والله المعين وقد نظم الناس في امر هذه الصناعة
الشعرية وما يجب فيها ومن احسن ما قيل في ذلك واظنه لابن رشيق

لعن الله صنعة الشعر ماذا … من صنوف الجهال فيها لقينا
يؤثرون الغريب منه على ما … كان سهلا للسامعين مبينا
ويرون المحال معنى صحيحا … وخسيس الكلام شيئا ثمينا
يجهلون الصواب منه ولا يد … رون للجهل انهم يجهلونا
فهم عند من سوانا يلامو … ن وفي الحق عندنا يعذرونا

انما الشعر ما تناسب في النظم وان كان في الصفات فنونا
فاتي بعضه يشاكل بعضا وأقامت له الصدور المتونا
كل معنى اتاك منه على ما تتمنى لو لم يكن ان يكونا
فتناهى من البيان الى ان كاد حسنا يبين للناظرينا
فكان الالفاظ منه وجوه والمعاني ركبن فيه عيونا
فايما في المرام حسب الاماني يتحلى بحسنه المنشدونا
فاذا ما مدحت بالشعر حرا رمت فيه مذاهب المسهبينا
فجعلت النسيب سهلا قريبا وجعلت المديح صدقا مبينا
وتنكبت ما تهجن في السمع وان كان لفظه موزونا
واذا ما قرضته بهجاء عبت فيه مذاهب المرفثينا
فجعلت التصريح منه دواء وجعلت التعريض داء دفينا
واذا ما بكيت فيه على الغا دين يوما للبين والظاعنينا
حلت دون الاسى وذللت ما كا ن من الدمع في العيون مصونا
ثم ان كنت عاتبا شبت بالوعد وعيدا وبالصعوبة لينا
فتركت الذي عتبت عليه حذرا آمنا عزيزا مهينا
واصح القريض ما فات في النظم وان كان واضحا مستبينا
فاذا قيل اطمع الناس طرا واذا ريم اعجز المعجزينا

ومن ذلك ايضا قول بعضهم وهو الناشي

١ الشعر ما قومت زيغ صدوره وشددت بالتهذيب اسر متونه
٢ ورأبت بالاطناب شعب صدوعه وفتحت بالايجاز عور عيونه
٣ وجمعت بين قريبه وبعيده ووصلت بين مجمه ومعينه
٤ وعقدت منه لكل امر يقتضي شبها به فقرنته بقرينه
٨ واذا بكيت به الديار واهلها اجريت للمحزون ماء شؤونه

~~ر وكلته بهمومه وغمومه دهرا فلم يسر الكرى بجفونه~~

٥ واذا مدحت به جوادا ماجدا وقضيته بالشكر حق ديونه
٦ أصفيته بنفيسه ورصينه وخصصته بخطيره وثمينه
٧ فيكون جزلا في مساق صنوفه ويكون سهلا في اتفاق فنونه
٩ واذا اردت كناية عن ريبة باينت بين ظهوره وبطونه
١٠ فجعلت سامعه يشوب شكوكه بثنائه وظنونه بيقينه
١١ واذا عتبت على اخ في زلة ادمجت شدته له في لينه
١٢ فتركته مستانسا بدماثه مستامنا لحزونه وحزونه

واذا

مستامنا لوعونه وحزونه

١٣ واذا نبذت الى التي علقتها اذ صارمتك بخافيات شؤونه
١٤ تيمتها بلطيفه ورقيقه وشغفتها بخفيه وكمينه
١٥ واذا اعتذرت لسقطة اسقطتها واشكت بين مخيله ومبينه
١٦ فيحول ذنبك عند من يعتده عتبا عليه مطالبا بيمينه

## فصل في ان صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني

اعلم ان صناعة الكلام نظما ونثرا انما هي في الالفاظ لا في المعاني وانما المعاني تبع لها وهي اصل فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر انما يحاولها في الالفاظ بحفظ امثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ويتخلص من العجمة التي ربي عليها في جيله ويفرض نفسه مثل وليد ينشا في جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كانه واحد منهم في لسانهم وذلك انا قدمنا ان اللسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل شان الملكات والذي في اللسان والنطق انما هو الالفاظ وانما المعاني في الضمائر وايضا فالمعاني موجودة عند كل احد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج الى تكلف صناعة في تاليفها وتاليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعاني فكما ان الاواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الاواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تاليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحد في نفسها وانما الجاهل بتاليف الكلام واساليبه على مقتضى ملكة اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

## فصل في ان حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ

قد قدمنا انه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ فمن كان محفوظه من اشعار العرب الاسلاميين [redacted] شعر حبيب او العتابي او ابن المعتز او ابن هانئ او الشريف الرضي او رسائل ابن المقفع او سهل بن هرون او ابن الزيات او البديع او الصابي تكون ملكته اجود واعلى مقاما ورتبة في البلاغة ممن يحفظ اشعار المتاخرين مثل شعر ابن سهل او ابن النبيه او ترسل البيساني او العماد الاصبهاني لنزول طبقة هؤلاء عن اولئك يظهر ذلك للبصير الناقد صاحب الذوق وعلى مقدار جودة المسموع او المحفوظ تكون جودة الاستعمال من بعده ثم اجادة الملكة من بعدهما فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي

بلغ مقابلة

مثل بحر

الطبقة الحاصلة لان الطبع انما ينسج على منوالها وتنمو قوى الملكة بتغذيتها وذلك
ان النفس وان كانت في جبلتها واحدة بالنوع فهي تختلف في البشر بالقوة والضعف
في الادراكات واختلافها انما هو باختلاف ما يرد عليها من الادراكات والملكات
والالوان التي تكيفها من خارج فبهذه يتم وجودها وتخرج من القوة الى الفعل صورتها والملكات
التي تحصل لها انما تحصل على التدريج كما قدمناه فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ
الشعر وملكة الكتابة بحفظ الاسجاع والترسيل والعلمية بمخالطة العلوم والادراكات
والابحاث والانظار والفقهية بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفريعها وتخريج
الفروع على الاصول والتصوفية الربانية بالعبادات والاذكار وتعطيل الحواس
الظاهرة بالخلوة والانفراد عن الخلق ما استطاع حتى تحصل له ملكة الرجوع الى
حسه الباطن وروحه وينقلب ربانيا وكذا سائرها وللنفس في كل واحد منها
لون تتكيف به وعلى حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة او رداءة تكون تلك
الملكة في نفسها فملكة البلاغة العالية الطبقة في جنسها انما تحصل بحفظ العالي
في طبقته من الكلام ولهذا كان الفقهاء واهل العلم كلهم قاصرين في البلاغة وما
ذلك الا لما يسبق الى محفوظهم وتمتلئ به من القوانين العلمية والعبارات
الفقهية الخارجة عن اسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة لان العبارات
عن القوانين والعلوم لا حظ لها في البلاغة فاذا سبق ذلك المحفوظ الى الفكر
وكثر وتلونت به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية القصور وانحرفت
عباراته عن اساليب العرب في كلامهم وهكذا نجد شعر الفقهاء والنحاة والمتكلمين
والنظار وغيرهم ممن لم يمتلئ من حفظ النقي الحر من كلام العرب اخبرني صاحبنا
الفاضل ابو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية قال ذاكرت يوما
صاحبنا ابا العباس بن شعيب كاتب السلطان ابي الحسن وكان المقدم في البصر
باللسان لعهده فانشدته مطلع قصيدة ابن النحوي ولم انسبها له وهو

لم ادر حين وقفت بالاطلال    ما الفرق بين جديدها والبالي

فقال على البديهة هذا شعر فقيه فقلت له ومن اين لك ذلك قال من قوله ما الفرق اذ هي
من عبارات الفقهاء وليست من اساليب كلام العرب فقلت له لله ابوك انه ابن
النحوي واما الكتاب والشعراء فليسوا كذلك لتخيرهم في محفوظهم ومخالطتهم كلام العرب
واساليبهم في الترسيل وانتقائهم له الجيد من الكلام ذاكرت يوما ابا عبد الله بن الخطيب
وزير الملوك بالاندلس وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة فقلت له اجد استصعابا
علي في نظم الشعر متى رمته مع بصري به وحفظي للجيد من الكلام من القرآن والحديث
وفنون كلام العرب وان كان محفوظي قليلا وانما اتيت والله اعلم من قبل ما حصل
في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين التأليفية فاني حفظت قصيدتي

الشاطبي

الى صح

من صح

الشاطبي الكبرى والصغرى في القراءات والرسم واستظهرتهما وتدارست كتابي ابن الحاجب
في الفقه والاصول والجمل للخونجي في المنطق وبعض كتاب التسهيل وكثيرا من قوانين التعليم في المجالس فامتلأ
محفوظي من ذلك وخدش وجه الملكة التي استعددت لها بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث
وكلام العرب فعاق القريحة عن بلوغها فنظر الي ساعة متعجبا ثم قال لله انت
وهل يقول هذا الا مثلك ويظهر لك من هذا الفصل وما تقرر فيه سر آخر وهو اعطاء
السبب في ان كلام الاسلاميين من العرب اعلى طبقة في البلاغة واذواقها من كلام
الجاهلية في منثورهم ومنظومهم فانا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعة والحطيئة
وجرير والفرزدق ونصيب وغيلان ذي الرمة والاحوص وبشار ثم كلام السلف
من العرب في الدولة الاموية وصدر من الدولة العباسية في خطبهم وترسيلهم
ومحاوراتهم للملوك ارفع طبقة في البلاغة بكثير من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير
وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية في منثورهم ومحاوراتهم والذوق الصحيح
والطبع السليم شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك ان هؤلاء الذين ادركوا
الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث الذي عجز البشر عن الاتيان
بمثلهما لكونها ولجت في قلوبهم ونشأت على اساليبها نفوسهم فنهضت طباعهم وارتقت
ملكاتهم في البلاغة عن ملكات من قبلهم من اهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها
فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم احسن ديباجة واصفى رونقا من اولئك وارصف مبنى
واعدل تثقيفا بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك
ان كنت من اهل الذوق والبصر بالبلاغة ولقد سألت يوما شيخنا الشريف ابا القاسم
قاضي غرناطة لعهدنا وكان شيخ هذه الصناعة اخذ بسبتة عن جماعة من مشيختها من تلاميذ
الشلوبين واستبحر في علم اللسان وجاء من وراء الغاية فيه فسألته يوما ما بال العرب
الاسلاميين اعلى طبقة من الجاهليين ولم يكن يستنكر ذلك بذوقه فسكت طويلا ثم قال والله
ما ادري فقلت له اعرض عليك شيئا ظهر لي في ذلك ولعله السبب فيه وذكرت له هذا الذي
كتبت فسكت معجبا ثم قال لي يا فقيه هذا كلام من حقه ان يكتب بالذهب
وكان من بعدها يؤثر محلي ويصيخ في مجالس التعليم الى قولي ويشهد لي بالنباهة
في العلوم واستطول الافنان وعلم البيان

لي صح

التعليم

## فصل في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع وكيف جودة المصنوع او قصوره

اعلم ان الكلام الذي هو العبارة والخطاب انما سره وروحه في افادة المعنى
واما اذا كان مهملا فهو كالموات الذي لا عبرة به وكمال الافادة هو البلاغة على ما عرف
من حدها عند اهل البيان لانهم يقولون هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ومعرفة
الشروط والاحكام التي بها تطابق التراكيب اللفظية مقتضى الحال هو فن البلاغة
وتلك الشروط والاحكام للتراكيب في المطابقة استقريت من لغة العرب

وصارت كالقوانين في التراكيب بوضعها تفيد الاسناد بين المسندين بشروط واحكام
هي جل قوانين العربية واحوال هذه التراكيب من تقديم وتاخير وتعريف وتنكير واضمار
واظهار وتقييد واطلاق وغيرها تفيد الاحكام المكتنفة من خارج بالاسناد وبالمتخاطبين
حال التخاطب بشروط واحكام هي قوانين لفن يسمونه علم المعاني من فنون البلاغة
فتندرج قوانين العربية لذلك في قوانين علم المعاني لان افادتها الاسناد جزء من افادتها
للاحوال المكتنفة بالاسناد وما قصر من هذه التراكيب عن افادة مقتضى الحال لخلل في قوانين
الاعراب او قوانين المعاني كان قاصرا عن المطابقة لمقتضى الحال ولحق بالمهمل الذي هو
في عداد الموات ثم يتبع هذه الافادة لمقتضى الحال التفنن في انتقال الذهن بين
المعاني باصناف الدلالات لان التركيب يدل بالوضع على معنى ثم ينتقل الذهن
الى لازمه او ملزومه او شبهه فيكون فيها مجازا اما باستعارة او كناية كما هو مقرر في موضعه
ويحصل للفكر بذلك الانتقال لذة كما تحصل في الافادة واشد لان في جميعها ظفرا
بالمدلول من دليله والظفر من اسباب اللذة كما علمت ثم لهذه الانتقالات ايضا شروط
واحكام كالقوانين صيروها صناعة وسموها بالبيان وهي شقيقة علم المعاني المفيد
لمقتضى الحال لانها راجعة الى معاني التراكيب ومدلولاتها وقوانين علم المعاني راجعة
الى احوال التراكيب انفسها من حيث الدلالة واللفظ والمعنى متلازمان متضايفان
كما علمت فاذا علم المعاني وعلم البيان هما جزء البلاغة وبهما كمال الافادة والمطابقة
لمقتضى الحال فما قصر من هذه التراكيب عن المطابقة وكمال الافادة فهو مقصر عن البلاغة
ويلتحق عند البلغا باصوات الحيوانات العجم واجدر به ان لا يكون عربيا لان العربي
هو الذي يطابق بافادته مقتضى الحال فالبلاغة على هذا هي اصل الكلام العربي
وسجيته وروحه وطبيعته ثم اعلم انهم اذا قالوا الكلام المطبوع فانهم يعنون به الكلام
الذي كملت طبيعته وسجيته من افادة مدلوله المقصود منه لانه عبارة وخطاب ليس
المقصود منه النطق فقط بل المتكلم يقصد به ان يفيد سامعه ما في ضميره
افادة تامة ويدل عليه دلالة وثيقة ثم يتبع تراكيب الكلام في هذه السجية التي
له بالاصالة ضروب من التحسين والتزيين بعد كمال الافادة وكانها تعطيها
رونق الفصاحة من تنميق الاسجاع والموازنة بين جمل الكلام وتقسيمه بالاقسام
المختلفة الاحكام والتورية باللفظ المشترك عن الخفي من معانيه والمطابقة بين
المتضادات ليقع التجانس بين الالفاظ والمعاني فيحصل للكلام رونق ولذة
في الاسماع وحلاوة وجمال كلها زايدة على الافادة وهذه الصنعة موجودة في الكلام
المعجز في مواضع متعددة مثل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى ومثل
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الى اخر التقسيم في الاية وكذا فاما من
طغى واثر الحياة الدنيا الى اخر الاية وكذا هم يحسبون انهم يحسنون صنعا



وامثاله كثير وذلك بعد كمال الافادة في اصل هذه التراكيب قبل وقوع هذا
البديع فيها وكذا وقع في كلام الجاهلية منه لكن عفوا من غير قصد ولا تعمد ويقال
انه وقع في شعر زهير واما الاسلاميون فوقع لهم عفوا وقصدا واتوا منه بالعجايب
واول من احكم طريقته حبيب بن اوس والبحتري ومسلم بن الوليد فقد كانوا مولعين
بالصنعة وياتون منها بالعجب وقيل ان اول من ذهب الى معاناتها بشار بن برد وابن
هرمة وكانا اخر من يستشهد بشعره في اللسان العربي ثم اتبعهما كلثوم بن عمرو والعتابي
ومنصور النميري ومسلم بن الوليد وابو نواس وجا على اثرهم حبيب والبحتري ثم ظهر
ابن المعتز فختم على البديع والصناعة اجمع ولنذكر مثالا من المطبوع الخالي من الصنعة
لتفهمه مثل قول قيس بن ذريح

واخرج من بين البيوت لعلني ... احدث عنك النفس في السر خاليا

وقول كثير

واني وتهيامي بعزة بعدما ... تخليت عما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما ... تبوا منها للمقيل اضمحلت

فتامل هذا المطبوع الفقيد الصنعة في احكام تاليفه وثقافة تراكيبه فلو جاءت فيه الصنعة
من بعد هذا الاصل زادته حسنا واما المصنوع فكثير من لدن بشار ثم حبيب وطبقتهما
ثم ابن المعتز خاتم الصنعة الذي جرى المتاخرون بعدهم في ميدانه ونسجوا على منوالهم
وقد تعددت اصناف هذه الصنعة عند اهلها واختلفت اصطلاحاتهم في القابها وكثير
منهم يجعلها مندرجة في البلاغة على انها غير داخلة في الافادة وانما هي تعطي التحسين
والرونق واما المتقدمون من اهل البديع فهي عندهم خارجة عن البلاغة ولذلك يذكرونها
في الفنون الادبية التي لا موضوع لها وهو راي ابن رشيق في كتاب العمدة له
وادبا الاندلس وذكروا في استعمال هذه الصنعة شروطا منها ان تقع من غير تكلف ولا
اكتراث فيما يقصد منها واما العفو فلا كلام فيه لانها اذا برئت من التكلف سلم
الكلام من عيب الاستهجان لان تكلفها ومعاناتها يصير الى الغفلة عن التراكيب
الاصلية للكلام فتخل بالافادة من اصلها وتذهب بالبلاغة راسا ولا يبقى في الكلام
الا تلك التحسينات وهذا هو الغالب اليوم على اهل العصر واصحاب الاذواق
في البلاغة يسخرون من كلفهم بهذه الفنون ويعدون ذلك من القصور عن سواه وسمعت
شيخنا الاستاذ ابا البركات البلفيقي وكان من اهل البصر باللسان والقريحة
في ذوقه يقول ان من اشهى ما تقترحه علي نفسي ان اشاهد في بعض الايام من ينتحل
فنون هذا البديع في نظمه او نثره وقد عوقب باشد العقوبة ونودي عليه يحذر بذلك
تلميذه ان يتعاطوا هذه الصنعة فيكلفون بها ويتناسون البلاغة ثم من شروط
استعمالها عندهم الاقلال منها وان تكون في بيتين او ثلاثة من القصيد فتكفي في

زينة الشعر ورونقه والاكثار منها عيب قاله ابن رشيق وغيره وكان شيخنا ابو القسم
الشريف السبتي منفق اللسان العربي بالاندلس لوقته يقول هذه الفنون البديعية اذا وقعت
للشاعر او الكاتب فيقبح ان يستكثر منها لانها من محسنات الكلام ومن زيناته فهي بمثابة
الخيلان في الوجه يحسن بالواحد والاثنين منها ويقبح بتعدادها وعلى نسبة الكلام المنظوم
هو الكلام المنثور في الجاهلية والاسلام كان اولا مرسلا معتبر الموازنة بين جمله وتراكيبه
شاهدة موازنته بفواصله من غير التزام سجع ولا اكتراث بصنعة حتى نبغ ابراهيم
ابن هلال الصابي كاتب بني بويه فتعاطى الصنعة والتقفية واتى في ذلك بالعجب
وعاب الناس عليه كلفه بذلك في المخاطبات السلطانية وانما حمله عليها ما كان في ملوكه من العجم
والبعد عن صولة الخلافة المنفقة لسوق البلاغة ثم انتشرت الصناعة بعده في منثور
المتاخرين ونسي عهد الترسيل وتشابهت السلطانيات بالاخوانيات والعربيات بالسوقيات
واختلط المرعي بالهمل وهذا كله يدلك على ان الكلام المصنوع بالمعاناة والتكليف
قاصر عن الكلام المطبوع لقلة الاكتراث فيه باصل البلاغة والحاكم
في ذلك الذوق والله خلقكم وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

## فصل في ترفع اهل المراتب عن انتحال الشعر

اعلم ان الشعر كان ديوانا للعرب فيه علومهم واخبارهم وحكمهم وكان رؤساء
العرب متنافسين فيه وكانوا يقفون بسوق عكاظ لانشاده وعرض كل واحد
ديباجته على فحول الشان واهل البصر ليتميز حوكه حتى انتهوا الى المناغاة في تعليق
اشعارهم باركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابيهم ابرهيم كما فعل امرؤ القيس
ابن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن ابي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد
وعلقمة بن عبدة والاعشى وغيرهم من اصحاب المعلقات السبع فانه انما كان يتوصل
الى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه في مضر على
ما قيل في سبب تسميتها بالمعلقات ثم انصرف العرب عن ذلك اول الاسلام بما
شغلهم من امر الدين والنبوة والوحي وما ادهشهم من اسلوب القران ونظمه
فاخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ثم استقروا وانس الرشد
من الملة ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره بل سمعه النبي صلى الله عليه وسلم واثاب عليه
فرجعوا حينئذ الى ديدنهم منه وكان لعمر بن ابي ربيعة كبير قريش لذلك العهد
فيه مقامات عالية وطبقة مرتفعة وكان كثيرا ما يعرض شعره على ابن عباس فيقف
لاستماعه معجبا به ثم جاء من بعد ذلك الملك الفحل والدولة العزيزة فتقرب اليهم العرب
باشعارهم يمتدحونهم بها ويجيزهم الخلفاء باعظم الجوائز على نسبة الجودة في اشعارهم
ومكانهم من قومهم ويحرصون على استهداء اشعارهم يطلعون منها على الاخبار
والاثار واللغة وشرف اللسان والعرب يطالبون وليدهم بحفظها ولم يزل الشان

هذا

بلغ مقابلة



هذا ايام بني امية وصدرا من دولة بني العباس وانظر ما نقله صاحب العقد
في مسامرة الرشيد للاصمعي في باب الشعر والشعراء تجد ما كان عليه الرشيد من المعرفة
بذلك والرسوخ فيه والعناية بانتحاله والبصر بجيد الكلام ورديه وكثرة محفوظه منه
ثم جاء خلف من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من اجل العجمة وتقصيرها باللسان وانما تعلموه
صناعة ثم مدحوا باشعارهم امراء العجم الذين ليس اللسان لهم طالبين معروفهم
فقط لا سوى ذلك من الاغراض كما فعله حبيب والمتنبي ومن بعدهم
الى هلم جرا فصار غرض الشعر في الغالب انما هو الكذب والاستجداء لذهاب المنافع التي كانت فيه
للاولين كما ذكرناه وانف منه لذلك اهل الهمم والمراتب من المتاخرين وتغير الحال واصبح
تعاطيه هجنة في الرياسة ومذمة لاهل المناصب الكبيرة والله مقلب الليل والنهار

## فصل في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد

اعلم ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت
عربية او عجمية وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك وذكر منهم ارسطو في كتاب
المنطق اوميروس الشاعر واثنى عليه وكان في حمير ايضا شعراء متقدمون ولما
فسد لسان مضر ولغتهم التي دونت مقاييسها وقوانين اعرابها واختلفت اللغات
من بعدهم بحسب ما خالطها ومازجها من العجمة فكانت لجيل العرب بانفسهم
لغة خالفت لغة سلفهم من مضر في الاعراب جملة وفي كثير من [redacted] الموضوعات
اللغوية وبناء الكلمات وكذلك الحضر اهل الامصار نشات فيهم لغة اخرى
خالفت لسان مضر في الاعراب واكثر الاوضاع والتصاريف وخالفت ايضا
لغة الجيل من العرب لهذا العهد واختلفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات
اهل الافاق فلاهل المشرق وامصاره لغة غير لغة اهل المغرب وامصاره وتخالفهما
ايضا لغة اهل الاندلس وامصاره ثم لما كان الشعر موجودا بالطبع في اهل
كل لسان لان الموازين على نسبة واحدة في اعداد المتحركات والسواكن وتقابلها
موجودة في طباع البشر فلم يهجر الشعر بفقدان لغة واحدة وهي لغة مضر الذين
كانوا فحوله وفرسان ميدانه حسبما اشتهر بين اهل الخليقة بل كل جيل واهل كل لغة
من العرب المستعجمين والحضر اهل الامصار يتعاطون منه ما يطاوعهم في انتحاله
ورصف بنائه على مهيع كلامهم فاما العرب اهل هذا الجيل المستعجمين عن لغة
سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعاريض على ما كانت عليه
لسلفهم المستعربين وياتون منها بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر واغراضه
من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ويستطردون في الخروج من فن الى فن في الكلام
وربما هجموا على المقصود لاول كلامهم واكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم من
بعد ذلك ينسبون واهل المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات

والبحتري صح

وانقلب خ

اهل مصر

والله ولي التوفيق هذا اخر ما وجد في النسخة المقابل
عليها المصحح تحملها لهذا رحمه الله

نسبة الى الاصمعي راوية العرب في اشعارهم واهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع
من الشعر بالبداوي والحوراني والقيسي وربما يلحنون فيه الحانا بسيطة لا على
طريق الصنعة الموسيقارية ثم يغنون به ويسمون الغنا باسم الحوراني نسبة
الى حوران من اطراف الشام وهي منازل العرب البادية ومساكنهم لهذا العهد
ولهم فن اخر كثير التداول في نظمهم يجيئون به مغصنا على اربعة اجزا يخالف
اخرها الثلاثة الاول في رويه ويلتزمون القافية الرابعة في كل بيت الى اخر
القصيدة شبيها بالمربع والمخمس الذي احدثه المولدون من المتاخرين ولهولا العرب
في هذا الشعر بلاغة فايقة وفيهم الفحول والمتاخرون عن ذلك والكثير من المنتحلين
للعلوم لهذا العهد وخصوصا علوم اللسان يستنكرون هذه الفنون التي
لهم اذا سمعها ويمج نظمهم اذا انشد ويعتقد ان ذوقه انما نبا عنها لاستهجانها
وفقدان الاعراب منها وهذا انما اتى من فقدان الملكة في لغتهم ولو حصلت
له ملكة من ملكاتهم لشهد له ذوقه وطبعه ببلاغتها ان كان سليما من الافات
في فطرته ونظره والا فالاعراب لا مدخل له في البلاغة انما البلاغة مطابقة
الكلام للمقصود ولمقتضى الحال من الوجود فيه سوا كان الرفع دالا على الفاعل
والنصب دالا على المفعول او بالعكس وانما يدل على ذلك قراين الكلام كما هو في
لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه اهل الملكة فاذا عرف اصطلاح في ملكة
واشتهر صحت الدلالة واذا طابقت تلك الدلالة للمقصود ومقتضى الحال صحت
البلاغة ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك واساليب الشعر وفنونه موجودة في
اشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في اواخر الكلمات فان غالب كلماتهم موقوفة
الاخر ويتميز عندهم الفاعل من المفعول والمبتدا من الخبر بقراين الكلام لا بحركات الاعراب
فمن اشعارهم على لسان الشريف بن هاشم يبكي الجازية بنت سرحان ويذكر ظعنها
مع قومها الى المغرب

الشريف بن هاشم على الراكبة شكت من زفيرها
تقول لا علام اين مارت خاطر يرد غلام البدو يلوي عصيرها
وماذا اشكات الروح ما طرالها غداة وداع بلغ الله خبيرها
يحس ان عطا عا ما زي ضميرها مشر طتو هند اوصان ذكرها
وعادت كاخوان في مغاسل على مثل شوك الطلح عنقو لشيرها
تجادوها اسي والفرع بينهم على سو كولعد وابغا يا عريرها
وعادت دموعي دارفات لكنها بيدين دوار السواني يديرها
تدارك منها النجم حدرا وزادها مرون بحي مترا كاس صبرها
مصب من القيعان كم جانب الصفا عبوقا وتجار البرق في غزرها

هذا

هذا الغنا مني تسابيت غروة ناخت من بغداد حتى فقيرها
ونادى المنادي بالرحيل وشوروا وعرج عاريها على مستعيرها
وسد الها الان ناديا زين غانم على ابو ماضي بن مقرب سيرها
وقال لهم حسن بن سرحان عربوا وسوقوا النجوع ان كان انا هو غفيرها
ويركض وبيده سنها بالباع ويا للمي لا تجزوا في معيرها
غدرني زيان السميح بن عابس وما كان مرضي زين حمير ومهرها
غدرني وهو زعما صديقي وصاحبي وانا ليه مامي دوفتي ما نديرها
ورجع يقول لهم بلا ابن هاشم تحير البلاد المعطش ما نجيرها
حراما عليا باب بغداد وارضها داخل ولا عاود ركبزي نفيرها
تصدف روحي عن بلا ابن هاشم على الشمس اوزرل القضاء هجيرها
وباتت نيران العذارى قوادح تلوذ وبحجان يشدوا اسيرها

ومن قولهم في رثا امير زناتة ابي سعد اليفرني مقارعهم بافريقية وارض الزاب
ورثاهم له على طريقة التهكم

تقول فتاة الحي سعدي وهاضها لها في الظعون الباكرين عويل
يا سايلي عن قبر الزناتي خليفه خذ النعت مني لا تكون هبيل
اراه بعالي واددان وفوقه من الريط حساوي بناه طويل
اراه يميل الغور من شارع النقابه الواد شرقا والبراع دليل
باللهف كبداه الزناتي خليفه وقد كان لاعقاب الجياد سليل
قتيل فتى الهيجا دياب بن غانم جراحا كافواه المزاد تسيل
ايا جارامات الزناتي خليفه لا ترحل الا ان يريد رحيل
الا وانس رحلنا ثلثين مرة وعشر اوستا في النهار قليل

ومن قولهم في ذكر رحلتهم الى المغرب وغلبهم زناتة عليه

واي جميل ضاع لي في ابن هاشم واي رجال ضاع قبل جميلها
لقد كنت انا واياه في زهو بيننا عنان نجه ما غبا بي دليلها
وعدت كاني شارب من مدامة من الخمر تهوا ما قدر من يميلها
اومثل شمطا مات مطنون كبدها غريبا وهي مدة وجاعي قبيلها
اتاها زمان السو حتى تروحت وهي بين عربان غافلا عن نزيلها
كذلك انا مما لحالي من الوجا شاكي بكبد ابادنيها زعيلها
وامرت قومي بالرحيل وبكروا وقوا وشداد الحوايا جميلها
قعدنا سبعة ايام محبوس نجعنا والبدو ما ترفع عمود ابني لها
تظل على اصحاب الثنايا نوادي تظل الجرا فوق النضاد اتضيلها

ومن قولهم على لسان الشريف بذكر عتابا وقع بينه وبين ماضي بن مقرب

سقا ماضي الحجار وقال لي اسكر ما تحنا عليك رضاشي
اسكر اعد الا نزيد ملامة لتحمد ومن عمر بلاده عاش
ما عدتنا ما سكر ودانت عزنا وقرشت عربا لتسقر قماش
نحس غدتنا نصد قوا ما قضا لنا كما صادف طعم الزاد طساس
ان كان بيت السكر بلمح با ضكم هنا العرب ما رد ما لهم صاحبي

ومن شعر سلطان بن مظفر بن يحيى من الدواودة احدى بطون رياح واهل الرياسة فيهم يقولها وهو معتقل بالمهدية في سجن الامير ابي زكريا بن ابي حفص من ملوك افريقية من الموحدين

يقول وفي بوح الدجا بعد وهنه حرام على اجفان عيني منامها
يا من لقلب حالف الوجد والاسى وروح هيامي طال ما في سقامها
حجازية بدوية عربية عداوية ولها بعيد امرامها
مولعة بالبدو لا تالف القرى سوى عاتك الوعسا بوادي خيامها
عيات ومنشا ها بها كل شتوه محجونة بيها وبيها غرامها
ومرباعها عشب الاراضي من الحيا بوادي من الخور الخلا يا جسامها
تشوق تشوق العين ما تداركت عليها من السحب السواري غمامها
وماذا ابكت بالماو ماذا انشا حطت عشون عزاز المزن غربا حمامها
كان العروس البكر لاحت ثيابها عليها ومن نور الاقاحي خزامها
فلاه ودهنا واتساع وبيه ومرعا سواما في مراعي نعامها
ومشروبها من محض ضو البان شوها غنيم ومن لحم الجوازي طعامها
تغانت عن الابواب والموقف الذي يشيب الغتى ما يقاسي زحامها
سقا الله الواد المسيحد بالحيا وبالا ويحي ما تلا من رمامها
فكافاتها بالود مني وليتني ظفرت بايام مضت في زكامها
ليال اقواس الصبي في سواعدي اذا قمت لم تخطي من ابين سهامها
وفرسي عربو اللحت سرجي مشاقه زمان الصبي سرحا وبيدي لجامها
وكم من رداحا سهرتني ولم ارى من الخلق ابهى من نظام ابتسامها
وكم غيرها من كاعبا مرحجنة مطرزة الاجفان باهي وشامها
وصفقت من وجدي عليها لم يحنه بكفي ولم تنسي صدايا ذمامها
ايا من هذا الى متى فنى العمر في داعماني غلامها
ولكن رايت الشمس تكسف ساعة ويغما عليها ثم يبرا غيامها
بنود ورايات من السعد اقبلت الينا بعون الله تهفوا اعلامها

الا

الا واعلى ما العين اطلقان عروق ورمحي على كتفي وسيري امامها
بجرعا عيات الفرق من فوق شامس احب بلاد الله عندي حشامها
الى منزل بالجعفرية للوى مقيم بها ما الذي عندي مقامها
وتلقى سراه من هلال بن عامر تزيل الصدى والغل عني سلامها
بهم تضرب الامثال غربا ومشرقا الا فاقبلوا قوما سريع انهزامها
عليهم ومن هو في جناهم تحية مدا الدهر ما غنى بعينا حمامها
اودع دا اولانا سف على ساكن الفسطاطين في ذي الدنيا ما دام اسود دوامها

ومن اشعار المتاخرين منهم قول خالد بن حمزة بن عمر شيخ الكعوب من اولاد ابي الليل يعاتب اقتالهم اولاد مهلهل ويجيب شاعرهم شبل بن مسكيانة بن مهلهل عن ابيات فخر عليهم فيها بقومه

يقول وذا قول المصاب الذي نشا قوارع قيفان يعاني صعابها
يريح بها حاد المصاب الا ما سقا فنونا من انشا د القوافي عذابها
محيرة مختارة من نشادها تحيرني ليا نام الوشا ملتها بها
مغربلة عن ناقدا في عصونها محكمة العيفا ان داني ودابها
هتضيد كاري بها يا دوي الندى قوارع من شبل وهذي جوابها
اشبل جنانا من جبال طرايف فراح يريح الموجعين الغنا بها
فخرت ولم تقصر ولست بعادم سوا قلت في جمهورها ما اعابها
لقولك في ام الميقنين ابن حمزة حامي حماها عاد باقي خرابها
اما تعلم انه قامها بعد ما لقي رصاص بني يحيى وغلاق بابها
نهار امراهل الامر يا شبل خارق وهل رتب من جا للتعلق واطلابها
سواه طفاها وضمنت بعد طغيه وانا طفاها حاسر الاهابها
وضمنت بعد الطغيتين الى بحت لعاص الى بيت المنا تقتدا بها
ويا بن لوالي الراي في ذا انشبابها قصادا وهي عن كبر الاسا بها بها
كما كان هو يطلب على ذا تجنبت رجال بني كعب الذي يتقي بها

ومنها في العتاب

وليد اتعا تغايتو الا عنى لانني عنيت بعلاق النساء اعتصابها
علي وما نوعع بها كل مبضع بلسياف تغتاشي العدا من رقابها
فان كانت الاملاك نعت عرايس علينا باطراف العني اختطابها
ولا نعدها الارهاف وذبل ورزق كالسنة الحناش انسلابها
بني عمنا ما نرتضي الذل علمه مشير السبايا والمطايا ركابها
وهي علما بن المنايا نقيلها بلا شك والدنيا سريع انقلابها

ومنها في وصف الظعاين

يطعن مطوع السد لا تخشى العدا فتوق الجوبات محوف جنابها
ترى العين منها فل السباع رايف وكل مهات محنظها ربابها
ترى اهلها عطا الصباح ان تقلها تكل طلوب الجوف ما سجد نابها
لها كل يوم في الايام اقتابل ورا الفاجر الممزوج عنو رضابها

ومن قولهم في الامثال الحكمية

وطلبك في الممنوع منك سفاهة وصدك عمن صد عنك صواب
الا ربت ناسا تغلقوا عنك بابهم ظهور المطايا تفتح الله باب

ومن قول شبل تذكر انتساب الكعوب الى ترجم

لشيب وشبان من اولاد ترجم جميع البرايا تشتكي من ضهادها

ومن قول خالد يعاتب اخوانه في مولاة الشيخ الموصلي ابي محمد بن تافراكين المستبد بتونس على سلطانها مكفوله ابي اسحق بن السلطان ابي يحيى وذلك فيما قرب من عصرنا

يقول بلا جهل فتى الجود خالد مقالة قوال وقال صواب
مقالة حبر ذات ذهن ولم يكن هر بجا ولا فيما يقول ذهاب
تهجست معنى ما بها الا لحاجة ولاهرجا يستفاد منه معاب
وكنت بها كعدي وهي نعم صابه حزنته فكر والحزين يصاب
تفوهت بادي شرحها عن مارب بجرت من رجال في العيل وراب
بني كعب ادنى الاقربين لدمنا بني عم منهم شايب وشباب
جرى عند مبح الوطن منا لبعضهم مصافات وددوا انسلع جناب
وبعضهم ملنا له عن خصيمه كما نعلموا اقوالي نفنه صاب
وبعضهم موهوب من بعض ملكنا جانا مزنا وحد الطهر كتاب
وبعضهم جانا حريح نسمحت خواطرنا للجزيل وهاب
وبعضهم نطارعينا لبسوه تفهناه حتى ماعنا به سباب
رجع سهى مما تفهنا فسحه مرارا وفي بعض المرار يهاب
وبعضهم شاكي من اوعاد قادر حلوج عنه في احكام السعايف باب
فصمناه عنه واقتضا منه موارد على كره مول العالقي وربا ب
ونحن على ذا في مدى نطلب العلى لهم ما حططنا للفجور نقاب
وحزنا حمسا وطن ترشيش بعد ما نفقنا عليها سبعا ورقاب
ومهد من الاملاك ما كان خارج عن احكام والي امرها له ناب
سرع قروم من قروم قبيلنا بني كعب لا واها الكريم وطاب
حربنا بهم عن كل تاليف في العدى وحمنا بهم عن كل قعد مناب

ال

الى عاد من لا كان فيهم لهم رفيها وخيراتوا عليه خصاب
وركبوا السبايا المثمنات من اهلها ولبسوا من انواع الحرير ثياب
وساقوا المطايا بالشرا لا تسوله جماهير ما تغلو بها بحلاب
وكسبوا من اصناف السعايا دخار ضخام لحراس الزمان قصاب
وعادوا انظير البرمكيين قبل ذا والاهلا لا في زمان ذياب
وكانوا النا درعا لكل مهمة النى بان من نار العدو شهاب
حلوا الديار في صحح الظلام ولا العوا ملامه ولا دار الكرام عتاب
لبسوا الحلى جلباب النعيم لسره وهم كو دروا العبسوا اقبح جباب
كذلك منهم جابس ما درا الكنا دهل حلمي له ان عقله غاب
سطى طنوا بالعس تحسن من اهلها عمي بكى له في السماح شعاب
حطاهو ومن واواه في سوطنه بالابيات من طي العباح عاب
نووا عزوق ان الغني ابو محمد وهوب للالاف بغير حساب
ورحت الاجاد منه وتحسوا روحه بالحيي روح سحاب
جرو ايطلبوا تحت السحاب سرايع لقواكلا ما يستاملوه سراب
وهو لو عطا ما كان للراي عارف ولكن في قلة عطاه صواب
وان نحن ما نشتاملوا عنه راحة وانه لسهام القلاف مصاب
وان وطا ترشيش لصاق وسعها عليه وتمشي بالفروع كراب
وانه منها عن قريب مفاصل ظلوح عنا ذهولها وقباب
وعن فاتنات الطرف عند عوانح ابو اخلف استار وخلف حجاب
بنته اذا باهوا وتصنوا اذا حضر تحسن قوافي وصوت رباب
يصلون من عدم النعين وربما نطارح حتى ما الكنة سباب
بهم حاز له رمنا وطوع او امر ولون ماكول وطيب شراب
حرام على من باو اكبر ما مضى من الود الا مائدل بحاب
وان كان له عصلا رجح ووطنه لجج في اليم الغزيز غراب
واما العد الا عد بها من مناعل كمار الكن سعا الرحال كاب
ونحمى بها سوق علينا سلاعه ونحمى ارمصوب العصا وجعاب
ونمسي علام طالب ربح ملكنا يدوما ولا نمشي صحيح سحاب
يا واكلين الخبز بعوادامه غلطوا ادمنوا في السموم لباب

ومن شعر علي بن ابراهيم من رؤسا بني عامر لهذا العهد احد بطون زغبة يعاتب بني عمه المنتطاولين الى رياسة قبيلة

ايا يا ت صدنيه من قريض كلام

محيره كالدر في بدي صايع لنا اذا كان في سلك الحرير نظام
اذا حاربها من اسباب ماطرا وسما بدا برك الطعون فسام
عدا منه لام للحي حسن والشطت عصاها ولا صبا عليه حكام
لكن ضميري يوم بان بهم الينا ترم على شوك القتاد بجرام
والا كما ارتاض البهايم قوادح بين غوح الكا نقات ضرام
والا لكن القلب في بدين قابض اتاهم بمنشار القطيع عشام
لساملك معقا من شقا البين زادني اذاه ينادي بالفراق وحام
الا يا ربوعا كان بالامس عامر يحي رحله والعطين لمام
وعيدا تدافي للخطا في ملاعب وجا الليل فيهم ساهرا ونيام
ونعم بيشون الناظرين التمامه لنا ما بدا من طرق وكظام
وعدف دما سمها ورعوا من سهام اطلاق من شرب المها ونعام
واليوم ما بها سوى البوم حولها ينوحوا على اطلالها وخيام
وقفت بها طورا طويل نسالها بعين سخيفا والدموع سجام
ولا صح لي منها سوى وحش خاطر وسقمي من اسباب عرفت ودام
ومن بعد ذا اهدي لمنصور بو على سلام ومن بعد السلام سلام
وقولوا لو يا بو الوفا ما كلح يا ابكم دخلتوا الحروا غاشقات دهام
دوا حرما بو فاس بالعود وانما لها سبلات على القضا والاكام
ولا تقستوا فيها قياسا بدلكم وليس البحور الطاميات تعام
وحانوا على هلكا انكم في ورودها من الناس عدمان العقول ليام
ما غرونا ركبوا الصلاة ولا لهم قرار ولا دنيا لهم دوام
الاعنام لو ترى كيف رايهم مثل سدور فلا مالهم تمام
خلو الغيا ويعاوفي مرقب العلى مواضع ماهيا لهم بمقام
وحق النبي والبيت والكانه الذي ومازارها من كل دهر وعام
لبد الليالي ببه ان طالت الحيا يدوقون من حمط الشكاع مدام
وان بدها على البوادي شكايف بكل رديني مطرب وحسام
وكل مشاقا كالسد اتاه عابر اجليها من اولاد الكرام غلام
وكل كميتي مكنفص عصي بانه بطل يصارع في العنان لجام
ويحيل بنا الارض العقيمه مدة ويولدنا من كل ضيق اطام
بالابطال والعود الهجان وبالقنا لها وقت وجبات العدو زحام
نجيها اما عقيد نقودها وفي سن رمحي للحروب علام
ونحي كما اضراس الراقي انزحكم حتى تعاصوا من دنون غرام

متى كان يوم النحس بامير بو على تلقا سعا ما صادات قرام
لو كان بو حمو الشترى بعد راحص وخلا الحيا دالغالبات سام
وخلا رجالا لا يرى الضيم جارهم ولا الخمعون ارجى العدو دمام
الا يعتمو هاويقد بو سشورهم وهم مر عنه دايما ودوام
كم مار طعنها على العدو ساوق بين صحاصيح وبين حشام
وفي امار قطاع الصوابو مسا على ليا ناض نزال الطاعين بهام
وكم ذا لجيبوا في اثره من غنيمه خليف التنا سحاج كل غمام
وان جا ونجنوه الملوك ويبتغوا عذا طعنه نجري عليه قتام
عليكم سلام الله من لسن فاهم ما غنت ورقا وناح حمام

ومن شعر عرب البرية بالشام ثم بنواحي حوران لامراة قتل زوجها بعثت الى احلافه من قيس تغريهم بطلب ثاره

تقول فتاة الحي ام سلامه بعين اراع الله من لا رثا لها
تبات طوال الليل ما تالف الكرى موجعة كن السقا في مجالها
على ما جرى في دارها وعيالها بلحظة عين غير البين حالها
فقدتوا شهاب الدين يا قيس كلكم ونمتوا عن اخذ الثار ما ذا وفا لها
انا قلت اذا وردوا الكتاب يسرني وتبرد من نيران قلبي ذبالها
انا حين تسريح الذوايب والحا وبيض العذارى ما حميتوا جمالها

ولبعض الجذاميين من اعراب مصر ينتسبون الى هلبا منهم

يقول الرديني الرديني صادق بهي بيوتا محكمات طرايف
الا ايها الغادي على ابد هيبه جماليه ملو المساغ اللطايف
عليها غلام لا يرى النوم مغنم عظيم الغنا ندب بالاخبار عارف
اذا جيت من حي هلبا جماعة براز بيه اثراف للحرب زايف
ولي من بني رداد كل مجرب كما هم الا لهي معظمات التكالف
اماني مع الحطار علم مطوح ونوبق بنات وراي مخالف
وكيف اقر الضيم وانتم جماعة على كل صهال طويل المعارف
او بالوان رانا نضيمكم ولو ان فيه المال والروح تالف
ولي من رد اهليا عبيد بن مالك بها شرف عال على الناس شارف
وخلان صدق من ذرا آل مسلم امد بهم جمله جميع الطوايف

وامثال هذا الشعر عندهم كثير وبينهم متداول ومن احيائهم من ينتحله ومنهم من يستنكف عنه كما بيناه في فصل الشعر مثل الكثير من رؤسا رياح وزغبه وسليم لهذا العهد وامثالهم والله الموفق

## الموشحات والازجال للاندلس

واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتاخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه اسماطا اسماطا واغصانا اغصانا يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عدد قوافي تلك الاغصان واوزانها متتاليا فيما بعد الي اخر القطعة واكثر ما ينتهي عندهم الي سبعة ابيات ويشتمل كل بيت علي اغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصايد وتجاروا في ذلك الي الغاية واستظرفه الناس وجملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم بن معافر القبريري من شعراء الامير عبد الله بن محمد المرواني واخذ عنه ذلك ابو عبد الله بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ولم يظهر لهما مع المتاخرين ذكر وكسدت موشحاتهما فكان اول من برع في هذا الشان بعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية وقد ذكر الاعلم البطليوسي انه سمع ابا بكر بن زهير يقول كل الوشاحين عيال علي عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله

بدر تم * شمس ضحى * غصن نقا * مسك شم
ما اتم * ما اوضحا * ما اورقا * ما انم
لا جرم * من لمحا * قد عشقا * قد حرم

وزعموا انه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوايف وجا مصليا خلفه منهم ابن ارفع راسه شاعر المامون بن ذي النون صاحب طليطلة قالوا وقد احسن في ابتدايه في الموشحة التي طارت له حيث يقول

العود قد ترنم * بابدع تلحين * وشقت المذانب * رياض البساتين

وفي انتهايه حيث يقول

تخطر ولا تسلم * عساك المامون * مروع الكتايب * يحيي بن ذي النون

ثم جات الحلبة التي كانت في دولة الملثمين فظهرت لهم البدايع وفرسان حلبتهم يحيي بن بقي والاعمى الطليطلي وللتطيلي من الموشحات المذهبة قوله

كيف السبيل الي * صبري وفي المعالم * اشجان
والركب وسط الفلا * بالخرد النواعم * قد بانوا

وذكر غير واحد من المشايخ ان اهل هذا الشان بالاندلس يذكرون ان جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلية وكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتانق فيها فتقدم الاعمى التطيلي للانشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله

ضاحك عن جمان * سافر عن بدر * ضاق عنه الزمان * وحواه صدري

خرق

خرق ابن بقي موشحته وتبعه الباقون وذكر الاعلم البطليوسي انه سمع ابن زهر يقول ما حسدت قط وشاحا علي قول الا ابن بقي حين وقع له

اما تري احمد * في مجده العالي * لا يلحق
اطلعه الغرب * فارنا مثله * يا مشرق

وكان في عصرهما من الوشاحين المطبوعين ابو بكر الابيض وكان في عصرهم ايضا الحكيم ابو بكر بن باجة صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكايات المشهورة انه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سرقسطة فالقي علي بعض قيناته موشحته التي اولها

جرر الذيل ايما جر * وصل السكر منك بالسكر

فطرب الممدوح لذلك فلما ختمها بقوله

عقد الله راية النصر * لامير العلي ابي بكر

وطرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما احسن ما بدات وما ختمت وحلف بالايمان المغلظة لا يمشي ابن باجة الي داره الا علي الذهب فخاف الحكيم سو العاقبة فاحتال بان جعل ذهبا في نعله ومشي عليه وذكر ابو الخطاب ابن زهر انه جري في مجلس ابي بكر بن الابيض الوشاح ذكر ابي بكر الابيض الوشاح المتقدم الذكر فغض منه احد الحاضرين فقال كيف تغض ممن يقول

ما لذ لي شرب راح * علي رياض الاقاح * لولا هضيم الوشاح * اذا انثني في الصباح
او في الاصيل * اضحي يقول * ما للشمول * لطمت خدي
وللشمال * هبت فمال * غصن اعتدال * ضمه بردي
مما اباد القلوبا * يمشي لنا مستريبا * يا لحظه زد ذنوبا * ويا لماه الشنيبا
برد غليل * صب عليل * لا يستحيل * فيه عن عهدي
ولا يزال * في كل حال * يرجو الوصال * وهو في الصد

واشتهر بعد هولاء في صدر دولة الموحدين محمد بن ابي الفضل بن شرف قال الحسن ابن دويريدة رايت حاتم بن سعيد علي هذا الافتتاح

شمس قارنت بدرا * راح ونديم

وابن هردوس الذي له

يا ليلة الوصل والسعود * بالله عودي

وابن موهل الذي له

ما العيد في حلة وطاق * وشم طيب * وانما العيد في التلاقي * مع الحبيب

وابو اسحق الدويني قال ابن سعيد سمعت ابا الحسن سهل بن مالك يقول انه دخل علي ابن زهر وقد اسن وعليه زي البادية اذ كان يسكن بحصن استبة فلم يعرفه فجلس حيث انتهي به المجلس وجرت المحاضرة ان انشد لنفسه موشحة وقع فيها

كحل الدجى يجري ٭ من مقلة الفجر ٭ على الصباح
ومعصم النهر ٭ في حلل خضر ٭ من البطاح

فتحرك ابن زهر وقال انت تقول هذا قال اختبر قال ومن تكون فعرفه فقال ارتفع فوالله ما عرفتك قال ابن سعيد وسابق الحلبة التي ادركت هولا ابو بكر بن زهر وقد شرقت موشحاته وغربت قال سمعت ابا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهر لو قيل لك ما ابدع ما وقع لك في التوشيح قال كنت اقول

ما للموله ٭ من سكره لا يفيق ٭ يا له سكران
هل يستعاد ٭ ايامنا بالخليج ٭ ولياليلنا
اذ يستفاد ٭ من النسيم الاريج ٭ مسك دارينا
واذ يكاد ٭ حسن المكان البهيج ٭ ان يحيينا
نهر اظله ٭ دوح عليه انيق ٭ مورق فينان
والما يجري ٭ وعائم وغريق ٭ من جني الريحان

واشتهر بعده ابن حيون الذي له الزجل المشهور وهو قوله

يفوق سهمه كل حين ٭ بما شيت من يد وعين ٭ وينشد في القضيتين
خلقت مليح علمت رامي ٭ فليس تخلو ساع من قتال
وتعمل بذي العينين متاعي ٭ ما تعمل يدي بالنبال

واشتهر معهما يومئذ بغرناطة المهر بن الفرس قال ابن سعيد ولما سمع ابن زهر قوله

لله ما كان من يوم بهيج ٭ بنهر حمص على تلك المروج ٭ ثم انعطفنا على فم الخليج
نفض مسك الختام ٭ عن عسجد المدام ٭ ورداء الاصيل ٭ يطويه كف الظلام

قال ابن كنا نحن عن هذا الردا وكان معه في بلده مطرف اخبر ابن سعيد عن والده ان مطرفا هذا دخل على ابن الفرس فقام له واكرمه فقال لا تفعل فقال ابن الفرس كيف لا اقوم لمن يقول

قلوب تصاب بالحاظ تصيب فقل كيف تبقى بلا وجد

وبعدهما ابن حزمون بمرسية ذكر ابن الرايس ان يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلس فانشد موشحة لنفسه فقال له ابن حزمون ما الموشح بموشح حتى يكون عاريا عن التكلف قال على مثل ماذا قال على مثل قولي

يا هاجري هل الى الوصال ٭ منك سبيل ٭ او هل ترى عن هواك سالي ٭ قلب العليل

وابو الحسن سهل بن مالك بغرناطة قال ابن سعيد كان والدي يعجب بقوله

ان سيل الصباح في الشرق ٭ عاد بحرا في اجمع الافق
فتداعت نوادب الورق ٭ اتراها خافت من الغرق
٭ فبكت سحرة على الورق ٭

واشتهر

واشتهر باشبيلية لذلك العهد ابو الحسن بن الفضل قال ابن سعيد عن والده سمعت سهل ابن مالك يقول له يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك

واحسرتا لزمان مضى ٭ عشية بان الهوى وانقضى ٭ وافردت بالرغم لا بالرضا ٭ وبت على جمرات الغضا
اعانق بالفكر تلك الطلول ٭ والثم بالوهم تلك الرسوم

قال وسمعت ابا بكر بن الصابوني ينشد الاستاذ ابا الحسن الدباج موشحاته غير مرة فما سمعته يقول له لله درك الا في قوله

قسما بالهوى لذي حجر ٭ ما لليل المشوق من فجر
جمد الصبح ليس يطرد ٭ ما لليلي فما اظن غد ٭ صح يا ليل انك الابد
او قصت قوادم النسر ٭ فنجوم السما لا تسري

ومن محاسن موشحات ابن الصابوني قوله

ما حال صب ذي ضنا واكتياب ٭ امرضه يا ويلتاه الطبيب
عامله محبوبه باجتناب ٭ ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب
جفا جفوني النوم لكنني ٭ لم ابكه الا لفقد الخيال
وذا الوصال اليوم قد غرني ٭ منه كما شا وشا الوصال
فلست باللايم من صدني ٭ بصورة الحق ولا بالمحال

واشتهر بين العدوة ابن خلف الجزايري صاحب الموشحة المشهورة

يد الاصباح قدحت زناد الانوار ٭ في مجامر الزهر

وابن خزر البجاي وله من موشحة

ثغر الزمان موافق ٭ حياك منه بابتسام

ومن محاسن الموشحات للمتاخرين موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبتة من بعدها وهي قوله

هل درى ظبي الحما ان قد حما ٭ قلب صب حله عن مكنس
فهو في نار وخفق مثل ما ٭ لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير ابو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب لعصره وقد مر ذكره فقال

جادك الغيث اذا الغيث هما ٭ يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما ٭ في الكرى او خلسة المختلس
اذ يقود الدهر اشتات المنى ٭ تنقل الخطو على ما يرسم
زمرا بين فرادى وثنى ٭ مثل ما يدعو الوفود الموسم
والحيا قد جلل الروض سنا ٭ فسنا الازهار فيه تبسم
وروى النعمان عن ما السما ٭ كيف يروي مالك عن انس

تكسبه الحسن ثوبا معلما … يزدهي منه بابهى ملبس
في ليال كتمت سر الهوى … بالدجى لولا شموس الغرر
مال نجم الكاس فيها وهوى … مستقيم السير سعد الاثر
وطر ما فيه من عيب سوى … انه مر كلمح البصر
حين لذ الانس شيا او كما … هجم الصبح هجوم الحرس
غارت الشهب بنا او ربما … اثرت فينا عيون النرجس
اي شي لامرئ قد خلصا … فيكون الروض قد مكن فيه
تنهب الازهار فيه الفرصا … امنت من مكره ما تتقيه
فاذا الما تناجي والحصا … وخلا كل خليل باخيه
تبصر الورد غيورا برما … يكتسي من غيظه ما يكتسي
وترى الاس لبيبا فهما … يسرق السمع باذني فرس
يا اهيل الحي من وادي الغضا … وبقلبي سكن انتم به
ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا … لا ابالي شرقه من غربه
فاعيدوا عهد انس قد مضا … تعتقوا عانيكم من كربه
واتقوا الله واحيوا مغرما … يتلاشى نفسا في نفس
حبس القلب عليكم كرما … افترضون عفا الحبس
وبقلبي منكم مقترب … باحاديث المنى وهو بعيد
قمر اطلع منه المغرب … شقوة المغرى به وهو سعيد
قد تساوى محسن ومذنب … في هواه بين وعد ووعيد
ساحر المقلة معسول اللمى … جال في النفس مجال النفس
سدد السهم وسمى ورمى … ففؤادي نهبة المفترس
ان يكن جار وخاب الامل … وفؤاد الصب بالشوق يذوب
فهو للنفس حبيب اول … ليس في الحب لمحبوب ذنوب
امره معتمل ممتثل … في ضلوع قد براها وقلوب
حكم اللحظ بها فاحتكما … لم يراقب في ضعاف الانفس
منصف المظلوم ممن ظلما … ومجازي البر منها والمسي
ما لقلبي كلما هبت صبا … عاده عيد من الشوق جديد
كان في اللوح له مكتتبا … قوله ان عذابي لشديد
جلب الهم له والوصبا … فهو للاشجان في جهد جهيد
لاعج في اضلعي قد اضرما … فهو نار في هشيم اليبس
لم يدع في مهجتي الا الذما … كبقا الصبح بعد الغلس





سلمي يا نفس في حكم القضا … واعمري الوقت برجعى ومتاب
دع من ذكرى زمان قد مضى … بين عتبى قد تقضت وعتاب
واصرف القول الى المولى الرضا … ملهم التوفيق في ام الكتاب
الكريم المنتهى والمنتمى … اسد السرج وبدر المجلس
ينزل النصر عليه مثلما … ينزل الوحي بروح القدس

**واما المشارقة** فالتكليف ظاهر على ما عانوه من الموشحات ومن احسن ما وقع لهم في ذلك موشحة ابن سنا الملك التي اشتهرت شرقا وغربا اولها

حبيبي ارفع حجاب النور … عن العذار … تنظر المسك على كافور … في جلنار
كللي … يا سحب تيجان الربا بالحلي
واجعلي … سوارها منعطف الجدول

ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع اجزايه نسجت العامة من اهل الامصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير ان يلتزموا فيه اعرابا واستحدثوا فنا سموه **بالزجل** والتزموا النظم فيه على مناحيهم لهذا العهد فجاوا فيه بالغرايب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة **واول** من ابدع في هذه الطريقة الزجلية ابو بكر بن قزمان وان كانت قيلت قبله بالاندلس لكن لم يظهر حلاها ولا انسبكت معانيها واشتهرت رشاقتها الا في زمانه وكان لعهد الملثمين وهو امام الزجالين على الاطلاق قال ابن سعيد ورايت ازجاله مروية ببغداد اكثر مما رايتها بحواضر المغرب قال وسمعت ابا الحسن بن جحدر الاشبيلي امام الزجالين في عصرنا يقول ما وقع لاحد من ايمة هذا الشان مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة وقد خرج الى منتزه مع بعض اصحابه فجلسوا تحت عريش وامامهم تمثال اسد من رخام يصب الما من فيه على صفايح من الحجر متدرجة فقال

وعريش قد قام على دكان … بحال رواق
واسد قد ابتلع ثعبان … من غلظ ساق
وفتح فمه بحال انسان … بيه الفواق
وانطلق من ثم على الصفاح … والقى الصياح

وكان ابن قزمان مع انه قرطبي الدار كثيرا ما يتردد الى اشبيلية وينتاب نهرها فاتفق ان اجتمع ذات يوم جماعة من اعلام هذا الشان وقد ركبوا في النهر للنزهة ومعهم غلام جميل الصورة من سروة اهل البلد وبيوتهم وكانوا مجتمعين في زورق للصيد فنظموا في وصف الحال وبدا منهم عيسى البليد فقال

يطمع بالخلاص قلبي وقد فاتوا

وقد ضمني عشقو لشهاتو * تراه قد حصل مسكين حملاتو *
يعلق وكذاك امر عظيم صابو * الوحشي الجفون الكحل ان غابو * ودي الجفون الكحل ابلاتو
ثم قال ابو عمرو بن الزاهد الاشبيلي
نشب والهوى من لج فيه ينشب * ترى ايش دعاه يشقى ويتعذب
مع العشق قام في بالوان يلعب * وخلق كثير من ذا اللعب ماتوا
ثم قال ابو الحسن المقري الداني
نهار مليح يعجبني اوصافوا * شراب وملاح من حولي قد طافوا
والمقلين يقولوا من فوق صفصافوا * والبوري اخي فمقلاتو
ثم قال ابو بكر بن مرتين
الحق تريد حديث نقالي عاد * في الواد النزيه والبوري والصياد
لشنة حيتان ديك التي نصطاد * قلوب الوري هي في شبيكاتو
ثم قال ابو بكر بن قزمان
اذا شمر اكما موا ايرميها * ترى البوري يرشق لذك الجيها
وليش مراده ان يقع فيها * الا ان يقبل يديا تو
وكان في عصرهم بشرق الاندلس مخلف الاسود وله محاسن من الزجل منها قوله
قد كنت منشوب واختشيت النشب * وردني ذا العشق لامر صعب
يقول فيه
حين ننظر الخد الشريق البهي * ينتهي في الخمر الماسهى
يا طالب الكيميا في عيني هي * ننظر بها الفضة ورجع ذهب
وجات من بعدهم حلبة كان سابقها مدغليس ووقعت له العجايب
في هذه الطريقة فمن قوله في زجله المشهور
ورذاذ دق ينزل * وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض * وترى الاخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر * والغصون ترقص وتطرب
ومن محاسن ازجاله قوله
لاح الضيا والنجوم حيارى * فقم بنا نسرع الكسل
شربت ممزوج من قراعا * احلاهي عندي من العسل
يا من يلمني كما نقلد * خلدك الله بما تقول
تقول بان الذنوب تولد * وانه يفسد العقول
لارض الحجاز مور يكن لك ارشد * ايش ساقك معي في ذا الفضول
مر انت للحج والزيارا * ودعني في الشرب نتهل



من ليس لو قدره ولا استطاعه * النية ابلغ من العمل
وظهر من بعد هولاء في اشبيلية ابن جحدر الذي فضل على الزجالين
في فتح ميورقة بالزجل الذي اوله
من عاند التوحيد بالسيف يمحق * انا بري ممن يعاند الحق
قال ابن سعيد لقيته ولقيت تلميذه اليعيع صاحب الزجل المشهور الذي اوله
بالنبي ان ريت حبيبي * افتل اذنو بالرسيلا
ليش اخذ عنق الغزيل * وسرق فم الحجيلا
ثم جا من بعدهم ابو الحسن سهل بن مالك امام الادب ثم من بعدهم لهذه العصور
صاحبنا الوزير ابو عبد الله بن الخطيب امام النظم والنثر في الملة الاسلامية
غير مدافع فمن محاسنه في هذه الطريقة
امزج الاكواس واملالي تجدد * ما خلق المال الا ان يبدد
ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو منحى الششتري منهم
بين طلوع وبين نزول * اختلطت الغزول
ومضى من لم يكن * وبقي من لم يزول
ومن محاسنه ايضا في ذلك المعنى
البعد عنك يا بني اعظم مصايبي * وحين حصل لي قربك شيبت عازبي
وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالاندلس محمد بن عبد العظيم من اهل وادي اش
وكان اماما في هذه الطريقة وله من زجل يعارض به مدغليس في قوله
لاح الضيا والنجوم حيارى بقوله
حل المجون يا اهل الشطارا * مذ حلت الشمس في الحمل * تجددوا كل يوم خلاعا * لا تجعلوا بينها تمل
الهها تتخلعوا في شنيل * على خضوره وديك النبات
وخل بغداد واخبار النيل * احسن عندي ديك الجهات
وطاقيها اصلح من اربعين ميل * ان مرت الريح عليه وجات
لم يلتق للغبار اماره * ولا بمقدار ما يكتحل * وكيف وليش فيه موضع * رقاعا الا وفسح فيه النحل
وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فن العامة بالاندلس من الشعر
وفيها نظمهم حتى انهم لينظمون بها في ساير البحور الخمسة عشر لكن بلغتهم
العامية ويسمونه الشعر الزجلي مثل قول شاعرهم
دهر لي نعشق جفونك وسنين * وانت لا شفقا ولا قلب يلين
حتى ترى قلبي من اجلك كيف رجع * صنعة السكة ما بين الحدادين
الدموع ترسل والنار تلتهب * والمطارق من شمال ومن يمين
خلق الله النصارى للغزو * وانت تغزوا قلوب العاشقين

وكان من المجيدين في هذه الطريقة لاول المائة الاديب ابو عبد الله اللوشي
وله فيها من قصيدة يمدح السلطان بن الاحمر

طل الصباح قم يا نديم نشربوا … ونضحكوا من بعد ما نطربوا
سبيكة الفجر احكت شفق … في ميلق الليل فقم فلبوا
ترى عيارا خالص ابيض نقي … فضه هو لكن الشفق ذهبو
فتنفق سكتوا عند البشر … نور الجفون من نورها يسكبوا
فهو النهار يا صاحبي للمعاش … عيش الغني فيه بالله ما اطيبو
والليل ايضا للقبل والعناق … على سرير الوصل نتقلبو
جاد الزمان من بعد ما كان بخيل … والعيش كسفلت من بين يدي عقربو
كما جرع مروفما قد مضى … يشرب بينو او بكل طيبو
قال الرقيب يا ادبا ايش ذا … في العشق والشرب ترى نتجبو
وانجبوا اعدالي من ذا الخبر … فقلت يا قوم من ذا تتعجبو
نعشق مليح الا رقيق الطباع … علاش كفروا بالله او نكتبو
لش ريح الحسن الاشاعر اديب … يفتض بكر وودع ثيبو
وانما الكاس محرام هو حرام … على الذي لش بدر كيف يشربو
واهل العقل والحنكه او المجون … تغفر ذنوبهم هذا ان اذنبو
وذا الذي يحلين حسنوا ولم … نقدر بحسن الفاظا ان نجلبو
صبي هي سمان يطفي الجمر … وقلبي في جمر الغضا يلهبو
غزال هي تنظر قلوب الاسود … وبالوهم قبل النظر يذهبو
وكم يحيهم اذا تبسم مضحكو … من بعد ما يندبو
منيم كالخاتم وثغرا نقي … خطيب الا ما للقبل نخطبو
جوهر في مرجان اي عقد يا فلان … قد صنفو الناظم ولم يثقبو
وشارب اخضر يريد لش … يريد من شبهو بالمسك قد عيبو
تسبل دلال مثل جناح الغراب … لما لي هجري منو يستغربو
على بدن ابيض فلون الحليب … لم قط راعي في الغنم يحلبو
وزوج نهيدات علمت قلبها … ديك الصلا يا دب ما اصلبو
تحت الغلاكي معها خضرا … رفوح من رفيق الحنى اذا اطلبو
ارق هو من ديني فيما نقول … خد ترى سبي ما اكذبو
اي دين يقال تعلا واي عقل … من يتبعك من ذا وذا تسلبو
وتحل اردافا ثقال كالرقيب … حين ينظر العاشق وحين يرقبو
محاسنك مثل خصال الامير … او الرمل من هو الذي يحسبو



عماد الامصار وفصيح العرب … ممن فصاحو لفظ يتعربو
بجملة العلم انفرد والعمل … ومع بديع الشعر ما اكتبو
فتى الصدور بالرمح ما اطعنو … وفي الرقاب بالسيف ما اضربو
من السما يحسد في اربع صفات … ممن تعد وعلى او يحسبو
الشمس نورو والقمر همتو … والغيث جودو والنجم منصبو
يركب جواد الجود ويطلق عنانه … الا اعتنا والحد حتى يركبو
من خلعتو يلبس كل يوم … من طيبة ثناه العالي نطيبو
نعمتو تنظر على من يرتجيه … قاصدو ارد قط ما خيبو
قد اظهر الحق وكان في حجاب … لس يقدر الباطل بعد يحجبو
وقد بنا يا الذي ركن التقا … من بعد ما كان الزمان خربو
تخافو حتى تلقاه كما ترتجيه … مع سماحه وجه ما اهيبو
يلقى الحروب ضاحك وهي عابسا … غالب هو لش في الزمان يغلبو
اذا اجرد سيفو ما بين الزرود … فلس يلقى على الذي يضربو
وهو سمي المصطفا والا لم … السلطنا اختاروا واستنجبو
تراه خليفه امير المسلمين … يقود جيوشو او يزين موكبو
لذي الامارا تخضع الروس … نعم وفي يقبل يديه يرغبو
بقية بني نصر بدور الزمان … يطلعوا في المجد ولا يغربوا
ذوي المعالي والشرف يبعدوا … وفي التواضع والحيا يقربوا
فالله يبقيهم ما دار الفلك … واشرقت شمسو ولاح كوكبو
وما نعني ذا القصيد في عروض … يا شمس خدر ما لها مغرب

ثم استحدث اهل الامصار بالمغرب فنا اخر من الشعر وسموه عروض البلد
وكان اول من استحدثه بينهم رجل من اهل الاندلس نزل بفاس ويعرف
بابن عمير فنظم قطعة على طريق الموشح ولم يخرج فيها عن مذهب
الاعراب الا قليلا مطلعها

ابكاني بشاطي النهر نوح الحمام … على الغصن في البستان قريب الصباح
وكف السحر يمحو مداد الظلام … وماء الندى يجري بثغر الاقاح
باكرت الرياض والطل فيه افتراق … كنثر الجواهر في نحور الجوار
ودمع النواعر يهرق انهراق … يحاكي ثعابين حلقت بالثمار
لووا بالغصون طلحا على كل ساق … ودار الجميع بالروض دور السوار
وايدي الندى تخرق جيوب الكمام … وتحمل نسيم المسك عنها رياح
وجاء الضيا يطلي بمسك الغمام … وجر النسيم ذيلو عليها وفاح

رايت الحمام من الورق في القضيب   قد ابلت اريا شو بقط الندى
ينوح مثل المستهام الغريب   قد التف في ثوبو الحديد في ردا
وكمين بتاه احمر وساق خضيب   ينظم سلوك جوهر ويتقلدا
جلس بين الاغصان جلسة المستهام   جناحا توسد والنوى في جناح
وصار يشكي ما في الفواد من غرام   منها ضم منقار ولصدر وصاح
فقلت يا حمام حرمت عيني الهجوع   ادى ما تزال تبكي بدمع سفوح
قال لي قد بكيت حتى ضعف لي الدموع   بلا دمع سقى طول احياتي ينوح
على فرخ طار لي لم يكن لو رجوع   الفت البكا والحزن من عهد نوح
كذا هو الوفا قلت كذا هو الزمام   انظر لجفوني صارت بحال الجراح
وانتم من بلا منكم اذا تم عام   يقول قد عيا في ذا البكا والنواح
فقلت يا حمام لو ضعت بحر الضنا   كان تبكي وترثي لي بدمع هتون
ولو كان تعلم ما بقلبي انا   دما دكان نصير تحمك فروع الغصون
اليوم نتاسى الهجر كم من سنا   حتى لا سبيل حمله ترائي العيون
وما كسى جسمي النحول والسقام   اجفاني بحول عن عيون اللواح
لو جيتني حيث المنايا كان يموت في المقام   ومن مات بعد يا قوم لقد استراح
قال لي لو رفوت الا وداء الرياض   نخوفي عليه ردت النفس للفواد
والحسي من دمعي ورد البياض   طوف العهد في دمعي لوم السواد
واما طرف منقار حد نبو اشتغافي   بحال طرف شعله وجسمي رماد
وشكى ورثى لي صنوف الحمام   ومن ضاق بحال النصد والجراح
فيا بهجة الدنيا عليك السلام   اذا لم يجد راحة فيك واستراح

فاستحسنه اهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذي ليس من شانهم وكثر شياعه بينهم واستعمل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافا الى المزوج والكازي والملعبة والغزل واختلفت اسماوها باختلاف ازدواجها واوزانها وملاحظاتهم فيها فمن المزوج ما قاله ابن سجاع من فحولهم وهو من اهل تازي

المال زينة الدنيا وعز النفوس   يبهي وجوها ليس هي باهيا
منها من هو اكثر الفلوس   اوه الكلام والرتبة العاليا
يكبر من كثر مالو ولو كان صغير   ويصغر عزيز القوم اذا افتقر
من ذا ينطبق صدري ومن ذا العار   وكان ينفقع لولا الرجوع للقدر
ادى ملجى من هو في قومه كبير   من لا اصل عنده ولا لو خطر



لقد سعى بحزن على ذي الفلوس   ويصبح عليه يوى فراش جايا
ادى صارت الاذناب امام الروس   وصار يستفيد الواد من الساقيا
صعف الناس عملا او فساد الزمان   ما ندر لو على من يلبرو اذا العتاب
ادى صار فلان اليوم يصبح بو فلان   ولو ريت وكيف حتى يرد الجواب
عشنا والله حتى راينا عيان   انفا من اسلاطين في جلود الكلاب
كبار النفوس جدا ضعاف الاسوس   هم في ناحيا والمجد في ناحيا
يروا انهم الناس تراهم سوس   وجه البلاد والعمل الراسيا

ومن مذاهبهم قول ابن سجاع منهم في بعض مزوجاته

نعجب من سعيد قلبو ملاح ذا الزمان   اهمك يا فلان لا يلعب الحسن بيك
ما منهم مليح عاهد الا وخان   فلمان علية يحبس وحبس عليك
يتيهوا على العشاق ويتمنعوا   ويستعبدوا ويطيع قلوب الرجال
وان واصلوا في حينهم يقطعوا   وان عاهدوا خانوا على كل حال
مليح كن هويته وتشبث قلبي معو   وصرت من حزني لقد مو نعال
ومهدت لو وسط قلبي مكان   وقلت اكرم اهلي لمن حل بيك
وهو هلك ما يعتريك من هوان   فلا بد من هوا الله نوى يعتريك
حكمتو عليا وارتضيت به امير   فلو كان يرى حالي اذا نتبصرو
نرجع مثل درحولي فوجه العذر   ندريه ونعطس بحال الجرو
وتعلمت من ساعا تشوق الضمير   ونفهم مرادو قبل ان يذكرو
ونحتل في مطلوبو ولو ان كان   عصرفي الربع ادى في الليالي عربك
ونمشي نشوفو لو يكن في اصفهان   واش ما يعمل بحال نعمل لوجيك

حتى اتى على اخره وكان منهم علي بن المؤذن تلمسان وكان ابن العصور من فحولهم نزرهون من ضواحي مكناسة رجل يعرف بالكفيف برع في مذاهب هذا الفن ومن احسن ما علق له بمحفوظي قوله في رحلة السلطان ابي الحسن وبني مرين الى افريقية يصف هزيمتهم بالقيروان يسليهم عنها ويونسهم بما وقع لغيرهم بعد ان عسهم على غزاتهم الى افريقيه في ملعبة من فنون هذه الطريقة يقول في مفتتحها وهو من ابدع مذاهب البلاغة في الاشعار بالمقصد في مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى براعة الاستهلال

سبحان مالك خواطر الامرا   بنواصيها في كل حين وزمان
ان اطعناه اعظم الله نصرا   وان عصيناه عاقب بكل هوان

يغربهم

الى ان يقول في السوال عن حوس المغرب بعد المخلص

كن مرعي ولا تكن راعي | فالراعي عن رعيته مسوول
واستفتح بالصلاة على الداعي | للاسلام والرضى السني المكمول
للخلفا الراشدين والاتباعي | واذكر بعدهم داتحب وتقول
احجاجا لحللوا الصحرا | ودروا شرح البلاد مع السكان
عسكر فاس المنيرة الغرا | اين سارت بعزايم السلطان
احجاج بالنبي الذي زرتم | وقطعتم لوكلا كل البيدا
عن جيش العرب حين سلكتم | المتلوف في وغا السودا
ومن كان بالعطا يزودكم | وبرع من الحجاز رغد
مام قل كالسعد صادف الحدرا | وتغور شوط البعد ما تحقان
وزف كردم وبهت في الغبرا | ادى صاران عراه سجان
لو كان ما بين تونس الغربا | وبلاد الغرب دد لسكندر
بنى من شرقها الى غربا | طبقا يحيد ونانا بصنو
الاد للطير كن يخشينا | او بات الريح عنهم نفود خبر
معوصها من امور ما تبرا | لو نقرا فالقول مع الوبدان
لجرت بالدم وانصبغ بحرا | ودهوب لجراف وجيف الغزلان
ادري لي فحصلك الخاص | وتفكر لي كخاطرك جمعا
ان كان نعلم حماص ولاركاص | عن السلطان تشهر وقل نسعا
تظهر عند المهيمن الخواص | وعلامات تنشر على الصمعا
الا قوم عارس بلا ستيرا | مجهولين الامكان ولا امكان
ما يدروا كيف يصور الكبرا | او كيف دخلوا مدينة القروان
امولاي بو الحسن حطينا الباب | فقصيته سرنا الى تونس
فعنا كاعي الجريد والزاب | واش لك في مواتا افريقيا العويس
ما بلغك عن عمر بن الخطاب | الفاروق فاتح الورى المولس
ملك الشام والحجاز وتاج كسرا | وفتح من افريقيا دكان
كان دادو كرسى الوكره ذكرا | وبعد عمها تفرق الاخوان
هذا الفاروق زمرد الاكوان | صريح في افريقيا بد النصح
وبعد حتا الى زمن عثمان | وفتحها ابن الزبير عن صحيح
لمن دخلت عمايما الديوان | مات عثمان واتلفت علينا الريح
وافترق الناس على ثلاث امرا | وبقا ما هو السكوت عنو ايمان
فاذا كان داعي من البررا | اش نعمل في اواخر الزمان

والحاب

واصحاب الحوفي كما سا | وفي تاريخ كما دكروانا
تذكر في صحفها واسماها | سبق وشطيح وابن مرانا
ان مرينا دالك زمانا | تحرا بونس معد بسط ثمانا
وذكرنا ما قال سيد الوزرا | علي بن الحسن الرفيع الشان
قال لي ربنا وانا نوادرا | لكن داحا الغدر وعمت الاحقان
ونصرانك ما رما المرسا | من حصره جاس العرب ودباب
زاد المولى بموت بوتحا | سلطان تونس وحاجب الغاب

ثم اخذ في ترجيل السلطان وجيوشه الى الغرب حليته ومنتهى امره مع اعراب افريقيه واتى فيها بكل غريبة من الابداع واما اهل تونس فاستحدثوا فن الملعبة ايضا على لغتهم الحضرية الا ان اكثره ردي ولم يعلق بمحفوظي منه شيء لرداءته وكان لعامة بغداد ايضا فن من الشعر يسمونه المواليا وتحته فنون كثيرة يسمون منها الحوفي وكان وكان ودو بيتين على اختلاف الموازين المعتبرة عندهم في كل واحد منها وغالبها ازدواج من اربعة اغصان وتبعهم في ذلك اهل مصر القاهرة واتوا فيها بالغرايب وتبحروا فيها على اساليب البلاغة بمقتضى لغتهم الحضرية فجاءوا بالعجايب ومن اعجب ما علق بحفظي منه قول شاعرهم

هوى جرحي طريا والدما تسبح | وقاتلي يا اخيا في الفلا يمرح
قالوا وما نأخذ ثارك قلت ذا اقبح | ادي جرحي يداوني يكون اصلح

ولغيره

طرقت باب الخبا قالت من الطارق | فقلت مفتون لا ناهب ولا سارق
تبسمت لاح لي من ثغرها بارق | رجعت حيران في بحر ادمعي غارق

ولغيره

عهدي بها وهي لا تامن على البين | وان شكوت الهوى قالت فدتك العين
لمن يعاني لها غيري على الزين | ذكرتها العهد قالت لك علي دين

ولغيره في وصف الحشيش

خمرة سرا والتي عهدي بها باقي | تغني عن الخمر والخمار والساقي
قحبا ومن حبها تعمل على اخراقي | خبيتها في الحشا طلت من احداقي

ولغيره

يا من وصالو لاطفال المحاوج (المصباح) | كم توجع القلب بالهجران اوه اح
اودعت قلبي حوحو والتبريح | كل الورى يجيو عيني وتشحك ادح

ولغيره

نادیتها ومشیبی قد طوانی طی | جودی علیا بقبلا فی الهوی یا مجی
قالت وقد ترکت داخل فوادی کی | ماظن ذا القطن یبغی فم من هو حی

ولغیره

رانی ابتسم سقت سحب ادمعی برقو | ما طاللثام تبدا البدر فی شرقو
اسبل دجی الشعر تاه القلب فی طرقو | رجع هوانا لخیط الصبح من فرقو

ولغیره

یاحادی العیس زجر بالمطا ازجر | اقف علی منزل الاحبابی قبیل الفجر
وصیح فی حیهم یامن یرید الاجر | ینهض یصلی علی میت قتیل الهجر

ولغیره

عینی التی کنت ننظرکم بها ماتت | ترعی النجوم وبالتسهید افتاتت
واسهم البین سابقتنی ولا فاتت | وسلوتی العظم العذاجرکم ماتت

ولغیرکم

هویته فی قسطنطینیة یا ملاح الحلل | غزال یبلی الاسود الضاریا بالغلل
غصن اذا ما انثنی یسبی البنات البکر | اذا تهلل قمنا للبدر عنده وذکر

ومن الذی یسمونه دوبیتی

قد اقسم من احبه بالباری | ان یبعث طیفه مع الاسحار
یا نار تشوقی به فاتقدی | لیلا فعساه یهتدی بالنار

واعلم ان الاذواق فی معرفة البلاغة منها کلها انما تحصل لمن خالط تلك اللغة وکثر استعماله لها ومخاطبته بین اجیالها حتی تحصل ملکتها کما قلناه فی اللغة العربیة فلا یشعر الاندلسی بالبلاغة التی فی شعر اهل المغرب ولا المغربی بالبلاغة التی فی شعر اهل المشرق والاندلس والمشرق بالبلاغة التی فی شعر اهل الاندلس والمغرب لان اللسان الحضری وتراکیبه مختلفة فیهم وکل احد منهم مدرك لبلاغة لغته وذائق محاسن الشعر من اهل جلدته وفی خلق السموات والارض واختلاف السنتکم والوانکم آیات للعالمین وقد کدنا ان نخرج عن الغرض وعزمنا ان نقبض العنان عن القول فی هذا الکتاب الاول الذی هو طبیعة العمران وما یعرض فیه فقد استوفینا من مسایله ما حسبناه کفوا له ولعل من یاتی بعدنا ممن یویده الله بفکر صحیح وعلم مبین یغوص من مسایله علی اکثر مما کتبناه فلیس علی مستنبط الفن احصاء مسایله وانما علیه تعیین موضع العلم وتنویع فصوله وما یتکلم فیه والمتاخرون یلحقون المسایل من بعده شیئا فشیئا الی ان یکمل والله یعلم



وانتم لا تعلمون قال مولف الکتاب عفی الله عنه اتممت هذا الجزء الاول بالوضع والتالیف قبل التنقیح والتهذیب فی مدة خمسة اشهر آخرها منتصف عام تسعة وسبعین وسبع مایة ثم نقحته بعد ذلك وهذبته والحقت به تواریخ الامم کما ذکرته فی اوله وشرطته وما العلم الا من عند الله العزیز الحکیم

وصلی الله علی سیدنا محمد وآله وصحبه

اجمعین ووافق الفراغ

من هذه النسخة

یوم الخمیس

المبارك رابع عشر ذی القعدة الحرام من شهور سنة اثنی وثمانین بعد الالف علی ذلك النسخة احقر العباد واحوجهم الی مغفرته ابو الصلاح محمد الحسنی الشهیر بالعطار

ابن العربي

يا ليل ان الحبيب وافى فشد يا ليل دهم خيلك
واركب ولاقِ الصباح عني دخلت يا ليل تحت ذيلك
وانت يا صبح لا تزرني يا سيدي يا صبح انا دخيلك
وانت يا حب في عتقني ومل علينا بكل ميلك

طالعته من اوله الى آخره ١٢ ٩٢٥
حسن توفيق
بيروت